سورة الفاتحة ٣	سورة البقرة ٦	سورة آل عمران ٨٠	سورة النساء ١٢٠	سورة المائدة ١٦٠
سورة الانعام ١٩٢	سورة الاعراف ٢٢٦	سورة الانفال ٢٥٨	سورة البراءة ٢٦٩	سورة يونس ٢٩٢
سورة هود ٣١٣	سورة يوسف ٣٣٣	سورة الرعد ٣٥٩	سورة ابراهيم ٣٦٧	سورة الحجر ٣٧٨
سورة النحل ٣٨٨	سورة الاسرى ٤٠٦	سورة الكهف ٤٢٠	سورة مريم ٤٣٥	سورة طه ٤٤٤
سورة الانبيا ٤٦٠	سورة الحج ٤٧٠	سورة المؤمنين ٤٨٠	سورة النور ٤٨٨	سورة الفرقان ٥٠١
سورة الشعراء ٥١٠	سورة النمل ٥١٨	سورة القصص ٥٢٦	سورة العنكبوت ٥٣٢	سورة الروم ٥٣٧
سورة لقمان ٥٤١	سورة السجدة ٥٤٣	سورة الاحزاب ٥٤٦	سورة سبا ٥٥٤	سورة فاطر ٥٦٠
سورة يس ٥٦٤	سورة الصافات ٥٧٠	سورة ص ٥٧٧	سورة الزمر ٥٨٤	سورة المؤمن
سورة فصلت ٥٩٥	سورة الشورى ٥٩٩	سورة الزخرف ٦٠٣	سورة الدخان ٦٠٨	سورة الجاثية ٦١٠
سورة الاحقاف ٦١٢	سورة محمد ٦١٦	سورة الفتح ٦١٩	سورة الحجرات ٦٢٢	سورة ق ٦٢٤
سورة الذاريات ٦٢٧	سورة والطور ٦٣٠	سورة والنجم ٦٣١	سورة القمر ٦٣٤	سورة الرحمن ٦٣٦
سورة الواقعة ٦٣٨	سورة الحديد ٦٤٣	سورة المجادلة ٦٤٥	سورة الحشر ٦٤٧	سورة الممتحنة ٦٥٠
سورة الصف ٦٥٢	سورة الجمعة ٦٥٣	سورة المنافقون ٦٥٣	سورة التغابن ٦٥٥	سورة الطلاق ٦٥٦
سورة التحريم ٦٥٧	سورة الملك ٦٥٩	سورة القلم ٦٦١	سورة الحاقة ٦٦٣	سورة المعارج ٦٦٥
سورة نوح ٦٦٧	سورة الجن ٦٦٩	سورة المزمل ٦٧٠	سورة المدثر ٦٧٢	سورة القيامة ٦٧٢
سورة الانسان ٦٧٤	سورة المرسلات ٦٧٦	سورة النبأ ٦٧٧	سورة النازعات ٦٨٠	سورة عبس ٦٨٢

سورة التكوير ٦٨٥	سورة الانفطار ٦٨٦	سورة التطفيف ٦٨٧	سورة الانشقاق ٦٨٩	سورة البروج ٦٩٠
سورة الطارق ٦٩١	سورة الاعلى ٦٩١	سورة الغاشية ٦٩٣	سورة الفجر ٦٩٤	سورة البلد ٦٩٥
سورة والشمس ٦٩٦	سورة والليل ٦٩٦	سورة والضحى ٦٩٧	سورة الم نشرح ٦٩٨	سورة والتين ٦٩٨
سورة العلق ٦٩٩	سورة القدر ٧٠٠	سورة البينة ٧٠٠	سورة الزلزال ٧٠١	سورة العاديات ٧٠٢
سورة القارعة ٧٠٢	سورة التكاثر ٧٠٣	سورة والعصر ٧٠٣	سورة الهمزة ٧٠٣	سورة الفيل ٧٠٣
سورة قريش ٧٠٤	سورة الماعون ٧٠٤	سورة الكوثر ٧٠٥	سورة الكافرون ٧٠٥	سورة النصر ٧٠٥
سورة تبت ٧٠٦	سورة الاخلاص ٧٠٦	سورة الفلق ٧٠٧	سورة الناس ٧٠٧	

الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

قد وقف هذه النسخة الجليلة والمجلة المجملة حضرة سلطاننا الاعظم الخاقان المعظم
الاكرم الخواقين الفخام ناصب لواء الشرع في الآفاق سلطان سلاطين الانام
في العالمين على الاطلاق السلطان بن السلطان السلطان الغازي
محمود خان لازال اوراق حسناته مكتوبة على مر الايام
[illegible] وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع [illegible]
على [illegible]
[illegible] مصطفى
المأمور [illegible]
غفر له

٧-٨

٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨

٦

٢٨٦

٧٠٢

٢

٥٩٩ ٦٧٢

٧٠٥٩

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق • وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق • انزل عليه لتطهير بيئات وابرح
قرآنا عربيا غير ذي عوج • مصدقا لما بين يديه من الكتاب • ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
ناطقا بكل امر رشيد • هاديا الى صراط العزيز الحميد • امرا بعبادة الصمد المعبود • كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود
تكاد الرواسي لهيبته تمور • ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور • حقيقا بان تسير به الجبال • ويتيسر به كل صعب محال
معجزا افحم كل مصقع من مهرة قحطان • وبكت كل مفلق من سحرة البيان • بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته
ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من اياته • نزل عليه على فترة من الرسل • ليرشد الامة على اقوم السبل • فهداهم
الى الحق وهم في ضلال مبين • فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين • فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه • واما من عانده وعصاه
واتخذ الهه هواه • فقد تاه في موامي الردى وتردى في مهاوي الثبور • ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور • صلى الله عليه
وعلى آله الاخيار • وصحبه الابرار • ما تناوبت الانوار • وتعاقبت الظلم والاضواء • وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان
اما بعد فيقول العبد الفقير الى رحمة ربه الهادي ابو السعود بن محمد العمادي • ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم
وما كان حرف منها مسطورا • والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم • ولم يكن شيئا مذكورا • ليست الا معرفة الصانع المجيد
وعبادة الباري المبدئ المعيد • ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل • سوى الوقوف على معاني التنزيل • فانه عز سلطانه
وبهر برهانه • وان سطر آيات قدرته في صحائف الاكوان • ونصب رايات وحدته في صفائح الاعراض والاعيان • وجعل
كل ذرة من ذرات العالم • وكل قطرة من قطرات العيلم • وكل نقطة جرى عليها قلم الابداع • وكل حرف رقم في لوح الاختراع
مرآة لمشاهدة جماله • ومطالعة صفات كماله • وحجة نيرة والحجة المكنون • وآية بينة لقوم يعقلون • برهانا جليا لا ريب فيه
ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه • بل ناطقا يتلو آيات ربه فيقبل من سامع واع • ومجيبا صادقا فيقبل من داع • يكلم الناس
على قدر عقولهم • ويرد جوابهم بحسب مقولهم • يحاور تارة باوضح عبارة • ويلوح اخرى بالطف اشارة • لكن الاستدلال
بتلك الآيات والدلائل • والاستشهاد بتيك الامارات والمخايل • والتنبه لتلك الاشارات السرية • والتفطن لما في تضاعيفها
العبارات العبقرية • وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر • وكنوز آثار التعاجيب والعبر • مما لا يطيق به عقول
البشر • الا بتوفيق خلاق القوى والقدر • فاذن مدار المراد • ليس الا كلام رب العباد • اذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر
الدينية • والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية • والكاشف عن خفايا حظائر القدس • والمطلع على خبايا اسرار الانس
وبه يتكسب الملكات الفاخرة • وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والآخرة • خلا انه ايضا مع علو الشأن • وسمو المكان • ونهاية
الغموض والاغضال • وصعوبة المأخذ وعزة المنال • في غاية الغايات القاصية • ونهاية النهايات النائية • اعز من بيض
الانوق • وابعد من مناط العيوق • لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة • ولا يتأتى الرقي في مدارجه المنيعة • كيف
لا وانه مع كونه متضمنا لدقائق العلوم النظرية والعملية • ومنطويا على رقائق الفنون الخفية والجلية • حاويا لتفاصيل
الاحكام الشرعية • ومحيطا بمناط الدلائل الاصلية والفرعية • منبئا عن اسرار الحقائق والنعوت • مخبرا باطوار الملك
والملكوت • عليه يدور فلك الاوامر والنواهي • واليه يستند معرفة الاشياء كما هي • قد نسج على اغرب منوال وابدع طراز

واحتجب طلعته بسبح الاعجاز • طويت حقائقه الآبية عن العقول • وزويت دقائقه الخفية عن اذهان الفحول • يرتد
عيون العقول بسبحاته • ويخطف ابصار البصائر بريقه ولمعانه • ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة
التفسير • في كل عصر من الاعصار • وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير • في كل قطر من الاقطار
فغاصوا في لججه • وخاضوا في ثبجه • فنظموا فرائده في سلك التحرير • وابرزوا فوائده في معرض التقرير • وصنفوا كتبا
جليلة الاقدار • والقوا زبرا جليلة الآثار • اما المتقدمون المحققون • فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني
وتبيين المرام • وترتيب الاحكام • حسبما بلغهم من سيد الانام • عليه شرائف التحية والسلام • واما المتأخرون المدققون
فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرائقة • وابداء خباياه الفائقة • ليعاين الناس دلائل اعجازه • ويشاهدوا شواهد فضله
وامتيازه • من سائر الكتب الكريمة الربانية • والزبر العظيمة السبحانية • فدونوا اسفارا بارعة • جامعة لفنون المحاسن الرائعة
يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الاعيان • وعوائد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان • لا سيما الكشاف وانوار
التنزيل • المتفردان بالبيان الجليل • والنعت الجميل • فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز • كانه مرآة لاجتلاء وجه الاعجاز
صحائفهما مرايا المزايا الحسان • وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان • ولقد كان في سوابق الايام • وسوالف الدهور
والاعوام • اوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما • وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما • يدور في خلدي على استمرار
آناء الليل واطراف النهار • ان انظم درر فوائدهما في سمط دقيق • وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق • واضيف اليهما
ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة • من جواهر الحقائق • وصادفته في اصداف العيالم الزاخرة • من زواهر الدقائق
واسلك خلالها بطريق الترصيع • على نسق انيق واسلوب بديع • حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل • ويستدعيه جزالة نظمه
الجليل • مما سنح للفكر العليل • بالعناية الربانية • وسمح به النظر الكليل • بالهداية السبحانية • من عوارف معارف تمتد اليها اعناق
الهمم • من كل ماهر لبيب • وغرائب رغائب ترنو اليها احداق الامم • من كل نحرير اريب • وتحقيقات رصينة تقلقل عن آراء
الافهام • في مداحض الاقدام • وتدقيقات متينة تزل خطرات الاوهام • من خواطر الانام • في معارك افكار يشتبه فيها الشؤون
ومدارك انظار يختلط فيها الظنون • وابرز من وراء استار الكمون • من دقائق السر المخزون • في خزائن الكتاب
المكنون • ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون • من خبايا الرموز • وخبايا الكنوز • واهديها الى الخزانة العامرة التي تخجل
البحار الزاخرة • للجناب من حفه الله تعالى بخلافة الارض • واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض • الا وهو السلطان
الاسعد الاعظم • والخاقان الامجد الافخم • مالك الامامة العظمى • والسلطان الباهر • وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر
رافع رايات الدين الازهر • موضح آيات الشرع الانور • مرغم انوف الفراعنة والجبابرة • معفر جباه القياصرة والاكاسرة
فاتح بلاد المشارق والمغارب • بنصر الله العزيز وجنده الغالب • الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاقصى وغرب
حتى بلغ مغرب الشمس ودنا • بخميس عرمرم متزاحم الافواج • وعسكر كخضم متلاطم الامواج • فاصبح ما بين افقي الطلوع
والغروب • وما بين نقطتي الشمال والجنوب • منتظما في سلك ولايته الواسعة • ومندرجا تحت ظلال رايته الرائعة
فاصبحت منابر الربع المسكون • متشرفة بذكر اسمه الميمون • فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط • واستغرق فلكه وجه
البحر المحيط • فكانه فضاء ضربت فيه خيامه • او نصبت عليه الويته واعلامه • مالك ممالك العالم • ظل الله الظليل على كافة الامم
قاصم القياصرة وقاهر القروم • سلطان العرب والعجم والروم • سلطان المشرقين • وخاقان الخافقين • الامام المعتمد
بالقدرة الربانية • والخليفة المعتز بالعزة السبحانية • المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين • وحماية المقامين الجليلين
المفخمين • ناشر القوانين السلطانية • عاشر الخواقين العثمانية • السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان ابن
السلطان المعز المنصور • والخاقان الموقر المشهور • صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار • والفتوحات
المذكورة في صحائف الاسفار • السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد • والخاقان المجيد • السلطان بايزيد خان لا زالت
سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان • وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان • وكنت اتردد
في ذلك بين اقدام واحجام • لقصور شأني وعزة المرام • اين الحضيض من الذرى • شتان بين الثريا والثرى • وهيهات

اصطبار والعثار بالشباك ° واقتباس الجوار من بروج الافلاك ° فمضت عليه الدهور والسنون ° وتغيرت الاطوار وتبدلت
الشئون ° فابتليت بتدبير مصالح العباد ° برهة في قضاء البلاد ° واخرى في قضاء العساكر والاجناد ° فحال بيني وبينها
اشغال تراكم المهمات وتزاحم الاشغال ° وهجوم العوارض والعلائق ° وتجوم الصوارف والعوايق ° والتردد الى المعارك والانتقال
والتنقل من دار الى دار ° وكنت في تضاعيف تلك الامور ° اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ° ويتسنى لي القرار
وتطمئن بي الدار ° واظفر حينئذ بوقت خال ° ابتهل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال ° واوجه اليه وجهتي واسلم له سري
وعلانيتي ° وانظر الى كل شيء بعين الشهود ° واتعرف سر الحق في كل موجود ° تلافيا لما قد فات ° واستعدادا لما هو آت
والتصدي لتحصيل ما عزمت عليه ° والتولي لتكميل ما توجهت اليه ° برفاهية واطمئنان ° وحضور قلب وفراغ جنان
فبينما انا في هذا الخيال ° اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال ° تحولت الاحوال والدهر حول ° فوقعت في اشق من الاول ° امرت
بحل مشكلات العباد ° فيما تشجر بينهم من الفتن والفساد ° فلقيت معضلة طويلة الذيول ° وصرت كالهارب من المطر الى السيول
فبلغ السيل الزبى وغمرني اي غمر ° غوارب ما جرى بين زيد وعمرو ° فاضحيت في ضيق المجال ° وسعة الاشتغال ° اشهر ممن
يضرب بها الامثال ° فجعلت اتمثل بقول من قال شعر لقد كنت اشكو الحوادث برهة ° واستمرض الايام وهي صحائح
الى ان تغشتني وقيت حوادث ° تحقق ان السالفات منائح ° فلما انصرفت قوى الآمال ° عن الفوز بفراغ البال ° ورايت الهم
على جناح الفوات ° وشمل الاسباب في شرف الشتات ° وقد مسني الكبر ° وتضاءلت القوى والقدر ° ودنا الاجل من الحلول ° واشرفت
شمس الحيوة على الافول ° عزمت على انشاء ما كنت انويه ° وتوجهت الى املاء ما طالما ابتغيه ° ناويا ان اسميه عند تمامه
بتوفيق الله تعالى وانعامه ° ارشاد العقل السليم ° الى مزايا الكتاب الكريم ° فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي ° وتزاحم المشاق
بين يدي ° متضرعا الى رب العظمة والجبروت ° خلاق عالم الملك والملكوت ° في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ° ويقيني مصارع السوء
في القول والعمل ° ويوفقني لتحصيل ما ارومه وارجوه ° ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ° ويجعله ذخيرة لمعاد التمتع بيوم
المعاد ° فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ° ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع ° افض علينا
شوارق انوار التوفيق ° واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق ° وثبت اقدامنا على مناهج هداك ° وانطقنا بما فيه امرك ورضاك
ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن ° وخذ بنواصينا الى الخير حيث كان ° جئناك على جباه الاستكانة ضارعين ° ولابواب فضلك
قارعين ° انت الملاذ في كل امر مبهم ° وانت المعاذ في كل خطب مدلهم ° لا رب غيرك ° ولا خير الا خيرك ° بيدك مقاليد الامور
لك الخلق والامر واليك النشور ° **سورة فاتحة الكتاب سبع آيات مكية** الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح
كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي
حصوله بالسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه
تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة
في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة
عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا
الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم
الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع
الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم
في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل
عليه السلام على السفرة ثم نزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام
كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ الكتاب
على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب

القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى يعتبر في التسمية مبدائيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدائية من حيث
التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب
النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدائيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء
على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك
الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب
ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصل الكل الكائنات والآيات الواضحة الدلالة على معانيها لكونها بينة تحمل عليها المتشابهات
ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلوة فانه مما لا تعلق له
بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها
الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب
قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عم هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلوة او لتكرر
نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص **بسم الله الرحمن الرحيم** اختلف الائمة في شان التسمية في اوائل السور
الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء
الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو
الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا
رضي الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنه انها انزلت مع
كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وهو القول الجديد للشافعي رح ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه
اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية
تامة اولا وهو احد قولي الشافعي رح على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة رض وقيل انها
آية تامة في الفاتحة وبعض آية في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل
انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى
احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور

وهو جلال الدين السيوطي منه

ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محلي تردد الشافعي رح فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها
فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا اولا وقيل بين ان يكون آية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي
هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل رح في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه
مع ذلك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلثة الاول والاتفاق على
اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي القول الاول وثبوت القدر المشترك
بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه
كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس رض من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية
من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن
الرحيم وما روي عن ام سلمة رضي الله عنها من انه عم قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم رب العالمين آية وان
دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات
من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا ان
يلتجأ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما

الثانی فساکت عن التعرض لها فی بقیة السور واما الثالث فلا یتجه مع مشارکته للثانی فی السکوت المذکور والباء فیها متعلق بمحذوف تقدیره
الفعل المقصود بها کما انها کذلک فی تسمیة المسافر عند الحلول والارتحال وتسمیة کل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة
او الملابسة تبرکا ای بسم الله اقرأ او اتلو وتقدیم المعمول للاعتناء به والقصد الی التخصیص کما فی ایاک نعبد وتقدیر ابدأ لا
اقتضاء التبرک علی البدایة تقدیرا اقرأ من جهة المعنی فقط لیس بشیء لخلل ما هو المقصود اعنی شمول البرکة للکل وادعاء ان فیه امتثالا
بالحدیث الشریف من جهة اللفظ والمعنی معا وفی تقدیر اقرأ من جهة المعنی فقط لیس بشیء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمیة لا
تقدیر فعله اذ لم یقل فی الحدیث الکریم کل امر ذی بال لم یقل فیه او لم یضمر فیه ابدأ وهذا الی آخر السورة الکریمة مقول علی السنة العباد
تلقینا لهم وارشادا الی کیفیة التبرک باسمه تعالی وهدایة الی منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلک تسمی السورة الکریمة بما ذکر من
تعلیم المسألة وانما کسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفیة والجر کما کسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة علی
المظهر للفصل بینهما وبین لام الابتداء والاسم عند البصریین من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنیة الاوائل علی السکون فاذا دخلت علیها
عند الابتداء بهمزة لان من دأبهم البدء بالمتحرک والوقف علی الساکن ویشهد له تصریفهم علی اسماء وسمیت وسمی کهدی لغة فیه
قال والله اسماک سمی مبارکا اثرک الله به ایثارکا والقلب بعید غیر مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفع للمسمی وتنویه له وعند الکوفیین
من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل لیقل اعلالها ورد علیه بان الهمزة لم تعهد داخلة علی ما حذف صدره فی
کلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذی فی کل سورة سمه وانما لم یقل بالله للفرق بین الیمین والتیمن او لتحقیق ما هو المقصود بالاستعانة
ههنا فانها تکون تارة بذاته تعالی وحقیقتها طلب المعونة علی ایقاع الفعل واحداثه ای افاضة القدرة المقترنة عند الاصولیین
من اصحابنا او تمکن العبد من ادائه بالزمة المنقسمة الی الممکنة والمیسرة وهی المطلوبة بایاک نستعین وتارة اخری باسمه عز وعلا وحقیقتها
طلب المعونة فی کون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم یصدر باسمه تعالی یکون بمنزلة المعدوم ولما کانت کل واحدة من الاستعانتین واقعة
وجب تعیین المراد بذکر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سیما عند الوصف بالرحمن الرحیم هی الاستعانة الاولی
ان قیل فلیحمل الباء علی التبرک ولیستغن عن ذکر الاسم لما ان التبرک لا یکون الا به قلنا ذاک فرع کون المراد بالله هو الاسم
وهل التشاجر الا فیه فلا بد من ذکر الاسم لینقطع احتمال ارادة المسمی ویتعین حمل الباء علی الاستعانة الثانیة او التبرک وانما لم تکتب
الالف لکثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته علی غیر القیاس کما ینبئ عنه وجوب الادغام
وتعویض الالف واللام عنها حیث لزماه وجردا عن معنی التعریف ولذلک قیل یا الله بالقطع فان المحذوف القیاسی فی حکم الثابت
فلا یحتاج الی التدارک بما ذکر من الادغام والتعویض وقیل علی قیاس تخفیف الهمزة فیکون الادغام والتعویض من خواص الاسم
الجلیل لیمتاز بذلک عما عداه امتیاز مسماه عما سواه بما لا یوجد فیه من نعوت الکمال والاله فی الاصل اسم جنس یقع علی کل معبود
بحق او باطل ای مع قطع النظر عن وصف الحقیة والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعینه ثم غلب علی المعبود بالحق کالنجم
والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم یطلق علی غیره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهیة
بمعنی العبادة حسبما نص علیه الجوهری علی انه اسم منها بمعنی المألوه کالکتاب بمعنی المکتوب لا علی انه صفة منها بدلیل انه یوصف
ولا یوصف به حیث یقال اله واحد ولا یقال شیء اله کما یقال کتاب مرقوم ولا یقال شیء کتاب والفرق بینهما ان الموضوع له
فی الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنی معین وقیامه بها فمدلولها مرکب من ذات مبهمة لم یلاحظ معها خصوصیة
اصلا ومن معنی معین قائم بها علی ان ملاک الامر تلک الخصوصیة فبای ذات یقوم ذلک المعنی یصح اطلاق الصفة علیها
کما فی الافعال ولذلک تعمل عملها کاسمی الفاعل والمفعول والموضوع له فی الاسم المذکور هو الذات المعینة والمعنی خارج
فمدلوله مرکب من ذینک المعنیین من غیر رجحان للمعنی علی الذات کما فی الصفة ولذلک لم یعمل عملها وقیل اشتقاقه من اله
بالکسر وکذا تأله بمعنی تحیر لانه سبحانه تحار فی شأنه العقول والافهام واما اله کعبد وزنا ومعنی فمشتق من الاله المشتق
من اله بالکسر وکذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقیل من اله الی فلان ای سکن الیه لاطمئنان
القلوب بذکره تعالی وسکون الارواح الی معرفته وقیل من اله اذا فزع من امر نزل به وآلهه غیره اذا اجاره اذ العائذ به تعالی
یفزع الیه وهو یجیره حقیقة او فی زعمه وقیل اصله لاه علی انه مصدر من لاه یلیه بمعنی احتجب وارتفع اطلق علی الفاعل مبالغة

وقیل

وقیل اسم علم للذات الجلیل ابتداء وعلیه مدار امر التوحید فی قولنا لا اله الا الله ولا یخفی ان اختصاص الاسم الجلیل بذاته
سبحانه وتعالی بحیث لا یمکن اطلاقه علی غیره اصلا کاف فی ذلک ولا یقدح فیه کون ذلک الاختصاص بطریق الغلبة
بعد ان کان اسم جنس فی الاصل وقیل هو وصف فی الاصل لکنه لما غلب علیه بحیث لا یطلق علی غیره اصلا صار کالعلم و
یرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنکر فی کلمة التوحید هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق
الا ذلک المعبود بالحق وقیل اصله لاها بالسریانیة فعرب بحذف الالف الثانیة وادخال الالف واللام علیه وتفخیم لامه
اذا لم ینکسر ما قبلها سنة وقیل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ینعقد به صریح الیمین وقد جاء لضرورة الشعر فی قوله
الا لا بارک الله فی سهیل اذا ما الله بارک فی الرجال والرحمن الرحیم صفتان مبنیتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز
بنقله الی رحم بالضم کما هو المشهور وقیل ان الرحیم لیس بصفة مشبهة بل هی صیغة مبالغة نص علیه سیبویه فی قولهم هو رحیم
فلانا والرحمة رقة القلب فی اللغة والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها علی ما فیها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او اراده
بطریق اطلاق اسم السبب بالنسبة الینا علی مسببه البعید او القریب فان اسماء الله تعالی تؤخذ باعتبار الغایات التی هی افعال دون
المبادی التی هی انفعالات والاول من الصفات الغالبة حیث لم یطلق علی غیره تعالی وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب فی بابه من
غیر نظر الی الاختصاص العارض فانه کما حظر وجود فعلی حظر وجود فعلانة فاعتباره یوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع
الی اصل هذه الکلمة قبل الاختصاص بان تقاس الی نظائرها من باب فعل یفعل فاذا کان کلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلی فیها
علم ان هذه الکلمة ایضا فی اصلها مما تحقق فیها وجود فعلی فیمتنع تأخیره رعایة لاسلوب الترقی الی الاعلی کما فی قولهم من الصرف
وفیه من المبالغة ما لیس فی الرحیم ولذلک قیل رحمن الدنیا والاخرة ورحیم الدنیا وتقدیمه مع کون القیاس تأخیره رعایة
لاسلوب الترقی الی الاعلی کما فی قولهم فلان عالم نحریر وشجاع باسل وجواد فیاض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقیقا بان
یکون قرینا للاسم الجلیل الخاص به تعالی ولان ما یدل علی جلائل النعم وعظائمها احق بالتقدیم مما یدل علی دقائقها وفروعها
وافراد الوصفین الشریفین بالذکر لتحریک سلسلة الرحمة **الحمد لله** حمد هو الوصف بالجمیل علی الجمیل اختیاریا کان او مبدأ له
علی وجه یشعر بتوجهه الی المنعوت وبهذه الحیثیة یمتاز عن المدح فانه خال عنها یرشدک الی ذلک ما تری بینهما من الاختلاف
فی کیفیة التعلق بالمفعول فی قولک حمدته ومدحته فان تعلق الثانی علی منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول
فتعلقه بمفعوله مبنی علی معنی الانهاء کما فی قولک کلمته فانه معرب عما یفیده لام التبلیغ فی قولک قلت له ونظیره شکرته
وعبدته وخدمته فان تعلق کل منها مبنی علی المعنی المذکور وتحقیقه ان مفعول کل فعل فی الحقیقة هو الحدث الصادر عن فاعله
ولا یتصور فی کیفیة تعلق الفعل به ای فعل کان اختلاف واما المفعول به الذی هو محله وموقعه فلما کان تعلقه به ووقوعه
علیه علی انحاء مختلفة حسبما تقتضیه خصوصیات الافعال بحسب معانیها المختلفة فان بعضها یقتضی ان یلابسه ملابسة تامة مؤثرة
فیه کعامة الافعال وبعضها یستدعی ان یلابسه ادنی ملابسة اما بالانتهاء الیه کالاعانة مثلا او بالابتداء منه کالاستعانة
مثلا اعتبر فی کل نحو من انحاء تعلقه به کیفیة لائقة بذلک النحو مغایرة لما اعتبر فی النحوین الآخرین فنظم القسم الاول من
التعلق فی سلک التعلق بالمفعول الحقیقی مراعاة لقوة الملابسة وجعل کل واحد من القسمین الاخیرین من قبیل التعلق بواسطة
الجار المناسب له فان قولک اعنته مشعر بانتهاء الاعانة الیه وقولک استعنته بابتدائها منه وقد یکون لفعل واحد مفعولان
یتعلق باحدهما علی الکیفیة الاولی وبالآخر علی الثانیة او الثالثة کما فی قولک حدثنی الحدیث وسألنی المال فان التحدیث
مع کونه فعلا واحدا قد تعلق بک علی الکیفیة الثانیة وبالحدیث علی الاولی وکذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بک
علی الکیفیة الثالثة وبالمال علی الاولی ولا ریب فی اختلاف هذه الکیفیات الثلث وتباینها واختصاص کل من
المفاعیل المذکورة بما نسب الیه منها بحال لا یتصور فیه تردد ولا نکیر وان کان لا یتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسیر
وان مدار ذلک الاختلاف لیس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف فی مفعول الحمد والمدح تعین ان اختلافهما
فی کیفیة التعلق لاختلافهما فی المعنی قطعا هذا وقد قیل المدح مطلق عن قید الاختیار یقال مدحت زیدا علی حسنه ورشاقة
قده واما ما کان فلیس بینهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الکبیر وتناسب تام فی المعنی کالنصر والتأیید فانهما متناسبان

معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول واتمام النصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية فتدبر
ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائح بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكره في كتب اللغة من معنى الرضى
مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود
مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا واستتباعا ثم محل الحمد على ما يتم المنعم
او لينتج اثابة له عز وجل فائدة لعبدها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء واداب الجوارح وعقد القلب على وصف
المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو اعم منهما من جهة واخص
من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها
لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاك الامر في قوله صلى الله عليه وسلم
الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة
بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد
فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان
والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر بباله احد ان يسال عن كيفيته على ان
ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار
بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض
السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب
على خطابه تعالى وبهذا اتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل
ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان توجه السائل بالكلية ومبنى الجواب على خطابه تعالى
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت
الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان
بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية
الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث
هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان
افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد
ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها
حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما
مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل **رب العالمين** بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف
على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين
ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية
وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما
بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة
ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك
وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه
على الله سبحانه جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب
غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها

في قولهم

في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه
محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما عداهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس
فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على
حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وايثار
صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود
بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة
التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف
يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس
المسمى به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل
يتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب
ابن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء
او ما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على
كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق
حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل
فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر
بهذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة
الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات
الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا في مطمورة
العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي
من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة
انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور
وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء
عدمه الطارئ لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله
وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر عنها
بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها
اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في انفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من
من وجوه غير متناهية وبالجملة فاثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات في كل ان من انات الوجود غير
متناهية فسبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهى
واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك
والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله
فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما
عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب
ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية الرحمة السابقة من
غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك
المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة

الى بيان وجهه وقرا اهل الحرمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة
والقدرة على التصرف الكلي في الامور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على
انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين
طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه المثل السائر كما تدين تدان
والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجار حقيقة وانما سمي كذلك
او تسمية للشيء باسم سببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمها في قوله عز اسمه اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى واذا قرات القران
فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام السرقة
التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة
المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث
كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة
وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به
مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف
المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب
في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة
الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي
وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك
تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم والتهويل
او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات
الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة
والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتهما لما سواه اما الاولى والرابعة
فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما
ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على
وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص **اياك نعبد واياك
نستعين** التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي
المقام لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة
الى كل واحد من الاخريين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الآية
[illegible] من التلقاء الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة
الدالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث
تبدل خفاء غيبته بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعد ما لاحظ ما سلف من تفرده تعالى
بذاته الاقدس المستوجب للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن
جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مر ان يترقى من رتبة [illegible]
البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظه [illegible] حاضرا [illegible]
كانه واقف لديه مائل بين يديه [illegible] بالخضوع والاذعان [illegible]
وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد

او

او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومظنة
للتبتل اليه بالكلية وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا
محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا
بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا عمادة لها لتصيرها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ
اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد
اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة
على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم
والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى
بكل واحدة من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم
الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق
الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه
وقيل لان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول
كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسئول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق
بشان التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند
استغراقه في ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله
الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا
فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين
على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه الترتيب واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد
اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال
اي اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف
الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة
هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او الاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة
الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط المستقيم** افراد لمعظم افراد المعونة المسئولة بالذكر وتعيين
لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير
وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من
يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله
تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن
المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية
والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم
حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب
المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على
مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وعلا ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي
بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى والثبات عليها كما روي عن علي وابي بكر رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه

وسيأتي في قوله تعالى درا ودرة [illegible] زيد تحقيق وتوضيح لهذه النكتة منه

اي من اقتصار العبادة والاستعانة

اي المعبود والعبادة والاستعانة

بنا على ما هو الشائع في عبارات المصنفين من دخول الباء على الخاص دون الذاهب على عكس ما في عبارات البلغاء من دخولها على الذاهب دون الآتي كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان منه

وسيأتي تحقيقه في قوله تعالى هدى للمتقين منه

بهدي

الأخير مجازا قطعا وأما على الأول فإن اعتبر مفهوم الزيادة وإطلاق المعنى المستعمل فيه كان مجازا أيضا وإن اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه
بالقرائن كان حقيقة لأن الهداية الزائدة هداية كما أن العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ أرشدنا والصراط
الجادة أصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء إذا ابتلعه سميت به لأنها تسترط السابلة إذا سلكوها
كما سميت لقما لأنها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن إخلاص الصاد
وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد
به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط **صراط الذين أنعمت عليهم** بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم
تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على أن طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة
والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه وإطلاق الإنعام لقصد الشمول فإن نعمة الإسلام
عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حاز جميعها بحذافيرها وقيل المراد بهم الأنبياء عليهم السلام ولعل الأظهر أن المراد بهم المذكورون في
قوله عز قائلا فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم
صراطا مستقيما وقيل هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة
وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى
مع استحالة إحصائها ينحصر أصولها في دنيوي وأخروي والأول قسمان وهبي وكسبي والوهبي أيضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه
وإمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فإنها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في أنفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة
فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الأعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات البهية
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في أعلى عليين مع
المقربين والمطلوب هو القسم الأخير وما هو ذريعة إلى نيله من القسم الأول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة **غير
المغضوب عليهم ولا الضالين** صفة للموصول على أنه عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة بالإنعام عليهم وباستقامة المسلك ومن
ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما أضيف إليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين أعني مطلق المغضوب عليهم والضالين
فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون ووصفوا بذلك تكملة لما قبله وإيذانا بأن السلامة
مما ابتلي به أولئك نعمة جليلة في نفسها أي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الإيمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل
المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام إذا أريد به الجنس في ضمن بعض الأفراد لا بعينه وهو
المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند أحمد والترمذي فيبقى لفظ غير على إبهامه نكرة
مثل موصوفه وأنت خبير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما أضيف إليه مما قبله فإن مدارها كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين أن ذلك من حيث إضافته وانتسابه
إلى كلهم لا إلى بعض مبهم منهم وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل
أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير ولا ريب في أن قصارى أمر ما نحن فيه أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه
صفة للموصول وأما استحقاق أن يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل أنعمت أو على
المدح أو على الاستثناء إن فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لإرادة الانتقام وعند إسناده إلى الله سبحانه يراد به غايته
بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلى المسبب القريب إن أريد إرادة الانتقام وعلى المسبب البعيد إن أريد به نفس الانتقام ويجوز حمل
الكلام على التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وإرادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك إذا غضب
على الذين عصوه وأراد أن ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى
كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخير إليه عز وجل دون أضدادهما كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي
يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد
ما أفاده غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أنا زيدا غير ضارب جواز أنا زيدا لا ضارب وإن

امتنع

امتنع أنا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة
من جد في الهرب عن التقاء الساكنين **آمين** اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله عم عن معنى آمين فقال
افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال آمين فزاد الله
ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبرائيل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالختم على الكتاب وليست من
القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن أبي حنيفة رحمه الله أن المصلي يأتي بها مخافتة وعنه أنه لا يأتي بها الإمام
لأنه الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس بن مالك عن النبي صلعم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل
ابن حجر أن النبي صلعم كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلعم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك
بسورة لم ينزل في التورية والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلعم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة **سورة البقرة مدنية وآيها مائتان
وست وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم الم** الألفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح
السور الكريمة أسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص
الاسم وقد نص على ذلك أساطين أئمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة وأما ما روى
عن ابن مسعود رضي الله عنه من أنه صلعم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف
حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا أقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الألف حرف واللام
حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فإن إطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف
جديد اخترعه أئمة الصناعة وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضا تجوزا
فأريد بالحديث الشريف دفعا لتوهم التجوز وزيادة تعيين إرادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد
الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله والقرآن وليس هذا من تسمية
الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية والاستتباع للحسنة إنما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب
الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق الحكم
إلا على ذوات المسميات لا على أسمائها المؤلفة كما إذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب
بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا
بمقابلة أسمائها الملفوظة والألفات الموافقة في العدد إذ الحكم بأن كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بأنه مستتبع لحسنة
واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه أن استتباع الحسنة منوط بإفادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية
فكما أن سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها إلا بتلفظ حروفها بأنفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة
بها إلا بالتعبير عنها بأسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الأول من غير فرق بينهما ألا يرى إلى ما في الرواية الأخيرة
من قوله عم والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بأنفسهما ولقد روعيت
في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الألفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه أثر ذي أثير خلا
أن الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة إذ لا مناسبة بينها وبين مبني الأصل لكنها ما لم
تلها العوامل ساكنة الأعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين
الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وإن وليها عامل مسها الإعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجي لابتغاء الخفة
لا لأن وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد أخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال لا قط إلا في
تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما أريد بها فقيل إنها من العلوم
المستورة والأسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه أنه قال في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن علي رضي

ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل
الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة
من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل
الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبرائيل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عم وقيل هي اقسام من
الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء
كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب
الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا
عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب
اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم
اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف
صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة
عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما انها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح
اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه
خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار
وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم
على المعازة والمعارضة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف
في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس
وخط واما من لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب
مبني على سر سري مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك
الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا
كما ينفتح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته عن ان تطالعها الانظار وجلت قدرته
عن ان تنالها ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جريا على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها
على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى
المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية و
المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية
وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل
ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها مسرودة
على نمط التعديد لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه
اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير
حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز
الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرأ
صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل
حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فمن قال هذا
جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي عن بعضهم ايضا قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء
الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على

عليه

[illegible]

عليه واحد قبل انقضاء الاول ولا مساغ لجعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا
باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين
ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية
وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما
للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القرآن
بعضها او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او
اما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند
المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن ذلك
ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة
المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من
الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم
المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة
لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة وليس ادعاء اعتبار الحيثية الثانية
الاولى بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى
الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة
مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة شأن المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الاول
واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال
للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة
للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابة و
المراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وان لم ينزل الكل عند نزول السورة اما باعتبار تحققه [illegible]
او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا [illegible]
[illegible]
ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه
من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مراضي الخصال
وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد [illegible]
[illegible]
والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشأن البالغ [illegible]
خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان القرآن

فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد
فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على ما سلف او تقدير مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب
وقرئ الم تنزيل الكتاب. وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان
لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر اخرا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى
واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب. والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها
وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح
لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه
تضمنه معنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى
لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في الكتاب. والخبر هو الظرف
ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا
بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك
الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي
الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشأن وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته
وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الآية
فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او وان ارتبتم فيما نزلنا الآية الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب
فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاهنا ذلك الاشعار
كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه
كالسرى والبكى هو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي من شأنه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلال
في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ولا شك ان عدم
الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله ومن ضرورته اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ
لا فرق بينهما الا من حيث التأثير والتأثر وتحصيله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل لان مقابله
الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم
وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه
على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لابد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من
شأنه الايصال الى البغية كما ان الضلال لابد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شأنه الايصال قطعا وهذه المرتبة من
الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما واما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى
او لابد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا
فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتبار مقارنته له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم
مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه الى تحصيل الحاصل وما يأتي
بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما
في الوجود ضرورة واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده
اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا
وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شأنه الوصول
عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة
بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا فتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي

حتى

حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه
ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية
صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها
باسماء خاصة وعرض له بالقياس الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس
الى سائر الآثار وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت
الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار
ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم
القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في آثار الطبيعة واما الآثار التي لها مدخل
في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها مترتب عليه تارة ومفارقة اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية
الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها فحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثرات غير لازمة له لزوم الآثار
الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب
امتثال المأمور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة
باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمأمور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة
لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة اسمهما بل جعلا عبارة عن
نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة
فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المأمور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية
التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل
مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا
عليها في الجملة فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى
بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي الا
اتصافهما بكونهما مأمورا ومدعوا وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا
بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل
على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار
وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما
بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي
لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة
كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله فان الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ في
مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال
الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما حققته فيما سلف
ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا
ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس مستقلا
في ذلك ففي اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء
المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق اليه بعض منها الا بعد
تلقيه بعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري
مستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها

ان قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا للاهتدى في مدلول
الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسالك واستعداد المتعلم لسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى
كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس تخلف الاهتدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم
فحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك وليحمل تسمية ما لا يستتبع الاهتدى على التجوز قلنا شتان
بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الاهتدى
عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي
وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه و
تبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما
كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى
ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق
والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند
الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله **للمتقين** اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا
وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر
وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في
عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك ما لا باس به حذرا
من الوقوع فيما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك
عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقدرته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك
وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب
بين يدي التقوى خمس عقبات لا يناله من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة وايثار الذل
على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون
بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك
للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم
كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع
وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل
اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض
يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية على الحكم
الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم
التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال
استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد
بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل
وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اولياء الله تعالى وتفخيم شانهم وان اريد
ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم
اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المترقبة وكذلك الحال فيما بين
المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية

تعينت

تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه
هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة
ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدا خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او النصب على
الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل
المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره
للتعظيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل
في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها
على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب
فيه اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدا جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله
شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على
اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم
لكونه في غاية النزاهة من مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت
الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شانه جعلنا محققيه **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه
صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر
عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد
الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية
المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم
الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات
وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب
على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف
على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل وما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق
ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا
وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف
الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما
اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وصفاته كما ان الوصف اذا لم يكن معلوما لا ينسب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة كما يحيط به خبرا مفيد التمني طلع فوائد رائقة جعل ذلك منقطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المعدى اي يجعله امنا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للتمكن منه والاول راي الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له الا ان الاقرار يحتمل السقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيّل وهين في هيّن وميت في ميّت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الاخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمنه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يومنون متلبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رض ذكروا اصحاب رسول الله صلعم وايمانهم فقال رض ان امر محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الاية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يومنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما يجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وادابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع الساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الطلق فان انفاق الحرام بمعزل عن ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه

حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لها بما روي عنه في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة من انه قال لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عم ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول الاول على تقديري وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الذين امنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة المباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالائب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تحلية فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما بعده من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكال بالذكر اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر والتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل

جملة فرع ع بالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل **وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا اولا وهل هو دايم اولا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تانيث الآخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود وقوله تعالى **أُولَئِكَ** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله عز وعلا **عَلَى هُدًى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى **مِنْ رَبِّهِمْ** متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لكنها مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار على سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شؤونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلعم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجريا على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن عداهم ويؤيده توسيط العاطف

بين

بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولى واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون عن ثنية الهدى والرشاد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول انما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للآخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في تضاعيف تعداد كمالاته وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل فجعلا فيه وعند الكوفيين لا عمل له في الخبر بل هو باق على حاله يقتضيه الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فلا بد من اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد ابن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وقال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فان من صدق النبي صلعم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنى وشرب الخمر واحتج المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه على مقتضى التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم **سَوَاءٌ** هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى **عَلَيْهِمْ** متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى **أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ** مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتبارا بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى

الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ
وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوى الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف
للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل
للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا
للبشارة رأسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية بين بين وبلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام
وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة
مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان وما قبلها اعتراض
بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من يجوزه عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدل على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر
عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان
باقين على التكليف وكان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث
ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى
عما يفعله هو والعبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق القرآن حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو
الايمان بجميع ما جاء به النبي عم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة
واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهو من المعجزات الباهرة **ختم الله على
قلوبهم** استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على
الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والاول هو الانسب
بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر
الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو
ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شأنه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم
ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان
يصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا
لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها
فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة وقد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها
وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقق وجه الشبه
الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب عروض مانع قوي لكن ليس شيء منها على الانفراد بحيث يتجوز باعتباره المجاز بل هي باقية على
حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود وكان
تلك الهيئة المنتزعة منها مدلولا عقليا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له ذهب
قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما برأسه ومن رام تفصيل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل
المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما شبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة و
سماها استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى
وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة
فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى
صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان المراد تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن

او

او بقلوب فهو ختم الله تعالى عليها كما سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان
او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق لهم
تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم
بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه
مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الآخرة وانما اخبر
بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها
الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق
على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم
ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار ان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم
عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما ينفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد
ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال او لان جنايتهم
من حيث السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي هو مشاهدة الاحوال الدالة على
التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر
ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من
اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على
ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من
التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ
خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة
من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كانت تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الآيات التي تتلقى
بالقوة السامعة فلما كانت وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هو احد طريقي معرفته اعني القلب الجملة
الفعلية وعلى رأي الاخفش يرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة
وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان
فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما
يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يقمع
العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فاطلق على كل الم
فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان
في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل
والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات
ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين
ومن الناس شروع في بيان ان بعض من حكيت احوالهم التالفة ليسوا مقتصرين على ما ذكر من مخض الاصرار على الكفر والعناد
بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوالهم الهائلة عاجلة وآجلة واصل ناس
اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك
لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ وسموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم

كما تسمى الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة فانقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقيل
انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم وقد روي عن ابن عباس انه قال
سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من
اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او نعت لمقدر
هو المبتدأ كما في قوله عز وجل وما دون ذلك اي وجمع دون ذلك ومن في قوله تعالى **من يقول** موصولة او موصوفة ومحلها الرفع
على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول لقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الآية او فريق يقول كقوله تعالى
من المؤمنين رجال الآية على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق بها من
الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان
كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا ادعاء الجواب
عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه
وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين واياما كان فالفائدة ظاهرة بل لان جزئية الظرف
يستدعي ان يكون اتصافهم بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود
بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب لاحد في انه يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني
واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظ من وجمعه في قوله تعالى **آمنا بالله وباليوم الآخر** وما بعده باعتبار معناها والمراد
باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم الايمان
بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعائهم انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة
والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله
بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم و
دعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على
المسلمين واستهزاء بهم **وما هم بمؤمنين** رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي انما هو
بحكم التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي
فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها
بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل
على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل لو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء
الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا
عن الايمان بما ذكروا وقد جوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور وقد دلت الآية الكريمة على ان من اظهر الايمان واعتقاده
بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه مؤمن
يخادعون الله والذين آمنوا بيان ليقولوا وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن
كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة
المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخداع و
الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر
بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه
الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان
يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي
يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته

عنه

عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
مع افادة كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا او للايذان بقوة اختصاصهم به تعالى
كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وايثار صيغة المخادعة على صيغة الخدع اما
تحقيق بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها مستعملة
تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث
الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين باوامره تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم مقابلة
خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصوير ما يليق بها من الصورة المستهجنة
وبيان ان غائلتها آئلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز قائلا **وما يخدعون الا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب الآخر
مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة
فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون
والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال اي ما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من
التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء
وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة
حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير ما يخادعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي لا يشعرون بشيء اصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة
الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق
ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض
والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم
مرض يمنعه **فزادهم الله مرضا** بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها
والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا
بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما
تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الرعب
وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلعم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في
قلوبهم مرض الخ استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم
من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف بهذه حالهم في الدنيا **ولهم في الآخرة عذاب اليم** اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو
وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب
كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما يجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض
بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم
وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداث
الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان
والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر

بيذان وحلم ساد في قومه العتي وكونك بأو عليك بسير اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه
من بين سائر موجبات العقوبة اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم
حسبما اشتركهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب
ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من
جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي وقد روي مرفوعا ايضا الى النبي عم اياكم والكذب فانه
مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عم كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد
محذوف اي بالذي يكذبونه وقرئ يكذّبون والمفعول محذوف وهو اما النبي صلعم او القرآن وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه
او القرآن او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بين في بان وقلص
في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل او ان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه
فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم
المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمن مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح
وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر
يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال
الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمنهي عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم
عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما
معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان والاستثناء وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة
فان ذلك ليس من قبيل الاجنبي موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الفساد
في الارض قالوا ارادة للناصحين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا
محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما
الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستأنف سيق لتعديد شناعتهم واما عطف على يكذبون بمعنى لهم عذاب
اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية
مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فانه نحو
عبارة عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب
وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب
بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب
اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان يكون مسوقة على سنن
تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم
هم المفسدون ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه
مسلك الاستئناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية
الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى
به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة
وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون
للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من
مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباثتهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب واما الحكم

واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف المؤمن به
لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم
فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم
كما تحقق ايمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل
فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس
ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلعم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا
مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان
بضدها واصافهم الحسان انؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس بأسره
وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثها قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم
في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين لهم سوء
عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شأنهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم
موال كصهيب وبلال وللتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله واياما كان
فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين
جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين مع ذلك
مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي
انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر
عن احد المتحاورين في خلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز
فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق
وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع
منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها وكانوا يخاطبون به رسول الله صلعم استهزاء به مظهرين
ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في
تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين
الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين
لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ
رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة
الى حيث لا يدرون انهم سفهاء ومن هذا اتضح لك سر ما ورد في تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو رأي
الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم
للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير
وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعالجة
مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين
فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون
المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها
كاذبون لا يباشرونها الا مضارة للدين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم
انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما نهيتمونا
عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارادة لارادة هذا المعنى وهم مترجحون على المعنى الاول فرد عليهم

عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه أعلم بما أودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق
والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما أنه أكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف
على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق
وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون المتصف به مفسدا فأمر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة
السابقة بلا يشعرون **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا** بيان لتباين أحوالهم وتناقض أقوالهم في أثناء المعاملة والمخاطبة حسب
تباين المخاطبين وسياق ما صدرت به قصتهم ليس لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة
التكرير روي أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال ابن أبي
انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني
رسول الله صلعم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي
في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم أخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله عم وختنه وسيد بني هاشم
ما خلا رسول الله صلعم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا أبا الحسن
أتقول هذا والله إن إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبي لأصحابه كيف رأيتموني فعلت فإذا رأيتموهم
فافعلوا مثل ما فعلت فأثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله صلعم وأخبروه بذلك
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته أي صادفته واستقبلته وقرئ إذا لاقوا **وإذا خلوا** من خلوت إلى فلان أي
انفردت معه وقد يستعمل بالباء أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم أي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه
من خلوت به إذا سخرت منه على أن تعديته بإلى في قوله تعالى **إلى شياطينهم** لتضمنه معنى الإنهاء أي وإذا أنهوا إليهم السخرية قائلين
والله خبير بأن تقييد قولهم المحكي بذلك الإنهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون
لكفرهم وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه
فيعال على أنه من شطن أي بعد فإنه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة فوزنه فعلان على أنه من شاط أي
هلك أو بطل ومن أسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق **قالوا إنا معكم** أي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من
الأحوال وإنما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم عندهم تحقق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنكار عن
صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فإنهم إنما يدعون عندهم إحداث الإيمان لجزمهم
بعدم رواج ادعاء الكمال فيه والثبات عليه **إنما نحن** في إظهار الإيمان عند المؤمنين **مستهزؤن** بهم من غير أن يخطر ببالنا
الإيمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم إنا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين
في الإتيان بكلمة الإيمان فقالوا إنما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم أنهم يهينون
المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ بالشيء مصر على خلافه أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم
الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه
وتهزأ به ناقته أي تسرع به وتخف **الله يستهزئ بهم** أي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما لمقابلة
في اللفظ أو لكونه مثله في القدر أي يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم
الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما في الدنيا فبإجراء أحكام المؤمنين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة
في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة فبما يروى أنه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف للإيذان بأنهم قد بلغوا في المبالغة والاستهزاء بالمؤمنين
إلى غاية ظهرت شناعتها عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم إلى أن يقولوا ما مصير أمر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه
أنه تعالى هو الذي يتولى أمرهم ولا يحوجهم إلى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب
الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد و

الاستمرار

والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وكانوا فالين في أكثر الأوقات
من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما أنبأ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون
أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون **ويمدهم** أي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش
وأمده إذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج إذا أصلحتهما بالحبر والزيت وإسناده على تزيينهم للرجز إلى أن ذلك
منوط بسوء اختيارهم لما أنه إنما يتحقق عند الاستمداد أو ما يجري مجراه من الحاجة الداعية إليه كما في الأمثلة المذكورة وقرئ يمدهم
من الإمداد وهو صريح في أن القراءة المشهورة ليست من المد في العمر فإنه يستعمل باللام كالإملاء قال تعالى ونمد له من
العذاب مدا وحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل **في طغيانهم** متعلق بيمدهم والطغيان
مجاوزة الحد في كل أمر والمراد إفراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي إضافته
إليهم إيذان باختصاصه بهم وتأييد لما أشير إليه من ترتب المد على سوء اختيارهم **يعمهون** حال من الضمير المنصوب أو المجرور
لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وإسناد هذا المد إلى
الله تعالى مع إسناده في قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة أهل الحق من أن جميع الأشياء مستندة من حيث الخلق إليه سبحانه وإن
كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء النظم الكريم على مسلكهم سلكوا مسلك التأويل فقالوا
أولا إنهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم ألطافه فتزايد الرين في قلوبهم فتسمى ذلك مددا في الطغيان فأسند إليه تعالى
ففي المسند مجاز لغوي وفي الإسناد عقلي لأنه إسناد الفعل إلى المسبب وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا أنه أريد بالمد في الطغيان ترك
القسر والإلجاء إلى الإيمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا أن المراد به معناه الحقيقي وهو
فعل الشيطان لكنه أسند إليه سبحانه مجازا لأنه بتمكينه تعالى وإقداره **أولئك** إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من
الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه
وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **الذين اشتروا الضلالة
بالهدى** والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكي عنهم من الأقوال والأفعال بإظهار غاية سماجتها وتصويرها
بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه إليه وقد استعير
الأول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي أخذها به لا بذله لتحصيلها
كما قيل وإن كان مستلزما له فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير للإعراض عما في يده
عينا كان أو معنى للإعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل في استبدالها ما تركته ومنه قوله أخذت بالجمة رأسا أزعرا
وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم إذ تنصرا فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لأخذها
بدلا منه أخذا منوطا بالرغبة فيها والإعراض عنه لما اقتضى ذلك أن يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما
يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم حينئذ حسبما هو في البيع ولا ريب في أنهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلال استدعى الحال
تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع أصناف الكفرة حتى
تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على أن اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما
حكي عنهم من القبائح وذلك إنما يحصل لهم عند اليأس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى
بل هو التمكن التام منه بتعاضد الأسباب وتآخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كأنه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى
ولا مرية في أن هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول عم
وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الإفساد في الأرض والأمر بالإيمان الصحيح وقد نبذوها وراء
ظهورهم وأخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الأصلية الحاصلة لكل أحد
يأباه أن إضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الإضاعة التامة الواصلة إلى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في إضاعتها
فقط من الشناعة ما في إضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على أن ذلك يفضي إلى ذكر ما فصل من أول السورة

الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه
يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح
الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة
عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلعم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته
في التورية وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد
نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
كما سبق ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا اظهروه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على
الصلة واخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو
الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران
اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار
وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد
الهدى بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم
فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اوليس من ضرورة الترشيح
ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة
تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار منه لملائم المستعار له ومع
ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله فلما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين
مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للرأس واللحية وللفودين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار
معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول
المستمر ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم وما كانوا مهتدين
اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى
لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة
فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة
في الترشيح للاشتراء المذكور وقيل على اشتروا مثلهم زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي
الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم
للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب
عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف
والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث
لم يكن ذلك الا لقول بديع فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال
او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينهما وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى
اي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشأن كمثل الذي اي الذي
كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا اخلالا له وحد الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم
جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف
بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين و
المفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعه المصحح
بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة وقصد به جنس المستوقد او الفوج او

الفريق

او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب
وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او
فلما استضاءت ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار
المنزل منزلة نفسها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتأليفه للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم النور
ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي وجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب
بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب
ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت
ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز
والامن من الالباس كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد
الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما
يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه
الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد
يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى وتركهم في
ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض
كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما ان المراد
بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله
ووصفها بالاضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا
بها في طرق العبث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى
التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك
ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول
لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن
ظلمة الكفر والنفاق المستتبعين للظلمات الخالدة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم بمقابلة الهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق وبالهدى الذي
كانوا حصلوه من جهة النبي صلعم كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى
فيها الابصار صم بكم عمي اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلو حامض
والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة والاكتناز ومنه حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سدادها
سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم
عن الاصاخة الى ما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوه من
المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلعم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر والاعتبار
على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا عند المحققين من قبيل التشبيه البليغ
المبني على تناسي التشبيه كما في قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها
ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب

ما بعدها على ما قبلها أي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون إلى الهدى الذي تركوه وضيعوه أو عن الضلالة التي
أخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فإن قصارى أمر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشوى
السمع والنطق لاختلال مشاعر الأبصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة
تتمة للتمثيل وتكميل له لأن ما أصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت
مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون
أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى ما ابتدأوا منه والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما
عميا إما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب أو على المفعولية لتركهم فالضمائر للمستوقدين أو كصيب تمثيل لحالهم إثر تمثيل ليعم البيان
منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها التفظيع والتهويل فإن تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال إلى
حال حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال ويرخى في حلبته أعنة المقال ويمد لشرحه أطناب الإطناب ويعقد لأجله فصول وأبواب
لما أن كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامي الإطناب والإيجاز فما ظنك
بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الأول على حذف
المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك أي كمثل ذوي صيب وكلمة أو للإيذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه
الشبه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر
وعلى السحاب قال الشماخ عفا آية نسج الجنوب مع الصبا وأسحم دان صادق الرعد صيب ولعل الأول هو المراد ههنا
لاستلزامه الثاني وتنكيره لما أنه أريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الأول وأمد به ما فيه من المبالغة من جهة مادته
الأولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية أعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن بنائه الدال على الثبات وقرئ أو كصائب من السماء متعلق بصيب أو بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة
وهي في الأصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن أنها موج مكفوف أي ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها
للإيذان بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد فإن كل أفق من آفاقها أي كل ما يحيط به كل أفق منها سماء على حدة قال
ومن بعد أرض بيننا وسماء كما أن كل طبقة من طباقها سماء قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها والمعنى أنه صيب عام نازل
من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية فيه ظلمات أي أنواع منها وهي ظلمة تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة إظلال ما يلزمه من الغمام الأسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها
مع أن بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما أنهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لأمره وإيذانا بأنه
من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الأصل المستتبع للبواقي مع ظهور
ظرفيتها للكل إذ لو قيل أو كظلمات فيها صيب إلخ لما أفاد أن للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها ورعد هو صوت
يسمع من السحاب والمشهور أنه يحدث من اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض أو من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق
الرياح إياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا أي لمع وكلاهما في الأصل مصدر ولذلك لم
يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في أعلاه ومصبه ووصول أثرهما إليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل
للتفخيم والتهويل كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية
لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة إما صفة لصيب أو حال منه لتخصصه بالصفة أو بالعمل فيما بعده من الجار
أو من المستكن في الظرف الأول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل يجعلون أصابعهم في آذانهم للمضاف
الذي أقيم مقامه المضاف إليه فإن معناه باق وإن حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله عز وعلا وكم من قرية أهلكناها
فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فإن الضمير للأهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان يسقون من ورد البريص
عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فإن تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه إلى الماء المضاف إلى بردى وإلا لأنث حتما
وإيثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الإدخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج إلى الداخل للمبالغة

في بيان

في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما أن إيراد الأصابع بدل الأنامل للإشباع في بيان سدها باعتبار الذات كأنهم سدوها
بجملتها لا بأناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز أن يكون هذا إيماء إلى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم إلى حيث لا يهتدون
إلى استعمال الجوارح على الوجه المعهود وكذا الحال في عدم تعيين الأصبع المعتادة أعني السبابة وقيل ذلك لرعاية
الأدب والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل عند بيان أحوالهم الهائلة فماذا
يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون إلخ وقوله عز وعلا من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجل
الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من الغيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شعلة نار لا تمر بشيء إلا أتت
عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية
أو مصدرا كالعافية وقد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو بشدة الصوت
وسد الآذان إنما يفيد على التقدير الثاني دون الأول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء
كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع أي مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة
وإن كانت معرفة بالإضافة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأصفح عن شتم اللئيم تكرما ولا ضير في تعدد المفعول له
فإن الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية أي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة
خوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق
بمعنى التقدير والأعدام مقدرة والله محيط بالكافرين أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته
تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم بإحاطة المحيط بما أحاط به في استحالة الفوت أو شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة
المنتزعة من أحوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الأول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها
من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعني الإحاطة والباقي
منوي بألفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة
على أن ما صنعوا من سد الآذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئا فإن القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل
وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع إلى أصحاب الصيب الإيذان بأن ما دهمهم من الأمور الهائلة المحكية بسبب كفرهم
على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته فإن الإهلاك الناشئ من السخط أشد وقيل هذا
الاعتراض من جملة أحوال المشبه على أن المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على أنه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى
في الدنيا والآخرة وإنما وسط بين أحوال المشبه به مع أن القياس تقديمه أو تأخيره لإظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه
يكاد البرق استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف أبصارهم
أي يختطفها ويستلبها بسرعة وكاد من أفعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ أسبابه وتعاضد مباديه
لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط أو لعروض مانع ولا يكون خبرها إلا مضارعا عاريا عن كلمة أن كما في قوله
قد كاد من طول البلى أن يمحصا كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في أصل معنى المقاربة
وليس فيها شائبة الإنشائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء وكسر الطاء وتشديدها
ويخطف بكسرها على إتباع الياء لها ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما أضاء لهم كلما ظرف
والعامل فيه جوابه وما مصدرية والزمان محذوف أي كل زمان إضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف
أي كل وقت أضاء لهم فيه مشوا فيه وأضاء إما متعد والمفعول محذوف أي كلما نور لهم البرق ممشى ومسلكا أخذوه
أو لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء لهم أي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه
بعدم استطاعتهم لها وإذا أظلم عليهم أي خفي البرق واستتر

على استتاره واسند اليه مجازا لحقيقة لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل
ومنه ما جاء في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول
قاموا اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء
الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فلما وجدوا
فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن
قضيته مفروضية الشرط ودلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي
لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لما
ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهداكم اجمعين
وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا
بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين وهو
الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا
او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا
ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حسبه وعدم سبقهم الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء
اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين حتما في الاول وادعاء باطلا في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم
لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم
بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم ان انتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس
لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل
انما هو وجود الضوء الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران و
واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان
بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق
بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو ليس مدارا لوجود الضوء
وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن تحقق مدار آخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا
ولا شبهة في ان هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة
تعين عدم الدلالة كما في قوله صلعم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان
المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته بل مجامع
له ومن ضرورة مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ربيبته وهم والحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة و
وان لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام لبيان ثبوت
الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذن لامسكتم وقوله صلعم لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء
اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار وبهذا تبين تفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كان آباؤهم وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان بعدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل
حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة واردة على الاستعمال

الفاضل البيضاوي كالواجب ومن ثمة وحده منه

فيتحقق بينهما دوران كلي

الشايع

الشائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى
بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء
الآخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد
يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية
وقيل على كلما اضاء الخ وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة
مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر
شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجودا
كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام اي صفة به وقيل هي صفة
تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك
لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء ابقاه على الوجود ابقاه عليه فان علة
الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه
ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن
نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور
العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل المفرد
والمفرق كما في قوله كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين
وهداهم الفطري بالنار وتأييدهم اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم و
ازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلته بما يلبسهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة
والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله
من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد
بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد
يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل
المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل
بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع من
المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم
المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة
شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زائد هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة
حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه الى فرق
ثلث مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما
بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات
هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن
الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب
وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه
وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشأنه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة

بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه
تاكيد المعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وكما ترى من استقلال بهذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد
كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر منها
الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه
والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد
بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعين واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا
واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روى عن علقمة
والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من
قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الامر لان
المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء
شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث
بالصلوة مستتبع للامر بالوضوء لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع
روى عن ابن عباس رضي الله عنه ان كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض
من الفرقتين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من
الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك
لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون
وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة **الذي خلقكم**
صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين و
حمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اى قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على الضمير المنصوب
ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اى كانوا
من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة
كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم
واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان
اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتاتى لاحد
انكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كما في جاء اللام بين
المضافين في لا اباك اوجعله موصولا بالظرف خبرا للمبتدأ المحذوف اى الذين هم اناس كائنون قبلكم **لعلكم تتقون** لعل في
المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه
فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال
لان معاني الانشاآت قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مظنة للتوقع
متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل
ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عبادة التقوى
مع كونهم مظنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا بين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع

وعدمه

وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى في استعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب
وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها
جامعون لاسبابها ويتنزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى
ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة
الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل
فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القايلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اى طالبا منكم التقوى و
او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المامورون بالعبادة اى خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى
او علة له فان خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله
باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له
فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد
خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون
مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا الزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها
الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد
بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي
يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي
عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول
لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة
طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة
المذكورة اى خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين
لمباديها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة وان لم يتحقق الرجاء
قطعا واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها
الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات
ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض**
فراشا فهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم
بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وفعل ذلك للمبتدأ في المرفوع اجراء
للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي في خبر الصلة فقط من غير ان يكون
لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق
وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع
المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده
عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا
جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها
كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم حجمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا
ومهادا **والسماء بناء** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر
اى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماوة واسماءة كما تقرر والبناء في الاصل مصدر

سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من
السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه ﷺ او المراد بالسماء جهة العلو
كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول
اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التأخر عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه
واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع
في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها
المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مبادي ومواد
كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها منقلبة في الاحوال متبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي
الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض بقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها
بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم
ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات
بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه
بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت
ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يتقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلثة قروء
او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا
كائنا لكم او دعامة لتقويته عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق
مترتب عليه كانه قيل اذ امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما
قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه
بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات
واما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او لانها
او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر
انفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا
للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله
موسى اي خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على
تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي
حفكم بهذه الايات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية
النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى رأي الاخفش في تنزيل الاسم
الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قائم ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته
خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم
ما زعموا انها تماثله في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم
حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم
وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام
الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير
لا تجعلوا بصرف التقييد الى افادة النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك
فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم

تعلمون

20

تعلمون بطلان ذلك او وانتم تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه
عموم الخطاب في النهي بجعل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما
مر مثله في الامر وانا تعرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة
شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين
بقبحها افحش وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت
اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال الامر من التكلفات وحسن انتظام بين السياق والسياق اذ لا محيد في اية التحدي من
تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من بالمخل المؤمنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم
مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري وتوجيه
لا يفضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتأمل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم
الذي من جملته ما تلي من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة
التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى
ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما
الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع
واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلناه
لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك
ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام
ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كون محل الريب في الجملة
وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في
ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وعلا واشار التنزيل المنبئ عن التدريج
على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان [illegible]
[illegible] كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه
ونجم فرد من نجومه [illegible] وازاحة العلل
وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده
لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا فالمراد هو صلى الله عليه وسلم وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيما
انزل عليه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر
في قوله تعالى فات بها من المغرب [illegible]
المذكور [illegible]
تقدرون [illegible] والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلث آيات وواوها اصلية منقولة
من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة [illegible]
[illegible]
[illegible] من مثله
صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة

سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل
فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث
كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم ولو بتقديره
ولو بغير جد وقيل هي زائدة كما هو رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل
عليه حتما لما ان رجعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجعه الى المنزل
عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية هو المخطب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات
المنافية للاتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين
على انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي انه حجة وامرهم بان يجتهدوا في
المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال
لما انزل بجملته واحدا من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشيء يقال
هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الاخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من ابتدائية متعلقة بادعوا
فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم و
محاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم
من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصركم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم
واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة
على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في
عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من
دون اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم
يأبون عن ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي للاولين الى
وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج
وفيه انه ان اريد بادعون حقيقة ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للتحدي يرفع
عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال وعدوها وانهم ادعوا مستشهدين في
ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك مست الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق
ولا انبسوا ببنت شفة واما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين
والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم الهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية
فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انها بمكان من الله
وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان ما هذا شأنه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب
ملم كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروا على
عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي
هو ادنى مكان من الشيء لقدامه كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام
القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد والى تقدير يشهدون اي ادعوا
شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة
بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام الخطير حقه ان يستعان به في كل امر ومن فحوى
امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من هنا

تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما
يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمنزلة
كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تنجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم
ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك
اولياء الله محصلة شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء
الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الارخاء ارخاء العنان والاستدراج الى غاية
التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم
ايضا لا يشهدون لكم حذارا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم
يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا
للمعارضة واتوا بشيء تحاجوا في انه مثله للمتحدى به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اي في زعمكم انه
انه من كلام البشر وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالي
من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول
الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والايام لا سيما عند المظاهرة والتعاون
ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما
بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به
ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به
مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري يستقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو
ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم عنه لا لتحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني
الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل مع انفس الافعال الخاصة لازمة كانت
او متعدية مع اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه
من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص
ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى
فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى
ائتوني بأخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف منه استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية
الداعية لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المأمور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا
بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوب واعرابا عن مقصده هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به
اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم
لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر واتيان كلمة ان المفيدة للشك على زعمهم مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة
معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكم بهم ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا الا ان في لن زيادة تأكيد وتشديد واصلها عند
الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي احدى الروايتين عن الخليل والجملة
اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به
عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقلته الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار
جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان
بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية
على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع امره واظهار كمال العناية

ذكره في شرح الفاضل السعدي

بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد
صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة صفة للنار موذنة لمزيد هولها وفظاعتها اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب
وقرئ بالضم وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس
الا احرقته لا كنيران الدنيا تنطفئ في الانتهاء اي وقود من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون الانتساب
الى ما نسبت اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكلام قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه
الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير هاهنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع اياتها
كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب فلخطابه بذلك لما ان المخاطبين هم
المؤمنون والظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله عم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم اي عبدتها حسبما ورد في قوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية اعدت للكافرين اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد
اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم
وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة
لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها
في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا اي بانه نزل من
عند الله عز وجل هو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على ان عطف
قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية على صيغة الفعل مبنيا للمفعول
عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن من شفع
الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا
على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان
النعم السابقة فضلا عن ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار
بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالانقياد على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي عم وقيل لكل من يتاتى منه
التبشير كما في قوله عم بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه عم لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل
من يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر
اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه وعملوا الصالحات الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة
وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان
مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء ولا غناء ببناء لا اساس له ان لهم جنات منصوب بنزع
الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف
المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها والتفافها
وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر
ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط
نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم
ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها
تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة
عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح

لاطلاق

لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء
الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله تعالى فيها انهار
من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها
ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة
رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها
وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع
في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء
واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات
وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة
بيانا قدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى
نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تشير الى ما تجانسه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي
رزقناه من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه
حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غير المعروف ولتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن
انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رحمه الله ان احدهم يؤتى
بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول
انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا لا فيما عدا المرة الاولى يظهر بذلك التبجح وفرط
الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له
هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك
لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد
النوعي قطعا هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة بحسب تفاوتها
فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات
من قبيل ثواب الطاعات واتوا به متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا
في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة
اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهر يستعمل في الاجسام والاخلاق
والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان
تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى
متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما المتطهر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن
كالحد اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد
الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدار لبقاء النوع
ليست بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات
المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام
لما قيد بالتابيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد هاهنا الدوام قطعا لما يقضي به من الآيات
والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مدفوع
قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخلاق العليم بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها

الا انحلال قطعا بان يحلل اجزاؤهما متفاوتة وفي الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر [illegible]
لا ينفك بعضها عن بعض فيبقى هذه النسبة محفوظة فيها فيبقى بها ابدا لا يتغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية
لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت
في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم
وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب
خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر
وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضه ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد
والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما نزل
قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت
حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما [illegible]
عن التكبير بل هو الذي يتجه لكونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى
المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته
للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت
الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين المثل و
الممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير
وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير
النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل فهو حي واشتقاقه من الحيوة اشتقاق نسي وحشي من
النسا والحشا يقال نسي الفرس وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كأن من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيي
بمعناه غير انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه
قوله الا تستحيي منا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
فكما انه اذا اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك اللازم على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديث الاول
تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك ما يحاذره كذلك اذا نفى عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الكريمة
وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك اي خاص بمقتضى ترك المستحيى عنه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما في قولك
ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل بالحال
لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى انتفاء الدواعي الى ضربه وتأخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس الكريمة
عند ما يجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما
في قوله من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه
في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في موارد ضربها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشاء هناك
والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار
بل بالاعتبار الاول قطعا وهو مأخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها
تطبيقها بها كأن المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها توجد
منطبقة عليها سواء كان انشاؤها مع تطبيقها كالامثال التنزيلية او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا
ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها وجعلها ضريبة لازب انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به
بجامع الالصاق كأن من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضريبة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها وتحمل ان يضرب على تقدير

تعديه

تعديته بنفسه النصب على المفعولية واما على تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل
اليه بعد حذفها كأنه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرف فيه مزيدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى
فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة
او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة
صلة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحلها على الوجهين
النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها
كأنه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها
على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض
وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة على تقدير
نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير
موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على ضميرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي
فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب به المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها
من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فالكل بالشيوع بل يجوزه ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بما فوقها
اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت
وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء
فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت
عائشة رضي الله تعالى عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلعم قال ما من مؤمن يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه
بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عم ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما
تجاوزها في الالم كما مثال ما حكي من الخرور **فاما الذين آمنوا** شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته وصدوره
عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فاما الذين اه وتقديم بيان حال المؤمنين على ما
حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن
لمعنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته [illegible]
فقد ذكر جميعا وقد يقتصر على احدهما كما في قوله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **فيعلمون انه الحق من ربهم** [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] **واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يتم جميعهم فان منهم من يعلم بها واما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الانصاف
والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فيعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن
لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة
من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد
بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه والقوة التي هي مبدؤه والاول مع
الفعل والثاني قبله وكلا معنييها مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره
ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى
تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح
مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية وليس مرادهم
بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء
انه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من
عنه سبحانه فقوله عز من قائل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية
جليلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع في الاستفهام
مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما لا تستلزم وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهام
تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم وايثار صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد
والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم
حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت في اعضادهم هو السر
في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده
والانكار بحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل
الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية
للتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول
من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء
مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه باباه الترجيح بالسبب وقرئ
يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها وما يضل به اي بالمثل
او بضربه الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن يريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له
واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا
الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت قال رؤبة
يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار
على الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها
مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه يدور الايمان
ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر
عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في
بعض الاحكام والمراد بالفاسقين هاهنا العاتون المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده كما ينبئ عنه ما حكي عنهم من انكار كلامه
تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي

اعدهم

اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر
في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله
صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في
ابطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاقدين بالآخر فان شفع بالحبل واريد العهد كان ترشيحا
للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه
وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه
عليه والمراد هاهنا اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام
وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم
اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ
عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه
على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته تعالى والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه
والثالث ما اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر
بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام
وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى
الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه
عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما
بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم
وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او
تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب
للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شأن
وهو القصد والطلب [illegible] وكذا يقال شيء وهو مصدر شاء [illegible] ومحل ان يوصل النصب على انه
بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل
التي بها نظام العالم وصلاحه عليها اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان
بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسببها في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد هم
الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات [illegible]
بها والتامل في حقائقها [illegible] والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب
كيف تكفرون بالله التفات الى خطاب الذين كفروا المذكورين [illegible] من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب [illegible]
بالتوبيخ والتقريع والاستفهام [illegible]
بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب [illegible] الانكار [illegible]
موجود يجب ان يكون على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احواله [illegible] وجوده على الطريق البرهاني
قوله عز وجل وكنتم امواتا [illegible]
الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر [illegible]
وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف [illegible] او على الحال [illegible]
امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة [illegible]
على تلك الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا [illegible] فاحياكم [illegible]

فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن
بعض كما اشير اليه آنفا ثم يميتكم اي عند انقضاء آجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة
الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ
عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور واياما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت
المستمر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال
وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنة شيء منها لما هو حال منه في الزمان بل الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه
قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وماله التعجب عن وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء
الاخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم
بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها
من طلائعها وكذلك فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كلا
من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا
له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم
بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار
وتأكيد له من الحيثيتين المذكورتين من غير سبكه في سبك ما قبله مع اتحادهما في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم
من الاحياء والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي تجميل الضمير مبتدأ
والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق
اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال
بها على شؤون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها
الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل
وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل
في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة
الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما ترى في تفسير قوله تعالى
رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن
الحسن رح خلق الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه
السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية
بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات
لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق ما في الارض المتأخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها
ولما روي عن الحسن رح والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود
واما جهات العلو فسواهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد
ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول
كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره
قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر
خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض

الفهر الحجر قدر الكف

اكثر

اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يخفى هذا ما قالوا
وسيأتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض
وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها
وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له بعضد
واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عم وما خصه به من
الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله
من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي عم خاصة للايذان
بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص
به صلعم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى الضمير العائد اليه عم من الانباء عن تشريفه
عم ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى مثلها ولذلك
يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب
ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت
حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف
واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل له عم عقيب ما اوحي اليه ما خوطب به
الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة لينتبهوا
بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك
فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم
وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا وياباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى
وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في ان لا فائدة
في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر
وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله عز قائلا للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول
غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملأك باعتبار اصله الذي هو مألك على ان
الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على
انه مقلوب من مألك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين
الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها
ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان
الرسل كانوا يرونهم كذلك عم وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر
علما تجري منها مجرى الشمس من الانوار منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم
الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى
عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح [illegible] انه عم قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك
ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم
عشر ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية وهكذا الى السماء السابعة
ثم اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة

روي ان بني آدم عشر الجن

الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر
الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء بمقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر
ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عم والملائكة الذين هم جنود جبريل عم لا يحصي اجناسهم ومدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم
الا باريهم العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء راى ملائكة في موضع بمنزلة
شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله عم جبريل عم الى اين يذهبون فقال جبريل عم لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى
واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة
كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم
ما قيل فقيل ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن
حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال
وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى
تارة في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى
عليهم انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى **اني جاعل في الارض خليفة** في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة
الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المستقبل من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير
المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم عليها هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره
اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فجعل
بعد التقييد والمعنى اني جاعل خليفة من الخلائف وخليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف
ولا ريب في ان ذلك مما يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام
فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده
لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم
قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من
فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا تحسبن البخل خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة
ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما استفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين
وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة
ما ذكر من جواب الملائكة قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان
يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهد لهم به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين
حكاه اقتصر على الاسم انتهى وتحقيقه جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه [illegible]
[illegible]
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها

نعة

نعة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرنا فان قائلهم لا تخلنا على غرائك انا اذا ما قد وشي بنا الاعداء
بحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جازعين عن غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه
لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره
هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض
كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق
وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين
على الطاعة من من شان نوعه الافساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه
مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت على تلك المفاسد والغتها
واستخبارا عما يرشدهم ويزيح شبهتهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما يقدح في ذهنه
لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا تشكيكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عم ولا في ذريته على وجه الغيبة فان
منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا
ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة
بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر **ويسفك الدماء** السفك والسفح والسكب انواع من الصب والاولان
مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع
القتل وافظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع
الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له
على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شانه
وذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو
متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية الفساد في الارض و
القوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير
يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبته القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال
الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله
تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي
واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده
عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على
ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام
واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة
بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير
النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع **قال** استئناف كما سبق **اني اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد بيان
انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد
بل بيان ان فيه عم معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة عبارة
عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا انه
ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتناء امره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة
وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى

تعالى

كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله تعالى او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غابت عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية **وعلم آدم الاسماء كلها** شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعازر وعابر وفالغ لا افعل والتصدي لاشتقاقه من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه صلعم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطا بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملائكة وبه تظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فالمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما تقتضيه استعداده وتستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رحمهم الله علمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما يكون الى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جمل مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انكم احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وان اول بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدماء من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استئناف

واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه اولا فقيل قالوا **سبحانك** قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان من علقمة الفاخر واما في قوله تعالى سبحانه ثم سبحانا نعوذ به فقيل صرفه للضرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تنبيها لنا من كمال طمانينة النفس والايقان باشتمال استخلافه عليه السلام على الحكم البالغة وعلى انهم تنزهت عن ذلك تنزيها نشأ عن ذلك ادراداوا به انهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا **لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في ما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية وقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان **انك انت العليم** الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون **الحكيم** اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبران وتلك الجمل تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها **قال** استئناف كما سلف **يا آدم انبئهم** اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام عليهم ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما **باسمائهم** التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انبأهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام ويستدعيه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انبأهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انبأهم بذلك **قال** عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له **الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض** لكن لا لتقريره نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليهم السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا يعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا

خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما استره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا
فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط
للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء
تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة
العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم
وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف
على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا آه وقد عرفت
ما في امثاله تخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتعلقة به للايذان بان ما في حيزه
نعمة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال كذا
اظهار الملائكة في موضع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم
الجيم في قوله تعالى **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع
والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له
واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شأنه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشأنه
او سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما برأه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على
نحو خاص امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس
بالقران والسنن او في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء لافادة
مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل
ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم
فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مأمورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك
لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه
هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتي في سورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه من قوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي
الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي ورد به الامر التعليقي ولكن الذي في سورة
الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما
ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما ينصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح ثم وقد روي
عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به
اجمالا فانه حينئذ يكون في حكم التنجيز يأباه ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتأخر ورود الامر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر
عن الامر التعليقي وان اعتذر بحمل التراخي على الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب
المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام في شأن
الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد
لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تأويل نفخ الروح
بحمله على ما يعم افاضة ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه

النظر

النظر الانيق بعد التفتيش في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي
المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ
الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب
وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء في قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وعدم
وجوب اقامة الصلوة عقيب الاطمئنان في قوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة
الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي اثر ذي اثير انما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه عليه السلام ليستدبروا في احواله الطرا
ويحيطوا بما لديه خبرا ويستعهدوا ما عسى يشتبه عليهم في امره عليه السلام لابتنائه على حكم ابية واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على
جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في السور وبان عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع
المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السور الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية
كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه
قوله تعالى بشرا مع سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة
فلعله قد القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة
في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا
او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه
عليه السلام ما ذكروا فايده عز وجل بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا
لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة
الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة آه بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي
من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليه السلام وابليس حسبما اطبق عليه
جمهور الأئمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء
بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال
والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من ان احد المختصمين كيف لا
ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء ح فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم
بحقيقة الامر **ابى واستكبر** استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتأمل والاباء الامتناع
بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار
اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى او كان اصله
من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما ينصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء
والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع
للمفضول كما ينصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان مجرد الاباء والاستكبار كفر لا انهما سبب له كما يفيده
الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال والافعال
وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا
للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على
اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن انت و**

وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص اصل الخطاب به عم للايذان باصالته في مباشرة المامور به والسكنى
وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق
زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود رض وابن عباس رض وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج
ابليس من الجنة واسكنها آدم عم بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه
الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حوا منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت
قالت لتسكن الي فقال الملائكة تجربة لعلمه عم من هذه قال امراة قالوا لم سميت امراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها
قال حوا قالوا لم سميت حوا قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله جندا من الملائكة فحملوا
آدم وحوا على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة
والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم
وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عم كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في
هذه القصة رفعه الى السما ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما
دخلها ابليس وقيل انها كانت في السما السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السما الدنيا والثاني منها الى
الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع وكلا منها اي من ثمارها وانما وجه الخطاب
اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حوا اسوة له
في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه رغدا صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما وهذا كما ترى
اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة
للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا تقربا بفتح الرا من قرب الشي بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست
به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه
بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة
في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد منها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم
تعيينها من غير قاطع وقرئ بهذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتا تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح اليا فتكونا من الظالمين
مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقربان اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية ونقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى فازلهما الشيطان
عنها اي اصدر زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق
يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما من الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عم لم يؤمر بسكنى الجنة على
وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعدما قيل
له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عم ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلا
لآدم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخل معها
وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك
للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة
وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحوا بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل
لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او اهبط من السما وقرئ بضم البا
بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استيناف لا محل له من الاعراب

وافراد

وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط و
متعلق بما تعلق به خبرا عني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين
هو حين الموت على ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيمة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها
حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع والاستيناف فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها ووفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية و
عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك
قال بلى قال يا رب الم يسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت
الى الجنة قال نعم والفا للدلالة على التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
اليه عم للتشريف والايذان بعلية لالقا الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفا
للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود
اليه واكتفى بذكر شان آدم لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النسا في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي
الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف به الباري عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ
للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استيناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه
قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا
لما عسى يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا لنوع رافة به عم لما بين الامرين من الفرق
التركيب لا والاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتا الهدى
المؤدي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سو اختيار
المكلفين وقيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف
بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السما الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول
ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع
على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا فاما ياتينكم مني هدى الفا لترتيب ما بعدها على
الهبوط المفهوم من الامر وان شرطية وما مزيدة مؤكدة لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله
بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم
الظرف على الفاعل لما مر مرارا والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق
الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه افاضة العقل
ونصب الادلة الآفاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والمجي بالمسند اليه ظاهرا مع اشعاره بصفته في موقع
القطع والجزم والمعنى من تبعه منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم
ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور
والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استقصارا للجد والسعي من خصائص الخواص المقربين
لاثر في موضع النفي ودخل الفعل المضارع ليفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى
ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او ان المراد بالثاني ما هو اعم من الهداية التشريعية وما ذكر من افاضة العقل

ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على
من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة
الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة
او حال الردع واضافة الآيات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل
المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون
كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام
وذا العام سابع ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها جماعة كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم اي بجماعتهم
قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا واشتقاقها من اي لانها تبين اياً من اي او من أوى اليه اي
رجع واصلها أوية او أيية فابدلت عينها الفا على غير قياس او أَوَيَة او أَيَيَة كرمكة فاعلت او آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة
الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها
خبره والجملة خبر للموصول واسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون
في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل
معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون
والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة
من الكفرة المعاصرين للنبي عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلعم وامره بتذكير كلهم بالنعمة
العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الآية واذ قلنا للملائكة الآية لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا
اباهم خليفة في الارض مسجودا للملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء واسرال بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء
واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة
الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من
النعم حمله ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي
اجلها ادراك عصر النبي عم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك
الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه
ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل
وانزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث لا نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز
باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال
وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف
بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام
الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات
الآية وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد

اسرائيل معناه بالعبرية صفوة الله

في افادة

في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن معنى الشرط كانه قيل
ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف مع تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء
بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت افراد للايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى
في شأن الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر
المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت
فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
واما ما يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة
لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التورية دلالة على
ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة
بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف
العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عم لو كان موسى
حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان
بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون
شأنه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء
فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر به خبرا من ضمير
الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به
مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان
المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده بان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من
كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا
غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا اي الحظوظ
الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة
في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلعم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في
عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون
بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا واياي فاتقون
بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت
بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهما بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب
بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه
الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان
وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو
للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رض وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين
وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت
النبي عم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي
او في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه
حق او وانتم من اهل العلم وليس المراد بالحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح

حالهم اذ الجاهل عسى يعذر ﴿واقيموا الصلوة واتوا الزكوة﴾ اى صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة
امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ اى فى جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ
بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فى المناجات وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع
والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدى لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
﴿اتامرون الناس بالبر﴾ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع
فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى
مراعاة الاقارب وبر فى معاملة الاجانب ﴿وتنسون انفسكم﴾ اى تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضى الله عنهما انها نزلت فى احبار
المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلعم ولا يتبعونه طمعا فى الهدايا والصلات التى كانت تصل اليهم من
اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم
عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم
يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطفت هى عليه ﴿وانتم تتلون الكتاب﴾ تبكيت لهم وتقريع
كقوله وانتم تعلمون اى والحال انكم تتلون التورية الناطقة بنعوته صلعم الامرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد
على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل ﴿افلا تعقلون﴾ اى اتتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى
ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او لا تتاملون فلا تعقلون فالانكار
متوجه الى كلا الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل فى الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف
البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمى به النور الروحانى الذى به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه
عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تاثره وان فعله
فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم بالحق
فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا ما
يموت من مجلسه واحد او اثنان من شدة تاثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت
تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت
الواعظ يوما فى الطريق فقالت · لتهدى الانام ولا تهتدى · الا ان ذلك لا ينفع · فيا حجر الشحذ حتى متى · تسن الحديد ولا تقطع ·
فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله سبحانه ﴿واستعينوا بالصبر والصلوة﴾
متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على
حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذى هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال
فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عم
كان اذا حزنه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء ﴿وانها﴾ اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير
اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما فى قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا
بها ونهوا عنها ﴿لكبيرة﴾ لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ﴿الا على الخاشعين﴾ الخشوع الاخبات ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون
ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون فى مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عينى فى الصلوة والجملة حالية او اعتراض تذييلى ﴿الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون﴾ اى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده من المثوبات او التوصل لعنوان الربوبية مع الاحتاج

اليهم

اليهم للاذان بتيقنان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون
بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فثقلت عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور
للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان
اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه · مخالط ما بين الشراسيف جائف · وحمل [illegible] فى الموضعين [illegible]
على تحقق اللقاء والرجوع وتقرير بما عندهم ﴿يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم﴾ كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من
الوعيد الشديد به ﴿وانى فضلتكم﴾ عطف على نعمتى عطف الخاص على العام لكماله اى فضلت اباءكم ﴿على العالمين﴾ اى على عالمى
زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام
وبعده قبل ان يغيروا ﴿واتقوا يوما﴾ اى حساب يوم او عذاب يوم ﴿لا تجزى نفس عن نفس شيئا﴾ اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق
فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدر
وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال
اتسع فيه فحذف الجار واجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف فى قول من قال فما ادرى اغيرهم تناء · وطول العهد ام
مال اصابوا · اى اصابوه ﴿ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل﴾ اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها ساوت
المفدى وتجرى مجراه ﴿ولا هم ينصرون﴾ اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة
فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناس والنصرة هنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر
وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا الاول النصرة والثانى
اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثانى اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره
وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار
للايات الواردة فى الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم ﴿واذ نجيناكم من ال فرعون﴾ تذكير لتفاصيل ما اجمله فى قوله تعالى نعمتى التى انعمت عليكم من فنون
[illegible]
اهيل وخص بالاضافة الى اولى الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك
الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى
مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد [illegible] وقيل كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى
الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر [illegible]
[illegible]

وافحه بالنسبة الى سايره والسوء مصدر من ساءه يسوءه ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون
او منهما جميعا لاشتمالها على ضميرهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون
بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون راى في المنام او اخبر الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قضاء الله تعالى عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل نفس موسى من القوة
على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر
من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم
اي استبقائهن على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء
الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما
وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث
موسى عم وبتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من الشر
والخير من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر
تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقناه بسلوككم
او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير
لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال
بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم
للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه
وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او
ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا
نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم
ما غشيهم واعلم ان هذه الوقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها
كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلعم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة
لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة
ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عم ان يعطيه
التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم
بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي
القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا
لقبول موسى عم منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم
العجل بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم ظالمون
باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم
حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما قال عرف المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان
كثير الوبل هطال وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك
المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكي تشكروا النعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
اي التورية الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل
في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى

يوم

يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية
وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبودا فتوبوا فاعزموا على التوبة الى بارئكم اي الى من خلقكم بريئا
من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب للخلوص عن الغير اما بطريق التفصي
كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها
ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر
الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب
فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل
من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل سبحانه ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت
القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند
بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه تعالى
على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد
الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل
تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين
لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عم لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد
تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى عم قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله
تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب
الرحيم تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن
نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التورية وتكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة
اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان
الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح
الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل اي جاهرين والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن
عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله تعالى موسى عم ان
يجمع سبعين رجلا ويحضرهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله
موسى عم بامره ونهيه وكان كلما كلمه تعالى وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى
مع موسى افعل لا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيجيء في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل
عشرة آلاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام
وتتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة
عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم
وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيبة
الهائلة اخذتهم الرعدة وجعلوا يرتعدون كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى
عم ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولكن صعق موسى عم في غشية لتعذله
تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب تلك الصاعقة

قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين لعلكم تشكرون اى نعمة البعث وما كفرتموه بما رأيتم من بأس
الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى جعلناها بحيث تلقى عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من
الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين والسماني
قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه
كلوا على ارادة القول اى قائلين لهم او وقيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة
عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد
قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اى فظلموا بان
كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة
على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم
في الظلم واستمرارهم على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت قولنا
لآبائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس
وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان
المأمور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيزول الاشكال في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اى باب
القرية على ما روى من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم
لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عم سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة
اى مسألتنا وامرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم
خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت
الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت
ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب
للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين
ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا آخر مما لا خير فيه روى انهم قالوا مكان حطة
حنطة وقيل قالوا بالنبطية هطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح
مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اى عقيب ذلك على الذين ظلموا
بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح
بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من السماء اى عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان
ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على
ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به
في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى
عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير
والتذكر ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب
بعصاك الحجر روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط
وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عم من الجنة ووقع الى شعيب عم فاعطاه
موسى عم مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الأدرة فاشار اليه
جبريل عم ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا

الى الارض

الى الارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يعطك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في
ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عم من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الامر بالضرب اى فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة
عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من
رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان
المأمور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره
بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة
موسى عم ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لما
ان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المتعدي بفعله وقد يكون
فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير
لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى المخاطبين
وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من
النعم ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روى
انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجمعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء
فادع لنا ربك اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة
يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية
والثانية في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اى كائنا من بقلها الى آخره
وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما تنبت الارض من الخضر والمراد به اطائبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها
والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اى الله تعالى او موسى عم انكارا عليهم وهو استئناف
وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال اتستبدلون اى اتأخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى
اى اقرب منزلة وادون قدرا واسهل منالا واهون الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه ما لا خطر له ولا قليل القيمة واصل
الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ وقد حملت
المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اى بمقابلة الذي هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون
الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما هو
من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه
او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرائيم فعرب
فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كما
قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت
عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق
الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لتخوف ان يضاعف جزيتهم وباءوا اى رجعوا
بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة

كل سبطهم

الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته
ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء
بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عم
مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عم وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان يكون بحق
الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير حق اذ لم يكن احد معتقدا لحقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب
الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان
والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها
كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد
بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق اي كان ما ذكر
والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين آمنوا اي
بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك
المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا
دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة باهرة
واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة
نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران
فسموا باسمها او باسم من اسسها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهاري والصابئين هم قوم
بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا
فمن صبأ اذا خرج من دين الى آخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان
الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من آمن بالله واليوم الآخر اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد
على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اي مالك امرهم
ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى
ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي
خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم الخ واما في محل النصب على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم
اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم
متيقن الثبوت مأمون الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم
يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا
وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف
منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق الاحداث
والانشاء كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان
ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما
ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان
مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا
بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتأتى في حقهم ما ذكر اما المنافقون

فان كانوا

كانوا من اهل الشرك فلا مرية وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين
يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا كان خ
من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف
من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه
قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في خبر اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على الحق المبين
واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي اذكروا وقت اخذنا لميثاقكم بالمحافظة على ما في التورية ورفعنا فوقكم
الطور عطف على اخذنا او حال او قد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روي ان موسى لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف
الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عم فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي
او تنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم عن الوفاء
بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم
حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة
وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة
من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ
خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف
اي لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روي انهم امروا بان يتمحضوا يوم السبت للعبادة
ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عم فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر
يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا ثم
وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من
قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة والخسوء
وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الظرف والحال وقيل من الضمير
المستكن في قردة لانه بمعنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى
كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين
بغير همزة فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها
وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها
من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم
او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم اي اذكروا وقت قول
موسى عم لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب
المدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما
ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا
وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به
قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عم ما توهموه من قبله
على ابلغ وجه وآكده باخراجه مخرج ما لا يكره ولا يرام بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي شافهوه
عم بها قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال و قالوا ادع لنا ربك يبين

ما هي ما مبتدا وهي خبره والجملة في حيز النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم
ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها
قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باي لكنهم لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة
لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حاله قال اي موسى عم بعد ما دعا ربه عز وجل واتاه الوحي انه تعالى يقول انها
اي البقرة المأمور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع
كانها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف قال طوال مثل اعناق
الهوادي نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة
الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عم متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما
في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه
لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استئناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي
والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها قال اي موسى عم بعد المناجاة الى الله تعالى
ومجيء البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤولهم
بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما
يقال اسود حالك واحمر قانئ وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تأكيد كانه قيل صفراء
شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضي سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد
بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع
اللون والسرور لذة في القلب عند حصول نفع وتوقعه من السرور عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استئناف كنظائره
ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف
المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها
كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت اذ لا يلزم من اشتراك النعوت المعدودة
تشابه البقرة المشتبهة للمأمور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء
وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتأنيث مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومشتبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم تميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه يشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله
لمهتدون مؤكدا بوجوه من التأكيد اي لمهتدون بما سألنا من البيان الى المأمور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم
آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية لتأكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي
كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل
او اخلص لونها من سلم له كذا اذا اخلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا عندما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اي بحقيقة
وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم
يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات
الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد
على الاستفهام وآلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها
وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل
ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي وما له استثقال استقصائهم واستبطائهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كادوا ينتهي

حيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان
في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت
وشبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة
بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مبهمة و
ان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد
المأمور به اثر ذي اثر بل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم
في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول متمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة الى آخره
للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها فيكون المأمور به
المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات
والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد
من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر
النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة
فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث
تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريق تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا
كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر بدون الوقوف
على المأمور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر كما مر خطاب
والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله عم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف
توبيخا وتقريعا وتخصيصها بالاسناد دون ما مر من جناياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي اذكروا وقت قتلكم
نفسا محرمة فادارأتم فيها اي تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الاخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الاخر
واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر لما كنتم تكتمون لا محالة
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما عمل مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما
بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص او القتيل ببعضها
اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم
الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء
برسول الله صلعم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة
على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منهما بما يخص بها من التوبيخ وانما حكي الامر بالذبح عن موسى عم مع انه من الله عز وجل كالامر
بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عم والافتيات على رأيه كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي وقلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطفت به وما عطف عليه لدلالة كذلك على
ذلك فالخطاب في كذلك للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة
الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله
الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع
لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره تعالى وما يلابسه من الامور الخارقة للعادة لعلكم تعقلون
لكي يكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط
ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع

مطلقه م

اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالد وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب
ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات
لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين
زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها
بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست قلوبكم
الخطاب لمعاصري النبي عم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التي
تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية اما لان المراد بيان بلوغهم الى
مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد
القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد
من الايات الموجبة للين القلب وتوجيهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد
حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهى كالحجارة في القساوة
او اشد منها قسوة اى هى في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة
قلوبهم والفاء اما للتفريع مرتبا على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل
كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل اقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين
في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها
بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه لامن الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية
قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التاثر واستحالة صدور الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة
وان منها لما يشقق اى يتشقق فيخرج منه الماء اى العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اى يتردى من العلو الى السفل بتفتيته
ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز عن الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره
عز وعلا آت على ما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على
اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل
وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ
بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي عم ومن معه
من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف
عليه منفيا اى الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر
الاول مثبتا اى انظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى اتسمعون اخبارهم وتعلمون
احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متمادون في غيهم
والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا ومحل
ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اى في ايمانهم مستجيبين
لكم او للتعليل اى في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي ويستحق على ما فيه
من المرتبة باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع
اى فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل
احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اى والحال

وان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنه هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عم بالطور وما
امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام
الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اى فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى
قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه
تاويلا فاسدا وقيل هم اوساط اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعدما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت
النبي عم في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا
ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدم عهده صلعم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام
اذ التورية وان كانت كلام الله عز وجل لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما وهم
المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون
في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة
ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبوا له هيهات ومن ههنا ظهر ما في ايثاركم على ما بالله من النخالة والجزالة وقوله عز وجل وهم
يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على
الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا
جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب
آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحرزا لاتحاد الفاعل
في فعلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلعم قالوا اى اللاحقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة
منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين
ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف
اى قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبي عم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم
يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم اى بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اى فرغوا عن الاشتغال
بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين
في لقاء المؤمنين كما اشير اليه آنفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند
المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اى
الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اى بينه
لكم خاصة في التورية من نعت النبي عم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد ويجوز كون هذا
التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز
وجل ليحاجوكم به متعلق بالتحديث لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اى اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم
والمحدثون به فان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور
اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اى في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اى في كتابه وشرعه وقيل
عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار
بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا اخزى
فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالكلية
لا يساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على
مقدر يستدعيه الكلام اى الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر

اى اللاحقون م

وجوز ابو البقاء كونها مصدرية ولا ريب ...

عدم التعقل ابتداء او تعقلون ذلك فلا يعقلون بطلانه مع وضوحه حتى يحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل
بدا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمومنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا طمع لكم في ايمانهم
فيأباه قوله تعالى **اولا يعلمون** فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون توسيط خطاب المومنين في اثنائه من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمومنين التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلعم كما في افتطمعون من سوء الادب مالا يخفى والهمزة
للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة
ولا يعلمون **ان الله يعلم ما يسرون** اي يسرونه فيما بينهم من المومنين او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى
وما يعلنون اي يظهرونه للمومنين او لاصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمومنين ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور
عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط
اولهم وللموبخين او لآبائهم المحرفين اي اتفعلون ما تفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم
الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان
للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه
بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا
المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه
الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة
به هو الامور البادية دون المخافية ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه
قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية **ومنهم اميون** وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على
الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهن ليس من شانهن الكتابة بل من خلال
الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن معرفة
الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب
رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستانفة
مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان
لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف
كلام الله تعالى بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من الفرقتين
الاخريين اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة **لا يعلمون الكتاب** اي لا يعرفون التورية ليطالعوها و
يتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيومنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم الكريم وسياقه **الا اماني** بالتشديد و
قرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كتمني في قوله تمنى كتاب الله اول ليله فاعلت
اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع
اذ ليس ما يتمنى ويتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو عنهم
وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب
لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير
ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم **وان هم الا يظنون** ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير
ان يصلوا الى رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع
الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه
الدعاء عليهم **فويل** هو واشباهه من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا

بجز

يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر
قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على
الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويل وويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها فرق قيل ويل في الدعاء عليه وويح
وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلعم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره
وقال سعيد بن المسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم
وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وجل **للذين يكتبون الكتاب**
اي المحرف وما كتبوه من التاويلات الزائغة **بايديهم** تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون هذا** اي جميعا
على الاول وخصوصه على الثاني **من عند الله** روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلعم
المدينة فاحتالوا في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلعم في التورية وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر
اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سالهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا
فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتاويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد شناعة
من نفس التحريف والتاويل **ليشتروا به** اي ياخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف
والتاويل وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث
جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات **قليلا** لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه
من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتاكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراده بعنوان الصلة
وبعضه في معرض الغرض للايذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل **مما كتبت ايديهم** تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار
في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر عن التحريف **وويل لهم مما يكسبون** الكلام
فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التاكيد والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا
من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل به **وقالوا** بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما
قبله اشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب **لن تمسنا النار** في الآخرة **الا اياما معدودة** قليلة محصورة عدد
ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود انهم عدوا ايام عبادتهم العجل سبعة ورووا
عن ابن عباس ومجاهد ان اليهود قالوا ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا وروي عن الضحاك عن
ابن عباس ان اليهود زعموا انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة
الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها **قل** تبكيتا لهم وتوبيخا **اتخذتم** باسقاط الهمزة الجلية لوقوعها
في الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها في التاء **عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون [illegible]
وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد **فلن يخلف الله عهده** الفاء فصيحة [illegible]
[illegible] المعقول [illegible] اي ان كان الامر كذلك فلن يخلف الله عهده [illegible]
[illegible] فان عدم الاخلاف من قضية الاولوية [illegible] العهد [illegible]
لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا [illegible]
[illegible] الوجود فقط [illegible] **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** [illegible]
اليه سبحانه ما لا يعلمون [illegible]
[illegible]
ذلك الجزم لا يكون الا [illegible]
كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه [illegible] ومعنى بل انها اي اضراب

والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده ام من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما في قوله عز وعلا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى آخره جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر بين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كدأبهم وآثار الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطيآته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدأ اصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وآثر اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليهم بما لهم من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الجمل الثلاثة لما ان ذلك هو الانسب بما اسند اليهم في تينك الجملتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النار الخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان الدليل مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التفصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حجة في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض آخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع عن ايمانهم او لليهود الموجودين في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر اي وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه من الحراك واثخنه من التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاخلافهم

محكية

محكية داخلة في حيز القول المقدر وقيل لا تعبدون كانهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب نعي عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى منصوب بفعل مضمر اي اذكروا وقت اخذ ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى النهي غير ان سبك ابرز لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسكم واخراجها من ديارهم بناء على ان كل واحد منهم يجري نفسه لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فمحتمل للوجهين مفاد الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دماءكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سباق النظم الكريم بل يرفضه فانما ساقه لما سيق عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم قيل الضمير فيكون من عطف الجملة على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التوراة لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل [illegible] على اثره [illegible] وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات [illegible] والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال [illegible] وايدناه وقرئ آيدناه بروح القدس [illegible] بالروح المقدسة [illegible] وهي روح عيسى [illegible] صدق [illegible] القرآن [illegible] افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم [illegible]

رسول منهم بما لا تهوى انفسهم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية وللتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عم وسحروه وسموا له حتى قال صلعم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عم قلوبنا غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا من غيره قاله ابن عباس رضي الله عنه وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فاني لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء سببية اللعن لعدم الايمان ولما جاءهم كتاب وهو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله اي كائن من عنده تعالى للتشريف مصدق لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقال ابن عباس رض وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وجل فلما جاءهم تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله عز وعلا ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفتهما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد وجوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة مستأنفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي عم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروا به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان بعلو شأنه الموجب للايمان بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا للفصل قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلل له بعنوان البيع قطعا اي

وهو

وهو معلل بما سبق من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاءه وانما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المستاهلين لتحمل اعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الانزال فباءوا بغضب على غضب اي فرجعوا متلبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عم بعد عيسى عم وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل الله كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصلوة والسلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه كما في امام التبليغ آمنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وهو موافقته له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من ايمان به ليس ايمانا بما انزل الله قالوا نؤمن اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التورية وما نزل على انبياء بني اسرائيل عم لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عم وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم لزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على احد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له تعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان ان اقرارهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ومآله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم منه الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز وجل ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل خطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحد من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على رأي الكوفيين وابي وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من اتخذتم اي ظالمين بعبادته ووضعها لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم اي اذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور

قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي خذوا بما أمرتم به في التورية واسمعوا لما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال
كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا أمرك فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة
الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان بما فيها وأشربوا في قلوبهم العجل على حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للمبالغة أي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب
والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم
بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري
اليهود إثر ما تبين أحوال رؤسائهم الذين هم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به إيمانكم بما أنزل عليكم من التورية حسبما يدعون
والمخصوص بالذم محذوف أي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل في إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم بهم وإضافة الإيمان إليهم للإيذان بأنه ليس بإيمان
حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى إن كنتم مؤمنين فإنه قدح في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم من التورية وإبطال لها وتقريره إن كنتم مؤمنين بها عاملين
فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به إيمانكم بها وإذ لا يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم مؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى
محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الأمر مع قرب العهد بالأمر السابق لما أنه أمر بتبكيتهم وإظهار كذبهم في فن آخر من أباطيلهم لكنه لم يحك
عنهم قبل الأمر بإبطاله بل اكتفي بالإشارة إليه في تضاعيف الكلام حيث قيل إن كانت لكم الدار الآخرة أي الجنة أو نعيم الدار الآخرة
عند الله خالصة أي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر
أعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص له كذا واللام للجنس أي الناس كافة أو للعهد أي المسلمين فتمنوا الموت
فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة الأكدار لا سيما إذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه
لا أبالي أسقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر
وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني وقوله تعالى إن كنتم صادقين تكرير الكلام لتشديد الإلزام
وللتنبيه على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الأمر فقط بل في اعتقادهم أيضا وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم
من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت أيديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عم والقرآن وتحريف
التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة والله عليم
بالظالمين أي بهم وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن
غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون
منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلعم لو تمنوا الموت لغص
كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الأرض ولتجدنهم أحرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا أنه
مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير وأحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للإيذان بأن مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة
وقرئ بالتعريف ومن الذين أشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر مع دخولهم
في الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان أشد من حرص المشركين
المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف ثقة بإنباء المعطوف عليه عنه أي وأحرص من الذين أشركوا
فقوله تعالى يود أحدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز أن يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف وخبره الظرف المقدم على
أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله أي ومنهم طائفة يود أحدهم أي كل واحد منهم لو يعمر ألف سنة وهو حكاية
لودادتهم كأنه قيل ليتني أعمر وإنما أجري على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول يود إجراء له مجرى
القول لأنه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد إلى أحدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة أن يعمر فاعل بمزحزحه
أي وما أحدهم بمن يزحزحه أي يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وأن يعمر بدل منه وقيل مبهم وأن
يعمر مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد المعنى أو اعتراض وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية

وقيل

٤٥

وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام العرب العالم
بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه أي عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بالتاء على الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد
قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلعم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي فقال عم جبريل عم
فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك قد عادانا مرارا وأشدها أنه
أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عم وقال إن كان ربكم أمره
بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه
أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال
والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم لشك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلعم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل
عم فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما
عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضي الله عنه إن كانا كما تقولون
فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله سبحانه ثم رجع عمر
فوجد جبريل عم قد سبقه بالوحي فقال النبي عم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رض لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب
من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرال وجبرائيل كجبرائيل وجبرايل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عم والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر إيذانا بفخامة
شأنه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل
الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثاره على ضمير المتكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي
الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير بمضمون المقالة بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب
وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عم إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه أي من الكتب الإلهية
التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل
من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم أو فالسبب في عداوته تنزيله كتابا مصدقا
لكتابهم موافقا له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستتبع
انتكاس أحوالهم وزوال رياستهم وقيل إن الجواب فقد خلع ربقة الإنصاف أو فقد كفر بما معه من الكتاب أو فليمت غيظا أو فهو
عدو لي وأنا عدو له من كان عدوا لله أريد بعداوته تعالى مخالفة أمره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة أو عداوة خواصه ومقربيه
لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنهم وإيذانا بأن عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن
يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وإنما أفردا بالذكر مع أنهما أول من يشمله عنوان الملكية والرسالة
لإظهار فضلهما كأنهما عليهما السلام من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على أن عداوة
أحدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل
سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى فإن الله عدو للكافرين
أي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين
موضع المضمر للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب
لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكيل كميكيل ولقد
أنزلنا إليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها إلا الفاسقون أي المتمردون
في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل تلك البينات قال الحسن إذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ابن صوريا للرسول صلعم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد أي الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب

فكانا

المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا أوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو
على ان التقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا
اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم اي رموا بالزمام ورفضوه وقرئ
نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اي بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم
الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق
بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيم بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية مصدق لما معهم
من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقية نبوة موسى عم بما انزل عليه او من حيث انه عم جاء على نحو ما نعت
فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلعم فمن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين
كانوا في عهد سليمان عم كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي عم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما
عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم له عليه والمراد بايتائها
اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين
فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اي الذي اوتوه قال
السدي لما جاءهم محمد صلعم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت
وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله آه وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم
وتهويلا لما اجترؤا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون
به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول مجيء
عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم
لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمون انه على وجه
الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلعم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه
كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التورية من دلائل النبوة
هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله وفيه
ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جميل اليهود اربع فرق فرقة
امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله تعالى نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون
وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن
نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلو الشياطين عطف على
جواب لما اي نبذوا الكتاب واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية
والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول عم فلا يصح عطفه على
جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع
ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عم
حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والطير والريح التي
تجري بامره وقيل ان سليمان عم كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليه
من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس
على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عم وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام

وايثارهم سحر الشرور على كتبه عز وجل

على

على السحر وكذب بل لم يفتر عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عم وكذب باهتيه بذلك
ولكن الشياطين كفروا وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين [illegible]
[illegible] يعلمون الناس السحر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها المدبرة لهذا العالم
ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله
ابراهيم عم مبطلا لمقالتهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
غرائم ودعاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان سحرا
عند تمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التقارن والتعاون بينهما من
غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية
وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما
لطف مأخذه وخفي سببه ومن الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس وما انزل
على الملكين عطف على السحر اي يعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما
بينهما اعتراض اي اتبعوا ما انزل آه وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا
يغتر به الناس او لان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطوا ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس
ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بني
آدم عيروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني
قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا
الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الشرك
والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم
امرأة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها
فراوداها عن نفسها فابت فعادا اليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا
ثم سألاها فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كل ذلك بعد اللتيا والتي ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان
به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما
ما حل بهما وكان في عهد ادريس عم فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه
عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره
رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب

قصة هاروت وماروت

والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر * ببابل * الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف
وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية
او للتانيث والعلمية * هاروت وماروت * عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت
بمعنى الكسر لانصرفا ومن قرا الملكين بكسر اللام او قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين
بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت * وما يعلمان من احد * من زيدت في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة
نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل يعلمان من الاعلام * حتى يقولا انما نحن فتنة * الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع تعددهما
لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما
انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر
ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان * فلا تكفر * باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النصح
ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان النصح والا
والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به كفرا
واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى نهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل آه نافية والجملة معطوفة على
قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان
من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلنا فيأباه
ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام
فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه * فيتعلمون منهما * عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن فتنة
والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين * ما يفرقون به * اي بسببه وباستعماله * بين المرء * وقرئ بضم
الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة * وزوجه * بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا من السحر
على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما
ما يعملون به فرارا من الشرع ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم * وما هم بضارين به * اي بما تعلموه واستعملوه من السحر * من احد *
اي احدا ومن زيدت لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه جعلت الاسمية في حكم
الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد * الا باذن الله * لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند
استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان
نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي ما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا
من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف * ويتعلمون ما يضرهم * لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا
* ولا ينفعهم * صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار
باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي
لا يؤمن ان يجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه * ولقد علموا * اي اليهود
الذين حكيت جناياتهم * لمن اشتراه * اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام
ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى * ما له في الآخرة من خلاق * اي من نصيب جملة من مبتدا
وخبر ومن مزيدة في المبتدا وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل
الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد
والجملة ولقد علموا مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه آه هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة
موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب
القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فح يكون الجملتان مقسما عليهما * ولبئس ما شروا به انفسهم * اي باعوا واللام

قسم

قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا
انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبابا وتجويز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشتري متعين وهو ما تتلو الشياطين
ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله * لو كانوا يعلمون *
اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب
على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما
فعلوا * ولو انهم آمنوا * اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله آه او بما انزل اليه من الآيات المذكورة
في قوله تعالى لقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او بالتورية التي هي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عين كفر بها * واتقوا * المعاصي المحكية عنهم * لمثوبة من عند الله خير * جواب لو
واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم
والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة
اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا
للو غير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ
لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه * لو كانوا يعلمون * ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب
العلم * يا ايها الذين آمنوا * خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود * لا تقولوا راعنا *
المراعاة المبالغة في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من
العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية
يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى
مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلاة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن
عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن
عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهي عنها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها
ولا يقبل التلبيس فقيل * وقولوا انظرنا * اي انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا
من النظرة اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن
لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن * واسمعوا * واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل
باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى
لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا * وللكافرين *
اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا * عذاب اليم *
لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه * ما يود الذين كفروا *
[illegible]
[illegible]
[illegible]
للتبيين كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * ان ينزل عليكم * مفعول يود * من خير *
هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق [illegible]
[illegible] * من ربكم * [illegible]
وصفه [illegible] بالاختصاص وتقديم الظرف [illegible]

من ربكم * ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم تنزيله
على المخاطبين من حيث تعلقه بهم بما فيه وتعريضهم لبركات السعادة الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث
وقوع ذلك التنزيل على النبي صلعم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل
هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان
ينزل عليكم شي من الوحي واما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون
فاولا لا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا
لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الدعاء اشهر لاسيما في اثناء ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفي
ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين زيدت كلمة لا لتاكيد النفي * والله يختص برحمته * جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل
الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على
المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال على رضي الله عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة
الافتعال للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة
تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اى يؤتى رحمته * من يشاء * من عباده
ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عزوجل تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء
فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى * والله ذو الفضل العظيم * تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان
ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيته الجارية على
سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشانها فان الاضمار في الثانية مبني على
توقفها على الاولى * ما ننسخ من اية او ننسها * كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة
الطاعنين فيه اثر تحقيق حقية الوحي ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد عليه السلام
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته ونسخ
الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة
على المفعولية وقرئ ما ننسخ من انسخ اى نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسء اى نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها
وقرئ ما ننسك وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من اية او ننسها وقرئ ما ننسك
من اية او ننسخها والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى
غير بدل * نات بخير منها * اى نوع اخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا * او مثلها *
اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار
الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما تقتضيه
من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه
الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام * الم تعلم * الهمزة للتقرير
كما في قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عم وقوله تعالى * ان الله على كل شيء قدير *
ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر
على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته
سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة
والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه * الم تعلم ان
الله له ملك السموات والارض * فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض
مبتدا والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان الله ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرير الاسناد وهو

اما لتكرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر واما ليعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها وربما لزيادة التاكيد واشعارا
باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما لتقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اى الم تعلم
ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا
ونهيا حسبما تقتضيه مشيته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شي من الاشياء وقوله تعالى * وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير * معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب
السابقين للامة ايضا وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عم ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع
الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على انه تعالى
يفعل ما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه
كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره ان تاول ام
اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا
عن المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدا مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها
المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل
صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى
لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء
الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى * ام تريدون * تجريد للخطاب عن النبي عم وتخصيص
بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة
منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لبيان
انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون * ان تسالوا * وانتم مؤمنون * رسولكم *
وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه
قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عم بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات
انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى * كما سئل موسى * مصدر تشبيهي
اى نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اى سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى
الظاهر ان يقال كما سالوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول
حتى تشبه بمسؤولية موسى عم فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسؤولية
واكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة على ان العائد محذوف اى كالسؤال الذي سئله موسى وقوله تعالى * من قبل * متعلق
بسئل جي به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وتسهيل الهمزة بين بين * ومن يتبدل الكفر * اى يختره وياخذه لنفسه
* بالايمان * بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اى السؤال المذكور
او ارادته وحاصله ومن ترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت
واقترح غيرها * فقد ضل سواء السبيل * اى عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه
في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان
كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر مع ما في ذلك من التسليم وجعل ما بعده ما للشرطية وما
للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف
كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من
السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية فاضافة الرسول صلعم اليهم على القولين

باعتبار انهم من ائمة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وجعلهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم
للكفر عليه ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة
ابن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن
اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود
اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا
ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُمْ﴾ حكاية لودادتهم ولو بمعنى التمني
وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعول
لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف وتقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك ﴿مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ﴾
متعلق بيردونكم وقوله تعالى ﴿كُفَّارًا﴾ مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة
آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول
ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين
واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من
الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تربية الحكم
ما لا يخفى ﴿حَسَدًا﴾ علة لود او حال اريد به نعت الجمع اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ متعلق
بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا منبعثا من اصل
نفوسهم بالغا اقصى مراتبه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة من الدلائل وعلموا انكم متمسكون
به وهم منهمكون في الباطل ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ العفو ترك المؤاخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾
الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف
ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود
الناسخ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ﴾ عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة والتلجي الى الله بالعبادة البدنية والمالية ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾
كصلوة او صدقة وغير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم
﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على ود والضمير
لاهل الكتابين جميعا ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ اي قالت اليهود لن يدخل الا من كان هودا والنصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا
وليس مرادهم بذلك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاغواء
المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعود جمع عائد وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار
معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة
مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم
وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾ فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا
حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز التنزيل
ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي تضمنه دعوى الاختصاص فان قوله تعالى ﴿بَلَى﴾ الى آخره اثبات
من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه اذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع
بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون

اي من كل خير ومن مراده الله تعالى منه

هو

هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك
هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول
وعجزهم عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه
وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾
اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي
من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ حال من ضمير اسلم اي والحال
انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي
التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ﴾
اي الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر
للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف
والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة
اي فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء
لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى
فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان
قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص بالف منزل ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الدارين
من لحوق مكروه ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من فوت مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والجمع في الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى
عَلَى شَيْءٍ﴾ بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على
او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء وكفروا بعيسى والانجيل ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى
شَيْءٍ﴾ على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتوراة ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾
[illegible]

كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا
وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتليهم وسبوا
ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي
وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب نحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس
مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول
صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من حيث ان المشركين من جملة الجهلة القائلين بمثل ما علم
ليسوا على شيء «ان يذكر فيها اسمه» ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا
ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه
«وسعى في خرابها» بالهدم والتعطيل بانقطاع الذكر «اولئك» المانعون الظالمون الساعون في خرابها «ما كان لهم ان
يدخلوها الا خائفين» اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق
ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما
كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الله وعده
ولله الحمد روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف
الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره «لهم» اي لاولئك المذكورين
«في الدنيا خزي» اي خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي او الاذلال بضرب الجزية عليهم «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» وهو عذاب النار
لما ان سببه ايضا هو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر
من ان تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ونظائر ذلك «ولله المشرق والمغرب» اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي الشرق
والغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد
الاقصى او المسجد الحرام «فاينما تولوا» اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة «فثم وجه الله» ثم اسم اشارة للمكان البعيد
خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك
جهته التي ارتضاها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد ومكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل
فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة «ان الله واسع» باحاطته بالاشياء او برحمته يريد
التوسعة على عباده «عليم» بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلاة
المسافرين على الراحلة اينما توجهوا وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو
اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في حيز وجهة «وقالوا
اتخذ الله ولدا» حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة
لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على
الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله واتخذ اما بمعنى
الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا «سبحانه»
تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه
تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن
جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به ففيه مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذات
المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى «بل له ما في السموات والارض» رد لما زعموه

وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما تقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى بشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة
الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخرة
مستغنية بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من
جملتها عزير والمسيح والملائكة «كل» التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم
«له قانتون» منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شأنه لم يتصور مجانسته لشيء ومن
ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي العلم تحقيرا لشأنهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض
منهم وصنعة جمع العقلاء في قانتون للتغليب اي كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته
تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة «بديع السموات والارض» اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال
يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه
بمعنى انشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة
الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سمواته من بدع اذا كان على
شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه
والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو
بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير في له على رأي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده
لضن بالماء حاتم «واذا قضى امرا» اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة
الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ «فانما يقول له كن فيكون»
كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات
بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المأمور المطيع للآمر القوي المطاع وفيه تقرير
لمعنى الابداع وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده الى مباد يستدعي ترتيبها مرور
زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك «وقال الذين لا يعلمون» حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر
النبوة بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضي
هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي ولعدم عملهم بموجب علمهم
او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركو العرب لقوله تعالى فليأتنا
بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا «لولا يكلمنا الله» اي هلا يكلمنا بلا واسطة
امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا على نبوتك «او تأتينا آية» حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار
الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا
ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون «كذلك» مثل ذلك القول الشنيع
الصادر عن العناد والفساد «قال الذين من قبلهم» من الامم الماضية «مثل قولهم» هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله
جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ «تشابهت قلوبهم»
اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة «قد بينا الآيات» اي نزلناها بينة
بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة «لقوم يوقنون»
اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد
التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا
الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان
بحيث لا حاجة له الى الرد والجواب «انا ارسلناك بالحق» اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او

صدره
على حالة لو ان في القوم حاتما

او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو وقوله تعالى ﴿بشيرا ونذيرا﴾ حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا
بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك
بالثواب ونذيرا لمن كذب بالعذاب ليختاروا لانفسهم ما احبوا فاضرالهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ﴿ولا تسأل
عن اصحاب الجحيم﴾ مالهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا تسأل على صيغة النهي ايذانا
بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع
خبرها وحمله على نهي النبي عم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبه
الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ﴿ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين
من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفي لما مر من ان تصلب اليهود في امثال هذه العظائم
اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل واحد منهما مباين لرضى الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى
تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلعم
باسلامهم بالغاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عم ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل امكنوا منه عم ما لا يكاد يدخل تحت
الامكان من اتباعه عم ملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عم وهذه حالتهم في انفسهم ومقالتهم فيما بينهم واما انهم اظهروا ذلك
وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل
على خلافه فان قوله عز وجل ﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ صريح في ان ما وقع منهم اجوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم
مضمونها او يلزم من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا اى قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما
تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ﴿ولئن اتبعت اهواءهم﴾ اى ارائهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية
شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو
المعنى الحقيقي للملة فقد غيروه تغييرا ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ اى الوحي والدين المعلوم صحته ﴿ما لك من الله﴾ من جهته
العزيزة ﴿من ولي﴾ يلي امرك عموما ﴿ولا نصير﴾ يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط لا بين المعطوفين
لتاكيد النفي وهذا من باب التهييج والالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عم ملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأه اللام واكتفى به عن
جواب الشرط ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ بمراعاة لفظه عن التحريف
وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده مقرر له ﴿اولئك﴾ اشارة الى الموصوفين باتيان
الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ﴿يؤمنون به﴾ اى بكتابهم دون المحرفين فانهم
بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ﴿ومن يكفر به﴾ بالتحريف والكفر بما يصدقه ﴿فاولئك هم الخاسرون﴾
حيث اشتروا الكفر بالايمان ﴿يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم﴾ ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها
وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي عم ومن ضرورته الايمان به عم ﴿واني فضلتكم على العالمين﴾
افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين النعم ﴿واتقوا﴾ ان لم تؤمنوا ﴿يوما﴾ لا
تجزى في ذلك اليوم ﴿نفس﴾ من النفوس ﴿عن نفس﴾ اخرى ﴿شيئا﴾ من الاشياء او شيئا من الجزاء ﴿ولا يقبل منها عدل﴾
اى فدية ﴿ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون﴾ وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك
فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح ﴿واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات﴾ شروع
في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي عليه السلام من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابرهيم عم وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة
وان ما يدعونه من انهم على ملته عم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابرهيم وابنائه الانبياء عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل
الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه

ابرهيم

ابرهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب
به النبي عم بطريق التلوين اى اذكر لهم وقت ابتلائه عم ليذكروا ما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك
فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر
اى واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال آه والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر
معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابرهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال
والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه
غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا
عن تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من
الكياسة فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابرهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني
والعربي الا يرى ان ابرهيم تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون
صغارا الى يوم القيمة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى في الروضة ابرهيم عليه السلام
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عم وايذان بان ذلك
الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته
على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور
ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة المرضية واقعة بعد ظهور استحقاقه
عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابرهيم عم كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة
بعدها ورد بانباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا
في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن
الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابرهيم عم اول من قص الشارب
واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابرهيم ابتلاه
الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون آه وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخره
وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشياء الشمس
والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي محاجته قومه والصلوة والزكوة والصوم
والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عم الذي خلقني
فهو يهدين الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق
الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابرهيم ونصب ربه اى دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن او لا
﴿فاتمهن﴾ اى قام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابرهيم الذي وفى وعلى
القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابرهيم ربه بقوله رب
اجعل الآيات وقوله عز وجل ﴿قال﴾ على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان
الابتلاء بتمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد حكايتهما ترتقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل
فماذا كان بعد ذلك فقيل قال ﴿اني جاعلك للناس اماما﴾ او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة عما
ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصابه بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف
القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اى وقال اذ ابتلى آه والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما
واسم الفاعل بمعنى المضارع واكد منه للدلالة على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك

ابرهيم اسم اعجمي

فلا يناسبه بعض تفسيرات الكلمات منه

على الاصطلاح المشهور في الكلمة منه

اى لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبى امام لامته وامامته
عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبى الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال استئناف مبنى على سؤال مقدر كأنه
قيل فماذا قال ابرهيم عم عنده فقيل قال ومن ذريتى عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتى
كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اى واجعل فريقا من ذريتى اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل
وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتى والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذرووة
او ذروية فاجتمع فى الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو وياء و
سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصارت ذرية او فعيلة منهما والاولى ذريوة فقلبت الواو
ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية فادغمت الياء فى مثلها فصارت ذرية او فعلية
من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذرئية فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة فى المبدلة او فعلية
من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالى الامثال كما فى تسرى وتقضى وتظنى فادغمت الياء
فى الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهى لغة فيها وقرأ ابو جعفر
المدنى بالفتح وهى ايضا لغة فيها قال استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدى الظالمين ليس
ردا لدعوته عم بل اجابة خفية لها ووعد اجمالى منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم بنيل عهد الامامة حسبما وقع فى استدعائه عليه السلام
من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس معناه
انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادى الامامة
من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المعتدون بالائمة من الامة فى سلك الغاوين وفى تفصيل كل فرقة
من الاطناب ما لا يخفى مع ما فى هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما
اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عم كاسمعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود و
سليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هى حاصلة فى ضمن
امامة ابرهيم عليه السلام تنال كلا منهم فى وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على ان عهدى مفعول قدم على الفاعل اهتماما
ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى
واذ جعلنا البيت اى الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا منصوب باذكر مقدرا اذ ابتلى على انه العامل فيه او مضمر مستقل معطوف
على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اى مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع
ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثانى واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام فى قوله تعالى للناس متعلقة
بمحذوف وقع صفة لمثابة اى مثابة كائنة للناس او بجعلنا اى جعلنا لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين
وامنا اى امنا كما فى قوله تعالى حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اى ذا امن او على الاسناد
المجازى اى امنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حسبما
يخرج على ما هو رأى ابى حنيفة رح ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شئ كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد
اعتيد فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب
واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اى وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ
وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذى يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كأنه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل فى
اذ وقيل هى جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عم ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر فيه كالذى
فهو مما سيق الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه اثر قدمه عم والموضع الذى كان عليه حين قام
ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء روى انه عم
اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر رضى الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت

وقيل

وقيل المراد الامر بركعتى الطواف لما روى جابر رضى الله عنه انه عم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعى فى وجوبها قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة و
المزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضى عطفا على جعلنا
اى واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم
واسمعيل اى امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتى بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا اذ
يجوز ان يكون صلتها امرا ونهيا كما فى قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان جواز كونها فعلا انما هو لدلالته على
المصدر وهى متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية فى صلة الموصول الاسمى انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا يوصف بها
الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفى فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهى
صلة حيث يتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال او اى طهراه
على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام
لا ينافى ما فى سورة الحج من تخصيصه بابرهيم عم فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت
وكان اسمعيل عم حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهى وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر
حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين
حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين فى الصلوة كما فى قوله عز وجل للطائفين والقائمين
والركع السجود جمع راكع وساجد اى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلى ولتقارب الاخيرين
ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما اى اخلاصه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت
مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابرهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او
بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كليلة نائم اى اجعل هذا الوادى من
البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم انه عم لما اسكن اسمعيل
وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت
آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال ربنا
انى اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا فى سورة ابرهيم عم حمل على ان ذلك السؤال انما كان بعد ما كان الوادى
البلدية والامن فاستجيب ان يكون بعد ما تأخر الاجراء فى المقدر لو ما يعقبه من الحكاية البارعة من تكرير السؤال جميعا لطلب
فى الاعتبار والاهتمال وكان المسئول اولا البلدية والبلدية وتجرد الامن المصحح لتكاثر ما اوجب فى ذلك تاما
الامن المعهود او كان هو المسئول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثانى لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل
البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلى او لان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال
وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء
عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوى اليه كما سيأتى تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله
من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى
انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الطائف كانت من ارض
فلسطين فلما دعا ابرهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهرى انه تعالى نقل قرية من
قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عم من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء
اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما لشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه فى الايمان وزجر عن الكفر
ان فى حكاية مرغبا ومرهبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استئناف مبنى على السؤال كما مر واسناده الى ضميره تعالى ومن كفر
عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او فى حيز

بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا
لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو معطوف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانها قياس كانه ام قاس
الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه
قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ
ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابرهيم عم وفي قال ضمير وانما فصله عما
قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضيل
والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر
يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابرهيم على احد الطريقين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز
من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو
الذي بني عليها لكنها لما التاما صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه
ويرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم
شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روي
ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي
فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عم اربعين حجة
من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى
زمن ابرهيم عم ثم امره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابرهيم عم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل
الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابرهيم في ظلها الى ان وافى مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد
ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل
تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال
الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم م
ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عم ومنها بناء آدم عم ذكره البيهقي في دلائل
النبوة وروي فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له
ابنيا لي بيتا فخط لهما جبريل وجعل آدم عم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه اوحى اليه
ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عم عندما
رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عم وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا
يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان جاء الغرق في عهد نوح عم ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عم وهو منصوص عليه
في القرآن مشهور فيما بين خاص وعام ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها
بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء للكل بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى
حين بناها شيث عم انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابرهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو
ابرهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول
اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا
تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل

هو الداعي

انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة

في بناء الكعبة

هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابرهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية
المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله
تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية
حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة
تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما و
اخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار
اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه
ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي
في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال
والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضاء المقام وايجاب ما سبق
من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عم ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد واياما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص
والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم
ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل
لولا الحمقاء لخربت الدنيا وقيل ارادا بالامة المسلمة امة محمد عم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف
والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى
التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة
والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس
وتب علينا استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما
لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له
فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث
فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلعم فهو الذي اجيب دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في
آخر الزمان قال عم انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابرهيم عم بالاستجابة به لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له
عليهما السلام يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب اي القرآن
والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي
انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور التي هي المصلحة والجملة
تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف العزة
مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي
الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه
وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص
الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ونحو قوله ونأخذ بعده
بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد
من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه
سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد

لولا الحمقاء لخربت الدنيا

فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا﴾ اى اخترناه بالنبوة
والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة
مقررة لمضمون ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى ﴿وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾ اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة و
الخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخرا وحالا مقدرة فان من كان
صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض
عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد بان
واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين
على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم من تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته
حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظها اى وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظها اى اعني في الآخرة
كقولك لك بعدا رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه
لمن الصالحين ﴿اذ قال له﴾ ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق
بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب باذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم
وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ﴿ربه اسلم﴾ اى لربك
﴿قال اسلمت لرب العالمين﴾ وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام
من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم اى اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك
الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة
الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده
كما هو المأمور به ﴿ووصى بها ابراهيم بنيه﴾ شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام
والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من فعل وقول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما
تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ﴿ويعقوب﴾ عطف على ابرهيم اى وصى
بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه ﴿يا بني﴾ على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول
كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى
القول وقرئ ان يا بني وبنو ابرهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكانوا بنو
يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخر وزبولون ودوانا وتفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف
﴿ان الله اصطفى لكم الدين﴾ دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى ﴿فلا تموتن الا وانتم مسلمون﴾ ظاهره النهي
عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا
وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر
ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات
فنزلت ﴿ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت﴾ ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابرهيم عليه السلام و
شهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد
بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابرهيم عليه السلام الى توبيخهم
على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء هنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام
بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون ان ابرهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى
﴿اذ قال لبنيه﴾ بدل من اذ حضر اى كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ اى اي شيء تعبدونه بعد موتي

ممن

ممن اين لكم ان تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى
على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته
بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان
سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى ﴿قالوا﴾ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب
عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ﴿نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق﴾ حسبما كان مراده
عليه السلام اى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد او لقوله عليه السلام عم الرجل
صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا
بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابرهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك
﴿الها واحدا﴾ بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف
لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ﴿ونحن له مسلمون﴾ حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل
ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق ﴿تلك امة﴾ مبتدأ وخبر والاشارة الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة
هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها ﴿قد خلت﴾ صفة للخبر اى مضت بالموت وانفردت عمن
عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها ﴿لها ما كسبت﴾ جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى
لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اى لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية
لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ﴿ولكم ما كسبتم﴾ عطف على نظيرتها على الوجه
الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال
اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين
اى ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام
اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فتبين امتناعه
بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم
لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ﴿ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ان اجري
السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقرير الظاهر وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى
النتيجة وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات
الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اى لا تؤاخذون
بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان امتناعه ﴿وقالوا﴾ شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان
ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن [illegible]
[illegible] ﴿كونوا هودا او نصارى﴾ [illegible]
[illegible] اى قالت اليهود كونوا هودا
والنصارى كونوا نصارى [illegible]
على ما هو المرام ﴿تهتدوا﴾ جواب للامر ﴿قل﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] ﴿بل ملة ابرهيم﴾ اى لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملة ابرهيم
وقيل بل نتبع ملة ابرهيم [illegible] ﴿حنيفا﴾ اى مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه [illegible]
[illegible] ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض بهم [illegible]

ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿قولوا﴾ خطاب للمؤمنين بعد خطابه عم برد
مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا و
ارشادا وضمنا لهم اليه ﴿آمنا بالله وما انزل الينا﴾ يعني القرآن قدم على سائر الكتب المتقدمة مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا
ولكونه سببا للايمان بها ﴿وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط﴾ الصحف وان كانت نازلة الى ابرهيم عم
لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عم وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق
﴿وما اوتي موسى وعيسى﴾ من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء
لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى ﴿وما اوتي النبيون﴾ اى جملة المذكورين وغيرهم
﴿من ربهم﴾ من الآيات البينات والمعجزات الباهرات ﴿لا نفرق بين احد منهم﴾ كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض
وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما
اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك
صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف
بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره
اى بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبيني وفيه
من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق
بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ﴿ونحن له مسلمون﴾ اى مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على
آمنا ﴿فان آمنوا﴾ الفاء للترتيب بعد ما علم قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتاب
لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم ﴿بمثل ما آمنتم به﴾ اى بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد
شاهد من بني اسرائيل على مثله اى عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان يكون الباء
للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بوروده آنفا وعلى ان الفعل اجري مجرى اللازم اى فان آمنوا بما تم منقلا او
فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية اى فان آمنوا ايمانا
مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكون للملابسة اى فان آمنوا ملتبسين به او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما انتم عليه
من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وصفتم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان غير
ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه لتحقق المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد ﴿فقد اهتدوا﴾ الى الحق واصابوه كما اهتديتم
وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا
فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطريق فيأباه ان المقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون
له طريق آخر وراءه ﴿وان تولوا﴾ اى اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان آمنوا ببعض
وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم ﴿فانما هم في شقاق﴾ المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف
والمعاداة والعداء من العدوة اى الجانب فان احد المتخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويوليه جانبه ويأخذ في شق
غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اى هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال
الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم
عن الايمان كجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما بتأويل فاعلموا انما
هم في شقاق وهذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على
منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا
امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق بجلالة النظم الكريم عليه وما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان

ذلك

ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلعم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمن
التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل ﴿فسيكفيكهم الله﴾ اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تكون
بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي
مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق
ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عم اتم واكمل ﴿وهو السميع
العليم﴾ تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك
الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من
تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين ﴿صبغة الله﴾ الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي
يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره
الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف
الى ضمير المتكلمين للتشريف وللايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل
معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كأنه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل
الاغراء اى الزموا صبغة الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان ذلك الايمان الحق وبه الاهتداء و
مسارعة الى تسليته عم ﴿ومن احسن من الله﴾ مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى ﴿صبغة﴾ نصب على التمييز
من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اى لا صبغة احسن
من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الآية وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن
للحقيقي والوضعي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله
من معنى التبجح والابتهاج ﴿ونحن له﴾ اى لله الذي اولانا تلك النعمة الجليلة ﴿عابدون﴾ شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم
الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل
الاغراء بتقدير القول اى الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون وقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجري مجرى
التعليل للاغراء ﴿قل اتحاجوننا﴾ تجريد الخطاب للنبي صلعم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان
المأمور به من الوظائف الخاصة به عم وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اى اتجادلوننا ﴿في الله﴾
اى في شأنه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا ﴿وهو ربنا وربكم﴾ جملة حالية وكذلك
ما عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا وربكم ﴿ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم﴾ الحسنة
الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ﴿ونحن له مخلصون﴾ في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه
فاني لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه ﴿ام تقولون﴾
ام معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اى الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية
ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ﴿ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط كانوا هودا او نصارى﴾ فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة
ببل والهمزة للانكار والتوبيخ انتقالا من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم
لا من جهته عم على نهج الالتفات كما قيل فان مرادا قيل من المعنى اتحاجوننا في شأن الله واصطفائه نبيا من العرب
دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت والمعنى قولوا لهم

وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كما
أكرمكم بأعمالكم كأنهم ألزموهم على كل مذهب ينتحونه إفحاماً وتبكيتاً فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء وإما
إفاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص فكما أن لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله تعالى في إعطائها فلنا أيضاً
أعمال ونحن له مخلصون أي لا أنتم لمنع عدم ملاءمته لسياق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون كلمة أم معادلة للهمزة غير صحيح
في نفسه لما أن المراد بالأعمال من الطرفين ما أشير إليه من الأعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في أن مدار الصلاح والسوء هو على
موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الأعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة
بمراتب قل أأنتم أعلم أم الله إعادة الأمر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الإنكار عليهم بل للإيذان بأن ما بعده ليس متصلاً
بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحاً لظهوره وهو تصريحهم بما نحوا عليه من الافتراء
على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون وقوله عز قائلاً
قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي فإن تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للإيذان
بأن بينهما كلاماً لصاحبه متعلقاً بالأول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله أي كذبهم في ذلك وبكتهم قائلاً إن الله يعلم
وأنتم لا تعلمون وقد نفى عن إبراهيم كلا الأمرين حيث قال ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً واحتج عليه بقوله تعالى وما أنزلت
التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام أتباعه في الدين وفاقاً فكيف تقولون ما تقولون سبحان
الله عما تصفون ومن أظلم إنكار لأن يكون أحد أظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى
لهم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفاً فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الإنكار وتأكيده
فإن ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من أقوى الدواعي إلى إقامتها وأشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الأول
مع أنه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الأدنى إلى الأعلى والمعنى أنه لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة
وأثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الأظلمية بمطلق الكتمان للإيذان بأن مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة
عن دائرة البيان أو لا أحد أظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم إقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية أظلمية أهل الكتاب
على نحو ما أشير إليه وفي إطلاق الشهادة مع أن المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل
للنبي صلعم في التوراة والإنجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم
على الأنبياء عليهم السلام دخولاً أولياً أي هو محيط بجميع ما تأتون وتذرون فيعاقبكم بذلك أشد عقاب وقرئ عما يعملون
على صيغة الغيبة فالضمير إما لمن كتم باعتبار المعنى وإما لأهل الكتاب وقوله تعالى ومن أظلم إلى آخر الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم
بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر
عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيراً عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة
الأولى الأنبياء عليهم السلام وبالثانية أسلاف اليهود سيقول السفهاء أي الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض
عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه إذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول
والمراد بالسفهاء اليهود على ما روي عن ابن عباس رضه ومجاهد رضه قالوه إنكاراً للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته
لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الأنسب بقوله عز وعلا ألا إنهم هم السفهاء وإنما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا
لاعتقادهم حقية القبلة الأولى وبطلان الثانية إذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل إلى الكعبة
بل طعناً في الدين فإنهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها وليرجعن إلى دينهم أيضاً وقيل هم القادحون في التحويل
منهم جميعاً فيكون قوله تعالى من الناس أي الكفرة لبيان أن ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف
الثلاث بل عن أشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم
من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل والارتضاء به بل عدم التفوه بالقدح مطلقاً
أو بالعبارة المحكية ما ولاهم أي أي شيء صرفهم والاستفهام للإنكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كا

كالوجهة

كالوجهة من المواجهة وهي التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة إذا لم يهتد لجهة
غلبت على الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة والمراد بها ههنا بيت المقدس وإضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى
التي كانوا عليها أي ثابتين مستمرين على التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الإنكار فإن الاختصاص بالشيء والاستمرار
عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فإن أريد بالقائلين اليهود فمدار الإنكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم أنه خطأ وإن أريد بهم
المشركون فمداره مجرد القصد إلى الطعن في الدين والقدح في أحكامه وإظهار أن كلاً من التوجه إليها والانصراف عنها واقع بغير داع إليه
لا لكراهتهم الانصراف عنها والتوجه إلى مكة وتعليق الإنكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم إلى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما أن ترك الدين
القديم أبعد عن العقول وإنكار سببه أدخل للإيذان بأن المنكرين هم اليهود بناء على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس
الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه إلى خصوصية قبلة أخرى أو هم المشركون بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه
الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه الحق عندهم فإنه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من أحد الفريقين لا محالة والإخبار
بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبكتهم فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق
وأشد وجواب العنيد أشغب للخصم الألد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا
أقول عند ذلك فقيل قل إلخ أي لله تعالى ناحيتا الأرض أي الجهات كلها ملكاً وملكاً وتصرفاً فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها
قبلة دون ما عداها بل إنما هي بأمر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء أن يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها إلا هو
إلى صراط مستقيم موصل إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى حسبما
تقتضيه مشيئته المقارنة لحكم أبية ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب إلى المؤمنين من بين المخاطبين المختصين بالرسول
لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع
القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة
المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة
من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطاً جعلاً كائناً مثل ذلك الجعل فقدم
على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي ذلك الجعل البديع جعلناكم
أمة وسطاً أي عدولاً أخياراً وهو في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة [illegible]
لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعوار والأوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي كانت
هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملابسة بينها وبين أهلية
الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالعفة
التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة هي كيفية متشابهة
حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق الوسط على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع
والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هي أن الجعل المشار إليه
عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى إلى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة
عن القصد إلى الجوانب فإنا إذا فرضنا خطوطاً كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط
تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطاً بين الطرق الجائرة كون الأمة المهدية إليه أمة وسطاً بين الأمم السالكة إلى
تلك الطرق الزائغة أي متصفة بالخصال الحميدة خياراً وعدولاً مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بأن الله
عز وجل قد أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا وأنذر من تذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن العدالة
كما أشير إليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة
القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار إلى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيراً كثيراً كان المتصف بها واقفاً على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين

حاويا لشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم في
الحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم فيمن بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلعم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون
علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي عم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك
قوله عز قائلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس
في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عم بهم وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها خطاب للنبي صلعم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته به عم وليس الموصول صفة للقبلة
بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت
الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل
ولكن التامل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود
هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عم كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او هي
الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من ان قبلته عم بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه
الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتاتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة
الجهة التي كنت عليها اولا بمكة اعني الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم
استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا ليمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع
الرسول في التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عم بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع
ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان
لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلة وضعف ايمانه
والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عم والمؤمنين و
اسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي
هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام او بقوله
الثاني ممن ينقلب اه اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة
من المثقلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم
الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا
كرام واصله وان هي لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح
اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عم وما كان الله ليضيع ايمانكم اي
صح واستقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي
انه عم لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى البيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر
المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع اه ففي توجيه النفي
الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في
زيادتها عملها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه
عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما
في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم صافية
عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك
في السماء اي تردد وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلعم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه

ان يحوله الى الكعبة لانه قبلة ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي
نزول جبريل عم بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة ترضاها الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على
قسم محذوف [illegible] اي فوالله لنولينك [illegible]
[illegible] ترضاها [illegible] لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك [illegible]
[illegible]
التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن [illegible] شطر المسجد الحرام اي نحوه [illegible]
[illegible]
[illegible] المسجد الحرام [illegible]
[illegible] فولوا وجوهكم شطره [illegible]
[illegible]
[illegible]
التعرض لاختلاف اماكنهم لتأكيد الحكم وتصريح العموم لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية
وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان
الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق
لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وعلمهم بما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام
يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول باعتبار الكتاب وان مع اسمها وخبرها سادة مسد مفعولي يعلمون
او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم
او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد
للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع
الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يرغمهم منه من الكتاب الناطق بحقيته ما كابروا في قبوله
بكل اية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد
جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي عم لعدم تعميم
الامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة
على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا
الذي ننتظره تقريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم
مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة
وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم
لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية
ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا
انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه
ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك واذن حرف جواب
وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حقها ان يتقدم او يتأخر فلم يتقدم لئلا يتوهم انها
لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم يتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد

من وجوه تعظيماً للحق المعلوم وتحريضاً على اقتفائه وتحذيراً من متابعة الهوى واستفظاعاً لصدور الذنب من الانبياء عليهم
الذين آتيناهم الكتاب اى علماؤهم اوثر التعدية فى ايتائه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما فى حيز
الصلة للحكم والضمير المنصوب فى قوله تعالى يعرفونه للرسول صلعم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عم من حيث
ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطوراً فى الكتاب منعوتاً فيه بالنعوت التى من جملتها انه عم يصلى الى القبلتين كانه قيل الذين
آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شأنه عم
وانه علم معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او لما الذى هو الوحى والقرآن او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل
كما يعرفون ابناءهم اى يعرفونه عم باوصافه الشريفة المكتوبة فى كتابهم لا تشتبه عليهم كما لا تشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر
دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضى الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن رسول الله
فقال انا اعلم به منى بابنى فقال ولم قال لانى لست اشك فيه انه نبى فاما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضى الله تعالى عنهما
وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون
الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما فى تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما
كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبى
او الى الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا غيره كالذى عليه اهل الكتاب او على انه
خبر مبتدأ محذوف اى هو الحق وقوله تعالى من ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون
وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من اظهار اللطف به عم ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين
اى الشاكين فى كتمانهم الحق عالمين به وقيل فى انه من ربك وليس المراد به نهى الرسول عم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عم
وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه
الابلغ ولكل اى لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اى قبلة وقد قرئ كذلك او لكل
قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اى موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ
ولكل وجهة الله موليها اياها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اى هو مولى تلك الجهة وقد وليها
فاستبقوا الخيرات اى فتسابقوا اليها بنزع الجار كما فى قوله ثنائى عليك الحرب ومن يمل سواكم فانى مهتد غير مائل وهو ابلغ
من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيرها مما ينال به سعادة الدارين
او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف
مجتمع الاجزاء ومتفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما
تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة
والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر فى حالتى السفر
والحضر ومن متعلقه بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف عليه اى من اى مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند
صلوتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اى مكان خرجت اليه فول آه وانه اى هذا الامر للحق من
ربك اى الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ
يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه فى اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة
والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفاً وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين
حسبما يؤذن به ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين فى الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو
قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين فى الاماكن المختلفة من حيث انهم مقيمون فيها فولوا وجوهكم من محالكم
شطره والتكرير لما ان القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحرى ان يؤكد امرها مرة بعد اخرى مع
انه قد ذكر فى كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام

كانه

كانه قيل فعلنا ذلك لئلا آه والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت فى التوراة [illegible]
احتجاج المشركين بانه [illegible] الا الذين ظلموا منهم [illegible]
[illegible]
فلا تخشوهم [illegible] واخشونى [illegible]
ولاتم نعمتى عليكم [illegible] ولعلكم تهتدون [illegible]
[illegible]
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم [illegible]
يتلوا عليكم آياتنا [illegible]
ويعلمكم الكتاب والحكمة [illegible]
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون [illegible]
[illegible]
فاذكرونى اذكركم [illegible]
واشكروا لى [illegible] ولا تكفرون [illegible]
يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة [illegible]
ان الله مع الصابرين [illegible]
ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات [illegible] بل احياء [illegible]
ولكن لا تشعرون [illegible]

وثلثين وتسعمائة انّي ازور قبور شهداء احد رضي الله عنهم واتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران وارددها متفكرا في امرهم و
نفسي ان حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من
الهيأة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر ظنا اني علم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لم يظهر
لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرأيته ينظر الي مبتسما كأنه ينبهني على ان الامر بخلاف رأيي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية
نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت
دراكة وعليه جمهور الصحابة لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي [illegible] والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله
عز وعلا • ولنبلونكم • لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء • بشيء من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا
عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة • ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن
الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي عليه السلام اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا
في الجنة وسموه بيت الحمد • وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون • الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه [illegible] فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع
باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه [illegible] ما استرده منه فيهون
ذلك على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده • اولئك • اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم • عليهم صلوات من ربهم ورحمة • الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة [illegible] والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة الفائضة من
مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم [illegible]
[illegible] • واولئك • اشارة اليهم [illegible]
والرحمة [illegible] • هم المهتدون • للحق والصواب [illegible]
[illegible]
[illegible] • ان الصفا والمروة • علمان لجبلين بمكة [illegible]
[illegible] • من شعائر الله • [illegible]
[illegible] • فمن حج البيت او اعتمر • [illegible]
[illegible] • فلا جناح عليه ان يطوف بهما • [illegible]
[illegible]
[illegible] • ومن تطوع خيرا • [illegible]
[illegible]

اقبضتم ولد عبدي
اقبضتم ثمرة قلبه

فان الله شاكر • اي مجاز على الطاعة عبّر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى العباد • عليم • مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم
وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم
ان الذين يكتمون • قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي عليه السلام وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس
ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم
شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يأبى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا
مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع شيء آخر في موضعه
وهو الذي فعله هؤلاء • ما انزلنا من البينات • من الآيات الواضحة الدالة على امر محمد صلعم • والهدى • اي والآيات الهادية
الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف
لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم • من بعد
ما بيناه للناس • متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى
في الكتاب • فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او بالاخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله
اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير
لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته
ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه السلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الى آخره
اولئك • اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم
في الفساد • يلعنهم الله • اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة
وادخال الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين من وصف
الجمال والرحمة • ويلعنهم اللاعنون • اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمني الثقلين
والمراد بيان دوام اللعن واستمراره عليه يدل الاستثناء المتصل بقوله تعالى • الا الذين تابوا • اي عن الكتمان
واصلحوا • اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف • وبينوا • للناس معانيه فانه
غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا وآخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي
كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه وليقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح
والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك • اتوب عليهم • اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى
وانا التواب الرحيم • اي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان
في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعله تعالى السابق واللاحق • ان الذين كفروا • جملة
مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار
على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلثة
مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان
وعدم التوبة • وماتوا وهم كفار • لا يرعوون عن حالتهم الاولى • اولئك • الكلام فيه كما في ما قبله • عليهم • اي مستقر
عليهم • لعنة الله والملائكة والناس اجمعين • ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل
الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني
ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر
اي ويلعنهم الملائكة • خالدين فيها • اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لامرها
لا يخفف عنهم العذاب • اما استئناف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير

خالدين على وجه التداخل ومن الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبلها جار فيه ما جرى فيه واثبات الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اى المستحق منكم للعبادة اله واحد اى فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدا او صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود آلها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اى في ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها طبقات متفاصلة بالحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اى اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على ما قبله وتأنيثه اما بتأويل السفينة او بانه جمع فان ضمته للجمع مغايرة لضمته الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية اما ابتدائية او تبعيضية وايا ما كان فتأخيره لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك والسحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اى فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله وان لساني شهدة يشتفى بها وكن على من صبه الله علقم وقوله لعل الذي اصعدتني ان يردني الى الارض ان لم يقدر لخير قادره على معنى فاحيا بالماء الارض وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على انزل اى تقليبها من مهب الى آخر ومن حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اى يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي عليه السلام آية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لحال ركاكة آراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه

ثلثمائة وستون صنما حول الكعبة

شي

شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر ومن دون الله متعلق بيتخذ اى من الناس من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعينه تعالى بالذات غب تعينه بالصفات اندادا اى امثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها في قوله عز وعلا يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم لها بما يوصف به العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منها حب حبا ومحبة لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في محل النصب على انها صفة لانداداً او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهي اى نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم لله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب لا في وصفه كما او كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول اى كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير الى ما اسلفناه في تفسير قوله تعالى كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اى المؤمنون اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم ومآله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومباد موهومة يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم افترائه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة اى لو علموا اذ عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل اجراء لها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع عليه اى لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله تعالى جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب على الاستئناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى اذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقرئ بالعكس اى تبرأ الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب اى الوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرؤ وقد جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين

اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا • لو ان لنا كرة • اي ليت لنا رجعة الى الدنيا
فنتبرأ منهم • هناك • كما تبرءوا منا • اليوم • كذلك • اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته وكمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدر اي مثل ذلك الاراء الفظيع • يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم • اي ندامات شديدة
فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤمله واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يري ان
كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم • وما هم بخارجين من النار •
كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة
امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد سباق يبذ المغاليا • يا ايها الناس كلوا مما في الارض • اي بعض ما فيها
من اصناف المأكولات التي من جملتها ما حرمتموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني
عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى • حلالا • حال من
الموصول اي كلوه حال كونه حلالا ويؤيد الاول قوله تعالى • طيبا • فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل • ولا تتبعوا خطوات الشيطان • اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فانه
صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى
وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء
وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة كانها على الواو وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة
من الخطو • انه لكم عدو مبين • تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سمي وليا في
قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت • انما يأمركم بالسوء والفحشاء • استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته
معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب
لاشتراكها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة • وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • عطف على الفحشاء اي
وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون توجه
منه تعالى لا بتقولهم عليه ما لا يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة
دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال
فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن المجتهد لما ادى اليه ظنه مستند الى مدرك شرعي
فوجوبه قطعي والظن في طريقه • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله • الالتفات الى الغيبة للتسجيل بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر
من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة
والارشاد اتبعوا الكتاب الذي انزل الله • قالوا • لا نتبعه • بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا • اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق
بنجد ومتعلق وقع حالا من آباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له متقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن
وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم
الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام
فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يتم ما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعوا الى الاسلام وقوله
عز وجل • اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • استئناف مسوق من جهته تعالى رد لمقالتهم الحمقاء واظهار لبطلان
آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام
ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد عرف بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها
على ابعدها منه وما ناه له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق

او مفعول كلوا على ان من ابتدائية او تبعيضية ويجوز كونه صفة لمصدر موكد اي اكلا حلالا ع

مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن
ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الحال
في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس
مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد وغالبا يجب فيما نحن فيه لما ان
كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو
مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته
للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه
امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلتبسوا من التصريح بنسبة آبائهم الى كمال الجهالة والضلالة
جلد النمر فيركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة اتباعهم لا بائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر
احتمالا بعيدا فلأن يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا
يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل
ايتبعون دين آبائهم حال كونهم عاقلين ومهتدين وجاهلين ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين
غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم
الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت
الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي لا الى
ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان
يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه
اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون آه فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه
على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع آه واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكاره
بقيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه
بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان المغني يدور على معنى العطف
في سائر الامثلة ايضا • ومثل الذين كفروا • جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة
ما بعده عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من
الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابتها بان يسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق
وعدم رفعهم اليه رأسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء من غير
ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم • كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء • من البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعي ونعيقه
بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه ومنعوقه ما في حيز الصلة مع
مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق
بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها
بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا
غني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل عن ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين
صم بكم عمي • بالرفع على الذم اي هم صم آه • فهم لا يعقلون • شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل

في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع آياته تعالى ومشاهدة حججه الواضحة والمعارضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد
انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية • يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم • اي من مستلذاته • واشكروا لله
الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة • ان كنتم اياه تعبدون • فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري • انما حرم عليكم الميتة • اي اكلها او
الانتفاع بها وهي التي ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف واستثناء الشرع خروج الطحال عن الدم • والدم ولحم
الخنزير • انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه بمنزلة التابع له • وما اهل به لغير
الله • اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عند ما سمي في ذلك
اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره • فمن اضطر غير باغ • بالاستئثار على مضطر آخر • ولا عاد • سد الرمق والجوعة وقيل
غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رح • فلا اثم عليه
في تناوله • ان الله غفور • لما فعل • رحيم • بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر
الحرمة على ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها • ان الذين
يكتمون ما انزل الله من الكتاب • المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفا وقال ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلعم • ويشترون به • اي يأخذون بدله • ثمنا قليلا • عوضا حقيرا وقد مر التعبير
عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة وقوله تعالى • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد
للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • ما يأكلون في بطونهم الا النار • والجملة خبر لان او اسم الا
مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون آه ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار
واكله اكلها كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في المآل عين النار عقوبة على اكلهم
الرشى في الدنيا وبطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في
بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه
على حرف الاستثناء والا فتعليقه بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلهم الى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقا عليها • ولا
يكلمهم الله يوم القيامة • عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى • ولا
يزكيهم • لا يثني عليهم • ولهم • مع ما ذكر • عذاب اليم • مؤلم • اولئك • اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة
لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة تستهجنها
تنفر عنها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه وابراز فظاعته بتمامه وهو مبتدأ خبره الموصول
اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا المشترون للثمن ان قل ما هم • الذين اشتروا • بالنسبة الى الدنيا • الضلالة
التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا • بالهدى • الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلته شيء وان جل • والعذاب • اي شروا بالنسبة الى
الآخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى • بالمغفرة • التي يتنافس فيها المتنافسون • فما اصبرهم على النار • تعجيب من حالهم الهائلة
التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها
كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على
النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع
ذلك • العذاب • بان الله نزل الكتاب • اي جنس الكتاب • بالحق • اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان
وركب متن الجهل والغواية مبتليا بمثل هذا من افانين العذاب • وان الذين اختلفوا في الكتاب • اي في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا
ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التورية بان آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر

وبعضهم

وبعضهم اساطير كما حكي عن المفسرين • لفي شقاق بعيد • عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب • ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب • البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت
الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة
النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا
بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر
خبر ليس مقدما على اسمها كما في قوله سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة
وليس علينا في الخطوب معول وانما اختير ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به
والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه
اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون البر موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما
ينفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل • ولكن البر من آمن بالله • وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل
لخصال البر مما لا يختلف باختلاف فيها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا
من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله • واليوم الآخر • اي على ما
هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتاب
حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من
الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة • والملائكة • اي و
بانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب • والكتاب • اي بجنس الكتاب الذي
من افراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلعم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا
• والنبيين • جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وقع
في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله • وآتى المال على حبه • حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا
على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رض ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي
آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض بباذلي الرشى واخذيها لتغيير التورية وقيل للمصدر اي كائنا على حب
الايتاء • ذوي القربى • مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو
روعي الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني • واليتامى • اي المحاويج
منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة • والمساكين • جمع مسكين وهو الدائم
السكون لما ان الحاجة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس • وابن السبيل • اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي
القاطع ابن الطريق وقيل الضيف • والسائلين • الذين الجأتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عم اعطوا السائل ولو جاء على
فرس • وفي الرقاب • اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اوتوا كما في
الوجهين او بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في الظرفية المنبئة عن احاطتهم بما
يؤتى • واقام الصلوة • اي المفروضة منها • وآتى الزكوة • اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم
على الفريضة مبالغة في الحث عليه والمراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لبيان وجوب الاداء • والموفون بعهدهم
عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد
ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى • اذا عاهدوا • للايذان بعدم كونه من ضروريات
الدين • والصابرين • نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله في

اعطوا السائل
ولو جاء على فرس

او على انها ذكرت صفة للمدح او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة
ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما مر في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين · في البأساء · اي في
الفقر والشدة · والضراء · اي المرض والزمانة · وحين البأس · اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار
بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه · اولئك · اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد
لما مر مرارا من الاشعار بعلو طبقتهم وسمو رتبتهم · الذين صدقوا · اي في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث لم يغيرهم الاحوال
ولم يزلزلهم الاهوال · واولئك هم المتقون · عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير
للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والاية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها
وتشعب شجونها منحصرة في خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى
الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا
بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان · يا ايها الذين آمنوا
شروع في بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخالفين مما ذكر من اصول الدين وقواعده التي عليها بني اساس الحسنات المعاد
كتب عليكم · اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او
القاتلين · القصاص في القتلى · اي بسبب قتلهم كما في قوله عم ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسببها · الحر بالحر والعبد بالعبد و
الانثى بالانثى · كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلعم فنزلت فامرهم ان يتباوءوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي ايضا لان
اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ههنا وانما تمسك في ذلك بما روى مالك
رح بما روى علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلعم ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر رضي الله عنه وعمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على
الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب
على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل و
نصب القصاص · فمن عفي له من اخيه شيء · اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة في اسقاط
القصاص من هو الواقع غالبا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف
اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال
ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال
الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا تعدى بعن الى الجاني والذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال
عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة
الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم ومن تحريك سلسلة الرقة والعطف عليه · فاتباع بالمعروف · فالامر اتباع او فليكن اتباع و
المراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل · واداء اليه باحسان · حث للمعفو عنه على ان
يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس · ذلك · اي ما ذكر من الحكم · تخفيف من ربكم ورحمة · لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على
اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة
بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل · فمن اعتدى بعد ذلك · بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد
العفو او اخذ الدية · فله · باعتدائه · عذاب اليم · اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار · ولكم في القصاص
حيوة · بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا
الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير
القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى

ان رجلا قتل عبده

وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران
لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة
للقلوب · يا اولي الالباب · اي ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى
التأمل في حكمة القصاص · لعلكم تتقون · اي تتقون انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او
من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي اليه · كتب عليكم · بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة · اذا حضر احدكم الموت ·
اي حضر اسبابه وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها
ان ترك خيرا · اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى
ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت
ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان
ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك · الوصية للوالدين والاقربين · مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وتذكير الفعل
مع جواز تأنيثه ايضا للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض
والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء
للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار
الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام
ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الآحاد
لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث
وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير
تبيين المراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث قال بالمعروف اي بالعدل فالآن قد رفع
ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين مراتب استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه
بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرائكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها
بكلمة التنبيه اذا تحقق هذا ظهر لك ان ما قيل من ان آية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية
مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله تعالى
من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بمعزل من التحقيق وكذا
ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ
الايصاء فهم منها تنبيه النبي عليه السلام ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية
ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية
حيث كان تفويض الامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسمية الخروج عن عهدة التكليف بادائه بالوصية انما اتى بالمعروف
يكون آية المواريث الناطقة بمراعاة الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق الناطقة بامتناع الزيادة والنقص بقولها فريضة
من الله ناسخة لها رافعة لحكمها حتما لا اشتباه على احد وقوله تعالى · حقا على المتقين · مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا
او صفة لمصدر محذوف اي ايصاء حقا · فمن بدله · اي غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود
· بعد ما سمعه · اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه · فانما اثمه · اي اثم الايصاء المغير او التبديل
· على الذين يبدلونه · لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى من لتكرير الاسناد
وتعليق الحكم بما في حيز الصلة الاولى والتنبيه على ان مدار الاثم هو التبديل والايذان بتبري الموصي من الاثم
· ان الله سميع عليم · وعيد شديد للمبدلين · فمن خاف من موص · اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرئ من
موص · جنفا · اي ميلا بالخطأ في الوصية · او اثما · اي تعمدا للحيف · فاصلح بينهم · اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج
الشريعة · فلا اثم عليه · اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف الاول · ان الله غفور رحيم · وعد للمصلح

وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية
وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما
فلن اكلم الاية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي سكنت عن الهبوب والفرس اي امسك عن العدو وقال خيل
صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم
ما تشتهيه الانفس كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتابا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة
اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا
للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من
الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق
اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت المقدار كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى
اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى
فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع
وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم فرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين
لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال
باداته لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من
المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل
شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر دل عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا
وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية عليها اتساعا فمن كان
منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح ورمز الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر
فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر اي فطر فحذف الشرط والمضاف اليه ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي
فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه
اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص
لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى
يتطيقونه واصلهما تطيوقونه وتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان
وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء
الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع
خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا اي المطيقون والمطوقون وتحملوا على
انفسكم وجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من
التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم من تحقق المنح لا الافطار من الفضيلة وجواب
محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر
رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان
وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق من الرمضاء
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث
وارد على حذف المضاف لامن من اللبس وانما سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام فيه
او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن خبر للمبتدأ على الوجه الاول وصفة

انما سمي رمضان رمضانا

لشهر

لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل نجما
الى الارض حسبما تقتضيه المشيئة الربانية او انزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من
رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان حالان من القرآن اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه
وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة
في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدأ معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة
له وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه
بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها
فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا وان كان مقيما او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر
اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله
بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف تدل عليه ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بمراعاة عدة ما افطر فيه
ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفا
على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى
يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية
والموصولية اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني في تلوين الخطاب
وتوجيهه الى رسول الله صلعم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال
العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي
اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون
راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف
التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا
له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا
حل لهم الشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الآخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي عم واعتذر اليه
فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد
يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه
ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف مبين لسبب الاحلال
وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما
على الآخر بالليل واذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي علمكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع
الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب بالسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في

اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي
عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من
الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض
الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت
فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز واكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما
التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل
بيان لآخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل
يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي
فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده
فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان
لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك
اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف ما انزل الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان
اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام
عطف على المنهي ونصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الاحكام لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال
الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرء القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ
القيس فهم به فقرأ عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان
فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما
اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما
ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط
ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه عن الحكمة في اختلاف حال القمر
وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء
وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان
المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان
المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون
ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم
والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا
او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال
عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا
بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى ليس البر بان تعكسوا مسائلكم
ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها
واتقوا الله في تغيير احكامه وفي جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان البر بر من اتقى اظهارا لزيادة اعتناء بشأن التقوى
وتمهيدا لقوله تعالى لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته

وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين
كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابين
والنساء او الكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم
في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او
بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله
لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل وحرم واصل
الثقف الحذق في ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة لذلك استعمل فيهما قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة
التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم
عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتال هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثمه فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمه لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب
وفي العدول عن صيغة المبالغة التي بها ورد النهي الشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم
والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن
القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك
ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي
فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر
الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء في ذي القعدة ايضا وكرهوا
القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه
يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شأن الانتصار واحذروا ان تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا
كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي
العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا
واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة
مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا
انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير
وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند الشروع فيهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم
من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل فانه بيان لوجوب اتمام الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان وجوب
الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلا فليس فيه دليل على
وجوب العمرة قطعا ولو ادعي ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر
للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل لما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحج ان

تلك القراءة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما
وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منهما وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي
ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل
وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الآية
الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك
جوابا لمن قال اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه
معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عم الحج جهاد والعمرة
تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده واصده
والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا
حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رحمه الله لما روي عنه عم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من
الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر
عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء
اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى
الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم في ذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن
الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل
بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا
مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية اي حلق من صيام او صدقة او نسك
بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع واذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن
وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم
جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج
اي في اشهره بعد الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقيل التحلل والاحب ان يصوم سابع
ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي
الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان
الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان
المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد
او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهي الآحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك
اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة
القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس واهل مكة عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره
ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كما يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وذو الحجة
عندنا وعشر ليال بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او
ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه

وانما سمي

وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل واطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالالف
والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او
فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع
الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشأنه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم
والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على ان ذلك حقيق بان لا يكون
فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع
والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء
الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى
اي تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون
كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار
خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل
المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولو الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا
فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا
صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علمية
وتأنيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض
لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع
المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأبى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت
وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه وقيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف
بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي عم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج
او مقدمة لذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة
العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه
عم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر
واذكروه كما هداكم اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله
من قبل ما ذكر من هدايته اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى
الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما
كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك
احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناسي بالياء
اي الناسي على ان يراد به آدم عم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله
من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم
مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلونه
بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن

آباءهم أو أشد ذكرا إما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم أو كذكر أشد منه
وأبلغ أو على ما أضيف إليه بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرا أو منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى أو كذكركم أشد مذكورية
من آبائكم أو بمضمر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس تفصيل للذاكرين إلى من لا يطلب بذكر الله إلا
الدنيا وإلى من يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الإكثار والانتظام في سلك الآخرين من يقول أي في ذكره ربنا آتنا في الدنيا
أي اجعل إيتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق أي من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الآخرة
أو من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتأكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة
والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وروي عن علي كرم الله وجهه
أن الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن أن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة
الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار أولئك إشارة إلى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم
بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الإشارة إلى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل إليهما معا فالتنوين
في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الأول للتعظيم وعلى الثاني للتنويع أي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا أو من أجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم
أغرقوا أو مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسميته الدعاء كسبا لما أنه من الأعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة
أعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله أي كبروه في أعقاب الصلوات وعند رمي الجمار وغيرها في أيام معدودات هي أيام
التشريق فمن تعجل أي استعجل في النفر فإن تفعل جاء للاستعجال يقال تعجل في الأمر واستعجل فيه ويجيء للمطاوعة يقال تعجله
واستعجله والأول أوفق للتأخر كما في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل في يومين أي في تمام
يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرءوس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار فلا إثم عليه بتعجله ومن تأخر في النفر
حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا إثم عليه بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التعجل والتأخر
ولا يقدح فيه أفضلية الثاني وإنما ورد بنفي الإثم تصريحا بالرد على أهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتأخر لمن اتقى
خبر لمبتدأ محذوف أي الذي ذكر من التخيير ونفي الإثم عن المتعجل والمتأخر أو من الأحكام لمن اتقى لأن الحاج على الحقيقة والمنتفع به أو لأجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع أموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالأحكام
المذكورة والرخص أو احذروا الإخلال بما ذكر من الأحكام وهو الأنسب بقوله عز وجل واعلموا أنكم إليه تحشرون أي للجزاء على أعمالكم
بعد الإحياء والبعث وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للأمر بالتقوى وموجب للامتثال به فإن من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء
كان ذلك من أقوى الدواعي إلى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه إليه عليه السلام وهو كلام مبتدأ سيق
لبيان تحزب الناس في شأن التقوى إلى حزبين وتباين حال كل منهما ومن موصولة أو موصوفة كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الآخر أي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة الفحوى ولطف الأداء والتعجب
حيرة تعرض للإنسان لسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحياة الدنيا متعلق بقوله أي ما يقوله في أمور الحياة الدنيا ومعناها في
الذي يريده بها ما يدعيه من الإيمان ومحبة الرسول عم وفيه إشارة إلى أن له قولا آخر ليس بهذه الصفة أو يعجبك أي يعجبك قوله في الدنيا
بحلاوته وفصاحته لا في الآخرة لما أنه يظهر هناك كذبه وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحياة الدنيا مدة الحياة الدنيا أي لا يصدر منه
فيها إلا القول الحسن ويشهد الله على ما في قلبه أي يحلف ادعائه حيث يقول الله يعلم أن ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على
يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رض والله يشهد على ما في قلبه على أن كلمته على الكون
المشهور بمقالة فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو ألد الخصام أي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على أن الخصام مصدر
وإضافة الألد إليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر أو أشد الخصوم لهم خصومة على أنه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الأخنس بن
شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الإسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير
المجرور في قوله أو من المستكن في يشهد وعطف عليه ما قبلها على القراءتين المتوسطتين وإذا تولى أي من مجلسك وقيل

اذا

إذا صار واليا سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم
أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل
على إسناد الهلاك إليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الإهلاك والله لا يحب الفساد لا
يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي وإذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تأتي
من الفساد أو النفاق واحذر سوء مغبته أخذته العزة بالإثم أي حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا
من قولك أخذته بكذا أي حملته عليه وألزمته إياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبره أي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر
بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض أي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر
كما مر أي يبيعها ببذلها في الجهاد وشاق الطاعات وتعريضها للهلاك في الحروب أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن ترتب عليه القتل
ابتغاء مرضاة الله أي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وإيراده قسيما للأول من حيث إن ذلك يأنف بالأمر بالتقوى وهذا يأمر بذلك
وإن أدى إلى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير إن كنت معكم لم أنفعكم
وإن كنت عليكم لم أضركم فخلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فأتى المدينة فيشري حينئذ بمعنى يشتري لجريانه مجرى الحال على صورة
الشرى والله رءوف بالعباد ولذلك كلفهم التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في
السلم أي الاستسلام والطاعة وقيل الإسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام أيضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير
في ادخلوا أو من السلم أو منهما معا كما في قوله خرجت بها نمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل وهي في الأصل اسم للجماعة تكف مخالفيها
ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتأنيث حتى يحتاج إلى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وإن جنحوا للسلم فاجنح لها
وفي قوله السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وإنما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله
وأطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين أو ادخلوا في الإسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني أهل الكتاب فإنهم كانوا
يراعون بعض أحكام دينهم القديم بعد إسلامهم أو في شرائع الله تعالى كلها بالإيمان بالأنبياء والكتب جميعا والخطاب لأهل الكتاب كلهم
ووصفهم بالإيمان إما على طريقة التغليب وإما بالنظر إلى إيمانهم القديم مع أنه لا يصح الإيمان إلا بما كلفوه الآن إذ الإيمان بما يدعونه
لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق أو مخالفة ما أمرتم به إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة
أو مظهرها وهو تعليل للنهي أو الانتهاء فإن زللتم أي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم
الآيات البينات والحجج القاطعة الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا أن الله عزيز غالب على أمره لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على أمره هل ينظرون استفهام إنكاري في معنى النفي
أي ما ينتظرون بما يأتون من العناد والمخالفة في الامتثال بما أمروا به والانتهاء عما نهوا عنه إلا أن يأتيهم الله أي أمره وبأسه
أو يأتيهم الله بأمره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات إلى الغيبة للإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض
عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من أهل الإنصاف على طريق المباثة وإيراد الانتظار للإشعار بأنهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات
العقوبة كأنهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما أظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة
من الغمام أي السحاب الأبيض وإنما يأتيهم العذاب فيه لما أنه مظنة الرحمة فإذا أتى منه العذاب كان أقطع للمطامع فإن إتيان
الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف بإتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل وإتيانهم الملائكة فإنهم وسائط
في إتيان أمره تعالى بل هم الآتون به على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للإيذان بأن الآتي أولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب
عليه عادة وأما الملائكة وإن كان إتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل
أو الغمام وقضي الأمر أي أتم أمر إهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وإنما عدل إلى صيغة الماضي
دلالة على تحققه فكأنه قد كان أو جملة مستأنفة جيء بها إنباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الأمر عطفا على الملائكة وإلى الله
لا إلى غيره ترجع الأمور بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع

سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلعم او لكل من اهل الكتاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم
من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آيات الله
فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتأويلها الزائغ من بعد ما جاءته
وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها
كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها
وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء
الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين
آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا
يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا
هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس
شاغلة فوقهم يوم القيمة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة
او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على
دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان فبعث
الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين
عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن
ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم
والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد
منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة
المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم في موقع
لزيادة التعيين بين الناس فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب
المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء
للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا
ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل
عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا
بينهم متعلق بما تعلق به من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه
اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره
ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله
صلعم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل الشقاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء
عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان مآل امرهم
النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من
الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم شبههم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة

والشدة

والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء
اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال
والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم العجز الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس
بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره متى اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له
واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان الامر بلغ الى ما
لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة
الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم
الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي
وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله صلعم حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف
العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملة
ما في حيز الشرط او الصلة وابرز في معرض البيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف
المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له
مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل
ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير
فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل
من السدي كتب عليكم القتال بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل
ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا
على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او
على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدته وكراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه
من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى
ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة ... والله يعلم
ما هو خير لكم فلذلك امركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه
فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية
في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد
شهرا يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلعم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى
تنزل توبتنا ورد رسول الله صلعم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل اشتمال من
الشهر والتنكير لان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال
في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل
في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف
ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به ...

بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان ... انه سئل عن القتل في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في
الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والاكثرون على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم • وصد عن سبيل الله •
مبتدا قد تخصص بالعمل فيما بعده ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى • وكفر به • عطف على صد غير عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى
وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى • والمسجد الحرام •
على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام • واخراج اهله • وهو النبي عم
والمؤمنون • منه • اي من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به • اكبر عند الله • خبر للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر عند الله
مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطا وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث • والفتنة • اي ما
ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء • اكبر من القتل • اي افظع من قتل الحضرمي • ولا يزالون يقاتلونكم •
بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين • حتى يردوكم عن دينكم • الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تاكيد ما
بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق • ان استطاعوا • اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك
• ومن يرتدد منكم عن دينه • تحذير من الارتداد اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم • فيمت وهو كافر • بان لم يرجع الى
الاسلام وفيه ترغيب بالرجوع الى الاسلام بعد الارتداد • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من
الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اولئك المصرون على الكفر
الى حين الموت • حبطت اعمالهم • الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا • في الدنيا والآخرة • بحيث لم يبق لها
حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية • واولئك • الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح • اصحاب النار • اي ملابسوها
وملازموها • هم فيها خالدون • كدأب سائر الكفرة • ان الذين آمنوا • نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر
لهم • والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله • كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان
في تحقيق الرجاء • اولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة • يرجون • بما لهم من مبادي الفوز • رحمة الله • اي ثوابه اثبت
لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان فوزهم مشتبه
• والله غفور • مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطاء • رحيم • يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
• يسئلونك عن الخمر والميسر • توارد في شان الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق
المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة
للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا قل يا ايها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص
في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله
صلعم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما
لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره وسمي بها ما يسكر من عصير العنب
اذا غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرها اي تحجزها والميسر مصدر ميمي من يسر
كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له وصفته
انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل
منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم
وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها
على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين
لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور ومع هذا كانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون

بذلك

بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي عم انه قال اياكم و
هاتين الكعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر والمعنى يسئلونك عن حكمهما وعما
في تعاطيهما • قل فيهما اثم كبير • اي في تعاطيهما ذلك لما ان الاول سالبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما
متلفة للاموال • ومنافع للناس • من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ
اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى
على نطق به قوله تعالى • واثمهما اكبر من نفعهما • اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من
نفعهما • ويسئلونك ماذا ينفقون • عطف على يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح
ايضا سال اولا من اي جنس ننفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اي اصنافها ننفق
أمن خيارها ام غيرها او سال عن مقدار ما ينفقه فقيل • قل العفو • اي ينفقون العفو بالنصب او انفقوا العفو وقرئ
بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو
ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون
المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي عم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابه لشجه
ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى • كذلك • اشارة الى مصدر الفعل
الآتي وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل وكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور
المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او
الفريق او لعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي
هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسئلة المارة • يبين الله لكم الآيات • الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه
وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة المعنى واضحة المدلول لا انه تعالى يبينها
بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة • لعلكم تتفكرون • لكي تتفكروا فيها وتقفوا على [illegible]
وتعملوا بما في تضاعيفها [illegible] • في الدنيا والآخرة • متعلق بتتفكرون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • ويسئلونك عن اليتامى • [illegible]
[illegible] • قل اصلاح لهم خير • [illegible]
[illegible] • وان تخالطوهم • [illegible]
فاخوانكم • [illegible]
[illegible] • والله يعلم المفسد من المصلح • [illegible]
[illegible] • ولو شاء الله لاعنتكم • [illegible] • ان الله عزيز • غالب على امره [illegible]

من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل • حكيم • اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية
الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها • ولا تنكحوا المشركات • اي لا تتزوجوهن وقرئ
بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين • حتى يؤمن • والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما تقتضيه عموم التعليلين
الآتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله
تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلعم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى
مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا
فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي عم فاستامره فنزلت • ولأمة مؤمنة • تعليل للنهي عن مواصلتهن و
ترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة اموة حذفت
لامها على غير قياس وعوض عنها تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي اما الاماء فلا يدعونني ولدا
اذا تداعى بنو الاموان بالعار وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها
من لام الابتداء والوصف اي ولأمة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر • خير • بحسب الدين والدنيا • من مشركة •
اي امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان • ولو اعجبتكم • قد مر ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء
الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي
لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها
منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره
اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال
المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية
من مشركة اذ المآل ولأمة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من
مبادي الاعجاب موجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه
فلأن تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من
الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان تكون الجملة مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر • ولا تنكحوا المشركين • من
الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء • حتى يؤمنوا • ويتركوا ما هم عليه من
الكفر • ولعبد مؤمن • مع ما به من ذل المملوكية • خير من مشرك • مع ما له من عز المالكية • ولو اعجبكم • بما فيه من دواعي الرغبة
فيه الراجعة الى ذاته وصفاته • اولئك • استئناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اولئك المذكورون من المشركات والمشركين
• يدعون • من يقارنهم ويعاشرهم • الى النار • اي الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب من مقارنتهم ومقاربتهم • والله
• يدعو • بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم • الى الجنة والمغفرة • اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة
على المغفرة مع ان حق التخلية رعاية مقابلة النار ابتداء • باذنه • متعلق بيدعو اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين
لمقارنتهم الى الخير ونصحهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة • ويبين آياته • المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة • للناس لعلهم يتذكرون •
اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون وهم
المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر اعني قوله تعالى ويبين آياته
فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا
لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدأ لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى
اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما نحوناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام
السابقة • ويسألونك عن المحيض • عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال
عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روي

ان

ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونهن كداب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك
ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فنزلت • قل هو اذى • اي شيء يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة
منه وكراهة له • فاعتزلوا النساء في المحيض • اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن
من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأ ثرنا بها
هلكت الحيض فقال صلى الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين
• ولا تقربوهن حتى يطهرن • تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع
الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة
وعند الشافعي ان يغتسل بعد الانقطاع كما ينبئ عنه القراءة بالتشديد ويبتني عليه قوله عز وجل • فاذا تطهرن • فان التطهر
هو الاغتسال • فأتوهن من حيث امركم الله • من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل • ان الله يحب التوابين • مما عسى يندر منهم
من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب • ويحب المتطهرين • المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار
بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر • نساؤكم حرث لكم • اي مواضع حرث
لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه • فأتوا حرثكم • لما عبر
عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله • انى شئتم • من اي جهة شئتم روي
ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلعم فنزلت • وقدموا لانفسكم •
اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة • واتقوا الله • بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من
الامور • واعلموا انكم ملاقوه • فتزودوا ما تنتفعون به حينئذ واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به • وبشر المؤمنين • الذين
تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور
التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين
ما لا يخفى • ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم • قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه
وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول
كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء فيصير حاجزا ومانعا منه [illegible]
[illegible]
[illegible] • ان تبروا •
وتتقوا وتصلحوا بين الناس • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من الاوسط في اصلاح ذات البين • والله سميع • لايمانكم • عليم • بنياتكم [illegible] • لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم • اللغو الساقط من الكلام [illegible]
ولكن يؤاخذكم [illegible] • ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم • [illegible]
[illegible] فانه لا قصد فيه الى الكذب [illegible] قول العرب لا والله وبلى والله

مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط • والله غفور • حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة • حليم • حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه • للذين يؤلون من نسائهم • اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى واستعماله بمن لتضمنه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم • تربص اربعة اشهر • كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان افاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق • فان فاؤا • اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الخ والا لم البث الا ريثما اتحول • فان الله غفور رحيم • يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة • وان عزموا الطلاق • فاجمعوا عليه • فان الله سميع • بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة • عليم • بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى • والمطلقات • اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان او شهران • يتربصن • خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المأمور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد • بانفسهن • الباء للتعدية اي يجعلنها متربصة وتحملنها على التربص وفيه تهييج لهن على ذلك فان فيه من الاشعار بكون نفوسهن طوامح الى الرجال ما يحملهن على ان يتربصن ويغلبنها على الطموح • ثلثة قروء • نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلثة قروء او يتربصن مضي ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلثة قرو بغير همزة • ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن • من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا • ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر • جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا • وبعولتهن • البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات • احق بردهن • الى النكاح بالرجعة اليهن • في ذلك • اي في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة • ان ارادوا • اي الازواج بالرجعة • اصلاحا • لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا اضرارهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار • ولهن • عليهم من الحقوق • مثل الذي • لهم • عليهن • بالمعروف • من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها • وللرجال عليهن درجة • اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق • والله عزيز • يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه • حكيم • ينطوي شرائعه على الحكم والمصالح • الطلاق • هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه

ولما

ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا • مرتان • اي اثنتان والايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا • فامساك • اي فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة • بمعروف • اي بحسن عشرة ولطف معاملة • او تسريح باحسان • بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي طليقة بعد طليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم مبتدا وتخيير مستانف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين • ولا يحل لكم ان تاخذوا • منهن بمقابلة الطلاق • مما آتيتموهن • اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى • شيئا • اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة • الا ان يخافا • اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن • الا يقيما حدود الله • اي ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بناء الخطاب • فان خفتم • ايها الحكام • ان لا يقيما • اي الزوجان • حدود الله • بمشاهدة بعض الامارات والمخائل • فلا جناح عليهما • اي على الزوجين • فيما افتدت به • لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها • تلك • اي الاحكام المذكورة • حدود الله فلا تعتدوها • بالمخالفة والرفض • ومن يتعد حدود الله فاولئك • المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول • هم الظالمون • اي لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد • فان طلقها • اي بعد الطلقتين السابقتين • فلا تحل له • من بعد • اي من بعد هذا الطلاق • حتى تنكح زوجا غيره • اي حتى تتزوج غيره فان النكاح يسند اليها كما يسند اليه وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويجوز الزيادة على الكتاب بالخبر المشهور وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة في هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما اذا لم يظهر مضمرا وفاسد عند الاكثرين لقوله عليه السلام لعن الله المحلل والمحلل له • فان طلقها • اي الزوج الثاني • فلا جناح عليهما • اي على الزوج الاول والمرأة • ان يتراجعا • ان يرجع كل منهما الى الآخر بالعقد • ان ظنا ان يقيما حدود الله • اي ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله تعالى وشرعه من حقوق الزوجية ولم يقل ان علما لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله تعالى ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم لان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا • وتلك • اشارة الى الاحكام المذكورة الى ههنا • حدود الله • اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة • يبينها • بهذا البيان اللائق او سيبينها فيما سيأتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كون خبر المبتدا جملة او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة • لقوم يعلمون • اي يفهمون ويعملون بمقتضى العلم وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون بالبيان

اولان ماسيلحق ببعض النصوص من اينبع لا يقف عليه الا الراسخون فى العلم • واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن • اى آخر عدتهن فان الاجل كما
يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل • فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف • اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اى فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى تنقضى اجلهن من
من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم فى بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة فى ايجاب المحافظة عليه • ولا تمسكوهن ضرارا • تاكيد للامر
بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة
حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا رغبة فيها بل ليطول عليها العدة فهى عنه بعد ما امر بضده وضرارا نصب على العلية
او الحالية اى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام فى قوله • لتعتدوا • متعلقة بضرارا اى لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء
• ومن يفعل ذلك • اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته فى الشر والفساد • فقد ظلم
نفسه • فى ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب • ولا تتخذوا آيات الله • المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا
اوليا • هزوا • اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا فى المحافظة على ما فى تضاعيفها من الاحكام والحدود ومن قولهم لمن يجد
فى الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزؤ بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اى جدوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق
رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد النهى عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله
بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزؤ وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت ألعب فنزلت ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق • واذكروا نعمة الله عليكم • حيث هداكم الى ما فيه
سعادتكم الدينية والدنيوية اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اى كائنة عليكم او صفة
لها على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم المصدر
كنبات من انبت ولا يقدح فى عمله تاء التانيث لانه مبنى عليها كما فى قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد
• وما انزل عليكم • عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن فى قوله عز وجل • من الكتاب والحكمة • بيانية اى من
القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وفى ابهامه اولا
ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفى افراده بالذكر مع كونه اول داخل فى النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة فى البعث على مراعاة ما ذكر
قبله من الاحكام • يعظكم به • اى بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا • واتقوا الله • فى شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه
الواجبة • واعلموا ان الله بكل شئ عليم • فلا يخفى عليه شئ مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب • واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن • بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روى انها نزلت
فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له
واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالاول قبله ايضا لوقوع
العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى
لرفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون
مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شايع مستفيض والمعنى
اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر
العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل فى استتباع اللائمة وسراية
الغائلة • ان ينكحن • اى من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من
الضمير المنصوب فى تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن • ازواجهن • ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار
ما كان واما باعتبار ما يكون والاول انسب لاعتبار الاخير • اذا تراضوا • ظرف لا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء
والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى • بينهم • ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه

بالمعروف

بالمعروف • الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا
كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن فى الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من
العضل • ذلك • اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده
والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون
تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يعرفه كل احد • يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر • فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له
وخوفا من عقابه وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها فى الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن
اى كائنا منكم • ذلكم • اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه • ازكى لكم • اى انمى وانفع • واطهر • من ادناس الآثام واوضار
الذنوب • والله يعلم • ما فيه من الزكاء والطهر • وانتم لا تعلمون • ذلك او والله يعلم ما فيه من صلاح اموركم من الاحكام
والشرائع التى من جملتها ما بين ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا آراءكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه فى كل ما تاتون وما تذرون • والوالدات
يرضعن اولادهن • شروع فى بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصا واثر اثر وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة فى الحمل على
تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبى ثدى الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن
• حولين كاملين • التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقى لا تقريبى مبنى على المسامحة المعتادة • لمن اراد ان يتم الرضاعة •
بيان لمن يتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب
عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده • وعلى المولود له • اى الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه • رزقهن وكسوتهن • اجرة لهن
واختلف فى استيجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت فى النكاح او العدة جائز عند الشافعى رحمه الله • بالمعروف • حسبما يراه الحاكم
ويفى به وسعه • لا تكلف نفس الا وسعها • تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه
وذلك لا ينافى امكانه • لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده • تفصيل لما قبله وتقرير له اى لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه
ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح
على البناء للمفعول وعلى الوجه يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا تضر الوالدة الولد فيفرط فى تعهده ويقصر
بما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التخفيف على نية الوقف وهو من ضاره يضيره واضافة الولد اليها
الكل منهما استعطافا لهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه • وعلى الوارث
مثل ذلك • عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل وتفسير معترض والمراد به وارث الصبى ممن كان
ذا رحم محرم منه وقيل عصبته وقال الشافعى رحمه الله هو وارث الاب وهو الصبى اى تمان المرضعة من ماله عند موت الاب
ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبى مال وقيل الباقى من الابوين من قوله وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اى الوالدان فصالا اى فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان
بانه فصال غير معتاد • عن تراض • متعلق بمحذوف هو صفة لفصالا اى صادرا عن تراض • منهما • اى من الوالدين لا من احدهما
فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة • وتشاور • فى شان الولد وتفحص عن
احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا اخرجته وتنكير التشاور للتفخيم
• فلا جناح عليهما • فى ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الطفل فى الفطام وقلما يتفقان على
الخطاء • وان اردتم • بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى الخطاب لهز الآباء نحو الامتثال بما امر به • ان تسترضعوا
اولادكم • بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبى واسترضعتها اياه وقيل
انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر يقال استرضعت المراة للصبى اى ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما فى قوله تعالى

واذا كان الوصى اى كالوالدين فلا جناح عليكم اى فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع للولد ويمنع الام من الارضاع
اذا سلمتم اى الى المراضع ما آتيتم اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اى من جهة الله عز وجل كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم
الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم
بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل
فى استصلاح شئون الاطفال واتقوا الله فى شأن مراعاة الاحكام المذكورة واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم
بذلك وفى اظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار تربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف
المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم اى يقبض ارواحهم بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان
واستوفيته منه اى اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدأ فى الخبر اى يتربصن بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح
الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير
فى هذا الباب حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين فى ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل
الحكمة فى هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة اشهر فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية
والحرة والامة فى هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن على وابن عباس رضى
انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون
جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذى
لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير
فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة
ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اى جانب والكناية هى الدلالة على شئ
بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة
ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هى مأخوذة من الخطب اى الشأن الذى له خطر لما انها شأن من الشئون
ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات بالوفاة و
التعريض لخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة وصالحة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى
تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم فى انفسكم اى اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا
علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت
ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل
اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطء مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغى
ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما يوهم الرخصة فى المحظور الذى هو التصريح بالنكاح وقيل انتصابه على الظرفية اى لا تواعدوهن
فى السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه النهى اى لا
تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهى ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف
او لا تواعدوهن بشئ من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض
موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام
لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام والنهى عنه للمبالغة فى النهى عن مباشرة عقد النكاح اى لا تعزموا عقد
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اى العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اى لا تبرموها

ولا

ولا تعزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه
واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من ذوات الصدور التى من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب
عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لادخال
الروعة لا جناح عليكم اى لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى عليه السلام
يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفى ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم
التاء فى جميع المواقع اى مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى
ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثانى قيدا للاول كما فى قولك ان تأتنى ان تحسن الى اكرمك اى ان تأتنى
محسنا الى والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اعقد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان
المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة والزمان كما فى قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض و
قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفى الجناح ربما يوهم امكان المسيس
بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اى الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا
لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية
ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على
كل حال الا فى حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد
المساس فعليه فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل
المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فطلقوهن ومتعوهن
والحكمة فى ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهى درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره
وعلى المقتر قدره اى ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهى جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة
بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اى على الموسع منكم الخ او على جعل الالف
واللام عوضا عن المضاف اليه عند من يجوزه اى على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها
الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اى تمتيعا بالمعروف اى بالوجه الذى تستحسنه الشريعة
والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين اى الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة
الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل ذلك فريضة اى وان طلقتموهن ويجوز ان يكون الطلاق قبل المسيس حال كونكم مسمين
لهن فيما سبق اى عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة
اليهما ونفس الفرض من المبنى للفاعل وللمفعول وان لم تقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق
مما لا ريب فى مقارنته لها وكذا الحال فى اتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اى فلهن نصف ما سميتم
لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح فى ان المنفى فى الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اى فادوا
نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع انها الاصل فى العقد والاكثر فى الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت فى انصارى
تزوج امرأة من بنى حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
عند اظهاره ان لا شئ له متعها بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض
معينا فى كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة فى نفسها يحتمل التذكير والتأنيث
وانما الفرق فى الاعتبار والتحقيق فان الواو فى الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير
والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ناصبة فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بالسكون اى الواو

علكم كمعتدة الوفاة

طويل النجاد كثير الرماد

الذي بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد
تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة وتسمية ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه
ومرجع الاستثناء الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا
نقصان بلا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه لا يكون لهن القدر المذكور بل يتحقق ذلك او ينحط او في حال
عفو الزوج فانه يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل
الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رح ان المراد عفو
الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى اي
فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول واكمل لها
الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي
وقرئ بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم
من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة
المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء
بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأن انفسهم بل بشأن انفسهم ايضا كما ينفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها
في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى
منها وهي صلوة العصر لقوله صلعم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عم انها الصلوة
التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة
وملائكة النهار حينئذ وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لان رسول الله صلعم كان يصليها
بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار
والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث
الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين
في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه عم قرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة احدى الاربع
قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا
لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال
بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رح المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا
جمع راجل كقيام جمع قائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا
او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي
اداءها حال المسابقة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها
كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد
بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازي
تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية
الاولى بكلمة ان المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته
مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور فيهما به منزلة مقام وقوع الامر
تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي
الابصار والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت
بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده

قراءة

قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم و
يذرون ازواجا وصية لازواجهم وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاعا على القراءة
الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب
على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام
ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي ثابتة فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن فلا جناح عليكم
ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان
المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة
مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده
وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن اولا متاع اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية
والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد بالمعروف
شرعا وعادة حقا على المتقين اي بما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته الدالة على
احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب الاخبار وتعجيب من شأنهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب
ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل عليها الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم نزل منزلة بل غير الرائي منزلة
عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما
يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم
على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى
الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا
وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز وجل سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل
وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن
الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة عن تعلق ارادته
بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع
لمأمور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام
اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لانه
عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه
المفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا وايا
جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس
لا يشكرون اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار
لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر ينبئ عنه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا
في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر
عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء
خيرا او شرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمسامحة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء

وذاخره والموصول صفة له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد
الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا
قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام
حملا على المعنى فانه في معنى أيقرضه وقرئ بالرفع اي فيضاعف اجره وجزاؤه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة
بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المبالغة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال
من الضمير المنصوب او مفعول ثان لتضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم المصدر والجمع للتنويع كثيرة
لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى
حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر
للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال
خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه لانه مستقل في التعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر
بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا
بذلك لانهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليؤون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية ومن في قوله تعالى من بعد موسى
ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين من بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عم ولا يخفى اتحاد الحرفين لفظا عند
اختلافهما معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن
افراثيم بن يوسف عم وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عم وقيل اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية
اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عم وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال
معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف
مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استيناف وقع جوابا عن
سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانما لم يذكر
في معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة
في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فريضة القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايراد
ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استيناف
كما سبق وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد
عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر
لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رئيس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من
العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من
ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبي عليه السلام
ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله
وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا لاظهار ما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة
من النهر وجاوزوه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال و
ترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عم وبينهم من
الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعد ما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا
طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عم لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي
بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استيناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون

اوكيف

٢٥

او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين
في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا
الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عم وسبط المملكة
بسبط يهودا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين وكان
بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه لسقوط نسبه وبفقره رد
عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم
ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد
خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا
وقيل قد اوحي اليه ونبئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده
فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان
يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع عليم يوسع على الفقير ويغنيه وعليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل
كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه حجة تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم
روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو
الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان
تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عم سخطا على بني
اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه
وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم عم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاذ نحوا من
ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عم الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عم ثم بقي في
ايدي بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عم فكان عم يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس
بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم
بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر
ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم
على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى
ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه
وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران ووكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت
فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا
بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو
التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة
كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة
وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية وكان قد رفعه الله تعالى
بعد وفاة موسى عم وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة
حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية

الاخيرة عبارة عن سوقهم للتوريث المخاطبين له · ان في ذلك · اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به قبيل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التقديرين بتأويل الفريق او غيره كما سلف · لآية عظيمة لكم · دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر · ان كنتم مؤمنين · اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ · فلما فصل طالوت بالجنود · اي انفصل بهم من بيت المقدس واصله فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كما قيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فبعدان ظهر له ما تعلق بمشيئته تعالى من جهة النبي · او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته · قال ان الله مبتليكم بنهر · بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه · اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لانه الشرب حقيقة · فليس مني · اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما · ومن لم يطعمه · اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ولا نوما · فانه مني · الا من اغترف غرفة بيده · استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة للغرفة اي غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش · فشربوا منه · عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه · الا قليلا منهم · وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى وهربا من عدوة اللفظ جانبا فان قوله فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق · وعض زمان يا ابن مروان لم يدع · من المال الا مسحت او مجلف · فان قوله لم يدع من المال الا مسحت في حكم لم يبق · فلما جاوزه · اي النهر · هو · اي طالوت · والذين آمنوا معه · عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوزه لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان ما عداهم بمعزل من الايمان · قالوا · اي بعض من معه من المؤمنين لبعض · لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده · اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح · قال · استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال · الذين يظنون انهم ملاقوا الله · تعالى قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وانما وصفهم بذلك لوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما هو قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم كأنهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما · كم من فئة · اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة · قليلة غلبت فئة كثيرة · وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة · باذن الله · اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وعدده وروعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل الطاقة بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام مخاطبيهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه لا دخل فيه لظن لقاء الله بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد

على الموصول اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن تعاطي نصره تعالى بمعاونته سبحانه حيث قيل · والله مع الصابرين · فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة يأباه انهم انما قالوه تشجيعا لاصحابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي الى الغلبة ولا تعلق لما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال ان اوجه ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جيء به لتقرير كلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى نحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبران اسمية مع ان الظفر مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه · ولما برزوا · اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب · لجالوت وجنوده · وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة · قالوا · اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين الى الله تعالى مستعينين به · ربنا افرغ علينا صبرا · على مقاساة شدائد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة على التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى · وثبت اقدامنا · في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد · وانصرنا على القوم الكافرين · بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى · فهزموهم · اي كسروهم بالكلية · باذن الله · بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الآية للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله · وقتل داود جالوت · كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملني فانك تقتل بي جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله ... على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت يدعو الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان يطلبه مبارزا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فخرج وهو في ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون لمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي واعطيه نصف ملكي فبرز داود ورماه بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الحجارة وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل ... فانجز له طالوت ما وعده وقيل ... ثم ندم ... فذهب يطلبه حتى قتل ... وكان داود عليه السلام ملكا ... النبوة وذلك قوله عز وجل · وآتاه الله الملك · اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها · والحكمة · اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له ... · وعلمه مما يشاء · اي مما يشاء تعالى تعليمه اياه كصنعة الدروع ومنطق الطير والدواب ... · ولولا دفع الله الناس · بعضهم · الذين يباشرون الشر والفساد · ببعض · ... · لفسدت الارض · ... · ولكن الله ذو فضل على العالمين · كافة ... · تلك · اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وتمليك طالوت على التفصيل المرقوم

وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك
اى بواسطة جبريل عم اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه
حال من مفعول نتلوها اى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعل
اى نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب اى من الضمير المجرور اى ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اى من جملة الذين
ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجرى بيننا وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته
صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الى هدين بها تلك الرسل استئناف فيه رمز الى انه صلعم من افاضل
الرسل العظام عليهم السلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبى عم فاللام في الكل للاستغراق وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم
فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل لذلك التفضيل المذكور
اجمالا اى فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عم حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة
فانه كلم الله كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع
وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اى ومنهم من رفعه
على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات متباعدة ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات
الشرف والظاهر انه رسول الله كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عم منهم فان ذلك في قوة قولنا بعضهم بانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات
المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائقة للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم الفرد الغنى
عن التعيين وقيل انه ابراهيم عم حيث خصه تعالى بمراتبه الخلة وقيل ادريس عم حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل عليهم السلام
وآتينا عيسى بن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وايدناه اى قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى عم ونعت
بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما مر وافراده عم بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين
في شأنه عم من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم الصلوة والسلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن
بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اى جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اى لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم
متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء ان يهدي
الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة
على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدى الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من
الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض التالى الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب
عليه للايذان بان الاقتتال ناش من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا
فمنهم من آمن اى بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيته تعالى
لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين
للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس لمجرد التأكيد كما
ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم كما يتفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل الله
سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد
اى من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها مشيته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير
ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها
الذين آمنوا انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اى شيئا مما رزقناكموه على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث
على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان يأتي

يوم

يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اجتهادا لاختلاف معنييها فان الاولى تبعيضية وهذه
لابتداء الغاية اى انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما
تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا
حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة
وقرئ بفتح الكل والكافرون اى والتاركون للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان
بان ترك الزكوة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اى الذين ظلموا انفسهم بتعريضها
للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر اى هو المستحق للعبودية لا غير وفي
اضمار خبر لا اشتراك في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر
ثان او خبر مبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاص النعت
القيوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه اى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا نوم
السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم
حالة تعرض الحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس رأسا
والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما قاصرا بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى
حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ
لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخر النوم للمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما
كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع
اذ عروض السنة والنوم لمن وضعها انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى
حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون موقوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير
المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من
اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء
شأنه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده بشفاعة وضراعة فضلا عن ان يعاوقه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
اى ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما يحسونه وما يعقلونه
او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض او لما دل عليه من ذا من الملائكة
والانبياء عليهم السلام ولا يحيطون بشيء من علمه اى من معلوماته الا بما شاء
على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وكأنه منسوب الى الكرسي وهو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شأنه
[illegible]

الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما تناله الاوهام عظيم لا يحدق به الافهام تفردت بفضايل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قراها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عم سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته صلعم للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي سيادته عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عم لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين جملة مستانفة جئ بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والرحموت قلب بتقديم لامه على عينه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الالهة وهو مذهب سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يكفر اثر ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة والعامل او الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيح للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين آمنوا اي محبهم او متولي امورهم والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوزه كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الى صلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة

بتكرير

بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلعم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا رعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عم فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاج لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني فلان لاني احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عم لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت في الاجساد قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك قال ابراهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابراهيم في هذه المرتبة من المحاجة وماذا اتى بحجة فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسما لمادة شبهته فات بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدورات الله تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره القوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر وما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك وشاهدته فان لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الآية هذا وانما جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او ارايت مثل الذي مر الخ ايذانا بان حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن خلقيا من سبط هرون عم قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي

هي دير سابر آباد وقال السدي هي دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد
وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام
وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا
معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى
واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا
سقط او من خوت الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها
وتشوقا الى عمارتها مع استشعار اليأس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل
للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من ها
ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي اياما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا
ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد من الوقوع عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها
بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه واكده اراه الله عز وجل
آثر ذي اثير ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء
اهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد
لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا
فاماته الله والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره وطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال وكانت
اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره وبقية تينه
وعصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوق فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك
فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تعالى بخت نصر
ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين
سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير احياه الله تعالى وذلك قوله تعالى ثم بعثه واحياه على حاله
للدلالة على سرعته وسهولة تأتيه على الباري تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا
للنظر والاستدلال قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن
الاحاطة بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة
ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا
من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من
السماء يا عزير كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه و
اما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت اليها فرأى منها بقية فقال
او بعض يوم على الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال
استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل
قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جنى
وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء اما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد
كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسن والهاء اصلية او هاء سكت
واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضى البازي
وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه حقيقة بل تشبيها اي هو على حاله كانه لم يلبث مائة عام وفي ذكر
باذغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من اللبث

المديد

المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستيناف
مقرر لمضمون ما سبق اي فعلنا ما فعلنا من احيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الاحياء بعد دهر طويل ولنجعلك
آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب
من علم التوراة كما سيأتي او متعلق بفعل مقدر بعده اي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على الاول
دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر في قوله وانظر الى العظام
مع ان المراد عظام الحمار ايضا لما ان المامور به ها هنا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر
اليها من حيث تعتريها الحيوة ومباديها اي وانظر الى عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك
كيف ننشزها بالزاء المعجمة اي نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها
ونعظمها ولعل من فسر ننشزها بنحييها اراد بالاحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اي احياها لا الاحياء
الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما اي نسترها به كما يستر الجسد باللباس واما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله اراد
ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة اما حال من العظام اي وانظر اليها محكوما عليها بكيفية نحو او بدل اشتمال اي وانظر
الى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا تقتضي الحكمة بيانه روي انه نودي
ايتها العظام البالية ان الله يامركم ان تجتمعي فاجتمع كل جزء من اجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح
من كل سهل وجبل فانضم بعضها الى بعض والتصق كل جزء بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمكانها والرأس بموضعه ثم
الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فلما تبين له اي
ما دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان
بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك اي اتضح اتضاحا تاما
قال اعلم ان الله على كل شيء قدير من الاشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي
عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغير ولم يتبدل بل انما تبدل بالعيان
وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول
اعلم اي فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف وقرئ فلما تبين له على صيغة المجهول وقرئ
أعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روي انه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى
منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير
قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فاني عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة
عام ثم بعثني قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها
فصحتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كانما انشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير
فانطلقت الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا
عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة
سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة اربعين الف رجل
ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال
رجل من اولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني ابي عن جدي انه دفن التوراة يوم سبينا
في خابية في كرم فان اريتموني كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوه فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير
عن ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل آخر
على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور وانما سيق مسلك الاستشهاد كما قيل بان يقال او كالذي

قال رب آه لجريان ذكره عليه السلام في اثناء المحاجة ولانه لا دخل لنفسه عم في اصل الدليل كرب عزير عم فان ما جرى عليه من احيائه
بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اي واذكر
وقت قوله رب وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل ليتعظ على امر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر في امثال
هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان
ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث
لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانها مشاهدة عيانا • رب • كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء
الاجابة • ارني • من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها
فانها تعلق كما تعلق النظر البصري اي اجعلني مبصرا • كيف تحيي الموتى • بان تحييها وانا انظر اليه وكيف في محل نصب على التشبيه
بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال او على اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال
عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسئول فالاستفهام هنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما
سأله عم ليتايد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه بالاطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال له ابراهيم عليه السلام
ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان
يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان • قال • استئناف كما مر غير مرة • اولم تؤمن • عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني
قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسألني ارائته قال عز وعلا وهو اعلم بانه عم اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون
ذلك لطفا للسامعين • قال بلى • علمت وآمنت بانك قادر على الاحياء على كيفية شتى • ولكن • سألت ما سألت • ليطمئن قلبي •
بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة • قال فخذ • الفاء لجواب شرط محذوف اي ان اردت
ذلك فخذ • اربعة من الطير • قيل هو اسم جمع لطائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف
طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب
وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة
والتفريق وغير ذلك • فصرهن • من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقرئ
فصرّهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صرّه يصرّه ويصرّه اذا جمعه وقرئ فصرّهن من التصرية بمعنى الجمع اي اجمعهن
• اليك • لتتاملها وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه عم امر
بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها
على الجبال وذلك قوله تعالى • ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا • اي جزئهن وفرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت
اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزّا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا
ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف • ثم ادعهن • يأتينك • في محل الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله
بنون جمع المؤنث • سعيا • اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض
لامتثاله عم ولا لما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي انه عم نادى فقال تعاليين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن
يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحد منهن الى ما كانت عليه من الهيئة
للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الى الذكر اصلا
وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه الله تعالى ما سأله في الحال على
ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام • واعلم ان الله عزيز • غالب على امره لا يعجز عن
شيء مما يريده • حكيم • ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات
بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح • مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله • اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل • كمثل حبة •
لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كباذر حبة • انبتت سبع سنابل • اي اخرجت ساقا تشعب

منها

منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة • في كل سنبلة مائة حبة • كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك
واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر •
والله يضاعف • تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء الله تعالى • لمن يشاء • ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه
وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب • والله واسع • لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة • عليم •
بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه • الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله • جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق
الذي بين فضله بالتمثيل المذكور • ثم لا يتبعون ما انفقوا • اي ما انفقوه او انفاقهم • منا ولا اذى • المن ان يعتد على من
احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه
وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله عنه حين جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم
صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء من المن والاذى • لهم اجرهم • اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا
عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله • عند ربهم • من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية
ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما
ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه • ولا خوف عليهم •
في الدارين من لحوق مكروه من المكاره • ولا هم يحزنون • لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه
يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار
الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص و
المقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي
وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام • قول معروف • اي جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به
السائل من غير اعطاء شيء • ومغفرة • اي ستر لما وقع من السائل من الالحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما
صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي مغفرة كائنة من المسؤول
[illegible]

ما قبله وفيه تعريض بان كل من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله اى لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اى وليثبتوا بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك
من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما فى قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم
عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات الثلث وقد قرئ
بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم فى الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب
الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها
بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين
اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من
اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل هو
المطر الصغير القطرة وقيل فالذى يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت
باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة
باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب
بها وجه الله تعالى زاكية زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شئ منه وهو ترغيب فى الاخلاص
مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما فى قوله اصطفى
اى لا لانكار الواقع كما فى قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من
الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اى كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها من هذين الجنسين الشريفين
الجامعين لفنون المنافع والباقى من المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة
قال زهير كان عينى فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز وجل
تجرى من تحتها الانهار اذ على الثانى لا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتى
مجازا والجملة فى محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او فى محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة
له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثانى حال والثالث مبتدأ اى صفة للمبتدأ قائمة مقامه اى له رزق من كل الثمرات كما فى قوله
تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له مقام وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شئ
واصابه الكبر اى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة لكمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى
وقد اصابه الكبر وله ذرية ضعفاء حال من الضمير فى اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب
مبادى المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة
العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها
من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا فى التحسر والتأسف عليها كذلك توحيد الكاف
مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اى مثل ذلك البيان الواضح الجارى فى الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان
لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا
بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اى لا تقصدوا الخبيث اى الردئ الخسيس
وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص

والجملة

والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص
لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين
على طريقة قوله كانه فى الجلد توليع البهق او للثانى وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور
اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه
حال على كل حال من واو تنفقون اى تنفقوا والحال انكم لا تأخذونه فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه
الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض
بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيها او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا
وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه
تنفقون والحال انكم لا تأخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكارى فكانه قيل أمنه تنفقون الخ واعلموا ان
الله غنى عن انفاقكم وانما يأمركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث
وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل
مضطر اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر الوعد هو الاخبار بما
سيكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان او غيره ويستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا
اى يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجئ الفقر
الى جهته للايذان بمبالغته فى الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله فى تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه فى
مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويأمركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء
اى ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام
والعرب تسمى
الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصى والسيئات والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار
فى قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التى افادها التنكير اى مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا
صفته محذوف لدلالة المذكور عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا
مما انفقتم زائدا عليه فى الدنيا وقيل ثوابا فى الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من
المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم ويعلم ما يستحق من المغفرة والفضل
فلا احتمال للخلف فى الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها يؤتى الحكمة قال مجاهد هى القرآن والعلم والفقه وروى
عن [illegible] انها الاصابة فى القول والعمل وعن ابراهيم النخعى انها معرفة معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقائق الاشياء
وقيل الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسير القرآن بأربعة اوجه مواعظ القرآن واخرى
بانها عبارة عن عجائب الاسرار ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة [illegible] الاحكام المبينة فى تضاعيف الآيات
الكريمة من امور الوعد والوعيد [illegible] والتوفيق للعلم والعمل بها
من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما آتاكم ما بينه فى تضاعيف الآى من الحكم البالغة التى
عليها يدور فلك [illegible] منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به والجملة
مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على البناء للمفعول وقرئ على البناء للفاعل ومن يؤته الله الحكمة
والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشأنها والاشعار بعلة الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى خيرا كثيرا اى خير
خير الدارين وما يذكر اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولو الالباب اى العقول الخالصة
من شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شأن الانفاق ما لا يخفى
والجملة اما حال او اعتراض تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات وما فى حكمها

كان منها في سبيل الله او ما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة اي اي نفقة كانت في حق
او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم النذر عقد الضمير على شيء والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر
اي نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه
الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف
بكلمة او كما في قولك زيدا او عمرا اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى
بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وعلا واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى الموخر
رعاية ولها بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو والى ما
تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء
اي فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر
في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم
الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه
لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع للمقابلة بالظالمين اي ما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف
مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل من الظالمين بتحصيل الاعوان ورعاية الحال ان تبدوا الصدقات فنعما هي
نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العاطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد
ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة
واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء
ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي
الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل عند ذلك فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع
ولمن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر
او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما ستر تموها وقيل مزيدة على رأي الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان
الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة
مبتداة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان
خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن
والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه
بما اوحي اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى
ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك
امرهم على النبي عم موذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلعم
المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى
تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين
فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني
تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي عم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم

فلا تمنوا على ما اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من
خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه و
اجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو تاويل دعائه عم بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا
وقيل حجت اسماء ابنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا
لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام
فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا الا صدقة الفطر
عندنا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف
ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب
والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله عم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
اي من اجل تعففهم من المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال و
الخطاب للرسول صلعم او لكل احد ممن يكون له حظ من الخطاب مبالغة في وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو
ان يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا
لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وهي نزلت في شان الصديق رضي الله عنه حين تصدق
باربعين الف دينار عشرة الاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم
يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية
للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة
على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربوا اي ياخذونه وانما عبر عنه بالاكل لانه معظم ما يقصد به ولشيوعه في المطعومات
مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من
يفخم في امثالها وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط
العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بالفعل
المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لان الله اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك
سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم والاتيان بما يدل على البعد لما مر المشار اليه
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما
الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في
الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بالحاجة الى السلعة
او توقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس بمعارضة النص
مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي من بلغه وعظ
وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءه من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية

الاضافة للاشعار بكون المجئ الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ واتبع النهي فله ما سلف اي تقدم
اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد
الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ
وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة
مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك
فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم
منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصهما
بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة لهم اجرهم جملة من
من مبتدا وخبره واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين
على الحقيقة فان ذلك يستلزم لامتثال ما امرتم به وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي انه
كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما
مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به اما على الاول فكحرب
المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا
وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره
كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان
بحرمتها بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من
قبلهم بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم
المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رح وكذا سائر اموالهم عند الشافعي رح وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم على كل حال
وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن
عباس رضي الله عنه فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من
التصرف اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شئ من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من
غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي
الانظار والامهال وقرئ فناظره اي فالمستحق ناظره اي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة
اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء
عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد
اي وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل
اي ان تصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائكم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف
اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير
عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه الى الله على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول

ادخل

ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس
من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس
تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوبتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء
كما ان الافراد اوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها اخر آية نزل بها جبريل عم وقال ضعها في رأس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات
يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع
بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون
التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل
متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس
ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها
اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعميم او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان
الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة
لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد
ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا
بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين
كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة
امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها
مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو
المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجليل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى
ولا يبخس منه اي من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة
كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين
الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الداعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن
فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها
ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عمى
او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من
غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين
اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا
ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم
فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق
كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشاهدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين
اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامراتان اي فليشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان يكفون وهذا انما
عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رح ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامراتان
اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين
اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل

متعلق بقوله تعالى واستشهدوا وقيل يلزم الفصل بين الشرط الكريمين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا
من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء فى
الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد فى النساء والعلة فى الحقيقة هى التذكير
ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما فى قولك اعددت السلاح ان يجئ عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام والمبالغة
فى الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ
ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم
شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم
فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اى الدين او الحق او الكتاب وقيل
كنى به عن الكسل الذى هو صفة المنافق كما ورد فى قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وقد قال النبى عم لا يقول المؤمن
كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اى حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف
وقع حالا من الهاء فى تكتبوه اى مستقرا فى الذمة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب
للمؤمنين اقسط اى اعدل عند الله اى فى حكمه تعالى واقوم للشهادة اى اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان
من اقسط واقام فانه قياسى عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده
وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم فى جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة
تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت كون تداينكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم
بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اى فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة
على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة واشهدوا اذا تبايعتم اى هذا التبايع او مطلقا لانه
احوط والاوامر الواردة فى الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب
ولا شهيد نهى عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة
والتغيير والتحريف فى الكتبة والشهادة او نهى الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عما حد لهما او لا يعطى
الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفى فى معنى النهى وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اى فعلكم ذلك فسوق
بكم اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله فى مخالفة اوامره ونواهيه التى من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله
احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شىء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة فى الجمل الثلث لادخال
الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة
تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اى مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا فى المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا
فرهان مقبوضة اى فالذى يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر
فى شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلعم رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير واخذه
لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب فى السفر الذى هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه فى حكم
الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض فى تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى
مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى
بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم اى آمنه الناس ووصفوه بالامانة قبل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض
اى على متاع بعض فليؤد الذى اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء
امانته اى دينه وانما سمى امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء فى التاء وهو
خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها فى حكمها وليتق الله ربه فى رعاية حقوق الامانة وفى الجمع بين عنوان الالوهية

وصف

وصف الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون اى شهادتكم على انفسكم
عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم
والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء
وافعاله اعظم الافعال كانه تمكن الاثم فى نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اكبر الكبائر
الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما فى سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اى
جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما فى السموات وما فى الارض من الامور الداخلة فى حقيقتهما
والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولى العلم وغيرهم اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره فى شىء منها بوجه من الوجوه
وان تبدوا ما فى انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او الفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه
باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التى لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع
يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم
الابداء على الاخفاء على عكس ما فى قوله تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما فى انفسهم هيهنا هو المحاسبة
والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق
حصول الصور بل وجود كل شىء فى نفسه فى اى طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شىء يبدى الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى النفس فتعلق علمه تعالى
بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر فى تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر
بالرفع على الاستيناف اى فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ
بالجزم من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط فى قوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء فى اللام لحن والله على كل شىء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى
على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليها من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر فى
[illegible]

الضمير الذي ناب عنه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عم المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كأنهما مختلفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الجهة المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية وعلى ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلعم ومستند اليه لما مر من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عم بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه تقدم المؤمن به على المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته عم في الايمان به ولا يخفى ان ما تغير عما في الوجه الاول من كمال اجلال شأنه عم وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلعم من حيث ذاته ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عم وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العلية عم واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يحمل بالنسبة الى الرسول صلى الله على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عم اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلعم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عم ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عم لا اظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عم ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالته نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما عكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على

اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر وظاهر انه من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلعم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلعم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسئولهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير تتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطأ مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف

اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا الخطيئة حرم عليهم
من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه
الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت وقال ع م بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات
التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك كما قال ع م رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من
كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات
بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف
بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول
ثان واعف عنا اي آثار ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل
وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولنا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا ومتولي
امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة
الى ان اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه
الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه ع م انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من
قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه ع م من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول
سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال ع م السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها
فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال صلى الله عليه وسلم السحرة

سورة آل عمران مائتا آية مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين
وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط
ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في باب
الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيهما من الفتح على القراءة المشهورة
فانما هي حركة همزة الجلالة ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكما كما في حكم الثابت
المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل
هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على تحريكها في الدرج
وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها كما في الحروف والاسماء المبنية
على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل وتحرك اعجازها لالتقاء الساكنين ثم
ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم
او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره
والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير
وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول وهو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل
او حال منه وايا ما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل
عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورته اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص
استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلعم قال الاسم الله الاعظم في ثلاث سور في سورة

البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني
اسرائيل سألوا موسى ع م عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم ويروى ان عيسى ع م كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم ويقال
ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وفيه رد على من زعم ان عيسى ع م كان ربا فانه روي ان
وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول
امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم
واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا
من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا
بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلعم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي فقال
انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا
فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله
صلعم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من رآهم من اصحاب النبي صلعم ما رأينا وفدا مثلهم
وقد حانت صلوتهم فقاموا فصلوا في المسجد فقال ع م دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله فقالوا تارة
عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو
ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال ع م كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله ولدا قالوا ان
لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال ع م الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت
وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك
عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال فهل يعلم
عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا
يحدث قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان
يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال ع م فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا الجحود فانزل
الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به ع م عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه
يمترون نزل عليك الكتاب اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس
كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة
على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم
الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اما اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك
الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر ح ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده
بالحق حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق في اخباره
التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه او في وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة مصدقا حال من
الكتاب على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز
تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية
وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه يحتمل ضمير الفاعل مقام عامله المحذوف فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال
مؤكدة تفيد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب
للايمان بما يصدقه حتما لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله
من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد

وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في الاخبار والايام والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في
الشرائع المختلفة باختلاف الامم فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم
المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم • وانزل التورية والانجيل • تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيدا لما قبله
وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في
الشناعة واستتباع ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر المنزل عليه
في الكتابين لان الكلام في الكتاب لا فيمن انزل عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني ويعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل
ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف • من قبل • متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل
الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان • هدى للناس • في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس
او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف
اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما
وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة من التي يصدقها
القران فيها ومن جملتها البشارة بنزوله ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة • وانزل الفرقان • الفرقان في الاصل
مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على
طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب
المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ
الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة
مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القران نفسه ذكر بنعت مادح لما بعد
ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشأنه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا
او اريد بالانزال القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة
بين المحق والمبطل • ان الذين كفروا بايات الله • وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات
الايات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتأكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان ذلك
الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة
معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من ايات الله الناطقة بالتوحيد لا سيما توحيده تعالى
وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر
الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد
والتنزيه وباياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلعم وغيرهما • لهم بسبب كفرهم • عذاب • مرتفع اما على الفاعلية
من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي عذاب عظيم • شديد • لا يقادر قدره وهو
وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول و
الاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان • والله عزيز • لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد • ذو انتقام • عظيم خارج
عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر
للوعيد ومؤكد له • ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء • استئناف كلام مسوق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته
بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية
لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر
عن علمه عز وجل بما ذكر لبعد خفاية عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى

بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شأنه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه
كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف
وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السماء اعم من
ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر عنهما بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم
الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشأن احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى
باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا • وقوله عز وجل • هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء •
جملة مستأنفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة
لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على
التصوير المرتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم
وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم اي يصوركم كائنا على مشيئته
تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا
ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك
من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابناء النوع المتقلبين في هذه الاطوار
على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه و
عبادته • لا اله الا هو • اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشئون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته • العزيز الحكيم •
المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع • هو الذي انزل عليك الكتاب • شروع في ابطال
شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عليه السلام بطريق الاستئناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه
وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم
الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب
مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال
القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التجدد وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل
من الاعتناء بشأن بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه من التشويق الى ما انزل فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم
لا سيما عند الاشعار برفعة شأنه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيم
الى قسميه • منه آيات • الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ
الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين
المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل
الكتاب كائنا على هذه الحالة اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية • محكمات •
صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه • هن ام الكتاب •
اي اصل فيه وعمدة يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب والاضافة بمعنى في كما في احد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك
يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد
الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه
آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب
اي واما جلودها • واخر • نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول عن الآخر او من آخر من • متشابهات • صفة لاخر وفي الحقيقة صفة لمحذوف اي محتملات لمعان متشابهة
لا يمتاز بعضها عن بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتأمل الانيق فالتشابه في الحقيقة

وصف لذلك الكتاب وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الامور المتشابهة ان يتحير العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء و يزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب وبتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله اي وطلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل في شيء وان ما يبتغونه ليس بتأويل اصلا لا انه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر و اشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترضيه قال صلعم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتأويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج عن الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى العصير ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم اي من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في

قوله

قوله لزمنا لدن سالتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين الآخرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع فاذا ورد تمكن عنده فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ او فصل او تأكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي في وقوعه وما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتأكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتأكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب لن تغني عنهم اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى وطاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الانسب بتفظيع حالهم وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم الله اي اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعير فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستأنفة مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان وايا ما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم لا يغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الدأب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي المجوز ولا لايقاد النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استئنافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا بآياتنا بيان وتفسير لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل كذبوا بآياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من بأس الله

تعالى بحسب ما قد اب هؤلاء الكفرة ايضا كدأبهم وقيل كذبوا آه حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اي دأب هؤلاء كدأب اولئك وقد كذبوا آه واما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما لا يساعده النظم الكريم والالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة فأخذهم الله بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالآيات فالباء للسببية جيء بها تأكيدا لما تفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا أخر اي فأخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسميت الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلعم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التوراة نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلعم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلعم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلعم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون اي عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر ووضع الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة وان المعنى قل لهم ستغلبون يوم بدر فقد قال النبي صلعم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون اي في الآخرة الى جهنم وقرئ الفعلان بالياء على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كأنه قيل أد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام ما يقال لهم او استئناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المأمور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة وللتوسط بينها وبين اسمها تركت التاء كما في قوله ان امرأ غره منكن واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التأنيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وتقديمه على فاعلها لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم آية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لآية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من آية التقتا في محل الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احداهما فئة كما في قوله اذا مت كان الناس نصفين شامت وآخر مثن بالذي كنت اصنع اي احدهما شامت والآخر مثن وقوله حتى اذا ما استقل النجم في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستأنفة لتقرير ما في الفئتين من الآية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كأنه قيل فئة مؤمنة وكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الآية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تأويل الفئة بالقوم او الفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها كقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم حاجة الى التعريف وقوله تعالى كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل آه وفئة اخرى كافرة وجوز ان يكون كل منهما مبتدأ وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل آه وفئة اخرى كافرة

وقيل

وقيل كل منهما مبتدأ محذوف الخبر اي كل منهما فئة تقاتل آه وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل البعض من الكل وقد عرفت انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت وقرئ فئة آه بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا كأنه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم اي يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من آحاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة ومستأنفة مبينة لكيفية الآية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلعم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والآخر لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله عز وجل عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند تراءيهما ليجترؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخيرة مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رأيتم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة اثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعلت الجملة صفة او مستأنفة اولى من العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرح به فظاهر لاستحالته واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا تبين حال جعل الخطاب للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان انقرع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لوقوع مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين

مصدر مؤكد ليرونهم ان كانت الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى
رؤية العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة
في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة
القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة
العبرة فعلة من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو ايضا من تمام
الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما ما اورد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلى الله عليه وسلم زين
للناس كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى
اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده
والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كأنها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث
احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري
سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول
للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين
المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من
الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان
وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهي المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل
ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال
وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال او فنعال
ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض
او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال والخيل عطف على القناطير قيل
هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اي
المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي والمطهمة التامة الخلق والانعام
اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اي ما ذكر من الاشياء المعدودة متاع الحيوة
الدنيا اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيها
عند عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء
بالترغيب فيما عند الله تعالى من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين
شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النبي عليه السلام بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب
للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى
للذين اتقوا عند ربهم جنات استئناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدأ والجار والمجرور خبره او على ان جنات مرتفع
على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما
سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات بها للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند
نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر
لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لهذا
ربما يوهم ان هناك خيرا آخر للآخرين تجري في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار

متعلق

متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار
جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج
مطهرة عطف على جنات اي مبرأة مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين
للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر
قدره كائن من الله عز وجل وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال
الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا
آمنا في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين
الخ او النصب على المدح او الجر على انه صفة للمتقين او للعباد او بدل من احدهما وقوله تعالى والله بصير بالعباد معترضة
وتأكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب
النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون
الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو
الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم
والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين
بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال
الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا
فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر
اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق
والنفس اصفى والروح اجمع لاسيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها و
كمالهم فيها او التغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته
بنصب الدلائل التكوينية في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة
ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة
اعتراضا وايقاع الفعل على قوله ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال
من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح اي هم شهداء لله وهو اما جمع شهيد كظرفاء
في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل
للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولوا العلم اي آمنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية
والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخريين
قيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد
حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه ح كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة
الكلام عليه والملائكة واولو العلم شهداء بذلك ولك ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا فيحسن العطف على المستتر
على كل حال وقوله تعالى قائما بالقسط اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته و
انتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس
كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل تأخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة
الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشأنه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمها على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في
الشهادة به كما في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو اولى وجه والعامل فيها معنى الجملة اي

اى تفردا واحقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفى اى لا آله قائما آه والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم
وهو مندرج فى المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم
الفصل بينهما كما فى الصفة او على انه خبر لمبتدإ محذوف وقرئ قيما بالقسط • لا اله الا هو • تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة
التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجرى عليه قوله تعالى • العزيز الحكيم • فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته
على العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدإ مضمر وقد روى فى فضلها انه عم
قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة
وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروى عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت
هذه الآية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت فى نصارى نجران وقال الكلبى قدم على النبى صلعم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة
قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا عليه عم عرفاه بالصفة فقالا له عم انت محمد
قال عم نعم قالا وانت احمد قال عم انا محمد واحمد قالا فانا نسألك عن شىء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال عم سلا
فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان • ان الدين عند الله الاسلام • جملة مستأنفة
مؤكدة للاولى اى لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذى هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا
اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين الخ على انه بدل من انه بدل الكل
ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر
كما اشير اليه • وما اختلف الذين اوتوا الكتاب • نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذى جاء به النبى عليه السلام
وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتى ما يزيله ويقطع شافته
فى غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل • الا من بعد ما جاءهم العلم • استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اى وما اختلفوا
فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من
العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامى حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة
مما لا يصدر عن العاقل وقوله • بغيا بينهم • اى حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر تشنيع اثر تشنيع • ومن
يكفر بآيات الله • اى بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تعالى هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او بآية آية كانت من آياته تعالى على
ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا • فان الله سريع الحساب • قائم مقام جواب الشرط علة له اى ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى يجازيه
ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى يأتى حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة
وفى ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه
وكون ذلك للبغى دلالة على كمال شدة عقابهم • فان حاجوك • اى فى كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما
الحمت عليهم الحجج • فقل اسلمت وجهى • اى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى
والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شىء • لله • لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم
الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام • ومن اتبعن • عطف على المتصل فى اسلمت وحسن ذلك لمكان
الفصل الجارى مجرى التاكيد بالمنفصل اى واسلم من اتبعنى وجهه • وقل للذين اوتوا الكتاب • من اليهود والنصارى
وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفى المتعاطفين • والاميين • اى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب
• ءاسلمتم • متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على
كفركم بعد كما تقول لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكته فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى
فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم
بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى • فان اسلموا • اى كما اسلمتم واتمام مصرح به كما فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به من باب
اطلاق اسم الاسلام على شىء آخر بالكلية • فقد اهتدوا • اى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال • وان تولوا

اى

اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام • فانما عليك البلاغ • قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ
وقد فعلت على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلعم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود
اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله
ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبد الله وذلك قوله عز وجل وان تولوا • والله بصير بالعباد • عالم بجميع احوالهم وهو
تذييل فيه وعد ووعيد • ان الذين يكفرون بآيات الله • اى آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام
على الوجه الذى مر تفصيله دخولا اوليا • ويقتلون النبيين بغير حق • هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام
وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبى عم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته
المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق
• ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس • اى بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت
او باختلافهما فى الوقت عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او
رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار
وقرئ ويقاتلون الذين • فبشرهم بعذاب اليم • خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء
بل تزيده تأكيدا وكذا الحال فى النسخ بان المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن
كما فى قوله: فوالله ما فارقتكم عن ملالة • ولكن ما يقضى فسوف يكون • وانما تغير معنى الابتداء فى النسخ بليت ولعل وقد
ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى • اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا
والآخرة • كما فى قولك الشيطان فاحذر عدو مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة
على ترامى امرهم فى الضلال وبعد منزلتهم فى فظاعة الحال والموصول الخبر وصلته خبر اى اولئك المتصفون بتلك الصفات
القبيحة والمبتلون بأسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة
والخزى فى الدنيا وعذاب اليم فى الآخرة • وما لهم من ناصرين • ينصرونهم من بأس الله وعذابه فى احدى الدارين وصيغة
الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين من انصار • الم تر •
تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان
اختلافهم فى الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اى الم تنظر • الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • اى التورية على ان
اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريع بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب
انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام
التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا
من حقوقهم التى يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة فى تقبيح حالهم
• يدعون الى كتاب الله • الذى اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار فى مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم
الجليل لتشريفه وتأكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجب مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل
ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول • ليحكم بينهم • وذلك ان رسول الله صلعم
دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم قالا
ان ابرهيم كان يهوديا فقال عم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت فى الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل
كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم
بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون • ثم يتولى فريق منهم • استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع
اليه • وهم معرضون • اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم

قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل • ذلك • اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدا خبره قوله تعالى
بانهم • اي حاصل بسبب انهم • قالوا لن تمسنا النار • باقتراف الذنوب وركوب المعاصي • الا اياما معدودات • وهي مقدار
عبادتهم العجل وترسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب • وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون • من قولهم ذلك وما اشبهه من
قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من
القبايح • فكيف • رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون
حالهم • اذا جمعناهم ليوم • اي لجزاء يوم • لا ريب فيه • اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من
رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار • ووفيت كل نفس ما كسبت • اي جزاء ما كسبت
من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة
على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد
الخلاص منها • وهم • اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس • لا يظلمون • بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كل منهم
مقدار ما كسبه • قل اللهم • الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخولها عليه مع حرف
التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل
وهمزته • مالك الملك • اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداما واحياء
واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية • تؤتي الملك •
بيان لبعض وجوه التصرف الذي تستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ
عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة • من تشاء • اي ايتاءه اياه
• وتنزع الملك ممن تشاء • اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكية حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى
صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى
آخرين • وتعز من تشاء • ان تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق • وتذل من تشاء • ان تذله في احدهما او فيهما
من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة • بيدك الخير • تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد غيرك
تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي
الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب
او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلعم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فجاء عم واخذ منه المعول
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال عم
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب
الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم
ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق ولا
تستطيعون ان تبرزوا فنزلت • انك على كل شيء قدير • تعليل لما سبق وتحقيق له • تولج الليل في النهار • اي تدخله فيه بتعقيب
اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني • وتولج النهار في الليل • على احد الوجهين • وتخرج الحي من الميت • اي تنشئ الحيوانات
من موادها او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر • وتخرج الميت من الحي • اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر
من المؤمن • وترزق من تشاء بغير حساب • قال ابو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى
وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك
بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل
العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن

[illegible]

علي

علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتان من آل عمران شهد الله انه لا اله
الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب
تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقراكن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه
على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة و
اعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد وفي بعض النسخ
اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم
وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم • لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء • نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور
الدينية • من دون المؤمنين • في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء
بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة • ومن يفعل ذلك • اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار
او لايهام الاستهجان بذكره • فليس من الله • اي من ولايته تعالى • في شيء • يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتضادين
مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى • الا
ان تتقوا • على صيغة الخطاب بطريق الالتفات واستثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم
اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم • منهم • اي من جهتهم • تقاة • اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على
ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة مع اطمينان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع
من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة
وقلبت الياء الفا وقرئ تقية • ويحذركم الله نفسه • اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات
عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة
وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة • والى الله المصير •
تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما • قل ان تخفوا ما في صدوركم • من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة • او تبدوه
فيما بينكم • يعلمه الله • فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون • ويعلم ما في السموات وما في الارض • كلام مستانف غير معطوف على جواب
الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا • والله على كل شيء قدير • فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم
تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى
ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن ساير الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق
بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط • يوم تجد كل نفس
اي من النفوس المكلفة • ما عملت من خير محضرا • عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل بالنسبة حاضرا • وما عملت من سوء • عطف
على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات
الحكمة التشريعية • تود • عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة
لو ان بينها وبينه • اي بين ذلك اليوم • امدا بعيدا • لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل
سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك
من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكر وان تود اما حال من كل نفس او استيناف مبني على
السؤال اي اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا متمنية ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين اجد ما
عملت اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء

بكر

ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فحينئذ يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوفق معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق
للقراءة المشهورة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتأكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل
﴿والله رؤف بالعباد﴾ من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة وان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه
وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ المحبة ميل النفس الى
الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من
نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه
فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلعم في عبادته والحرص على مطاوعته ﴿يحببكم الله﴾
اي يرض عنكم ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه
عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلعم فهو تذييل
مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي
انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام
زعموا على عهده عم انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي عم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى
ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه عم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه اي اتبعوا شريعتي وسنتي
يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم ﴿قل اطيعوا الله والرسول﴾ اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة
في اتباعه عم دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة
المأمور بها اطاعته عم من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها
﴿فان تولوا﴾ اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق
من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم ﴿فان
الله لا يحب الكافرين﴾ نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار
لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل
مخصوصة بالمؤمنين ﴿ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين﴾ لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده
هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع
الرسول عم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلوة والسلام
كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عم وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين
في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابرهيم عم وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم
عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن
احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق
لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلعم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سيأتي
تفصيله وتخصيص آدم عم بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا حال نوح عم فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلترغيب
المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي عم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما فيه من
التنبيه على كونه عم عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابرهيم فلاظهار مزيد الاعتناء
بتحقيق امر عيسى عم لكمال رسوخ الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة

الآل

الآل الى ابرهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم
بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم
او فيمن يلابسه وينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عم بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه
واسكان الجنة واصطفى نوحا عم بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته
هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابرهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما
الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاؤه نفسه عم فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان
بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عم انا دعوة ابي ابرهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازر
ابن ابي يهود بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن اموص بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا
ابن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام ابن ايشا بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون
ابن عمياذب بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن
يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عم بالاندراج
في آل ابرهيم عم والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل
ابرهيم عم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ﴿ذرية﴾
نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى ﴿بعضها من
بعض﴾ في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في
النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني
برهانية ﴿والله سميع﴾ لاقوال العباد ﴿عليم﴾ باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامته
قولا وفعلا على نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ﴿اذ قالت امرأة عمران﴾
في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستئناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت
قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية
لما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه
قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل
في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى
وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران
ابن ماثان لانه عم كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عم واما قوله صلى الله عليه وسلم في شأن يحيى وعيسى
عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تأويله ان الاخت كثيرا تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعل عليهما السلام ابني خالة
وكانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء
على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام
روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم
ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم
من الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها ﴿رب اني نذرت لك ما في بطني﴾ لا بد من حمله على التكرير لتأكيد
نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع
الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه
وصفاته وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهامه

امره وقصوره عن درجة العقلاء **محررا** اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شأن آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني وفائدته ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها **فتقبل مني** اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى **انك انت السميع** لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي **العليم** بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته واعتباره في خبر الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى **قالت رب اني وضعتها انثى** لا على وضع ولد ما كأنه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى او لانه مؤول بالجملة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في خبر الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التأويل بالجملة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحسرا وتحزنا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل **والله اعلم بما وضعت** تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة لاظهار غاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات ظاهر وقوله تعالى **وليس الذكر كالانثى** اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه كالانثى وتخيل فيه كمال اقتصاره ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى **واني سميتها مريم** عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه **واني اعيذها بك** عطف على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف آتوني افرغ **وذريتها** عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به **من الشيطان الرجيم** اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي عليه السلام ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة **فتقبلها** اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر **ربها** مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى **بقبول حسن** قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة

الفعل

الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن **وانبتها** مجاز عن تربيتها بمعنى تصليحها في جميع احوالها **نباتا حسنا** مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا **وكفلها زكريا** اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ كفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا او مقصورا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب **كلما دخل عليها زكريا المحراب** تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه **وجد عندها رزقا** اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط **قال** استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال **يا مريم انى لك هذا** اي من اين لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل ذلك ارهاصا وتأسيسا لرسالة عيسى عليه السلام او معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه اشتباه الامر عليه **قالت هو من عند الله** فلا عجب فيه ولا بدع **ان الله يرزق من يشاء بغير حساب** اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه وهو تعليل لكونه من عند الله روي ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسع على جيرانها **هنالك دعا زكريا ربه** كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكاية من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم عليها السلام في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى زكريا كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه لجواز ولادة العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء

فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه ايضا وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال
تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له
ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من لدنك بمحذوف
وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث
في الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال وهذا فيما لم يقصد به واحد
معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء
اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل كما يفصح عنه قراءة من قرا فناداه
جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذين
هم الملائكة وقيل لما كان جبريل امام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع
كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول
البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي
حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف وبلا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اي في
المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم
الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء
النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي واياما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام الى آخره
محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به ما جرى
عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم
للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما
يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد
المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول
حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى
بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي
لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت باني حبلى فقالت مريم واني ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك
فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل قتل قبل
رفع عيسى عليهما السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت
وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا عطف على مصدقا اي يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية
فيا لها من سيادة ما اسناها وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه
مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة
من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما في قوله تعالى
وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه
مبني دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام
حينئذ فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادي له مع انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على

نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه تعالى
بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف
عليه في بعضها انى يكون لي غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى وانى او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم
والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر
لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية
وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في كقولهم ادركته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه
من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون
وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال
من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال اني وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة
وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما
لقدرة الله سبحانه وتعجبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا وحيث كان بين الدعاء والبشارة ستون
سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك
اشارة الى مصدر يفعل وقوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات
فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا
مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة
الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انه حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اي يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او في محل الرفع
على انها خبر والجلالة مبتدأ اي على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك
خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي آية اي علامة تدلني على
تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سأله لان العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك
النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان
مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام ستة اشهر لان ظهور العلامة كان عقيب
تعيينها المقول في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون الحبل بعد زكريا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال آيتك ان لا تكلم الناس [illegible] ثلاثة ايام [illegible]
[illegible]
[illegible]
الا رمزا اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء
منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام [illegible]
القبيل وقرئ رمزا [illegible]
[illegible] واذكر ربك كثيرا [illegible]
[illegible] وسبح [illegible] بالعشي [illegible]

اى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلوة
بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى كما ان المراد بالذكر الذكر
القلبى وقرئ والابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة شروع فى شرح بقية احكام اصطفاء آل
آل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعنى زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه
وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عم وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق
عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعنى قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب بناصبه فتدبر اى اذكر
ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام
الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر
مريم عم وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا
لنبوة عيسى عم لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفيك اولا حيث تقبلك من امك
ولم تقبل غيرك انثى ورباك فى حجر زكريا عم ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اى مما يستقذر من
الاحوال والافعال ومما قرفتك به اليهود بانطاق الطفل واصطفيك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى عم
من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغى ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية
بشارتها بعيسى عم لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل
واحدا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال فى ترتيب النظم الكريم
اذ يحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عم ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات
والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح
عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا
فى العمل بموجبه اقنتى لربك اى قومى فى الصلوة او اطيلى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار
بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى ايجابها رعايتها
وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل
اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى كذلك بل اللائق به الترقى من الادنى الى الاعلى
واما ليقترن اركعى بالراكعين للاشعار بان من ليس فى صلوتهم ركوع ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح
لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به
الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كما فى قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما
وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته فى
الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى من انباء الغيب اى من الاخبار المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره
اى نوحى من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحى لم ينقطع بعد وما
كنت لديهم اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما فى قوله
تعالى وما كنت بجانب الغربى الآية وما كنت ثاويا فى اهل مدين الآية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والوقائع اما المشاهدة
واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار
العامل فى لديهم واقلامهم اقداحهم التى اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا ايهم يكفل مريم
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اى فى شأنها

تنافسا فى كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما فى قوله عز وجل
نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم عند القاء الاقلام
وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على ان نبوته عم لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب
فى الذكر مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع فى قصة عيسى عم وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض
جئ به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب
والمخاطب ايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما فى الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كأنه قيل
وما كنت حاضرا فى ذلك الزمان المديد الذى وقع فى طرف منه الاختصام وفى آخره هذا الخطاب اشعارا باحاطته عم بتفاصيل
احوال مريم عم من اولها الى آخرها والقائل جبريل عم وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء
الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر
وهو مبتدأ خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار
اعنى مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما يتميز به المسمى عما سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلثة اذ هو المميز له عليه السلام
تمييزا عن جميع ما عداه والمسيح لقبه عم وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب
من ايشوع والتصدى لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسحه جبريل عم او مسح
الارض ولم يقم فى موضع او كان عم يمسح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان فى لونه عيس اى بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء
وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين
وجيها فى الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت
نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة فى الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة
الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة ومن المقربين اى من الله عز وجل وقيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته الملائكة
وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس فى المهد وكهلا اى يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام
الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمى به ما يمهد للصبى اى يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله
وفى ذكر احواله المختلفة المتنافية ارشاد الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال ثالثة معطوفة على الحال
السابقة اى ومن الصالحين قالت استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية بشارة الملائكة كأنه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة
ذلك فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون لى ولد على وجه الاستبعاد العادى
والتعجب والاستعظام لقدرة الله تعالى او على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او غيره ويكون تامة
ولم يمسسنى بشر جملة حالية محققة للاستبعاد قال استيناف كالسابق والقائل جبريل عم كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام فيه كما فى قصة زكريا
بعينه غير ان التعبير عنه هنا بالخلق لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان
فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل
اذا قضى امرا من الامور اى اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون
اشارة الى انه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر على خلقها دفعة من غير ذلك

أي الكتابة أو جنس الكتب الإلهية والحكمة أي العلوم وتهذيب الأخلاق والتوراة والإنجيل إفرادهما بالذكر على تقدير كون
المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وإنافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يكلم أو هو كلام مبتدأ
سيق تطييبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف اللائمة لما علمت أنها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا إلى بني إسرائيل
منصوب بمضمر يعود إليه المعنى معطوف على يعلمه أي ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل أي كلهم وقال بعض اليهود إنه كان مبعوثا إلى قوم مخصوصين
ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان أول أنبياء بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عم وقيل أولهم موسى وآخرهم
عيسى عليهم السلام وقوله تعالى أني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق أي رسولا ناطقا بأني آه وقيل منصوب بمضمر معمول
لقول مضمر معطوف على يعلمه أي يقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم آه وقيل معطوف على الأحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم
الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا بأني آه وقرئ ورسول
بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على أنها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة
لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بآيات أو بجئتكم على أنها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف
وقع صفة لآية أي جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم أو أتيتكم آية عظيمة كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين لتأكيد إيجاب الامتثال بما سيأتي من الأوامر وقوله تعالى أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله
تعالى أني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على رأي الخليل والكسائي أو بدل من آية وقيل منصوب
بفعل مقدر أي أعني أني آه وقيل مرفوع على خبر مبتدأ محذوف أي هي أني أخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف أي أقدر لكم أي
لأجل تحصيل إيمانكم ودفع تكذيبكم إياي من الطين مثل الهيئة المقدرة أي أخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فأنفخ فيها فيكون طيرا
حيا طائرا كسائر الطيور بإذن الله بأمره تعالى أشار بذلك إلى أن إحياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي أنه عم
لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق خفاش فأخذ طينا وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض قال وهب كان
يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل إنما طلبوا خلق الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا
وأبلغ دلالة على القدرة لأن له ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الإنسان ويطير بغير ريش
ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق أنواعا من الطير
وأبرئ الأكمه أي الذي ولد أعمى أو الممسوح العين والأبرص المبتلى بالبرص المعروف تنفر منه النفوس ويقال له الوضح الفاسد
وتخصيصهما بالذكر لأنهما مما أعيى الأطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عم فأراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي أنه ربما
كان يجتمع عليه عم ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عم وما يداويه إلا بالدعاء وأحيي الموتى بإذن الله
كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عم يحيي الموتى بيا حي يا قيوم أحيى عازر وكان صديقا له فعاش
وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع إلى أهله وبقي وولد له وبنت العاشر أحياها وولدت بعد ذلك
فقالوا إنك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرجوا
فقام على قبره فدعا الله عز وجل فخرج من قبره وقد شاب رأسه فقال عم كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت
صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع فقال يا روح الله إن مرارته لم تذهب
من حنجرتي وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فإنه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا إن هذا
سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات
من أحوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف إن في ذلك إشارة إلى ما ذكر من الأمور العظام لآية
عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة إن كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى إليه أو دلالة
المذكور عليه أي انتفعتم بها إن كنتم ممن يتأتى منهم الإيمان دلتكم على صحة رسالتي والإيمان بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة
عطف على المضمر الذي يتعلق به قوله تعالى بآية أي قد جئتكم ملتبسا بآية آه ومصدقا لما بين آه أو على رسولا على الأوجه الثلاثة فإن مصدقا
فيه معنى النطق كما في رسولا أي ويجعله مصدقا ناطقا بأني مصدق آه أو ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم أي وجئتكم آه ومصدقا

شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فأنفخ فيها الضمير للهيئة صح

آه

آه أو حال كونه مصدقا بأني أصدق آه أو منصوب بإضمار فعل دل عليه قد جئتكم مصدقا آه وقوله من التوراة إما حال من الموصول
والعامل مصدقا وإما من ضميره المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف أو نفس الظرف لقيامه مقام الفعل
ولأحل لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله أي وجئتكم لأحل آه وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولأجتلب رضاه كأنه
قيل جئتكم لأصدق ولأحل آه وقيل عطف على بآية أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي في شريعة موسى عم
من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الإبل والعمل في السبت قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في إحلال
السبت وقيل حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي أو الله عز وجل وقيل حرم بوزن كرم وهذا يدل على أن شرعه كان ناسخا
لبعض أحكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما أن النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الأزمان وتأخير المفعول من الجار
والمجرور لما مر مرارا من المبادرة إلى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق إلى الآخر وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي
وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها وأطيعون فيما آمركم به وأنهاكم عنه بأمر الله تعالى وتلك الآية
هي قولي إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فإنه الحق الصريح الذي أجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على أنه عم
من جملتهم وقرئ أن الله بالفتح بدلا من آية أو قد جئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله وأطيعون اعتراض
والظاهر أنه تكرير لما سبق أي قد جئتكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وإبراء الأكمه والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره
من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والأول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها إلى الحكم ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله أي جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم إليه
ومعنى قراءة من فتح ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لإيلاف قريش إيلافهم آه ثم شرع في الدعوة وأشار إليها بالقول
المجمل فقال إن الله ربي وربكم إشارة إلى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه
إشارة إلى استكمال القوة العملية فإنه بملازمة الطاعة التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بأن بين
أن الجمع بين الأمرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل آمنت ثم استقم فلما أحس عيسى منهم الكفر
شروع في بيان مآل أحواله عم إثر ما أشير إلى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة وإشارة صحيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة
عليهم السلام وخروجه من القوة إلى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى أنا آتيك به قبل
أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال كيت وكيت وإنما لم يذكر الكفار بحكاية الملائكة
وإيذانا بعدم الخلف ووثوقه بإفصاح الموضع الآخر وأما عدم نظم بقية أحواله عم في سلك النقل فإما للاعتبار بأمرها وإما لعدم
مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عم للشدائد ومعاناته للمكايد والمراد بالإدراك الإحساس العقلي الجاري
مجرى المشاهدة وبالكفر إصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عم كما ينبئ عنه الإحساس فإنه إنما يستعمل
في أمثال هذه المواقع عند كون متعلقه أمرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون وكلمة
من متعلقة بأحس والضمير المجرور لبني إسرائيل أي ابتداء الإحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق إلى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر قال أي لخلص أصحابه أو لجميع
بني إسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى ابن مريم للحواريين الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة وليس
بنص في توجيه الخطاب إلى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة إليهم من أنصاري الأنصار جمع نصير كأشراف جمع شريف
إلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء أي من أنصاري متوجها إلى الله ملتجئا إليه أو بأنصاري متضمنا معنى الإضافة كأنه
قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل إلى بمعنى في أي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام
وقيل بمعنى مع قال استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فماذا قالوا في جوابه عم فقيل قال الحواريون
جمع حواري يقال فلان حواري فلان أي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص
ألوانهن ونظافتهن سمي به أصحاب عيسى عم لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وأنوارها وقيل
كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك أن واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة

لا يزال يأكل منها ولا تنقص فتذكر واذ ذلك للملك فاستدعاه وهم فقال من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه فتبعه مع اقاربه
فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر
بهم عيسى عم فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس للحيوة الابدية قالوا من انت
قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامر عيسى عليه السلام
بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملاؤا السفينتين
فعند ذلك امنوا بعيسى عم وقيل كانوا اثنى عشر رجلا آمنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله
فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان فاذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون
فقالوا من افضل منا قال من افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل
ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له هنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة
معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل هو كلها في حب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره
بما صنع فقال افسدت على الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على ما يكون حسبما
كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به عم وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثنى عشر من
الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار
عيسى عم واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله آمنا بالله استئناف جار مجرى العلة
لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في
الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عم الشهادة بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم السلام لامهم وعليهم
ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا آمنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على
الرسول مبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما يأتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا
اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد
فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عم كفرهم من اليهود بان وكلوا
به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عم والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روى عن ابن عباس رض ان ملك بني اسرائيل لما قصد
قتله عم امر جبريل عم ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عم من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث
منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عم
جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكان
اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله
عز وجل شبهه عليه ورفع الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه
وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل
لما صلب المصلوب جاءت مريم عم ومعها امرأة ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عم وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله
عيسى عم فجاءهما فقال على من تبكيان قالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد
ابن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عم ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته
فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فقتل
وقتل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عم فاخبروه فتابعهم
على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في
الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في

مدينة

في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عم وهي بنت ثلث عشرة سنة
وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلثين
ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين
والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة
والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم
وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل
اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم
كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عم
اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة
آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى
عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازة والقى عليه شبه عيسى عم فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى
فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم
ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة
كان فينا ابن الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه
وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله محمدا صلعم
ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس
معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا
دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا
به عم ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل
فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء
والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عم الى يوم القيمة غاية للجعل او الاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى
ان الجعل او الفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى
بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير
لعيسى عم وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار
فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية
الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان
حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق
باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما
يومئذ كشف وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن
الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة فان
تأخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير
الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المؤمنين
فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف
من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم كا...

بهذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود
وواضعون للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عم
وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشأن بمنزلة
المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وجل نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الآيات حال
من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدأ مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر
وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معناها اذ التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل
عيسى اي شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل آدم اي كحالته العجيبة التي
لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه
الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم فان انكار خلق عيسى عم بلا اب ممن اعترف بخلق آدم بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى
خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اي انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز
كون ثم لتراخي الاخبار لا لتراخي المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك
تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل
رأيت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له ولا ام من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عم ان آدم عليه السلام
ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عم وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك او
خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه السلام
وامه والظرف اما حال من ربك او خبر ثان اي كائن منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عم والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الامر
تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب اما للنبي صلعم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت
والاشعار بان الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما
لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شأن عيسى عم وامه زعما منهم
انه ليس على الشأن المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم
يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا بالرأي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر
البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فمتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل
منكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك
ومظان التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه
بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عم على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر
مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم
والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل
مبين لمعناه روي انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح
ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا
قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله
تعالى عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله تعالى
ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم

رأينا

رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلعم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين
وعليكم ما عليهم فابوا فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا
تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا
اي ما قص من نبأ عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام
لكونه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ او هو مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر لان والحق صفة او هو
مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم
وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في
الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله
عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت
به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل
بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان
كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم
يا رسول الله فقال اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عم هو ذاك فان تولوا عما دعوتم اليه
من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه
انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عم وما توارد
عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع
من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى عم والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما
ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابرهيم
اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم عم وزعم كل منهم انه عم منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عم
فنزلت والمعنى لم تدعون انه عم كان منكم وما انزلت التورية على موسى عم والانجيل على عيسى عم الا من بعده
حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام وبين موسى وعيسى عليهما السلام الف سنة فكيف يمكن ان يتفوه به عاقل افلا
تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او اتقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من
مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستأنفة اشعارا بكمال غفلتهم اي ها انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به
علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابرهيم في احد
الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء
والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا من الاشياء
التي من جملتها ذلك ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا
من العقائد الزائغة كلها مسلما اي منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا اشترك الالزام
وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عم
ان اولى الناس بابرهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين آمنوا

لموافقتهم في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين
ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عم بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة
حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله
الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله تعالى وما يشعرون باختصاص وباله وضرره بهم
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عم وانتم تشهدون
اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم وابرازكم الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون وتلبسون
بتشديد الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته وانتم تعلمون اي حقيته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم آمنوا بالذي
انزل على الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقران المنزل عليهم وجه النهار اي في اوله واكفروا اي اظهروا ما انتم
عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم
عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلعم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون
فيه ولا تؤمنوا اي ولا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن
كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بل تؤمنوا اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا
يدعوهم الى الاسلام وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله
بدل من الهدى وقرئ أان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد آه دبرتم وقرئ
ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم
فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع
عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل
العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في
الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آه وخبره قوله تعالى
من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين
كأنه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا
فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة
الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال والاوقات اي لا يؤده في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا في حال دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك
اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر والفساد

بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شأن من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب ومؤاخذة
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم
من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجال من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط
حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم سبيل وقوله تعالى من اوفى
بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين ناب
مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه
وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك
الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء
اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله
تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة
فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه
واعاد نظره عليه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم
اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع
ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله عم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل
نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله عم فقال له شاهداك او يمينه فقال
الاشعث اذن يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اي من اليهود المحرفين لفريقا
ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل
الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها
والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى آخره وقرئ بالياء والضمير
للمسلمين من الكتاب اي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس
الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو اي
المحرف من عند الله اي منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى
في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب
في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون
على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود الذين قدموا
على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه
فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عم حيث قال نصارى نجران ان عيسى عليه السلام
امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عم وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل
لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر
بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز
وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف هو صفة

عبادا لي اى عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية ويحتمل الحالية لتخصص النكرة
بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما جميعا قيل ان ابا رافع القرظى
والسيد النجرانى قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نامر
بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض افلا نسجد لك قال عم لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اى ولكن
يقول كونوا ربانيين الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل الشديد
التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته
فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددى وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار
القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثانى لمن
دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا
بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد
معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا
او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ بالرفع على الاستئناف
ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار للنفى عن البشر والضمير له وقيل لله سبحانه بعد اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون للسجود له عم واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبى عم اى اذكر وقت اخذه تعالى
ميثاقهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم
الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف
المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلعم لانا اهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط
ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم لمجئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن
اجل اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا قال اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق
أأقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بضم الهمزة وهى اما لغة فيه كعبر وعبر او
جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر
اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم
من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة
وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى
البعد فى اسم الاشارة لتعظيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى تولى باعتبار اللفظ وما فيه
من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم فى السوء وبعد منزلتهم فى الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات القبيحة
هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد
افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اى ايتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة
والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من فى السموات والارض جملة حالية مفيدة
لوكادة الانكار طوعا وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك
الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم

واليه

واليه يرجعون اى من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما
مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلعم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر
وجمع الضمير فى قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى واحد
من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره
بان يتكلم عن نفسه على دين الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلعم والايذان بانه عم اصل فى ذلك كما فى
قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى الى
لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبى عم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد
تعسف الا يرى الى قوله تعالى بما انزل اليك آه وقوله تعالى امنوا بالذى انزل على الذين امنوا آه وانما قدم المنزل على الرسول
صلعم على المنزل على سائر الرسل عم مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم
حفدة يعقوب عم وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتى موسى وعيسى من التورية و
الانجيل وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام
مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عم اى وما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم
من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم
وبحقية ما انزل اليهم فى زمانهم وعدم التعرض لنفى التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله فى تفسير قوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر
والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما فى قولك المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه
فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيره كما فى قول النابغة فما كان بين الخير
اذ جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبينى ونحن له مسلمون اى منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا
لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اى غير التوحيد والانقياد
لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول
ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او
بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وهو فى الاخرة من الخاسرين
حال من الضمير المجرور او استئناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب
لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها وفى ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب
دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان
غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدى الله قوما كفروا بعد
ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا
بالنبى صلعم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم
تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا
يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل اى بعد ان امنوا وشهدوا كما فى قوله تعالى فاصدق واكن
او حال باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان
فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراض او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر جزاؤهم مبتدأ وقوله تعالى ان عليهم لعنة
الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم

ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس
المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة
او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اى يمهلون الا الذين تابوا من بعد
ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا اى ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل
عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا
هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا به
بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا
ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم
لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين
من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع
على انه بدل من ملء او خبر محذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او
معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة
او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين
في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم مولم
مبتدا والظرف خبره ولا اعتماده على المبتدا ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم
او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال الشيء
اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف مسوق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل
منهم اى لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله
تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اى في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى
مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اى مما تهوون ويعجبكم
من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد
بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا
جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله
حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلعم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد
في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على ان
انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له
من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
وروي ان عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها
اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت
جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته
ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا

فقال

روي ان عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية

فقال انت حرة لوجه الله فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى
وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اى
اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اى
شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان
او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل
وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير على انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اى كل افراد المطعوم او كل انواعه
كان حلا لبني اسرائيل اى حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اى كل المطعومات كانت حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب
عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه
وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه
ابتداء من قبل ان تنزل التوراة متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان
تقييد تحريمه بقبلية تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فائدة اى كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التوراة مشتملة على تحريم
ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة مما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ
والطعن في دعوى الرسول صلعم موافقته لابراهيم عم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر عليه السلام
بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي
التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم والظهار اسم السورة
لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اى في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين فاتوا بالتوراة فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا
على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه
ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اى اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول
التوراة على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما
ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال و
الطغيان اى فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون
المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل
هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتوراة قل صدق الله اى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل
في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا الآية او في صدق كل شان من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا
وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابراهيم اى ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عم فانكم ما كنتم متبعين لملته
كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض
الدنية الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عم ومن تبعه والفاء للدلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع
وترك ما كانوا عليه حنيفا اى مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اى في امر من امور دينهم اصلا وفرعا
وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عم ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلعم عليه وسلم على دين
ابراهيم في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول

بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عم اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عم روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة فقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر ان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصصها بسببين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد رأسه وسمده واغبطت الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا او لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد والمطاف ومكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عم وقيل آدم وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم اي اثر قدميه عم في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل رأسه على ما روي انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ حذف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عم كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدمه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون آيات سائر الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما بعده من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى آمنا معطوفة على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله تعالى عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رح من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلعم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند

وقد

جوزه ابن مالك اذا كان الحال ظرفا او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف ما اذا كانت الحال على عاملها المعنوي واللام في البيت للعهد والحج القصد للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم المصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هو من استطاع وقيل في محل النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل هل الى خروج من سبيل [illegible] لما فيه من معنى الافضاء والايصال [illegible] وقد روى انس بن مالك عن رسول الله صلعم انه فسر السبيل بالزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المروي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رح اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه [illegible] والزاد والراحلة [illegible] ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه الصلوة والسلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا [illegible] رحمه الله عليه الصلوة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الآية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلعم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآياته تعالى ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع

على جميع اعمالكم وهو مجازيكم عليها ولا ريب في ان ذلك يستدعي انحسار ما تاتونه وينقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب
امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان
باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها
مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك كما يستدعي
الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب
والكفر بالآيات الدالة على نبوته عم وقرئ تصدون من اصد عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد
وملة الاسلام من آمن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه
ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عم ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود
الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار
وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي
اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول عم عن وجهها
ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى
او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس
رض اي شهداء ان في التورية ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم
في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين
بطريق الخفية ختمت الآية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية
ختمت الآية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم
كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ورد
لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة
ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر والنهي محافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم من تآلف
القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعدما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم و
يذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم
وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي عم واصحابه فقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة الشيطان وكيد من
عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله عم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت
الآية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي عم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله عليه السلام
انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان
ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله تعالى رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر
المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون
سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع واما لزيادة تقبيح الصارف للعاقل عن
مباشرته او لممانعة الايمان له كأنه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام
انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل

موجود

موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني
وقوله تعالى وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون
الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها وداخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى
عليهم وكون رسوله عم بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم
اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق
الذي بينه بآياته على لسان رسوله عم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب الشرط وقد
لافادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد
الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين
يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان
العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار و
ادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال
من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب
عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر
وقد روي مرفوعا اليه عم وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان
ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى
كالتؤدة من اتأد واصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون
اي مخلصون نفوسكم لله تعالى لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين
لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على
حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام
حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده
المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك
لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة
في الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا واعتصموا بحبل الله
اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق
ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة
الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل
لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا
اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى
الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا
انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة
وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم
مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف
اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم

قد خلتم في الصباح فالبارح متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك
الحالة لوقعتم فيها فانقذكم بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله كما
شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو
الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم آياته اي دلائله
لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير اثر
امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها و
يحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويزعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على
الاصل وهو من كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي لتوجد
منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق اي يقصدونها ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون
خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية
وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها
ولا ينبغي عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء
باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين
ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس الاية ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء
الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام للاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف
جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويامرونهم
وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم
بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب
اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون
اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون
والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر
فهو خليفة الله في الارض وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله
ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن
شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف تابع للمأمور به في الوجوب والندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره
الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر والتوبيخ في قوله تعالى
اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا
تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات الزائغة

وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الآيات الواضحة المبينة
للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين
من الامم السالفة المشار اليهم بقوله تعالى عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من هذه
الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة
او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا فله اجر واحد واولئك اشارة الى
المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدا وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية
لاعتماده على المبتدا او الظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد
في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد
وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم اي
لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق
على التمسك بالدين اي اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم
اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت
وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه
من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم
على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد
يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع
والاهواء والفاء في قوله عز وجل فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق
العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اي
الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى
وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كانه قيل كيف يكونون
فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك اشارة الى الآيات
المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى
آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة و
الالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل
الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم
حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات
الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من
افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب
المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام
وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس
شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات

الفائقة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا
لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى «والى الله» اي الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا «ترجع الامور» اي امورهم فيجازي
كل منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما
قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم «كنتم خير امة» كلام مستأنف سيق
لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة في الزمان
الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح
او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة «اخرجت للناس» صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اي اظهرت لهم
وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت
لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة
هم امة محمد صلعم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس «تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر» استيناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة
الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس
رضي الله عنهما يريد امة محمد عم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله عم ويعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم
عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلعم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها
على الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم
وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي صلى الله عم فيهم ابن مسعود
وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله تعالى عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلعم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم
اصحاب رسول الله صلعم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم «وتؤمنون بالله» اي ايمانا متعلقا بكل ما يجب
ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه
الايمان بالله حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان بالله تعالى في شيء قال تعالى ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وتقرن قوله
تعالى «ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم» اي لو آمنوا ايمانا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام
ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر
فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان
لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين
خير منه وهيهات ذلك «منهم المؤمنون» جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان
عنهم كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام
واصحابه «واكثرهم الفاسقون» المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود «لن يضروكم الا اذى» استثناء مفرغ من المصدر
العام اي لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له «وان يقاتلوكم يولوكم الادبار»
اي ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل واسر «ثم لا ينصرون» عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون
من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم
وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم
والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر مطلقا

ولو

ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم شانهم الذي اخبركم عنه وابشركم به انهم
مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك
حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا «ضربت عليهم الذلة» اي هدر النفس والمال والاهل او ذل
التمسك بالباطل «اينما ثقفوا» اي وجدوا «الا بحبل من الله وحبل من الناس» استثناء من اعم الاحوال اي ضربت عليهم
الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي آتاهم وذمة المسلمين او
بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين «وباءوا بغضب من الله» اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اي كائن من الله عز وجل «وضربت عليهم المسكنة»
فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى «ذلك» اشارة
الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم «بانهم كانوا يكفرون بآيات الله» اي ذلك الذي ذكر كائن
بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الآيات القرآنية «ويقتلون الانبياء
بغير حق» اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم
ينسب الى كل من يسير بسيرتهم «ذلك» اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل «بما عصوا وكانوا يعتدون» اي كائن بسبب
عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى المباشرة بالكبائر والاستمرار عليها يؤدي
الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب
عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة «ليسوا سواء» جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد
محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة وهو
اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة
لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف
بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى «من اهل الكتاب امة قائمة» استيناف مبين لكيفية
عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة وانما
وضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا
وافرا من الكتاب لا من ارذالهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن
سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلثون من الحبشة وثلثة
من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عم وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلعم منهم اسعد بن زرارة والبراء
ابن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع الحنيفية
حتى جاءهم الله بالنبي عم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى «يتلون آيات الله» في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل في محل النصب
على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي تضمنه الجار او من ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه
خبرا لامة والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى «آناء الليل» ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معى
او انى بزنة ظبي او اني بزنة نحي او انو بزنة جرو «وهم يسجدون» اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عم
الا اني نهيت ان اقرأ راكعا او ساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع
والتصريح بتلاوتهم آيات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين
الذين وصفوا آنفا بالكفر بها وهو السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في
مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو
الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال

اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرئ بهذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على التجدد والجملة
حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون
في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله
ولله يسجد ما في السموات والارض • يؤمنون بالله واليوم الآخر • صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي
يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور ان الذي يطلق عليه الايمان هو هذا لا يذهب
الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته
ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفي عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالله
وهيهات • ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر • صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة
بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال
الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف • ويسارعون في الخيرات • صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن
المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على
التراخي اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى
الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونها
المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها • واولئك • اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصل من
النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم
والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها • من الصالحين • اي من جملة من صلحت احوالهم
عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه • وما يفعلوا من خير • كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر • فلن يكفروه • اي لن يعدموا
ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول الجاري على سنن
الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب • والله عليم بالمتقين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي
توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم
بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه
اندراجا اوليا • ان الذين كفروا • اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم
كانت لاجل المال وقيل هم مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا
على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن
بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال • لن تغني عنهم • اي لن تدفع عنهم • اموالهم ولا اولادهم من الله • اي من عذابه تعالى
شيئا • اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء • واولئك اصحاب النار • اي ملازموها • هم فيها خالدون
ابدا • مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا • بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار
ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون
رياء وخوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة • كمثل ريح فيها صر • اي برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع
اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة • اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم • بالكفر والمعاصي فباؤا بالغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع • فاهلكته • عقوبة لهم
ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته
صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي
استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك الريح

او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون • وما ظلمهم الله • بما بين من ضياع ما انفقوا • ولكن انفسهم
يظلمون • لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار
تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد جوز ان
يكون المعنى وما ظلمهم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد تعرض
للتعرض له تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم
يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق • يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة • بطانة الرجل وليجته من يعرفه اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار
شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة
والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده
قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهي صفة المنافقين وايا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة
من دونكم • اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل
اي كائنة من دونكم مجاوزة لكم • لا يألونكم خبالا • جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا في
الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال
الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد • ودوا ما عنتم • اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استئناف مؤكد للنهي
موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه • قد بدت البغضاء من افواههم • استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه
اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم
ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه ها يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره
على فويه والنسبة اليه فوهي • وما تخفي صدورهم اكبر • مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار • قد بينا لكم الآيات
الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين • ان كنتم تعقلون • اي ان كنتم من اهل
العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه • ها انتم اولاء • جملة من مبتدأ وخبر صدرت
بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى • تحبونهم ولا يحبونكم • بيان لخطئهم
في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة
ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا • وتؤمنون بالكتاب كله • اي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير
المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم
اصلب منكم في حقكم • واذا لقوكم قالوا آمنا • نفاقا • واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ • اي من اجله تأسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا • قل موتوا بغيظكم • دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله الى ان
يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم • ان الله عليم بذات الصدور • فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو
يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه
بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلعم بطيب النفس وقوة الرجاء
والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك
ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها • بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما لان المس مستعار لمعنى الاصابة • وان

او لان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة
ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة

تصبروا • اي على عداوتهم او على مشاق التكاليف • وتتقوا • ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه • لا يضركم كيدهم
مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره
وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد • شيئا • نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه

الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالآثار والصبر يكون جريا على الخصم إن الله بما يعملون
من عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية أي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما
أنتم أهله وإذ غدوت كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على وجود ما يستتبع
لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده
له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عم أي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر
فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها
المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها واستحضارها حادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة
آه والمراد به خروجه عم إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رض وهو المراد بقوله تعالى من أهلك أي من عند أهلك
تبوئ المؤمنين أي تنزلهم وتهيئ وتسوي لهم مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوي للمؤمنين والجملة حال من فاعل
لكن لا على أنها حال مقدرة أي ناويا وقاصدا للتبوئة كما قيل بل على أن المقصود تذكر الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج و
التبوئة وما ترتب عليها إذ هو المذكر للقصة وإنما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عم بعد صلوة الجمعة
كما ستعرفه إذ حينئذ وقعت التبوئة التي هي العمدة في الباب إذ المقصود بتذكير الوقت تذكير ما فيهم لأمر النبي عم وتنزلهم عن أحيازهم
المعينة لهم عن التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأي من احتج به على جواز أداء صلوة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله
للقتال إما متعلقة بتبوي أي لأجل القتال وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أي كائنة ومقاعد القتال أماكنه ومواقفه فإن
استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك
روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول
ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها
إلى العدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال صلى الله عليه وسلم إني رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب
سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ أخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الأنصاري
رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ثم قال بقولي أشهد أن لا إله إلا الله وإني لا أفر من الزحف
فلم يزالوا عليه عم حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه و
قالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة وأصبح
بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال فكأنما يقوم بهم
القدح إن رأى صدرا خارجا تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة
وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لأقوالكم
عليم بضمائركم والجملة اعتراض للإيذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم إذ همت
بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكر أو ظرف لسميع عليم على معنى أنه تعالى جامع بين سماع الأقوال والعلم بالضمائر
في ذلك الوقت إذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء مثل قولك ضربت وأكرمت زيدا أن
زيد منصوب بهما وإنما تسلطا عليه معا طائفتان منكم أن تفشلا متعلق بهمت والباء محذوف أي بأن تفشلا أي تجبنا و
تضعفا وهما حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله
وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلعم الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلثة آلاف
انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله
في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلعم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس فلما تخلو النفس

عنه

عنه عند الشدائد والله وليهما أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز أن يكون حالا من فاعل همت أو من ضميره
في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما أو همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه استقلالا أو اشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإظهار الاسم
الجليل للتبرك به والتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل الطائفتان دخولا أوليا
وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى
بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء
بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي
وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وأنتم أذلة حال من مفعول نصركم وأذلة
جمع ذليل وإنما جمع جمع قلة للإيذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة إذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم
في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد
وتسعون بعيرا وست أدرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله
اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق ومالحق للإشعار بأصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك
قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيذان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان
الأمر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة
كما شكرتم فيما قبل أو لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام إذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم قدم عليه الأمر بالتقوى لإظهار كمال العناية به والمراد الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا
على شهادة الحال مما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها أي نصركم وقت قولك
للمؤمنين حين أظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر الحنفي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك
على المؤمنين فنزل ثم حكي ههنا ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلثة آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر والإمداد في
الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان بطريق التقوية والإعانة يقال فيه أمده يمده إمدادا وما كان بطريق الزيادة
يقال فيه مده يمده مدا ومنه قوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر وقيل المد في الشر والإمداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا وفي سياق
من الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار العناية بهم والإشعار بعلة الإمداد والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك
المقدار ونفيه وكلمة لن للإشعار بأنهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة
بيان أو صفة لآلاف ولما أضيف إليه أي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلثة آلاف وقيل حال من الملائكة و
قرئ منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج قيل أمدهم الله تعالى أولا بألف ثم صاروا ثلثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ
مبنيا للفاعل من الصيغتين أي منزلين النصر بلى إيجاب لما بعد لن وتحقيق له أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة
بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا
معصية الله ومخالفة نبيه عم ويأتوكم أي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر فارت
القدر أي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم أطلق على كل حالة لا ريث فيها أصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة
تعيينه وتقريبه ونظم سرعة في سلك شرطي الإمداد المستتبعين له وجودا وعدما أعني الصبر والتقوى مع تحقق الإمداد لا محالة
سواء أسرعوا أو أبطأوا لتحقيق سرعة الإمداد لا لتحقيق أصله أو لبيان تحققه على أي حال فرض على أبلغ وجه وآكده بتعليقه
بأبعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الأولى فإن هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد
عادة فعلق به تحقق الإمداد إيذانا بأنه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى كما إذا أردت
وصف درع بغاية الحصانة تقول إن لبستها وبارزت بها الأعداء فضربوك بأيد شداد وسيوف حداد لم تتأثر

ليقطع اي يهلك وينقص ﴿طرفا من الذين كفروا﴾ اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم
وصناديدهم سبعون واسر سبعون ﴿او يكبتهم﴾ اي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع
في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين
فالتاء غير مبدلة واو للتنويع ﴿فينقلبوا خائبين﴾ اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ﴿ليس لك من الامر شيء﴾ اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف
المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء
من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة ﴿او يتوب عليهم او يعذبهم﴾ عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم
على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شيء انما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا
فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة
عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان
تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عم يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على انكاره
فلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على
الامر او على شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم
فتفرح به او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض
ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبني على سلبه عما سواه
[illegible]
[illegible] ﴿فانهم ظالمون﴾ [illegible]
[illegible] ﴿ولله ما في السموات وما في الارض﴾ كلام مستأنف

منها قطعا ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم
فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عم فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق عليهم
عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن في نواصي
الخيل واذنابها وروي ان النبي عم قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول
ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة ﴿وما جعله الله﴾ كلام مبتدأ غير داخل في حيز
القول مسوق من جنابه تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون
ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع
النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته
فيما مضى يقتضي بوقوعه قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ الامارات والمخايل وايذانا بكمال الغنى
عنه واحترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين فامدكم به وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده
الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الهيئة
البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه
ولا ريب في ان المصدرين المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجوده
بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلاثة آلاف والواقع هو الامداد بخمسة آلاف
وقوله تعالى ﴿الا بشرى لكم﴾ استثناء مفرغ من اعم العلل وتعميم الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة
وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني اي ما
جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ﴿ولتطمئن قلوبكم به﴾ اي بالامداد و
تسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل
والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته في العلية واهميته
في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عم لم يباشروا يومئذ
القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض السلف رحمهم الله وقيل متعد الى اثنين
وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في قوله تعالى
ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك ﴿وما النصر﴾ اي حقيقة النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه
النصر المعهود اندراجا اوليا ﴿الا من عند الله﴾ الا كائن من عنده تعالى من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد
وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير
وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة والتقوية ﴿العزيز﴾ اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى
للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله ﴿الحكيم﴾ اي الذي يفعل بالنصر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عم فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ﴿ليقطع﴾ متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم
وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على
الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وجل وما النصر الا من
عند الله تعالى على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري
لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبي
هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة
النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله

ليقطع

سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم
الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا ولا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله
يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعدله مشيئة كذلك وايثار كلمة من
في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى على غضبه وبانها
من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل
مقرر لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما لا يخفى
يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى
وما بعدها من الامور المذكورة على نهج الترغيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا
بكمال وجوب المحافظة عليهم فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة
في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا
ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد
متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد
باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل
اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا
حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية
ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم
تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله
يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا
الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن
اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا
وقرئ بغير واو على وجه الاستئناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل
الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما ذكر من الامور المأمور بها والمنهي عنها
دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض
اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى
من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه
صفة اخرى لجنة او محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة
عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح
ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او مترك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي
الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم قال المبرد تأويله انه كتمه على امتلائه منه يقال
كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي عليه السلام من كظم غيظا وهو قادر
على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي انه ينادي مناد

يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي عليه السلام ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد
كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي ذكر هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا
من مخالفة امره عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين
مكانك والله يحب المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت
المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها
والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما
مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفر من حظهم او على نسق
المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا
ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك
قيل المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة
على عتبة داره افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس
بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي عليه السلام
وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامرأة ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا على
رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي عليه السلام فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ
ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه
فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب
استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يحتمل ما هو المعقول
من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس
الذنوب احد الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب
يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجزم به والمراد وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين
او بين حال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا
[illegible]

رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله
جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير
ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر
المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مخصص
بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك بمضمونها دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت البين والتباين المبين
شتان بين المحسنين الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرهم وعلمهم قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى
تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع
وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله
تعالى في الامم المكذبة كما في قوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا اه والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا آه وكيف
خبر مقدم لكان متعلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالى هذا اشارة الى ما سلف من
قوله قد خلت آه بيان للناس اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له و
تعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا
بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب
ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم وهدى وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما
قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون الى
التقوى على ان الهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الناس وسوء عاقبة وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب
وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه
بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة
آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى واصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين
ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان
لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة
وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان
وما يستحق ما ذكر من اجر العاملين ولنستجيز بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك
المكذبين مما لا تعلق لها بحال احد الاصناف الثلثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى
القرآن ولا يخفى بعده ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح
وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رض ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله وعبد الله بن جحش
ابن عم النبي م وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رض ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اي لا تضعفوا
عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الغالبون
دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق
او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم في النار وقيل او وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يقتضي
يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي
العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق

بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه
ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان والضعف وقد قرئ بهما وقيل
هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم
منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون
من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتلوا منهم بضعة وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة
الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة
فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى
اخرى كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاوروه
تعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما صفة له او بدل منه او عطف بيان له ونداولها خبر او خبر ونداولها حال
من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك
المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا
اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم او العلم فيه عبارة عن التمييز بطريق اطلاق
اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه فلك
الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا
ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى الاسم الجليل المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل مما ذكر
بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من افراد
مطلق المداولة التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام
متعلقة بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما
والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مبادئها
كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم آه فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي
تميزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فانهم واما على العموم و
الابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى
في ذلك من الالطاف ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم آه وفيه من التسلية
ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلية هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم
تعيينا وابهاما بالعموم لتعلق الغرض العلمي ببيانها وذلك ان تجعل المحذوف والمبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة
اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم
الداعية الى تلك الافراد وليعلم آه فاللام الاولى متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك باعتبار تقيده
بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك
ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد ومن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ
او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد
وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل كما قال لتكونوا شهداء
فقد وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب
الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم

والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة
من بينهم واما الكفرة الذين ادبل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر
من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اي يصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ
وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص
وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة
الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الآثار
وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى
يمحق الله الربوا اي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستأنف مسوق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر
من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب
عن التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد اي بل أحسبتم
ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر
بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق
الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان
وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كأنه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى
الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء
الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على
ان اصله يعلمن فحذف النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين
منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكون منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر
هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع
كما مر ويؤيده القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ
محذوف اي وهو يعلم الصابرين كأنه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تتمنون الحرب فانها من مبادي الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء
بدر من الكرامة فالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين لسبب
اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت
او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفيه ايذان بالرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر لمزيد
مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كأنه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل
من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على
تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا
يستحق العتاب من يتمناها وما محمد الا رسول مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت من
قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كأنه قيل قد خلت
من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكأنهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول كسائر الرسل في انه يخلو
كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل وقيل هو قصر افراد
فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كأنهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد

من

من الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما
مبتدأ مسوقا لتقرير عدم برائته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان فتخرج على خلاف
مقتضى الظاهر أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد
علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين
فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة
علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير
القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت
هناك اتم ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى
الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما
حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم ورأوا انهم قد انهزموا
اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما رآهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا
الغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية
المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلعم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين
يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله
صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يزعم
انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول [وصرخ صارخ الا ان محمدا قد]
يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلعم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين
هذا رسول الله صلعم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي
يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس
ابن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلعم
فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء
ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل آية ليس يسمعها كل احد ولا كل من
يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم
وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلعم توفي وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى
ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي رجال
وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلعم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها
الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول الله الآية قال الراوي
والله لكأن الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان سمعت
ابا بكر رضي الله عنه تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ومن ينقلب على عقبيه
بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلعم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد احد من المسلمين الا ما كان من
المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله
الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه
وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار
وعن علي رضي الله عنه ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن

خزائنهم وما كان لنفس ان تموت كلام مستانف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم
ببيان ان موت كل نفس منوط بمشية الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضائق كل
هائل مخوف وقد اشير بذلك الى انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه ولذلك لم تقتلوا لا لاحجامهم عن مباشرة القتال
وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انها متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم
الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه
او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية
التي لا ينبغي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة
في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليها او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى
واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتب الله كتابا مؤجلا موقتا بوقت معلوم
لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو وبدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض
مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض
الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات منها اي من ثوابها ما نشاء
ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ و
[illegible] ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم
وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما اتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من
طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم
داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد
والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدا ناع
عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة
مركبة من كاف التشبيه واي حدث بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وفيها خمس لغات هي احديهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة
وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها
مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله اطرد الياس بالرجا فكاين الما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون
كثير خبر لها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة
وبفتحها ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه
علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين اذ لا
احتمال فيها لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال
وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا
منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا اوضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون
كثير واما على القراءتين الاخيرتين فظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف
بقتله صلى الله عليه وسلم اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على
ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء
المترتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعليته
قوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جميع

ان لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعلت للبعض الباقين بعد قتل الاخرين
كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن
وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضمير للباقين منهم
حتما وان اسند الى ضمير النبي عليه السلام كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا
ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل في الجهاد وقيل
في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده
والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن و
الانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي عليه السلام وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم
حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على مقاساة
الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موضع الاضمار
للثناء عليهم بحسب الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم
كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجملة المبنية لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما
بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق
الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا
واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط
في جنابه تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب
الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق
وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى
الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف
الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرئ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم
والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد
بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما
اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر
فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي
ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث
كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى ما كان قولهم حينئذ شيئا مقصودا في باب البيان
واختار الجمهور القراءة الاولى للقاعدة الصناعية وهي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية
ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر
بمنزلة العلم فتامل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب
الاخرة اي ثواب الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده
تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهو مبدأ لكل خير
واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان
واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة
يا ايها الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان مضارها الدنيوية والاخروية اثر ترغيبهم في الاقتداء
بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان فضائله اي فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه

ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان
تطيعوا الذين كفروا لقصد الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله تعالى عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان
تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين
اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل
في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون
لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل
ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استماعهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن
طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان بل الله
مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا
عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له وهو خير الناصرين
فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء
والسين لتاكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم
من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق
قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب
فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القى في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب
بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين
عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او
لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار
وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة وماواهم بيان لاحوالهم في
الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي ما يأوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين
اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير
موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها ماواهم نوع رمز الى خلودهم فيها
فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده
نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى
المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة
لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا
المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه
وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم
بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود ثمة ما ذكر من امداده عز وجل بانزال
الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بقوله سنلقي آه وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال
ورجوعهم لا بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده
تعالى بقوله سنلقي آه وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على
اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة

فان

فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون
على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هاهنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر الرسول فثبت
مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون
اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من
اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى فان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو
امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى
منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا
شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد
اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الى وقت فشلكم
وتنازعكم آه وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان
الظرفيتان بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم
اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة
والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب
عليه اي شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون فالاظهار في موضع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اي في الجبل وقرئ تصعدون من التفعل بطرح احدى التائين ويصعدون بالالتفات
الى الغيبة ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلوون بواو واحدة بقلب
الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم
الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته كانت بطريق
الرسالة من جهته سبحانه اشباعا في تقبيح المنهزمين في اخراكم اي في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم
اي فجازاكم الله بما عصيتم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول عليه السلام
وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما مضاعفا بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
اي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا زائدة والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة
وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل
عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم من الهزيمة والله خبير
بما تعملون ثم انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم
المذكور والتصريح بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم عليه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الآية امنة اي امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا بدل منها
او عطف بيان او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اي ذوي
امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر ومن لابتداء الغاية يغشى طائفة منكم
[illegible]
فانهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس تغشاهم بعد خوف وانما ينعس من يأمن والخائف لا ينام
وقال الزبير رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله ما منا رجل الا ذقنه في صدره

يغشاني اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رحمه الله رفعت راسي يوم احد فجعلت
لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي
فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل
يغشى طائفة منكم وقال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب
على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا
يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم
اى اوقعتهم في الهموم والاحزان او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمني الشيء اى كان من همي ومقصدي
والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في
قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوؤه كل شارق او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله اذا ما بكى من خلفها
انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها والخبر محذوف اى ومنكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم
طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم
النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما استئنافية مسوقة لبيان حال
المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر
او استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اى يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به سبحانه و
قوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى
يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اى يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد
هل لنا من الامر اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله
تعالى قل ان الامر كله لله اى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى
فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اى
يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان
الامر آه اعتراض بين الحال وصاحبها اى يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار
والتكذيب وقوله تعالى يقولون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اى شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم
او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عم ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر
كله لله او لو كان لنا من التدبير والراي شيء ما قتلنا ههنا اى ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي راجع
الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما راه ابن ابي ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله تعالى
قل لو كنتم في بيوتكم اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اى في اللوح
المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم اى مصارعهم التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك
البتة ولم تنفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة
حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه
ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليهما السلام
فنظر الى رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عم ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر
فاني رأيت منه مرأى هائلا فامر بها الريح فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عم فقال
كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته
بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء
للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم

ملك الموت تحضر مجلس سليمان

اى

اى ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة
على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي آه وعطفها على لبرز تاباه الذوق السليم فان
مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اى وللابتلا
المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في
قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اى السرائر والضمائر الخفية
التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان الله غني عن الابتلا وانما يبرز صورة
الابتلا لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من متعلق الفعلين اى فعل ما فعل للابتلا والتمحيص والحال
انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم
احد حسبما مرت حكايتهم انما استزلهم الشيطان اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا
من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي عم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فحرموا التاييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي تجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم
بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار
الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي
اثر وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اى قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم
نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على
اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية او المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة
قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم
الناهي باعتبار ما وقع فيها بل التحقق انما ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا آه او كانوا
اى اخوانهم غزا جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف
الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام
وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد
والغالب يقال او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى
لو كانوا عندنا اى مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اى اذا ضربوا
في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه و
الحكم بموجبه كما ان المنكر على قائليه الا يرى الى قوله تعالى ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا
واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم
بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اى قالوا
واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل
للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها
قلوبكم فذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم
ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت
رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اى هو المؤثر في الحيوة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة والسفر مدخل في ذلك
فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله

بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وبما يعملون عام يتناول قولهم المذكور
ولمنشئه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم
شروع في تحقيق ان ما يحذرونه من ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان
يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي موطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء
والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدا وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة
جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك
بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما تجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا
وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنه خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي مما تجمعونه انتم لولم
تموتوا والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخلف
منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل لا بد من حذف آخر اي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة
دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة
الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة
وفيه دلالة واضحة على ما قرر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه
لا في التفوه به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ بضم
بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي
اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في اللامين كما مر في اختيهما فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السباق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب
الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد او نكرة
ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي برحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى
وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق لنت لهم اي لان جانبك لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم
بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو كنت فظا اي جافيا في المعاشرة قولا
وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيئ الخلق غليظ القلب قاسيه وقال
الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي
الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو او الامر به على ما قبله اي اذا كان الامر على ما ذكر فاعف عنهم
فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم
وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما تجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم و
تطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء
واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ
فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات
لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به
ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم
على اللجاء اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم
لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان

نفي

نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة [illegible] وهو الذي يقتضيه المقام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وان يخذلكم [illegible]
[illegible]
من بعده [illegible] وعلى الله فليتوكل المؤمنون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وما كان لنبي ان يغل [illegible]
اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في الغنيمة فان النبوة منافية لذلك منافاة بينة يقال
غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة
يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلعم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم
كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي عم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا
فقال عم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلعم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي عم
بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل
عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام
عما تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله عم اخذها
فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان لنبي ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم
القيامة يات بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عم قال الا لا اعرفن احدكم ياتي
ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يات
بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب
موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب
وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شان اليوم
وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفي كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء و
ان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم
اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او نقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في
تحصيله وانتحى نحوه حسبما كان يفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يسير بسيرته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر
قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي عم وتقريره
بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع
بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل
ابعد ظهور حال يكون من يرتقي الى اعلى عليين كمن يتردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال
الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخط تعالى واما معطوف على قوله تعالى
باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف

أي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع أن الأول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الأولى بخلاف الثاني هم راجع إلى الموصولين
باعتبار المعنى درجات عند الله أي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الأحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وإيذانا
بأن بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات أو ذوو درجات والله بصير بما يعملون من الأعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله
جواب قسم محذوف أي والله لقد من الله أي أنعم على المؤمنين أي من قومه إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أي من نسبهم
أو من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والأمانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم
عظيم قال تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقرئ من أنفسهم أي أشرفهم لأنه عليه السلام كان من أشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ
لمن من الله على المؤمنين إذ بعثه على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي منه إذ بعث أو على أن إذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على
المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للأسود والأحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من أنفسهم متعلق
بمحذوف وقع صفة لرسولا أي كائنا من أنفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم آياته صفة أخرى أي يتلو عليهم القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية
لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو أي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد وأوضار الأوزار
ويعلمهم الكتاب والحكمة أي القرآن والسنة وهو صفة أخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التي هي
عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصلة بالتعليم المترتب على
التلاوة للإيذان بأن كل واحد من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر إلى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر
في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب والحكمة أخرى رمزا إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك
شمول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وإن كانوا من قبل أي من قبل بعثته
عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين أي بين لا ريب في كونه ضلالا وإن هي المخففة من إن المثقلة وضمير الشأن محذوف
واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الأول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لإن المخففة التي حذف
اسمها أعني ضمير الشأن وقيل هي نافية واللام بمعنى إلا أي وما كانوا من قبل إلا في ضلال مبين وأيا ما كان فالجملة إما حال من
الضمير المنصوب في يعلمهم أو مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم
أنى هذا كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة الناشئة منها إثر إبطال
بعض آخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف إلى ما بعده وقد
أصبتم في محل الرفع على أنه صفة لمصيبة والمراد بها ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما أصاب المشركين يوم
بدر من قتل سبعين منهم وأسر سبعين وأنى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع أنه المقصود
إنكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد التقريع فإن فعل القبيح في غير وقته أقبح والإنكار على فاعله أدخل و
المعنى أحين أصابكم من المشركين نصف ما قد أصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من أين أصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر
على توجيه الإنكار والتقريع إلى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا إليه بل
على كونه داعيا إلى عدمه فإن كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة أو أفعلتم ما فعلتم
ولما أصابتكم غائلته قلتم أنى هذا على توجيه الإنكار إلى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم سببها وتذكير اسم الإشارة في أنى
هذا مع كونه إشارة إلى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما أن إشارتهم ليست إلا إلى ما شاهدوه في المعركة
من حيث هو هو من غير أن يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وإنما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو
من عند أنفسكم أمر لرسول صلعم بأن يجيب عن سؤالهم الفاسد إثر تحقيق فساده بالإنكار والتقريع ويبكتهم ببيان أن ما نالهم
من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه أن الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما
عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الآية وأن عمل النبي عم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على أن اختيار
الخروج والإصرار عليه كان ممن أكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وأين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل بأخذهم الفداء

يوم بدر قبل أن يؤذن لهم والأول هو الأظهر الأقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين
المتوجهين إلى المؤمنين وتفويض التبكيت إليه عم فإن توبيخ الفاعل على الفعل إذا كان ممن نهاه عنه كان أشد تأثيرا
إن الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة أصابكم منه تعالى
ما أصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الأمر وما أصابكم رجوع إلى خطاب المؤمنين إثر خطابه عم
لتربية تبكيته وإرشاد لهم إلى حقيقة الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى
هو من عند أنفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الإضمار إلى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته
بقوله تعالى يوم التقى الجمعان أي جمعكم وجمع المشركين فبإذن الله أي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك إذنا
لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله فبإذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التميز والإظهار
فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله وإعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في
قرن المنافقين وللإيذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فإنه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق
وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في إيراد الأولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة على الاستمرار والآخرين بموصول صلته
فعل دال على الحدوث والمعنى وما أصابكم يومئذ فهو كائن ليميز الثابتين على الإيمان والذين أظهروا النفاق وقيل لهم
عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة أو كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن أبي وأصحابه حيث انصرفوا
يوم أحد عن رسول الله عم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم إلى القتال وذلك
قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا إن لم تقاتلوا معنا وقيل
أو ادفعوا عن أهلكم وبلدكم وحريمكم إن لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما أن المقصود بهما
واحد هو الثاني وذكر الأول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم أي لو نحسن قتالا أو نقدر عليه وإنما قالوه دغلا واستهزاء وإنما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم
به لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها أو لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما أنتم بصدده
ليس بقتال أصلا وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود
بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ أقرب
منهم للإيمان الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في للكفر وللإيمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين
متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف أو بدلية إنما هو فيما عدا أفعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها وأما
أفعل التفضيل فحيث دل على أصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للإيمان وقيل
تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين أي هم للكفر يوم إذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون
بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان
المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليل سواد المسلمين بالانخذال
تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الأفواه والقلوب
تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به إما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب
أخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وإن اختلفا مظهرا وإما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول
أصلا وإنما عبر عنه به إبانة لما بينهما من شدة الاتصال أي يتفوهون بقول لا وجود له ولا لمنشئه في قلوبهم أصلا من الأباطيل
التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع
على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين بالاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال
عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله أعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما

بما يخالف افواههم من فنون الشر والفساد بان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الالهي الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ وخبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم الخ او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال لو اطاعونا اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم ينادي باختصاص الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي عم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا عن انفسكم الموت جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما انه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين في نسبة الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يتسلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حيوة الشهداء ما روي عن النبي عم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر وانهم يرزقون وياكلون ويتنعمون وروي عنه عم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتالمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا او تتعلق

بها

بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك ولكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلعم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عم حين القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده

قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار
وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك
هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روي انه عم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا
من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية
التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم
وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل
منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا والله
ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق مناط الفوز بخير الدارين للمبادرة الى الجهاد والتصلب في
الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطا رأيهم
حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو ورضي عنهم
انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى الشيطان اما خبره وقوله تعالى
يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفة والجملة خبره ويجوز ان
يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف
الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم اولياءه كما هو
قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه وخافون في مخالفة امري واما القاعدون
فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلعم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن
القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي عليه السلام وسارعوا الى ما يأمركم به والخطاب للفريقين الخارجين والقاعدين والفاء
لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان
يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله عم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون
في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الآية
للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك
مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة الآية فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما فصل في قوله تعالى
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل هم قوم
ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه واعترائه لرسول الله صلعم اي لا يحزنك
بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى جهتهم مع ان المقصود نهيه عم عن التأثر منهم
للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم
كما في قولك لا اريتك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا
كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا
الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى
لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على

واتبعوا رضوان الله [illegible] الدارين

المصدرية

المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن
ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلعم انه قال لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم
كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص
من ملك الله جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف
مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم حيث
تعلقت بها ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك
ان لا يجعل لهم في الآخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان
الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه
بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب
اثر بيان ان لا شيء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين
اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة
في تفسير قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر غير ان فيه تعريضا
ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد
باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة القريبة منه الحاصلة
بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع
فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم
في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الجزم ورزانة
الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهي اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه
بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلته من الايمان المستعد له
القريب الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة
مقررة لمضمون ما قبلها بتقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما
للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بان مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة شأن التنزيل لما ان وصف
في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من
لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عم
مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل
لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها خاسرة وصف
عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين
الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل
القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها
ووصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن
الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على
حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم
عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عم ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول
اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على
الاضمار لرعاية المقارنة الدائمة بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا

المسارعة

فان المقارن له واي انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف
الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلعم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة
فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم الخ بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض او مفعول ثان بتقدير مضاف
اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا ان
الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم ﴿انما نملي لهم ليزدادوا اثما﴾ استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام
لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليها وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله
مفيد لمزيد الاعتبار بابطال الحسبان ورده على معنى ولا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو
لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ﴿ولهم في الآخرة عذاب مهين﴾ لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها
وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا فالجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة
اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ﴿ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه﴾ كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي
اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق
ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو
القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي
واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار واما الشركة بين المؤمنين والمجاهرين في امر الاسلام
والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل
فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين ايضا
كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلية الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب والذي يقتضيه المحققون من اهل
التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين
فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر
المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط
المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان
الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة
للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل
﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب
حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلية الحكم وافراد الخبيث
والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان
بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك
ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون
الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط
تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال
مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من
حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تأكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم
المفسد من المصلح والتأم جنب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على

حاله

حاله غير ملائمة [illegible] ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ تمهيد لبيان الميز
الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله تعالى ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ اشارة الى كيفية
وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل [illegible] لتربية المهابة والمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط [illegible]
[illegible] على رؤوس
[illegible]
علم بعضهم على قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استأثر الله تعالى به
وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم على الوقوف على
خفايا السرائر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة
الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى
ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الآن لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعل يوم احد
حيث خلى الكفرة وشأنهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد
وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ﴿وان تؤمنوا﴾ اي بما ذكر حق
الايمان ﴿وتتقوا﴾ اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق ﴿فلكم﴾ بمقابلة ذلك الايمان والتقوى ﴿اجر عظيم﴾ لا يبلغ
كنهه ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم﴾ بيان لحال البخل ووخامة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته
حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك
من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف
لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه
او استحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلعم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول
بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم
﴿بل هو شر لهم﴾ التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى ﴿سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيمة﴾ بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلعم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله شجاعا
في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك
﴿ولله﴾ وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ﴿ميراث السموات والارض﴾ اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من
الرسالات التي يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة ﴿والله بما تعملون﴾ من المنع والبخل ﴿خبير﴾ فيجازيكم على ذلك
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ

من ذكر فيا يحكم وقرئ بالياء على الظاهر • لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء • قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لو
لا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله عم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل
واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة
والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد • سنكتب ما قالوا
اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين
للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول
الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى • وقتلهم الانبياء • ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها
بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم
وقوله تعالى • بغير حق • متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء
للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع • ونقول ذوقوا عذاب الحريق • اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول
لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول
ذلك • اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى • بما قدمت ايديكم • اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس
بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى • وان الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها اضاعتها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم
وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف
على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب
من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم
لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب
بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان
المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين • الذين قالوا • نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف
وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا • ان الله عهد الينا • اي امرنا في التورية واوصانا • ان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بقربان تأكله النار • كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء
فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر
المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق
الايمان رد عليهم بقوله تعالى • قل • اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم • قد جاءكم رسل • كثيرة العدد كبيرة المقدار • من قبلي بالبينات
اي المعجزات الواضحة • وبالذي قلتم • بعينه من القربان الذي تأكله • فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين • اي فيما يدل عليه كلامكم
من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاءكم بما قلتم في معجزات
اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم • فان كذبوك • شروع في تسلية رسول الله صلعم اثر ما اوحي اليه ما يحزنه من مقالات
الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى • فقد كذب رسل من قبلك • تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب آه ومن متعلقة بكذب

فلان ظالم لعبده
وظلام لعبيده

او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك • جاءوا بالبينات • اي المعجزات الواضحة صفة لرسل • والزبر • هو جمع زبور
وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته • والكتاب المنير
قيل التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين
في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات • كل نفس ذائقة الموت • وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا • وانما توفون اجوركم • اي
تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال • يوم القيمة • اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظ التوفية اشارة الى ان بعض
اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران • فمن زحزح عن النار
اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة • وادخل الجنة فقد فاز • بالنجاة ونيل المراد
والفوز الظفر بالبغية وعن النبي عم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه • وما الحيوة الدنيا • اي لذاتها وزخارفها • الا متاع الغرور • شبهها بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر
او جمع غار • لتبلون • شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره
اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات
فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي تطلب
الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور
واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا من مباديه
العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال
الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من
التهيؤ والاستعداد • في اموالكم • بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في
سلك الابتلاء لما انه من باب الانفعال لا من قبيل الآفات • وانفسكم • بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب
والمخاوف والشدائد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها • ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما
سمعوه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا آه والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار
فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به • ومن الذين اشركوا اذى كثيرا • من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع
الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض
المشركين على مضارة رسول الله صلعم ونحو ذلك مما لا خير فيه • وان تصبروا • اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها
وتقابلوها بحسن التحمل • وتتقوا • اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب
ولقاء المكروه • فان ذلك • اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد
حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين
من عزم الامور • اي من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال
المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله تعالى لا بد ان تصبروا وتتقوا
والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد
اصبتم فان ذلك آه ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة جواب الشرط وفي ابراز
الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى • واذ اخذ الله • كلام مستأنف
سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته عم وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر

النبي صلى الله عم خاصة بطريق تجريد الخطاب الشامل له عم وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به عم وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة اني جاعل الآية اي وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا
بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ
الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عم
وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك
والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتأكيد في الاول لانه تأكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدأ بعد الواو
اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن
الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة في ايجاب المأمور به واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته
عليه السلام بالكتمان المنهي عنه القاء التأويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرمي
والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بعنوان التأكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله نصب العين علم في كمال
العناية وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما منحوه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض
من الاغراض الفاسدة او طمع في غرض من الاغراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي عم من كتم علما عن اهله الجم بلجام
من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب فقال والله لو كنت نبيا فكتمت
العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان
يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع
الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عم ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض ركن
الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث ان كلا منهما سبب في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل
فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا
اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة
في المأخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شأنه
ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل
من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم
المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة
مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه بذلك الثمن لا تحسبن الخطاب
لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يصلح له الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا
ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوه من علم اي اوتوه التورية قال ابن عباس رضي
هم اليهود حرفوا التورية وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي ان رسول الله عم سأل اليهود
عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا
بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عم واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عم فالموصول عبارة عن المذكورين
او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان
قباحتها وقد ادرج فيها بيان بعض اخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان
يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند

لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه

المخاطب

المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به
وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا
من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة
المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين
كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يحمده
الناس بما هو عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي
وليس تأنيثها بالتاء لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد
كانوا لنا بالموارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لانها
ليست من العذاب وتقدير فعل خاص ليصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه
وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام
او لكل احد ممن يأتي منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف
لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تأكيد له والفاء
زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله
بأي كتاب او باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل
الاول للرسول صلعم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني والفعل الثاني
مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عم ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى
بمفازة وتقدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا
يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلعم
فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم
من مطلق العذاب [illegible] في الشدة [illegible] والتنكير التفخيمي والوصف
[illegible] ولله ملك السموات والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما [illegible]
ايجادا واعداما [illegible] من غير ان يكون [illegible] بوجه من الوجوه فالجملة
مقررة لما قبلها [illegible]
[illegible] والله على كل شيء قدير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان في خلق السموات والارض [illegible]
[illegible]
[illegible] واختلاف الليل والنهار [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الشمالي [illegible]
[illegible] البلاد [illegible] البعيدة

منه وليلا ليلا وانما هي انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها
صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمر وتمرة والليالي
جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلاة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكة كياكي كانها
جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بين طلوعها وغروبها وتقديم الليل على
النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه **لآيات** اسم ان ودخلت اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة
لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه
وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح لما ان المقصود ههنا بيان استبداده
تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه
تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل
هناك من آيات رحمته تعالى كما انه من آيات الوهيته ووحدته **لاولي الالباب** اي لذوي العقول المجلوة الخالصة عن
شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في احوال الحقائق واحكام
النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة
في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقته سر حق في كل موجود مثابرين
على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفة كماله فان كل ما
ظهر في مظاهر الابداع وحضر في محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق با
قدرته جل من صانع مبدع ومخبر بآثار علمه وحكمته جل من بارع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب عقولهم
بمحاورته تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الطف ايمائهم وتكريمهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشؤون والاسرار **ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار** عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب
هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل
يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وبكى ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض
فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض
الى ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلعم
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض **الذين يذكرون الله** الموصول
اما موصول لاولي الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او
مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل
ما لا يخفى وايا ما كان ففيه اشارة الى ما في حيز الصلة ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم
بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يثبتون بدونه حالا من الاحوال
في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل **قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ولا في الآفاق واليه اشير بما بعده من الآية وهم يعاينون
في ذلك شأنا من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء
قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى
فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس
مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من

افراد

افراد مدلولها وانما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عم لعمران بن الحصين صل
قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود
جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين
وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر
للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان
غالبا **ويتفكرون في خلق السموات والارض** عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب
وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان ذكرهم
في ذاته تعالى على الاطلاق وهو اشارة الى النتيجة التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل
وآيات الكتب فكما انها آيات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة
لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية ومرشدة الى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع
غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى شواهد دالة على صحة مضمونها وحقية مكنونها فان من تأمل في
تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي
والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم
بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة
باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من
الحجج والدلائل والامارات والمخايل وسائر اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبي
بل هو اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثاني كون عمله ايضا
اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما
نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما اعرب عنه قوله عم كنت كنزا مخفيا فاحببت
ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام انه قال
لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله
ولذلك قال عم لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت ان مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة [illegible]
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ولا [illegible]
عن خارج الشرع عن محارمه سبحانه يتوقف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة [illegible] الآيات
التكوينية وشواهد الادلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المتعددة للايمان بالشريعة
في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه والتعبير بخلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهما
والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعويل على [illegible] في سلك التفكر مع ذكره
فيما سلف اما لا يذان بظهور اندراجه فيما ذكر من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه و
اما للاشعار بما [illegible]
مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات او بمعنى المخلوق على ان الاضافة
بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية
ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق
وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول اي خلقا باطلا او خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عاريا
عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة

فوائد لطيفة

من جملتها ان يكون مدار المعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل
والكتب الالهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولى الالباب
استئناف تبيين لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم بأولي الالباب
ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها واحكامها فكأنه قيل فماذا يكون عند تفكرهم
في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل
وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن في الفعل كما اجمع
عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على
الموصول ودواعي ثبوته له كذلك ذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى
اجتلاء تلك الآيات والاستدلال على المطلوب ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجه
المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل نعم هو حال من في ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا
او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي
ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله تعالى سبحانك
اي تنزيها لك عما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله
تعالى فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الاعمال الصالحة
وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من جهتين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء
لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كأنه قيل وان قد عرفنا
سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها
لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار في موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال في مورد
العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للاخزاء معان متقاربة يقال اخزاه الله اي ابعده وقيل اهانه
وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانباري الخزي لغة الهلاك بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع في بلاء والمعنى فقد اخزيته
خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك اي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة
العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من انصار تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم
بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار
بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء في غير مواضعها وجمع الانصار بالنظر الى جميع الظالمين اي ما لظالم من الظالمين
نصير من الانصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق
المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للايذان
بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء وباللام
لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلعم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال
اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور
كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول كذا ومفعول ثان
لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند
صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل الى تفصيله واستحضار صورته وقد خص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر
عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام

والتقييد

والتقييد بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ان آمنوا اي آمنوا على ان ان تفسيرية
او بان آمنوا على ان ان مصدرية بربكم اي بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشأنه
فآمنا اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الايمان به
والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته فان ذلك من دواعي
المغفرة والدعاء بها ذنوبنا اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا اي صغائرنا فانها مكفرة
عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا
يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كأصحاب وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك
حكاية لدعاء آخر لهم مسوق بما قبله معطوف عليه لتأخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب
وعلى متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد
محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير
الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عم
لاسيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق
بالايمان به عم لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة
الكل عم وانما الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيمة قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى
بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى انك
لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست
لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها الى الدعاء
بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رض انه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق
من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة
بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسئول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله فلم
يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل
ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل آلآن اي قيل لهم آلآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى في سورة الاعراف
ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد لهم كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة
لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي هنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها
كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا
على مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار
مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي
من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على
تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي
جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتأخرة عنها وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل
منكم اي باني وهكذا قرأ ابي رحمه والباء للسببية كأنه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي
سنته السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين
بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد
لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة

مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها اضاعتها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك
بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة
القول اي قائلا اني الخ فلا التفات وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله
تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء
في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين
والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله
تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا الخ تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض
احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين وقوله تعالى واخرجوا من
ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب
ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا
استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس
المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء
كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق
حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف [illegible] اي والله لاكفرن
كل فرد بالكل لكان قد ضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف
اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدا الذي هو الموصول وهذا التصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعدما وعد ذلك
عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا
على رسلك والتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله
متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي ولاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من
الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب
مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة
عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال بشيء يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره
فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب او لا وفي تقدير الوعد الكريم بعد اضاعة العمل الخ
تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي
المؤمنون من الثواب والخطاب للنبي صلعم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين
كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي في المخاطب وان
جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في المكاسب والمتاجر
والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من
الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدا محذوف اي هو متاع قليل
لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال صلعم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع
فان لا يجدي وجوده لواجده ولا يضر فقدانه لفاقده ثم مأواهم اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحونه
جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته
ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها لبيان كمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك

سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة
من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدا والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية
لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر لجنات والعامل فيه ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ
بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا
القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار
وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدا وخبر وقوله تعالى للابرار
متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من
المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى
والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن
حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام و
اصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا من النصارى فاسلموا
وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي صلعم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير
ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى
هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في
قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما انما
يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما عن ايمانهم
فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن
ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين
والجملة حال كما قبله وتوسيطها بينهما لما ان مخالفتهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين
من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدا خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص
بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين جزء وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على
الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم
والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من
غير حاجة الى تأمل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة
الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك
من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على
مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور
رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلعم
من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة
واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا
لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل مكروب عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من
قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تحجب الشمس والحمد لله رب العالمين

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ والحادثين بعد ذلك
الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند
الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان
آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عم الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني
الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي
بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عدا اسم الماله دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب فستعرف حاله و
لفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله تعالى اتقوا ربكم فواردة على طريق التغليب
لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة
جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من
فعل او ترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة
تكاليفه الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
لتأييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم
من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم
على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته
وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عم من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم
من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير
شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء
عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عم حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عم من الآباء والامهات كان التعرض
لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة
لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر
ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة
خلقها اولا وخلق منها زوجها آه وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا
او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف
مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم آه لاظهار
ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء
من ضلع آدم عم روي انه عز وجل لما خلقه عم واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع
من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود
من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عم لها مع ما فيه من
التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك
النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة
والافراد باعتبار معنى الجمع والعدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها
للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة
لمبدئيته غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير

للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك
الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة
في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله
تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من
الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال
وتراءيناه وبه فسر تتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على
محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال
والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها
ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز
الواحدي نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ محذوف
الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه
كما في قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله
ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا
اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات
مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية
الفواصل وآتوا اليتامى اموالهم شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر
بما يوجب اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء
وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعها على يتامى
اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى
على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف واما قوله عم لا يتم
بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع
المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم و
تصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد
على ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغي ان يكون مرادهم بذلك
ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من
الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما
من جرى عليه اليتم في الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة
موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد مما سيأتي
من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء في الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق
الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة لدفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم
المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويأباه ما سيأتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الى آخره فان ما فيه من الامر
بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم
الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب للاولياء وكلا الفريقين
على ان من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع اليه عند بلوغه
رشيدا فمع ما سبق تكلف ما لا يخفى فالانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموال اليتيم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض

لهما بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل لا بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر
انفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي الضمني عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الآية واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردي من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها والتعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديله به او تبدل الطيب بالخبيث للايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشترى كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه

ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد رخص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وحابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبائر الذنوب العظيمة لا كما افنيتها

وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن آه فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق

فانكحوا ما طاب لكم موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا بان المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرئ ابن ابي عبلة من طابت من في قوله تعالى من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات

مزيد

مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له من عداهن وغير فار من محذور وقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على التخصيص لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الآية دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص

مثنى وثلاث ورباع معدولة من اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودة هذا العدد ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد وهذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولاية اليتامى خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى [illegible] ولا تؤتوا السفهاء [illegible]

فان خفتم الا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى [illegible] فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح [illegible] ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم [illegible] السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عددهن [illegible]

ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال [illegible] والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل [illegible] اختيار الواحدة والتسري [illegible] ان لا تميلوا ميلا محظورا [illegible] فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والمظنة [illegible] الا تكثر عيالكم [illegible] على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله [illegible]

من جواز الاستكثار من السرارى انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك الحرائر ... جارية مما تقدم التعليل * وآتوا النساء صدقاتهن * اى مهورهن جمع صدقة كسمرة وهى المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة * نحلة * قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى فى النحلة اى الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انه مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبى نحلة اى هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة من غير توقع عوض والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا او من الصدقات اى ناحلين او منحولة وقيل الخطاب للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظمه * فان طبن لكم عن شئ منه نفسا * الضمير للصداق الواقع موقع الصدقات او للصدقات بتأويل الصداق وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما فى قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤبة انه حين قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق * كانه فى الجلد توليع البهق * ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال لكنى اردت كان ذاك ويلك او للصداق الواقع موقع صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما فى قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب ونفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة فى الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة * فكلوه * اى فخذوا ذلك الشئ الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية * هنيئا مريئا * صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنئ الذى يلذه الآكل والمرئ ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ فى مجراه الذى هو المرئ وهو ما بين الحلقوم الى المعدة سمى بذلك لمرور الطعام فيه اى انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اى كلوه وهو هنئ مرئ وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هناء ومراء وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت * ولا تؤتوا السفهاء اموالكم * رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا لانها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتى بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسى والنسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بنى نوعهم بانفسهم مبالغة فى زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل * التى جعل الله لكم قياما * اى جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد فى المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكأنها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها

من جنس ما يقيم به الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشئ او مصدر قاوم وقرئ بفتحها * وارزقوهم فيها واكسوهم * اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم * وقولوا لهم قولا معروفا * اى كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر * وابتلوا اليتامى * شروع فى تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهى عنه عند كون اصحابها سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم * حتى اذا بلغوا النكاح * بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح * فان آنستم * اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما فى قول من قال خلا ان العتاق من المطايا * احسن به فهن اليه شوس * منهم رشدا * اى اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والتنوين للدلالة على كفاية رشد فى الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما * فادفعوا اليهم اموالهم * من غير تأخير عن حد البلوغ وفى ايثار الدفع على الايتاء الوارد فى اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هى التى تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة اشكل * وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمهم الله تعالى ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لما قاله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس * ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا * اى مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تأكيد للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى * ومن كان غنيا فليستعفف * الخ اى من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله * ومن كان * من الاولياء والاوصياء * فقيرا فليأكل بالمعروف * بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفى لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها عن النبى صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان فى حجرى يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ولى يتيم قال له افأشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه

فان يسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفافا يطلع من عفه كانه يطلب زيادة العفة
فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا
عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة
الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى
وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن
في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيبا اي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء اه للاعتناء بامرهن
والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة
في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي
ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه
عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل
اليهما ان الله عز وجل قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله آه فاعطى ام كحة
الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من
ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته
دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل
ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله تعالى كانه قيل قسمة مفروضة او على انه
المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا
مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة و
انما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام
اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم
المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة و
تصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم و
يعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا
الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة
بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا
مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش
الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود
منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء
وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى
التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى
مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة و
كلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تعالى

ان

ان الذين ياكلون اموال اليتامى استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي ظلما اي على وجه
الظلم او ظالمين انما ياكلون في بطونهم اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال
صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف
وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته
القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان
يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الآية
ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية
يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب اه واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط
بحال وهم الآباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اي في اولاد
كل واحد منكم اي في شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين
جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم وهذا الحكم
وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري كل ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره
كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف
اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه
وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين
في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال
كالنساء فان كن اي الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر
فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة
المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف
لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس
رضي الله عنه حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ
الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان
يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير النظم الكريم
لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدا الذي هو قوله تعالى
السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد
الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا
من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان
او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض
بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب
وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخص
باستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا

كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه
اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع
الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء
كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه
فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق ب
دون الثلث وبالاخوات الثلث وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدأ محذوف والجملة
متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ
مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية
الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة
على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا
مع تأخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين آباؤكم و
ابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ
واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون
والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم
أمن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي
الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عنده من غير رجحان احدهما
على الآخر كما في قوله عليه السلام امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة التأكيد المذكور والترغيب
في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى
ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير
الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا
الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه
مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب
للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا وآجلا فتحروا في شأنهم ما اوصاكم الله تعالى
به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل
ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته قيل فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه يشعر بان مدار الارث
ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله
ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما
في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان
احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع
منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا
فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع
لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين
لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة
على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة

على

على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية
بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب
الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي
فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما
فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمرأة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص
بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق
والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث
من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء
للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان او يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب
القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم
يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة
وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة
او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث
ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفاعل
والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له
اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها
عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وفيه تأكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد
جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان
والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون
يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى
بطريق الكلالة فيما لاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء
الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء
لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي
لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول
من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد ولا ولد
ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من
الاثنين بان كانوا ثلثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر
على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة
التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع الورثات
التي لا تكون بالولاد ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة اولاد الام فقد اعترف
ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت
هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت
والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما نصت عليه باقية على اطلاقها
ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والاقتصار البيان على حكم صورة انحصار الورثة
فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع

على ان يورث من ورث لا من اورث فقد رد واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور
اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجانبين واما ثالثا فلان حكم صورة
انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد
الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث
وجعل غيره بحالة غير مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به * من بعد وصية يوصى بها او دين * الكلام فيه
كالذي مر في نظايره خلا ان الدين هٰهنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه
لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى
* غير مضار * حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل و
يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف
اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث
او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص القيد بهذا المقام لما ان الورثة
مظنة لتفريط الميت في حقهم * وصية من الله * مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة
لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص
كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت
الفريضة والوصية وان كانتا كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال
او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط
كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة هٰهنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله
جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار
دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة اهل الدار
للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة امر الله تعالى ومضارته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي
ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف
على وصية مع انه لا يحتم به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه * والله عليم * بالمضار وغيره * حليم * لا يعاجل
فلا تغتروا بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة * تلك * اشارة الى الاحكام التي تقدمت
في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك * حدود الله * اي شرائعه المحدودة التي لا تجوز مجاوزتها * ومن يطع الله ورسوله
في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل هٰهنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر انفا * يدخله جنات * نصب على الظرفية عند
الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش * تجري من تحتها الانهار * صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها * خالدين فيها * حال مقدرة
من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا * وذلك * اشارة الى ما مر
من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته * الفوز العظيم * الذي
لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظيم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض
* ومن يعص الله ورسوله * ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله تعالى وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والاظهار
في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة * ويتعد حدوده * شرائعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل
فيها ما نحن فيه دخولا اوليا * يدخله * وقرئ بنون العظمة في الموضعين * نارا * اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها * خالدا فيها *
حال كما سبق ولعل ايثار الافراد هٰهنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار
الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة * وله عذاب مهين *

اي

اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية
* واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم * شروع في بيان بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث
واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه
والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة
فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي
من ازواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي
* فاستشهدوا عليهن اربعة منكم * خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن
باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم * فان شهدوا * عليهن بذلك * فامسكوهن في البيوت * اي فاحبسوهن
فيها واجعلوها سجنا عليهن * حتى يتوفاهن * الى ان يستوفي ارواحهن * الموت * وفيه تهويل للموت وابرازله
في صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفاهن ملائكة الموت * او يجعل الله لهن سبيلا * اي يشرع لهن حكما
خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم
* واللذان يأتيانها منكم * هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون
عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى
بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحدى الحكمين دلالة لخفاء الشركة في المناط * فآذوهما * اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالقرع
بالنعال ايضا والظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الشهود لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا * فان تابا * عما
فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء * واصلحا * اي عملهما * فاعرضوا
عنهما * بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود
الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما
بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الاية سابقة على
الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقة الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ
بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى
عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزا اليه
مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني [illegible] بان المذكور في الاولى
صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور والضرورة الى المصير الى التغليب [illegible] لا امكان له في الاولى ويأباه
بالاستشهاد بالاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا * ان الله كان توابا * مبالغا في قبول التوبة * رحيما *
واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض * انما التوبة على الله * استئناف مسوق لبيان ان [illegible]
ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النظم الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله
تعالى * للذين يعملون السوء * خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور
على عامله المعنوي [illegible] وقع حالا من الضمير المستكن فيما تعلق به الخبر [illegible]
من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر [illegible]
[illegible]
[illegible] الوعد [illegible] من الواجبات عليه سبحانه [illegible] وعن الحسن [illegible]
[illegible] التي اوجبها [illegible]
التوبة [illegible] حذف الموصول [illegible] على الله تعالى

والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا
من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة
منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون
السيئات فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء • بجهالة • متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي
يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب
الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة
اجتمع اصحاب الرسول صلعم فراوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطا وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو
جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله جهالة اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية • ثم يتوبون من قريب •
اي زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار
هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت
وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلعم
ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض
وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية
اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا
الزمان فهو تائب • فاولئك • اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم
بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدا خبره قوله تعالى • يتوب
الله عليهم • وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على
سببيتها للقبول • وكان الله عليما حكيما • مبالغة في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشا لاتصافه
تعالى بصفات الكمال • وليست التوبة للذين يعملون السيئات • تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة
تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها
جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها • حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان • حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية
بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الان لمزيد
تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة • ولا الذين يموتون
وهم كفار • عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة
لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف
اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم الاستتباع للجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين
اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله غني
عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة ففيه مبالغة اخرى
• اولئك • اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدا
خبره • اعتدنا لهم • اي هيأنا لهم • عذابا اليما • تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي • يا ايها الذين امنوا
لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها • كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امراته او على خبائها ويقول ارث امراته كما ارث
ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق او بغير الصداق وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها

يعطها

ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب
فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تاخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات
لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن
غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة • وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف
والضعف وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها و
تختلع فقيل لهم • ولا تعضلوهن • عطفا على ترثوا ولا لتاكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن • لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن •
اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره
عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع
الاخذ والاذهاب منهن لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به • الا ان ياتين بفاحشة مبينة • على صيغة الفاعل من بين
بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان
يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنى وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في
حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها
او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع • وعاشروهن بالمعروف • خطاب
للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد هاهنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول
ونحو ذلك • فان كرهتموهن • وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور
المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن • فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا •
علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل
لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل
الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه
خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله
ليفيد ان ترتب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء
الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل
مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله
يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به هاهنا الولد
الصالح وقيل الالفة والمحبة • وان اردتم استبدال زوج • اي تزوج امراة ترغبون فيها • مكان زوج • ترغبون
عنها بان تطلقوها • واتيتم احداهن • اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة
على الشرط اي وقد اتيتم التي تريدون ان تطلقوها • قنطارا • اي مالا كثيرا • فلا تاخذوا منه • اي من ذلك القنطار
شيئا يسيرا فضلا عن الكثير • اتاخذونه بهتانا واثما مبينا • استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه
والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امراة
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم وقوله تعالى • وكيف
تاخذونه • انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه
مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال
اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل • وقد افضى بعضكم الى بعض • حال من فاعل تاخذونه مفيدة

سعد الدين

لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من
الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك • واخذن منكم ميثاقا غليظا • عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن
منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم • شروع في
بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لم يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة
في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج
آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فثبتت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة
نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوها
بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم ثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي
في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم واشار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر
• من النساء • بيان لما نكح على الوجهين • الا ما قد سلف • استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج
التعليق بالمحال على طريقة قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • والمعنى لا تنكحوا حلائل
آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء
مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى
وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر ويأباه قوله تعالى • انه كان فاحشة ومقتا •
فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله وعلمه موصوفا بذلك ما رخص
فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه • وساء سبيلا • في كلمة ساء
قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء
سبيلا سبيل ذلك النكاح كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير
انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة
تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار قيل مراتب القبح
ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي
وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب
القبح • حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت • ليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة
التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص
لاتحاد المدار الذي هو عدم محليتهن ايضا عن الملك لا بعبارته بشهادة سباق النظم الكريم وسياقه والتعليم يوجب المدار
المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح
وامتناع وروده وحكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته
لملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق
فيتحقق تحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي بسبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي
على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية
والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات تنتظم الاخوات من الجهات الثلث و
كذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى • وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة • نزل الله تعالى

ارضاع

الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته
وكل ولد ولد له من المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من
ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام
ابنه وام عمته وام خالته لاب فليس حرمتهن من جهة النسب حتى تخل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع بل من جهة
المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح
والخامسة موطوءة جده الفاسد • وامهات نسائكم • شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة
الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء
وقد روي عن النبي صلعم انه قال في رجل تزوج ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له
ان يتزوج امها وعن عمر وعمران ابن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل
وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤا
وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه
في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات
تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر • وربائبكم اللاتي في حجوركم • الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل
الى الاسمية والربيبة ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى
بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك
بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات
النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة
والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن
علي رضي الله تعالى عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تعالى • من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن • فانه لتقييد ما به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما
وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات
او مما اضيفت هي اليه خاصة بتين لا شتر به ولا مع ما ذكر اولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها
تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة
لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنسائين مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
مع انه يسعى في اسكات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة
الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن
الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر • فان لم تكونوا • اي فيما قبل • دخلتم
بهن اصلا • فلا جناح عليكم • اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان بيان حكم الدخول يستتبع لبيان حكم عدمه • وحلائل ابنائكم • اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن
وقوله تعالى • الذين من اصلابكم • لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا
في حكم الابناء الصلبية • وان تجمعوا بين الاختين • في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد جمعهما في النكاح
لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى بسبب من الاسباب. وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطأ واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب. «الا ما قد سلف» استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى «ان الله كان غفورا رحيما» تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عم ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله يعقوب عم كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رح انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين. «والمحصنات» بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى «من النساء» متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم «الا ما ملكت ايمانكم» استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي مملوكاتهن واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لسقوطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرأيين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء وليس في ترتب

هذا

هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها اياه بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتوقف المتوقع والا فما عداهن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما في الدين فلأن تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية. «كتاب الله» مصدر مؤكد اي كتب الله «عليكم» تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا اني رأيت الناس يحمدونكا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل «واحل لكم» عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى «ما وراء ذلكم» اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد باحلال ما ذكر احلاله مطلقا اي على جميع الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل ههنا به ايضا «ان تبتغوا» متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء «باموالكم» بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول «محصنين» حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب «غير مسافحين» حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل «فما استمتعتم به منهن» اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى «فآتوهن اجورهن» والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ والكثير اولا واخرى جانب المعنى تجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما

او الفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور
فانها اجور ابضاعهن * فريضة * حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي
فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم * ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به * اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او
الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان
يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا
فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله
تعالى * من بعد الفريضة * اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح
الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام
حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم
بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف * ان الله كان عليما
حكيما * فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم * ومن لم يستطع منكم * من اما شرطية ما بعدها شرطها
او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى * طولا * اي غنى وسعة
او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل * ان ينكح المحصنات المؤمنات * اما مفعول صريح لطولا
فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان
ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي
طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل
والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش
واما بدل من طولا فان النكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول
او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم
الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن
عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا * فمما ملكت ايمانكم * اما جواب للشرط او خبر
للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع
الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك
النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى * من فتياتكم المؤمنات * في محل النصب
على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل
ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات
صفة لفتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كائنات على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفا
ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رح وعدم
جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو رأي اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رح متمسكا بالعمومات فمحمل الشرط والوصف هو الافضلية
ولا نزاع فيها لاحد وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسرا وقوله تعالى * والله اعلم بايمانكم * جملة معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء والانتساب على ما نطق به قوله عز وعلا
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم
في الايمان الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب
امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى * بعضكم من بعض * اي ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك

الجهة اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى
والخطاب في الموضعين اما لمن كما في الكشاف الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام
بالترغيب والتأنيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة الامر بالنكاح
على وجه الخطاب في قوله تعالى * فانكحوهن * مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده
بقوله تعالى * باذن اهلهن * وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اي واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن
ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له * وآتوهن اجورهن * اي مهورهن
بالمعروف * متعلق بآتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورة
ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله آتوا مواليهن
فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه * محصنات * حال من مفعول فانكحوهن اي حال كونهن عفائف عن الزنا * غير مسافحات *
حال مؤكدة اي مجاهرات به * ولا متخذات اخدان * عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد
الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن
لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اي غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين
* فاذا احصن * اي بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن او ازواجهن * فان اتين بفاحشة * اي فعلن
فاحشة وهي الزنا * فعليهن * فثابت عليهن شرعا * نصف ما على المحصنات * اي الحرائر الابكار * من العذاب * من الحد
الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد
الحرائر فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك
اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر * ذلك * اي نكاح الاماء * لمن خشي العنت منكم * اي لمن خاف وقوعه في الاثم الذي
يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر
اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق
بحال المؤمن دون الثاني لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه * وان تصبروا * اي عن نكاحهن متعففين كافين
انفسكم عما تشتهيه من المعاصي * خير لكم * من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رض
ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا
تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه
من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية
الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل
وقد قال عم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت * والله غفور * مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في
ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين * رحيم * مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن * يريد الله ليبين لكم *
استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل
النظم الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة
السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحرام والحلال و
قيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ونسب
الى سيبويه وقيل ان اللام بمعنى ان ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام
مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا
نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل
بينكم اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان

يريدون ماه

اى امرنا بما امرنا لنسلم ونريدون ليطفئوا وقيل يؤل الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبراً له
كما فى تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى ان تسمع به ويعزى هذا الرأى الى بعض البصريين • ويهديكم سنن الذين من قبلكم • من
الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم • ويتوب عليكم • اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط فى مراعاة ما كلفتموه من
الشرائع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعى تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة
او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة
حصلت لهم هذه التوبة • والله عليم • مبالغ فى العلم بالاشياء التى من جملتها ما شرع لكم من الاحكام • حكيم • مراع فى جميع افعاله
الحكمة والمصلحة • والله يريد ان يتوب عليكم • جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة
لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة
ولم يفعل ذلك فى قوله تعالى • ويريد الذين يتبعون الشهوات • للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضمونى الجملتين
كما فى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعى الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع
من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات
الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات
الاخ والاخت فنزلت • ان تميلوا • بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية
والضمير للذين يتبعون الشهوات • ميلا عظيما • اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال • يريد الله ان يخفف عنكم
بما قرر من الرخص ما فى عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب • وخلق الانسان ضعيفا • عاجزا عن
مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعات وعن الحسن ان
المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة فى نكاح الاماء وليس
لضعف البنية مدخل فى ذلك وانما الذى يتعلق به التخفيف فى العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه فى امر النساء خاصة حيث
لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بنى آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى على ثمانون سنة وذهبت
احدى عينى وانا اعشو بالاخرى وانا اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرئ وخلق الانسان على البناء
للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضى الله عنه ثمانى آيات فى سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله
ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وآمنتم • يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل • شروع فى بيان بعض الحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر
بيان الحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف
الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اى لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق
شرعى • الا ان تكون تجارة عن تراض منكم • استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة
صادرة عن تراض كما فى قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال
تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اى وقوعها او ولكن وجود تجارة
عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر الملكات لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوى المروءات والمراد
بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعى رحمه الله حالة الافتراق
عن مجلس العقد • ولا تقتلوا انفسكم • اى من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا اخوانكم
والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة فى الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب
باقتراف ما يفضى اليه فانه القتل الحقيقى لها كما يشعر به ايراده عقيب النهى عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهى السابق وقيل
لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدى الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها فى التهلكة ويؤيده ما روى

عن الحق مه

عن

عن عمرو بن العاص انه تأول له بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه عليه السلام وقرئ ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع فى التوصية
بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم
النهى عن التعرض له لكثرة وقوعه • ان الله كان بكم رحيما • تعليل للنهى بطريق الاستئناف اى مبالغا فى الرحمة والرأفة
ولذلك نهاكم عما نهى فان فى ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصى وللذين هم فى معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم
وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم
ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة • ومن يفعل ذلك • اشارة الى القتل خاصة او الى ما قبله من اكل الاموال وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما فى الفساد • عدوانا وظلما • اى افراطا فى التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل
اريد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية
اى متعديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين • فسوف نصليه • جواب للشرط اى ندخله وقرئ
بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية وتصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه
سبب للصلى • نارا • اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب • وكان ذلك • اى اصلاؤه النار • على الله يسيرا
لتحقق الداعى وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه • اى كبائر الذنوب التى نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس
نكفر عنكم • بنون العظمة على طريق الالتفات وقرئ بالياء على الاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد
او بتوبة اى نغفر لكم • سيئاتكم • صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى
رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف فى الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب
الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انهن سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس
التى حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن على رضى الله تعالى عنه
التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضى الله عنه ان
رجلا قال له الكبائر سبع قال هى الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروى عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر
الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها ويحسب فاعلها بل يحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر
حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن
اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب • وندخلكم مدخلا • بضم الميم اسم مكان هو الجنة • كريما •
اى حسنا مرضيا او مصدرا ميميا اى ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثانى
بفعل مقدر مطاوع للمذكور اى ندخلكم فتدخلون مدخلا اى دخولا كريما كما فى قوله • وعضة دهر يا ابن مروان
لم يدع من المال الا مسحت او مجلف • اى لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ • ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض • اى عليكم
ولعل ايثار الابهام عليه للتفادى عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل
وقتل الانفس عقبه بالنهى عما يؤدى اليه من الطمع فى اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح
ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من
الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير
لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا
يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان
فلا فيه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتى من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهى عنه تمنى نصيب
الغير لا تمنى ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله فى الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج

ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب
بتعليل النهي بقوله عز وجل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين
فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين
المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه
باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء
عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من
الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد
لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه
مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني
اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضه ان رسول الله صلعم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار
الفرج وحمل النص على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت
ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص من
الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ
حقوق الازواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده
سباق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع
بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي مما
ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول ورفع
توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة
في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان
لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته
بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة
قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه
على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استيناف
مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح
لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من
الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناولهم الوالدان والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث
السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا اسلم رجل على يد رجل
وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد
هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت
بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما تضمنه من وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى
فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون
وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي ان الله كان على كل شيء من الاشياء التي من جملتها
الايتاء والمنع شهيدا فيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستانف مسوق لبيان سبب استحقاق
الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان

بعراقتهم

بعراقتهم في الاتصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره
وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله
تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا
ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد القوة
في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في جميع القضايا و
وجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية او موصولة
حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم
من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع
احد نقباء الانصار رضي نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم
وشكى فقال صلعم لتقتص منه فنزلت فقال صلعم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات شروع
في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج
والاموال عن النبي صلعم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في
مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في
قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث
عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب
عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على
الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في
القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن
مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن
بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون
كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع
ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا
عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شأنه
يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم
احدا او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق ويفرض تحققه
وانما الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت الشرطية
بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد
على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة
اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما في شق اي جانب غير شق الآخر والخوف هنا بمعنى العلم
قاله ابن عباس رضي الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل
وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه
مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة

بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة
والاصلاح من اهله اى من اهل الزوج وحكما آخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف فى انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا
ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما
ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما
صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى فى نفوسهما المودة
والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغى ان يفرض صدوره
عنهما وان الذى يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير
عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة
منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما و
يحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اى ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة و
الوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن
فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة
بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل
التى هى آكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها فى سلكها كما فى سائر المواقع وشيئا نصب
على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا
او خفيا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما احسانا وبذى القربى اى بصاحب القرابة من اخ او عم او خال
او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذى القربى اى الذى قرب جواره وقيل الذى له
مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار ذى القربى والجار الجنب
اى البعيد والذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق
الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار
الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك
ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هى المرأة وابن السبيل
هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يأنف
عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحتين وبضمتين والموصول بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التى بينها لهم فى التوراة وهو انسب بامرهم
للناس بالبخل فانهم كانوا يكتمونها ويأمرون اعقابهم بكتمها واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر
موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل
والاخفاء والآية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما
شاركوهم فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء
فى القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى كما فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن اه كأنه قيل والذين
ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم
مشركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء
قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد بابليس واعوانه
حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم فى النار وماذا عليهم اى على من ذكر من الطوائف لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله ابتغاء لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان
بالله واليوم الآخر فانه يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم او اى
تبعة ووبال عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ بخلاف
ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على
ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته
فى نفسه وعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح
من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم
المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما
ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت
للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشئ فى غير موضعه اى لا ينقص من الاجر مثقال ذرة وهى النملة
الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة لمن الاجر ولا يزيد فى العقاب شيئا
مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة او كل جزء
من اجزاء الهباء فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته فى الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه ادخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اى وان يك مثقال ذرة حسنة
انث لتأنيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال
وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على
كمال الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات
عن عثمان النهدى انه قال لابى هريرة رضى الله عنه بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته عم يقول يعطيه الفى الف حسنة ثم تلا
هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على
ما وعده فى مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف
محله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأى سيبويه او على التشبيه
بالظرف كما هو مذهب الاخفش اى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون
اذا جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبائح الاعمال
وهو نبيهم كما فى قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل فى الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول
الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء
المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل الى
المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين
كما فى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول

استيناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فما اريد بهم المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم
فالتعبير عنهم بالموصول لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة
والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان
يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول جنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم
انتظاما اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في
الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من
ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا وقد عصوا
الرسول والذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم الارض اي جعلت مصدرية فالجملة مفعول
ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء
وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية
الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا يكتمون منه تعالى
حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم
فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى
بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعى نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا فجاء وقت صلوة
المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون بحذف لا وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على
العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي
عن قربان المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقوموا
الى الصلوة في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه في الصلوة وحمل ما تقولون
على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقولون
في الصلوة تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على انه ما تقولون على ما تقرؤنه حتى يكون عاريا
عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد رخصا
بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله لان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين آمنوا
لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء
شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب
كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه
مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده
بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين
على معنى ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صوره بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة
على انتفاء خصوصية البعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية
لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة ثم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية
يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على وجه
البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز

بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رح وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء والطريق فيه وقيل ان رجالا
من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان تصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا
غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في هذه الصورة
ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الآية الكريمة اشارة الى
ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان
اعاليها وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار
فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي
عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين
والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر
عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه
وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه
للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط
هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين
الناس واسناد المجيء منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن
التصريح به وكذلك اسناد الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في
سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيد هما المستفاد
من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب
الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق
ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما
عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لا بتقدير النظم لا تقربوا
الصلوة في حالة الجنابة لا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك كنتم مرضى الخ واما ما قيل من ان عموم اعواز الماء
في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان
هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده
النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا
او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رح
وعند الشافعي رح لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي الى المرفقين لما روي انه
صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل
للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون
ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل
من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة
حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان
تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شناعتهم
ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين
من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا

ويريدون ان تضلوا السبيل

انما نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب
هو التورية وحمله على جنس الكتب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام و
العلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من
حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع
عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره
في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا
مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة
قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام
وقيل هو حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم الخ وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب
هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار
التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى
ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما
بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه
اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض
واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى
حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل
حتى يتحمل معنى الاشتراء المبني عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشأن النبي
صلى الله عليه وسلم وتيقنوا حقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم
قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة
المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره
اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا ايضا انتم ايها المؤمنون
السبيل المستقيم الموصل الى الحق والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما
يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة
وكفى بالله وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا
غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة في فاعل كفى
لتاكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار الجلالة في مقام الاضمار لاستجلاب
الثاني لتقوية استقلالهما المناسبة للاعتراض وتاكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية
من موجباتهما لا محالة من الذين هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه
بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا
كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع
نصرته عز وجل مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل خبر
خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه
يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل
الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد توسط بينهما ما توسط لمزيد الاعتناء ببيان
محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء

بولايته

والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم
وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم
اسم جنس واحده الكلمة ككلم وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف
وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التوراة خاصة
واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلعم ولا مساغ
لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف
على سره فان اريد به الاول كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم
في نعت النبي صلعم من اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه
عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني
فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة او بتعيين
العقل والدين كمواضع غيره وايا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجرى على اطلاقه من غير تقييد بزمان او
مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل ان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم
ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل
هذه الجناية والا فحمله على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية
وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل
اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلعم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا
وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك
في اثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم هو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم
او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه ويجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على
اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلعم استهزاء به مظهرين له عم ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون
في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم
هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلاث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا او
انظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا
يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام
ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما ان جميع الكفرة كانوا يوا
بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك
ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث
وضعوا غير مسمع موضع لا سمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من
الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية
ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على
الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عندما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال
او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه سمعنا واطعنا انما اعيد
سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف
لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع
القبول مقامه واسمع اي لو قالوه عند مخاطبة النبي عم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بعد قولهم

راعنا ولم يدنسوا الحق بكلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال ﴿لكان﴾ قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا ﴿واقوم﴾ اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم﴾ اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك ﴿فلا يؤمنون﴾ بعد ذلك ﴿الا قليلا﴾ قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقران الناطق بهذا الافضاء لا يصح الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعد ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعد ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل التعليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ﴿يا ايها الذين اوتوا الكتاب﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدق والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتورية بنفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القران مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واياما كان ففيه تفصيل ما فصل لما كان من نظام اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلال عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل ﴿آمنوا بما نزلنا﴾ من القران عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل ﴿مصدقا لما معكم﴾ من التورية عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القران مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها وكونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليس بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ﴿من قبل ان نطمس وجوها﴾ متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة ﴿فنردها على ادبارها﴾ فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الرؤ

الوجهان

الوجهان على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤوا منه وهو اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا او في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفائي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرا هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان انصراف العذاب الموعود من اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفي التورية فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعدما مات من المتشبثين من اعقابهم الضالين باضلال اهل الغالين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب من الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى ﴿او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت﴾ فان لم يقع الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتغيير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد محذورا عندهم لكونه زجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان يكون مناطا لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين او كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط اللائق بهما فان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه هو العاجل لانه ادخل في الزجر وعليه مبني ما روي عن الحبرين [illegible] والله تعالى اعلم [illegible] كان فعل النشر يخصصه بهذا المعنى [illegible] التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير ﴿وكان امر الله﴾ اي امره تعالى باتيان ما اوعدتم او بايقاع شيء ما من الاشياء ﴿مفعولا﴾ نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدون فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه [illegible] اصلا [illegible] الكفر [illegible] ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد [illegible]

الشرعية

التبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلاً من لدنه واحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن شاء
ان يغفر له ممن يتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتها لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشية المبنية على الحكمة التشريعية
فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشية بكلا الفعلين
وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار
كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما
فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان على التوبة والايمان ومن
يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثماً عظيماً
اي افترى واختلق مرتكباً اثماً لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً الم تر الى الذين يزكون
انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم
ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه
من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره ومعاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه
وبعمله بل الله يزكي من يشاء على تقدير منساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم
بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن
والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف
على جملة قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وايذاناً بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون
في ذلك العقاب فتيلاً اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير
يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلاً ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب
اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على
اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض
والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعاؤهم الاتصاف بما هم
متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم
تعالى عن ذلك علواً كبيراً ولكون هذا اشنع من الاول جرماً واعظم قبحاً لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من
قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديداً للتشنيع وتاكيداً للتعجيب
والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذباً للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افتراء
عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثماً مبيناً ظاهراً بيناً كونه اثماً والمعنى كفى ذلك وحده
في كونهم اشد اثماً من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر مرة وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل
امر الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب
لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب
مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في
الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكباً من
اليهود ليحالفوا قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب
الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا
للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى

طريقاً

طريقاً نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن
ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلاً وذلك قوله تعالى
ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلاً اي اقوم ديناً
وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تشريفاً لهم بالوصف الجميل
وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في
الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم
والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيراً
يدفع عنه العذاب دنيوياً كان او اخروياً لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن و
توجيه الخطاب الى كل احد يتاتى له الخطاب وتوحيد النصير منكراً والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبي عن سبق الطلب مسنداً
الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل
بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم
الى ذمهم بادعائهم نصيباً من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا
ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذن لا يؤتون الناس نقيراً بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب
انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئاً من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك الايثار لا مقدار
نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان
شانهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع و
التوبيخ عليه اي بعده منكراً غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب
وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيراً
كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئاً وفائدة اذن تاكيد الانكار والتوبيخ
حيث يجعلون ثبوت النصيب سبباً للمنع مع كونه سبباً للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون الناس اذن وفي
قرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضاً مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى
توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لاسيما على ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذاناً بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر
تحديث آل ابرهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار
الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل ايحسدونهم
على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوماً فيوماً وقوله تعالى فقد آتينا تعليل للانكار و
الاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما
اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابراً عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات
لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابرهيم الذين هم
اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكاً عظيماً لا يقادر قدره
فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة
والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابرهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني
لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابرهيم ملك يوسف
وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء
الفضل الى الناس فالمراد بآل ابرهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنائهم بآثاره

واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الالزام وتشديد الانكار
ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم والذي جنح اليه جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله تعالى * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه
حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين
وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فمبتدعي تراخي الآية
الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان
والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام
وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون الهمزة لتقرير حسدهم و
توبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد
كانه قيل بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم ما آتينا فمنهم
اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها * ان الذين كفروا بآياتنا * ان اريد بهم الذين
كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس
المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم الصلوة والسلام
* سوف نصليهم نارا * قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فتفيدان
التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة * كلما نضجت جلودهم * اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه * بدلناهم جلودا غيرها *
من قبيل بدلته بخوفه امنا لا من قبيل بدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا
للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير
نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى * ليذوقوا العذاب * ليدوم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس
رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقاري اعدها
فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم
بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه
او للتنبيه على شدة تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود
مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان
النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التالم والعذاب صيانة بدنها
عن الاحتراق * ان الله كان عزيزا * لا يمتنع عليه ما يريد ولا يمانعه احد * حكيما * يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل
لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان
الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى * والذين آمنوا وعملوا الصالحات * عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين
تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى * سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار * وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد * خالدين فيها
ابدا * حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا * لهم فيها ازواج مطهرة * اي مما في نساء الدنيا من الاحوال
المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة
لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر * وندخلهم ظلا ظليلا * اي فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس

اللهم

اللهم ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم
وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء
امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ * ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها *
في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة
على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق
الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن
الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان
يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه وفتح و
دخل النبي عليه السلام وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان
يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك
قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله
عليه السلام ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء
الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى * واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل * امر لهم
بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به هنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور
الاول فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم
اي وان تحكموا اذا حكمتم آه وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي متلبسين بالعدل والانصاف
* ان الله نعما يعظكم به * ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء
الذي يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
* ان الله كان سميعا * لاقوالكم * بصيرا * بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد
والوعيد * يا ايها الذين آمنوا * بعد ما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات
امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل * اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم * وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين
واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله *
اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء
لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي
بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله * والرسول *
اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه
انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس * ان كنتم تؤمنون بالله و
اليوم الآخر * متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور
البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه آه فان الايمان بهما يوجب ذلك اما
اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة * ذلك * اي الرد المامور به

خير لكم • واصلح • واحسن في نفسه • تأويلا • اي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على حسنيته في نفسه لما تقرر من تعلق الطاعة
بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخير
والحسن بما ينبئ عنه التحذير السابق • الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك • تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله ع م تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما تقرر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله صلى الله ع م
ووصفهم بادعاء الايمان بالقران وبما انزل من قبله اعني التوراة لتاكيد التعجب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال
المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل • يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت •
استئناف سيق لبيان محل التعجب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون آه روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله ع م ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله ع م فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رض للمنافق اكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل
فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط
جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب
ابن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله ع م او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار
التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم
وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير
فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا
اليه فيكون الاقتصار في معرض التعجب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان
ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان
بالتوراة فانه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة
وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى • وقد امروا ان يكفروا به • كونهم
مامورين بكفره في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن
لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من
ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا • ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا • عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من
كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبته الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا او
اما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة
وقوله تعالى • واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول • تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله
تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا
كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام
في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمراة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتي ما انصف
الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي • رايت المنافقين • اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق
وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى • يصدون عنك • حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية
والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى • صدودا • مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك
اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال
صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى • فكيف • شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية

ووخامة

ووخامة عاقبتها اي كيف يكون حالهم • اذا اصابتهم مصيبة • اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم
بما قدمت ايديهم • بسبب ما عملوا من الجناية التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك • ثم جاؤك •
للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة
الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار • يحلفون بالله • حال من فاعل جاؤك • ان اردنا الا احسانا وتوفيقا •
اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا
بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء
المنافق يطلبون بدمه وقد اهدر الله تعالى دمه فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان
يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه • اولئك • اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر
والنفاق وهو مبتدا خبره • الذين يعلم الله ما في قلوبهم • اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا لك
من الاكاذيب • فاعرض عنهم • جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم
لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر • وعظهم • اي ازجرهم
عن النفاق والكيد • وقل لهم في انفسهم • في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في
انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع • قولا بليغا • مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق
له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف
اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد
بالقتل والاستئصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب
لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا
باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب • وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله • كلام
مبتدا جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا
رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه
مؤد عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله تعالى او بتيسير الله تعالى
وتوفيقه في طاعته تعالى • ولو انهم اذ ظلموا انفسهم • وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك
جاؤك • من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية
بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة • فاستغفروا الله • بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك
حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل • واستغفر لهم الرسول • على طريقة الالتفات تفخيما
لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول • لوجدوا الله توابا رحيما •
لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما
بدلا منه او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد
تنديم لاولئك المنافقين على ما صنعوا لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثارهما
نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها • فلا وربك • اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد
معنى القسم لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى • لا يؤمنون • لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم ونظائره • حتى يحكموك • اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه ع م حاكم بامر الله تعالى
ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق
فيما شجر بينهم • اي فيما اختلف من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه • ثم لا يجدوا • عطف على مقدر
ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا • في انفسهم حرجا • ضيقا • مما قضيت • اي مما قضيت من قضائك

وقيل شكا من اجله اي الشاك في ضيق من امره • ويسلموا • اي ينقادوا لامرك وينقادوا له • تسليما • تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة
له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله قيل نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلعم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عم
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله عم ثم قال اسق
يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه سعة له و
للخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء
فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله
ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق
ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء • ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم • اي اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من
ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا • ما فعلوه • اي المكتوب المدلول
عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين • الا قليل منهم • اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي
عن عمر رضي الله انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها
للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا • ولو انهم فعلوا ما يوعظون به •
من متابعة الرسول عم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ
لاقترانها بالوعد والوعيد • لكان • اي فعلهم ذلك • خيرا لهم • عاجلا وآجلا • واشد تثبيتا • لهم على الايمان وابعد من
الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم • واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما • جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا
يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء • ولهديناهم صراطا مستقيما • يصلون
بسلوكه الى عالم القدس وتفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم • ومن يطع الله
والرسول • كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم
وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية
السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي • فاولئك •
اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب
في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره • مع الذين انعم الله عليهم • والجملة جواب للشرط
وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه • من النبيين • بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء
عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه
من الاشارة الى ان طاعته عم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من
اصحاب رسول الله صلعم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجة النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من
الانصار الى رسول الله صلعم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب
الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع
مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عم فنزلت وروي ان ثوبان
مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب له عم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه

فسأله

فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك
ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما
يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب • والصديقين • اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق
والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق
والشهداء • الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته • والصالحين • الصارفين اعمارهم في طاعته و
اموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث
يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة • وحسن اولئك رفيقا • الرفيق
الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين
ومن بعدهم على ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء
للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه
اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين
ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين
ذلك • اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله تعالى • الفضل • صفته وقوله تعالى
من الله • خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل
فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضلا كائنا من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه • وكفى بالله عليما • بجزاء من
اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله • يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم • الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر
والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من
المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وهو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو • فانفروا •
بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم • ثبات • جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة
ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة
من ثبا يثبو كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه وتجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية • او انفروا جميعا • اي
مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة • وان منكم لمن ليبطئن • اي ليتثاقلن وليتخلفن
عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم و
المنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا
من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على
اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن • فان اصابتكم مصيبة • كقتل وهزيمة • قال • اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه
قد انعم الله علي • بالقعود • اذ لم اكن معهم شهيدا • اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية
لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ

وقوعه • ولئن اصابكم فضل • كفتح وغنيمة • من الله • متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله
تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه
واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر • ليقولن •
ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من
وقوله تعالى • كأن لم تكن بينكم وبينه مودة • اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو • يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا
عظيما • لئلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه المعية للمؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال
كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي
ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي يقولن المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين
كأن لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم و
غرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلعم وتأكيدها وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن
والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني • فليقاتل
في سبيل الله • قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به • الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة • اي يبيعونها بها وهم المؤمنون
فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين
يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليعقبوه
بالقتال في سبيل الله • ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه • بنون العظمة التفاتا • اجرا عظيما •
لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله
القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلعم
قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي
خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة • وما لكم • خطاب للمؤمنين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا لوجوبه
وهو مبتدأ وخبر وقوله عز وجل • لا تقاتلون في سبيل الله • حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار
والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة • والمستضعفين • عطف على اسم الله اي في سبيل
المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على
الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها • من الرجال والنساء
والولدان • بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع الى الله تعالى
كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور
على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا • الذين • محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او نصب
على الاختصاص • يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها • بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي
مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في
التذكير والتأنيث بحسب ما عمل فيه • واجعل لنا من لدنك وليا • كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم
المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما
هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة
وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان تتعلق كلمة من بمحذوف

وقع

وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى • واجعل لنا من لدنك نصيرا • قال ابن عباس رضي الله عنهما
اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله
عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلعم
فتولاهم اي تول ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد
واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع والابتهال
• الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله • كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله
تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته
فهو وليهم وناصرهم لا محالة • والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت • اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم
سواه والفاء في قوله تعالى • فقاتلوا اولياء الشيطان • لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة
على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيد
رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة
والضعف كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل • ان كيد الشيطان
كان ضعيفا • اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا
فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التأكيد ببيان انه منذ كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا
بالضعف • ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم • تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا
قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد
بسطها الى العدو وبحيث يكادون يبسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن
بن عوف الزهري والمقداد بن اسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا
يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول
لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة • فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع
ان القائل هو النبي صلعم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم
في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية
فلا يتعلق ببيان خصوصية الآمر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا
رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى • فلما كتب عليهم
القتال • وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي اذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين
وعليه يدور امر التعجيب كأنه قيل ألم تر الى الذين كانوا حراصا الى القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى
• اذا فريق منهم يخشون الناس • جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره
باذا المفاجأة لبيان مسارعتهم الى الخشية آثر ذي اثير من غير تلعثم وتردد فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم
ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر عن احد منهم ما ينافي
حالتهم الاولى وقوله تعالى • كخشية الله • مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم
متشبهين باهل خشية الله وقوله تعالى • او اشد خشية • عطف عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه
مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده اي يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من
خشية الله واياما كان فكلمة او اما للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على
السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او

يريدون • وقالوا • عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا • ربنا لم كتبت
علينا القتال • في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق تمني التخفيف • لولا اخرتنا
الى اجل قريب • استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة
حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا • قل • اي تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال
من النعيم الباقي • متاع الدنيا • اي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا • قليل • سريع التقضي وشيك الانصرام وان اخرتم الى
ذلك الاجل • والآخرة • اي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال • خير • اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم
انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل • لمن اتقى • حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب التكليف • ولا تظلمون
فتيلا • عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها
مساعيكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ
يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من • اينما تكونوا يدرككم الموت • كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب
وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته
عليه الصلوة والسلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المأمور به اي اينما تكونوا في الحضر والسفر
يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك
اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على
اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا
مما كتب من آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب • ولو كنتم في بروج مشيدة • في حصون رفيعة او قصور
محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا
بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وقرئ مشيدة او طلاه بالشيد وهو الجص
وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها
اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم آه وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود
المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر
تحقيقه في تفسير قوله تعالى ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون • وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله •
كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم
له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي عم المدينة فدعاهم الى
الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه
وذلك قوله تعالى • وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك • اي وان تصبهم نعمة وخصب نسبوها الى الله عز وجل وان تصبهم
بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي عم
بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترؤن على معارضة
امر الله عز وجل حيث قيل • قل كل من عند الله • اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير
ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية
بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا على اسلافهم من قوله تعالى الا انما
طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه
ويطيروا به وقوله تعالى • فما لهؤلاء القوم • الى آخره كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل
وتقبيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى • لا يكادون يفقهون حديثا • حال من هؤلاء
والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا

حديثا

حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كأنه قيل ما بالهم وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل
لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في
معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل و
الاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر
وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى • ما اصابك من حسنة آه • بيان للجواب المجمل
المأمور به واجراؤه على لسان النبي عم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس
والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى
بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم • فمن الله •
اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى
كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها
فضلا عن استيجابها نعمة اخرى ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا • وما اصابك من سيئة • اي بلية من البلايا • فمن نفسك • اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان
كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن
كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله عم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة
بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق
الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة • وارسلناك للناس رسولا • بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته
عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عم بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق
والجار اما متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي رسولا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى
وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب
الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اي بارسال بمعنى رسالة • وكفى بالله شهيدا • على رسالتك بنصب
المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض
تذييلي • من يطع الرسول فقد اطاع الله • بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك
لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ للامر والنهي فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه
روي انه قال عم من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا
الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت والتعبير
عنه عم بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عم طاعة له تعالى ليس خصوصية ذاته عم بل حيثية رسالته
واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام
عليهم حفيظا • وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك
دخوله تعالى • ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا اوليأباه تخصيص الخطاب في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا • وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا
مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق
به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه • ويقولون • شروع
في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما بان وجوب طاعته اي يقولون اذا امرتهم بشيء • فاذا برزوا من

عندك اي خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول
اي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان
وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقي وقرئ
بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات والباقون اتباع لهم
في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اي يثبته في جملة ما يوحي اليك فيطلعك على
اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته في صحائفهم فيجازيهم عليه وايا ما
فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اي لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها
لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تاتي وما تذر لا سيما في شانهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم
وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها
عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه
من موجبات الايمان وتدبر الشيء تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء
للعطف على مقدر اي أيعرضون عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي
من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اي القرآن من عند غير الله كما
يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة
لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقة للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله لكان ما فيه من الاخبار
بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر ان
المنافقين كانوا يتواطؤن في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عم على ذلك ويخبره بها
مفصلة فقيل لهم ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك
قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في
البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز
وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل
ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف في الحكم والمصالح المقتضية لذلك
فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اي اشاعه وافشاه
وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة
الاختلاف بناء على عدم فهم المراد وبيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا
من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او
تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى
تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشا لتوهم الاختلاف
فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اي ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اي عرضوه على رايه عليه السلام
مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رايه صلعم
والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله تعالى عنهم لعلمه اي لعلم الرادون معناه وتدبيره
وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان بانه ينبغي ان يكون قصدهم برده اليهم
استكشاف معناه واستيضاح فحواه اي لعلمه اولئك الرادون الذين يستنبطونه اي يتلقونه ويستخرجون علمه
وتدبيره منهم اي من جهة الرسول صلى الله عم واولي الامر من صحابته رضوان الله عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوا

فلم

فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها
بحكمة تبين لهم بيانه وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر من سرايا رسول الله صلى الله عم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوه
وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه وذلك الخبر الى رسول الله عم والى اولي الامر لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اي يستخرجون
تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عم واولي الامر على
امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعون فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه
وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين
ولو ردوه الى رسول الله عم والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما
يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم
فمساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق
الحق الذي هو المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عم واولي الامر لاتبعتم الشيطان وعملتم بآراء المنافقين
فيما تاتون وتذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولو الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون
في معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان
وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم قد تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه من متابعة
الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل
المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم
الدين الا قليلا منكم وهم اولو البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية
الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا
فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف
ينساق اليه النظم الكريم اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام
فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك استئناف مقرر لمضمون ما قبله
فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره
عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي
وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض
المؤمنين عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض
خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد
به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا
عدة منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل
وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي
القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عم في سبعين راكبا ووافوا
الموعد والقى الله في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلعم وافى بجيشه بدرا واقام
بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد باسا اي من قريش
واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى من

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها. اي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين
حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط في وصول الشفيع الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه من مضرة كذلك
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي به حق مسلم ابتغاء لوجه الله
من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية اي منفعة اجل تحاصل للمؤمنين تحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع
الدنيوية والاخروية واي مضرة اغلظ مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى
الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عليه الصلوة والسلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها
اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء
اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا
المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها
من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه الى الله تعالى
والتحية مصدر حيي اصلها التحيية كالتسمية من سمي واصل الاصل تحيية بثلاث ياءات فحذفت الاخيرة وقلبت الثانية
واوا وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحيوة وطول الحياة ثم استعملت في كل دعاء
وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام
وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة من
الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداءة
بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم
السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي
هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلعم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال ﷺ
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة و
الرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم
روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعن دراسة العلم والاذان والاقامة
ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته
لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل
على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل
وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية باحسن عند كون المسلم مسلما ورد
مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية
فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدا وخبره وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم
محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة لا محل لها من الاعراب
او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة او في الجمع حال من
اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى
في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدا وخبر

والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين
متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل
عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنين
في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق ومن الضمير
في تفترقون وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل
فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان
يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين
بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا
رسول الله صلعم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة
وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سياتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن
توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويرده ما سياتي
من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم
ينقل في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع
المنكر ببيان وجود النافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم
الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب
ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف و
قيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم
مشددا وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين
وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم
بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين
لتشديد الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال
اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على
الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد
له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله
فما له من هاد ونظائره وحمل اضلال الله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه
الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل
تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية بنحو يجوز
ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستانف مسوق
لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية
غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى فتكونون سواء عطف
على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها
وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء
الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا

منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من وداده كفركم فلا توالوهم • حتى يهاجروا في سبيل الله • اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم
بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عم لا لغرض من اغراض الدنيا • فان تولوا • اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة
فخذوهم • اذا قدرتم عليهم • واقتلوهم حيث وجدتموهم • من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا • اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا • الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق • استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم
ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد
مناة وقيل هم خزاعة • او جاؤكم • عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من
المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال
الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم
والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الآية فانه صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض
لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف • حصرت صدورهم • حال باضمار قد
بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرة صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤا
اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عم غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض • ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم • اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم وكراهة ان يقاتلوكم الخ
ولو شاء الله لسلطهم عليكم • جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم
في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدنا كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله
لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها • فلقاتلوكم • عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام
جواب لو على التكرير والابدال من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد • فان اعتزلوكم • ولم يتعرضوا لكم • فلم يقاتلوكم
مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل • والقوا اليكم السلم • اي الانقياد والاستسلام وقرئ
بسكون اللام • فما جعل الله لكم عليهم سبيلا • طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا
والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم • ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا
قومهم • هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا
ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر • كلما ردوا الى الفتنة • اي دعوا الى الكفر وقتال
المسلمين • اركسوا فيها • قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير • فان لم يعتزلوكم • بالكف
عن التعرض لكم بوجه ما • ويلقوا اليكم السلم • اي لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم • ويكفوا ايديهم • اي لم يكفوها
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم • اي تمكنتم منهم • واولئكم • الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة • جعلنا
لكم عليهم سلطانا مبينا • حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر و
اضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في اخذهم وقتلهم • وما كان لمؤمن • اي ما صح له ولا لاق بحاله
ان يقتل مؤمنا • بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك • الا خطأ • فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت
الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه
مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة لمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل لا بمعنى ولا
والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله
خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد
محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة

وكان

وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تأكل
ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل
في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب
فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك
خاليا ان اقتلك وقدم به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه
عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر
باسلامه فنزلت • ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة • اي فعليه او فموجبه تحرير رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر
عنها بالرأس • مؤمنة • محكوم باسلامها وان كانت صغيرة • ودية مسلمة الى اهله • مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله عم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل
زوجها • الا ان يصدقوا • اي يتصدق اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت
تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او القاتل • فان كان •
اي المقتول • من قوم عدو لكم • كفار محاربين • وهو مؤمن • ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما
بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات • فتحرير رقبة مؤمنة • اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية
اذ لا وراثة بينه وبين اهله لانهم محاربون • وان كان • اي المقتول المؤمن • من قوم • كفرة • بينكم وبينهم
ميثاق • اي عهد مؤقت او مؤبد • فدية • اي فعلى قاتله دية • مسلمة الى اهله • من اهل الاسلام ان وجدوا
ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق
وتحرير رقبة مؤمنة • كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا
خطأ الآية لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي
او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما • فمن لم يجد •
اي رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل اليها من الثمن • فصيام • اي فعليه صيام • شهرين متتابعين • لم يتخلل
بين يومين من ايامهما افطار • توبة • نصب على انه مفعول له اي شرع لكم ذلك توبة اي قبولا لها من تاب الله عليه
اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف
اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى • من الله • متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى • وكان الله عليما •
بجميع الاشياء التي من جملتها حاله • حكيما • في كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا • لما بين حكم القتل خطأ وفصل احكامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا ان حكمه
الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم
هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عم وذكر له القصة فارسل عم معه زهير بن عياض
الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم
يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من
الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية
اخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه
ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار
ارباب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه
رسول الله صلى الله عم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي

عن الكسائي بسكون التاء كأنه فر من توالي الحركات • فجزاؤه • الذي يستحقه بجنايته • جهنم • وقوله تعالى • خالدا فيها
حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها
وقيل من مفعول جازاه وأيد ذلك بأنه أنسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى أن ما يقدر للحال أو
للعطف عليه حقه أن يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا أو يدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر أن كون جزائه ما ذكر
لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها أو جازاه بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله
الاخبار عن وقوعه وأما قوله تعالى • وغضب الله عليه • فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كأنه قيل بطريق
الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بأن جزاءه ذلك وغضب عليه أي انتقم منه • ولعنه • أي أبعده عن الرحمة بجعل
جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير أن وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور و
نظائره أي فجزاؤه جهنم وأن يغضب الله عليه الخ • وأعد له • في جهنم • عذابا عظيما • لا يقادر قدره ولما ترى في الآية
الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تأيدت بما روي من الأخبار الشداد كقوله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي
بالمغرب لأشرك في دمه وقوله عليه السلام من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من فهي تهويل قتل النفس
أنها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فإن
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن
عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان
أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي
عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رضي
أن رجلا سأله ألقاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر ألقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال
كان الأول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة
بلا توبة أيضا حيث قال في قوله فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال هو جزاؤه إن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن أمر إن
فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والأصل في ذلك أن الله عز
وجل يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس رضي
أنه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق أنه لا ضرورة إلى
تفريع ما نحن فيه على الأصل المذكور لأنه إخبار منه تعالى بأن جزاءه ذلك لا بأنه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل
وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا إخبارا بأنه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير • يا أيها الذين
آمنوا • إثر ما بين حكم القتل بقسميه أن ما يتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي إليه
من قلة المبالاة في الأمور • إذا ضربتم في سبيل الله • أي سافرتم للغزو ولما في إذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى
• فتبينوا • بالفاء أي فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا
أي اطلبوا إثباته وقوله عز وجل • ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام • نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة
مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير ألف وبكسر السين وسكون اللام أي لا تقولوا بغير تأمل لمن
حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد • لست مؤمنا • وإنما أظهرت ما أظهرت
متعوذا بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح أي مبذولا لك الأمان وهذا أنسب بالقراءتين
الأخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب

النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكاف
والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى • تبتغون عرض الحياة الدنيا • حال من فاعل
لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعا إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب
العلم تبتغي به الجاه بل إليهما جميعا أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله
تعالى • فعند الله مغانم كثيرة • تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم
كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى • كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم • تعليل للنهي عن القول
المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة
بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الخ و
وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم السلام كنتم أنتم أيضا في مبادي إسلامكم لا
يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الإسلام ونحوها فمن الله عليكم بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم
وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى • فتبينوا • فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فاطلبوا بيان
هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على
تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب
أن المعنى أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم فيه وإن
صرتم أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا ظاهر الإسلام في المكافة ولا
تقولوا الخ فقد أبعد عن الحق لأن المراد كما عرفت بيان أن تحصين الدماء والأموال حكم مترتب على ما فيه
المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة وإظهار أن ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه أيضا
إلزاما لهم وإظهارا لخطائهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بتغيير منه تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله تحصين دمائهم
وأموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله أيضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك
بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن يقول
فحصنت دماؤكم وأموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن إياه بناء على
أساس واه كيف لا وأن ما ذكره بصدد التفسير وإن كان أمرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس
بحكم أريد إثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يتسنى أن يتعرض له ولا بأمر له دخل في وجوب
اعتبار ظاهر الإسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم أن تفعلوا الخ وحمل الكلام
على معنى أنكم في أول الأمر كنتم مثله في قصور الرتبة في الإسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا
تستقصروا حالته نظرا إلى حالتكم هذه بل عدوها نظرا إلى حالتكم السابقة برده أن قتلهم لم يكن لاستقصار
إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فإن الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من أهل
فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي
فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا
كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية
إنما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه وفي رواية أفلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة
فقال يا رسول الله استغفر لي فقال كيف بلا إله إلا الله قال أسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أن لم

اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنت نطلب القوم وقد هزمهم
فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال
افلا شققت عن قلبه • ان الله كان بما تعملون • من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها • خبيرا • فيجازيكم بحسبها
ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح
ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل • لا يستوي القاعدون • بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب
تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط
رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس
هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون
الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى • من المؤمنين •
متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف
القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى • غير اولي الضرر • بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى
النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين
او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت
رضي الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان
اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر • والمجاهدون • ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف
المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما وكذا تقييد المجاهدة بكونها • في سبيل الله باموالهم وانفسهم •
لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين
في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم
عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر
اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك
واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل لان صلته ملكة لصلة المفضول وقوله
عز وجل • فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة • استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين
من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه
قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فمما لا يليق بجلالة التنزيل تعليلا لعدم الاستواء
مسوقا لاثباته وفيه تفكيك ظاهر فان الذي يحق ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد
كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها
موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من
المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى • وكلا • مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر
تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين • وعد الله الحسنى • اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما
فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه
تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل • وفضل الله المجاهدين على القاعدين •
عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله
تعالى • اجرا عظيما • مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر واثابة او على انه مصدر من فعله بلا اشعار بكون ذلك

التفضيل

التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما
وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى • درجات • بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية
التفضيل وقوله تعالى • منه • متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة
منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا قال السدي
هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى
للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في
قولك ضربته اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى • ومغفرة • بدل من اجرا بدل البعض لان بعضه
ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا
حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى • ورحمة • بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار
فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده
تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام
اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريق
الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا
البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث
يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات
على ان المراد بالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر والاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا
من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية
الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة
واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحاله
ومسارعة الى تسلية المفضول استحسانه ولما تعالى علم ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو
الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول
بذلك فلا دلالة للعبارة على النفي عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم
مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وقد
منعهم من المسير ضرر او غيره وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم
فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا فهذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر
ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم
الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى
في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية • وكان الله غفورا رحيما • تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة
ان الذين توفاهم الملائكة • بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان
يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرا توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين والاصل
تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت
بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها • ظالمي انفسهم • حال من ضمير
توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ
كما في قوله تعالى غير محل الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه

انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة · قالوا · اي الملائكة للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك · فيم كنتم · اي في اي شيء كنتم من امور دينكم · قالوا · استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم · كنا مستضعفين في الارض · اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها · قالوا · ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم · الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها · الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه ابن المغيرة وقيس ابن الوليد المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم توبيخا وتقريعا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة · فاولئك · الذين حكيت احوالهم الفظيعة · مأواهم · اي في الآخرة · جهنم · كما ان مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة جزاء ان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه · وساءت مصيرا · اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام · الا المستضعفين · استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى · من الرجال والنساء والولدان · متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك والمراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى · لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا · صفة للمستضعفين مبينة لكيفية الاستضعاف فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل · فاولئك · اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز · عسى الله ان يعفو عنهم · جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكيد الوجوب بحيث ينبغي ان تعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا · وكان الله عفوا غفورا · تذييل مقرر لما قبله · ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا · ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم · وسعة · اي من الرزق · ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت · اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه · وقرئ بالنصب على اضمار

ان

ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا · فقد وقع اجره على الله · اي ثبت ذلك عنده ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله تعالى والى رسوله صلعم · وكان الله غفورا · مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج · رحيما · مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته · واذا ضربتم في الارض · شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورة من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة · فليس عليكم جناح · اي حرج ومأثم · ان تقصروا · اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى · من الصلوة · ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضي الله عنه عن اتمامه بانه تأهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيدت صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري واتماري وذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رح وقوله تعالى · ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا · جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح آه وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار مسندا

الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في
موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عند عدمه فمسكوت
عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا بقي على حاله العدمي لتحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك بما سمعت من السنة
الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا
مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر
وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال
الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم
متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى
واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم
اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا والمعنى عليكم جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل
عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة
وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة
فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في
مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان
بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي صلوة الخوف
وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد ونظائره متعلق بالاسرى صلوة الخوف بعده
صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله
خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال ايكم شهد صلوة الخوف
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة
رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف
فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف
الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم
لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا
اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى
لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك
الركعة الباقية ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن
ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما ان النبي صلعم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة
كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا
ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطائفة
حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة مع النبي
صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحرب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال
بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو
تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للمؤمنين

بطريق

بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع
به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
حيث رخص لهم اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا
حذركم لئلا يهجم العدو عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبني انمار فنزلوا
ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي
والسماء ترش فحال الوادي بينه عم وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال
قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه وقد سل سيفه
من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث
بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان قال لا احد قال عم تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله واعطيك سيفك فقال غورث واشهد انك خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع
غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم وسكن الوادي فقطع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم الخبر
وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر بالحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم
عليهم فاهتموا بامركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما
لتوقع غلبته واعتزازه نفي ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة
الخوف اي اديتموها على الوجه وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على
مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة
اي الصلوة التي دخل وقتها اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة
فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين
بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج وهو رأي الشافعي رح
وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد
ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض
لهم بالحرب وقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع
اي ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم
اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان
تكونوا بفتح الهمزة اي لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر
الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك
فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق
من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد
ابن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد فحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى
انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت
وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني
سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل

دعه فانه قد لجأ اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم
وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ والقي في البحر
لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهو طعمة
ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبريء اي لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهي معطوف على امر يستتبعه
النظم الكريم كانه قيل فاحكم به ولا تكن آه واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما
مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها شركا لهم في الاثم والخيانة
ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض
والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم
حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم
عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبح ويؤخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية
محيطا لا يعزب شيء منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء خطاب للخطأة وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد
جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدا وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم آه صلة له والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم
خاصمتم عن طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من
يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة
ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه مزيد ترغيب
لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما
من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا
وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن
يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب
او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب
الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة
بريئا اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء
بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما
مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كانه قيل بهتانا لا يقادر قدره
واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه قد عبر عنه
بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان
واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى
من نسبه الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان
واثم لا محالة ويكون تلك الجناية للرامي تتضاعف ذلك شدة وتزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي
البريء والا لكان الرمي بغير جناية مثله في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية مع تبرئة
نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب
ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر بتم بما ذكر من انضمام

كبه

١٥٠

كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء تزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك
ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر
وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد بني ثقيف
قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فابى وهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك
اي بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره فقط
ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك
وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة آه وما يضلون الا انفسهم لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير ان
يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية
اي وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك وانما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين
من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين
وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين
واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة
والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف
وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني وايا ما كان فالاستثناء متصل ويجوز
الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة آه ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف
الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد بالصدقة الصدقة
الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع
الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن
ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله
قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان
عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه الاشارة بقوله
تعالى بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح
بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة [illegible]
[illegible]
الامر لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار
حسن الامر وخيريته انما هو حسن المامور به وخيريته [illegible]
بها على فعلها او الاشارة الى الامر بها [illegible]
استتباع الامر بها الاجر العظيم [illegible] ابتغاء مرضات الله علة
للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون
العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة
لاظهار كمال شناعة ما اجترؤوا عليه من المشاقة [illegible] من بعد ما تبين له الهدى
ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد
وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم اي ندخله اياها [illegible] وساءت مصيرا [illegible]
[illegible] ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [illegible]

والتشديد او لقصة طعمة وقدم موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة
على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت • ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا • عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم
ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه
• ان يدعون • اي ما يعبدون • من دونه • عز وجل • الا اناثا • هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن
من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله
وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة بنات الله وقيل لتسميتها اناثا
لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم
للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع
انيث كقليب وقلب وجمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وا...
على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه • وان يدعون • وما يعبدون بعبادتها • الا شيطانا مريدا • اذ هو الذي
امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة
ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها • لعنه الله • صفة ثانية لشيطان • وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن
على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية
غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك في الغي لا يعلق
بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق الثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته الا اللعن و
الضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض
المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء • ولاضلنهم ولامنينهم • الاماني الباطلة كطول الحيوة
وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك • ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام • اي فليقطعنها بموجب امري ويشقنها من غير
تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب • ولآمرنهم فليغيرن • ممتثلين به • خلق الله
عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ
يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا
وما فيها من اللامات كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه • ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته • فقد خسر خسرانا مبينا • لانه ضيع رأس ماله بالكلية
واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار • يعدهم • اي ما لا يكاد ينجزه • ويمنيهم • اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد
والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها
• وما يعدهم الشيطان الا غرورا • وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه
وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان
يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد • اولئك • اشارة الى اولياء
الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى • مأواهم • مبتدا ثان وقوله تعالى
• جهنم • خبر للثاني والجملة خبر للاول • ولا يجدون عنها محيصا • اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا
وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان
اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله • والذين آمنوا وعملوا الصالحات • مبتدا خبره قوله تعالى

سند

سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا • قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء
ومساءة اولئك • وعد الله حقا • اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة
الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى
سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال مصدر • ومن اصدق من الله قيلا • جملة مؤكدة
بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة
في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران
ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال • ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب • اي
ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح
ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا
كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا
الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت
وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان
كان الامر كما يزعم هؤلاء المسلمون لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب
وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى
• من يعمل سوءا يجز به • عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما تحزن او تمرض او ما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك • ولا يجد له من دون الله • اي مجاوزا موالاة الله
ونصرته • وليا • يواليه • ولا نصيرا • ينصره في دفع العذاب عنه • ومن يعمل من الصالحات • اي بعضها وشيئا
منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها • من ذكر او انثى • في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان
او من الصالحات ومن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ • وهو مؤمن • حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب
المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه • فاولئك • اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته في الشرف • يدخلون الجنة • وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال • ولا يظلمون نقيرا • اي لا
ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان يزاد عقاب العاصي
اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب • ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله • اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل
وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك
التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من
فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله ومن اظلم
ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدا والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم
الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية
• وهو محسن • اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم
لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل
اسلم • واتبع ملة ابراهيم • الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها • حنيفا • مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال

اتبع او من ابرهيم • واتخذ الله ابرهيم خليلا • اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في
موضع الاضمار لتفخيم شانه عم والتنصيص على انه الممدوح وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود
تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما
يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع
ملته عم فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه
اعناق الهمم واشرف ما يرنو نحوه احداق الامم قيل انه عم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه
فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع
غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا بها الى منزل ابرهيم عم والقوها فيه
وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابرهيم بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت
سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز
فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا • ولله ما في السموات
وما في الارض • جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات
له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منهما فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او شرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابرهيم خليلا
ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شان من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد
تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عم للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما
فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وعلا • وكان الله بكل شيء محيطا • تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه
المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك اكمل تقرير
ويستفتونك في النساء • اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم
قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد
بين ههنا وذلك قوله تعالى • قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب • باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح
المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف على المبتدأ او الخبر
في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق
بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به
اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب
مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به
وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ
لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى • في يتامى النساء • على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى
اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى
على قلب همزة ايامى ياء • اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن • اي ما فرض لهن من الميراث وغيره • وترغبون • عطف على
الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتقدير وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد
عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما كتب لهن صداقهن • ان تنكحوهن • اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع
بهن بل لاجل مالهن او في ان تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في
اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها انها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها
طمعا في ميراثها وفي رواية عنها رضي الله تعالى عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق

ابرهيم خليل الله

فرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول
والآخر ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة
على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
الآية • والمستضعفين من الولدان • عطف على يتامى النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روى
ان عيينة وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله آه وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء الرجال
القوام بالامور روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت • وان تقوموا
لليتامى بالقسط • بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون اليتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه
نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء
والاوصياء • وما تفعلوا • في حقوق المذكورين • من خير • حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج
فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا • فان الله كان به عليما • فيجازيكم بحسبه • وان امرأة خافت • شروع في بيان ما لم
يبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امرأة • من بعلها نشوزا • اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا
لحقوقها • او اعراضا • بان يقل مجالستها ومحادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب • فلا جناح عليهما • ح
ان يصلحا بينهما صلحا • اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت
ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من يتصالحا
ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف
الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا وتصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل وينتصب بفعل مترتب على المذكور
اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاخذ الذي
هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ • والصلح خير • اي من الفرقة او من
سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى
واحضرت الانفس الشح • اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل
يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك
يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع
من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح • وان تحسنوا • في المعاشرة • وتتقوا • النشوز
والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء
من حقوقهن • فان الله كان بما تعملون • اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا
خبيرا • فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير
عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه
من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع
تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك
وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني
ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت • ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء • اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا
بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه

فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط المحبة
لعايشة رضي الله عنها • ولو حرصتم • اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك • فلا تميلوا كل الميل • فلا تجوروا على المرغوب عنها
كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم
فتذروها • اي التي ملتم عنها • كالمعلقة • التي ليست ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له
امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مايل • وان تصلحوا • ما كنتم تفسدون من امورهن • وتتقوا
الميل فيما يستقبل • فان الله كان غفورا • يغفر لكم ما فرط منكم من الميل • رحيما • يتفضل عليكم برحمته • وان يتفرقا
وقرئ يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره • يغن الله كلا
منهما اي يجعله مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته • من سعته • من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه • وكان الله
واسعا حكيما • مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى • ولله ما في السموات وما في الارض • اي من الموجودات كائنا ما كان
من الخلايق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته • ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا • واياكم
عطف على الموصول • ان اتقوا الله • اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار و
يجوز ان يكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى • وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض • حينئذ
من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الخ وعلى تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة
القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الاية وقيل هي جملة مستأنفة خوطب بها هذه الامة و
اياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الاية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في
السموات وما في الارض من الخلايق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وساير النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه
ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى • وكان الله غنيا • عن الخلق وعبادتهم • حميدا • محمودا في
ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته
ولله ما في السموات وما في الارض • كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له تعالى
وما فيهما من الخلايق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة • وكفى بالله وكيلا • في تدبير امور
الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه • ان يشأ يذهبكم ايها الناس • اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة
ويأت باخرين • اي ويوجد دفعة مكانكم قوما اخرين من البشر او خلقا اخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون
الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد اخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم
ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا • وكان الله على ذلك •
اي افنائكم بالمرة وايجاد اخرين دفعة مكانكم • قديرا • بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه
من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يهلككم ويأت بناس آخرين
يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس • من كان يريد ثواب الدنيا • كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة • اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا
آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم تخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي
في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية
وكان الله سميعا بصيرا • عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمرادهم
اندراجا اوليا • يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط • مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين
في ذلك حق الاجتهاد • شهداء لله • بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال • ولو على انفسكم

اي

اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه
او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه • او الوالدين والاقربين • اي و
لو كانت على والديكم واقاربكم • ان يكن • اي المشهود عليه • غنيا • يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه • او فقيرا
يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى • فالله اولى بهما •
عليه فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر
ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم • فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا • اي مخافة ان تعدلوا
عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة
ان تعدلوا عن الحق • وان تلووا • اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على وجهها وقرئ ان
تلوا من الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة • او تعرضوا • اي عن اقامتها راسا • فان الله كان
بما تعملون • من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر • خبيرا • فيجازيكم لا محالة على ذلك
فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد • يا ايها الذين امنوا • خطاب لكافة المسلمين
بمعنى قوله تعالى • امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل • اي اثبتوا على الايمان بذلك
وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او امنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب
الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى
على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من
تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة
اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة
الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب
الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول
وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا
ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك
وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسله محمد وكتابه القرآن
وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فامنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكل
بهامن قبل لتعين كون المراد بالايمان ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا ان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما
عدا ما امنوا به من قبل امنوا بالكل ولا تخصوا بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان بما في ضمن الايمان بالقرآن على
الوجه الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينهم وبين سائر الكتب في التصديق
لاشتراك الكل فيما يوجبه والنزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى امنوا بالكل لا بالبعض
دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن الامر بالكتاب لا بالايمان بالتحقيق لما ذكر وقيل للمنافقين
فالمعنى امنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط • ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر • اي بشيء من ذلك
فقد ضل ضلالا بعيدا • عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الاخر في جانب الكفر
لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم
الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل لانهم وسايط بين الله
وبين الرسل في انزال الكتب • ان الذين امنوا • قال قتادة هم اليهود امنوا بموسى • ثم كفروا
بعبادتهم العجل • ثم امنوا • عند عوده اليهم • ثم كفروا • بعيسى والانجيل • ثم ازدادوا كفرا • بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي • لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم

سبيلا لما أنه يستبعد منهم أن يتولوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الإيمان
عندهم أهون شيء وأدونه لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف أي مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل
بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما يدل على أن المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد أخرى
ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع أنذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء في محل النصب أو الرفع
على الذم بمعنى أريد بهم الذين أو هم الذين وقيل نصب على أنه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون المؤمنين حال من فاعل
يتخذون أي يتخذون الكفرة أنصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم أمر محمد صلى الله عليه وسلم
فتولوا اليهود أيبتغون عندهم العزة إنكار لرأيهم وإبطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لأطماعهم الفارغة والجملة
معترضة مقررة لما قبلها أي أيطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي أصل العزة الشدة ومنه قيل للأرض
الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى فإن العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الإنكاري من بطلان رأيهم وخيبة
رجائهم فإن انحصار جميع أفراد العزة في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كأنه قيل إن يبتغوا
عندهم عزة فإن العزة لله جميعا وجميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق
الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والإنزال ونزل أيضا مخففا والجملة حال
من ضمير يتخذون أيضا مفيدة لكمال قباحة حالهم وشناعة استعصائهم عليه سبحانه ببيان أنهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع
تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم على أبلغ وجه وآكده إثر بيان انتفاع ما يدعوهم
إليه بالجملة المعترضة كأنه قيل تتخذونهم أولياء والحال أنه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب أي القرآن الكريم
أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى وإذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز
بهم وأن هي المخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله
وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم الحالية وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتشريفها وإبانة خطرها وتهويل أمر الكفر
بها أي نزل عليكم في الكتاب أنه إذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على أن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
وإن خوطب به خاصة منزل على الأمة وأن مدار الإعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية
وأخرى بالسماع وأن المراد بالإعراض إظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الإعراض بالقلب أو بالوجه فقط والضمير
في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت
التنزيل وإذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر أي لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت إنكم إن فعلتموه كنتم مثلهم
في الكفر واستتباع العذاب وإفراد المثل لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لإضافته
إلى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما أنكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية أي في مثل حالهم وقوله تعالى إن الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين
إما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق وإما الجنس وهم داخلون تحته دخولا
أوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب
وتوجيه له إلى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو إما بدل من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين
فقط إذ هم المتربصون دون الكافرين أو مرفوع أو منصوب على الذم أي ينتظرون أمركم وما يحدث لكم من ظفر وإخفاق والفاء
في قوله تعالى فإن كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فإن حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما أن نفس
التربص يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا أي لكم ألم نكن معكم أي مظاهرين لكم فأسهموا لنا في الغنيمة وإن كان
للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال قالوا أي للكفرة ألم نستحوذ عليكم أي ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم و

أسركم

وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا
في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم وإلا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبنا لنا مما أصبتم وتسمية ظفر المسلمين
فتحا وما كان للكافرين نصيبا لتعظيم شأن المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم بإضمار أن
فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب وأما في الدنيا فقد أجرى
على من تفوه بكلمة الإسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج أو في الدنيا على أن المراد بالسبيل
الحجة إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ مسوق لبيان طرف آخر من قبائح أعمالهم
أي يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث
تركهم في الدنيا معصومي الدماء والأموال وأعد لهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار وقد مر التحقيق في
صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فينادون انظرونا نقتبس من نوركم
وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان
يراؤون الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري
غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة إما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يريدون
بقيامهم كسالى فقيل يراؤون إلخ أو حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله إلا قليلا عطف على يراؤون أي
لا يذكرونه سبحانه إلا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فإنه بالإضافة إلى الذكر بالقلب قليل أو إلا زمانا قليلا
أو لا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون إلا بمرأى من الناس ومع ذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في الصلاة إلا
قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤون أو منصوب على الذم وذلك إشارة
إلى الإيمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أي مترددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب
ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقرئ بكسر الذال أي مذبذبين قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو هو
بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين
بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة أي طريقة وأخرى في أخرى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء
أي لا منسوبين إلى المؤمنين ولا منسوبين إلى الكافرين أو لا صائرين إلى أولئك ولا إلى هؤلاء فمحله
النصب على أنه حال من ضمير مذبذبين أو على أنه بدل منه أو بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده
للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا إلى الحق والصواب فضلا عن أن تهديه إليه والخطاب لكل من
يصلح له كائنا من كان يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة
الكفرة صريحا وإن كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير أتريدون أن تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا أي أتريدون بذلك أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة على أنكم منافقون فإن موالاتهم
أوضح أدلة النفاق أو سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها بأن يقال أتجعلون
إلخ للمبالغة في إنكاره وتهويل أمره ببيان أنه مما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى
أم تريدون أن تسألوا رسولكم إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وإنما
كان كذلك لأنهم أخبث الكفرة حيث ضموا إلى الكفر الاستهزاء بالإسلام وأهله وأما قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن
فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ونحو ذلك فمن
باب التشديد والتغليظ والتهديد مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها
تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده أن جمعه أدراك ولن تجد لهم نصيرا
يخلصهم منه والخطاب كما سبق إلا الذين تابوا أي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر

وأصلحوا ما أفسدوا من أحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله أي وثقوا به وتمسكوا بدينه وأخلصوا
دينهم أي جعلوه خالصاً لله أي لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين أي المؤمنين المعهودين
الذين لم يصدر عنهم نفاق أصلاً منذ آمنوا وإلا فهم أيضاً مؤمنون أي معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك
بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم
وآمنتم استئناف سيق لبيان أن مدار تعذيبهم وجوداً وعدماً إنما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقرراً لما قبله
من إثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على أبلغ وجه وآكده أي أي شيء يفعل الله بتعذيبكم أيتشفى به من
الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعاً أو يستدفع به ضرراً كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن
أمثال ذلك وإنما هو أمر يقتضيه كفركم فإذا زال ذلك بالإيمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر
على الإيمان لما أنه طريق موصل إليه فإن الناظر أول ما يدرك ما عليه من النعم الأنفسية والآفاقية فيشكر شكراً مبهماً ثم
يترقى إلى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكراً الشكر من الله هو الرضا
باليسير من طاعة عباده وأضعاف الثواب بمقابلته عليماً مبالغاً في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وإيمانكم
فيستحيل أن لا يوفيكم أجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر
ومن بمحذوف وقع حالاً من السوء أي لا يحب الله تعالى أن يجهر أحد بالسوء كائناً من القول إلا من ظلم أي إلا جهر من
ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فإن ذلك غير مسخوط عنده تعالى وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة
فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوماً فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت و
قرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع أي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء وكان الله
سميعاً بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليماً بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم
فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء إن تبدوا خيراً أي خير كان من الأقوال والأفعال أو تخفوه أو تعفوا عن سوء
مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في إبداء الخير وإخفائه لما أنه الحقيق بالبيان وإنما ذكر
إبداء الخير وإخفاءه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله تعالى فإن الله كان عفواً قديراً فإن إيراده في معرض جواب الشرط
يدل على أن العمدة هو العفو مع القدرة أي كان مبالغاً في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو
عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم أن تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو أقدر على عفو ذنوبكم منكم
على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفواً عمن عفا قديراً على إيصال الثواب إليه إن الذين يكفرون بالله ورسله
أي يؤدي إليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا أنهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون أن يفرقوا بين
الله ورسله بأن يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بأن يصرحوا بالإيمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بطريق الاستلزام
كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض أي نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود
نؤمن بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك إلا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله ورسله في
الإيمان والكفر لأنه تعالى قد أمرهم بالإيمان بجميع الأنبياء وما من نبي من الأنبياء إلا وقد أخبر قومه بحقية دين نبينا صلى
الله عليه وعليهم أجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك
أن يتخذوا بين ذلك أي بين الإيمان والكفر سبيلاً يسلكونه مع أنه لا واسطة بينهما قطعاً إذ الحق لا يختلف
وماذا بعد الحق إلا الضلال أولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر حقاً وحقية
لمصدر الكافرين لا عبرة بما يدعونه ويسمونه إيماناً أصلاً حقاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة أي حق ذلك أي كونهم
كاملين في الكفر حقاً أو صفة لمصدر الكافرين أي هم الذين كفروا كفراً حقاً أي ثابتاً يقيناً لا ريب فيه وأعتدنا
للكافرين أي لهم وإنما وضع المظهر مكان المضمر ذماً لهم وتذكيراً لوصفهم أو لجميع الكافرين وهم داخلون في جملتهم

دخولا

دخولاً أولياً عذاباً مهيناً سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله أي على الوجه الذي بين في
تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين أحد منهم بأن يؤمنوا ببعضهم
ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على أحد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه أولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد
والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفوراً لما فرط منهم
رحيماً مبالغاً في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء نزلت
في أحبار اليهود حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى
وقيل كتاباً محرراً بخط سماوي على اللوح كما نزلت التوراة أو كتاباً نعاينه حين ينزل أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك
رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة إلا التحكم والتعنت قال الحسن لو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم
وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى شيئاً أكبر منه وقيل تعليل للجواب أي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى ما هو أكبر منه وهذه المسألة
وإن صدرت عن أسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون أسندت إليهم والمعنى أن لهم
في ذلك عرقاً راسخاً وأن ما اقترحوا عليك ليس أول جهالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة أي أرناه نره جهرة
أي عياناً أو مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فأخذتهم الصاعقة أي النار التي جاءت من السماء
فأهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم أي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها
وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقاً ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات أي المعجزات التي أظهرها لفرعون
من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم
وكانوا أحقاء به قبل هذا استدعاء لهم إلى التوبة كأنه قيل أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم
أيضاً حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطاناً مبيناً تسلطاً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة
عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم أي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي أنهم امتنعوا عن قبول شريعة
التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع الله عليهم
الجبل فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وقلنا لهم
على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نتحدث أنه باب من أبواب بيت
المقدس وقيل هو إيليا وقيل هو أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجداً متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا أي لا تظلموا باصطياد
الحيتان في السبت وقرئ لا تعدّوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعتدوا فأدغمت التاء
في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها إلى العين وأخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقاً غليظاً
مؤكداً أو هو العهد الذي أخذه الله عليهم في التوراة قيل إنهم أعطوا الميثاق على أنهم إن هموا بالرجوع عن الدين فالله
تعالى يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتأكيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها
والباء متعلقة بفعل محذوف أي فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات
النازلة عليهم أو على أعقابهم روي أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فمسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على
أن قوله تعالى فبظلم بدل من قوله فبما نقضهم وما عطف عليه فيكون التحريم معللاً بالكل ولا يخفى أن قولهم إنا قتلنا المسيح
وقولهم على مريم البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله أي بالقرآن
أو بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع أغلف

اى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او تخفيف غلف جمع غلاف اى هى اوعية العلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبى يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث
الا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا ● بل طبع الله عليها بكفرهم ● كلام معترض بين المعطوفين جئ به على وجه
الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة
بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم ● فلا يؤمنون الا
قليلا ● منهم كعبد الله بن سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به ● وبكفرهم ● اى بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم
واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب الطبع وقيل هو مجموع
معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما ● لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هى عنه بالف منزل ● وقولهم انا قتلنا المسيح
م عيسى بن مريم رسول الله ● نظم قولهم هذا فى سلك سائر جناياتهم التى نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم
بقتل النبى عليه السلام والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به عليه السلام كما فى قوله تعالى يا ايها الذى
نزل عليه الذكر ولانبائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوصف القبيح على ما قيل من انه نعت له عليه السلام من الله تعالى وضع للذكر الجميل من
جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا لمحله واظهارا لغاية جراءتهم فى تصديهم
لقتله ونهاية وقاحتهم وافتخارهم بذلك ● وما قتلوه وما صلبوه ● حال او اعتراض ● ولكن شبه لهم ● روى ان
رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى
بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله
تعالى شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى و
القى شبهه على المنافق فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان طيطانوس اليهودى دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقى
الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوة وقيل ان اليهود لما
هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله الى السماء وخاف رؤساء اليهود لما هموا بقتله من وقوع الفتنة بين عوامهم فاخذوا
انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم
الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول او فى الامر على قول من قال
لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا ● وان الذين
اختلفوا فيه ● اى فى شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه
حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا
وقال من سمع منه عليه السلام ان الله يرفعنى الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت ● لفى شك منه ●
لفى تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى ● ما لهم به
من علم الا اتباع الظن ● استثناء منقطع اى لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن
اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء متصل ● وما قتلوه يقينا ● اى قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح و
قيل معناه ما علموه يقينا كما فى قول من قال كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت
الشئ علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم فى الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلية
بل رفعه الله اليه ● رد وانكار لقتله واثبات لرفعه ● وكان الله عزيزا ● لا يغالب فيما يريده ● حكيما
فى جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى فى امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا ● وان من اهل الكتاب ● اى من اليهود والنصارى
وقوله ● الا ليؤمنن به قبل موته ● جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثانى والاول لعيسى عليه السلام
اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع

مسخهم الله تعالى قردة وخنازير

وقت

وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا فى معنى الجمع وعن ابن عباس انه
فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من
بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لى
الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج فى نفسى شئ منها يعنى هذه الآية وقال انى اوتى بالاسير من اليهود والنصارى
فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا
يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبى وتقول للنصرانى اتاك عيسى نبيا فكذبت به
فيقول [illegible] فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى
جالسا فنظر الى فقال ممن قلت حدثنى محمد بن على بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها
من عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه مع انتفاء
جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عليه السلام احد الا ليؤمنن
به قبل موته روى انه عليه السلام ينزل من السماء فى آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة
واحدة وهى ملة الاسلام ويهلك الله فى زمانه الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه
وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد عليه السلام ● ويوم القيمة يكون ● اى عيسى عليه السلام ● عليهم ● على اهل الكتاب
شهيدا ● فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ●
فبظلم من الذين هادوا ● لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اى تابوا
من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه فى حد ذاته بالتنوين التفخيمى
اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم ● حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ● ولمن
قبلهم لا لشئ غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التى
كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا
باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى فى مواقع
كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل
فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اى فى ادعائكم انه تحريم قديم روى انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التورية
لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين ● وبصدهم عن سبيل
الله كثيرا ● اى ناسا كثيرا او صدا كثيرا ● واخذهم الربوا وقد نهوا عنه ● فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم
علينا وفيه دليل على ان النهى يدل على حرمة المنهى عنه ● واكلهم اموال الناس بالباطل ● بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة
واعتدنا للكافرين منهم ● اى للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم ● عذابا اليما ● سيذوقونه فى الآخرة
كما ذاقوا فى الدنيا عقوبة التحريم ● لكن الراسخون فى العلم منهم ● استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون
بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اى لكن الثابتون فى العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين
للظن كاولئك الجهلة والمراد بهم عبد الله بن سلام واصحابه ● والمؤمنون ● منهم اى وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا
بما يوجبه من الرسوخ فى العلم بطريق العطف المنبئ على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف
الذاتى وقوله تعالى ● يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ● حال من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل
اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى ● والمقيمين الصلوة ● قيل نصب باضمار فعل تقديره واعنى المقيمين الصلوة
على ان الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام اى يؤمنون
بالكتب وبالانبياء او الملائكة قال مكى اى ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون

الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء
وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على
المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سيأتي من المعطوفين فان قوله تعالى
والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الآخر
فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما
وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء ثم
بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين
لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم
به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله
مشركون بالله سبحانه وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وهو مبتدا وقوله تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين
لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا النسق يتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم
ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا
عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدا ففي كمال السداد خلا انه غير متعرض
لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء و
احتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين
لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه
حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده
متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت
امته لردهم دعوته وقد اهلك الله تعالى بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابراهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل
في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى
وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا
لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحا بمن ينتمي اليهم اليهود من الانبياء
وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا
وقال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على
الله تعالى وقرئ بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخلة في حكمه لان ايتاء الزبور من باب
الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد
تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب
بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم
عليك اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة
لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا
اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما
منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان كون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة

بين

بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب
ثم في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك
ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا
وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير
تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل
عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه
في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء
حتى يكون اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا
الاول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب
موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان
كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى
انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب
بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى عليه السلام من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر
الانبياء عليهم السلام فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا
مع ظهور ان نزولها كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم
يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب على
المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين
لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها
قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن
ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل
من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة
الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير
من الله تعالى ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد
احب اليه العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على
المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلق على الله بحجة لانه مصدر لا يتقدم
عليه معموله وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع
صفة لها لان الظروف توصف بها الاحداث كما تخبر بها عنها كقولك القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا لا يغالب
في امر يريده ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى اسئلة المتعنتين حكيما في جميع افعاله التي من جملتها
ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغاير بعض الشرائع
والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما ان الله سبحانه خلقهم على انماط
مختلفة [illegible] واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم ويقتضيه احوالهم
المختلفة واستعداداتهم المتفاوتة من الشرائع والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الكل

وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم بما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح محض او حينئذ يتعاظم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج من عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بما انزل اليك بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله لانهم لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون لكن الله يشهد على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقيقة ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ او بعلمه بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيقته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزل الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم الى كسبها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى ابدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشان من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد وتنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول فقوله تعالى قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى الكمال اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء في قوله تعالى فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راي الخليل وسيبويه اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راي الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم

اوعلى

او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو راي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او ومن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل من كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم له بانه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بالمستحيل اللائق به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه به عليه السلام من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اي مكون بكلمته وامره الذي هو كن من غير واسطة ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضميره عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من المعنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء
حكاية لطيفة
الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرا الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من جهته جليلة منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل لكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله في الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التاويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون

له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج عن ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فاني يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عم عنه مع ان شانه عم المباهاة به كما تدل عليه احواله وتفصح عنه اقواله اولا ترى ان اول ما قال لما افصح قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قالته الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصافهم بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله تعالى وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقيل مساقة لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم عم عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عم وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون والذين هم حول العرش ومن هو اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء عليهم وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر وما التشاجر الا فيه ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف ههنا عبادته تعالى لان ما سيق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله تعالى اذ لا امر له عم سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان يؤنف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه بل بمعنى عدم نفسه كبرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض الطلب بدون حصول المطلب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب وقوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم انه مستقيم بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس في ذلك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين

في المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة ان الحشر للجزاء كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين امنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك معطوف مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيء اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطائهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اي عن عبادته تعالى واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من الله تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبتته الآيات الكريمة من حقيقة الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس انه النبي صلى الله عم وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي اظهرها وقيل هو الدين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى بالنور المنير بنفسه [illegible] من الامور المذكورة [illegible] وسلك به مسلك العطف المنبئ عن تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن [illegible] تارة بالمجيء المسند اليه [illegible] على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا [illegible] واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه [illegible] القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده او عن الدين الحق [illegible] لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر [illegible] فاما الذين امنوا بالله [illegible] واعتصموا به [illegible] فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس [illegible] الجنة [illegible] على طريقة قوله علفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي

ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة • ويهديهم إليه • أي إلى الله تعالى وقيل إلى الموعود وقيل إلى عبادته • صراطا مستقيما • هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم ذكر الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على عكس الترتيب في الوجود بين الموعود وبين الوعد للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأعلى وقيل انتصاب صراطا على أنه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم أي يعرفهم صراطا مستقيما • يستفتونك • أي في الكلالة استغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى • قل الله يفتيكم في الكلالة • وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما روي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي وروي عنه أنه قال عادني رسول الله صلى الله عم وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني كلالة وقوله • إن امرؤ هلك • استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى • ليس له ولد • صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد بأنه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الأمر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى • وله أخت • عطف على قوله ليس له ولد أو حال والمراد بالأخت من ليست لأم فقط فإن حكمها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة • فلها نصف ما ترك • أي بالفرض والباقي للعصبة أو لها بالرد إن لم يكن له عصبة • وهو • أي المرء المفروض • يرثها • أي أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بقائه • إن لم يكن لها ولد • ذكرا كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع مالها إذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا إرثه لها في الجملة فإنه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الإخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وإنما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة • فإن كانتا اثنتين • عطف على الشرطية الأولى أي اثنتين فصاعدا • فلهما الثلثان مما ترك • الضمير لمن يرث بالأخوة والتأنيث والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الإخبار عنها باثنتين مع دلالة ألف التثنية على الاثنينية التنبيه على أن المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما • وإن كانوا • أي من يرث بطريق الأخوة • إخوة • أي مختلطة • رجالا ونساء • بدل من إخوة والأصل وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث • فللذكر مثل حظ الأنثيين • يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما أنزل من الله تعالى في الأحكام روي أن الصديق رضي الله عنه قال في خطبته إن الآية التي أنزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فأولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية التي ختم بها السورة في الإخوة والأخوات لأبوين أو لأب والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام • يبين الله لكم • أي حكم الكلالة أو أحكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها • أن تضلوا • أي كراهة أن تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين إلى تقدير اللام ولا في طرفي أن أي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا أي لئلا تزولا وقال أبو عبيد رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدعون أحدكم على ولده أن يوافق من الله إجابة أي لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الآية والحديث نصا فيما ذهب إليه الكسائي وأضرابه فإن التقدير فيهما عند البصريين كراهة أن تزولا وكراهة أن يوافق الخ وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وإنما هو مفعول يبين أي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وأنت خبير بأن ذلك إنما يليق بما إذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك • والله بكل شيء • من الأشياء التي من جملتها أحوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم • عليم • مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

160

سورة المائدة مائة وعشرون آية

• يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود • الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الإيفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بها ما يعم جميع ما ألزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن دينا بأن يحمل الأمر على معنى يعم الوجوب والندب أمر بذلك أولا على وجه الإجمال ثم شرع في تفصيل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل • أحلت لكم بهيمة الأنعام • البهيمة كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخز وإفرادها لإرادة الجنس أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الأنعام والإضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأنياب وفائدتها الإشعار بعلة الحكم المشتركة بين المضافين لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار كأنه قيل أحلت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من إظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عنده فضل تمكن • إلا ما يتلى عليكم • استثناء من بهيمة الأنعام أي إلا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه • غير محلي الصيد • أي الاصطياد في البر أو أكل صيده ومحله النصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم إحلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع في الكتاب والسنة وقوله تعالى • وأنتم حرم • أي محرمون حال من الضمير في محلي وفائدة تقييد إحلال بهيمة الأنعام بما ذكر من عدم إحلال الصيد حال الإحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها ظاهرة لما أن إحلالها غير مطلق كأنه قيل أحل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند إحرامكم وأما على التقدير ففائدته إتمام النعمة وإظهار الامتنان وتقرير الحاجة ببيان علتها القريبة فإن تحريم الصيد لما أحلها تذكير احتياجهم إليه فإن حرمة الصيد في حالة الإحرام من مظان حاجتهم إلى إحلال غيره حينئذ كأنه قيل أحلت لكم الأنعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الأوقات محتاجين إلى إحلالها فمع إسناد عدم الإحلال إليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بأن يقال غير محل أو محرما عليكم الصيد حال إحرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها فإن تحريم الصيد عليهم إنما يوجب حاجتهم إلى إحلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم • إن الله يحكم ما يريد • من الأحكام حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا أوليا ومعنى الإيفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التي سيأتي بيانها • يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله • لما بين حرمة إحلال الحرم الذي هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان حرمة إحلال سائر الشعائر وإضافتها إلى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في إحلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما أشعر أي جعل شعارا أو علما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر وإحلالها أن يتهاون بحرمتها وأن يحال بينها وبين المتنسكين بها وأن يحدث في أشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه التي حدها لعباده وإحلالها الإخلال بها والأول أنسب بالمقام • ولا الشهر الحرام • أي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء والأول هو الأولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الأشهر الأربعة الحرم والإفراد لإرادة الجنس • ولا الهدي • بأن يتعرض له بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وهو ما أهدي إلى الكعبة من إبل أو بقر أو شاء جمع هدية كجدي وجدية • ولا القلائد • هي جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلائد من الهدي وهي البدن

وعطفها على الهدي مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام
كأنه قيل والقلائد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلائد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا
قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها
ولا آمين البيت الحرام • اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بأن تصدوهم عن ذلك بأي وجه كان وقيل هناك
مضاف محذوف اي قتال قوم او اذى قوم آمين وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل • يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا • حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اي
قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق
بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اي فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة ح
حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى
ضمير الآمين للايذان الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي
وتأكيده والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك
من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها وقال الحسن رضي الله عنه ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل
هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم ثابتة بطريق
دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطيم بن ضبيعة البكري وقد كان أتى المدينة وخلف خيله خارجها فدخل على النبي
صلى الله عليه وسلم وحده فوعده ان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده ومر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام
القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فسأل المسلمون النبي عم
ان يخلي بينهم وبينه فأباه النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر
ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج
يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا يبعد
كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى
وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون
لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج
البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول
الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم فتعين النسخ كلا او
بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الربح للمؤمنين والمشركين
عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويخص
ابتغاؤه بالمؤمنين • واذا حللتم فاصطادوا • تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء
موجبها والامر للاباحة بعد الحظر كأنه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهي لغة في حل و
قرئ بكسر الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا • ولا يجرمنكم • نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا
به مع اندراجهم في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه
وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو
كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول

من كل منهما بالهمزة الى مفعول ثان فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء • شنآن قوم
بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل هو شدة البغض وغاية المقت • ان صدوكم
متعلق بالشنآن باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية • عن المسجد الحرام • عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه
آية بينة في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق
فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير • ان تعتدوا
اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة
على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم
اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنآن عن كسب الاعتداء
للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي
عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا اريتك ههنا يريد به
نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان
حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية
وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى • وتعاونوا على البر والتقوى • لما كان الاعتداء غالبا
بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة
الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون
في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى • ولا تعاونوا على الاثم والعدوان • فاندرج فيه النهي عن التعاون
على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر
النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون
على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى • واتقوا الله • بالاتقاء في جميع
الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني ثم علل ذلك
بقوله تعالى • ان الله شديد العقاب • اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر
من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة • حرمت عليكم الميتة • شروع في بيان المحرمات التي اشير
اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح • والدم • اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا
وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له • ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به • اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى • والمنخنقة • اي التي ماتت
بالخنق • والموقوذة • اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته • والمتردية • اي التي تردت
من علو او الى بئر فماتت • والنطيحة • اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والطاء للنقل وقرئ والمنطوحة
وما اكل السبع • اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما اصطادته لم يحل • الا ما ذكيتم • الا ما ادركتم ذكاته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل
الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد • وما ذبح على النصب • قيل هو
وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام • وان تستقسموا بالازلام • جمع زلم وهو القدح اي
وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج
الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح
على الانصباء المعلومة • ذلكم • اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر

فسق ● تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو لم
بعقلهم زلي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم
تناولها ● اليوم ● اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والآتية وقيل يوم نزولها
وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق
لثقلها فبركت واياما كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى ● يئس الذين كفروا من دينكم ● اي من ابطاله ورجوعكم عنه
بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من امر الله عز وجل في وعده حيث اظهره على الدين كله
وهو الاليق بقوله تعالى ● فلا تخشوهم ● اي ان يظهروا عليكم ● واخشون ● واخلصوا الي الخشية ● اليوم اكملت
لكم دينكم ● بالنصر والجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
وعليكم في قوله تعالى ● واتممت عليكم نعمتي ● متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح
لما مر آنفا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف
العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق قيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم
نعمتي عليكم ● ورضيت لكم الاسلام دينا ● اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك
اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رضي قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي
انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت
هذه الآية بكى عمر رضي فقال له النبي عم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا اكمل فانه لا يكمل شيء الا نقص
فقال عم صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما ● فمن
اضطر ● متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات ● في مخمصة ● اي مجاعة يخاف
معها الموت او مباديه ● غير متجانف ● ولا عاد ● فان الله غفور رحيم ● لا يؤاخذه بذلك ● يسألونك ماذا احل لهم
شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كأنهم سألوا عنها عند بيان اضدادها وتضمن
السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدا واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة فانه كما يعتبر
حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤول ما احل لهم من المطاعم
قل احل لكم الطيبات ● اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث
● وما علمتم من الجوارح ● عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي صيد ما علمتموه او مبتدا
على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدا على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها
للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضمير المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل
سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا ● مكلبين ● اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد
مشتق من الكلب لان التأديب كثيرا ما يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عم في حق عتبة ابي لهب حين اراد سفر
الشام فغاظ النبي عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة
في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى احد ● تعلمونهن ● حال
ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استئناف ● مما علمكم الله ● من الحيل وطرق التعليم والتأديب كان العلم به الهام من الله تعالى
او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وامساك الصيد عليه عدم الاكل منه ● فكلوا مما امسكن عليكم ● قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية
جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة

على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة
التعليم واثره واناطة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يحل
الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا
بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم يأكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عم لعدي بن حاتم و
ان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير
لما ان تأديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص
وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله فكل ● واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما فيما علمتم اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته ● واتقوا الله ● في شأن محرماته ● ان الله سريع الحساب ● اي سريع
اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم سريعا في كل
جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم ● اليوم احل لكم الطيبات ● قيل المراد بالايام
الثلاثة وقت واحد وانما كرر للتأكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيها حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر
● وطعام الذين اوتوا الكتاب ● اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على
النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رض والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها ● حل لكم
اي حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو ح
رحمه الله واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هما صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون
الملائكة وصنف لا يقرؤون
كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون
اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ● وطعامكم حل لهم
فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك ● والمحصنات من المؤمنات ● رفع على انه مبتدا
حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر والعفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى
لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن
كالمسلمات عند ابي حنيفة رح خلافا للشافعي رحمه الله ● والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ● اي هن ايضا حل لكم
وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات ● اذا آتيتموهن اجورهن ● اي مهورهن وتقييد الحل
باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها واذ ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية
حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن لكم ● محصنين ● حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح
وكذا قوله تعالى ● غير مسافحين ● وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ● ولا متخذي
اخدان ● اي ولا مسترين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى والمجرور عطف على مسافحين وزيدت لا
لتأكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجه الثلثة ● ومن يكفر بالايمان
اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها ● فقد
حبط عمله ● الصالح الذي عمله قبل ذلك ● وهو في الآخرة من الخاسرين ● هو مبتدا ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة
بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام
للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى
اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا ● يا ايها الذين آمنوا ● شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد
بيان ما يتعلق بدنياهم ● اذا قمتم الى الصلوة ● اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث

لا تنفك عن ارادتها واذا قصدتم الصلوة اطلاقاً لاحد المتلازمين على الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء
على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي عم صلى الصلوات الخمس
يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عم عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة
الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم
الذي هو بدله وما نقل عن النبي عم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه
بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان
منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا
حرامها ● فاغسلوا وجوهكم ● اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك ● وايديكم الى المرافق ● الجمهور على دخول
المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما
دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره
وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك فيما نحن فيه
وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية
هاهنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا ● وامسحوا برؤسكم ● الباء مزيدة وقيل للتبعيض فان الفارق بين قولك
مسحت المنديل وبالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي
الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه تعالى قال فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي
اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس
ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط ● وارجلكم الى الكعبين ● بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة
وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم
ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من
المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة ● وان كنتم جنبا فاطهروا ●
اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط
الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر ● وان كنتم مرضى ● مرضا تخافون به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء ● او على سفر ●
اي مستقرين عليه ● او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه ● لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة
النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ● ما يريد الله ● اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة
او بالامر بالتيمم ● ليجعل عليكم من حرج ● من ضيق في الامتثال به ● ولكن يريد ● ما يريد بذلك ● ليطهركم ● اي لينظفكم
او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف
واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد
ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء ● وليتم ● بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم ● نعمته عليكم ● في الدين
او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه ● لعلكم تشكرون ● نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى
طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود
وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما
تطهير الذنوب واتمام النعمة ● واذكروا نعمة الله عليكم ● بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره ● وميثاقه الذي واثقكم به ●
اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى ● اذ قلتم سمعنا واطعنا ● ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور
في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم

بالمحافظة

بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر
والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وبيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم
لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه
الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عم ● واتقوا الله ● اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون
وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ● ان الله عليم بذات الصدور ● اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة
لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة ● يا ايها الذين آمنوا ● شروع في بيان الشرائع
المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم ● كونوا قوامين لله ● مقيمين لاوامره ممتثلين بها
معظمين لها مراعين لحقوقها ● شهداء بالقسط ● اي بالعدل ● ولا يجرمنكم ● اي لا يحملنكم ● شنآن قوم ● اي شدة
بغضكم لهم ● على ان لا تعدلوا ● فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف
وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك ● اعدلوا هو ● اي العدل ● اقرب للتقوى ● الذي امرتم به صرح
لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل
في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين ● واتقوا الله ● امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب
اليها اعتناء بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ● ان الله خبير بما تعملون ● من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم
اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة
في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد
عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل ● وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ●
التي من جملتها العدل والتقوى ● لهم مغفرة واجر عظيم ● حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة
فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ● التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى ● اولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات ● اصحاب الجحيم ● ملابسوها ملابسة مؤبدة وفي الآية القرآنية تشفيع
الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار ● يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم ● تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق
بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى ● اذ هم قوم ● على الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم
ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم
ان يبسطوا اليكم ايديهم ● اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم
من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديمه كذلك في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة ● فكف ايديهم عنكم ● عطف على هم وهو النعمة التي
اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار
ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها
اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف
بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة ذي
انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا
اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا

فاصبوا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان
وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاة
يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فاسقطه
جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوا في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه
ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في
ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين
بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال
بهما واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق
لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم
بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها
من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي
للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة
موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب
فعيل بمعنى فاعل من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم
قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله
عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به
توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق
الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افراييم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء
الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الاف سنة
وكان على رأسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امرأته قال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم
يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا
يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني
اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ
بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه
عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالب ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور
منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه
فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة
اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه وقال الله
اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد

ما

ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بجميع ما يأتون وما
يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم
اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء
ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم
الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتأخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من
الفروع المترتبة عليه انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين
قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والتشاجر وقرئ عزرتموهم بالتخفيف
واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد
وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم
للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله وداخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول ضرورة تقدم التخلية
على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من آمن تقوية
للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر
وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز
الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار عليه كانه قيل
فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف
بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأه خطاء فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف
من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما
مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم
طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وجعلنا قلوبهم قاسية [illegible] الآيات والنذر وقيل [illegible] بالعقوبة حتى
قست [illegible] يحرفون الكلم
عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم [illegible]
[illegible]
[illegible] ونسوا حظا
مما ذكروا به [illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تزال تطلع على خائنة منهم
اي خيانة على انها مصدر [illegible]
للمبالغة او نفس خائنة [illegible]
[illegible]
لا سلافهم [illegible] الا قليلا منهم
[illegible] على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلاثة الاخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام

واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم
فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير
واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع
في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف
وقع خبرا لمبتدأ محذوف قامت صفته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما
في الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله
والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم
في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم
ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا
عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا
وقيل ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا
وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق
به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي اغرينا العداوة
والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء
او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية
الى التفرق الى ثلث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى
وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت اي يجازيهم
بما عملوه على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتأكيد الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة
للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملون من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة
العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل
اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن وايرادهم بعنوان
اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته
والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة
للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد
البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي
التورية والانجيل كبعثة محمد عليه السلام واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام في الانجيل وتأخير كثير من الجار
والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر نوع
تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها
والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة
على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله و
المتمسكون به ويعفوا عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح

كما

كما ينبئ عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة
الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان
ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء
الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وايا ما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور
للتفخيم والمراد به وبقوله تعالى وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي
على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول
هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم
الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية
ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه
بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى
وهو شريعته التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار
موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم
الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال
الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه
لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى
وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث
اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا
ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا
فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف
اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئا منها
ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق و
لا يتبان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند
تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام
مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير
والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قدرته وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام
الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله تعالى
ان اراد آه لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان
انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده
فيظهر استحالة الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال
فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره

تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات
في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لهم فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في
ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك
لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من
من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض
ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل
تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف
المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى
اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية
على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل
يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل
ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام
او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير
على يد عيسى معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى
ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية
استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة
وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى
نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن زبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة
نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب
الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني اذهب
الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة
انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اي الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ
وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار اياما بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر
ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق
اي من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا
به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف
فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا واليه المصير في الآخرة
خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف
يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من
رسولنا وايثاره على يبين لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد من جملتها ما بين
في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور

ان مجيء الرسل انما هو لبيانه او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما
تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فيمنع كونه تكريرا ومن غير فائدة يرده قوله عز وجل
على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه
وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين
فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من
ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان
ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي طائفة من الرسل مبتدأة من جهتهم وقوله تعالى ان تقولوا
تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين على تفريطكم في رعاية احكام الدين
ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة
في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر او المنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام لا كيفما كان
بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين
ما تعلق به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير
فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما
فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع واربعون سنة او خمسمائة وست واربعون
واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يبعث بعد عيسى الا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال
حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم
الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت
بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له من حيث تعلقه بما قبله ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف
النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب
النبي صلى الله عليه وسلم بالخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى
لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع
فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا
بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي
اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه عليكم
في وقت جعله او اذكروا النعمة تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي خطر
حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي
جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان
عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب
النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يسوغ ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له
وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار
وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور
العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء

بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام
التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله
تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة
المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا
ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على النهي او
منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ
من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عم ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين
متغلبين لا تتأتى منازعتهم ولا تتسنى مناصبتهم والجبار العالي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريد كانه اسم لما
فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها
فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما
مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم
فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق الدالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة اظهارا
واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم
البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وفي
قراءة ابن مسعود رض وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي
منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا
الى موسى عم فقالوا وحينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة والهم يعود العائد المحذوف اي من الذين يخافهم
بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة
اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجأش والوقوف
على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من
رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور
عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز
الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير حاجة الى القتال
فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم
لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عم ومن قوله تعالى كتب الله لكم اولما
علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدوا من صنعه لموسى من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول
وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله
العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما
قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عم اظهارا لاصرارهم على القول الاول
وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا
اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان فاذهب انت الفاء
فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء
به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا

ارادتهما

ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت
وربك يعينك وقوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم ولم يعبؤوا بقتالهم
وقوله تعالى انا هاهنا قاعدون يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام
لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة
وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني اي لا املك الا نفسي وان اخي لا
يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق او
الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه
وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض المقدسة والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها
لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى
اربعين سنة ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم
فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي
حسبما روي ان موسى عم سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها
ما شاء الله تعالى ثم قبض عم وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام
النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريمها عليهم لما بينهما من
العلاقة التامة المتاخمة وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استئناف لبيان كيفية
حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا وقيل كانوا ستمائة
الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل
في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا
وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول
شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان
عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار
لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع
اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بني اسرائيل وعذبهم بالتيه
بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح
وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد
فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي انه عم
ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله
تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب ما كتب وجاءتهم
الرسل بما جاءت من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل
بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله تعالى الى آدم عم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل
اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم فقال لهما آدم
قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد
قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة متلبسة بالحق والصحة
او حالا من فاعل اتل او من مفعوله اي متلبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين

اذ قربا قربانا منصوب بالنبأ ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف
اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما
يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره
اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته
ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب ارذل ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف
سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ
بالمخففة قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما رأى انه حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه
انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما
اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه
وحمله على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم تقواه على وجه يستدعي
سكون غيظه لو كان له عقل رادع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
حيث صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط
وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما
الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط
كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام
الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد
اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اي والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق
ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله تعالى اني اخاف الله رب العالمين وفيه
من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك
ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى بربوبية
العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم
يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل
ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه
وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول
باعث متقدم عليه تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع
باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم
يعتد المظلوم اي على البادي عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى اثمك
الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما
هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي على من علم انه لا
يرعوي عن المعصية اصلا ويأباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين
لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين
فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه
عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي
والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتب

التطويع

التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققها قبلها ايضا كما ينبئ عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد
تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة امر حادث وصنع جديد
كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته
على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته
لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام
عليه فطاوعته ولم تمتنع وزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل
هابيل فتمثل له ابليس واخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين
حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع ضع
قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدري
ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور
والسباع تنتظر حتى يرمي به فتأكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني يجوز
ان يتعلق ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت
قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال
يا ويلتا هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل و
الويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي تعجب من عدم
اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله فاواري بالنصب عطف على ان اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري
فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة روي انه لما قتله اسود
جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك و[illegible]
آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال
انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها انت ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها
وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني
اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من
استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان
يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين
دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر
اجل شرا اذا اجناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل
في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن
لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه
نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير
قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف
اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك بغير وضوء وتيمم بطلت صلوته ومدار الاستعمال اعتبار
ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط
الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما

معًا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معًا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين كان فنقيضه مشروط بانتفائهما معًا وكل حكم شرط تحققهما معًا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معًا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما منهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء وتيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معًا قطعًا فيرد النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معًا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته بحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معًا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ فمن حال في تغيير او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كأنما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تأكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجرية الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم ﴿ومن احياها﴾ اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها عن سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه ﴿فكأنما احيا الناس جميعا﴾ وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدّر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشأن الخطير هذا ﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا آه للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليه ﴿ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك﴾ اي بعد ما ذكر من الكتب وتأييد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد ﴿في الارض﴾ متعلق بقوله تعالى ﴿لمسرفون﴾ وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شأن القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل

ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ﴿ويسعون في الارض﴾ عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى ﴿فسادا﴾ اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون اي مفسدين او مفعول له اي للفساد او مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت الآية في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن الاخذ بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ﴿ان يقتلوا﴾ اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل ولو عفى الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا ﴿او يصلبوا﴾ اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما ﴿او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف﴾ اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمته اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه ﴿او ينفوا من الارض﴾ ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض لدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعي رضي الله عنه النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ﴿ذلك﴾ اي ما فصل من الاحكام والاجزية وقيل هو مبتدأ ﴿لهم خزي﴾ جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله ﴿في الدنيا﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق على ما مر والخزي الذل والفضيحة ﴿ولهم في الآخرة﴾ غير هذا ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة ﴿الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم﴾ استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله ﴿فاعلموا ان الله غفور رحيم﴾ اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤوا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة ﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب امر المؤمنين بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يوجب سخطه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي احياء والمسارعة الى التوبة والاستغفار ﴿وابتغوا﴾ اي اطلبوا لانفسكم ﴿اليه﴾ اي الى ثوابه والزلفى منه ﴿الوسيلة﴾ هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل

من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست
بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل
خير ومنجاة من كل ضير والجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى التاكيد او مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة
الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات
المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى • وجاهدوا في سبيله • بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة
لعلكم تفلحون • بنيل مرضاته والفوز بكراماته • ان الذين كفروا • كلام مبتدأ مسوق لتاكيد وجوب الامتثال
بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة
توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب • لو ان لهم • اي لكل واحد منهم
كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الآية لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال
• ما في الارض • اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا
خلاف خلا انه عند البعض رفع على الابتداء ولا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد خصت
من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر
مؤخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو
اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى • جميعا • توكيد للموصول وحال منه ومثله بالنصب عطف عليه
وقوله تعالى • معه • ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق
المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير
الراجع اليهما واللام في قوله تعالى • ليفتدوا به • متعلق بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر
عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن يحذو حذوه ولا ريب في ان مدار
الافتداء بهما ذكر هو كونهما لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير
راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه
في الجلد توليع البهق اي كان ذاك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر
من قيار في قوله واني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل
المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب
للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها
ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن
للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر و
قوله تعالى • من عذاب يوم القيمة • متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية
لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ • ما تقبل منهم • ذلك هو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم
به من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه للايذان بانه امر
محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى العرض قدرتهم على ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء
على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه
فلما رآه وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليهن ورؤيتهن له والجملة الشرطية
بما في حيزها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملؤ الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له
قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى • ولهم عذاب اليم • تصريح بالمراد بعدم قبول فديتهم اثر

تقريره

تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان الذين فلا محل له كما في
• يريدون ان يخرجوا من النار • استئناف لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه
قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار قيل
انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوقها فهناك يريدون الخروج ولات
حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم
وقوله عز وجل • وما هم بخارجين منها • اما حال من فاعل يريدون او اعتراض وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية
على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم
خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام
النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى وما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج • ولهم
عذاب مقيم • تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته • والسارق والسارقة • شروع
في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال
ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء
في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره
عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة وعند المبرد قوله • فاقطعوا
ايديهما • والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه
على قراءة الرفع لان الانشاء لا يقع خبرا الا باتاويل واضمار والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع
اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها والمراد بايديهما
ايمانهما كما ينفصح عنه قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى
كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى
ان القطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه • جزاء • نصب على انه مفعول له
اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى • بما كسبا •
على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه من
السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى • نكالا • مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد
وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة
فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب
معلل بالاحسان وقد اجازوا في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
ان يكون بغيا مفعولا له ناصبه ان يكفروا فانهم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا فان
التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى • من الله • متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي كائنا من
الله تعالى • والله عزيز • غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند يزاحمه ولا ضد يمانعه • حكيم •
في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح
• فمن تاب • من السراق الى الله تعالى • من بعد ظلمه • الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور
قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته • واصلح • امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على
ترك المعاودة اليها • فان الله يتوب عليه • اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقط
بالتوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه • ان الله غفور رحيم •
مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة

الحكم وتأييد استقلال الجملة وكذا في قوله عز وجل ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض فإن عنوان الألوهية
مدار أحكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن وهي مع ما في حيزها سادة
مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل
لكل أحد صالح للخطاب والاستفهام الإنكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي
من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه أي ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة إلى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته
يعذب من يشاء أن يعذبه ويغفر لمن يشاء أن يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب
على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة إما تقرير لكون ملكوت السموات والأرض له سبحانه أو خبر آخر لأن
والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والإظهار في موقع الإضمار لما مر والجملة
تذييل مقرر لما قبلها يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة
للتشريف والإشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وإيثار كلمة في على كلمة إلى الواقعة
في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ للإيذان بأنهم مستقرون في الكفر لا يبرحون وإنما ينتقلون
بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها كإظهار موالاة المشركين وإبراز آثار الكيد للإسلام ونحو
ذلك كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإنهم مستمرون على الخير مسارعون في أنواعه وأفراده والتعبير
عنهم بالموصول للإشارة بما في حيز صلته إلى مدار الحزن وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن أن يحزنوه عليه
السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من ذلك والمبالاة به على أبلغ وجه وآكده
فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من أصله وقد يوجه النهي إلى المسبب
ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من أحزنه
منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعا أي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم
في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بأفواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول أي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى
ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من
الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم إلى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب
خبر لمبتدأ محذوف راجع إلى الفريقين أو إلى المسارعين وأما رجعه إلى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه
للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على أن قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف أي ومنهم قوم
سماعون الخ لأدائه إلى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والأخروية بهم فالوجه ما ذكر
أولا أي هم سماعون واللام إما لتقوية العمل وإما لتضمين السماع معنى القبول وإما لام كي والمفعول محذوف
والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب أو في قبول ما يفتريه أحبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه أو
سماعون أخباركم وأحاديثكم ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير أو أخبار الناس
وأقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما نقل عنهم وأيا ما
كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء أمورهم
على ما لا أصل له من الأباطيل والأراجيف مما يقتضيه عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع
بظهور بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية إلى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ
سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للأول ومبين
لما هو المراد بالكذب على الوجهين الأولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع إلى معنى من أي قبل من حمده

والمعنى

والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين وأما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لأجل قوم آخرين
وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام أو كونها متعلقة بالكذب على أن سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى
سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم أصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة أخرى
لقوم أي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وإفراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة
وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة أخرى لقوم وصفوا بها لا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على
استقلالهم وأصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم إيذانا بكمال طغيانهم
في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لإفراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل
وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون أي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها إما في
غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر لمبتدأ محذوف راجع إلى القوم
وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يحرفون كما سبيل له
أصلا كيف لا وأن مقول القول ناطق بأن قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به من يحضره
فكيف يمكن أن يقوله السماعون المترددون إليه عليه السلام بين الخصوم حوله قطعا وادعاء أن قول السماعين لأعقابهم
المحاسن للسماعين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه أن المحرفين والقائلين
هم القوم الآخرون أي يقولون لأتباعهم السماعين لهم عند إلقائهم إليهم أقاويلهم الباطلة مشيرين إلى
كلامهم الباطل إن أوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فإنه
الحق وإن لم تؤتوه بل أوتيتم غيره فاحذروا أي فاحذروا قبوله وإياكم وإياه وفي ترتيب الأمر
بالحذر على مجرد عدم إيتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان
وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم
بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال هل تعرفون
شابا أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على
موسى بن عمران في التوراة قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم
قال وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم أترضون به حكما قالوا نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم
المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من
أحصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت أن تحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك و
لكن كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه
الرجم قال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه
سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء
كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون
وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته أي ضلاله أو فضيحته كائنا
من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا أوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للإشعار بكمال ظهوره و
الاستغناء عن ذكره فلن تملك له من الله شيئا في دفعها والجملة مستأنفة مقررة
لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة أبدا أولئك إشارة إلى المذكورين من المنافقين
واليهود وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى

الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم • اي من خبث الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيها واصرارهم عليها واعراضهم
عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم اخرا
والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى فتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها واقعة منه تعالى ابتداء
• لهم في الدنيا خزي • اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود
فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدا ولهم خبره وفي الدنيا
متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى • ولهم في الآخرة • مع خزي الدنيوي • عذاب عظيم •
هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد
المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشا من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة
للعقاب كانه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية • سماعون للكذب • خبر آخر للمبتدا المقدر كرر
تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى • اكالون للسحت • وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم
او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل
ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استاصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا الرشا
التي كان ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم
من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ السحت بفتح السين
والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت
فالنار اولى به • فان جاؤك • لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلفة الموجبة لعدم المبالاة بهم و
بالغاء عليهم حسبما امر به عليه السلام خوطب ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا
كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات • فاحكم بينهم او اعرض عنهم • غير مبال بهم
ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو امر خاص بما ذكر من زنا المحصن
وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله عليه السلام فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا
واحد وديننا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا قتلوا
القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من تمر وان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين
منا وبالعبد منهم الحر فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت
وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم ومن قائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن
ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسختها قوله تعالى وان احكم
بينهم وقوله فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسختها قوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه ابو حنيفة • وان
تعرض عنهم • بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث
كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة
بينهم شق ذلك عليهم فتشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله • فلن يضروك شيئا • من الضرر
فان الله عاصمك من الناس • وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط • بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم • ان
الله يحب المقسطين • فيحفظهم عن كل مكروه ويعظم شانهم • وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها
حكم الله • تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن ذلك
حكم الله على زعمهم فقوله وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت
مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدا فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف مسوق لبيان ان عندهم

ما

ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة • ثم يتولون • عطف على يحكمونك
داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى • من بعد ذلك • اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا
لتاكيد الاستبعاد والتعجب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى
• وما اولئك بالمؤمنين • تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم
في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تمييز حتى انتظموا في
سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون
بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بهما وقيل ما اولئك بالكاملين
في الايمان تهكما بهم • انا انزلنا التورية • كلام مستانف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها
وانها لم تزل مرعية بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة
عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى
• فيها هدى ونور • حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي
لا يحيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما اشتبه من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة
بظلمات الجهل نور وقوله تعالى • يحكم بها النبيون • اي انبياء بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء
جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون
باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار
والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع
طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقوله تعالى • الذين اسلموا • صفة اجريت على النبيين على
سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا بالقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا
فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض
مدح العظماء ينبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام
ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وانهم بمعزل من الاسلام
والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام • للذين هادوا • متعلق
بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين
هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم
له كان الحكم نافع للفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف احدهما لدلالة ما
ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع
صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا • والربانيون والاحبار • اي الزهاد والعلماء من ولد هارون
عليه السلام الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس الربانيون الذين يسوسون
الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح والكسر والثاني افصح
راي الفراء ماخوذ من التحبير وهو التحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه وهو عطف على النبيين اي هم ايضا يحكمون
باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم
النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى • بما استحفظوا •
اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق
ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها وفي ابهامها
اولا ثم بيانها بقوله • من كتاب الله • من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب حفظها والعمل

طلاق

جا فيها مالا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على
الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد
بل على انها سببية اى يحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله تعالى حسبما وصاهم به انبياؤهم
وسالوهم ان يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول
مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف
على قوله يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم انبياؤهم
ان يحفظوه من التغيير • وكانوا عليه شهداء • اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه
فتغيير السلك بما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون
الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز وجل اى كلفهم الله
ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى وتقدس • فلا تخشوا الناس • خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم
بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل
من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا
وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا
عن التحريف والتغيير ولما كان مدار اجترائهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما
صريحا اى اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم
من الانبياء واشياعهم • واخشون • في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء • ولا تشتروا باياتي •
الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان
له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم
بدلا منها • ثمنا قليلا • من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها
لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصد
الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة الى تحصيله وابرزت الايات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون
في معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم في التعكيس بان جعلوا المقصد
الاصلي وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا • ومن لم يحكم بما انزل الله • كائنا من كان دون المخاطبين خاصة
فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اى من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله
اقتضاء بينا • فاولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
• هم الكافرون • لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله
في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق
فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه
ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا • وكتبنا • عطف على انا انزلنا التورية
• عليهم • اى على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل • فيها • اى في التورية • ان النفس بالنفس •
اى تقاد بها اذا قتلتها بغير حق • والعين • تفقأ • بالعين • المفقوءة تعديا • والانف • يجدع • بالانف •
المقطوع بغير حق • والاذن • تصلم • بالاذن • المقطوعة ظلما • والسن • تقلع • بالسن • المقلوعة بغير حق
• والجروح قصاص • اى ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس انهم كانوا لا يقتلون الرجل
بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم

ان النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انا انزلناه • فمن تصدق •
اى من المستحقين • به • اى بالقصاص اى فمن عفى عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب • فهو • اى التصدق
• كفارة له • اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ
فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى
فاجره على الله • ومن لم يحكم • كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا بينا
• بما انزل الله • من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا • فاولئك هم الظالمون •
المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام
المذكورة • وقفينا على اثارهم • شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية
اى اثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اى
قفيناهم • بعيسى ابن مريم • اى ارسلناه عقيبهم • مصدقا لما بين يديه من التورية • حال من عيسى عليه السلام
• وآتيناه الانجيل • عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة • فيه هدى ونور • كما في التورية وهو في محل النصب على انه
حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك
شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم • ومصدقا لما بين يديه من التورية • عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين
يديه من التورية لزيادة التقرير • وهدى وموعظة للمتقين • عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل
كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه
والمنتفعون بجدواه • وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه • امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور
التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة
فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته
بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها كما سيأتي في قوله
تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الاية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل
معطوف على آتيناه اى وقلنا ليحكم اهل الانجيل وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قولك امرته
بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل
على انها متعلقة بمقدر اى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقيل عطف على هدى وموعظة
على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه • ومن لم يحكم بما انزل الله •
من الاحكام • فاولئك هم الفاسقون • المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون
الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام
كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر • وانزلنا اليك الكتاب • اى الفرد الكامل الحقيق
بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده
وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى • بالحق • متعلق بمحذوف
وقع حالا مؤكدة من الكتاب اى ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله
تعالى • مصدقا لما بين يديه • حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت
فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي و
الفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة
في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة

التي يدور عليها امر الشريعة وليس فيه المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتاخر وانما يدل
على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة ما ينسخها
نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى • من الكتاب • بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا
العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الا ان
ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفردية الى خصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي
ايضا حيث خص بما عدا القران • ومهيمنا عليه • اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير لانه يشهد لها
بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتابد من فروعها ويؤيد احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها
المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما
انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليه وقرئ ومهيمنا على صيغة المفعول اى هومن عليه
وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ له اما من جهته تعالى
كما في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى • فاحكم
بينهم • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القران العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه
من موجبات الحكم المأمور به اى اذا كان شان القران كما ذكرنا فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك • بما انزل الله •
اى بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم
الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة والاشعار بعلة الحكم • ولا تتبع اهوائهم • الزائغة • عما جاءك من الحق • الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا
تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من
فاعله اى لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير
الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى
• لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا • كلام مستانف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه
عليه السلام بما انزل اليه من القران الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذي
كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا
للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض
لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا
بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض آه والمعنى لكل امة كائنة من الامم الباقية
والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها
فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى الى مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم القران ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة
والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سببا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب
للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على
انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعنا لا من حيث انها
شرعة للاولين • ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة • متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين
من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ وتحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اى
لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم آه وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه • ولكن ليبلوكم •
متعلق بمحذوف يستدعيه المقام اى ولكن لم يشأ ذلك اى ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية

فيما

فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم • فيما آتاكم • من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها
مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم
في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة
بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء
الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله تعالى • فاستبقوا الخيرات • اى اذا كان الامر كما ذكر
فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القران الكريم وابتدروها
انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير
عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى • الى الله مرجعكم • استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من
الوعد والوعيد وقوله تعالى • جميعا • حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني
للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار • فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون • اى فيفعل بكم من الجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا وانما عبر عن ذلك
بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار • وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم •
عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال
بالامر او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك
تاكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى • واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك • اى يصرفوك عنه
ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل
اشتمال من ضميرهم اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتاكيد
التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
• فان تولوا • اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره • فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم •
اى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا واحد من جملتها وفي الابهام
تعظيم للتولي كما في قول لبيد • او يرتبط بعض النفوس حمامها • يريد به نفسه اى نفسا كبيرة ونفسا اى نفس
• وان كثيرا من الناس لفاسقون • اى متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله • افحكم الجاهلية يبغون • انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اى ايتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد
الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه عليه السلام وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب
والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي او اهل الجاهلية
وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى وروي ان بني النضير تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة
قتيل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل
فقال عليه السلام القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا
ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر
وقرئ تبغون على الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اى قل لهم افحكم الجاهلية تبغون وقرئ افحكم
الجاهلية اى فحاكما كحكام الجاهلية يبغون • ومن احسن من الله حكما • انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه
تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله

احسن دينا ممن اسلم وجهه لله • لقوم يوقنون • اى عندهم او اللام كما فى هيت لك اى هذا الاستفهام لهم فانهم
الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها • يا ايها الذين آمنوا
خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سيأتى ووصفهم بعنوان
الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل • لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء • فان تذكير
اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اى لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياءكم حقيقة فانه امر ممتنع فى نفسه لا يتعلق به النهى
بعضهم اولياء بعض • اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق
الآخر وانما اوثر الاجمال فى البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقى اليهود والنصارى رأسا
والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهى وتأكيد ايجاب الاجتناب عن المنهى عنه اى بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة
واحدة فى كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم
الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة • وقوله تعالى • ومن يتولهم منكم فانه منهم • حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة
فيما بينهم يستدعى كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد فى الدين الذى عليه يدور امر الموالاة فيما بينهم يستدعى
كون من يواليهم منهم حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك ممن يواليهم منهم وفيه زجر
شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة وقوله تعالى • ان الله لا يهدى
القوم الظالمين • تعليل لكون من يتولاهم منهم اى لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون فى الكفر والضلالة
وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشئ فى غير موضعه
وقوله تعالى • فترى الذين فى قلوبهم مرض • بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان
بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية وفيه مزيد تشنيع
للتشنيع اى لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما فى حيز صلته الى
ارتكبوه من التولى بسبب ما فى قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد فى الدين وقوله تعالى • يسارعون فيهم •
حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اى تراهم
مسارعين فى موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة فى بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة
على انهم مستقرون فى الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما فى قوله تعالى اولئك يسارعون
فى الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ بالياء على الغيبة
على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية
والرؤية قلبية اى ويرى القوم الذين فى قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا
كما فى قول من قال الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابى واضرابه الذين كانوا يسارعون فى
مودة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة • وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التى لا يذكر معها
موصوفها اى يدور علينا دائرة من دوائر الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روى ان عبادة بن
الصامت رضى الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثير عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم
واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع
ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر فى نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل • فعسى الله ان يأتى
بالفتح • رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد
محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتى فى محل النصب على انه خبر عسى وهو داخل فى

وفيه زجر شديد للمؤمنين

او

او على انه مفعول به وهو رأى سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما فى قولك عسى زيد ان يقوم والمراد
بالفتح فتح مكة قاله الكلبى والسدى وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء
الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين • او امر من عنده • بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
فيصبحوا • اى اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتى داخل معه فى حيز عسى وان لم يكن فيه
ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة • على ما اسروا فى انفسهم
نادمين • وهو ما كانوا يكتمونه فى انفسهم من الكفر والشك فى امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا
يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذى كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها بأصلها
وسببها • ويقول الذين آمنوا • كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على انه
جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا
وقيل على يأتى باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول
انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامتهم لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود
مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم
فى السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا
للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم • اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم • اى بالنصرة والمعونة كما قالوا
فيما حكى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم
تخطيئتهم فى ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة
انهم لمعكم فالخطاب فى معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثانى من جهة المقسمين
وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان
اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل
واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اى مجتهدين فى ايمانهم او على المصدر اى اقسموا
اقسام اجتهاد فى اليمين وقوله تعالى • حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين • اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى
لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام
الانكارى واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما فى
حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى
بطلت اعمالهم التى عملوها فى شأن موالاتكم وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا
من المساعى وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله
بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما منّ الله على انفسهم من التوفيق
للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التى
كانوا يتكلفونها فى رأى اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما اظهر المنافقون
خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك
على رؤوس الاشهاد وبطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى اعين المؤمنين ولا ريب فى انهم يومئذ
اشد اعتدادا واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذى يظهر منهم الندامة على ما فعلوا
وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم فى ادعائهم فانهم يدعون انه ليست ندامتهم الا على ما اظهروه
من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة • يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه • وقرئ يرتدد بالفك
على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية

لما ارتدوا عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وقيل
من الكائنات التي اخبر عنها القران قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن فاهلكه الله تعالى على يد
فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام
من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسيلمة رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجابه صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة
الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين
وقتل على يد وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه
وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت
نفسها من مسيلمة الكذاب وفيهما يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها
مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى
الله تعالى امرهم على يد ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته
اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله تعالى فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط
محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على
انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها
قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه وقال قوم هذا وقيل هم الانصار
وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان رضي الله عنه وقال هذا وذووه ثم
قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة
وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي
ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو
طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين
اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وبهما صفتان اخريان لقوم ترك
بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة على غير الصريحة من الجملة
والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله ما يأتيهم من ذكر
من الرحمن وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر وخبر
لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان متقدمان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب
على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها
لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة
في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم كانوا اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون
وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة
واو الحال له واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا يخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون

مكتوب النبي عليه السلام

وقيد ... المؤمنين

ع

في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله
واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل الفضل والتوفيق
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض
لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من تولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية
عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون
فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى غيرهم وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى
وولاية غيره وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
صفة للذين امنوا لجريانه مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل
الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل حال مخصوصة
بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه روي انها نزلت
في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره وغير محتاج في اخراجه الى كثير
عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة
التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية
لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث
اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع المضمر العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم
جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله
هم الغالبون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد
وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب
النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعليلا للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شأنه جدير بالمعاداة فكيف
بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال
شناعتهم وغاية ضلالهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم
والكفار اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول ففيه اشعار بانهم ليسوا
بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا
على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين
اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه
ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم
الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم
بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق
اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق
الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منه شرارة في البيت فاحترق هو واهله جميعا ذلك
اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به
ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤوا على تلك العظيمة قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد
نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء
ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب

قل

تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم • هل تنقمون منا • من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه
من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا • الا ان آمنا
بالله وما انزل الينا • من القرآن المجيد • وما انزل من قبل • اي من قبل انزاله من التورية والانجيل المنزلين عليكم
وسائر الكتب الالهية • وان اكثركم فاسقون • اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن
مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين
محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان
بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث
جعلوه موجبا لنقمهم مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا
دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين
بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم
على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما
من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف
اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا بانكم فاسقون
وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا
الايمان مع ان اكثركم آه وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل
هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة
والجملة مستانفة مبينة لكون اكثرهم متمردين • قل هل انبئكم بشر من ذلك • لما امر صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم
ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم عليه السلام
عقبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان
جناياتهم وما حاق بهم من تباعها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن
المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية
المشوقة الى الخبر والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان النبأ هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط
النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم
من ذلك تحقيقا للشرية ما سيذكر وزيادة تقريرها وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى
نفر من اليهود فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال ءامن بالله وما انزل الينا الى قوله تعالى ونحن له مسلمون
فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو خبر عن شائبة الشرية
بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل انبئكم بما هو شر
في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه خيرا محضا • مثوبة عند الله • اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة
وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت هاهنا موضعها على
طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل • من لعنه الله وغضب عليه • خبر
لمبتدا محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه آه او بتقدير مضاف قبل ما اشير
اليه اي بشر من اهل ذلك والجملة على التقديرين استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الجملة الاستفهامية اما على
حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم وهو باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك
فقيل هو دين من لعنه الله آه وقد وضع الآخر اذ قيل في السؤال من ذا الذي هو شر من ذلك فقيل هو من لعنه الله
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عمن

المخا

المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات
• وجعل منهم القردة والخنازير • اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام
وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم
باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثاره وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم
للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز
عن تهييج لجاجهم • وعبد الطاغوت • عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء
للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين
اي عبد فيهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع ان الاصل المستتبع في
الوجود وان دلالته على شريته بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق
الاستدلال بشرية الآثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما
لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان بان استقلال كل من المقدم والمؤخر
بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه آه لربما فهم
ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا
عبدة الطاغوت وكذا اعبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة
بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير
المضاف وقد قيل ان من مجرور على انه من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك
مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون
الجملة الاستفهامية بل هو كما تقدمه سيقت امام المقصود لتنزل المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم
عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ عنها وهو المقصود افادته وعليه يدور ذلك الالزام والتبكيت
حسبما شرح فان ادخل الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشا
منها من السؤال لا يحصل به الالزام والتبكيت وانما الجملة الآتية تحمل من صلاحية الجواب كيف لا وان من موافقة
في الكيفية للسؤال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل • اولئك شر مكانا • فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت
صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح
والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا • واضل
عن سواء السبيل • عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا
بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه في الشرارة
والضلال • واذا جاءوكم قالوا آمنا • نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له

مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام • وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به • اي يخرجون
من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه
حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها
من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى
ولذلك قيل • والله اعلم بما كانوا يكتمون • اي من الكفر وفيه وعيد شديد • وترى • خطاب للرسول عليه السلام
او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية • كثيرا منهم • من اليهود والمنافقين وقوله تعالى • يسارعون في الاثم
حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمبا
للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة على للواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة آه لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم
يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما
يختص بهم من الاثام • والعدوان • اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي • واكلهم السحت • اي
خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح • لبئس ما كانوا يعملون • اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين
صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار • لولا ينهاهم الربانيون والاحبار • قال الحسن الربانيون علماء
الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم
وسوء عاقبته على نهي سافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه • عن قولهم الاثم واكلهم السحت • مع علمهم بقبحهما و
مشاهدتهم لمباشرتهم لهما • لبئس ما كانوا يصنعون • وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع
ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه ما ينعى على العلماء توانيهم
في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف
عندي منها • وقالت اليهود • قال ابن عباس وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا
من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله سبحانه بان كفروا برسوله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط
عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا • يد الله مغلولة • وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك
العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله انه سبحانه ممسك
يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل وبسط
الا يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه
ووهاده ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال
زمامها فانه اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير ان
يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر
اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء • غلت ايديهم • دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان
يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره • ولعنوا • عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله • بما قالوا •
اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كل مما ذكر • بل يداه مبسوطتان • عطف على مقدر يقتضيه المقام
اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا
ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على عطائه اكراما وعلى عطائه
استدراجا • ينفق كيف يشاء • جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي

اتخذوه

اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور
في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة
بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتي من قوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كما يشاء
على مشيئته اي مريدا او ترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم • وليزيدن كثيرا منهم • وهم علماؤهم ورؤساؤهم • ما انزل
اليك • من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول لاعتباره وتخصيص الكثير منهم بعد الحكم لما ان بعضهم
ليس كذلك • من ربك • متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتأخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على
المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل
لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه • طغيانا وكفرا • مفعول
ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما
من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح
للاصحاء يزيد المرضى مرضا • والقينا بينهم • اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة
وبعضهم مشبهة • العداوة والبغضاء • فلا يكاد تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة
ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين وقيل العداوة اخص من البغضاء
لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي • الى يوم القيمة • متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء • كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفأها الله • تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما بينهم الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله
عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد
غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي
ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق
بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب • ويسعون في الارض فسادا • اي يجتهدون في الكيد للاسلام
واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع
المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد • والله لا يحب المفسدين • ولذلك اطفأ نائرة فسادهم
واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم
راسخين في الافساد • ولو ان اهل الكتاب • اي اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية
والانجيل وانما ذكره بذلك العنوان تأكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة
فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى • آمنوا • محذوف ثقة
بظهوره مما سبق من قوله تعالى بل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون
وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية آه اي لو انهم مع صدور ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا
آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ايراد ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباه
المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به انما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت
ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة تخل بتجاوب اطراف النظم
الكريم • واتقوا • ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم • لكفرنا عنهم سيئاتهم • التي اقترفوها
وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها • ولادخلناهم • مع ذلك • جنات النعيم • وتكرير
اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان
جلت وجاوزت كل حد معهود • ولو انهم اقاموا التورية والانجيل • بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها

شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ
بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء • وما انزل اليهم من ربهم • من القرآن المجيد المصدق
لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله
الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل
المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوءة بالبشارة
ببعثته صلى الله عليه وسلم • لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم • اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء
والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها
من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين
الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان
يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي ما بين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى
والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال بها بذكر بيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم
على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض الاخفى • منهم امة مقتصدة
جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان
والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم
امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي بعض كائن منهم كما
في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام
واضرابه وثمانية واربعين من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكثير منهم • مبتدأ تخصص
بالصفة خبره • ساء ما يعملون • اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم
من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف
واشباهه والروم • يا ايها الرسول • نودي عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها
من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه • بلغ ما انزل اليك • اي جميع ما انزل اليك من الاحكام
وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى • من ربك • اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة
ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائفا ان ينالك مكروه ابدا • وان لم تفعل
اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى • فما بلغت رسالته • فان ما لا يتعلق به الاحكام
اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته وتسلخت مما شرفت به
من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت عن
ادائها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها وكونها كذلك في
حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادى
منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى
فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت
رسالاتي وعن ابن عباس ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت
بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى • والله يعصمك
من الناس • فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام على الجد في تحقيق ما امر به من
التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم
فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الكافرين • تعليل

لعصمته

لعصمته تعالى له عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة
في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى الله عليه وسلم مشافهتهم بها
وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل • قل يا اهل الكتاب
مخاطبا للفريقين • لستم على شيء • اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده
وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه • حتى تقيموا التوراة والانجيل • اي تراعوهما و
تحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما
انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما
لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها
عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن
اقامتهما ببيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى • وما انزل اليكم
من ربكم • اي القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على
اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان
الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب
وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني
اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها بأسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة
له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التوراة
حق من عند الله تعالى فقال عليه السلام بلى فقالوا انا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى • وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا • جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد
وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم
ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى الرسول صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان عن انسلاخهم عن تلك النسبة
• فلا تأس على القوم الكافرين • اي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه
اليهم فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر • ان الذين آمنوا • كلام مستأنف مسوق للترغيب في الايمان
المذكور والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان
يواطئها قلوبهم اولا • والذين هادوا • اي تهودوا • والصابئون • والنصارى • جمع نصران
وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما
في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك
كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم
ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان حيث قيل توبتهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الآتية خبر للمبتدأ المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل النصارى مرفوع على الابتداء فقوله والصابئون
عطف عليه ومجموع عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط
ذلك من الفراغ عن الخبر والا لاشتغل الخبر والابتداء واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما
واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه وقيل عطف على الضمير في هادوا بالعدم التأكيد والفصل والاستلزام
كون الصابئين هودا وقرئ والصابئين وهو ظاهر وقرئ والصابيون بياء صريحة تخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا

يصبوا لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا
والصابيون وقوله تعالى ❊ من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ❊ اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره ❊ فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ❊ والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضماير الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما
في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على انه بدل من
اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الآية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر
من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك
بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب
ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام
والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين
منهم والمنافقين فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان
ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من
المنافقين وساير الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في
الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ
مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة ❊ ولقد
اخذنا ميثاق بني اسرائيل ❊ كلام مبتدا مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم
اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وساير الشرايع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية ❊ وارسلنا اليهم
رسلا ❊ ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون
في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى ❊ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم ❊ جملة شرطية مستانفة
وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا
بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة
والشرايع عصوه وعادوه وقوله تعالى ❊ فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ❊ جواب مستانف عن استفسار كيفية
ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم
كذبوا من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما
اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك
ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع
الى ما فعلوا به لا للقصر هذا وانما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة
ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسلخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف تتمة له في اثبات امر آخر
له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا
قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان
انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استينافا على
ابلغ وجه وآكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها
صفة ❊ وحسبوا ان لا تكون فتنة ❊ اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية
الدهيا والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها

ضمير

ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته
وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه ❊ فعموا ❊ عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على
ما قبلها اي امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل
الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة ❊ وصموا ❊ عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك
فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا
المحارم وقتلوا اشعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت
معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما
فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده بدهر ❊ ثم تاب الله عليهم ❊ حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد
بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل
ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه
وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما
ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا
عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل من ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد
عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كساير احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا
عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى
❊ ثم عموا وصموا ❊ وهو اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى و
قصدهم قتل عيسى عليهم السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى
خلا ان انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم يقضي بان المراد ما ذكرناه و [illegible]
عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصممهم اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال
نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى ❊ كثير منهم ❊ بدل من الضمير في الفعلين وقيل
خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم ❊ والله بصير بما يعملون ❊ اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور
ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني
اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات
والله خبير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى
حيث سلط الله عليهم بخت نصر عامل لهراسف على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من
من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية
وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة
فردهم الله عز وعلا الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة الآخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم
الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرز وقيل خردوس ففعل بهم ما فعل وقيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني
فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام
فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ ❊ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ❊ شروع

تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهو آراءهم الذين قالوا ان
مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى
حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا • وقال المسيح • حال من فاعل قالوا بتقدير
قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه مما اوعدهم به اي قالوا
ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم • يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم • فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم • انه • اي الشان • من يشرك بالله • اي شيئا من عبادته او فيما يختص به من صفات
الالوهية • فقد حرم الله عليه الجنة • فلن يدخلها ابدا كما لا يصل الى المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة • ومأواه النار • فانها هي المعدة للمشركين
وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب • وما للظالمين من انصار • اي ما لهم من احد ينصرهم
بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد و
الجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما
قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عم واما وارد من جهته تعالى تاكيدا لمقالته عم وتقريرا لمضمونها وقد قيل
انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عم فلذلك لم يساعدهم
عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك رافعين من مقداره او من قول عيسى عم
على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما
حكى عنه عم من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم
مساعدته على ذلك ونفي نصرته لهم مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطب
في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عم من توهم المساعدة والنصرة لا سيما
مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له اه الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه
عليه السلام فان زجره عم اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم بما ذكر
من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير ولا سبيل بها الى الاعتذار بالتهكم • لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة • شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع
اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده
بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصب اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع
ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله
ويؤكده قوله تعالى للمسيح أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة اي
احد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى • وما من اله الا اله واحد • اي والحال انه ليس في الوجود ذات
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن
مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من
اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه • وان لم ينتهوا عما يقولون •
من الكفر الشنيع ولم يوحدوا او قوله تعالى • ليمسن الذين كفروا • جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط
اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله
تعالى • منهم • بيانية او ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ

عن

عن الحدوث تنبيها على ان الاصرار عليه بعد ورود ما ينعي عليه بالتقريع من نص عيسى عم وغيره كفر جديد وغلو زائد
على ما كانوا عليه من اصل الكفر • عذاب اليم • اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه • لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا
يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب
عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المعززة فلا يتوبون عقيب
ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل • والله غفور رحيم
جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي
والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله • ما المسيح ابن مريم الا رسول • استئناف
مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عم وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال
التي بها صارا من جملة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا
لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة
لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى • قد خلت من قبله الرسل • صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو
الرسل السابقة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى
ببعض من الايات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيا الموتى على يده فقد احيا العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى
وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما
موسى وعيسى مظاهر شئونه وافعاله • وامه صديقة • اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق
او التصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف
به سائر الانبياء وخواصهم • كانا ياكلان الطعام • استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر البشر في الاحتياج الى
ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل • انظر كيف نبين لهم الايات • تعجيب من حال
الذين يدعون لهم الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب
وكيف معمول لنبين والجملة في محل النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة المنادية ببطلان ما
تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال • ثم انظر انى يؤفكون • اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها
والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا
للايات امر بديع في بابه بالغ لاقاصي الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة
وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع • قل • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم • اتعبدون
من دون الله • اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى • ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا • لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عم وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه
بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عم في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عليه السلام
وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما [illegible] الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري
النفع ولان ادنى درجات التاثير به الله تعالى من البلايا والمصائب وما يتعلق به من الصحة وتقديم الضر على النفع لان
التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى • والله هو السميع العليم •
حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله
ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي
من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات

التي من جملتها مضارّكم ومنافعكم في الدنيا والآخرة • قل يا اهل الكتاب • تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب
على لسان النبي صلعم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الحق
لا تغلوا في دينكم • اي لا تجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة
ولليهود عن وضعهم له عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة
وذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الانجيل ايضا نهاهم عن الغلو وقوله تعالى • غير الحق • نصب على انه نعت
لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق
او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع • ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل • هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم • واضلوا كثيرا • اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا
والمفعول محذوف • وضلوا • عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الحق الاسلام • عن
سواء السبيل • حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم
عما جاء به الشرع • لعن الذين كفروا • اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء • من بني
اسرائيل • متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى • على لسان داود وعيسى بن مريم • متعلق
بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عم
وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عم اللهم عذب من كفر بعد ما اكل
من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف
رجل ما فيهم امرأة ولا صبي • ذلك • اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه
عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته
في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بما عصوا وكانوا يعتدون • والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب
عما نشأ من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما ينبئ عنه
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه • فانه استئناف مفيد لاستمرار
عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر
كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم
ناهيا ومنهيا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع عنه وتركه
فالجملة ح مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكرات بان لا يوجد فيما بينهم
من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما يتوقع على كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من
الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به فان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد
ما تعلق به النهي والانتهاء عن مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصفة
انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او
المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على المعاودة كالنهي لا تعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر
من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى • لبئس ما كانوا
يفعلون • تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منها بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وفي التنبيه
بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى السببية فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء
الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا • ترى كثيرا منهم
اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم

والرؤية بصرية وقوله تعالى • يتولون الذين كفروا • حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا
لرسول الله عم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل
يوالون المشركين ويصافونهم • لبئس ما قدمت لهم انفسهم • لبئس شيئا قدموا ليردوا يوم القيامة • ان سخط الله
عليهم • هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما
كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند
من شرطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه
قيل ما هو او اي شيء هو فقيل ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل رفع بالفاعلية
لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائم مقامه والتقدير لبئس الشيء
شيئا قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من الشيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه • وفي العذاب
اي عذاب جهنم • هم خالدون • ابد الآبدين • ولو كانوا • اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب
يؤمنون بالله والنبي • اي نبيهم • وما انزل اليه • من الكتاب ولو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا
ايمانا صحيحا • ما اتخذوهم • اي المشركين او اليهود • اولياء • فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا
ولكن كثيرا منهم فاسقون • خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا • جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود
وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان
تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس
والوجدان متعد الى مفعولين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل
مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل
واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين
المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع ظهور
[illegible] التقديم والتأخير [illegible] اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال
الطوائف طرا [illegible] في تتبع احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في طلب [illegible]
من الامور البارزة والكامنة [illegible] الطائفتين لا غير [illegible] على الموصول متعلقة
بعداوة مقوية لعملها [illegible] وقيل متعلقة
بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا [illegible] لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم
في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء
على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهم في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة
كما انهم متقدمون عليهم [illegible] في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا [illegible]
في الحرص • ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا • اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح • الذين
قالوا انا نصارى • [illegible] انهم انصار الله واوداء اهل الحق
وان لم يظهروا [illegible] الاسلام [illegible] الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا
انا نصارى [illegible] والكلام في مفعولي تجدن وتعلق اللام كالذي سبق [illegible]
التفاوت بين الفريقين [illegible]
[illegible] للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من
التفاوت ببيان انهما [illegible] في اقصى مراتب احد النقيضين والآخر في ادنى مراتب النقيض الاخر • ذلك

اى كونهم اقرب مودة للمؤمنين • بان منهم • اى بسبب ان منهم • قسيسين • وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم
والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل
القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل
انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال
له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس • ورهبانا • هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس
وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في القلل لانحدر الرهبان
يعدو ونزل والرهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير
لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف
افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون كعبد الله بن سلام واضرابه
قال تعالى ومن اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآية لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين
من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود • وانهم لا يستكبرون • عطف على ان منهم اى وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق
اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة
للمؤمنين واضحة وفيه دلالة على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان من
كافر • واذا سمعوا ما انزل الى الرسول • عطف على لا يستكبرون اى وبسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض
الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه •
ترى اعينهم تفيض من الدمع • اى تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن الامتلاء مبالغة او
جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بانفسها • مما عرفوا من الحق • من الاولى لابتداء الغاية والثانية
لتبيين الموصول اى ابتداء الفيض ونشاؤه من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان تكون الثانية تبعيضية
لانه ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرؤوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ
ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول • يقولون • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع
القرآن كأنه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون • ربنا آمنا • بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من
الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
فاكتبنا مع الشاهدين • اى الذين شهدوا بانه حق وبنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة
وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق • كلام
مستأنف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله تعالى لا نؤمن حال من
الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اى اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب
فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق
المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب
اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما
في الآية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء
امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الآية الاولى
فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى • ونطمع ان يدخلنا
ربنا مع القوم الصالحين • حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا
بها اى اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على
انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين

الطمع

الطمع المذكور • فاثابهم الله بما قالوا • اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده وقرئ فآتاهم
الله • جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين • اى الذين احسنوا النظر والعمل او
الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان
يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه
وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا • والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب الجحيم • عطف التكذيب بآيات الله على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم في مقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب • يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما
احل الله لكم • اى ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين
في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك اى لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او
لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روي ان رسول الله صلعم
وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون
واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم
وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني • ولا تعتدوا •
اى لا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء
وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا
بذلك • ان الله لا يحب المعتدين • تعليل لما قبله • وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا • اى ما حل لكم وطاب
مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن
ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اى اكلا حلالا وعلى
الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة • واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون •
تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه • لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم • اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك
وليس كما ظن وكذا هو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت النهي قالوا كيف
بايماننا فنزلت وعند الشافعي رح ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضه
وفي ايمانكم صلة يؤاخذ او اللغو لانه مصدر او حال منه • ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان • بما عقدتم
الايمان ووثقتموها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم
فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم • فكفارته • اى فكفارة نكثه وهي الفعلة
التي من شأنها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك
لقوله صلعم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه • اطعام عشرة مساكين
من اوسط ما تطعمون اهليكم • اى من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين عند
النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او
الرفع على انه بدل من الطعام واهلون جمع اهل كالارضون جمع ارض والليالي جمع ليل كالارضين جمع ارض
وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهذا في الضحى اهل كالارضى

في جمع ارض والليالي جمع ليل وقيل جمع ليلا • اوكسوتهم • عطف على اطعام مسكين او على محل من اوسط على تقدير
بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة
في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل تقديره او اطعامهم او كاسوتهم بمعنى او كمثل
ما تطعمون اهليكم اسرافا وتقتيرا تساوون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط • اوتحرير رقبة • او اعتاق انسان
كيف ما كان وشرط الشافعي رح فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار
التعيين للمكلف • فمن لم يجد • اي شيئا من الامور المذكورة • فصيام • اي فكفارته صيام • ثلاثة ايام •
والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي رحمه الله لا يرى الشواذ حجة • ذلك • اي الذي ذكر
كفارة ايمانكم اذا حلفتم • اي وحنثتم • واحفظوا ايمانكم • بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا
وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا
تنسوها تهاونا بها • كذلك • اشارة الى مصدر الفعل الاتي لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا
مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر
لا نعتا له وقدم تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع • يبين الله لكم اياته •
اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا • لعلكم تشكرون • نعمته فيما يعلمكم
ويسهل عليكم المخرج • يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب • اي الاصنام المنصوبة للعبادة
والازلام • سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة • رجس • قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر
الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ • من عمل الشيطان •
في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه • فاجتنبوه • اي الرجس او ما ذكر
لعلكم تفلحون • اي راجين فلاحكم وقيل لكي تفلحوا في الاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون
ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام
وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه
الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحنة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية
للتحريم فقيل • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر • وهو اشارة الى مفاسدهما
الدنيوية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام
والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة
بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد
الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل • فهل انتم منتهون • ايذانا
بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية
• واطيعوا الله واطيعوا الرسول • عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه • واحذروا •
اي مخالفتهما في ذلك فيندرج فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا • فان توليتم • اي اعرضتم
عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى • فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين •
وقد خرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار و
انقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من
ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم
انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم
حتى

حتى ترد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم • ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح • اي اثم وحرج • فيما طعموا • اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله
تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلعم
يصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما
نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر
ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا
الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليس كلمة ما في ما طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم اباحتها باتقاء ما عداها
من المحرمات لقوله تعالى • اذا ما اتقوا • واللازم منتف بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او
موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول و
المشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في
بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض
آخر منه كما هو اللازم من الاول • وامنوا وعملوا الصالحات • اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة
وقوله تعالى • ثم اتقوا • عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا
فيما سبق • وامنوا • اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث
الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان • ثم اتقوا • اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل
على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة
بعضه حينئذ • واحسنوا • اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس
تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا
المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه
بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب
اذ ليس فيها محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء
الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم
وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق
النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي كما يقتضيه كلمة اذا ما
لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق
دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته
تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم
لعدم تحريمها اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار
الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل
وكذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره او باعتبار
المراتب الثلاث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات وبعض المباحات حفظا
للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب
في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل • والله يحب المحسنين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ
تقرير • يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله • جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف

احد الكم ليبلونكم بشيء من الصيد اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت
عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها
بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش
فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل
الله تعالى الآية فالتاكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم
لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة
التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد
البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن فمن في قوله من الصيد بيانية
قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى
عظائم البلايا فيغير الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه الاخروي
وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخاف كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك
بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى
بانه يخافه وان كان متعلقا قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وقيل هناك وهو الذي يدور عليه
امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم
من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم علم القرآنيين متعد الى واحد واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع
ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا يترتب
عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره آخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب
بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك
مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن
تعرض للصيد بعد ما بيناه ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي
فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة او لان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال
هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس
يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام
اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي مع قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما لا سيما
من قوله غير محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف
وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال
من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين
دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا منكم متعمدا
حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوي فيها
العمد والخطاء لما ان الآية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطاء لاحق به
للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطاء شيئا اخذا
باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام
اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء
مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ

بجره على اضافة المصدر الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه
ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب
الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم
وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين
يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى
من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل
من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى
اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا
في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع
صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول
يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل معنى فقط واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذا
لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة
بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد
آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل ضمنها بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا يعتبر
ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة ماخذها وتعسر الوقوف عليها اولى واحرى
ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالنص
ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن
لا باعتبار ان يعيد الجاني اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر بها احدى
الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله من النعم
فوصف لم يعتبر في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فخصها
ان يعطف على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فعلى هذا العطف على الوصف كما سياتي باذن الله تعالى
ومما يدل على ان المراد بالمثل هو القيمة قوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان
من المسلمين لكن لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة التي يستوي
في معرفتها كل احد من الناس
بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة في بعض الاوصاف مع تحقق التباين بينهما في بقية
الاحوال مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الا المؤيد بالقوة
القدسية الا ترى ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب
ويهدر
الى ذوي عدلين من آحاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة كل
نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم ولا يبقى عند وقوع الحادثة حاجة الى الحكم اصلا وقرئ
يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه
لتخصصه بالصفة هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل
من مثل فيمن نصبه او من محله او نصب على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ
الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف على محل من النعم

والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لم يخصصه بالمعارف او بدل منه
او خبر مبتدإ محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على طعام آه كانه قيل فعليه جزاء
مماثل للمقتول من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي
والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الآخرين
هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام
والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله او كفارة خبر
مبتدإ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة
وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل
الشيء ما عدله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدله في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور
بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف وللحكمين
عند محمد رح ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق آه وقيل بفعل يدل
عليه الكلام لانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه
والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي
لا تستمرؤه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان سالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف
منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد اي قتل الصيد بعد النهي عنه
وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدإ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فهو لا يخاف آه وقوله ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب
في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه
لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية
والاعتداء احل لكم الخطاب للمؤمنين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو
ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض
لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى ما يصاد فيه على ان تفسير الآية
عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه
متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة
بيعقوب ع م اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب
على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب
الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ وان كان يعيش
في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة
ما اصاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه
وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما اصاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا
ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد
غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع التي من جملتها ذلك
الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت
كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام
بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب

على الحال

على الحال وهو وعطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق
وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم و
معادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر
على وزن شبع اعل عينه كما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر
الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد
ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهو البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج
بها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب
بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية
من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم تعميم
اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك
الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه
او اصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك
بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول
قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب
حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب
في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله آه وقيل نزلت في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر
كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال
عطاء والحسن الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي
ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي
الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرة والخطاب لكل واحد
من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل الحال وقد مر
اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين
على كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك
اي كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا
تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد
وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله تعالى
فاتقوا الله يا اولي الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار
الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث
لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على ان

الجمهور وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على
فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيّئ كهيّن مخفف
من هيّن والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزة لام الكلمة والتي للتانيث اذ الالف كالهمزة
فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياآن اولاهما عين
الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشيياء
الياء المنقلبة من الهمزة التي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى ◦ ان تبد لكم
تسؤكم ◦ صفة للاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا
بالسؤال عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل ◦ وان تسألوا
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ◦ اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل و
المراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها
ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع
لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسئلة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام
لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو
تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بروزها
وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى
كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله
فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو
قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة
رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسئلة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا
فحمد الله واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه
يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى لغير ابيه وقال يا نبي الله
من ابي فقال عليه السلام ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال اين ابي فقال عليه السلام في النار ثم قام عمر رضي الله عنه
فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك
فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم ◦ عفا الله عنها ◦ استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن
لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء
عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسئلة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم
الحج في كل عام جزاء لمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعلها صفة
اخرى للاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه
ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف
ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي
اختصاص النهي بمسئلة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي
يسؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة
وتشديدا كمسئلة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسئلة

من

من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى
ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند
السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها
للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء
والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان
السؤال عن تلك الاشياء الموجبة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسئلة الحج حيث
لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب
للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع
وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما يتعلق به الابداء هو
الذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسئلة
عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن
التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الامر قبل السؤال كسؤال
من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم
الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي يوجب ابداؤها
المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا
كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق
الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي وبين غيره بناء على عدم امتياز
ما هو موجود او بعرضية الوجود من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل
باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا ابداء المكروه
◦ والله غفور حليم ◦ اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك
عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم ◦ قد سألها قوم ◦ اي المسئلة لكن لا عينها بل مثلها
في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير ◦ من قبلكم ◦ متعلق بسألها ثم اصبحوا
بها ◦ اي بسببها او بمرجوعها ◦ كافرين ◦ فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها
فهلكوا ◦ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ◦ رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا
مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم
وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وان
ولدت ذكرا وانثى واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع
من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ولا وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن
مزيدة لتأكيد النفي فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل
التشريعي يجيء مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد
كما في الآية الكريمة ◦ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ◦ بفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا
بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هؤلاء اشرافهم وكبارهم ◦ واكثرهم ◦
وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ◦ لا يعقلون ◦

الكريم • لا يعقلون • انه افتراء باطل حتى يخلوا التقليد ويهتدوا الى الحق بانفسهم وقوله عز وجل • واذا قيل لهم
اى للذين عبر عنهم بالكفرة على سبيل الارشاد • تعالوا الى ما انزل الله • من الكتاب المبين للحلال والحرام • والى الرسول
الذى انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال • قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا • بيان
لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق وانقيادهم للداعى الى الضلال • اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون • قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اى احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة
ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم
يكن اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون آه وكلتاهما فى موقع الحال اى احسبهم ما
وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة
واضحة كيف لا وان الشئ اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما فى قولك احسن الى فلان وان اساء اليك
اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اى احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما فى ان ولو
الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اى لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا
يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما فى لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس
الامر وفائدة المبالغة فى الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب فى كون اباؤهم جهلة ضالين فى
الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف
عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق
فى قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر • يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم • اى الزموا
امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اى واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل • لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
اما مجزوم على انه جواب للامر او نهى مؤكد وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ
الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
واما مرفوع على انه كلام مستانف فى موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة لا يضيركم اى لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم
مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة فى ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة
الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفى به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده
وان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق رضى الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس
انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا الاية فيقول احدكم على نفسى والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فيسومونكم
سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر وسكن فيهم قبيح فلم
يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية نزلت لما كان المؤمنون
يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهى وقيل
كان اذا اسلم لاموه وقالوا سفهت اباك وضللتهم اى نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية بان
ضلال اباءه لا يضره ولا يشينه • الى الله • لا الى احد سواه • مرجعكم • رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف
عنه احد من المهتدين وغيرهم • فينبئكم بما كنتم تعملون • فى الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد
للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره • يا ايها الذين امنوا • استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة
بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه

الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

وقوله

وقوله عز وجل • شهادة بينكم • بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار تعلقها بما يجرى بينهم من الخصومات
مبتدأ وقوله تعالى • اذا حضر احدكم الموت • اى شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة
كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل فى تهويل امر الموت وقوله تعالى • حين الوصية •
بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان فى الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة
التى لا ينبغى ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى • اثنان • خبر للمبتدأ بتقدير المضاف اى شهادة
بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اى فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان
وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل
فى اثنان ايضا اى ليقم شهادة بينكم اثنان • ذوا عدل منكم • اى من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت و
انصح له واقرب الى تحرى ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان • او اخران • عطف على اثنان
تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اى او شهادة اخرين او ان يشهد بينكم آخران او ليقم شهادة بينكم اخران
وقوله تعالى • من غيركم • صفة لاخران اى كائنان من غيركم اى من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك فى بدء
الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما فى السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوى عدل منكم
• ان انتم • مرفوع بمضمر يفسره ما بعده فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأى جمهور البصريين وذهب الاخفش
والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا فقوله تعالى • ضربتم
فى الارض • اى سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية وقوله تعالى • فاصابتكم
مصيبة الموت • عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما
معكم من الاقارب ومن اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد فى الاسفار فليشهد اخران
او فاستشهدوا اخرين او فالشاهدان اخران كذا قيل والانسب ان يقدر على ما سبق اى فاخران على معنى
شهادة بينكم شهادة اخرين اى فان يشهد اخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى • تحبسونهما • استيناف
وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما
وتصبرونهما للتحليف • من بعد الصلوة • وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة
على ان اللائق اشهاد الاقارب واهل الاسلام واما اشهاد الاخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير
بانه يقتضى اختصاص الحبس بالاخرين مع شموله للاولين ايضا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر
باشهادهما [illegible]
الاعراض بالله والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون الحلف الكاذب
وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم حلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر وقيل بعد اى صلوة كانت لان الداعى الى
التحليف [illegible] عن الفحشاء والمنكر • فيقسمان بالله • عطف
على تحبسونهما وقوله تعالى • ان ارتبتم • شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت
من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب بهما
الوارث منكم بخيانة واخذ شئ من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل • لا نشترى به ثمنا • جواب
للقسم وليس هذا من قبيل اجتماع الشرط والقسم فيقتصر على ذكر جواب سابقهما كما فى قولك والله ان اتيتنى لاكرمنك لان
ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما فى المثال المذكور وههنا ليس كذلك
فلا ريب فى استحالة ذلك لان جواب القسم وجواب الشرط [illegible] ان الشرط من جهته عز وجل والقسم من جهة
[illegible]

ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة
في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها
ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة
اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب
اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب
فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف
الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن
ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا
حتى يصح التبري منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة
تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله مأخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فانه ازالة وصف
الصدق من القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تعالى ﴿ولو كان﴾ اي المقسم
له المدلول عليه بفحوى الكلام ﴿ذا قربى﴾ اي قريبا منا تأكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهم قالوا لا
نأخذ لانفسنا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة
انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة
ما سبق عليه اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله
عز وجل ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم
القسم عن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وبغير
مد كقولهم الله لافعلن ﴿انا اذا لمن الآثمين﴾ اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام وادغام النون فيها ﴿فان عثر﴾ اي اطلع بعد التحليف ﴿على انهما استحقا اثما﴾ حسبما اعترفا به بقولهما انا
اذا لمن الآثمين اي فعلا ما اوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من
الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي ﴿فآخران﴾ اي فرجلان آخران وهو مبتدأ وخبره ﴿يقومان مقامهما﴾
ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على
خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه
المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في ايديهما ﴿من الذين استحق﴾ على البناء للفاعل على
قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من اهل الميت الذين ﴿عليهم الاوليان﴾ من بينهم اي الاقربان الى
الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام
لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر
مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت
وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او بدل من الضمير في يقومان او من
آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين
على انه صفة للذين او مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها
وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان ﴿فيقسمان بالله﴾ عطف على يقومان ﴿لشهادتنا﴾
المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان
فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها ﴿احق﴾ بالقبول ﴿من شهادتهما﴾ اي من يمينهما

مع

مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل
مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولهما في الجملة باحتمال صدقهما في ادعاء تملكهما ما ظهر في ايديهما
﴿وما اعتدينا﴾ عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما ﴿انا اذا
لمن الظالمين﴾ استئناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى
وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان
يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع
ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك
على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص
الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ
نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الى الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه
فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب
فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم
فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر بالله الذي
لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة
فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا
اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر
به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة
السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما
ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ﴿ذلك﴾
كلام مستأنف سيق لبيان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله
﴿ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير
تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى
﴿او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم﴾ بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام
كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح
على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين وقع حصل المقصود
الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم تكن فيه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴿واتقوا الله﴾ [illegible]
واسمعوا ما توعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ اي الخارجين

الجنة او الى ما فيه نفعهم • يوم يجمع الله الرسل • نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان
مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى
البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر
بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقي اي شيء من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف
به يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله حينئذ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف
عليه اي واحذروا او واذكروا يوم آه فان تذكير ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي
امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين
وقيل منصوب بقوله واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف
للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه
قيل يوم يجمع الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا
وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم
والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم
بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجيئون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم
بالاغلال • فيقول • لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم
اعرابا واضحا والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل • ماذا اجبتم • عبارة عن مصدر
الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب
فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اي باي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود
الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة ما لا يخفى من الفوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من
الابناء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق
الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون • لا علم لنا • وصيغة الماضي للدلالة
على التقرر والتحقق كما في قوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا
للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا لتحيرهم
عن بيانه لكثرته وفظاعته • انك انت علام الغيوب • تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما
اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار للشكاية ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب
والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم
بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن
ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من هول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثاب اليهم عقولهم
بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب
بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى انت اي انك انت المنعوت بنعوت
كمالك المعروف بذلك • اذ قال الله يا عيسى ابن مريم • شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين
من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل
احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول
ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت
عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت في اعضادهم وادخل في

صرفهم

190

صرفهم عن غيهم وعنادهم • اذ • بدل من يوم يجمع الله آه وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار
الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى • اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك •
متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر
النعمة المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام
عن عهدة الشكر في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها و
تلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم توبيخا وزجرا للكفرة المختلفين
في امره عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهم جميعا • اذ ايدتك • ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت
تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اي قويتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر
عن اوضار الآثام او يحيى الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقايق فمنها طاهرة نورانية
ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة
نورانية علوية واياما كان فهو نعمة عليهما • تكلم الناس في المهد وكهلا • استئناف مبين لتاييده عليه السلام
او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه في تينك الحالتين كان على نسق واحد
بديع صادر عن كمال العقل مقارنا لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لما
انه رفع قبل التكهل قال ابن عباس ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله
اليه • واذ علمتك الكتاب • عطف على قوله اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما
وقت تعليمي لك الكتاب • والحكمة • اي جنسهما • والتوراة والانجيل • خصا بالذكر مما تناوله الكتاب
والحكمة لاظهار شرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب • واذ تخلق من الطين كهيئة الطير •
اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير • باذني • بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام
حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عند مباشرته الاسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى
فتنفخ فيها • اي في الهيئة المصورة • فتكون • اي تلك الهيئة • طيرا باذني • [illegible]
[illegible]
وتكرير قوله باذني [illegible] للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر عظيم بديع لا يتاتى
ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى • وتبرئ الاكمه والابرص باذني • عطف على تخلق • واذ تخرج الموتى باذني •
عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ [illegible] معجزة باهرة ونعمة
جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في هذه
المواضع الاربعة للاعتناء [illegible]
[illegible]
النعم • واذ كففت بني اسرائيل عنك • عطف على اذ تخرج [illegible]
التعرض لك • اذ جئتهم بالبينات • بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر [illegible]
بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى • فقال الذين
كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين • [illegible]
من بيانية وهذا اشارة الى [illegible]
سحر الا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر فهذا اشارة الى عيسى عليه السلام • واذ اوحيت

الى الحواريين • عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة
عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف
لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين
واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة
للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني
اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان
بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها
احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره في الانجيل على لسانه ع م وقيل الهامه تعالى
اياهم كما في قوله واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى • ان آمنوا بي وبرسولي • مفسرة لما في الايحاء من معنى القول
وقيل مصدرية وايراده ع م بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به ع م كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية
والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ
من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا • آمنا • اي بما ذكر من وحدانيته تعالى
وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم • واشهد باننا مسلمون • اي مخلصون بايماننا من اسلم وجهه لله وهذا
القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه ع م وكل ذلك نعمة على والدته
ايضا روي انه لما علم ع م انه سيؤمر بذكر تلك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول
لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات • اذ قال الحواريون • كلام مستأنف مسوق
لبيان بعض ما جرى بينه ع م وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي
بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى ع م فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية بل لان الخطاب لمن خوطب
بقوله تعالى واتقوا الآية فتأمل كانه قيل للنبي ع م عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى
الفائضة على عيسى ع م اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص
لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم • يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء •
اختلف فيه انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى ع م كاذبين في دعوى
الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل
دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل
المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال
ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم
وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانه يميد من تقدم اليه
ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيد هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية • قال • استئناف مبني على سؤال ناشئ
مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى ع م حين قالوا ذلك فقيل قال • اتقوا الله • اي من امثال هذا السؤال
• ان كنتم مؤمنين • اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي وان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما
يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول
كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا

اليه

اليه الوسيلة • قالوا • استئناف كما سبق • نريد ان نأكل منها • تمهيد عذر وبيان لما دعاهم
الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته تعالى على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح
ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع • وتطمئن قلوبنا •
بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين موقنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب
ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين • ونعلم ان • اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء
للمفعول • ان قد صدقتنا • في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتك وان كنا عالمين بذلك من قبل • ونكون
عليها من الشاهدين • نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة
ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل
اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء يشهدون فقيل عليها فان
ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين
• قال عيسى ابن مريم • لما رأى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع استدعاءها
واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه ع م اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه و
غض بصره ثم قال • اللهم ربنا • ناداه سبحانه مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف
الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء • انزل علينا • تقديم الظرف على قوله
• مائدة • لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله • من السماء • متعلق بانزل او بمحذوف
هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها • تكون لنا عيدا • في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون
ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال
من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فتحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه
وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم
العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك
متواترة وههنا من الشواذ • لاولنا وآخرنا • بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا
روي انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاتباع وقيل يأكل منها اولنا و
آخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة • وآية • عطف على عيدا • منك • متعلق بمحذوف هو صفة
لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي • وارزقنا • اي المائدة او الشكر عليها • وانت خير
الرازقين • تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه السلام
على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادة ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الدينية
الى [illegible] والقبول ودلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول ابراهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى [illegible] اعتذار [illegible] ولما اضاف اليه من عنده ما اوكده وتقريبه الى القبول
• قال الله • استئناف كما سلف • اني منزلها عليكم • [illegible] وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير
مع كون الدعاء منه ع م بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن
كل كرب [illegible] لئن انجانا من هذه [illegible] من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين [illegible]
التحقيق ووصل خبرها [illegible] الوعد [illegible] بانه تعالى منزلها [illegible]
اشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد
• فمن يكفر بعد • اي بعد تنزيلها • منكم • متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر • فاني اعذبه • بسبب كفره بعد
هذه الآية الباهرة • عذابا • اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية

بالتعذيبين المذكورين وجوّز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامم ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عم لما دعى بما دعى واجيب بما

نزول المائدة وانواعها

اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل سمنا وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا ما سالتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم كل اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عم ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرق والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عم وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عم بكت وجعلت تطيف به وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس ان عيسى عم قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا كذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ

واذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قوله عز وجل له عم في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدا على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أانت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق الاشراك بهما سبحانه كما في قوله سبحانه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله

مالا

ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتاتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تمحل فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجب والاشتغال بما لا يعنيه كداب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عم قال استئناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عم حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان اقول في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه عنه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في حيزه من الباء فان اسمه ضمير العائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عم بالطريق البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر ومفعول مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية بتقدير مصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات

وخذلك من خذلك من الضالين فقالوا ما قالوا ﴿وانت على كل شئ شهيد﴾ اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان
بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ﴿ان تعذبهم
فانهم عبادك﴾ وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك ﴿وان تغفر لهم فانك انت العزيز﴾ اي القوي القادر على جميع
المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب ﴿الحكيم﴾ الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة
لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته
ليمتنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم
﴿قال الله﴾ تعالى كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله
تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي
لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى ﴿هذا﴾ اشارة الى ذلك اليوم وهذا مبتدأ خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض
ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا ﴿يوم ينفع الصادقين﴾ بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه
الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرائع
والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام
من الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول
الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اي شئ كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه
وصدقه ﴿صدقهم﴾ اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره
في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء كما لا وجه له وهذه القراءة هي التي
اطبق عليه الجمهور وهي الاليق بسباق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا
اشارة الى قوله تعالى أانت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع
يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف
الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الآية ﴿لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا﴾ استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كأنه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى
﴿رضي الله عنهم﴾ استئناف آخر لبيان انه تعالى افاض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه
الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿ورضوا عنه﴾ اذ لا شئ اعز منه حتى تمتد اليه اعناق الهمم ﴿ذلك﴾
اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل ﴿الفوز العظيم﴾ لما ان عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب
الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى ﴿لله ملك السموات والارض وما فيهن﴾
تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي له تعالى خاصة ملك السموات والارض
وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشئ
من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل واشارة
الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء
تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم ﴿وهو على كل شئ﴾ من الاشياء
﴿قدير﴾ مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر
سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

﴿الحمد لله﴾ تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال واليه
يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه تعالى هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به تعالى لاختصاص

وجميع

جميع افراده بما عليه من الطريق البرهاني ووصفه تعالى بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من تفاخم
الآثار وجلائل الافعال من قوله تعالى ﴿الذي خلق السموات والارض﴾ للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله
به باعتبار افعاله العظام وآلائه الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية
وعامة الآلاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها
من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما على ما هما عليه من النمط
الفائق والطراز الرائق منطويتين من انواع البدائع واصناف الروائع على ما تحار فيه العقول والافكار
من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف
آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها على الارض كما هي ﴿وجعل الظلمات والنور﴾
عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأيهما ومحلهما واخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان
خلق السموات والارض وما فيها لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما تعالى كذلك جعل الظلمات
والنور لكونه اثرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك
مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة والتشريعي ايضا كما في قوله تعالى
ما جعل الله من بحيرة الآية واياما كان ففيه انباء عن ملابسته مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك
ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه
كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية
فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان
فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون
اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى
اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذي يقتضيه الذوق
السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة
والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم وتقديمها على
النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون﴾ معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة
عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم
على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من
شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه
اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ
من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار
جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد
ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح و
التقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول
لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية
المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون
من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
فيرده ان كفرهم به تعالى لاسيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده تعالى

ماكان

لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام مقصود الافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما
لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق
مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون
بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل الحمد لله
الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده
تعالى حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته
على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتكليف يأباه
المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية
احسانه تعالى اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا
اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة
فيما عطفت بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين هو الذي
خلقكم من طين استئناف لبيان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى
مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض
من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع
بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد
التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب
هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه منه
في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه
من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام منها حيث لم تكن فطرته البديعة
مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على
الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا للكل منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد
ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق
العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن
التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة
من الارض ولا يخفى ما في كل منهما من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم
رائحة الحيوة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل واحد منكم اجلا خاصا به
اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه
الحكم البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن
ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول وتنوينه
لتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك
كلام حق ولي كتاب نفيس كانه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه تعالى لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا
ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته
اجلا انما هو باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيمة كما ان مدار التسمية في الاجل الاول
هو كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول

ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها
وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته
الى بعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من
اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل
ح عدم تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبني
على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من الاهوال كما يستلزمه
الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم
تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون
في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على
على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا
كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل من ان الاجل
الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له
اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم لاستبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث
اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة ففي اي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك في توجيه الاستبعاد
اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا
لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى وهو الله
جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه تعالى بتفاصيل
احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير
آجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل
اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات
من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة
المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي
او على المالك او المتصرف ونحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد
في قولك اسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرئ علي وبهذا تبين ان ما قيل
بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض وهو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف
بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه
المقام حسبما تبين آنفا لا اشتهاره به الا ترى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة
قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل
عما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه خاصة كانه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم
على الوجه الذي سبق من اعتبار معنى التوحد او القول فحوى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل
على معنى المتوحد بالالوهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه تعالى فيهما عبارة
عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة والاشباح لكونه حضوريا
منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان
العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله تعالى يعلم سركم

وجهركم • اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال
بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه تعالى بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة
السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الجليل من حيث المالكية الكلية
والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على
الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على الحصر
فيهما من المعبودية بالحق والاختصاص بهذا الاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان
ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا وبهذا اتضح انه ليس بيانا
على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهوم العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق
عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وهو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى
وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل ممن هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك
رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجه ولعل حمل سركم وجهركم فيهما على توسيع الدائرة وتصوير
انه لا يعزب عن شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب للملائكة تعسف
لا يخفى • ويعلم ما تكسبون • اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا وعلانية
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء
وهو السر في اعادة يعلم • وما تأتيهم من آية من آيات ربهم • كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها
بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله تعالى واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث
واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم
لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن
الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم
لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية
من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى المنبئة عن جريان احكام
الوهيته تعالى على كافة الكائنات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها • الا كانوا
عنها معرضين • اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها
من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل
شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها
وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم
على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب
على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيه دلالة بينة
على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى • فقد كذبوا بالحق لما جاءهم •
فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به
فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له
في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري
وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى لقد جاءوا ظلما وزورا بعد قوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه
واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاءوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما
واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا للامر كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان

اشنع

اشنع من مفهوم الاعراض المذكور واخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه
ثم قيد ذلك بكونه بلا تأمل تأكيدا للشناعة وتمهيدا لبيان ما كذبوا به آخرا وذي اثر له عواقب جليلة ستبدو
لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا
في حاله وماله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم
تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى • فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون • فان ما عبارة عن الحق المذكور وعبر عنه بذلك
تهويلا للامر بابهامه وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت
بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقوع وحملها على
العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي
فسيأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل
يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية وهو الظاهر
واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل ان
كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا ما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق
الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين
عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله • الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن • استئناف
مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيأتيهم وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية
وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة
مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة
عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم
الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على
المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة
باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل
زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى • مكناهم في الارض • استئناف
لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل
مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى المخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيته
لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون
ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود السياق مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى
حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين
الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض
ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
حتى اجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى • ما لم نمكن لكم • بعد قوله مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم
وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم
تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول
الامر عن مرجعي الضميرين • وارسلنا السماء • اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها • عليهم •
متعلق بارسلنا • مدرارا • اي غزيرا حال من السماء • وجعلنا الانهار • اي صيرناها فقوله تعالى • تجري
من تحتهم • مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها

مسخرة لها مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد تلك
النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات بل بيان
حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى
اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا واستجلاب
المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا • فاهلكناهم بذنوبهم • اي اهلكنا كل قرن من تلك
القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب
وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله تعالى • وانشأنا من بعدهم • اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن
قرنا آخرين • بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم
ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى • ولو نزلنا عليك • جملة مستأنفة سيقت بطريق
تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله و
تكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه م مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق
اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته م في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث
وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله
تعالى ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله • كتابا • اي جعل اسما كالامام فقوله تعالى
• في قرطاس • متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق
بنفسه • فلمسوه • اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله • بايديهم • مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي
لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعد ما رأوه
باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار • لقال الذين كفروا •
اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه
باعتبار مفهومه اللغوي ايضا • ان هذا • اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب • الا سحر مبين • اي بين كونه سحرا
تعنتا وعنادا واللجوج بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج • وقالوا لولا انزل عليه ملك •
شروع في قدحهم في نبوته م صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك
لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم
المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه م ملك
بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه م نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل
تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء
جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى • ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر • اي لو انزلنا ملكا على هيئته اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد
البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية
كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية
فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه
خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد
قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه
بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه

في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى
• ثم لا ينظرون • اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه
على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب
اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها ثم
لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني
بقوله تعالى • ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا • على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني
للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين بان يقال ولو جعلنا نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه
ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير
لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من باب
الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه
فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل
مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك لكمال التنافي بينهما الموجب
لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك
الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق
التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى • وللبسنا عليهم • عطف على جواب لو مبني على
الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته
وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا
• ما يلبسون • على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز
الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي م ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر
الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته
[illegible]
[illegible]
• ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله [illegible]
وحرف التحقيق [illegible] وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة
لرسل اي والله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه • فحاق • عقيب ذلك اي احاط او نزل او حل [illegible] ومعناه يدور على الشمول
واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله • بالذين سخروا منهم •
اي استهزؤا بهم من الرسل عليهم السلام [illegible] متعلق بحاق وتقديمه على فاعله وهو قوله تعالى • ما كانوا به يستهزؤن •
للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل [illegible] اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث
اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل
• قل سيروا في الارض • بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله م بان ينذر قومه ويذكرهم
باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه [illegible] اي سيروا في الارض لتعرفوا احوال اولئك الامم • ثم انظروا •
[illegible]
اي تفكروا • كيف كان عاقبة المكذبين • وكلمة ثم اما للدلالة على ان النظر في آثار الهالكين لا يتم الا بعد انتهاء السير
الى اماكنهم واما لبيان ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجود [illegible] وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة

الى النظر كما يصح العطف بالفاء في قوله فانظروا الاية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني
لايجاب النظر في آثارهم ثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة
النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها و
هي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر
السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه هو المدار في ذلك • قل لهم بطريق
الالجاء والتبكيت • لمن ما في السموات والارض • من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى
• قل لله • تقرير لهم وتنبيه للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى • كتب على نفسه الرحمة • جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول
رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة و
يقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق
كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية
وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رحمته والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله
تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول
رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل
والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وعنه رواية انه عم قال لما قضى الله
تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكعب
ما اول شيء ابتدأه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد وكتابته الزبرجد واللؤلؤ والياقوت
اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم
مع انهما من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى
وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى • ليجمعنكم الى يوم القيمة • جواب قسم
محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم ليوم القيمة في القبور مبعوثين او
محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل
الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هو بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم
القيمة • لا ريب فيه • اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى • الذين خسروا انفسهم • اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول عم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة
في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ او هم الذين آه او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى • فهم لا يؤمنون • والفاء
لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك
في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم
غير داخل تحت الامر • وله • اي لله تعالى خاصة • ما سكن في الليل والنهار • نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الكائنات
الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة
والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفي باحد الضدين عن الآخر • وهو السميع • المبالغ في سماع كل مسموع • العليم • المبالغ في
العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال • قل • لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب • أغير الله اتخذ وليا •
اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ
غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى أغير الله ابغي ربا وقوله أفغير الله تأمروني اعبد الخ • فاطر السموات والارض

اى

اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها
ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية
تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتدأتها • وهو يطعم ولا يطعم • اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة
اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه
وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى اشركت بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على ان معنى انه يطعم تارة
ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط • قل • بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول
• اني امرت • من جنابه تعالى • ان اكون اول من اسلم • وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى
وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين • ولا تكونن • اي وقيل لي
لا تكونن • من المشركين • في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر
• قل اني اخاف ان عصيت ربي • اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان
لكمال اجتنابه عم عن المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى • عذاب يوم عظيم • اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف
والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب العظيم • من يصرف عنه • على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله تعالى وقد قرئ
بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى • يومئذ • ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول
على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ • فقد رحمه • اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة
كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن
وهو عبارة عن غير العاصي • وذلك • اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • الفوز المبين • اي الظاهر كونه فوزا وهو
الظفر بالبغية والالف واللام لقصر على ذلك • وان يمسسك الله بضر • ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك • فلا كاشف له •
اي فلا قادر على كشفه عنك • الا هو • وحده • وان يمسسك بخير • من صحة ونعمة ونحو ذلك • فهو على كل شيء قدير •
ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسه ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله
وحمل على تأكيد الجواب روي عن ابن عباس رض انه قال اهدي للنبي عم بغلة اهداها له كسرى فركبها
بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم التفت فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت
فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا
ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع
فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا • وهو
القاهر فوق عباده • تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة • وهو الحكيم • في كل ما يفعله ويأمر به • الخبير •
باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر • قل اي شيء اكبر شهادة • روي ان قريشا قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فأرنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى • قل الله •
امر له عم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه
لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله تعالى • شهيد • خبر مبتدأ محذوف اي هو

شهيد • بيني وبينكم • ويجوز ان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لانه اذا كان الله شهيدا بينه وبينهم كان اكبر شيء
شهادة شهيدا له عم وتكرير البين لتحقيق المقابلة • واوحي الي • اي من جهته تعالى • هذا القرآن • الشاهد بصحة رسالتي
• لانذركم به • بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة • ومن بلغ • عطف على ضمير
المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون
ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة
خلا ان ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عند ثاني غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في
اول سورة النساء • ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى • تقرير لهم مع انكار واستبعاد • قل لا اشهد • بذلك
وان شهدتم به فانه باطل صرف • قل • تكرير الامر للتأكيد • انما هو اله واحد • اي بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا هو
• وانني بريء مما تشركون • من الاصنام او من اشراككم • الذين آتيناهم الكتاب • جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا
عنك اليهود والنصارى اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك آه
والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان
بمدار ما اسند اليهم بقوله • يعرفونه • اي يعرفون رسول الله صلعم من جهة الكتابين بحليته ونعوته المذكورة فيهما
كما يعرفون ابناءهم • بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلعم لما قدم المدينة قال عمر
لعبد الله بن سلام رضي الله عنهما انزل الله على نبيه هذه الآية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته
كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى • الذين خسروا
انفسهم • من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان
بالكلية • فهم لا يؤمنون • لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء
لشبه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين خسروا آه وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب
على الذم فقوله فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب • ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا • بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عم فانه افتراء على الله تعالى وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان
سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من
فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله تعالى لا جرم
انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا آه والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور
غالبا ... الاستعمال للمبالغة بالنفي زيادة ... ونقصانا ... • او كذب بآياته •
كان كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وسموه سحرا وحرفوا التورية
وغيروا نعوته عم فان ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط
في الظلم وكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون • انه • الضمير للشان
... وفائدة تصدير الجملة به ... • لا يفلح الظالمون •
تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن كانه قيل ان الشان هذا اي • لا يفلح الظالمون • اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
واذا كان حال الظالم هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم • ويوم نحشرهم جميعا • منصوب على الظرفية بمضمر
مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايذانا بعدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما
يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا • ثم نقول • لهم ما نقول كان من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن آه عليه وقيل

منصوب

منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم آه وقيل ليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم آه
والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما • للذين اشركوا • اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع
على رؤس الاشهاد • اين شركاؤكم • اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست
الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى • الذين كنتم تزعمون • اي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا
وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلائق
حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم آه ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك
الموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث
ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف
من حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها
واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل
ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما
الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة • ثم لم تكن فتنتهم • بتأنيث
الفعل ورفع فتنتهم على انه اسمه والخبر • الا ان قالوا • وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتأنيث
للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها وترجيحها النصب بحسب المعنى والجملة عطف
على مقدر عامل في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبته
اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ منه بان يقولوا
• والله ربنا ما كنا مشركين • واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لاظهار الضراعة والابتهال
في استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهشة وحمله على
معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه مما يوهم ان
لهم عذرا وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد قضي ببطلانه قوله تعالى
• انظر كيف كذبوا على انفسهم • في قولهم ذلك فانه امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فمخل بما يجب تنزيه ساحة
التنزيل عنه وقوله تعالى • وضل عنهم ما كانوا يفترون • عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجب وما مصدرية او موصولة
قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا بالايمان الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف
ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرة
وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها
للمبالغة في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل تحت التعجب • ومنهم من يستمع اليك •
كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر عنهم في الدنيا من بعض المشركين من احكام الكفر اثر بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا
لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا آه ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او
وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم
ذوات اولئك المذكورين وقد عرفت في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آه روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر
وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا
ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل

ماحدثكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت • وجعلنا على قلوبهم اكنة
من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها
وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها
للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بما في تضمنه من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع
حالا اي يستمع اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس • ان يفقهوه
اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القران المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم
ان يفقهوه • وفي آذانهم وقرا • صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة
وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلعم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم ومج اسماعهم له وقد مر
تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الآية وانت خبير
بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القران والنبي عم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق
والايمان ككون القران سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي عم لا الاخبار بان هناك امرا
وراء ذلك فحال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك • وان يروا كل آية • من الآيات
القرانية اي يشاهدوها بسماعها • لا يؤمنوا بها • على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم
اجتلائهم اياها كما هي بما مر من حالهم • حتى اذا جاؤك يجادلونك • هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى
اذا جاؤك • يقول الذين كفروا • وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة
واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان
بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون • ان هذا • اي ما هذا • الا اساطير الاولين • فان عد احسن الحديث واصدقه
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان
يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة
والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط • وهم ينهون عنه
الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقران اي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس
عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به • وينأون عنه • اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه
وتأكيدا لنهيهم عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير النأي عن النهي وقيل
الضمير المجرور للنبي عم وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله صلعم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلعم سوءا فقال والله
لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بما امرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت • وان يهلكون • اي ما يهلكون بما فعلوا من
النهي والنأي • الا انفسهم • بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال
فوقه • وما يشعرون • حال من ضمير يهلكون اي يقصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاك
انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضروا بذلك شيئا من القران والرسول عم والمؤمنين وانما عبر عنه
بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القران الكريم الممانعة في تمشي
احكامه وظهور امر الدين للايذان بان ما يحيق بهم من الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة
فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلعم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين
يضلونهم بالنهي فقصروه على انفسهم حينئذ من قبيل قصر القلب مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال

منزلة

بمنزلة العدم • ولو ترى اذ وقفوا على النار • شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما صدر
عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلعم او لكل احد من اهل المشاهدة
والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء
دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو
محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي لو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يسعه التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون
عليها اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ
وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا • فقالوا يا ليتنا نرد • اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات
ولات حين مناص • ولا نكذب بآيات ربنا • اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها الآمرة باتقائها
اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا
ونكون من المؤمنين • بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن الماب ونصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده
قراءة ابن مسعود وابن اسحق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكون من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية
ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب
وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني
او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه
من العدة بالايمان وعدم التكذيب كقوله ليتني رزقت مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة وقرئ
برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما • بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل • اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد
بتصديق الآيات والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى تحصيله و
الاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها
فلم يقولوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها
والتعجب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائهم [illegible] تكذيبهم بها [illegible]
[illegible] صريح التكذيب الوارد في قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون [illegible]
[illegible] ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم
ومعاصيهم وقبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها [illegible] فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم
الذين يجحدون في بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين [illegible] بشهادة الجوارح عليهم
او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • ولو ردوا • اي [illegible] من موقفهم ذلك الى الدنيا [illegible]

الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية
لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغايب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما ياتون وما يذرون
وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما
افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا
لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي الحيوة الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحيوة كان لم
يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره فلعل
ان الوقوف هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم
حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى قال استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قال
ربهم اذ ذاك فقيل قال اليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام بالحق توبيخا لهم
على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استيناف كما سبق بلى وربنا
اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال تيقنهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه
قال استيناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بذلك بل هو
كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق
بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله تعالى بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به
فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه
لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير
للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه
واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له
بغتة البغت والبغتة مفاجاة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجاه وانتصابها اما على
انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي باغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير
الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولك اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي
جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر
وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال عم من مات فقد قامت
قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة
وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله
وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو
التضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت
البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا
على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايذان بان تلك الحسرة من الشدة
بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والتنبيه على ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ ب
الله تعالى منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي
في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون
على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة
له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى
يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحيوتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس وينزعها عما

تنتفع

تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة
كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا الا الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي وما هي من حيث
انها محل لكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما فيه منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما
يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التي هي محل
الحيوة الاخروية خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة
بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على
مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك
الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلعم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي عن الكفرة من الاصرار على التكذيب
والمبالغة فيه ببيان انه عم بمكانة من الله تعالى وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة
اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله
المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد
الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان
فيقول رب فارس عندي او عنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن
التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الاية الكريمة
المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة
علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول
فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ
ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام السابق
من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عليه وعده هينا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام
جحودهم بايات الله تعالى كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده
من بلوغه عم في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله تعالى الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبهم
تكذيبا لاياته تعالى على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم واثبت لاياته تعالى على
طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عم في شان الله تعالى وفيه
استعظام لجنايتهم مبني على عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك
لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم باياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع الضمير
تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام
ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد
صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المبالغة مقول من قال ان نفي ما في القلب يثبته او اثبات ما في القلب نفيه و
الباء متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هو لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما
كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما
روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد
غيرنا فقال والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا يكون لساير قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا

لا يكذبونك في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون
بآيات الله كما يروى ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا نكذب ما
جئتنا به فنزلت وكان صدق الخبر عند الخبيث بمطابقته لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ
لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد ككثر وكثر وانزل ونزل وسوا واظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل
عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اى نسبت الكذب اليه واكذبته اى نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه
وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك افتنان في تسليته عم فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين
وارشاد له عم الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عم في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية
له عم بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالكلام لتأكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بكذبت او بمحذوف هو صفة لرسل اى وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شأن خطير وذوو عدد كثير او كذبت
رسل كائنون من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على كذبوا داخل
في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اى فصبروا على تكذيبهم وايذائهم اما على تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون
الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا وانما كان فيه تاكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت
وقيل هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم
لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشأن النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض
مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم
لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عم الدالة
على نصرة رسول الله عم ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظايرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل
المواعيد الواردة الى رسول الله عم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عم ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي
من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عم دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار
بعلية الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى
ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه
اى بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اى بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله الآية واياما كان فالمراد بنبئهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم
وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء و
زلزلوا الآية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاء العائد الى ما فهم من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا الخبر كائنا
من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر
لا محيد عنه اصلا اى ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يحكى عنهم
من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى
رسول الله عم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله ان
ياتي باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله عم فشق ذلك عليه لما انه عم كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه
آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة
الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر
كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى فان استطعت الخ شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط

الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت
ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اى سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها
او سلما اى مصعدا في السماء تعرج به فيها فتاتيهم منهما باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون
ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اى فان استطعت ان تبتغيهما
فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا وسلما والاول للتجريد والتاكيد اذ النفق
لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اى تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما
كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عم على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر ان ياتي باية من تحت الارض
او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم
مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من
الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه
ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم لسوء توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم
باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه
من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم مترتب على بيان عدم تعلق مشيئته
تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم
او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم
اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين
على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عم من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه
لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عم وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم
اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان
البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اى انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع تفهم وتدبر
دون الموتى الذين هم [illegible] كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى
بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر
وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اى وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى
من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل
من رجع رجوعا [illegible] على كون رجوعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه
آية من ربه حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به [illegible] والقائلون
رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقتنعوا
بما شاهدوا من البينات [illegible] حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما الآية ما اقترحوه من
الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية
والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف [illegible]
[illegible] قل ان الله قادر على ان ينزل آية
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بقوله تعالى • ولكن اكثرهم لا يعلمون • اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه
محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل آية من تلك الآيات واي آية ولكن اكثرهم لا يعلمون
فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار
او استيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم
واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى • وما من دابة في الارض • الخ كلام مستأنف
مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وشمول علمه وسعة تدبيره كالدليل على انه تعالى قادر على تنزيل الآية وانما لا ينزلها محافظة على
الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من
افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى • ولا طائر يطير بجناحيه • مع ما فيه من زيادة
التقرير اي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل
الجار والمجرور كانه قيل وما دابة ولا طائر • الا امم • اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير
الا امم • امثالكم • اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها مقننة ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد
منتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات الربانية • ما فرطنا في الكتاب من شيء • يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه
قال ساعدة بن جؤية • معه سقاء لا يفرط حمله • اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون
منه واغفله فقوله في الكتاب اي في القرآن على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق
اي ما تركنا في القرآن شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني
مفعول الفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا
ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في
اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى • ثم الى ربهم يحشرون • بيان لاحوال الامم المذكورة
في الآخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى
مالك امورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا الى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان يأخذ للجماء من
القرناء وقيل حشرها موتها وياباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى • والذين كذبوا باياتنا • متعلق بقوله
ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآية ومحله الرفع على الابتداء
خبره ما بعده اي اوردنا في القرآن جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا التي هي منه
• صم • لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها • وبكم • لا يقدرون
على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله تعالى • في الظلمات • اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد
والتقليد اما خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في
الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء
الحال لان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة
وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى وكان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية
وقوله تعالى • من يشأ الله يضلله • تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان
اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه لكن لا ابتداء
بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى • ومن يشأ يجعله على
صراط مستقيم • لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه • قل ارأيتكم • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان
يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومعنى التركيب وان

كان

كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني • ان اتاكم عذاب
الله • حسبما اتى الامم السالفة من العذاب الدنيوي • او اتتكم الساعة • التي لا محيص عنها البتة • اغير الله تدعون •
هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى • ان كنتم صادقين • متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن
كذبهم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين في ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة او
ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الخ فان صدقهم بهذا المعنى كان من موجبات اخبارهم
بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة
النظم الكريم كيف لا والمطلوب منهم اخبارهم بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا انفس دعائهم اياه وقوله تعالى
بل اياه تدعون وقوله تعالى • فيكشف ما تدعون اليه • اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشف اثر دعائكم وقوله تعالى
• ان شاء • اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استأثر الله تعالى
بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما
يتعلق بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى • وتنسون ما تشركون • اي تتركون ما تشركونه به تعالى
من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال
العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى • ولقد ارسلنا • كلام مستأنف مسوق لبيان انهم
من الذين لا يدعون الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون
بالزواجر التنزيلية وتنزيلها بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونها ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام بيان
حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا • الى امم • كثيرة • من قبلك • اي كائنة من زمان
قبل زمانك • فاخذناهم • اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم • بالبأساء • اي بالشدة والفقر • والضراء • اي الضر والآفات
وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما • لعلهم يتضرعون • اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه
من كفرهم ومعاصيهم • فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا • اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه • ولكن قست قلوبهم •
استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست
قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته ولكن اهانني • وزين
لهم الشيطان ما كانوا يعملون • من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله
وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم وقوله تعالى • فلما نسوا ما ذكروا به • عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به
من البأساء والضراء فلما نسوه • فتحنا عليهم ابواب كل شيء • من فنون النعماء على منهاج الاستدراج
قال الحسن رحمه الله مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير
في الجملة • حتى اذا فرحوا بما اوتوا • من الخير والنعم
• اخذناهم بغتة • فاذا هم مبلسون • متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون
وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة • فقطع دابر القوم الذين ظلموا • اي آخرهم بحيث
لم يبق منهم احد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب
ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات • والحمد لله رب العالمين • على ما جرى عليهم
من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم الخبيثة
نعمة جليلة يستحق بها الحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم • قل ارأيتم • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم

بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار
عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ۞ ان اخذ الله سمعكم وابصاركم ۞ بان اصمكم و
اعماكم بالكلية ۞ وختم على قلوبكم ۞ بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم
عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية
وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الايات القرانية وافراده لما ان اصله
مصدر وقوله تعالى ۞ من اله ۞ مبتدا وخبر ومن استفهامية وقوله ۞ غير الله ۞ صفة للخبر وقوله ۞ ياتيكم به ۞ اى بذلك
على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبروني
ان سلب الله مشاعركم من اله غيره ياتيكم بها وقوله تعالى ۞ انظر كيف نصرف الايات ۞ تعجيب لرسول الله عم من عدم تاثرهم
بما عاينوا من الايات الباهرة اى انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية
وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ۞ ثم هم يصدفون ۞ عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة
في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم اى اعراضهم عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها
۞ قل ارايتكم ۞ تبكيت اخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ۞ ان اتاكم عذاب الله ۞ اى عذابه العاجل
الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم ۞ بغتة ۞ اى فجاة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية
قوبل بقوله تعالى ۞ او جهرة ۞ اى بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب
فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر اى اتيان بغتة او اتيان جهرة
وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله ۞ هل يهلك ۞ متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اى قل لهم تقريرا لهم
باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تخافونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اى هل يهلك غيركم ممن
لا يستحقه وانما وضع موضعه ۞ الا القوم الظالمون ۞ تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي
هو وضعهم للكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك
الا انتم ومن اشبهكم وبابا وتخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار محذوف كانه قيل بعد ذلك
ما يهلك الا القوم الظالمون اى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم وقيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق
الحصر باخراج غير الظالمين منه لانه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل
بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي ۞ وما نرسل المرسلين ۞ كلام مستانف مسوق لبيان
وظايف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عم واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عم ليس مما يتعلق
بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى ۞ الا مبشرين ومنذرين ۞
حالان مقدرتان من المرسلين اى ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم غيرهما معنى العلة الغائية قطعا اى ليبشروا قومهم
بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اى يخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينيا كان او اخرويا من غير ان
يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور امر الانزال ان لا يكون بيان الشرايع والاحكام من وظايف الرسالة والفاء
في قوله تعالى ۞ فمن امن واصلح ۞ لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله ۞ فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۞
لشبه الموصول بالشرط اى لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به
من الثواب العاجل والاجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضماير الثلاثة الراجعة الى من
باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا
يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما تقرر في موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية
تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار

ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله تعالى
۞ والذين كذبوا ۞ عطف على من امن داخل في حكمه وقوله ۞ باياتنا ۞ اشارة الى ما نطق به الرسل عم عند التبشير والانذار و
يبلغونه الى الامم اياته تعالى وان من امن به فقد امن باياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان
والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة
لا ليوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم واستدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن امن
بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا وانذارا اى صدق باياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار ۞ يمسهم العذاب ۞ اى العذاب الذي انذروه
عاجلا او اجلا او حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا ۞ بما كانوا يفسقون ۞ اى بسبب فسقهم المستمر الذي هو
الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة ۞ قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ۞ استيناف مبني على ما اسس من السنة
الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه عم عما يدور عليه مقترحاتهم اى قل للكفرة الذين
يقترحون عليك تارة تنزيل الايات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزاين مقدوراته تعالى مفوضة الى اتصرف كيف ما
اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الايات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق
بشاني وجعل هذا تبرءا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ۞ ولا اعلم الغيب ۞ عطف على محل عندي خزاين الله
اى ولا ادعي ايضا اني اعلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسالوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
۞ ولا اقول لكم اني ملك ۞ حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا
عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي
شيئا من هذه الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من اثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما
ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهته تعالى والعمل بمقتضاه فحسب
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ۞ ان اتبع الا ما يوحى الي ۞ لا على معنى تخصيص اتباعه عم بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول
بالقياس الى مفعول اخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات
في القيد بل على معنى تخصيص حاله عم باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما نفي عنه من الافعال
لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يقتضيه من مطلق الفعل والاثبات
فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل
والى معنى خاص يقومه فان معنى قولك فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد
القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل لا افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير
ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى بطريق الاستدعاء او بوجه اخر من الوجوه اصلا ۞ قل هل يستوي الاعمى والبصير ۞
مثل للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقايق ومن
يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية
التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى ۞ افلا تتفكرون ۞ تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ في الاول عدم
الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه ۞ وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ۞ بعد ما حكى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الايات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة
قد انقطعت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر حتى اذا
قالوا ما قالوا والتكبر ولا يحتج فيهم عظة ولا تذكير والافادة وسيم الانذار الا الاصرار على الانكار امر عليه السلام بتوجيه
الانذار الى من يتوقع منهم التاثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الاتي سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب

وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الأنبياء كالأولين أو في شفاعة الأصنام كالآخرين أو مترددين
فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون حقا وأما المنكرون للحشر رأسا
والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون ممن أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون
في الأعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته من القرآن والمفعول الثاني
للإنذار كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى أو لما دل عليه من القرآن والمفعول الثاني للإنذار إما العذاب الأخروي
المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على
الحالية من ضمير يحشروا أو من متعلقه يحشروا ووقع حالا من اسم ليس لأنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا أن
الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما
كان ضرورة أن المعترفين به الجازمين بنصرة غيره بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار وأما
الحال الثانية فليست لإخراج الولي الذي لم يقيد بها من حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى
لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك إنما
هو ولاية غيره تعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء والمعنى أنذر به الذين
يخافون أن يحشروا غير منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن هنا اتضح أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين
المفرطين من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وإنما الذين يخافون الحشر بدون نصرته تعالى
وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي وحال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجيا
تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما أمره
بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روي أن رؤساء من المشركين
قالوا لرسول الله عليه السلام لو طردت هؤلاء الأعبد وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
وسلمان وأضرابهم رضي الله عنهم جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا إذا جئنا
فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت قال عليه السلام نعم طمعا في إيمانهم روي أن عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر إلام
يصيرون وقيل إن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل
وأشراف بني عبد مناف من أهل الكفر أتوا أبا طالب فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا فإنهم
عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتى أبو طالب إلى النبي صلعم فحدثه بالذي كلموه فقال
عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية
جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي عم جالسا
مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام حقروهم فأتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت
عنا هؤلاء وأرواح جبابهم لجالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا
منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم
عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت فقال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا رضي الله عنه ليكتب
ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فأتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس
ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن
نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر
الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون أي
يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله

تعالى

تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم من كونه مسوغا
لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي
الرأي أي ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك
حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على العليم
بذات الصدور كقوله تعالى إن حسابهم إلا على ربي وقوله تعالى وما من حسابك عليهم من شيء مع أن الجواب قد تم بما
قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام
عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما ما قيل من أن ذلك لتنزيل الجملتين منزلة واحدة
لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فغير حقيق بجلالة شأن التنزيل وتقديم عليك في الجملة
الأولى للقصد إلى إيراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام إذ هو الداعي إلى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى أنك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويدعوك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين وقوله فتطردهم
جواب النهي وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك
وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك إشارة إلى مصدر ما بعده
من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا
من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة
لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا
بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لإفادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت
الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا أي ابتلينا بعض الناس
ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين في أمر الدين على الأولين المتقدمين عليهم في أمر الدنيا تقدما كليا واللام
في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة أي ليقول البعض الأولون مشيرين إلى الآخرين محقرين لهم نظرا إلى ما بينهما من التفاوت
الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بأن وفقهم لإصابة
الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك إنكار وقوع
المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه لا تحقيرهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه
وقوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق الإنعام معرفة
شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك أي أليس الله بأعلم بالشاكرين لنعمه
حتى تستبعدوا إنعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعم الله تعالى في تنزيل القرآن
والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى وإذا جاءك
الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله كما وصفوا بالمداومة على عبادته
تعالى بالإخلاص تنبيها على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار
الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان كما أن مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى
فقل سلام عليكم أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلام الله تعالى إليهم وقيل بأن
يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان
بالذات لا بتوسط شيء أصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى ونيل المطالب إثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره
والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لإظهار اللطف بهم والإشعار بعلة الحكم وقيل إن قوما جاءوا
إلى النبي عم فقالوا إنا أصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى أنه من عمل منكم سوءا
بدل من الرحمة وقرئ بكسر أن على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله بجهالة حال من فاعل عمل أي عمله وهو

جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا
بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه
ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استيناف وقع في صدر الجملة
الواقعة خبر المن على انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر آنفا ما فيه من الكلام اي مثل ذلك
التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين
بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة
للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر
هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل
متعد وتاؤه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع
الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم
الفارغة عن ركونه اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اي صرفت وزجرت بما نصب لي
من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله
كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية
لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم
استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا
بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا استئناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال
والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية
للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار كما مر مرارا اي ما انا في شيء من الهدى حتى
اكون في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل
الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي
وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة
لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم
من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها
لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار
المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله
تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم وهو عدم مجيء ما وعد فيها
من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم
اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر
لكم صدقه او ليس امره بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر
دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه بيان
لشؤونه تعالى في الحكم المذكور او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التأخير وقرئ
يقضي فانتصاب الحق على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع
اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكأنه منع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على
صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين
الحق والباطل هذا هو الذي تستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة

وشاهد

وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم
بتكذيب آيات الله بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا
قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره
مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد
ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى
والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عم
المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج
لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان
لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع
مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كأنها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح واما
جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على
الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه وما يتوصل به اليها وقوله تعالى لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون
ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس
مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر
بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات
مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه
باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن
ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة
للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض
متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذلك قوله تعالى
ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول
بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع
عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من
شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة ايضا وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من
الاماتة للانامة لما بين النوم والموت من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما
جرحتم بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين
فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث
اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما
خص به الآخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله ويعلم الخ بينهما
لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي
بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كأنه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم
في جنس النهر مع علمه تعالى بما تجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له
طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم

التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للاثام
بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام في النهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى كون البعث
معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما
واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام
الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل متعلق بحفظة وقيل هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف
على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم
ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف
سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم
الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم
حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا
الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا
بطرح احدى التاءين وهم اي الرسل لا يفرطون اي بالتواني والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون
ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم
ردوا عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا
والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في
موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصر لهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق
الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه
وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي
الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل تقريرا لهم بانحطاط
شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات
المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء
والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من
فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعونه او مصدر مؤكد له
اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا
حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها
بالظلمات لنكونن من الشاكرين اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها
هذه وقرأ حفص لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امرهم بتقرير الجواب مع كونه
من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم وللبناء عليه قوله تعالى ثم انتم تشركون اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه
الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى
غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر
على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى افأمنتم
ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله
الصريح للاعتناء والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم وللتهويل امر المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او

بمحذوف

او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم
او من تحت ارجلكم اي من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤسائكم ومن
تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح
او يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال ما
فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس
بعض عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل الامر والمبالغة في التحذير والبعض
الاول الكفار والآخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من
فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات
من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد
وكذب به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم
بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق
حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استئناف
وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت
ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق
انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي
من جملتها عذابكم مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت وقوع مدلوله وسوف تعلمون
اي حال ينكشف لكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فأعرض عنهم
بترك مجالستهم والقيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض
الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث مغاير لها باعتبار
بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم
ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي
معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بانهم بذلك ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين قالوا لئن كنا كلما استهزأ
المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا على ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف
بالبيت فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم مما يحاسبون عليه من الجرائر
من شيء اي شيء ما على انه في محل الرفع على الابتداء ومن زائدة للاستغراق ومن
حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر له
عند كونه نكرة ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم
عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر
مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا واما الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى لعلهم
يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اي لعلهم يثبتون

على تقواهم او يزدادوها ۔ وذر الذين اتخذوا دينهم ۔ الذي كلفوه وامروا باقامة مواجبه ۔ لعبا ولهوا ۔ حيث سخروا
واستهزؤوا او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يتعاطى لو صدر بطريق اللعب واللهو
كعبادة الاصنام وتحريم البحاير والسوايب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم
كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية ۔ وغرتهم الحيوة الدنيا ۔ واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا ۔ وذكر به ۔
اي بالقران من يصلح للتذكير ۔ ان تبسل نفس بما كسبت ۔ اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل
او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل
المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه عن قرنه وهذا بسل عليك اي
حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشان وتكون الجملة
بدلا منه مفسرا له كما في الابهام اولا والتفسير ثانيا زيادة للتقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل
من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى ۔ ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ۔
استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر
انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف
وهو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر لليس فيكون لها متعلقا بمحذوف على البيان ۔ وان
تعدل ۔ اي ان تفد تلك النفس ۔ كل عدل ۔ اي كل فداء على انه مصدر مؤكد ۔ لا يؤخذ منها ۔ على اسناد الفعل الى
الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به لا المصدر كما نحن فيه ۔ اولئك ۔
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله الرفع على
الابتداء والخبر قوله تعالى ۔ الذين ابسلوا بما كسبوا ۔ والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان
انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين اسلموا الى العذاب بسبب ما اكتسبوا من
القبايح وقوله تعالى ۔ لهم شراب من حميم ۔ استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من
الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم ۔ وعذاب
اليم ۔ بنار تشتعل بابدانهم ۔ بما كانوا يكفرون ۔ اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من
ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا
لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد
جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه
ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تتمة الابسال ۔ قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ۔ قيل نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما بينهما من
الاتصال والاتحاد تنويها لشان الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله التي من جملتها القدرة على النفع
والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى
ونرد على اعقابنا ۔ عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة
تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر
وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان
الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى ۔ بعد اذ هدانا الله ۔ اي الى الاسلام وانقذنا
من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كانه
قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه ۔ وقوله تعالى ۔ كالذي استهوته الشياطين ۔
في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه

والمهالك

والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي انرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممدودة وقوله تعالى
في الارض ۔ اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا في الارض وكذا قوله تعالى ۔ حيران ۔
حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن
الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى ۔ له اصحاب ۔ جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة
سيقت لبيان حاله وقوله تعالى ۔ يدعونه الى الهدى ۔ صفة لاصحاب اولئك المستهوي ورفقة يهدونه الى الطريق
المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ۔ ائتنا ۔ على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال
من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان ما يدعونه ليس مجرد تعريف
الطريق المستقيم بل يدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي ومورد النعيق فقط ۔ قل ان هدى الله ۔ الذي هدانا
اليه وهو الاسلام ۔ هو الهدى ۔ وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه
وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده
فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده ۔ وامرنا ۔ عطف على ان هدى الله
هو الهدى داخل تحت القول واللام في ۔ لنسلم لرب العالمين ۔ لتعليل الامر المحكي وتعيين المراد به من الاوامر
الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الآية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل
ان نسلم وقيل هو بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى ۔ وان اقيموا
الصلوة واتقوه ۔ اي اتقوا الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان ان المصدرية اذا
وصلت بالامر تجرد عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة
واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه والتعرض لوصف
ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى ۔ وهو الذي اليه تحشرون ۔ جملة
مستانفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة ۔ وهو الذي خلق السموات والارض ۔ اريد بخلقهما خلق ما فيهما
ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى ۔ بالحق ۔ متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اي قائما بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق ۔ استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف
على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد
من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق و
الواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمها عليها للاعتناء من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية
ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء
في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف بها وقد قيل قوله مبتدأ
والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق
كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في
واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ او خبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق
كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فتامل
حق التامل ۔ وله الملك يوم ينفخ في الصور ۔ تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع
الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ۔ عالم الغيب والشهادة ۔ اي هو عالمهما ۔ وهو الحكيم ۔ في كل ما يفعله ۔ الخبير

بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذين يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالغ وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ءازرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منونة منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الآزر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم من الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه اولا فقد قيل وقيل والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل اياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه تعالى ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من جملة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اي ليستدل وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما واياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى

فلما

فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي بان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه تعالى من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءته ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشا من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف عليه قوله وليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما لا يليق بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الافلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي اي جنابه الذي هو الهادي الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة بيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق معارضا للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرا عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي

الاجرام التي تعبدونها من اجزائهما والارض التي تغيب هي فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترءوا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركون به تعالى من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه تعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التامل في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع في نفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال لا اخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله تعالى ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف وداخل معه في حيز الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف

فايثار

فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد الالجاء الى الجواب بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله تعالى وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقرب والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر للموصول ويجوز ان يكون اولئك ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبرا للموصول اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الاية شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى اتحاجوني الى قوله مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل النصب على انها حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انها خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم مفعول اول قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بآتيناها نرفع درجات من نشاء اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتأخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل النصب على انها حال من فاعل آتيناها اي حال كوننا رافعين الخ ان ربك حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا سبيل الى عطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده و

وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما هدينا لا احد منهما دون الآخر
وترك ذكر المهدي لظهور انه الذي اوتي ابرهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل
اي من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم
عم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة
في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عم من المشركين واليهود وقيل لنوح عم فلو كان الضمير له لاختص
بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا عم وروي عن ابن عباس
ان هولاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن
اخي ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب عم انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم و
اسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف
عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيره
بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك
اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابرهيم عم ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير
نجزي المحسنين جزاء مثل جزاء ابرهيم والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم
لجزائه عم مطلق المشابهة في مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة
من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانسال مما اختص به ابرهيم عم والاقرب ان المحسنين للعهد
وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين
لا اجزاء ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة
على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن
مريم وفيه دليل بين ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا
بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهم السلام كل اي كل واحد من اولئك المذكورين
من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة
اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو
على القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع
وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس
هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران اخي ابرهيم عليهم السلام وكلا اي كل واحد من اولئك المذكورين فضلنا
بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله ومن ابائهم وذرياتهم
واخوانهم اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من ابائهم وذرياتهم واخوانهم
جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض ابائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا اي
اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك اشارة الى ما
يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما نالوه وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله

الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل
بالهداية ولو اشركوا اي هولاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال
المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية
عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما
فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى
الذين اتيناهم الكتاب اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه
التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او
بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه
الحق والصواب والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين هولاء
اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله عم وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا برعايتها ووفقنا
للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان
الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق
في مقامه قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عم وقيل كل مؤمن من بني آدم
وقيل الفرس فان كلا من هولاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء والكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول
الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها
خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر
بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القران الخ في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو
شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القران الكريم وقيل هم الملئكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد
حقيتها واياما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد
النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر انفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر لان فيه نوع
طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه
المذكور اي فان يكفر بها هولاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بكافرين بها قطعا
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هولاء ومن هذا تبين ان الوجه ان يكون
المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ ايمانهم بالقران والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه
واما الانبياء والملئكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان احاد الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى
الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى
الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء
ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ
فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجراء لها
مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على القران او على
التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يساله من قبلي من الانبياء عم وهذا من جملة
ما امروا بالاقتداء بهم فيه ان هو اي ما القران الا ذكرى للعالمين اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته
تعالى فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شان القران العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة
الامم حسبما ينطق به قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم اياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك

الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره
ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدر
وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه
اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا
اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم
لقدره تعالى كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجليل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب
الكافرين كناية عن البغض والسخط والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة
كما في قول من يناجي مستقصر المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عر فوه
حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة
الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلعم
فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم ذلك على
طريقة التبكيت والقام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود
فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول اليهم لزيادة التقريع وتشديد التبكيت وكذا التقييد بقوله
تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب
والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له
اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم بالاعتراف بانزال التوراة فقط بل بانزال القرآن ايضا حتما
الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعي عليهم ما فعلوا بها
من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار
بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم
اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها صفة
لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتدا
لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وسائر ما كتموه من احكام التوراة وقرئ الافعال الثلاثة
بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه
باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع
ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من
الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ العلوم ومعارفهم اشنع واعظم لا محالة وقيل
من جهة النبي عم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما نطق به قوله تعالى
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك من القرآن الكريم
ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد
بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى
يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ
ان تكون مستانفة مقررة لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد او التمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن

ولا

ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ويصحح لوقوع الجملة في موقع الحال
لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتى يفيد وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم و
قوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلعم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا يجحد عنه وايذانا بانهم
افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم اي باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة
والقام الحجر يلعبون حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال
من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول وهذا كتاب
انزلناه تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب
مبارك اي كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذي بين يديه من التوراة لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب
التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا
تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولتنذر اهل مكة وانما ذكرت باسمها
المنبئ عن كونها اصلا مستتبعا لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها
من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال
الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر
من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف
العبادات بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان الله تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي
او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على
نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساواة وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا
اكرم منه على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى
ولم يوح اليه شيء اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي عم فلما نزلت
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين
تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها كذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي
الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو
نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم كالمتقاضي
المتسلط الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب
قائلين اخرجوا انفسكم اي اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم
اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن
لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد
ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون
بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من
الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى
وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى اي على
الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعدده او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين
ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم

نفصلناه علیکم فی الدنیا فشغلتم به عن الآخرة • وراء ظهورکم • ما قدمتم منه شیئا ولم تحملوا نقیرا • وما نری معکم
شفعاءکم الذین زعمتم انهم فیکم شرکاء • ای شرکاء لله فی الربوبیة واستحقاق العبادة • لقد تقطع بینکم • ای
وقع التقطع بینکم کما یقال جمع بین الشیئین ای اوقع الجمع بینهما وقری بینکم بالرفع علی اسناد الفعل الی الظرف کما
یقال قوتل امامکم وخلفکم او علی ان البین اسم للفصل والوصل ای تقطع وصلکم وقری ما بینکم • وضل عنکم • ای
ضاع وغاب • ما کنتم تزعمون • انها شفعاؤکم او ان لا بعث ولا جزاء • ان الله فالق الحب والنوی • شروع فی تقریر
بعض افاعیله تعالی الدالة علی کمال علمه وقدرته • ولطف صنعه وحکمته اثر تقریر ادلة التوحید والفلق الشق بابانة ای
شاق الحب بالنبات والنوی بالشجر وقیل المراد به الشق الذی فی الحبوب والنوی ای خالقهما کذلک کما فی قولک ضیق
فم الرکیة ووسع اسفلها وقیل الفلق بمعنی الخلق قال الواحدی ذهبوا بفالق مذهب فاطر • یخرج الحی من المیت
ای یخرج ما ینمو من الحیوان والنبات مما لا ینمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبینة لما قبلها وقیل خبر ثان لان وقوله تعالی
ومخرج المیت • کالنطفة والحب • من الحی • کالحیوان والنبات عطف علی فالق الحب لا علی یخرج علی الوجه الاول لان
اخراج المیت من الحی لیس من قبیل فلق الحب والنوی • ذلکم • القادر العظیم الشان هو • الله • المستحق للعبادة
وحده • فانی تؤفکون • فکیف تصرفون عن عبادته الی غیره ولا سبیل الی غیره اصلا • فالق الاصباح • خبر آخر
لان او لمبتدا محذوف والاصباح مصدر سمی به الصبح وقری بفتح الهمزة علی انه جمع صبح ای فالق عمود الفجر عن بیاض
النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهی الغبش الذی یلی الصبح وقری فالق بالنصب علی المدح • وجعل اللیل
سکنا • یسکن الیه التعب بالنهار لاستراحته فیه من سکن الیه اذا اطمأن الیه استیناسا به او یسکن فیه الخلق من قوله
تعالی لتسکنوا فیه وقری جاعل اللیل فانتصابه بفعل دل علیه جاعل وقیل بنفسه علی ان المراد به الجعل المستمر فی الازمنة
المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضی فقط وقیل اسم الفاعل من الفعل المتعدی الی اثنین یعمل فی الثانی وان کان
بمعنی المضی لانه لما اضیف الی الاول تعین نصبه للثانی لتعذر الاضافة بعد ذلک • والشمس والقمر • معطوفان
علی اللیل وعلی القراءة الاخیرة قیل هما معطوفان علی محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ایضا
علی الابتداء والخبر محذوف ای مجعولان • حسبانا • ای علی ادوار مختلفة یحسب بها الاوقات التی نیط بها العبادات
والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب کما ان الحسبان بالکسر مصدر حسب • ذلک • اشارة
الی جعلهما کذلک وما فیه من معنی البعد للایذان بعلو رتبة المشار الیه وبعد منزلته ای ذلک التسییر البدیع • تقدیر العزیز
الغالب القاهر الذی لا یستعصی علیه شیء من الاشیاء التی من جملتها تسییرهما علی الوجه المخصوص • العلیم • بجمیع المعلومات
التی من جملتها ما فی ذلک التسییر من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم • وهو الذی جعل لکم النجوم
شروع فی بیان نعمته تعالی فی الکواکب اثر بیان نعمته فی النیرین والجعل متعد الی واحد واللام متعلقة به وتأخیر المفعول الصریح
عن الجار والمجرور لما مر غیر مرة من الاهتمام بالمقدم والتشویق الی المؤخر ای انشأها وابدعها لاجلکم فقوله تعالی
لتهتدوا بها • بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال کما فی قوله تعالی لجعلنا لمن یکفر بالرحمن لبیوتهم سقفا والتقدیر
جعل لکم النجوم لاهتدائکم لکن لا علی ان غایة خلقها اهتداؤهم فقط بل علی طریقة افراد بعض منافعها وغایاتها بالذکر
حسبما یقتضیه المقام وقد جوز ان یکون مفعولا ثانیا للجعل وهو بمعنی التصییر ای جعلها کائنة لاهتدائکم فی اسفارکم
عند دخولکم المفاوز او البحار کما ینبئ عنه قوله • فی ظلمات البر والبحر • ای فی ظلمات اللیل فی البر والبحر واضافتها
الیهما للملابسة فان الحاجة الی الاهتداء بها انما تتحقق عند ذلک او فی مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات علی طریقة الاستعارة
قد فصلنا الآیات • ای بینا الآیات المتلوة المذکورة لنعمة التی هذه النعمة من جملتها او الآیات التکوینیة الدالة علی
شؤونه تعالی مفصلة • لقوم یعلمون • ای معانی الآیات المذکورة ویعملون بموجبها او یتفکرون فی الآیات التکوینیة
فیعلمون حقیقة الحال وتخصیص التفصیل بهم مع عمومه للکل لانهم المنتفعون به • وهو الذی انشأکم من نفس واحدة
تذکیر لنعمة اخری من نعمه تعالی دالة علی عظیم قدرته ولطیف صنعه وحکمته ای انشأکم مع کثرتکم من نفس آدم • فمستقر

ومستودع • ای فلکم استقرار فی الاصلاب او فوق الارض واستیداع فی الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستیداع فیما ذکر والتعبیر عن کونهم فی الارحام او تحت الارض بالاستیداع لما ان کلا منهما لیس بمقرهم الطبیعی وقد
حمل الاستیداع علی کونهم فی الاصلاب ولیس بواضح وقری فمستقر بکسر القاف ای فمنکم مستقر ومنکم مستودع فان الاستقرار
منا بخلاف الاستیداع • قد فصلنا الآیات • المبینة لتفاصیل خلق البشر من هذه الآیة • لقوم یفقهون • غوامض
الدقائق باستعمال الفطنة وتدقیق النظر فان لطائف صنع الله تعالی فی اطوار تخلیق بنی آدم مما یحار فی فهمه الالباب
وهو السر فی ایثار یفقهون علی یعلمون کما ورد فی شان النجوم • وهو الذی انزل من السماء ماء • تذکیر لنعمة اخری
من نعمه تعالی منبئة عن کمال قدرته تعالی وسعة رحمته ای انزل من السحاب او من جانب السماء ماء خاصا هو المطر وتقدیم
الجار والمجرور علی المفعول الصریح لما مر مرارا • فاخرجنا به • التفات الی التکلم اظهارا لکمال العنایة بشان ما انزل
الماء لاجله ای فاخرجنا بعظمتنا بذلک الماء مع وحدته • نبات کل شیء • ای من الاشیاء التی من شانها النمو من
اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة فی الکم والکیف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا فی مراتب الزیادة و
النقصان حسبما ینبئ عنه قوله تعالی یسقی بماء واحد ونفضل بعضها علی بعض فی الاکل وقوله تعالی • فاخرجنا منه خضرا •
شروع فی تفصیل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصیل حال النجم ای فاخرجنا من النبات الذی لا ساق له شیئا غضا اخضر
یقال شیء اخضر وخضر کاعور وعور واکثر ما یستعمل الخضر فیما تکون خضرته خلقیة وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج
من الحبة وقوله تعالی • نخرج منه • صفة لخضرا وصیغة المضارع لاستحضار الصورة لما فیها من الغرابة ای نخرج من ذلک
الخضر • حبا متراکبا • هو السنبل المنتظم للحبوب المتراکبة بعضها فوق بعض علی هیئة مخصوصة وقری یخرج منه حب
متراکب وقوله تعالی • ومن النخل • شروع فی تفصیل حال الشجر اثر بیان حال النجم فقوله من النخل خبر مقدم وقوله تعالی
من طلعها • بدل منه باعادة العامل کما فی قوله لقد کان لکم فی رسول الله اسوة حسنة لمن کان یرجو الله والطلع
شیء یخرج من النخل کانه نعلان مطبقان والحمل بینهما منضود وقوله تعالی • قنوان • مبتدا ای وحاصلة من طلع
النخل قنوان ویجوز ان یکون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا علیه ای ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا یخرج منه
حب متراکب کان قنوان عنده معطوفا علی حب وقیل المعنی واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شیء من
طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة کصنو وصنوان وقری بضم القاف کذئب وذؤبان وبفتحها
ایضا علی انه اسم جمع لان فعلان لیس من ابنیة الجمع • دانیة • سهلة المجتنی قریبة من القاطف فانها وان کانت
صغیرة ینالها القاعد تاتی بالثمر لا ینتظر الطول وقیل متقاربة والاقتصار علی ذکرها لدلالتها علی مقابلها کقوله تعالی سرابیل
تقیکم الحر او لزیادة النعمة فیها • وجنات من اعناب • عطف علی نبات کل شیء ای واخرجنا به جنات کائنة من اعناب
وقری جنات بالرفع علی الابتداء ای ولکم او ثمة جنات وقد جوز عطفه علی قنوان کانه قیل وحاصلة او ومخرجة من
النخل قنوان وجنات من اعناب ولعل زیادة الجنات هاهنا من غیر اکتفاء بذکر اسم الجنس کما فیما تقدم وما یاتی لما
ان الانتفاع بهذا الجنس لا یتاتی غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده • والزیتون والرمان • منصوبان علی الاختصاص
لعزة هذین الصنفین عندهم او علی العطف علی نبات وقوله تعالی • مشتبها وغیر متشابه • حال من الزیتون اکتفی به
عن حال ما عطف علیه کما یکتفی بخبر المعطوف علیه عن خبر المعطوف فی نحو قوله تعالی والله ورسوله احق ان یرضوه او
تقدیره والزیتون متشابها وغیر متشابه والرمان کذلک وقد جوز ان یکون حالا من الرمان لقربه ویکون الحذف
من الاول والمعنی بعضه متشابها وبعضه غیر متشابه فی الهیئة والقدر واللون والطعم وغیر ذلک من الاوصاف الدالة
علی کمال قدرة صانعها وحکمة منشئها ومبدعها • انظروا الی ثمره اذا اثمر • ای انظروا الیه نظر اعتبار واستبصار
اذا اخرج ثمره کیف یخرجه ضئیلا لا یکاد ینتفع به وقری الی ثمره • وینعه • ای والی حال نضجه کیف یصیر الی کمال
به ویکون شیئا جامعا للمنافع جمة والینع فی الاصل مصدر ینعت الثمرة اذا ادرکت وقیل جمع یانع کتاجر وتجر وقری بضم
الیاء وهی لغة فیه وقری یانعه • ان فی ذلکم • اشارة الی ما امر بالنظر الیه وما فی معنی البعد لما مر • لآیات لقوم یؤمنون • ای لآیات

عظيمة او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة
من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار في فهمه الالباب لا يكاد يكون الا باحداث صانع
يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه او ند يقاومه
ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل • وجعلوا لله شركاء • اى جعلوا في اعتقادهم لله تعالى
الذي شانه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء • الجن • اى الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة
بنات الله وتسميتهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم بالنسبة الى الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى
او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى
الثنوية ومفعولا جعلوا قوله شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله تعالى شريك ما كائنا ما كان
ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الزجاج وابو
اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله
فقيل الجن اى جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابى حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال
من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين • وخلقهم • حال من فاعل جعلوا بتقدير
قد او بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها
اى وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا
له تعالى وقرئ خلقهم وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى • وخرقوا له • اى افتعلوا وافتروا له يقال
خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرفوا له اى زوّروا • بنين
وبنات • فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله
• بغير علم • اى بحقيقة ما قالوه من خطا او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة
ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت
لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم • سبحانه • استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما نسبوا
اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا او قولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى
اسبح سبحانه اى انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم
المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سبح
فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته
المقدسة اى تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه • وتعالى • فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة
وبما في السبحان والتعالي من معنى التباعد قيل • عما يصفون • اى تباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا • بديع
السموات والارض • اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبدع يطلق
على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر في القاموس
وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله أمن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل
للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب
وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه
تعالى مبدع لقطرى العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد
منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل

او من الضمير المجرور في سبحانه على رأى من يجوزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر لمبتدأ محذوف او فاعل
تعالى واظهاره في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره
قوله تعالى • انى يكون له ولد • وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة لما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه
تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى • ولم تكن له صاحبة • حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون
له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا
والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني اى من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا
والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل او لان الاسم ضميره تعالى والخبر
هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر و
الجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية ان تكون مفسرة لضمير الشأن
لا على الوجه الاول كما بين في موضعه ان ضمير الشأن لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى • وخلق كل شئ • اما جملة
مستأنفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى انى يكون له ولد والحال انه
خلق كل شئ انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون
المخلوق ولدا لخالقه • وهو بكل شئ • من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار
الى الاظهار • عليم • مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما
كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه
فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي
اجترءوا عليها بغير علم • ذلكم • اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى
• الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ • اخبار اربعة مترادفة اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله
المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شئ مما كان وسيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان
الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الجلالة بدل والاول والرابع ابدال وقيل
الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار وقيل بعقد الحال من الاخبار الثلاثة مبتدأ وقيل بجعل الكل
بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى • فاعبدوه • مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو الحقيق
بالعبادة خاصة وقوله • وهو على كل شئ وكيل • عطف على الجملة المتقدمة اى وهو مع ما فصل من الصفات
الجليلة متولى لجميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ماربكم الدنيوية
والاخروية • لا تدركه الابصار • البصر حاسة النظر وقد يطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشئ
عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال
عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن
ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة • وهو يدرك الابصار • اى يحيط بها علمه اذ لا
تخفى عليه خافية • وهو اللطيف الخبير • فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين بطريق
اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا
من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى • قد جاءكم بصائر من ربكم • استئناف
وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر
نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء
الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير

المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق
بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب وقد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر و
امن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر اي فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمي اي ومن لم يبصر
الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمي تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها
عمي او فعماه عليها او وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها
وكذلك نصرف الايات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق
الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله وليقولوا درست علة للفعل قد حذف تعويلا على دلالة السباق عليه
اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة
محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الايات لنلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر
وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا
اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست
قرات وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست اي قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير
الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد درسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او
عفيت ودارسات وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز
اسناد الفعل الى الايات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلى الله عم وهم اهل الكتاب ودرس
اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله ولنبينه
عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم
يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما
انهم المنتفعون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية
جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحي اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف
الايات عقب ذلك بامره عم بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه
من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عم من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب
اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين
لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم انفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على
ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى
يمنعه عنه عند توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الجلة الكفر صح
اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ
عليهم اعمالهم وكذا قوله وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في
الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لالهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا
تجاوزا عن الحق الى الباطل اي بقولوا لكم من نحو قولكم لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ
عدوا يقال عدي يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعداوة روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عم عند نزول
قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان

الملون

المسلمون يسبونها فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل امة
عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ
الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم
اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات
المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على
حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان المعاصي
سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الاية الكريمة وكذا الطاعات
فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة تستحسنها الغواة وتستحبها الطغاة
وستظهر في النشأة الاخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها
بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله واقسموا بالله روي
ان قريشا اقترحوا بعض ايات فقال رسول الله صلى الله عم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا
نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عم بالدعاء
فنزلت وقوله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم اية
من مقترحاتهم او من جنس الايات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث
كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة من جنس الايات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك
الا التحكم على رسول الله في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض
وتسير بها الجبال قل انما الايات اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اي امرها
في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا يتعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة
احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا
كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شان الايات وصعوبة منالها وتعاليها من ان
يكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الايات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او
اتيكم وهو القادر عليها لا انا حتى اتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى
وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت
الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الايات خوطب المسلمون
اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عم بطريق التعميم لما روي عنه عم
من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سالوه وما
استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه
اي واي شيء يعلمكم ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد
اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الايات
وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الايات حتى تتمنوا
مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك
وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني
ليشعركم محذوف كما في قوله وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم

حالهم وما يسكون عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان
ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق
لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون
فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن
• ونقلب افئدتهم وابصارهم • عطف على يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم
عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل
لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم
ان عدم ايمانهم من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار • كما لم يؤمنوا به • اي بما جاء من الآيات • اول مرة • اي
عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية
اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات
عدم ايمانهم • ونذرهم • عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد
بتقليب الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله مشاعرهم عن الحق مع توجههم اليه و
استعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم
تاثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى • في طغيانهم •
متعلق بنذرهم وقوله • يعمهون • حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية
المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة
وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم • ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة • تصريح بما اشعر به
قوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها
في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امر ما بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة
على ابلغ وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من اية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة
كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تاتينا بالملائكة • وكلمهم الموتى • وشهدوا بحقية الايمان
بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا • وحشرنا • اي جمعنا • عليهم كل شيء قبلا • بضمتين وقرئ
بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي عم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب
وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان
احضرنا لديهم كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل
هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا
وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على
انه مصدر كقبيل وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة
من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية • ما كانوا ليؤمنوا
اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر
فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى • الا ان يشاء الله •
استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اي ما كانوا ليؤمنوا
بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في
حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى
وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان

سبحانه

استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم
بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب افئدتهم الاية كيف لا وقوله تعالى • ولكن اكثرهم يجهلون • استدراك من
مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون
او المقسمون ليس عدم ايمانهم بالمشيئة تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما
يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم
مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى
لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة
او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله
جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمبدأ الخطأ للمقسمين ومناط الاقسام
وتقرير له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون • وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا • كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله عم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عم وما
بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك
من الانبياء عم ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما فهم مما قبل اي جعلنا
لكل نبي عدوا ايضا دونك ويضادونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكايد
جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة
للانبياء عم بخلقه تعالى للابتلاء • شياطين الانس والجن • اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى البيانية
وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اي الشياطين
التي للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني
مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله • يوحي بعضهم
الى بعض • كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين والمشبه به او حال من الشياطين
او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله تعالى اذا انا لم انفع صديقي بوده فان
عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر • زخرف القول • اي المموه منه المزين ظاهره الباطل
باطنه من زخرفه اذا زينه • غرورا • مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل
يوحي اي يغرون غرورا • ولو شاء ربك • رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عم وبين قومه المفهومة
من حكاية ما جرى بين الانبياء عم وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم
المنبئة عن كمال اللطف في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة
المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى • ما فعلوه •
اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض زخرف الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة
لا بما يعمه وامور الانبياء عم كما قيل فان قوله تعالى • فذرهم وما يفترون • صريح في ان المراد بهم الكفرة
المعاصرون له عم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم
او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى
على الحكم البالغة البتة • ولتصغى اليه • اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوف
على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه
اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه • افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة • انما خص

بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره والاوطار فرغبة ما الشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها لا يدرون ورا تلك المكاره لذات وفي هذه الشهوات الا ما يعلمون بل ينظرون الى ما بين ايديهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل وممويهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه الكلام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور • وليرضوه • لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم • وليقترفوا • اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له • ما هم مقترفون • له من القبائح التي لا يليق ذكرها • افغير الله ابتغي حكما • كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه اي قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل قيل ان مشركي قريش قالوا للرسول اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عم لا الى المشركين كما في قوله افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى • وهو الذي انزل اليكم الكتاب • جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي النسبة الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب والتعبير عنه باسم الكتاب • مفصلا • اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى • والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق • كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده تعالى ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم واصلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر من التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه والباء في قوله بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق • فلا تكونن من الممترين • اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عم صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت

فلا

فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القرآن • وتمت كلمة ربك • شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك • صدقا وعدلا • مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى • لا مبدل لكلماته • اما مستأنف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى • وهو السميع • لكل ما يتعلق به • العليم • بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله تعالى بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها • وان تطع اكثر من في الارض • لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقايض تلك الكمالات من النقايص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشية من الجهل والكذب على الله تعالى ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما • يضلوك عن سبيل الله • عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده • ان يتبعون الا الظن • وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امورهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يضل غيره على سبيل بنفسه عنهم ضالون مضلون وقوله تعالى • وان هم الا يخرصون • عطف على الجملة داخل في حكمها اي يكذبون على الله فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة الى الله تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء وان لهم ذلك واذ ونه مناط التعبير وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين • ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين • تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومعناه يضل الله تعالى فالنصب بما ذكر من الفعل المقدر اي يعلم من يضل الله فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما اي الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضلله والجر باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير • فكلوا مما ذكر اسم الله عليه • امر مرتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تأكلوه مما قتلتموه انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه • ان كنتم بآياته • التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن • مؤمنين • فان الايمان بها

يقتضي استباحة ما احله الله تعالى والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه • وما لكم الا تأكلوا اي
ذكر اسم الله عليه • انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسمه تعالى من البحائر و
السوائب ونحوها وقوله تعالى • وقد فصل لكم • الخ جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تأكلوا مما ذكر عليه اسم الله عليه او واي غرض
يحملكم على ان لا تأكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم • ما حرم عليكم • بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي
محرما الآية فبقي ما عدى ذلك على الحل لا بقوله حرمت عليكم الميتة الآية لانها مدنية وانما التاخر في التلاوة لا يوجب التاخر
في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول • الا ما اضطررتم
اليه • مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ • وان كثيرا • اي من الكفار • ليضلون • الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام
كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون • باهوائهم • الزائغة وشهواتهم الباطلة • بغير علم • مقتبس من الشريعة
الشريفة مستند الى الوحي • ان ربك هو اعلم بالمعتدين • المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
• وذروا ظاهر الاثم وباطنه • اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في
الحوانيت واتخاذ الاخدان • ان الذين يكسبون الاثم • اي يكتسبونه من الظاهر والباطن • سيجزون بما
كانوا يقترفون • كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر • ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه • ظاهر في
تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه
لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رح بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر
عليه اسم غيره تعالى لقوله • وانه لفسق • فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل
عليه لا تأكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية • وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم • المراد بالشياطين ابليس وجنوده
فانهم يوحون وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه
يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام • ليجادلوكم • اي بالوساوس الشيطانية
او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة • وان اطعتموهم • في استحلال الحرام وساعدتموهم على باطلهم
• انكم لمشركون • ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثر عليه سبحانه
• او من كان ميتا • وقرئ ميتا على الاصل • فاحييناه • تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم
عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف
يعقل طاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي انتم مثلهم
ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة • وجعلنا له • مع ذلك من الخارج • نورا
عظيما • يمشي به • اي بسببه والجملة استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل
يمشي به • في الناس • اي فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له • كمن مثله • اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى
• في الظلمات • خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن والاولى قوله
تعالى • ليس بخارج منها • حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال من المستكن في الظرف
وقيل من الموصول اي وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به
من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان
يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من جهة
فان الفاظ المثل باقية ومعانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي
المثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة فشبهت بهما
الاوليان ونزلتا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى

ختم

ختم الله على قلوبهم الآية الى ان التمثيل قسم برأسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة
التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين
ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
• كذلك • اي مثل ذلك التزيين البليغ • زين • اي من جهة الله تعالى بطريق الخلق عند انجاء الشياطين او من
جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل • للكافرين • التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالزخرفة
التي يوحونها اليهم • ما كانوا يعملون • ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من
القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل
وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل • وكذلك • قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها
• في كل قرية • من سائر القرى • اكابر مجرميها ليمكروا فيها • ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني
والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد
والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى اريد
من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق
النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظايره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا
سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان
مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب
ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف
النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها
والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابر المجرمين اي
جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا
المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلعم وقوله تعالى • وما يمكرون الا بانفسهم • اعتراض على سبيل الوعد لرسول
والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم • وما يشعرون • حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود
الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون
بغيرهم وقوله تعالى • واذا جاءتهم آية • رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان
حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين
اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول عم • قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله • قال ابن عباس
حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري
مثله وهذا كما ترى صريح في انها علقوا ايمانهم بما اوتي الرسل عم هو اتيانهم برسول الله وما انزل اليه ايمانا
حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة
جبريل في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى • الله اعلم حيث يجعل رسالته • عن ظاهرها ويحمل على رسالة
جبريل عم بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها موضعها الذي هو الرسول لينال
كونه جوابا عن اقتراحهم ورد المراد بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى
الى الرسول حتى يأتينا جبريل عم بالذات عيانا كما يأتي الرسل فيخبرنا بالامر من الامور بذلك ومعنى الرد الله
اعلم من يليق بارسال جبريل اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من الاستحقاق لذلك التشريف وفيه
من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك

القدم

سال كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى
ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل
مجرد تصديقهم برسالته عم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه
غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي والنبوة مثل ما اوتي رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل
واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك
سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون
الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عم فيكون المعنى اذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن
بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا
اي لو كانت ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فليست بحق وما له تعليق الايمان
بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء
رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عم وحيث نصب على المفعولية توسعا لانتصاب اعلم لما عرفت
من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال
بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخصها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ
رسالاته • سيصيب الذين اجرموا • استيناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما
املوه والسين للتاكيد ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان اصابة ما يصيبهم باجرامهم المستتبع لجميع الشرور
والقبائح اي سيصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة • صغار •
اي ذلة وحقارة بعد كبرهم • عند الله • يوم القيمة وقرئ من عند الله • وعذاب شديد • في الآخرة او في الدنيا
• بما كانوا يمكرون • اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته • فمن يرد الله ان
يهديه • اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان • يشرح صدره للاسلام • فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله
في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال عم نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله • ومن يرد ان يضله • اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه
• يجعل صدره ضيقا حرجا • بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا
بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة • كانما يصعد • ما هذه هي المهيئة لدخول كان
على الجمل الفعلية • في السماء • شبهه به مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء
يمتنع منه ما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد • كذلك • اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر ضيقا حرجا
على الوجه المذكور • يجعل الله الرجس • اي العذاب او الخذلان وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس
اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة • على الذين لا يؤمنون • اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان
جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر • وهذا • اي البيان الذي جاء به القرآن
او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان • صراط ربك • اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته
التي اقتضتها الحكمة وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال • مستقيما •
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة • قد فصلنا الآيات •
بيناها مفصلة • لقوم يذكرون • يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان
او شرا فانما يحدث بقضائه وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين

بالذكر

بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات • لهم دار السلام • اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي الجنة
• عند ربهم • اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى • وهو وليهم • اي مولاهم وناصرهم
• بما كانوا يعملون • بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم • ويوم يحشرهم جميعا • منصوب
بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من
الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا • يا معشر الجن • اي ويوم نحشرهم نقول يا معشر الجن او ويوم نحشرهم
ونقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يسعه الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين
• قد استكثرتم من الانس • اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر
الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع • وقال اولياؤهم • اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى • من الانس •
اما لبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس
• ربنا استمتع بعضنا ببعض • اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا
اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع
الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم
• وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا • وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى
وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام
الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا • قال • استيناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال • النار مثواكم • اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان
دار السلام مثوى المؤمنين • خالدين فيها • حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا
• الا ما شاء الله • قال ابن عباس رضي الله عنهما استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي
وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير
فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم
وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين
فالاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده
• ان ربك حكيم • في افعاله • عليم • باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء • وكذلك • اي مثل ما سبق
من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم • نولي بعض الظالمين • من الانس • بعضا • آخر منهم اي نجعلهم بحيث
يتولونه بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه
من القبائح • بما كانوا يكسبون • بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي • يا معشر الجن والانس •
شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن
باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم • الم يأتكم • اي في الدنيا • رسل • اي من عند الله عز وجل لكن لا على
ان يأتي كل رسول كل واحدة من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت كل فريق منكم رسول
معين وقوله تعالى • منكم • متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس الفريقين
معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا
وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الآخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت
ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى • يقصون عليكم آياتي • صفة اخرى لرسل محققة لما هو
المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين • وينذرونكم • بما في تضاعيفها

من القوارع • لقاء يومكم هذا • يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة • قالوا •
استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا • شهدنا على
انفسنا • اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد
حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان
انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين
وقوله تعالى • وغرتهم الحيوة الدنيا • مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي
ارتكبوها والجائهم في الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنيا
واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب
المؤبد الذي انذروهم اياه • وشهدوا • في الآخرة • على انفسهم انهم كانوا • في الدنيا • كافرين • اي بالآيات
والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم
بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد
عليه • ذلك • اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • ان لم يكن ربك مهلك القرى • بحذف اللام على ان ان مصدرية
او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى • بظلم • متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او
بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما كونه حالا
من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها مأخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده
بقوله تعالى • واهلها غافلون • والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك
القرى بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينبهوا عليه وينهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به
بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما
امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى
وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التعريب في تعليله بانتفاء
مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته
سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم
يعذبهم بعذاب ما من غير انذار على ابلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي
التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى
واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب
الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي
على الانذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي
ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بموجب الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما
جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وجعل خبر المبتدأ محذوفا كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من
مقتضى المقام والله سبحانه اعلم • ولكل • اي من المكلفين من الثقلين • درجات • متفاوتة وطبقات متباينة
مما عملوا • من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان لكل جزاء مرتبة معينة
لهم او من اجل اعمالهم • وما ربك بغافل عما يعملون • فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب
او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة • وربك الغني • مبتدأ وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه

كان

كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما
في الثاني لكونه مع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول
الوعيد الآتي لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى • ذو الرحمة • خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف
تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد
لقوله تعالى • ان يشأ يذهبكم • اي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد
الوعيد ما لا يخفى • ويستخلف من بعدكم • اي من بعد اذهابكم • ما يشاء • من الخلق وايثار ما على من لاظهار
كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء • كما انشأكم من ذرية قوم آخرين • اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا
على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه
مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كانشائكم الخ او نعت لمصدر
الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطية استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة
ان ما توعدون • اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار التجددي • لآت • لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان
كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى • وما انتم بمعجزين •
اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان
بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل
على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما
حقق في موضعه • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم • اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين
ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم
والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم • اني عامل • ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال
الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله
بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التفصي عنه سبيلا
• فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار • سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن استفهامية
معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون بصلتها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب لسدها
مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما كون
محلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار الانصاف
في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي • انه • اي الشان
لا يفلح الظالمون • وضع الظالم موضع الكافر لانه ابدا ان لا يفلح كان من افراد الظلم
في ذلك الكفر الذي هو اعظم افراده • وجعلوا • شروع في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم واعمالهم
الشنيعة وهم مشركوا العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا
ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه لآلهتهم تركوه معتلين
بان الله تعالى غني وما ذاك الا لحبهم آلهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى مفعول واحد فاللام في قوله
لله متعلق به • مما ذرأ • متعلقان به ومن في قوله تعالى • من الحرث والانعام • بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم
حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اي لله تعالى كما قاله

من الحرث والانعام نصيبا • يصرفونه الى الضيفان والمساكين وتاخير من الحرث والانعام عن المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وانما الى مفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له و
قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله تعالى باعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا يدل على انهم جعلوا
لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى • فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا • وقرئ بضم الزاء وهو
لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشئ من الثواب كالتطوعات
التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به فان ذلك مستفاد
من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم
لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى • فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم • بيان وتفصيل له اي ما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى
من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف
اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسايك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك • ساء ما يحكمون
فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم
فيكون حكمهم مبتدا وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه • وكذلك • ومثل ذلك التزيين وهو تزيين
الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين • زين لكثير من
المشركين قتل اولادهم • بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم
كما حلف عبد المطلب وهو مشهور • شركاؤهم • اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف
والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا
بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل
من زين لهم قتل اولادهم فقيل زينه شركاؤهم • ليردوهم • اي يهلكوهم بالاغواء • وليلبسوا عليهم
دينهم • وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل
ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة • ولو شاء الله • اي عدم فعلهم ذلك • ما فعلوه
اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير
مجرى اسم الاشارة • فذرهم وما يفترون • الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالى حكما بالغة اي
فخل لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى • وقالوا • حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم
هذه • اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر • انعام وحرث حجر • اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح
يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر
بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر • لا يطعمها الا من نشاء • يعنون خدم
الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث • بزعمهم • متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة • وانعام • خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى
هذه انعام آه اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام • حرمت ظهورها • يعنون بها البحاير
والسوائب والحوامي • وانعام • اي وهذه انعام كما مر وقوله تعالى • لا يذكرون اسم الله عليها • صفة لانعام لكنه
غير واقع في كلامهم المحكي كنظايره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم
انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر
عليها اسم الله تعالى وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد
كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله تعالى عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا

تقدير

ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا • افتراء عليه • نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله واما على
عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر
المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار متعلق به • سيجزيهم بما كانوا
يفترون • اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى • وقالوا • حكاية لفن آخر من فنون كفرهم
ما في بطون هذه الانعام • يعنون به اجنة البحاير والسوائب • خالصة لذكورنا • حلال لهم خاصة والتاء
للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف
اي ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى • ومحرم على ازواجنا • اي جنس ازواجنا
وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا وعلى
المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم آه ونظايره واما العكس فقد قالوا انه
لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد • وان يكن ميتة • اي ان ولدت ميتة
اي الذكور • فهم • اي والاناث • فيه • اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى
فغلب الاول على الثاني • شركاء • ياكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على
صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان • سيجزيهم وصفهم
اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب • انه حكيم
عليم • تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة
قد خسر الذين قتلوا اولادهم • جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب
الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم • سفها بغير علم • متعلق بقتلوا على
علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى هو الرازق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء
او مصدر • وحرموا ما رزقهم الله • من البحاير والسوائب ونحوها • افتراء على الله • نصب على احد الوجوه
المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم • قد ضلوا • عن الطريق المستقيم
وما كانوا مهتدين • اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة
حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا • وهو الذي انشأ جنات معروشات • تمهيد لما سيأتي من تفصيل
احوال الانعام اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه • والمعروشات من الكروم المرفوعات
على ما يحملها • وغير معروشات • وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير
المعروشات ما نبت في البوادي والجبال • والنخل والزرع • عطف على جنات اي انشأهما • مختلفا اكله
وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه
او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة اذ ليس
كذلك وقت الانشاء • والزيتون والرمان • اي انشأهما وقوله تعالى • متشابها وغير متشابه • نصب
على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها • كلوا من ثمره • اي من ثمر كل
واحد من ذلك • اذا اثمر • وان لم يدرك ولم يبلغ بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق
الله تعالى • وآتوا حقه يوم حصاده • اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار
لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم
الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ يوم
حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه • ولا تسرفوا • اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة

فقرق ثمرها كلها ولم يدخل فيه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية • انه لا يحب المسرفين • اي لا
يرتضي اسرافهم • ومن الانعام حمولة وفرشا • شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في
شانها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشا ومتعلقه به اي وانشا من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما
يفرش للذبح او ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض
كانها فرش مفروش عليها • كلوا مما رزقكم الله • ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم
الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم • ولا تتبعوا • في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم
المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه • خطوات الشيطان • فان ذلك منهم باغواء
الشيطان واستتباعه اياهم • انه لكم عدو مبين • ظاهر العداوة • ثمانية ازواج • الزوج ما معه آخر من جنسه
يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وبهذا العدد وتمهيد لما سيتلوه من
الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وما في بطونها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما
وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا منها بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة
النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم بتفصيلها الى ثمانية
ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثانية الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة
الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم و
افترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله تعالى • من الضان اثنين •
بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشا من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان
على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة • ومن
المعز اثنين • عطف على مثله مشاركة له في حكمه اي وانشا من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو
جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها
في التفصيل مع تاخر اصليها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو
السر في الاقتصار على الاربعة في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه
في السائبة واخواتها • قل • تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشاها اي قل تبكيتا
لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب • آلذكرين • من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس • حرم • اي الله
عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم • ام الانثيين • وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو يحرم
عنهما بحجب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى • ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين • اي ام ما حملته
اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى • نبئوني بعلم • آه تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني
بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني ببينة ملتبسة
بعلم صادرة عنه • ان كنتم صادقين • اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى • ومن الابل اثنين • عطف على
قوله من الضان اثنين اي وانشا من الابل اثنين هما الجمل والناقة • ومن البقر اثنين • ذكرا وانثى • قل •
افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا • آلذكرين • منهما • حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين
من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل
ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم
كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه
وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار
مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال آلذكور حرم ام الاناث ام ما اشتملت عليه

قل

انعام

ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى • ام كنتم شهداء • آه تكرير لما
كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه
آخر اي بل اكنتم حاضرين مشاهدين • اذ وصاكم الله • اي حين وصاكم • بهذا • التحريم اذ انتم لا تؤمنون
بنبي فلا طريق لكم حسبما تقولون اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك
عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا • فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه اي فاي
فريق اظلم ممن افترى آه ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء
لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا
الاظلمية مما دون المساواة كما مر غير مرة • ليضل الناس • متعلق بالافتراء • بغير علم • متعلق بمحذوف وقع
حالا من فاعل افترى اي افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع
انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى
بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو
يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه • ان الله
لا يهدي القوم الظالمين • كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين
بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته • قل • امر لرسول الله صلعم بعد الزام المشركين وتبكيتهم و
بيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم وفي قوله تعالى
لا اجد فيما اوحي الي محرما • ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه ع م قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص
عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تفحصت
ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها • على طاعم • اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على
ازواجنا وقوله تعالى • يطعمه • لزيادة التقرير • الا ان يكون • اي ذلك الطعام • ميتة • وقرئ تكون
بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى • او دما مسفوحا • حينئذ عطف على ان
مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم الذي في العروق لا كالطحال والكبد • او لحم
خنزير فانه • رجس • اي الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث
او فسقا • عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته • اهل لغير الله به • صفة له موضحة اي ذبح على
اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون
والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون • فمن اضطر • اي اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من
الوجوه المضطرة • غير باغ • في ذلك على مضطر آخر مثله • ولا عاد • قدر الضرورة • فان ربك غفور رحيم •
مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لولا وجد القيد لتحققت
الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من ان يكون هو حراما من جهة اخرى
فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة
المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي
المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما
اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على
نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب • وعلى الذين هادوا • خاصة
لا على من عداهم من الاولين والآخرين • حرمنا كل ذي ظفر • اي كل ما له اصبع من الابل والسباع و

والظيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر
حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال ما تخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم
في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى
الامر الينا • ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما • لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى
والاضافة لزيادة الربط • الا ما حملت ظهورهما • استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم
او الحوايا • عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاويا كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة و
سفاين • او ما اختلط بعظم • عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل
شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها • ذلك • اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد
لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم • جزيناهم ببغيهم • بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير
حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة
على الامم فرد عليهم ذلك واكده بقوله تعالى • وانا لصادقون • اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد
القمهم الحجر بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية ربه
فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين
فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان • فان كذبوك • قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك
بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه
من ادعاء قدم التحريم • فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة • لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها
ولا يرد بأسه • بالكلية • عن القوم المجرمين • فلا تنكروا ما وقع منه من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا
وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة
على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم
مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف
يصرفه عنهم اصلا • سيقول الذين اشركوا • حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به
كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في انه من عند الله
تعالى • لو شاء الله ما اشركنا • اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء لما فعلنا الاشراك • نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء • ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا ترى الى قوله تعالى • كذلك كذب الذين من قبلهم • اي مثل ما
كذبت هؤلاء في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف اباؤنا
على الضمير للفصل بلا • حتى ذاقوا بأسنا • الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم • قل هل عندكم من علم • من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم • فتخرجوه لنا • اي فتظهروه لنا • ان تتبعون الا الظن • اي ما تتبعون
في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا • وان انتم الا تخرصون • تكذبون على الله عز وجل وليس فيه
دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي • قل فلله الحجة البالغة • الفاء جواب شرط
محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها
صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه • فلو شاء
هدايتكم جميعا • لهداكم اجمعين • بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين
هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم

قل

قل هلم شهداءكم • اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم
على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعلت وليس بشيء واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف
لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد
لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا • الذين يشهدون ان الله حرم
هذا • وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه
لا متمسك لهم كمن تقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة
لهم وبنصرة مذهبهم • فان شهدوا • بعدما حضروا بان الله تعالى حرم هذا • فلا تشهد معهم • اي فلا تصدقهم
فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة • ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا • من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله تعالى وعدل عنها
غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها • والذين لا يؤمنون بالآخرة • كعبدة
الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الماجد القرم
وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم فان من يكذب باياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس • وهم بربهم يعدلون •
اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب ايات الله تعالى و
بين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون
لها متصفون بكلها • قل تعالوا • لما ظهر بطلان ما ادعوا من اشراكهم واشراك ابائهم وتحريم ما حرموه بامره
تعالى ومشيته وظهر عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر التحريم
بعدما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه
على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد
الاية وتعالى امر من التعالي والاصل فيه ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما
ان الغنيمة في الاصل اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم في الفوز بكل
مطلب من غير مشقة • اتل • جواب الامر وقوله تعالى • ما حرم ربكم • منصوب به على ان ما موصولة والعائد
محذوف اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه او مصدرية اي الآيات المشتملة على تحريمه او يحرم على
انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل اقل اي شيء حرم ربكم • عليكم • متعلق
بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي
الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى • ان لا تشركوا به • مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما
حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده على الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورته كون المعطوف عليه تفسيرا
لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر في سلك العطف عليه
بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت هي به فان الامر
بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على
النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم
راجع الى الاضداد على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه قد
اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة
اليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر
ههنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم

وقيل من عائدها المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل وقيل والذي عليه التعويل هو الأول لأمور من جملتها أن في ذلك إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى **شيئا** نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئا من الإشراك أو شيئا من الأشياء **وبالوالدين** أي وأحسنوا بهما **إحسانا** وقد مر تحقيقه **ولا تقتلوا أولادكم** تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد **من إملاق** أي من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى **نحن نرزقكم وإياهم** استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزقكم وإياهم لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى **ولا تقربوا الفواحش** كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء هنا بصيغة الجمع قصدا إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى **ما ظهر منها وما بطن** أي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذاك وأد خفي ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله** أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى **إلا بالحق** استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة أو من أعم الأسباب أي لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلوها قتلا ما إلا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة **ذلكم** إشارة إلى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى **وصاكم به** أي أمركم به ربكم أمرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الأمور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى **لعلكم تعقلون** أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة **ولا تقربوا مال اليتيم** توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن أكله ولإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه **إلا بالتي هي أحسن** إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للأولياء والأوصياء لقوله تعالى **حتى يبلغ أشده** فإنه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه إليه كما في قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم والأشد جمع شدة كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وآصر وقيل هو مفرد كآنك **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** أي بالعدل والتسوية **لا نكلف نفسا إلا وسعها** إلا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإيذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم **وإذا قلتم** قولا في حكومة أو شهادة أو نحوهما **فاعدلوا** فيه **ولو كان** أي المقول له أو عليه **ذا قربى** أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا **وبعهد الله أوفوا** أي ما عهد إليكم من الأمور المعدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله عليه من الأيمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه **ذلكم** إشارة إلى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل **وصاكم به** أمركم به أمرا مؤكدا **لعلكم تذكرون** تتذكرون ما في تضاعيفه و

تعملون

وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات **وأن هذا صراطي** إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي قاله مقاتل وقيل إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى إضافته إلى ضميره عليه السلام انتسابه إليه عليه السلام من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الأوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام أيضا وأنه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى **مستقيما** حال مؤكدة ومحل أن مع ما في حيزها الجر على حذف لام العلة أي ولأن هذا صراطي أي مسلكي مستقيما **فاتبعوه** كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث إن سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق إلى الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله تعالى وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ وأن هذا بالتخفيف من أن على أن اسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف وقرئ سراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك **ولا تتبعوا السبل** الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات **فتفرق بكم** بحذف إحدى التاءين والباء للتعدية أي فتفرقكم حسب تفرقها أيادي سبا فهو كما ترى أبلغ من تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغ من أذهبه **عن سبيله** أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذي هو أخص أحكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى **ذلكم** إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل **وصاكم به لعلكم تتقون** اتباع سبل الكفر والضلالة **ثم آتينا موسى الكتاب** كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى أولم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ وإنما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما أجمع عليه الجمهور مما لا يليق بجزالة النظم الكريم وثم للتراخي في الإخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة فإن إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها أعظم من التوصية بها فقط **تماما** للكرامة والنعمة أي إتماما لهما على أنه مصدر من أتم بحذف الزوائد **على الذي أحسن** أي على من أحسن القيام به كائنا من كان ويؤيده أنه قرئ على الذين أحسنوا وتماما على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما على ما أحسنه موسى عليه السلام أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب **وتفصيلا لكل شيء** وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما إما على العلية أو على المصدرية كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى **وهدى ورحمة** وضمير **لعلهم** لبني إسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى عليه السلام وإيتاء الكتاب والباء في قوله تعالى **بلقاء ربهم** متعلق بقوله تعالى **يؤمنون** قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب **وهذا** الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن **كتاب** عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى **أنزلناه مبارك** أي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو صفتان أخريان لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت

عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب في نفسه وكونه منزلا
من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية يوجب اتباعه اي ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون
بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين
العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اي انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم تنزله
انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود
والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الذي اشتهر فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام
المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم بذلك
دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافي عموم احكامه فلم لم تعملوا باحكامه العامة اي وانه كنا عن دراستهم
لغافلين لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها وان لم يكن
منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة
لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القران لاشتماله ايضا عليها لا على سائر الشرائع والاحكام فقط
او تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب
كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق الذي هو المقصد الاقصى او الى ما في تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع
ودقائقها لحدة اذهاننا ونقاوة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاخبار والخطب والاشعار
ونحو ذلك طرا فاصلا ونحن اميون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة اما معلل به اي
لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين
على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واي بينة اي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى
من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اي بينة كائنة منه تعالى وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافي كما
ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب
الاتباع وهدى ورحمة عطف على بينة وتنوينهما تفخيمي عبر عن القران بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته
ثم بالهدى والرحمة تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة
فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القران المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية اظلمية من
يكذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بايات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات
تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بايات الله تهويلا للامر
وتنبيها على ان تكذيب اي اية كانت من ايات الله تعالى كاف في الاظلمية فما ظنك بتكذيب القران المنطوي على الكل والمعنى انكار
ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين
يصدفون الناس عن اياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول
موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اي العذاب السيئ الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اي بسبب
ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في
حيز الصلة هل ينظرون استئناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا
يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الايات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة
له اصلا مبالغة في التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك
حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل

عليه

عليه ملك ونحو ذلك او الا ان ياتيهم ملائكة العذاب او ياتي امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل
كما سيجيء وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي او ياتي بعض ايات ربك اي غير ما ذكر كما
اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الايات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير
عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الايات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك
واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل اية يعني
ايات القيمة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض اياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي
الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من
مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان
هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الايات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهر احتيج الى حمل الانتظار
على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة التي
لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسياقه المنبئ عن تماديهم
في تكذيب ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعي
ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان يكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم
كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سياتي من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون
واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل ايات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر
وفاجر واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به
باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الايات في قوله تعالى يوم ياتي بعض ايات ربك على ما يعم مقترحاتهم
وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول
فيتم التقريب عند وقوعها بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فان
امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد
محذوف اي لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها ح لانكشاف الحال [illegible] ومدار قبول
الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء لاكتساب
الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن امنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الايات
صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتمال الصفة على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبي منه لاشتراكهما في العامل
وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت والمراد بالترديد على النفي المفيد لكفاية احد النفيين في
عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمت ايمانها ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورة
اشتراط النفع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تكرارا بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل في ذلك

قطعاً فيكون ذكره بقصد وبيان ما يوجب الخلود ولغو من الكلام حينئذ لغو من الكلام مبني على توهم ان المقصود تعريف
بالعدميين المذكورين بخروج بيان ايجابهما الخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في النجاة عنه وليس كذلك والا لكفى
في البيان ان يقال لا ينفع نفساً ايمانها الحادث بل المقصود الاصلي من وصفها بذينك العدميين والاتيان ببيان عدم
نفع الايمان الحادث لتحقيق ان موجب النفع عليهما اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه مما ذكر من الطريقة والترغيب
في تحصيلها في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال لما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فليغو
ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل في ايجاب الخلاص عنها فيكون في ذكره لغو الما الخ فليس مع الفارق كيف لا
والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد والعلل واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان
وبعضها على فروعه المتفاوتة كماً وكيفاً والكلام يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق
مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلاً اعني الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضاً ارشاداً الى تحري
الاعلى وتنبيهاً على كفاية الادنى واقناطاً للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر
من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقري الاضياف وغير ذلك مما هو
من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم وحده لا ينفعهم
بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولكن ان تعلل المقصود بوصف النفس بما ذكر من العدميين التعريض بحال
الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطاً بالآخر كما في قوله
فلا صدق ولا صلى تسجيلاً بكمال طغيانهم وايذاناً بتضاعف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع
في حق المواخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الآية
الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي
لا ينفع نفساً ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري
ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه
اياه كما مر في تفسير قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً فانه قد طوى في المفصل ذكر حشر
المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين امنوا الآية ولا ريب في ان ما قدر ههنا ليس مما يستدعيه
قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيراً ولا هو من مقتضيات المقام فانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الآيات
كالايمان حتى ترد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم
بقاء على السلامة وزمانا يتاتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب
عن الاستدلال بوجوه اخر قصارى امرها اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية
الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من
ان الظني بمعزل من معارضة القطعي • قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد • انتظروا • ما تنتظرونه
من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون • انا منتظرون • لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة
وفيه تاييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملئكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة اعلم من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم
بدر والله سبحانه اعلم • ان الذين فرقوا دينهم • استيناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان احوال المشركين
اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان بالاخذ
ببعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له • وكانوا شيعاً • اي فرقاً تشيع كل فرقة اماماً لها قال عليه السلام افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية

الا

ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع

الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق
من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب خلودهم
ومعنى قوله تعالى • لست منهم في شيء • لست من البحث في تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة و
المواخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعار الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه
فيكون منسوخاً باية السيف وقوله تعالى • انما امرهم الى الله • تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم و
آخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يواخذهم في الدنيا متى شاء ويامر بقتالهم اذا اراد وقيل هم
المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مامور بمواخذتهم والاعتذار بان معنى
لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور • ثم ينبئهم
اي يوم القيمة • بما كانوا يفعلون • عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم
تنبيهاً على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم
اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى • من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها • استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم
بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات
اي من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها فضلاً من الله تعالى
وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير
حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص • ومن جاء بالسيئة • اي بالاعمال السيئة
كائناً من كان من العاملين • فلا يجزى الا مثلها • بحكم الوعد واحدة بواحدة • وهم لا يظلمون • بنقص الثواب
وزيادة العقاب • قل انني هداني ربي • امر رسول الله عليه السلام بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون
انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق
والانفس من الآيات التكوينية • الى صراط مستقيم • موصل الى الحق وقوله تعالى • ديناً • بدل من الى صراط
فان محله النصب كما في قوله ويهديك صراطاً مستقيماً او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور • قيماً • مصدر
نعت به مبالغة والقياس قوماً كعوض فاعل كاعلال فعله كالقيام وقرئ قيماً وهو فيعل من قام كسيد من ساد
وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة • ملة ابرهيم • عطف بيان لديناً
حنيفاً • حال من ابرهيم اي مائلاً عن الاديان الباطلة وقوله تعالى • وما كان من المشركين • اعتراض مقرر
لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلاً وفرعاً صرح بذلك ردا
على الذين يدعون انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين
بقولهم المسيح ابن الله • قل ان صلوتي ونسكي • اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق
باصولها اي عبادتي كلها وقيل ذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي
وحجي • ومحياي ومماتي • اي وما انا عليه في حياتي واكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات
الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له • خالصة له لا اشرك فيها غيره • وبذلك • اشارة الى الاخلاص وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص • امرت • لا بشيء غيره و
قوله تعالى • وانا اول المسلمين • لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام
بل الكل مامورون به ويقتدي به عليه السلام من اسلم منهم • قل اغير الله ابغي رباً • آخر فاشركه في العبادة • وهو

رب كل شيء • جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية
ولا تكسب كل نفس الا عليها • كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم
من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس
من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى تتاتى ما ذكرتم وقوله تعالى • ولا تزر وازرة
وزر اخرى • رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم • ثم الى ربكم مرجعكم • تلوين
للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة • فينبئكم • يومئذ
بما كنتم فيه تختلفون • ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل • وهو الذي جعلكم خلائف الارض • حيث
خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام
ورفع بعضكم • في الشرف والغنى • فوق بعض درجات • كثيرة متفاوتة • ليبلوكم فيما اتاكم • من المال والجاه
اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ما تعملون من الشكر وضده • ان ربك • تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مع اضافة اسم الرب الى ضميره عم لابراز مزيد اللطف به عم • سريع العقاب • اي عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع
حقوق ما اتاه الله ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات
وانه لغفور رحيم • لمن رعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا
باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة
بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون
الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة
الانعام يوما وليلة والله اعلم

المص • اما مسرود على نمط التعديد باحد
الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
والتقدير هذا المص اي مسمى به والتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور
لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم
الحاضر المشاهد وقوله تعالى • كتاب • على الوجه الاول خبر مبتدا محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف
من جنس هذه الحروف مراد به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس
المؤلف اي هذا الكتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر جيء به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه بانه
لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة وقد جوز كونه فردا من افراد الكتب
الالهية خبرا والمص مبتدا اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون
قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها • انزل اليك • اي من
جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه
وهو السر في ترك ذكر مبدا الانزال كما في قوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب
مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل • فلا يكن في
صدرك حرج • اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان
الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عم عن نسبة الشك اليه
ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤه اياه عم وما قد وقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريق
التهييج والالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره
عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى • منه • متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق

صدره او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك ما في حقيته او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده
تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين
به قطعا واما على الثاني فهي لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه
السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عم عن الشك فيما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي عنه عن
المنهي واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عم سبب لاتصافه عم به والنهي عن السبب نهي عن المسبب
بالطريق البرهاني ونفي له من اصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا
فان النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المال نهيه عم عن تعاطي ما يورث الحرج فتامل
وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام
كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة
بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا
وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى • لتنذر به • اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض
توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي
فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عند الله تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم والعلم بانه موفق
للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاول لان تعليق النهي عن الشك بما ذكر من الانذار
والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عم مشعر بان المنهي عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى فوات
الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك معظم غايته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتاتى
التعليل بالانذار لا بالتذكير للمؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى • وذكرى للمؤمنين
في حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر اي للانذار
والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار
بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام • اتبعوا ما انزل اليكم • كلام
مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار
والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عم اثر ذكر ما يصحح من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب اتباعه
وقوله تعالى • من ربكم • متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من
ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في
الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل هنا عاما للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق
الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزله الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر بذلك بالنهي عن اتباع غيره
تعالى فقيل • ولا تتبعوا من دونه • اي من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه
حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى • اولياء • من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما
يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة
او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول
على حذف المضاف في اولياء ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم
دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى • قليلا ما تذكرون •
بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ
يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نعت اما لما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك
محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك

ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون
والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في
عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل
لا تتبعوا او ما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما
في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين
المنكرين • وكم من قرية اهلكناها • شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى
واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها
ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثيرا من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها •
فجاءها • اي جاء اهلها • باسنا • اي عذابنا • بياتا • مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط
او هم قائلون • عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال
المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة
افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة
مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم • فما كان دعواهم • اي دعاؤهم
واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم • اذ جاءهم باسنا • عذابنا وعاينوا اماراته
الا ان قالوا • جميعا • انا كنا ظالمين • اي الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا
عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة • فلنسئلن الذين ارسل اليهم • بيان لعذابهم الاخروي
اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في التهويل والفاء
لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اي لنسئلن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم
المرسلين • ولنسئلن المرسلين • عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ
الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
والثاني في موقف العقاب • فلنقصن عليهم • اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او
عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه • بعلم • اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم • وما كنا غائبين
عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها • والوزن • اي وزن
الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء وقوله تعالى • يومئذ • خبره وقوله تعالى
الحق • صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقصص وقيل خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن
فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها
السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب
ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا
الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي
عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي
والحكم العدل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا
المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير

اعمال

اعمال العباد ولا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان
الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في
الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم
لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق
من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم
المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل المكلف يوم
القيمة اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بمقادير الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا يسلم حينئذ
ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك
الوجه فما الفائدة اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ وتظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها و
احوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى
لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشأة بصورته
الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله اعلم • فمن ثقلت موازينه • تفصيل للاحكام المترتبة
على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ماله وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان
احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله التي لها قدر وزنة و
عن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات ان يخف • فاولئك •
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما افراد
موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف
هم المفلحون • الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم
الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم
ومن خفت موازينه • اي موازين اعماله او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة
فاولئك • اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره وهم
مبتدأ خبره • الذين خسروا انفسهم • اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ادت بالآيات
البينة وقوله تعالى • بما كانوا بآياتنا يظلمون • متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على
تضمين معنى التكذيب وتقديم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار
الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بتلك الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا
ظالمين • ولقد مكناكم في الارض • لما امر سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره
وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم
الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها
واقدرناكم على التصرف فيها • وجعلنا لكم فيها معايش • جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم
والمشارب وغيرهما او ما يتوصل به الى ذلك والوجه في قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له
بصحائف وقد ابين والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا
تعيشون بها وكل من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة
له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التاخر عنه اما لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر

فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبيا عن منفعة للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبي عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة معتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اى لتلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه على ما مر في تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية الى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع قبله من نعمة التمكين في الارض اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم ساريا اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما ينطق به قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي لما ان عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة تقتضيها المقامات ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القي الى الملائكة اولا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين

والله تعالى

والله تعالى اعلم فسجدوا اى الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في السجود ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين اى ممن سجد لآدم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشا من حكاية عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك ان لا تكون مع الساجدين وفي سورة ص يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا بين الاستلزام لمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شان هذا الاجس ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله تعالى لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اى بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف فاهبط منها ترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اى فاهبط من الجنة والاضمار قبل الذكر لشهرة كونه من سكانها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما انه كان في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد به الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اى فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها اى في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين

بتقبيل الامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضي الله عنه
من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض · قال · استيناف
كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال · انظرني · اي
اي امهلني ولا تمتني · الى يوم يبعثون · اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين
بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثارة وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث · قال · استيناف كما سلف
انك من المنظرين · وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم
في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا
لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه
الحكمة التكوينية الى وقت فناء الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول
وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وفي سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله تعالى رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره
ابتلاء العباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي لعين عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي
وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام
الواحد المحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه
هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار
اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن
والطرد على نهج الاستدعاء بحيث في مقابلة الكفر هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي
هنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لكل
من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب
الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين ووفى كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي
جميعا حظه واما هنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز
والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل واحد منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلا للكلام
على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله
الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء
المقام ولا يقدح في اصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا
ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات
لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما واما عدم
مطابقته لمقتضى الحال فمنشاؤه الغفلة عما يوجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو ملاك الحكاية واما
مقام وقوع المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين فيهما لما كان مقتضيا لبسط
الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية
الايجاز روعي جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يهمه الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد
وسائر الخواص والمزايا التي تقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زايدا
يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب الغبي وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات
الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع اقتضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك
بوجوب مراعاته مع تحليته الكلام بمزايا اخر يرتقي بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفى حق مقام وقوع المحكي في السورتين

الكلام متين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به · قال · استيناف كما سلف · فبما اغويتني · الباء للقسم
كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى
فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون
الجملة على الانظار وما مصدرية اي فاقسم باغوائك اياي · لاقعدن لهم · او للسببية على ان الباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اي فبسبب اغوائك
اياي لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة
صراطك المستقيم · الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية
كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم · اي من الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو
منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق
والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن
شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا
لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما
متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه
ولا تجد اكثرهم شاكرين · اي مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم
مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة · قال · استيناف كما سلف مرارا
اخرج منها · اي من الجنة او من السماء او من بين الملائكة · مذؤوما · اي مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ
مذوما كمسول في مسؤول او كملوم في مكيل من ذامه يذيمه ذيما · مدحورا · مطرودا · لمن تبعك منهم
اللام موطئة للقسم وجوابه · لاملأن جهنم منكم اجمعين · وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك
بكسر اللام على ان خبره لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد وعليه لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى
منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب · ويا آدم · اي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء
للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور
اسكن انت وزوجك الجنة · هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون
الذي هو ضد الحركة وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى · فكلا من حيث شئتما
لبيان المراد ههنا كما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما ان ذلك كان جامع الترتيب وقوله
من حيث شئتما في معنى حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم
التشريف والايذان بتساويهما في مباشرة المامور به فان حوا اسوة له في حق الاكل بخلاف السكنى فانها
تابعة له ولتعليق النهي بهما صرح به في قوله تعالى · ولا تقربا هذه الشجرة · وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره
على ذيا والهاء بدل من الياء · فتكونا من الظالمين · اما جزم على العطف او نصب على الجواب · فوسوس
لهما الشيطان · اي فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة · ليبدي لهما
اي ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما
بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع · ما ووري
عنهما من سوآتهما · ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما قلب

الواو المضمومة بهمزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان
ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي عن اكلها الا ان تكونا ملكين اي الا كراهية ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملئكة لما ان من المعلوم ان حقايق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملئكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة و
ذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما وصيغة
المبالغة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم
فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها
اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما فظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان
الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق من افعال الشروع
والتلبس كاخذ وجعل وانشاء وعلق وهب وانبرى اي اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من
ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف
اصله يختصفان ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم
انهكما وهو تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب او معمول لقول محذوف اي وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما
الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي نهي عن قربانها واقل لكما عطف على
انهكما اي الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان
الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف
هو حال من عدو ولم يحك هذا القول ههنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الاية روي
انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان
احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم
صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا
اي ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر
ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات
قال استيناف كما مر مرارا اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا لهما
ليعلم انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهم متفرقا كقوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر ههنا قبول توبتهما
اكتفاء بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين ولكم في الارض مستقر
اي استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع وانتفاع الى حين وهو حين انقضاء آجالكم قال
اعيد الاستيناف اما للايذان ببعد ما بينهما في الزمان كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى ءاسجد لمن
خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون
اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايراد لهم
بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره
وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا

من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل [illegible]

ما ظننت ان احدا من خلقك
يحلف بك

اي خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف
بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال
وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اي تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى
اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير
او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به
وايراده بهذا العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم
من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز
ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في
حقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله
تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم
من لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم
ايانا من حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جعل
قبيله من جملة مجمع اولياء للذين لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم
وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير
اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة
المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة
الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله
امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان بان آباءهم انما كانوا
يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فح يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم بقوله تعالى
قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه
الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
بخلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى اذ كان منكرا مع ان بعضهم
يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم تعلم صدوره عنه اليه تعالى
اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه تعالى اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط
بيان للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء
المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين
الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلوة او
في اي مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه

مخلصين له الدين • اى الطاعة فان مصيركم اليه بالاخرة • كما بدأكم • اى انشأكم ابتداء • تعودون
اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم • فريقا هدى •
بان وفقهم للايمان • وفريقا حق عليهم الضلالة • بمقتضى القضاء السابق التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة
وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى وخذل فريقا • انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله •
تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم • ويحسبون انهم مهتدون • فيه دلالة على ان الكافر المخطى والمعاند سواء
فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر • يا بنى ادم خذوا زينتكم • اى ثيابكم لمواراة عورتكم
عند كل مسجد • اى طواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر
العورة فى الصلوة • وكلوا واشربوا • مما طاب لكم روى ان بنى عامر كانوا فى ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا
ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت • ولا تسرفوا • بتحريم الحلال او بالتعدى
الى الحرام او بالافراط فى الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين • اى لا يرتضى فعلهم • قل من حرم زينة الله • من الثياب وسائر ما يتجمل به • التى اخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع • والطيبات من الرزق •
اى المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان
الاستفهام فى من للانكار • قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا • بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة • لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر • كذلك
نفصل الآيات لقوم يعلمون • اى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما فى تضاعيفها من المعانى
الرائقة • قل انما حرم ربى الفواحش • اى ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج • ما ظهر منها
وما بطن • بدل من الفواحش اى جهرها وسرها • والاثم • اى ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب
الخمر • والبغى • اى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة فى الزجر عنه • بغير الحق • متعلق بالبغى مؤكد له معنى
وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا • تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان • وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون • بالالحاد فى صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه
تعالى ما لا يعلمون وقوعه لا ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره • ولكل امة • من الامم المهلكة • اجل • حد
معين من الزمان مضروب لمهلكهم • فاذا جاء اجلهم • ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل
مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل
بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء آجالهم بان يجئ كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها
وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة
اكمل التمييز اى اذا جاءها اجلها الخاص بها • لا يستاخرون • عن ذلك الاجل • ساعة • اى شيئا
قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم
وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له • ولا يستقدمون • اى ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون
لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه كالتاخر بل للمبالغة فى انتفاء التاخر بنظمه فى سلك المستحيل
عقلا كما فى قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم فى عدم القبول فى
سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجئ الدنو

بحيث يمكن التقدم فى الجملة كمجئ اليوم الذى ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما
ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من تقديم
السبق فى الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق • يا بنى ادم • تلوين للخطاب وتوجيه له
الى كافة الناس اهتماما بشأن ما فى حيزه • اما ياتينكم • هى ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت
فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا • رسل منكم • الجار والمجرور
بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنون من جنسكم وقوله تعالى • يقصون عليكم آياتى • صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم
الاحكام والشرائع وقوله تعالى • فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • جملة شرطية وقعت جوابا للشرط
اى فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى • والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون • اى والذين كذبوا منكم باياتنا وايراد الاتقاء فى الاول للايذان بان مدار
الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى
للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته • اى تقول عليه تعالى
ما لم يقله او كذب ما قاله اى هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا • اولئك • اشارة الى الموصول والجمع
باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتمادیهم فى سوء الحال اى اولئك
الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب • ينالهم نصيبهم من الكتاب • اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه وايا ما كان فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اى ينالهم
نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس كتب لمن يفترى
على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى • حتى اذا جاءتهم
رسلنا • اى ملك الموت واعوانه • يتوفونهم • اى حال كونهم متوفين لارواحهم يؤيد الاول فان حتى
وان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين وفاتهم
اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان ياتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم • قالوا • لهم • اينما كنتم تدعون من دون
الله • اى اين الالهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا وما وقعت موصولة باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة • قالوا • استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل
قالوا • ضلوا عنا • اى غابوا عنا اى لا ندرى مكانهم • وشهدوا على انفسهم • عطف على قالوا اى اعترفوا
على انفسهم • انهم كانوا • اى فى الدنيا • كافرين • عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله
وضلاله ولعله اريد بوقت مجئ الرسل وحال التوفى الزمان الممتد من ابتداء المجئ والتوفى الى انتهائه يوم الجزاء
بناء على تحقق المجئ والتوفى فى كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما فى اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة
وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبئ عنه قوله عم من مات فقد قامت قيامته والا
فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول
انما يكون بعد البعث لا محالة • قال • اى الله عز وجل يوم القيمة بالذات او بواسطة الملك • ادخلوا فى امم
قد خلت من قبلكم • اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم • من الجن والانس • يعنى كفار الامم الماضية
من النوعين • فى النار • متعلق بقوله ادخلوا • كلما دخلت امة • من الامم السابقة واللاحقة فيها • لعنت
اختها • التى ضلت بالاقتداء بها • حتى اذا اداركوا فيها جميعا • اى تداركوا وتلاحقوا فى النار • قالت
اخراهم • دخولا او منزلة وهم الاتباع • لاوليهم • اى لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم • ربنا هؤلاء
اضلونا • سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم • فآتهم عذابا ضعفا • اى مضاعفا • من النار • لانهم ضلوا

واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون اي ما لكم او ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي مخاطبين لاخراهم
حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود والمضاعف بما كنتم
تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا باياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اي عن الايمان
بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو
شان ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف
وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وبالياء على انه لله تعالى ولا
يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو
ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في سم الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل
كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي
المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم
والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء
الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا
بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار
للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين امنوا اي باياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الايات
دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة التي شرعت بالايات وهذا بمقابلة استكبروا
عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك
اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس
واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدا الاول الذي
هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد مرتبتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون
حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او
خبر ثان لاولئك على راي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي
نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه وتقرره
وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة
في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف
او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا اي لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها
لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول
نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ
ما كنا لنهتدي اه بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه
تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عم والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية
فهي متعلقة بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاءوا بالحق او لقد جاءوا

ملتبسا

ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة عم ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في النداء من معنى القول
او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد
واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون
في الدنيا من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى
الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل
الثاني اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم
وعدا كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم
قالوا نعم اي وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم
اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ
ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين
او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد
شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم
بالاخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين
الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره رجال
طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا
من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله
اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة
ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار
بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل
يدخلوها اي نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في وقت عدم
الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق
انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق
الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار
بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف
كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب
النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى
ما اغنى عنكم ما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال
وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو
الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال او الجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا

ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال • ادخلوا الجنة • تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفكم • لا خوف
عليكم • بعد هذا • ولا انتم تحزنون • او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا
احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين في العمل
لان هذه المقالات وما تفرع عليه من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار
اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الآية وقرئ ادخلوا
ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار • ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وفيه
دلالة على ان الجنة فوق النار • او مما رزقكم الله • من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان
الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة • قالوا • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
ان الله حرمهما على الكافرين • اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا • الذين اتخذوا دينهم
لهوا ولعبا • كتحريم البحيرة والسائبة وكالمكاء والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف
اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب • وغرتهم الحيوة الدنيا • بزخارفها العاجلة • فاليوم ننساهم
نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا والفاء
في فاليوم فصيحة وقوله تعالى • كما نسوا لقاء يومهم هذا • في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا
مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى • وما كانوا باياتنا يجحدون •
عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا • ولقد جئناهم بكتاب فصلناه • اي
بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب
هو القران • على علم • حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم
كثير وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بفضله • هدى ورحمة • حال من المفعول • لقوم يؤمنون •
لانهم المنتفعون باثاره المقتبسون من انواره • هل ينظرون الا تاويله • اي ما ينتظرون الكفرة بعدم ايمانهم
به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد • يوم ياتي تاويله • وهو يوم القيمة
يقول الذين نسوه من قبل • اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تاويله • قد جاءت رسل ربنا بالحق • اي قد
تبين انهم قد جاءوا بالحق • فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا • اليوم ويدفعوا عنا العذاب • او نرد • اي
هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما
الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد
فنعمل • بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع على فنحن نعمل • غير الذي كنا نعمل • اي في الدنيا
قد خسروا انفسهم • بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي • وضل عنهم ما كانوا يفترون • اي ظهر
بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة • ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام • شرع في بيان مبدا الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام
العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم
زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور • ثم استوى على العرش • اي استوى امره واستولى وعن اصحابنا
ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه

وقيل

وقيل الملك • يغشي الليل النهار • اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ
بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار • يطلبه حثيثا • اي يعقبه سريعا كالطالب
له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او من المفعول بمعنى
حاثا او محثوثا • والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره • اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه
وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر • الا له الخلق والامر • فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق
تبارك الله رب العالمين • اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية الكريمة
والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار
اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة
والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى في يومين اي ما في جهة
السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى
خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع
اليومين الاولين كما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره
فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة
التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين
فقال • ادعوا ربكم • الذي قد عرفتم شؤونه الجليلة • تضرعا وخفية • اي ذوي تضرع وخفية فان
الاخفاء دليل الاخلاص • انه لا يحب المعتدين • اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء
فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة
الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون
قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل
اعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا في الارض
بالكفر والمعاصي • بعد اصلاحها • ببعث الانبياء وشرع الاحكام • وادعوه خوفا وطمعا • اي ذوي
خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه • ان رحمة
الله قريب من المحسنين • في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير
قريب لان الرحمة بمعنى الترحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول
او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتساب
التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه • وهو الذي يرسل الرياح
عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح • بشرا • تخفيف بشر جمع بشير وقرئ بفتح الباء على انه مصدر
بشره بمعنى بشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور بمعنى ناشر ونشرا على انه مصدر
في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان • بين يدي رحمته •
قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تذره والدبور تفرقه
حتى اذا اقلت • اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله • سحابا ثقالا • بالماء جمعه
لان السحاب بمعنى السحائب • سقناه • اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ • لبلد ميت • اي لاجله ولمنفعته
او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت • فانزلنا به الماء • اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك
بتاويل المذكور وكذلك قوله تعالى • فاخرجنا به • ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان

للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية ● من كل الثمرات ● اي من كل
انواعها ● كذلك نخرج الموتى ● الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد
ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس ● لعلكم تذكرون ● بطرح احدى التائين اي تتذكرون فتعلمون
ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة ● والبلد الطيب ● اي الارض الكريمة التربة ● يخرج نباته
باذن ربه ● بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله تعالى
والذي خبث ● من البلاد كالسبخة والحرة ● لا يخرج الا نكدا ● قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير
والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج
الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف ● كذلك ● اي مثل
ذلك التصريف البديع ● نصرف الآيات ● اي نرددها ونكررها ● لقوم يشكرون ● نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها
ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين
المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية
بطريق الاستئناف فقيل ● لقد ارسلنا نوحا الى قومه ● وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا آه واطراد
استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد
الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس بعث عم
على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة
وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو
قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة
● فقال يا قوم اعبدوا الله ● اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة
بالاشراك فليست من العبادة في شيء وقوله تعالى ● ما لكم من اله غيره ● اي من مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة
المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر
باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في
الدار من احد الا زيدا او غير زيد ومن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم
في الوجود او في العالم اله غير الله ● اني اخاف عليكم ● ان لم تعبدوه حسبما امرت به ● عذاب يوم عظيم ●
هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي
اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار ● قال الملا من قومه ● استئناف مبني على سؤال
نشا من حكاية قوله عم كانه قيل فماذا قالوا له عم في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين
يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم ● انا لنراك في ضلال ●
اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف ● مبين ● بين كونه ضلالا
● قال ● استئناف كما سبق ● يا قوم ● ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ● ليس بي ضلالة ● اي شيء
من الضلال قصده عم بحقيق الحق نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عم حيث جعلوه
مستغرقا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ● ولكني رسول من رب العالمين ● استدراك مما قبله
باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي
شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول
مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين

ابلغكم

ابلغكم رسالات ربي ● استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى
لرسول على طريقة انا الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى بهم
بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى لهم من موجبات
امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته تعالى اليهم ● وانصح لكم ● عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة
وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة
المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى
واعلم من الله ما لا تعلمون ● عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عم اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه
من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان باسه لا يرد
عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا
يعلمون ما علمه نوح عم بالوحي ● او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم ● جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم
انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة للانكار
والواو للعطف على علية الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة من مالك
اموركم ومربيكم ● على رجل منكم ● اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم
لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملائكة ● لينذركم ● علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا ● عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ● ولعلكم ترحمون ● عطف على العلة الثانية مترتبة عليها
اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب
للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله عز وجل
فكذبوه ● فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه
واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عم عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا
حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب
فانجيناه والذين معه ● من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة ابناؤه الثلاثة
وستة ممن آمن به وقوله تعالى ● في الفلك ● متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك
او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره
في الظرف ● واغرقنا الذين كذبوا باياتنا ● اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملا المتصدين للجواب
فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به
والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم ● انهم كانوا
قوما عمين ● عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ
عامين والاول ادل على الثبات والقرار ● والى عاد ● متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح
وهو الناصب لقوله تعالى ● اخاهم ● اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم
يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى لا
ما كان فلعل تقديم المجرور هيهنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر يرشدك الى ذلك ما سيأتي
من قوله تعالى ولوطا آه فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عم مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود
ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عم وبين القصص الثلاث وقوله تعالى ● هودا ● عطف بيان لاخاهم
وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عم وقيل هود بن شالخ

ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب
الى اتباعه • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ارساله اليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال • يا قوم
اعبدوا الله • اي وحده كما يعرب عنه قوله • ما لكم من اله غيره • فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها
شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه • افلا تتقون • انكار
واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح عليه السلام والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي لا تتفكرون او لا تعقلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او تغفلون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على
المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفي بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته
في موطن اخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم
يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائره في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله تعالى
اعلم • قال الملأ الذين كفروا من قومه • استئناف كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ
قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم • انا لنراك في سفاهة
اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون • وانا لنظنك من
الكاذبين • فيما ادعيت من الرسالة قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح • قال • مستعطفا لهم
ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء • يا قوم ليس بي سفاهة
اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها • ولكني رسول من رب العالمين • استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه
ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين
موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبوني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب
اكتفاء بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله • ابلغكم رسالات ربي • استئناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها
وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات
كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ • وانا لكم ناصح امين • معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس
بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة
او الكذب • اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم • الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام • على رجل منكم • اي من
جنسكم • لينذركم • ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب وفي اجابة
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من شافههم بما لا خير فيه من اباطيل بمثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات
الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرافة من الدلالة على حيازتهم القدر المعلى من مكارم
الاخلاق ما لا يخفى مكانه • واذكروا اذ جعلكم خلفاء • شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار
وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق
البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف
على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك وتدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء • من بعد قوم نوح
اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان
وزادكم في الخلق • اي في الابداع والتصوير او في الناس • بسطة • قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم
في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا • فاذكروا آلاء الله
التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص • لعلكم تفلحون

كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب • قالوا • مجيبين عن تلك
النصائح العظيمة • اجئتنا لنعبد الله وحده • اي لنخصه بالعبادة • ونذر ما كان يعبد آباؤنا • اي
انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا
لما الفوا عليه اسلافهم ومعنى المجيء اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومعتزله واما من السماء على التهكم واما
القصد والتصدي مجازا كما يقال ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب • فاتنا بما تعدنا
من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون • ان كنت من الصادقين • اي في الاخبار بنزول
العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فات به • قال قد وقع عليكم • اي وجب وحق او نزل
باصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما وقع في قوله تعالى اتى امر الله • من ربكم • اي من جهته تعالى
وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم
وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى • رجس • مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول
باعتبار المعطوف عليه من قوله تعالى • وغضب • فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس
الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل • اتجادلونني في اسماء • عارية
عن المسمى • سميتموها • اي سميتم بها • انتم وآباؤكم • انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم
الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها آلهة ليست هي الا محض
الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد
الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى
ما نزل الله بها من سلطان • واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه • فانتظروا • مترتب
على قوله تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا • اني معكم من المنتظرين
لما يحل بكم والفاء في قوله تعالى • فانجيناه • فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه • والذين
معه • اي في الدين • برحمة • اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى • منا • اي من جهتنا متعلق بمحذوف
هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية • وقطعنا دابر القوم الذين
كذبوا بآياتنا • اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم عن آخرهم • وما كانوا مؤمنين • عطف على كذبوا
داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء
على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان
مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد
ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم
هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم
ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر
فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما
قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قد جاءوا
له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا
به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما •

حكاية ناقة صالح عليه السلام

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستغفروا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقال لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله تعالى فيها الى ان ماتوا ● والى ثمود اخاهم صالحا ● عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاثر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح ع م لهم من حيث النسب كهود ع م فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله ع م اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف ● قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ● وقد مر الكلام في نظائره ● قد جاءتكم بينة ● اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك وليت العوامل وقوله تعالى ● من ربكم ● متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه ع م اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال فكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح ع م نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح ع م عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح ع م قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفرجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح ع م

تصبحون

ع م تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى ● هذه ناقة الله لكم آية ● استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية ● فذروها ● تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها ● تأكل في ارض الله ● جواب للامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله علفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ● ولا تمسوها بسوء ● نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر لانواع الاذية وتنكير السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى ● فيأخذكم عذاب اليم ● جواب للنهي وروي ان رسول الله ع م حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال ع م لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك ● واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ● اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر ● وبوأكم في الارض ● اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام ● تتخذون من سهولها قصورا ● استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر ● وتنحتون الجبال ● اي الصخر وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب وانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى ● بيوتا ● على انها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء ● فاذكروا آلاء الله ● التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها ● ولا تعثوا في الارض مفسدين ● فان حق آلائه تعالى ان تشكر ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالافساد ● قال الملأ الذين استكبروا من قومه ● اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى ● للذين استضعفوا ● للتبليغ وقوله تعالى ● لمن آمن منهم ● بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم ● اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ● انما قالوه بطريق الاستهزاء بهم ● قالوا انا بما ارسل به مؤمنون ● عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر رسالته من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به ● قال الذين استكبروا ● اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير

ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار . انا بالذي آمنتم به كافرون . وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم . فعقروا الناقة . اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكان فعله فعل كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى . وعتوا عن امر ربهم . اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عم من الامر والنهي . وقالوا . مخاطبين له عم بطريق التعجيز والافحام على زعمهم . يا صالح ائتنا بما تعدنا . اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا . ان كنت من المرسلين . فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد . فاخذتهم الرجفة . اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله . فاصبحوا في دارهم . اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم . جاثمين . هامدين موتى لا حراك بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به . فتولى عنهم . اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزنا عليهم . وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم . بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى . ولكن لا تحبون الناصحين . حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عم بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عم لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم . ولوطا . منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عم وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابرهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابرهيم عليهما السلام فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهي بلدة بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه . ظرف للمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عم بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عم لقومه . اتأتون الفاحشة . بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشرية والسوء . ما سبقكم بها . ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عم سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى . من احد . مزيدة لتأكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى . من العالمين . للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سباق النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن

اظلم

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا واستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من عمل به ذلك العمل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل . انكم لتأتون الرجال . خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تأكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة . مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى . من دون النساء . اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم . بل انتم قوم مسرفون . اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه . اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا . استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عم . اخرجوهم . اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين . من قريتكم . اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عم وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عم ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عم الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى . انهم اناس يتطهرون . تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار . فانجيناه واهله . اي المؤمنين منهم . الا امرأته . استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر . كانت من الغابرين . اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين . وامطرنا عليهم مطرا . اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب والصحيح انه امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله تعالى عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امرأته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت

فانظر كيف كان عاقبة المجرمين • خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم
والى مدين اخاهم شعيبا • عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف
عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل
ابن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له
خطيب الانبياء عم لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم • قال • استئناف
مبني على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال • يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره • مر تفسيره مرارا • قد جاءتكم بينة • اي معجزة وقوله تعالى • من ربكم • متعلق بجاءتكم او بمحذوف
هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة
من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عم في القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي عم ومنها ما روي من محاربة
عصى موسى عم التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعدا ان يكون له الدرع
من اولادها ومنها وقوع عصى آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عم
وقيل البينة مجيئه عم كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير
عبر بهما عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة • فاوفوا الكيل • اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده
قوله تعالى • والميزان • فان المتبادر منه الالة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل اريد الكيل والوزن
على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة
للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه • ولا تبخسوا الناس اشياءهم
التي تشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل
والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير افي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما
باع امرؤ مكس درهم • ولا تفسدوا في الارض • اي بالكفر والحيف • بعد اصلاحها • بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم باجراء الشرائع او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار • ذلكم
خير لكم • اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن
الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم
ان كنتم مؤمنين • اي مصدقين لي في قولي هذا • ولا تقعدوا بكل صراط توعدون • اي بكل طريق
من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام
وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا
انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق • وتصدون عن سبيل الله
اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتنبيها
لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين وقوله تعالى • من آمن به • مفعول
تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا
وتبغونها عوجا • اي وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد
شيء من شائبة الاعوجاج • واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم • بالبركة في النسل والمال • وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين • من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم • وان
كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به • من الشرائع والاحكام • وطائفة لم يؤمنوا • اي به او لم يفعلوا
الايمان • فاصبروا حتى يحكم الله بيننا • اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين • وهو خير الحاكمين • اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه • قال الملأ الذين استكبروا من قومه

استئناف

استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عم
فقيل قال الاشراف من قومه المستكبرون متطاولين عليه عم غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من
الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عم في ملتهم فيه واتباعه المؤمنين
واجتروا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عم بذلك على طريقة التوكيد القسمي • لنخرجنك يا شعيب
والذين آمنوا • نسبته الاخراج اليه عم اولا والى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عم في
الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى • معك • فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء
باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله
لنخرجنك واتباعك • من قريتنا • بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى
او لتعودن في ملتنا • عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو
العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عم لجواب الاخراج كانهم قالوا لا
ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخالهم له عم في خطاب العود مع استحالة كونه عم في ملتهم قبل ذلك
انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا
اليها بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب
قال • استئناف كما سبق اي قال عم ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة • اولو كنا
كارهين • على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك
بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست
لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها
عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما
عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى
ولذلك لا يذكر معه شيء من تلك سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها
الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل
الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا
وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وكقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله
سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان
كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس
مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيزها مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما
نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله
لا مدلول المذكور والجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما ستأتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله
من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقرير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد
استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان
العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على
معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء
حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي

جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستعيدونها ويطلبون تخريجهم ويختارون
العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقييد بالعود فيها لو لم
نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما
اشير اليه اذ ماله العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكار لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من
العود على اي حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه
تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق
به الانكار حين يتحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد
من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى
الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الفقر هو عدم الاعطاء
لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل
عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد
بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن
فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المنفي المذكور المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم
لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تتمته كما في صورة
النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية
في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الآخر على وجه
الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها آه لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا
لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي
يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده
بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل
الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد
ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها
الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها
لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا
عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا
لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس
فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في كل الاحوال
مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور وان قيل
فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين
مع ان القيد في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان جميع الاحكام كيف لا ومدلول
الاول ان العود منتف في الحالين مع معنى احدهما عين معنى الآخر او مثله لانهما متفقان في جميع الاحكام كيف لا
ومدلول الاول ان العود منتف في الحالين الاثنين ومدلول الثاني ان العود في الحالين منتف وكلا المعنيين
صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالين مع الاقتصار
على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة • قد
افترينا على الله كذبا • اي كذبا عظيما لا يقادر قدره • ان عدنا في ملتكم • التي هي الشرك وجواب الشرط

محذوف

محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم • بعد اذ نجانا الله منها • فقد افترينا على الله كذبا
عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام
باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه
اللام تقديره والله لقد افترينا آه • وما يكون لنا • اي وما يصح وما يستقيم لنا • ان نعود فيها
في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات • الا ان يشاء الله • اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت
مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى • ربنا • فان التعرض لعنوان
ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله فان
تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته تعالى لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا و
قيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى واياما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان
وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها
الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له • وسع ربنا كل شيء علما •
فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل
واحد منهم فمحال ان يشاء لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى
على الله توكلنا • اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشرار بالكلية
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى • ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق • اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم
الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم
بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا
بينه • وانت خير الفاتحين • تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين • وقال الملأ الذين كفروا
من قومه • عطف على قال الملأ الذين آه ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم
الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين
وتغيير الصفة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم
الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عم ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا
ان يتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله • لئن
اتبعتم شعيبا • ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم • انكم اذا لخاسرون • اي في الدين لاشترائكم الضلالة
بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها
والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام • فاخذتهم الرجفة • اي الزلزلة وفي
سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عم ولعلها من مبادي
الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى • فاصبحوا في دارهم • اي مدينتهم و
في سورة هود في ديارهم • جاثمين • اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها • الذين كذبوا شعيبا •
استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم
بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى • كأن لم يغنوا فيها • اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم
لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا
وقوله تعالى • الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين • استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير
واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب

العقوبتين اي الذين كذبوه عم عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون
وبهذا القصر اكتفي عن التصريح بانجائه عم كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين
امنوا معه آه • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم • قاله عم بعد ما هلكوا تأسفا بهم
لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال • فكيف آسى • اي احزن حزنا شديدا • على قوم كافرين •
مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم و
المعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم
وقرئ ايسى بامالتين • وما ارسلنا في قرية من نبي • اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان
احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها
• الا اخذنا اهلها • استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب حال من فاعل ارسلنا والفعل الماضي
لا يقع بعد الا الا بأحد شرطين اما بتقدير قد كما في هذه الآية او بمقارنة قد كما في قولك ما زيد الا قد قام و
التقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا اخذين
اهلها • بالبأساء • بالبؤس والفقر • والضراء • بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال
مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه
حسبما فعلت الامم المذكورة • لعلهم يضرعون • كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن
اكتافهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون • ثم بدلنا •
عطف على اخذنا داخل في حكمه • مكان السيئة • التي اصابتهم للغاية المذكورة • الحسنة • اي اعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات • حتى عفوا • اي كثروا
عددا وعُددا من عفى النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة • وقالوا • غير واقفين على ان ما اصابهم
من الامرين ابتلاء من الله سبحانه • قد مس آباءنا الضراء والسراء • كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة
الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدي اليها او تبعة تترتب عليها
ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها • فأخذناهم • اثر ذلك • بغتة • فجأة اشد
الاخذ وافظعه • وهم لا يشعرون • بذلك لا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما
اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين
الاخذ واتمام الاهلاك ايام كدأب ثمود • ولو ان اهل القرى • اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى
في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر ههنا انتظاما اوليا • آمنوا •
بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء • واتقوا • اي الكفر والمعاصي
او اتقوا ما انذروا به على ألسنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات
الدهر وقال ابن عباس وحدوا الله واتقوا الشرك • لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض • لوسعنا
عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض
وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير • ولكن كذبوا • اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا
وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني • فأخذناهم بما كانوا يكسبون • من انواع الكفر والمعاصي
التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا آه وهذا الاخذ عبارة عما في قوله تعالى فأخذناهم بغتة لا عن الجدب و
القحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان السيئة • افأمن اهل القرى • اي اهل القرى المذكورة
على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع
الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والفاء لانكار الواقع

واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
والفاء للعطف على فأخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته
ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى • ان يأتيهم بأسنا بياتا • اي تبييتا او وقت بيات
او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم • وهم
نائمون • حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا • او امن اهل القرى • انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ
والتشديد ولذلك لم يقل افأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ
او بسكون الواو على الترديد • ان يأتيهم بأسنا ضحى • اي ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت
• وهم يلعبون • اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون • افأمنوا مكر الله •
تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به
اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث بالفاء فان الانكار فيهما
متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن بقية الاول • فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون •
اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من
النظر في الآيات • اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها • اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم
المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيله منزلة
اللازم كأنه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم آه واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل
على التقديرين هو الجملة الشرطية اي اولم يبين لهم مآل امرهم • ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم • اي ان
الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة
مفعوله • ونطبع على قلوبهم • عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كأنه قيل لا يهتدون او يغفلون
عن الهداية او عن التفكر والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا
لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب لو • فهم لا يسمعون • اي اخبار الامم المهلكة فضلا
[illegible]

كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث بحق وعظته فلم ينزجروا ودعوته فلم
واللام لتأكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك
ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال
كل قوم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى بما
كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات
كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة
وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به
الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان
كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه
آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل
قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم
بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم
يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث
اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم لما لم يؤمنوا
بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات
كما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين
فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب
به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف
بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل
ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير فيه . كذلك . اي مثل ذلك
الطبع الشديد المحكم . يطبع الله على قلوب الكافرين . اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات
والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة . وما
وجدنا لاكثرهم . اي اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي
ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى . من عهد . لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت
عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من
وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا
يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج
وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم
لا يفون بالعهود باي معنى كان . وان وجدنا اكثرهم . اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت
زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ان الشان وجدنا اكثرهم
لفاسقين . خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم
الا فاسقين . ثم بعثنا من بعدهم موسى . اي ارسلنا من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام

جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر . بآياتنا . متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة
لمصدره اي بعثناه ملتبسا بآياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا
واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل
. الى فرعون . هذا اللقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل
من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان . وملائه . اي اشراف قومه وتخصيصهم
بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك
العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم
لهم في الورود والصدور . فظلموا بها . اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن
معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها
لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او
ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا ترى
الى قوله تعالى . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين . فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك
حكاية ظلمهم بها مستتبعة للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز
النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم
للايذان بان الظلم مستلزم للافساد . وقال موسى . كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية
اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين . يا فرعون اني رسول . اي اليك . من رب العالمين .
على الوجه الذي مر بيانه . حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق . جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية
ظلمهم بالآيات من تكذيبهم اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الخ كما هو
قراءة نافع فقلب لأمن الالباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي
ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت
على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي بأن لا أقول وقرئ حقيق ان لا اقول بدون على . قد جئتكم ببينة من ربكم .
استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه
عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن
ربكما يا موسى الآيات وقوله تعالى قال وما رب العالمين الآيات وقد طوي ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم
على انها لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة
من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد وجوب
الايمان بها . فأرسل معي بني اسرائيل . اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن
آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم في الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى
عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء
لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته ومجيئه بالبينة . قال . استئناف وقع جوابا عن سؤال
ينساق اليه الكلام كأنه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما قال فقيل قال . ان كنت جئت بآية .
اي من عند من ارسلك كما تدعيه . فأت بها . اي فأحضرها عندي ليثبت بها رسالتك . ان كنت من
الصادقين . في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة

فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين • اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهي الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صار
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه
نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون
يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا • ونزع
يده • اي من جيبه او من تحت ابطه • فاذا هي بيضاء للناظرين • اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة
يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه
وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عم آدم شديد
الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها • قال الملا من قوم فرعون • اي الاشراف
منهم وهم اصحاب مشورته • ان هذا لساحر عليم • اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا
لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه • يريد ان يخرجكم من ارضكم • اي من ارض مصر • فماذا
تامرون • بفتح النون وماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتامرون بحذف الجار والاول محذوف
التقدير باي شيء تامرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك
فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملا عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى • قالوا ارجه واخاه • على
الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملا الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملا ويأباه
ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لذكره قبل الظهور كونه معه
حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر شانهما وقرئ ارجئه
وارجئه من ارجاه وارجاه • وارسل في المدائن حاشرين • قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم
باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا اخذوا السحر من رجلين مجوسيين
من اهل نينوى مدينة يونس عم بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عم
• يأتوك بكل ساحر عليم • اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب للامر • وجاء السحرة فرعون • بعدما ارسل
اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى
الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة
كانه قيل فماذا قالوا عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم • ان لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين • بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم او بطريق الاستفهام
التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا الخ لتعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط
الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى • قال نعم • وقوله تعالى • وانكم لمن المقربين •
عطف على ما سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب
روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي واخر من يخرج منه • قالوا • استئناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا
بعد ذلك فقيل قالوا متعدين لشانهم مخاطبين لموسى عم • يا موسى اما ان تلقي • ما تلقي اولا • واما ان نكون
نحن الملقين • اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عم بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا
للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف
الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتاكيد الضمير المتصل • قال القوا • كرما وتسامحا او ازدراء بهم • فلما القوا
سحروا اعين الناس • بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له • واسترهبوهم • اي بالغوا في ارهابهم • وجاءوا بسحر
عظيم • في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا

واو

واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون • الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت حية
فاذا هي الخ وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كان لقفها لما
يافكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف
والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يافكونه ويزورونه او مصدرية
وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملئ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام وفرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا • فوقع الحق • اي ثبت لظهور امره • وبطل ما كانوا يعملون
اي ظهر بطلان ما كانوا استمروا على عمله • فغلبوا • اي فرعون وقومه • هنالك • اي في مجلسهم
وانقلبوا صاغرين • اي صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر
لقوله تعالى • والقي السحرة ساجدين • فان ذلك كان بمحضر من فرعون وقطعا اي خروا سجدا كانما القاهم
ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك • قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون • ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما آمنت
السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف • قال فرعون • منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه
آمنتم • بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما قرئ ان
لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اي آمنتم بالله تعالى • قبل ان آذن
لكم • اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك
ان هذا لمكر مكرتموه • يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة
بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى عم • في المدينة • يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد وروي ان موسى
عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى عم أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق
فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول • لتخرجوا منها
اهلها • اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى اسماع القبط عند معاينتهم
لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها عن الايمان
بنبوة موسى عم بادراءة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى عم وان غرضهم بذلك اخراج القوم
من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق فجمع اللعين
بين الشبهتين تثبيطا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عم ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة
وقدرة على المدافعة فقال • فسوف تعلمون • اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال
للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال • لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف • اي من كل شق طرفا • ثم
لاصلبنكم اجمعين • تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق
تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله • قالوا • استئناف مسوق للجواب عن سؤال
ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم
فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان • انا الى ربنا منقلبون • اي بالموت لا محالة
فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا
ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك • وما تنقم
منا • اي وما تنكر وما تعيب منا • الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا • وهو خير الاعمال واجل المفاخر ليس
مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا

وتقربا اليه فزعوا الى الله عز وجل وقالوا . ربنا افرغ علينا صبرا . اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون . وتوفنا مسلمين . ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون . مخاطبين له بعد ما شاهدوا ما شاهدوا من امر موسى عم . اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض . اي في ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك . ويذرك . عطف على ليفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر او استينافا او حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن . والهتك . ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك . قال مجيبا لهم . سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم . كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم ان المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف . وانا فوقهم قاهرون . كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك . قال موسى لقومه . تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه . استعينوا بالله واصبروا . على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض لله . اي ارض مصر او جنس الارض وهي داخلة فيها دخولا اوليا . يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان . قالوا . اي بنو اسرائيل . اوذينا . اي من جهة فرعون . من قبل ان تاتينا . اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عم وبعده . ومن بعد ما جئتنا . رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عم من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عم فليس لذكره كثير ملايمة بالمقام . قال . اي موسى عم لما راى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله آه . عسى ربكم ان يهلك عدوكم . الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته . ويستخلفكم في الارض . اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر . فينظر كيف تعملون . احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عم بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء . ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين . شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وح لا يحذف النون للاضافة وعلى هذا جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين . ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم . لعلهم يذكرون . كي يتذكروا ويتعظوا بذلك و

يقفوا

ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والفساد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله تعالى وفي الرجوع اليه تعالى الا يرى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محالها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة آه بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه . اي لاجلنا واستحقاقنا لها . وان تصبهم سيئة . اي جدب وبلاء . يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد لكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى . الا انما طائرهم عند الله . استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى وحكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم لجمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون . ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا . وقالوا . شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به . كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى اين في اينما تكونوا والى ان في اما نذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهي ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهره لدينا وقوله تعالى . من آية . بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لمجاراتهم على رأي موسى عم واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها آية لا تؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها . اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتسكير للابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين . مصدقين لك ومؤمنين لنبوتك . فارسلنا عليهم . عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا . الطوفان . اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون . والجراد والقمل . قيل هو كبار القردان وقيل هو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها . والضفادع والدم . روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد منهم بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عم ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله تعالى عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم والابواب وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عم كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل

ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا
قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه و
كانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا
فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى
كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف • آيات • حال من المنصوبات المذكورة • مفصلات • مبينات
لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين
كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل انه عم لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الآيات على مهل • فاستكبروا • اي عن الايمان • وكانوا قوما مجرمين • جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها
ولما وقع عليهم الرجز • اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة
اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات • قالوا • في كل مرة • يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك • اي
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال
من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب
بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى • لئن كشفت عنا الرجز • الذي وقع علينا • لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل • اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت • فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه • اي الى حد من
الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون • اذا هم ينكثون فانتقمنا • اي فاردنا ان ننتقم منهم
لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى • فاغرقناهم • عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما او
يجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب آه • في اليم
في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته • بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين • تعليل للاغراق اي كان
اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء
وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب الآيات
والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاعراض عنها • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون • اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال
لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة • مشارق الارض ومغاربها
اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية و
الغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى • التي باركنا فيها • اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب
وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة
وتمت كلمة ربك الحسنى • وهي وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت
مضت واستمرت • على بني اسرائيل بما صبروا • اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون
وقوله تعالى • ودمرنا • اي خربنا واهلكنا • ما كان يصنع فرعون وقومه • من العمارات والقصور اي ودمرنا
الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف
وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف ايضا والتقدير
ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون آه وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون آه وقيل

كان

كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون آه اي
صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار الصورة • وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا
آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل • وجاوزنا ببني اسرائيل البحر • شروع في قصة بني اسرائيل وشرح
ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة
للشكر واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين
حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا
بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله
تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى • فاتوا • اي مروا • على قوم • قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة
الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم • يعكفون على اصنام لهم • اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها
وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل • قالوا • عند ما شاهدوا
احوالهم • يا موسى اجعل لنا الها • مثالا نعبده • كما لهم آلهة • الكاف متعلق بمحذوف وقع صفة لالها وما
موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هو لهم • قال انكم
قوم تجهلون • تعجب من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق
اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله • ان هؤلاء • يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل
متبر • اي مدمر مكسر • ما هم فيه • اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب
ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق • وباطل • اي مضمحل بالكلية
ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس كما في قوله
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها
في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء
اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم
البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا • قال اغير الله ابغيكم الها • شروع
في بيان شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا
لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عم والاستفهام للانكار والتعجب
والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبتغى غيره تعالى الها لا لاختصاص الانكار بغيره
تعالى وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال
او على حالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت
صفة النكرة انتصبت حالا • وهو فضلكم على العالمين • اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه
تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا
بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون • واذ انجيناكم • تذكير لهم
من جهته سبحانه بنعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ انجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عم
اي واذكروا وقت انجائنا اياكم • من آل فرعون • من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم
في المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى • يسومونكم سوء العذاب • من سامه خسفا اي اولاه
اياه او كلفه اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا
لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى • يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بدل من يسومونكم مبين او مفسر له

وفي ذلكم · الانجاء او سوء العذاب · بلاء · اي نعمة ومحنة · من ربكم · من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتيهما
منه سبحانه وتعالى · عظيم · لا تقادر قدره · وواعدنا موسى ثلثين ليلة · روي ان موسى عم وعد بني اسرائيل وهم
بمصر ان اهلك الله تعالى عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى
ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم
اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى
واتممناها بعشر · والتعبير عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل
فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة و
فصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عم
منزلة الوعد وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلثين ليلة · فتم ميقات ربه اربعين ليلة
اي بالغا اربعين ليلة · وقال موسى لاخيه هرون · حين توجه الى المناجاة حسبما امر به · اخلفني · اي
كن خليفتي · في قومي وراقبهم فيما ياتون وما يذرون · واصلح · ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا
ولا تتبع سبيل المفسدين · اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه · ولما جاء موسى لميقاتنا ·
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا · وكلمه ربه · من غير واسطة كما يكلم الملائكة
عليهم السلام وفيما روي انه عم كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام
المحدثين · قال رب ارني انظر اليك · اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك
واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل
بشؤون الله تعالى ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على
انه قاصر عن رؤيته تعالى لتوقفها على معدّ في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت
قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل
ذلك حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره
اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية · قال · استيناف
مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عم ما قال فقيل قال · لن تراني
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني · استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليقها باستقرار
الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن · فلما تجلى ربه للجبل
اي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حيوة ورؤية حتى راه · جعله دكا · مدكوكا
والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها
وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا · وخر موسى صعقا · مغشيا عليه من هول ما رآه · فلما افاق · الافاقة
رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب · قال · تعظيما لما شاهده · سبحانك
اي تنزيها لك من ان اسئلك شيئا بغير اذن منك · تبت اليك · اي من الجراة والاقدام على
السؤال بغير اذن · وانا اول المؤمنين · اي بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى في
الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذن منك · قال يا موسى · استيناف مسوق لتسليته عم من عدم
الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من
العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها · اني اصطفيتك · اي اخترتك واتخذتك صفوة وآثرتك على

على الناس · اي المعاصرين لك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب
شرع · برسالاتي · اي باسفار التورية وقرئ برسالتي · وبكلامي · وبتكليمي اياك بغير واسطة
فخذ ما آتيتك · اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة · وكن من الشاكرين · على ما اعطيتك من جلائل
النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر · وكتبنا له في الالواح من كل شيء ·
اي مما يحتاجون اليه من امور دينهم · موعظة وتفصيلا لكل شيء · بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له
كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل كانت من زمردة
جاء بها جبريل عليه السلام فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمردة
جاء بها جبريل عم وقيل من زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له
فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها
كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى
ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا
تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين · فخذها · على اضمار قول معطوف على كتبنا اي فقلنا خذها
بقوة · بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء
او للرسالة او للتورية · وامر قومك ياخذوا باحسنها · اي باحسن ما فيها كالعفو والصبر بالاضافة الى
الاقتصاص والانتصار وكالاقتصار على طريقة الندب والحث على اختيار الافضل كما في قوله تعالى واتبعوا
احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فانها احسن من المباح وقيل المعنى ياخذوا بها واحسن صلة قال
قطرب اي بحسنها وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان
على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصواب · ساريكم دار الفاسقين · تلوين للخطاب وتوجيه له الى
قومه عم بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والترهيب على ان المراد
بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او ديار عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهي خالية عن اهلها خاوية
على عروشها موجب للاعتبار والانزجار عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد
والترغيب على ان المراد بدار الفاسقين اما ارض مصر خاصة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما
اتيح لبني اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الاراءة
الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ ساورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساوريكم ولعله من اوريت الزند اي سابينها
لكم وقوله تعالى · ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض · استيناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب
لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التورية من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها من الآيات
التكوينية التي من جملتها ما وعدوا اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون
يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول
يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الجليل اي ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على
الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم
لتكونوا امثالهم وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات
فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فلا انسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة والعمالقة
المشهورون بالفسق والتكبر في الارض وباراءتها للمخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم في مساكنهم ومنازلهم

حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله ساصرف عن اياتي الخ جوابا عن سؤال
مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد بالآيات ما تلي انفا ونظايره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها
وممانعتها بوقوع اخبارها وظهور احكامها واثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل
او بذراريهم على اختلاف الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام و
ملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف ترون دارهم وهم فيها فقيل ساهلكهم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا
ثقة بالآيات واطمينانا بها وقوله تعالى · بغير الحق · اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل
وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف وهو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى · وان يروا كل اية
لا يؤمنوا بها · عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالاية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها
بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي
وان يشاهدوا كل اية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها
لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى · وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا · عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات
كالسقم والسقم والسقام · وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا · اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون
يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه لهم الى شهواتهم · ذلك · اشارة الى ما ذكر من تكبرهم و
عدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله
تعالى · بانهم · اي حاصل بسبب انهم · كذبوا باياتنا · الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية
اضدادها · وكانوا عنها غافلين · لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان
يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف لا لمنعه الاشعار بعليته ما في حيز الصلة كنيلا وقد جرى ذلك في قوله
تعالى ذلك بما عصوا الاية يجوز ان يكون اشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع
كون ذلك معللا بالكفر بايات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي سنصرفهم ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها · والذين كذبوا باياتنا ولقاء الآخرة · اي ولقائهم الدار الآخرة
او لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى · حبطت اعمالهم
خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد
ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها · هل يجزون · اي لا يجزون · الا ما كانوا يعملون · اي الا جزاء
ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي · واتخذ قوم موسى من بعده · اي من بعد ذهابه الى الطور · من حليهم
متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني
متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى
الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق
فذلك منوط بملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم اوزارا من
زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع كدلي وقرئ حليهم
على الافراد وقوله تعالى · عجلا · مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتبار بالمقدم والتشويق الى المؤخر
مع ما فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول
الثاني محذوف اي الها وقوله تعالى · جسدا · بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا
روح معه وقوله تعالى · له خوار · اي صوت بقرة وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي

ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند
توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والاول هو الانسب بحكاية
طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه واما
لان المراد بالاتخاذ اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه · الم يروا انه لا يكلمهم · استيناف مسوق
لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم
يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم · ولا يهديهم سبيلا · بوجه من الوجوه فكيف
اتخذوه الها وقوله تعالى · اتخذوه · اي فعلوا ذلك · وكانوا ظالمين · اي واضعين للاشياء
في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض
عليه · ولما سقط في ايديهم · اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة
قال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل · ورأوا انهم قد
ضلوا · باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم راوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية
مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية · قالوا · والله
لئن لم يرحمنا ربنا · بانزال التوبة المكفرة · ويغفر لنا · ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على
المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة
مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه
في قوله تعالى · لنكونن من الخاسرين · جواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان
بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر
عنهم من القول والفعل في موضع واحد · ولما رجع موسى الى قومه · شروع في بيان ما جرى بينه عليه السلام وبعد
رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى · غضبان اسفا · حالان من موسى عليه السلام او الثاني
من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين · قال بئسما خلفتموني من بعدي
اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق
الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا
عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال
يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة
ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره
بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم · اعجلتم امر ربكم · اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال
عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما
غيرت الامم بعد انبيائهم · والقى الالواح · طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التوراة
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي فيها تفصيل كل شيء و
بقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام · واخذ برأس اخيه · بشعر رأسه عليهما السلام · يجره اليه
حال من ضمير اخذ فعل به ذلك لما توهم انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا
ولذلك كان احب الى بني اسرائيل · قال · اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام · ابن ام · بحذف حرف
النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة

وقد فات فيه المجيء وفرع الشدايد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقرئ بالفتح
لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر • ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني • ازاحة لتوهم التقصير
في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي • فلا تشمت بي الاعداء •
اي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي • ولا تجعلني مع القوم الظالمين • اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة
او النسبة الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل لو لا تعتقد اني واحد مع الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم
قال • استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون كانه قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال
رب اغفر لي • اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله • ولاخي • ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيم
استغفر عم لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى الاستغفار
حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم • وادخلنا في رحمتك • بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا • وانت ارحم
الراحمين • فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
ان الذين اتخذوا العجل • اي تموا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في
قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين
سينالهم • اي في الآخرة • غضب • اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرايم
وافحش الجراير وقوله تعالى • من ربهم • اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كاين من ربهم • وذلة في الحيوة الدنيا • هي ذلة الاغتراب التي تضرب
بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء
بلا مساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم
في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب امرهم
من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عم حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم
العجل بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب فانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه
لا يبيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى • وكذلك نجزي المفترين • ينادي على خلافه فانهم شهداء تائبون
فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجزي الله كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره قهر وباطنه لطف
ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون للرسول صلى الله عم فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه
قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما
اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم
ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه • والذين
عملوا السيئات • اي سيئة كانت • ثم تابوا • عن تلك السيئات • من بعدها • اي من بعد عملها • وآمنوا •
ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى •
ان ربك من بعدها • اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان • لغفور • للذنوب وان عظمت وكثرت •
رحيم • مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عم للتشريف • ولما سكت عن موسى الغضب • شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى
مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا
صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عم وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة
بتنزيل الغضب الحامل له عم على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير
عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون

احذ

اخذ الالواح • التي القاها • وفي نسختها • اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها
اي من الالواح المنكسرة • هدى • اي بيان للحق • ورحمة • للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح • للذين هم
لربهم يرهبون • اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى ورحمة
لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول
محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة • واختار موسى قومه • شروع في بيان كيفية استدعاء
التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل
الى المجرور كما في قوله اخترتك الناس اذ رثت خلايقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل اي اخترتك من الناس
سبعين رجلا • مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
لميقاتنا • الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا للميقات الكلامي الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال
السدي امره الله تعالى بان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا
فاختار من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة على من
تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عم من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا
فقال عم ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا
ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى
يكلم موسى يامره وينهاه حسبما يشاء من الامر بقتل انفسهم توبة • فلما اخذتهم الرجفة • مما اجترءوا عليه من طلب
الرؤية فانه يروى انهم لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة
اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في ان
الآمر بما سمعناه من الامر بقتل انفسنا هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا رؤيته على سماع كلامه قياسا فاسدا فلما
شاهد موسى عم تلك الحالة الهائلة • قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل • اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل
وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها • واياي • ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا
بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر
على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيتك
اياه بمحض لطفك بنا وعفوك عنا تلك الجرايم فلا غرو في ان تعفو عن هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على
التمني يأباه قوله تعالى • اتهلكنا بما فعل السفهاء منا • اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتنبهون
في المداحض والنمرقة انما الانكار وفتح الانكار ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف
كما قاله المبرد اي لا تهلكنا • ان هي الا فتنتك • استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما وقعوا فيه ببيان منشأ
غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك
حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد
ومع قوله تعالى • تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء • استيناف مبين لحكم الفتنة وحال من فتنتك اي حال
كونها مضلا بها آه اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الا الثبت وتهدي من تشاء هدايته الى
الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه • انت ولينا • اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا
وحافظنا لا غيرك • فاغفر لنا • ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كان قيل
لمن شأنه المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك آه جرأة عظيمة فطلب من الله
غفرانها والتجاوز عنها • وارحمنا • بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا • وانت خير الغافرين •
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام • واكتب لنا • اي

اى عيش لنا وقيل اوجب حقوق وانبت ٭ في هذه الدنيا حسنة ٭ اى نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس
اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة ٭ وفي الآخرة ٭ اى واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة
انا هدنا اليك ٭ اى تبنا ورجعنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال
ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان تكون القراءة المشهورة
على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف
مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال
النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها
وعما وقع منا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا
جميعا فاخذ موسى عم يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك
فخاف موسى عم فبكى فكشفها الله تعالى عنهم ٭ قال ٭ استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا
قال الله تعالى عند دعاء موسى عم فقيل قال ٭ عذابي اصيب به من اشاء ٭ لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل
بقتلهم انفسهم ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اى خصلة
حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان من حكمي
وشأني ان اصيب بعذابي من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم مما تناولته مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة
بالعذاب الدنيوي ٭ ورحمتي وسعت كل شيء ٭ اى شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت
الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب
بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى
معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله
تعالى ٭ فساكتبها ٭ اى اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اى كما ذكر من
اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فساكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ اى
ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي ٭ للذين يتقون ٭ اى الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها
وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة
للعذاب الدنيوي ٭ ويؤتون الزكوة ٭ وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة
انما لم تذكر مع اناقتها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك
المنكرات عن آخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض ٭ والذين هم بآياتنا ٭ جميعا ٭ يؤمنون ٭ ايمانا
مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات العظام التي جاء بها موسى عم وما جرى بعد ذلك
من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين
ما اريد بالموصول الاول وما ان يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على
يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اى هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض ٭ الذين
يتبعون الرسول ٭ الذي نوحي اليه كتابا مختصا به ٭ النبي ٭ اى صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة
اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة ٭ الامي ٭ بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التي ولد عليها
من امه او الى امة العرب كما قال عم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اى الذي لم يمارس
القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل
او منصوب على المدح او مرفوع عليه اعني الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون او اولئك
هم المفلحون فغير سديد ٭ الذي يجدونه مكتوبا ٭ باسمه ونعته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان

يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا ٭ عندهم ٭ زيد هذا لزيادة التقرير وان شأنه عم حاضر عندهم لا يغيب عنهم
في التوراة والانجيل ٭ اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدون او بمكتوبا و
ذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عم والقرآن الكريم قبل مجيئهما ٭ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها
اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف
الشاقة كلها من آثار رحمته الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او
من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اى لما كتب ٭ ويحل لهم الطيبات ٭ التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ٭ ويحرم
عليهم الخبائث ٭ كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ٭ ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ٭ اى يخفف
عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في
العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم
وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما
ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم اصل
الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه من الحراك ٭ فالذين آمنوا به ٭ تعليم لكيفية اتباعه عم وبيان لعلو رتبة متبعيه
واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اى فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه
٭ وعزروه ٭ اى عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير
٭ ونصروه ٭ على اعدائه في الدين ٭ واتبعوا النور الذي انزل معه ٭ اى مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ
عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا
باتبعوا اى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عم بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن مصاحبين له
في اتباعه ٭ اولئك ٭ اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها
للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون بتلك
النعوت الجليلة ٭ هم المفلحون ٭ اى هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم
قوم موسى عم دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق
بين دعائه عم وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل
على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله تعالى
والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله عم وبما جاء به كعبد الله
ابن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح ٭ قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم ٭ لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم
لسعادة الدارين امر عم ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان
عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عم باقوامهم وارسال موسى عم الى فرعون وملائه بالآيات
التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته
الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل ٭ جميعا ٭ حال من الضمير
في اليكم ٭ الذي له ملك السموات والارض ٭ منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة والاصل
بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى ٭ لا اله الا هو ٭ بيان لما قبله فان من ملك
العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى ٭ يحيي ويميت ٭ لزيادة تقرير الوحدانية والفاء في قوله تعالى ٭ فآمنوا بالله ٭

ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عم وايراد نفسه عم بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات
الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي لمدحه عم بهما ولزيادة
تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه و
الى سائر الرسل عم من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه
على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران
تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عم من حيث انزل عليه القران لا من حيثية اخرى وعلى ان المراد بها عيسى عم
وتعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما ياتي وما يذر من امور الدين
لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه
بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة
ومن قوم موسى كلام مبتدا لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والايمان بالايات بمتبعي رسول الله
صلعم من حرمان اسلاف قوم موسى عم من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم امة يهدون
اي الناس بالحق اي متلبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية
فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبي عم ياباه انه قدم ذكرهم
فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عم تبرا سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه
سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي عم
ان جبريل عم ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي
فامنوا وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا مني عم فرد محمد على موسى السلام ثم اقراهم
عشر سور من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم و
كانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام
مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف
وقوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي
عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى
اسباطا بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط وقرئ عشرة
بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل ونعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا
بجحد واستسقائهم اياه عليه الصلوة والسلام بل استسقاؤه عم لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى
ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شان الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عم الى الامتثال واشعارا
بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب
كما في قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل
من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها قد علم
كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم
وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل
عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم

المن

المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه
كلوا اي وقلنا لهم من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن
والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة
للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك
ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي
السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الكفر
والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي عم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع اسناده
اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى
عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد والتوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لهم
اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس
وقيل اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى
اسكنوا ايذان بان المامور في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر
رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية
حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون
الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو للمقارنة بينهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل
ولذلك قيل هنالك فكلوا وقولوا حطة اي مسالتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة
وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من
التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به
هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية فقد روي انهم دخلوها حين
سار اليها موسى عم بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة
المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوه في حيوة موسى عم فقيل المراد بالباب باب القبة
التي كانوا يصلون نغفر لكم خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم و
خطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا للتخيل
بذلك لانه استيناف مترتب على تقدير سؤال نشا من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران
فقيل سنزيد وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار
حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم
وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى واستهزاء
بموسى عم وقوله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا
للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة
البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا
منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون
بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب
الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصوف بالظلم كما في سورة
البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسالهم
عطف على المقدر في اذ قيل اي واسال اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم

لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط
به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه من جهة الوحي الصريح
عن القرية اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل
هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اى قريبة منه مشرفة على
شاطئه اذ يعدون في السبت اى يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف
المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذلك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان
وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم
منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى
لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان
لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص
الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها
احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اى تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر
سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد
الاول قراءة من قرا يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال
من حيتانهم اى تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اى لا يراعون
امر السبت لكن لا لمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا سبت ولا مراعاة
كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في
السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت
حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة
ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اى مثل ذلك البلاء العجيب
الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون
وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف
حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان
وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم
متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير مبالغة
في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اى مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم
او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم
اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسوق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون
في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققها وتقررها
البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه
ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف
والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف
قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربكم اى نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر

قولهم

قولهم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى عظتنا
معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض
بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في
ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اى تركوا ما
ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ
اصلا انجينا الذين ينهون عطف على معذرة اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح ا
عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان
المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر
المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى
بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر
بعذاب بئيس اى شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وقرئ بئيس على وزن فعيل
بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب
الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيس كريس بقلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس
كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى
ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج
عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له
لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا
عن طاعة الله تعالى لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم
بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى
فلما عتوا عما نهوا عنه اى تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين
بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه
للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد
بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم به وهو يوم
الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم
عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها
ولا تاتيهم في سائر الايام وكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم
السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت
فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في
الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما
لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا
وملحوا وباعوا وكانوا اكثر من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير
وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم
فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات
يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا
الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه

فيبكي فيقول له نسيبه الم انهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير
وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها
عذابا في الآخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر ● واذ تاذن ربك ● منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسالهم وتاذن بمعنى
اذن كما ان توعد بمعنى وعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله و
شهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ● ليبعثن عليهم الى يوم القيمة ● اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه
ان يسلط على اليهود البتة ● من يسومهم سوء العذاب ● كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب
وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم
وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم
فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ● ان ربك لسريع العقاب ● يعاقبهم في الدنيا ● وانه لغفور رحيم ● لمن تاب
وآمن منهم ● وقطعناهم ● اي فرقنا بني اسرائيل ● في الارض ● وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها
بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى ● امما ● اما مفعول ثان لقطعنا
او حال من مفعوله ● منهم الصالحون ● صفة لامما او بدل منهم وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم
● ومنهم دون ذلك ● اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم ● وبلوناهم بالحسنات
والسيئات ● بالنعم والنقم ● لعلهم يرجعون ● عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي ● فخلف من بعدهم ● من بعد المذكورين
خلف ● اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام
في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ● ورثوا الكتاب ● اي التورية من اسلافهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها ● ياخذون عرض هذا الادنى ● استيناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم
اياه اي ياخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى
في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ● ويقولون سيغفر لنا ● ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك
ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون ● وان ياتهم
عرض مثله ياخذوه ● حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله
غير تائبين عنه ● الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ● اي الميثاق الوارد في الكتاب ● ان لا يقولوا على الله الا الحق ●
عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة
والدلالة على انها افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ● ودرسوا ما فيه ● عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى
فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض ● والدار الآخرة خير للذين يتقون ● ما فعل هؤلاء ● افلا تعقلون ●
فيعلموا ذلك فلا يستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ
● والذين يمسكون بالكتاب ● اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين
آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه و
لم يتخذوه ماكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا
لقوله تعالى ● واقاموا الصلوة ● ولعل التغيير في المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة
بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول
اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله تعالى افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى
● انا لا نضيع اجر المصلحين ● والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم
واما الالف واللام كما هو رأي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي المأوى اي مأواهم وقوله

تعالى

تعالى مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في مصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه
وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع آه اعتراض
مقرر لما قبله ● واذ نتقنا الجبل فوقهم ● اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم ● كانه ظلة ● اي سقيفة وهي
كل ما اظلك ● وظنوا ● اي تيقنوا ● انه واقع بهم ● ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا
يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لـ
لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم بما فيها والا ليقعن عليكم ● خذوا ما آتيناكم ●
اي وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب ● بقوة ● بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو
● واذكروا ما فيه ● بالعمل ولا تتركوه كالمنسي ● لعلكم تتقون ● بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او
راجين ان تنتظموا في سلك المتقين ● واذ اخذ ربك ● منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ
نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج
عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر
بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك ● من بني آدم ● المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا
بعد نسل سوى من لم يولد بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على
الاخراج للايذان بالاعتناء بشان الماخوذ لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفاء وهو السبب
في اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي واضافته الى ضميره عم
للتشريف وقوله تعالى ● من ظهورهم ● بدل من بني آدم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله تعالى للذين
استضعفوا لمن آمن ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام
والتفصيل غب الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الآباء ولم يستودعوا في ارحام
الامهات وقوله تعالى ● ذريتهم ● مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه و
لمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على
العموم فيندرج فيه اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم
كذلك وتخصيصها باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله تعالى شامل للكل كافة مخل
بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل ● واشهدهم على انفسهم ● اي اشهد كل واحدة من اولئك الذريات
الماخوذين من ظهور آبائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على
الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى ● الست بربكم ● على ارادة القول اي قائلا الست بربكم
ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شان من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية
ويستلزم اختصاصه به تعالى ● قالوا ● استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حينئذ
فقيل قالوا ● بلى شهدنا ● اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث انه تعالى
وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق
والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عم كل مولود يولد على الفطرة الحديث
مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة عن تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول
والبصائر ونصب لهم في الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم
لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك
من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ● ان تقولوا ● بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا على
انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية واياما كان
فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة
او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا اي عن وحدانية الربوبية واحكامها
غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا
محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة
وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا
الاشراك وهم سنوه من قبل اي من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى
السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من ابائنا المضلين بعد ظهور
انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالراي او اتؤاخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم
الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها
مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من انه لما خلق
الله تعالى ادم عليه السلام مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي
يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الاية الكريمة فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق ادم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل
النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم
ابناءهم الصلبية وهكذا الى اخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين
بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الاية
الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله عليه السلام وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد
الاشراك الى ابائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية
لادم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قيل
من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا على ما قيل
من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا
ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله
تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك
الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر
بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك
الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول
له للنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة
بالغفلة عنه او بتقليد الاباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فاما على تقدير
كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة
الخ لانا نردكم ونكذبكم ح وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل

لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البديع المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الايات
المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء نفعل
التفصيل المذكور فالواوان ابتدائيتان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل
اي وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر
العامل في واذ اخذ وارد على نمط في الانباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود
نبا الذي اتيناه اياتنا اي خبره الذي له شان وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا
او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابي الصلت وكان
قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث
الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ
منها اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها
ونبذها وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة
بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فاتبعه الشيطان اي تبعه
حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان
غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان
كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف ادعو على من معه الملائكة
فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه وبرواية ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل
وكان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستانف مسوق لبيان مناط
ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا و
كون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل
العالية للابرار العالمين بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل
في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد
بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى التحصيل كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب
تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما
بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في
الاستدراك بان اسند الى ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض اي مال
الاخلاد اليها الفضا فيما لا يتجوز عن صرف اختياره الى الخليقة تعالى كما قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته
لسببه لرفعناه بسبب تلك الايات التي هي اقوى من اسباب الرفع ولكن لم نشاه لمباشرته لسبب نقيضه
فترك في كل من المقابلين ما ذكر في الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان
بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومبادئها
من جهته تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية
له سبحانه كما قيل ووجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الاية المذكورة وهو المشروح بيان
على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى فاذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد
الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه اثر الدنيا الدنية
على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الايات

الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه
اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
اى فحاله التى هى مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حال دوام اللهث به في حالتى التعب والراحة فكانه
قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب
آه للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل
احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اى هو
ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف وتركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا
تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات
فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما
ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل عنه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل لها من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من
الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حيث تحول الاستفهام بين المتناقضين اليه في
مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة
مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال
من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعى بلعم على موسى عم خرج لسانه فتدلى على صدره و
جعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة المنسوبة الى الكلب والى المنسلخ
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اى ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
وهم اليهود حيث اوتوا في التورية ما اوتوا من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا
الناس باقتراب بعثته وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية فاقصص القصص
القصص مصدر بمعنى المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا تحقق ان المثل المذكور
مثل هؤلاء المكذبين فاقصص عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون
عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب
على انها حال من ضمير المخاطب وعلى انها مفعول له اى فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء
مثلا استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بئس
وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب
التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اى ساء مثلا مثل القوم آه
او الى التمييز اى ساء اصحاب مثل القوم آه وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير
بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة ولربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون
به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا
يتخطاها واياما كان فتقديم انفسهم آه اشارة الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر
في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص
المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا
الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية
في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى

اياه

اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة
الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اى ما من شانه
الايصال اليها كما سيجيء تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله
تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء وتحمل النظم الكريم على تعظيم
شان الاهتداء او التنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء
على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله اى يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور
فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف
اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اى الكاملون
في الخسران لا غير وافراد المهتدي نظرا الى اللفظ وجمع الخاسرين نظرا الى المعنى للايذان باتحاد منهاج الهدى
وتعدد طرق الضلال ولقد ذرانا كلام مستانف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اى خلقنا
لجهنم اى لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اى خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به
كما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى
من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اى كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس في
الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون
اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر
فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة
وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى
لهم قلوب في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه
صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة
لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها
بكمال الاغراق في القساوة فانها حيث لم يتات منها الفقه بحال فكانها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا
الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اى لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من
شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بكمال الافصاح
عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما في عطف هو عليه والمراد بالابصار و
السمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس
بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اى لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية
الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اى شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية
تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان
لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم
ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة
بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر
من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اى اولئك الموصوفون بالاوصاف
المذكورة كالانعام اى في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب
التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدرك من المنافع والمضار فتجتهد

في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع
والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها
وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم
اولئك المنعوتون بما ذكر من مثلية الانعام والشرية منها ● هم الغافلون ● الكاملون في الغفلة المحقوقون
لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله تعالى ولا من شؤون ما سواه شيئا
فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي من اخس مخلوقاته تعالى ● ولله الاسماء الحسنى
تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور
وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن
الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها ● فادعوه بها ● اي فسموه بتلك الاسماء ●
وذروا الذين يلحدون في اسمائه ● الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد
وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما
يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك
المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة
وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة
كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى
حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى
كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز
فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل
للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك ح الاجتناب عن ذلك اذ لا
يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول
العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى ● سيجزون ما كانوا يعملون ● فانه استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كأنه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى
لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتشتفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى
اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم ● وممن خلقنا امة يهدون بالحق
وبه يعدلون ● بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد
عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير
قوله تعالى ومن الناس الآية اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون الناس
ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا
يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم
موسى امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال طائفة من امتي
على الحق الى ان يأتي امر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة
على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق
غني عن التصريح به ● والذين كذبوا بآياتنا ● شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون وبه يعدل
العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب محل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من
الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين

كذبوا

كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل ● سنستدرجهم ● اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك
شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق
الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي
هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من
حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في
الحقيقة تردي في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها
لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال
واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى ● من حيث لا يعلمون ● متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل
المذكور اي سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله تعالى
وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم ● واملي لهم ● عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما ان
الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل في نفسه
شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد
الضمير مع ما فيه من الافتنان المبني على تجديد الاعتبار بمضمون الكلام لا بنائه على تجديد العقد والعزيمة
واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسط المدبرات فبناؤه على دلالة نون العظمة
على الشركة واني ذلك والاحتراز عن ايرادها في قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي
لهم الآية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ● ان كيدي متين ● تقرير
للوعيد وتأكيد له اي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ
الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون
مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل
عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما ● اولم يتفكروا ما بصاحبهم من
جنة ● كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في شأنه عم وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه
من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم
الكريم وسياقه وما اما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها
بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة
لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي اكذبوا بها ولم يتفكروا
في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو اعظم الامة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الآيات او في
انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به و
بما انزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر
ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت وقيل ليس بصاحبهم شيء منها
والتعبير عنه صلى الله عم بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عم مما يطلعهم على نزاهته عم عن شائبة ما ذكر
ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عم مع وضوح استحالة ثبوته له عم لما ان
التكلم بما هو خارج عن قضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان
يكون له اصل ومعنى او عمن له تأييد الهي يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس عليه السلام شائبة الاول
تعين انه عم مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عم علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم
بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون عنه ح

للتمرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عم بصاحبهم وارد على مشاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى
ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله عم على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك
كريم بعد قوله ما هذا بشرا اى ما هو عليه السلام الا مبالغ فى الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرافة ومبالغة
فى الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض استيناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ
باخلالهم بالتامل فى الآيات التكوينية المنصوبة فى الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر
ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر فى شانه عم والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور
او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اى اكذبوا بها او الم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل
عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله اى وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت
وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او فى ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم
لاشتراك الكل فى الدلالة على عظم الملك فى الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وقوله
تعالى من شىء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها
والمعنى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه اسم الشىء ليدلهم
ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التى ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما فى المدلول فان
كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها عسى
مع فاعلها الذى هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا فى ان الشان
عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل
وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اى لعلهم يموتون عما
قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر فى الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية وقد جوز ان يكون
الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله تعالى فباى حديث
بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفى له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر
والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا
او بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من
احواله عم واحوال المصنوعات فباى حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات
وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباى حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان وقيل هو
انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون
الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباى حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عم على حذف مضاف
اى فباى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادى له استيناف
مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم فى طغيانهم بالياء والرفع على الاستيناف اى هو
يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اى ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادى
له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روى الجزم بالنون عن نافع وابى عمرو فى الشواذ وقوله تعالى
يعمهون اى يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير فى خبر النفى نظرا الى لفظ من وجمعه
فى خبر الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفى والاثبات للكل يسالونك عن الساعة استيناف
مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها

بغتة

لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها فى نفسها قيل ان قوما من اليهود
قالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى
قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو
ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفعل المضارع دون الماضى بخلاف متى حيث يليهما كلاهما
قيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان اى وقت وهو من اويت الى الشئ لان البعض آو الى الكل
متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدا مؤخر اى متى ارساؤها اى اثباتها وتقريرها فانه
مصدر ميمى من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا فى الشئ الثقيل كما فى قوله تعالى والجبال ارساها
ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانه
بدل من الجار والمجرور لا من المجرور وحده كانه قيل يسالونك عن الساعة عن ايان مرساها وفى تعليق السؤال بنفس
الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلى من السؤال نفسها باعتبار حلولها فى
وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وكذا سلك هذا المسلك فى الجواب الملقن ايضا حيث اضيف
العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اى علمها
بالاعتبار المذكور عند ربى ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم
على حذف المضاف والتوجه لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للايذان بان توفيقه عم
للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر
به بحيث لم يخبر به احدا من ملك مقرب او نبى مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار
تلك الحالة الى حين قيامها واقناط كلى عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء
الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص بالانسان كذلك
والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذى تسالوننى عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين
فيتوسط فى اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا
كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اى فى وقتها قيد للتجلية بعد
ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو فى وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول
الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل بطريق اظهار عينها فى وقتها الذى يسالون عنه وقوله تعالى
ثقلت فى السموات والارض استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اى كبرت وثقلت على اهلها من
الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها
ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيها اذ لا يطيقها منها شئ اصلا
عما قبله وما بعده من قوله تعالى لا تاتيكم الا بغتة فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من
اعتبار الثقل من حيث الخفاء اى لا تاتيكم الا فجاة على غفلة كما قال صلى الله عم ان الساعة تهيج بالناس
والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه
يسالونك كانك حفى عنها استيناف مسوق لبيان خطائهم فى توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عم
بناء على زعمهم انه عم عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم فى اصل
السؤال باعلام شان المسؤول عنه والجملة التشبيهية فى محل النصب على انها حال من الكاف جئ بها بيانا لما
يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم فى ذلك اى يسالونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفى
عنها اى بليغ فى العلم بها فعيل من حفى وحقيقته كانك بليغ فى السؤال عنها فان ذلك فى حكم المبالغة
فى العلم بها لما ان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء

ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل اي استيصاله والاحفاء في المسئلة اي الالحاف فيها وقيل عن متعلقة
بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة
بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك
حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي
بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر
الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله امر باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته
على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض
بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها
رأسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها
فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة
الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها
من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم
الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عالما بعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على
استقلاله ومغايرته للاول فان التعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني
واللام متعلق باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما
الا ما شاء الله ان املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك
كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من
جملته ما بين الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة
لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه و
دفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا
سوء ما فانه مما لا مدفع عنه ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة
ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع
وقد كشفت عن امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه
الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان
المقام مقام الانذار وقوله لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون
بالبشارة واما ببشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم
يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان
هو الذي خلقكم استئناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم
المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وحده من
غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عم وهذا نوع تفصيل لما اشير
اليه في مطلع السورة الكريمة من اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته
عليه وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي
الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى
انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عم والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية

لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى
الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه
بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله
تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة
او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى
عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة
فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس
رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل و
ارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب
والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله
تعالى فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى
ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما يقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض
اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحواء عليهما السلام لما
دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما
الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق
الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر
على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن
نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين من الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة
وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار
لها ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق
الكل مستتبع له كأنهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل
من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هما بصدده
واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتناء بالمذكور بل مؤكد له واياما كان
كان فهو لمعنى قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا
فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما
من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع
ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة
نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية
يقتضيها المقام كما في مثل قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة
ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى
قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء
لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان عن سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما

وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزاما
شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا
باليمين بمنزلة اخلالهما بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم
بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف وجعلوهما كأنهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى
والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام
قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه
آدم وحواء عليهما السلام من ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما
يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون
بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه
وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها
ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت
من ذلك فذكرته لآدم فهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك
ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدته سمته عبد الحارث
فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل هذا
الشأن الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين
واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية
ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء
اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق و
ايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى
العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة
كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بخالقه و
خالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء
عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة
او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعترتهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر
للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم
عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا
بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر
المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب
للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى
ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب وتنجون به عن المكاره لا يتبعوكم اي الى مرادكم وطلبتكم وقرئ
بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية
عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم
بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم
عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب

فاستهما

للمسلمين

للمسلمين والمعنى ان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم
وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
لا يؤمنون فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون
بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين
تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه
بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون
عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي
يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم
وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم
عاجزون عنه وقوله تعالى ألهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم
الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى
محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق
الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا
للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة
ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال
ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام
فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها
من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن
آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى بل ألهم ايد يأخذون
بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه
على قوله تعالى ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم
بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك
اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من
دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون من دونه تعالى عبادا امثالكم بل
ادنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم الخ تقريرا لنفي المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما
بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر رسول الله ﷺ بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت
والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما
تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد
فاني لا ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما
جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كأنه قيل
لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا
يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي
ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اي تعبدونهم
من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اي في امر من الامور
او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى اي الى

ان يهديكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود • لا يسمعوا • اي دعاءكم فضلا
عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى • وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون • بيان
لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك
حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك
ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا لهم اعينا مركبة من الجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من
قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المكبرين
لتوجيه الخطاب الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام
على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اي وترى المشركين ينظرون
اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى وان تدعوهم للمؤمنين على ان التعليل
قد تم عند قوله تعالى لا يبصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام
بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام
من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين • خذ العفو • بعدما عد من
اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء
عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ
العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة • وأمر بالعرف • بالجميل المستحسن
من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير • واعرض عن الجاهلين • من غير مماراة ولا مكافاة وقيل
لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك
ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق
وروي انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى • واما ينزغنك من الشيطان
نزغ • النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه و
اسناده الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء
غضب ونحوه • فاستعذ بالله • فالتجئ اليه تعالى من شره • انه سميع • يسمع استعاذتك به قولا • عليم •
يعلم تضرعك اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب
على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله تعالى عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير
عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص
من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه ويسمع باقوال من
آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها • ان الذين اتقوا • استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة
بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها
اذا مسهم طائف من الشيطان • ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنه تطوف
بهم ودار حولهم ليوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي ألمّ وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف
من طيف من الواوي او اليائي كهين ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي • تذكروا
اي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه • فاذا هم • بسبب ذلك التذكر • مبصرون • مواقع الخطأ
ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه • واخوانهم • اي اخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون
عن وقاية انفسهم عن المضار • يمدونهم في الغي • اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين

والحمل

والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع
والامتثال • ثم لا يقصرون • اي لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان
اي لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى
الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له • واذا لم تأتهم بآية • من القرآن عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها • اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يرون بذلك
ان سائر الآيات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء • قل • ردا عليهم • انما اتبع ما يوحى
الي من ربي • من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلوة والسلام باتباع
ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذي كلفوه اياه عليه السلام
لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد
الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي كأنه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي منه تعالى وفي
التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من تشريفه عليه السلام والتنبيه على تأييده ما لا يخفى • هذا • اشارة الى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى الي
بصائر من ربكم • بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى • وهدى ورحمة • عطف على بصائر وتقديم
عليها وتعقيبهما بقوله • لقوم يؤمنون • للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة
الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره و
المغتنمون من آثاره والجملة من تمام القول المأمور به • واذا قرئ القرآن فاستمعوا له • ارشاد الى
طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن اي واذا قرئ القرآن الذي ذكرت
شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول • وانصتوا • اي واسكتوا في خلال القراءة وراعوا
الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع • لعلكم ترحمون • اي تفوزون بالرحمة التي هي اقصى غاياته وظاهر
النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن في الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلا
عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله تعالى عنهم على انه في استماع المؤتم
وقد روي انهم كانوا يتكلمون في الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ اصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة
العلماء على استحبابهما والآية اما من تمام القول المأمور به او استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى • واذكر
ربك في نفسك • على الاول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام
في الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب من الاجابة • تضرعا وخيفة • اي متضرعا وخائفا
ودون الجهر من القول • اي ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر • بالغدو والآصال • متعلق
باذكر اي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اي دخل في الاصيل موافق للغدو
ولا تكن من الغافلين • عن ذكر الله تعالى • ان الذين عند ربك • وهم الملائكة عليهم الصلوة والسلام و
معنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته • لا يستكبرون عن عبادته •
بل يؤدونها حسبما امروا به • ويسبحونه • اي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه • وله يسجدون • اي
يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند
قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا

بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة والله تعالى عز وجل اعلم بحقيقة الحال

سورة الانفال خمس وسبعون آية مدنية ▪ بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال ▪ النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر في الجهاد من
الثواب الاخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام النون في اللام وروي ان المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين
واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الاجر ولا جبن من
العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والاسر فسألوه عم ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم
قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام
لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما ينطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال
عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء
يسألونك الانفال غير متنهض لان مبناها كما قالوا على الحذف والايصال كما ينبئ عنه الجواب بقوله عز وجل ▪ قل الانفال
لله والرسول ▪ اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأي احد ولو كان السؤال
استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله والرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه
لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عم الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص
المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان
مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرار النسخ من غير علم
بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله عم خاصة
ليس لاحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المغنم
الاول حتما كما ينطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ كما قاله عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها
على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله عم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد
مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع
الاضمار على ان الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه له عم خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي
وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عم فقلت
ان الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عم ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما
لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان
سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عم ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون
سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة ان يعد عم بما لا يقدر على
انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام

قوله

قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض انه المانع من اعطاء المسؤول وقد ما هو نص في الباب قوله عز وجل
فاتقوا الله ▪ اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف
الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال
طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم ▪ واصلحوا
ذات بينكم ▪ جعل ما بينهم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات
الصدور وصدرا اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة
نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله
فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان
الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض
واطيعوا الله ورسوله ▪ بتسليم امره ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة
لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ▪ ان كنتم مؤمنين ▪
متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه وهو الجواب على الخلاف المشهور واياما كان فالمقصود
تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله
اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات
البين بالعدل والاحسان ▪ انما المؤمنون ▪ جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين ذكرا وصفاتهم الجليلة
المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون في الايمان
المخلصون فيه ▪ الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ▪ اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من
صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا
من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت ▪ واذا تليت عليهم آياته ▪ اي آية كانت
زادتهم ايمانا ▪ اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة
اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية
صدق المؤمن بها فازداد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها
والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات
ويقين آحاد الامة ولذلك قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه الدليل
وما قامت عليه الادلة الكثيرة ▪ وعلى ربهم ▪ مالكهم ومدبر امورهم خاصة ▪ يتوكلون ▪ يفوضون امورهم لا الى
احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى ▪ الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون ▪ مرفوع على
انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح وذكر لكل من اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وعقب بالاعمال الجوارح من الصلوة والصدقة ▪ اولئك ▪ اشارة
الى الذين ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم
تميزا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف
هم المؤمنون حقا ▪ لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر
محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا ▪ لهم
درجات ▪ من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم
كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى ▪ عند ربهم ▪ متعلق
بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده تعالى

به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بأن
ما وعد لهم متيقن الثبوت في الحصول مأمون الفوات • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق كريم • لا ينقضي امده ولا ينتهي
عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة • كما اخرجك ربك من بيتك بالحق • الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو
حق او في محل النصب على انه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم
ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق • وان فريقا من المؤمنين
لكارهون • اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان
عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام
فاخبر جبريل رسول الله عم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى
ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت
اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل
ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم
ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع
بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع
جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم
يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عم
اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب
الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله عم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند ما غضب النبي صلى الله عم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا
ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم
قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له
حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه
ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عم يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام
سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق
عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي
انه قيل لرسول الله صلى الله عم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال
له النبي صلى الله عم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك • يجادلونك في الحق • الذي هو
تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا
حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى • بعد ما تبين • منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك
انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم

القتال • كأنما يساقون الى الموت • الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين
بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل • وهم ينظرون • حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون
الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم
رجالة روي انه لم يكن فيهم الا فارسان • واذ يعدكم الله احدى الطائفتين • كلام مستأنف مسوق لبيان جميل
صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع واذ منصوب على
المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا
وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من
المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل
على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم
بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى • انها لكم • بدل
اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم
تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم • وتودون • عطف على يعدكم داخل تحت الامر
بالذكر اي تحبون • ان غير ذات الشوكة تكون لكم • من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف
مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا
العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوك وشوك القنا شباها • ويريد الله • عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم
لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين ووداد تكم
لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى • ان يحق الحق • اي يثبته ويعليه • بكلماته • اي بآياته
المنزلة في هذا الشأن او باوامره للملائكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته
• ويقطع دابر الكافرين • اي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد
معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى • ليحق الحق ويبطل الباطل •
جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل
مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين
وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال
الباطل • ولو كره المجرمون • اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل • اذ تستغيثون ربكم • بدل من اذ يعدكم
معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
وامداده تعالى وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان
فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من
الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ
نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة
وقيل متعلق بمضمر مستأنفا اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون
الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر
فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك

فاستجاب لكم • عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
اني ممدكم • اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب
مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول • بالف من الملائكة مردفين • اي جاعلين غيرهم من الملائكة
رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في
سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا
من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه
وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان
فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق
بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من
قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها • وما جعله الله • كلام مستأنف مسوق
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من
النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه
المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم • الا بشرى لكم • وهو
استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون
ولتطمئن به • اي بالامداد • قلوبكم • وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما
مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته
في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار
بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض
السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي ما جعله الله شيئا من الاشياء
الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلق بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء آخر • وما النصر
اي حقيقة النصر على الاطلاق • الا من عند الله • اي الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة
الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية • ان الله عزيز • لا يغالب في حكمه ولا ينازع
في قضيته • حكيم • يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها مقتض للاشعار بان النصر
الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة • اذ يغشيكم النعاس • اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في
تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بالجعل
وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم
على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى • امنة منه • على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب
على الفعل المذكور اي يغشيكم فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر
كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور
والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على
مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة • وينزل عليكم من السماء ماء • تقديم الجار والمجرور على المفعول
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده
تمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف

من

بالتخفيف من الانزال • ليطهركم به • اي من الحدث الاصغر والاكبر • ويذهب عنكم رجز الشيطان • الكلام
في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب
اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم
وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق
ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا
وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا
وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى • وليربط على قلوبكم • اي يقويها بالثقة بلطفه تعالى
فيما بعد بمشاهدة طلائعه • ويثبت به الاقدام • ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط
فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب قوله تعالى • اذ يوحي ربك الى الملائكة
منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي عليه السلام بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المأمور به مما لا يستطيعه
غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي تقف عليها عامة الامة
كسائر النعم السابقة التي امروا بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام فلا يقدح في
عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملائكة
وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت منهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة
واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المأمور
ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه
والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة • اني معكم • اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت
فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملائكة
انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى
ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى • فثبتوا الذين آمنوا • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم
من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقيل [illegible] اخبارهم بتبشيرهم بالبشارة وتكثير السواد
ونحو ذلك مما تقوى به قلوبهم وتصحح عزائمهم ونياتهم وتأكد جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته
التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك
يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن
ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تعالى
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله تعالى
فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت
رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه
انه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف
[illegible]
[illegible]
قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا
الرعب فاضربوا [illegible] فالضاربون هم المؤمنون [illegible] من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات
على طريق التلوين [illegible] وروده قبل القتال [illegible] السورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله

تعالى • فوق الاعناق • اي اعاليها التي هي المذابح او الهامات • واضربوا منهم كل بنان • قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو هيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الادانى وبفوق الاعناق الاعالى والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده • ذلك • اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى • بانهم شاقوا الله ورسوله • اي ذلك العقاب الواقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المتشاقين في شق غير شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه • ومن يشاقق الله ورسوله • الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه والاشعار بعلية الحكم وقوله تعالى • فان الله شديد العقاب • اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عنده من يترضى اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله تعالى فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى • ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار • فانه مع كونه هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بفعل يستدعيه قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله وان للكافرين آه بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وان للكافرين آه معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستئناف • يا ايها الذين آمنوا • خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه • اذا لقيتم الذين كفروا زحفا • الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعل لقيتم ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى • فلا تولوهم الادبار • اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم في العدد او تساووهم • ومن يولهم يومئذ • اي يوم اللقاء • دبره • فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء • الا متحرفا لقتال • اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه

المؤمنين

انه منهزم ليغره ويخرجه عن بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها • او متحيزا الى فئة • اي منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا • فقد باء • اي رجع • بغضب • لا يقادر قدره وقوله تعالى • من الله • متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن منه تعالى • ومأواه جهنم • اي بدل ما اراد بفراره ان يأوي اليه من مأوى ينجيه من القتل • وبئس المصير • في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب • فلم تقتلوهم • رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم • ولكن الله قتلهم • بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فاخبركم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على اصالتكم وبليتكم لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل عليهما السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب • وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى • تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عم حينئذ من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول لما ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الا لجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عم كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عم وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في المحلين واللام في قوله تعالى • وليبلي المؤمنين منه • اي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا • اي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي آه وقوله تعالى • ان الله سميع • اي لدعائهم واستغاثتهم عليم • اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم • ذلكم • اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى • وان الله موهن كيد الكافرين • بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل او الرمي والمبتدأ الامر اي الامر ذلكم اي القتل فيكون قوله تعالى وان الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتخفيف منونا ومنونا

وناصب كيد الكافرين • ان تستفتحوا • خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين •
فقد جاءكم الفتح • حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في
نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله • وان تنتهوا • عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم
فهو • اى الانتهاء • خير لكم • اى من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار
اصل الخيرية في المفضل عليه هو التهكم • وان تعودوا • اى الى حرابه ع م • نعد • لما شاهدتموه من الفتح •
ولن تغني • بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقي وللفصل اى لن تدفع ابدا
عنكم فئتكم • جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم • شيئا • اى من الاغناء او من المضار وقوله تعالى • ولو كثرت
جملة حالية وقد مر التحقيق • وان الله مع المؤمنين • اى ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر ان الله مع
المؤمنين ويعرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله ع م فهو خير لكم من كل شيء لما انه
مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن
الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان • يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا •
بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها • عنه • اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي
عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله ع م من يطع الرسول فقد اطاع
الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى • وانتم تسمعون • جملة حالية واردة
لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحال
السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب
طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان • ولا تكونوا • تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه
على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي • كالذين قالوا
سمعنا • بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع • وهم لا يسمعون • حال من ضمير
قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه
راسا • ان شر الدواب • استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي اثر
تقرير اى ان شر ما يدب على الارض او شر البهائم • عند الله • اى في حكمه وقضائه • الصم • الذين
لا يسمعون الحق • البكم • الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق
والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم
لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع
سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل • الذين لا يعقلون • تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا
كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا
للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها
وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس • ولو علم الله فيهم خيرا • شيئا من جنس
الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى • لاسمعهم • سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية
الرسول ع م واطاعوه وآمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن
الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى • ولو اسمعهم لتولوا • اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة
العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه

اصلا

اصلا وقوله تعالى • وهم معرضون • اما حال من ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم والحال انهم معرضون عما
سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احي قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى لاسمعهم كلام قصي آه وقيل هم
بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء
به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون
وعن الحسن رحمه الله انهم اهل الكتاب • يا ايها الذين آمنوا • تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم
الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك • استجيبوا لله و
للرسول • بحسن الطاعة • اذا دعاكم • اى الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى • لما يحييكم • من العلوم
الدينية التي هي مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حيوة القلب كما ان الجهل موجب
موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه
عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك من اجابتي قال كنت في
الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم آه واختلف فيه فقيل هذا من خصايص دعائه ع م
وقيل لان اجابته ع م لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه • تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص
القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه وتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا و
بالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة
والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف • وانه • اى الله عز وجل او الشان • اليه تحشرون
لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما •
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة • اى لا يختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار
المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد
على ان قوله لا تصيبن آه اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن آه وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط
جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرئ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد
جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن
في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم
واعلموا ان الله شديد العقاب • ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه • واذكروا اذ انتم قليل • اى وقت
كونكم قليلا في العدد واثبات الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف
وقوله تعالى • مستضعفون • خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى • في الارض • اى في ارض مكة تحت ايدي قريش
والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين
وقوله تعالى • تخافون ان يتخطفكم الناس • خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او
حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم
وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اى واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من

اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين
امنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه
اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روي انه عم حاصر
بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام
فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله و
عياله كان في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت
قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عم هو الذي يحلني فجاءه عم فحله فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تصدق به وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء
تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله
عز وجل ليبلوكم فيهما فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه عليهما وراعى
حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية
بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والتحفظ عليه كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله
اي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في
الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم
اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله
تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك
الذين كفروا منصوب على المفعولية بعض خوطب النبي صلعم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم اه مسوق لتذكير
النعمة الخاصة به عم بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده
قراءة من قرأ ليقيدوك او ليثخنوك بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك
بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا
باسلام الانصار ومبايعتهم له عم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عم فدخل عليهم ابليس في صورة
شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان
تحبسوه في بيت وتشدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم
من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا
فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال
صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عم النبي عم واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله على مضجعه
وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين
وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين اذ لا يعبأ

بكرهم

لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا يسوغ له ابتداء لما فيه من ايهام
ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم اياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله
ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عم في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد
كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشية وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا
من ذلك الامرين ثم قارعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب
البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما يسطرونه من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه
لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرءان
ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد
منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل
وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عم وهو تنزيله لا الحق مطلقا
لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم حاث لكلمتهم الشنعاء
وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال
والنبي صلى الله عم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه
على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم
الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم
الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا
من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين
لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك
ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم
او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر
كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ
صلوتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها
لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون
فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم
يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون
للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او
في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثأرنا منه
ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال

وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان
مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد • ثم تكون عليهم حسرة •
ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة • ثم يغلبون • آخر الامر وان كان
الحرب بينهم سجالا قبل ذلك • والذين كفروا • اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه • الى جهنم يحشرون • اي يساقون لا الى
غيرها • ليميز الله الخبيث من الطيب • اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون
او ما انفقه المشركون في عداوته عم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ
ليميز بالتشديد للمبالغة • ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا • اي فيضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين • فيجعله في جهنم • كله • اولئك • اشارة الى الخبيث
اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث • هم الخاسرون •
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم • قل للذين كفروا • هم ابو سفيان واصحابه اي قل لاجلهم
ان ينتهوا • عما هم فيه من معاداة النبي صلعم بالدخول في الاسلام • يغفر لهم ما قد سلف • من الذنوب وقرئ نغفر لهم
ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى • وان يعودوا • الى قتاله • فقد مضت سنة الاولين • الذين تحزبوا
على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك • وقاتلوهم • عطف على قل وتغيير الخطاب
لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد • حتى لا تكون
فتنة • اي لا يوجد منهم شرك • ويكون الدين كله لله • وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او
برجوعهم عنها خشية القتل • فان انتهوا • عن الكفر بقتالكم • فان الله بما يعملون بصير • فيجازيهم على انتهائهم عنه و
اسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية
كما يثاب المباشرون بالمباشرة • وان تولوا • ولم ينتهوا عن ذلك • فاعلموا ان الله مولاكم • ناصركم فثقوا به
ولا تبالوا بمعاداتهم • نعم المولى • لا يضيع من تولاه • ونعم النصير • لا يغلب من نصره • واعلموا انما غنمتم
عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال
على رأس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة والعائد محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة
اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى • من شيء • بيان للموصول
محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشأن الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا
مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام
وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى • فان لله خمسه • مبتدأ خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه
الجملة خبر لان وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس
ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى • وللرسول ولذي القربى و
اليتامى والمساكين وابن السبيل • واعادة اللام في ذوي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم
في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي
عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر
فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة
فقال عم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه
وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عم وسهم للمذكورين
من ذوي قرابته وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عم فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون

لفقرهم

لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي
انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل
الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا نركب منه البراذين وقيل
سهم النبي صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رح فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم يصرف الى ما كان
يصرفه النبي عم من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم
وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى
اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم
وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عم
كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله تعالى لبيت المال وقيل
هو مضموم الى سهم الرسول عم هذا شأن الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس
سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلثة اسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على
انه ملك للغانمين وقوله تعالى • ان كنتم آمنتم بالله • متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا
ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس
المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى • وما انزلنا • عطف على الاسم الجليل
اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه • على عبدنا • وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه • يوم الفرقان • يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل
وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم • يوم التقى الجمعان • اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم
الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد بما انزل عليه عم يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال
مجرد الايصال والتيسير فينتظم انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات كون الخمس لله تعالى
على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون
ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهة التي عينها الله تعالى • والله على كل شيء قدير • فيقدر على نصر القليل
على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم • اذ انتم بالعدوة الدنيا • بدل من يوم الفرقان والعدوة
بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقرئ بهما ايضا • وهم بالعدوة القصوى • اي البعدى من المدينة
وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاءت على الاصل
كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا • والركب • اي العير او قوادها • اسفل منكم • اي في
مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة
على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا
منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة
الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا
قوله تعالى • ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد • اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لكم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا
للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطيب نفوسهم بفرض الخمس • ولكن • جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد
ليقضي الله امرا كان مفعولا • حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله تعالى
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة • بدل منه او متعلق بقوله مفعولا اي ليموت من يموت عن بينة
عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة

كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حيّ
المشارف للهلاك والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا
على المستقبل • وان الله لسميع عليم • اي بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد • اذ يريكهم الله في منامك قليلا • منصوب باذكر او بدل آخر من يوم
الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم
وتشجيعا على عدوهم • ولو اراكهم كثيرا لفشلتم • اي لجبنتم وهبتم الاقدام • ولتنازعتم في الامر • اي امر
القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار • ولكن الله سلم • اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع • انه عليم بذات
الصدور • يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر • واذ يريكموهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا • منصوب بمضمر خوطب الكل بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يري
وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال
اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم • ويقللكم في اعينهم • حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة
جزور قللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة
فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه
ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط • ليقضي الله امرا
كان مفعولا • كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وهنا اعزاز الاسلام
واهله واذلال الكفر وحزبه • والى الله ترجع الامور • كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم
المجيد • يا ايها الذين آمنوا • صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده • اذا لقيتم
فئة • اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب
في القتال • فاثبتوا • اي للقائهم في مواطن الحرب • واذكروا الله كثيرا • اي في تضاعيف القتال مستمدين منه
مستظهرين بذكره مترقبين لنصره • لعلكم تفلحون • اي تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة
وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال • واطيعوا الله ورسوله • في كل ما تأتون وما تذرون
فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا • ولا تنازعوا • باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد • فتفشلوا
جواب للنهي وقيل عطف عليه • وتذهب ريحكم • بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا
على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها استعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في
هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور • واصبروا • على شدائد الحرب • ان الله مع الصابرين • بالنصرة والكلاءة وما فيهم من
كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد
والاعانة • ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم • بعد ما امروا بما امروا به من احاسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها
والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير • بطرا • اي فخرا واشرا • ورئاء الناس • ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة
وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة
فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى
والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده • ويصدون عن سبيل الله • عطف على بطرا ان جعل
في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر • والله بما يعملون محيط • فيجازيهم عليه • واذ زين
لهم الشيطان اعمالهم • منصوب بمضمر خوطب النبي عليه السلام بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم

في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم • وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم • اي القى في روعهم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب
كقولك لا ضاربا زيدا عندنا • فلما تراءت الفئتان • اي تلاقى الفريقان • نكص على عقبيه • رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم • وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله
اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني مجيركم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث
بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق
فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني
ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رضي الله عنه واختاره ابن بحر
والله شديد العقاب • يجوز ان يكون من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل • اذ يقول المنافقون • منصوب
بزين او بنكص او بشديد العقاب • والذين في قلوبهم مرض • اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي
فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف
زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب • غر هؤلاء • يعنون المؤمنين • دينهم • حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به
فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف • ومن يتوكل على الله • جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم
فان الله عزيز • غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل • حكيم • يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول
ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه • ولو ترى • اي ولو رأيت فان لو
الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله او لكل احد ممن له حظ من الخطاب
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله • اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة •
ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول
للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى • يضربون وجوههم • خبره والجملة
حال من الموصول قد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميرهما
وادبارهم • اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء • وذوقوا عذاب الحريق • على ارادة القول
معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم
مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حد البيان اي لرأيت
امرا فظيعا لا يكاد يوصف • ذلك • اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما
في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره • بما قدمت ايديكم • اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب
ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى • وان الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب
ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب
بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان

المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لا يخفى ذلك • كدأب آل فرعون • في محل الرفع على انه خبر
مبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا لشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم
بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة
اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب
والنكال • والذين من قبلهم • اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من القبائح ما فعلوا ولقوا من العذاب ما لقوا
كقوم نوح وعاد واضرابهم من الكفر والعناد وقوله تعالى • كفروا بايات الله • تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون
ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى • فاخذهم الله • تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان
كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى • بذنوبهم • لتأكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى
ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فيكون
الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال
ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد عليه السلام بالصدق فكذبوه
فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم واعتيادهم
اياه كما هو المعتبر في مدلول الدأب اما للتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مداومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة
مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى • ان الله قوي شديد العقاب • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
من الاخذ وقوله تعالى • ذلك • الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب
منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه فهو المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل
فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم
لحالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر مما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى
على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل والعدول
عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بايات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير منه
فالمعنى ذلك اي ترتب عقابهم على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك • بان الله • اي
بسبب انه تعالى • لم يك • في حد ذاته • مغيرا نعمة انعمها • اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث
يغير نعمة انعمها • على قوم • من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت • حتى يغيروا ما بانفسهم • من الاعمال والاحوال
التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة
من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة
لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط
حيث كذبوه عليه السلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغيره تعالى ما انعم به عليهم من نعمة
الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بالحروف اللينة • وان الله
سميع عليم • عطف على ان الله وداخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون
وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ
وان الله بكسر الهمزة فالجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى • كدأب آل فرعون والذين من قبلهم •
في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم على ان
دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تعالى • كذبوا بايات ربهم • تفسير له بتمامه وقوله
تعالى • فاهلكناهم • اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما
كما ان نظيره في سورة آل عمران حيث جوز فيه انتصاب محل الكاف بلن تغني مع بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود

النار

النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة استئناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم
بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه
الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء
وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله
تعالى كذبوا بايات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم
من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفى في
كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب
والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب وكذا الكلام في الفاء وفي قوله تعالى بذنوبهم
كالذي مر وعطف قوله تعالى • واغرقنا آل فرعون • على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق و
فظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام • وكل • اي كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك
او كل من غرقى القبط وقتلى قريش • كانوا ظالمين • اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك
او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم • ان شر الدواب
بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى
• عند الله • اي في حكمه وقضائه • الذين كفروا • اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا اشر الدواب لا شر الناس
ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل
ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى • فهم لا يؤمنون • حكم مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل
عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على
كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى • الذين عاهدت منهم • بدل من الموصول الاول
او عطف بيان له او نصب على الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد
واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه
عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم
ثم ينقضون عهدهم • عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض
وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم • في كل مرة • اي من مرات
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] محاربة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل [illegible] • فاما تثقفنهم • اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما
تصادفنهم وتظفرن بهم • في الحرب • اي في تضاعيفها • فشرد بهم • اي ففرق عن مناصبتك [illegible]

موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل من خلفهم اي من ورائهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شذر بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من ورائهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء لا يتحقق الا بتشريد من ورائهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعوا عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما سياتي بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة فيكون حثا له عم على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا يحسب الذين بكسر الباء وفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة الاستئناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وعلى هذه القراءة يكون الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه وآكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله عم لكون ما في حيزه من وظائفه عم اي اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عم اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكال على الملائكة عم ترهبون به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب في محل

الجملة

الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة وبنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطان الحراب فان حسبك الله اي فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عم بطريق الاستئناف فان تاييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من التوقع من دلائل تاييده تعالى فيما سياتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استئناف مقرر لما قبله و مبين لعزة المطلب وصعوبة المأخذ اي تناهي التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتسنى الا بالتصرف فيها ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واغاظتهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عم في جميع اموره او في الامور الواقعة بينه وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عم في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على الاعتناء بمضمونها وايراده عم بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك سيف مهند وقيل في محل الجر عطفا على الضمير كما هو راي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياه بالنصر والامداد امر عم بترتيب بعض مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر

وحكمة بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كانه في الاصل
ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوضح ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك
المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك في هذا الامر حرضا اي محرضا فيه لتهيجه الى الاقدام و
قرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب
كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا
مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشر لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على
انه قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين
والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف
وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما تعويلا على
ذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا
وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما هو المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات
الشيطان وآثاره ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان وانما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم
الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب
واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما
السعادة هي الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح
فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا
ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل
ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم كثروا ونزل
التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاجتهاد في القتال لا الضعف
في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في
الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق
بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد
الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله والمراد بالمعية المعية بنصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين
مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما
ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان
لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام
لنبي من الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر
القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا
حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا
استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد
لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ

بجر

بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين
كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار
فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال
عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني
من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان
الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه
فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان
وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان
هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ
وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها
ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة
اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء لمسكم
اي لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم
روي انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية
فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم وصفة للمصدر اي اكلا
حلالا وفائدته الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله اي
في مخالفته ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم
ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم كانه في ايديكم قابضة عليهم من الاسرى
وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء
وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام
الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك
ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني به ربي تعالى فقال العباس فانا اشهد انك
صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل
ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا
انتظر المغفرة من ربي يتأول ما في قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما عاد به من
الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى
لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه
فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد

بالخيانة ونبذ ما ختموا من الفداء وهو بعيد ● والله عليم ● فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب ● حكيم ● يفعل كل ما
حسبما تقتضيه حكمته البالغة ● ان الذين آمنوا وهاجروا ● هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله ● وجاهدوا
باموالهم ● بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج ● وانفسهم ● بمباشرة القتال واقتحام المعارك و
الخوض في المهالك ● في سبيل الله ● متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة
بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا تتصور المجاهدة بالنفس بلا المجاهدة بالمال ● والذين آووا ونصروا
هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة و
نصروهم على اعدائهم ● اولئك ● اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدأ وخبره قوله تعالى ● بعضهم ● اما بدل منه وقوله تعالى ● اولياء بعض
خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة
والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم ● والذين آمنوا ولم يهاجروا ● كسائر المؤمنين ● ما لكم من
ولايتهم من شيء ● اي من توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم ● حتى يهاجروا ● وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل
والصناعة كالكتابة والامارة ● وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر ● فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم ● منهم ● بينكم وبينهم ميثاق ● معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم ● والله بما تعملون بصير
فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه ● والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ● آخر منهم اي في الميراث او في الموازرة وهذا
بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب ● الا تفعلوه
اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار ● تكن فتنة في الارض
اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر ● وفساد كبير ● في الدارين وقرئ كثير ● والذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا ● كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم
القدح المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى ● لهم مغفرة ورزق كريم ● لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان
الاول لايجاب التواصل بينهم ● والذين آمنوا من بعد وهاجروا ● بعد هجرتكم ● وجاهدوا معكم ● في بعض مغازيكم ● فاولئك
منكم ● اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم
بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى ● واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ● آخر منهم في التوريث من الاجانب
في كتاب الله ● اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ● ان الله بكل شيء عليم
ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة
وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته والله تعالى اعلم واحكم

سورة براءة مائة وتسع عشرون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة
والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة
من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه
الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها
خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأباه مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر
اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن ابن عباس رضي

ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية
ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما
هو رأي من يتصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من القرآن انزلت
للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأي احد في الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في
عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الاستقلال اشتباه واختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكر فلا
سبيل الى الاول لانه لو كان كذلك لبينه صلى الله عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الآيات
وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان
للعدم ● براءة ● خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل
من الله ورسوله ● ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله
ورسوله واصلة ● الى الذين عاهدتم من المشركين ● وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء
من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها
بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين
ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة
في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادة حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها
اليهم فان حق الصفة قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان
تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه الفتح في لام التعريف
خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من
اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد
الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا وانما نسبت البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين
واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول
عليه السلام للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر
المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لانه امر كسائر الاوامر الجارية على
حكمة [illegible] يترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها
ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتب احكامها عليها
واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا يترتب عليها احكامها الا بمباشرة
المتعاقدين على وجه لا يتصور صدوره منه سبحانه [illegible] وانما الصادر عنه تعالى الاذن فيها
وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها
على ان في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية
الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقض والنكث تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه
عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن النسبة الثانية [illegible] صلى الله
عليه وسلم [illegible]
والاستمرار [illegible] بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه ● فسيحوا ● السياحة والسيح الذهاب في الارض
والسير فيها بسهولة [illegible] من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه والتلبس
في سيرهم [illegible] زيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم [illegible] دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك
لهم وتخليتهم وشأنهم من الاستعداد للحرب بتحصين الاهل والمال وتحصيل الهرب وغير ذلك لا تكليفهم بالسياحة

فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام
بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد واثيار صيغة الامر مع تمشي افادة ذلك
المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم و
لاستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه من قوله واعلموا على ما يؤذن به البراءة
المذكورة على ان الاول مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتيب الاول
عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا آه كانه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا
في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في العناد والعتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار
الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان
الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين
اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الآخرة بالعذاب واثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم
بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هي كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا
اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها
او للتغليب في الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان
في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عم ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه صلى الله عم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رض
على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عم لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عم لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك
لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنهما
الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله عم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل
يوم التروية خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني
رسول رسول الله صلى الله عم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
واذان من الله ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة
على مثلها وما قيل الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين
بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام
كان فيه ولما روي انه عم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عم
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال
او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله وقرئ
بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في
بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر
على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء
لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المنزلة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو
اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير
معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما يليق بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من

المشركين

من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق
اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم
عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله آه لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام
تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع
كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في
فسيحوا اي فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط الميثاق ولم يقتلوا
منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم
مع تمادي المدة ولم يظاهروا اي لم يعاونوا عليكم احدا من عدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة
رسول الله صلى الله عم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم
بالقتال عند مضي الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من
عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق
العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ
اي انقضى مستعير من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى
الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد من الشاة وانكشفت عنه انكشاف
الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا
منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد اذا ما سلخت الشهر اهللت
مثله كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد
للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد
لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط
قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها
بالحرمة تأكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها او هي مع ما
فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين
في قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته
وعلى الثاني مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال ح شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه
قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وقيل هي الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة فالنظم الكريم واما
اذا استدعى بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعده ما ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رحمه الله انما اراد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وفتح
ان المراد بالذين خرجوا لغزوة احد ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح
سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد به ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب
عنه ما قبله من قوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل بعده بل الذي
انعقد الاجماع على انتساخها كما قالوا ان ثبوت حرمتها ان لكون سنة متقولا الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم
حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم اي اسروهم والاخيذ الاسير
واحصروهم اي قيدوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد وقال ابن عباس رضي الله عنهما حولوا بينهم وبين المسجد
الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية ارصدوهم
وارقبوهم حتى لا يمروا به وقد جاء نصبه على اسقاط الخافض وعلى تقدير احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن

الشرك بالايمان عنهما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر ﴿واقاموا الصلوة واتوا الزكوة﴾ تصديقا لتوبتهم
وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية ﴿فخلوا سبيلهم﴾ فدعوهم وشانهم
لا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ﴿ان الله غفور رحيم﴾ يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو
تعليل للامر بتخلية السبيل ﴿وان احد﴾ شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف
على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان
لا تدخل الا الفعل ﴿من المشركين استجارك﴾ بعد انقضاء الاجل المضروب اي سالك ان تؤمنه وتكون جارا
له ﴿فاجره﴾ اي امنه ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة
الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله
استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلقى اناس
فتى حتاك يا ابن ابي زيد الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او
بما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رضي الله تعالى عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان
ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك
فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتي محمدا
فان من ياتيه عم انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين ﴿ثم ابلغه﴾ بعد استماعه له ان لم يؤمن ﴿مامنه﴾ اي مسكنه الذي يامن
فيه وهو دار قومه ﴿ذلك﴾ يعني الامر بالاجارة وابلاغ المامن ﴿بانهم﴾ بسبب انهم ﴿قوم لا يعلمون﴾ ما الاسلام وما حقيقته
او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا ﴿كيف يكون للمشركين عهد﴾ شروع في تحقيق
حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة
انما هي في شانهم والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الآية بل بمعنى انكار الوقوع
ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون
مقدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان صفة له
او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او
بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر
عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم
معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون
التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته
العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى
ثبوته العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا
فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به
﴿عند الله وعند رسوله﴾ يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان
يؤمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا
عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدته ﴿الا الذين﴾
استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين ﴿عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ وهم
المستثنون فيما سلف من التعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحل الرفع على
الابتداء خبره قوله عز وجل ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على
الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان

استقاموا

استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم
وقيل الاستثناء متصل محله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم جنس المعهود وايا ما كان فحكم الامر
بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق
العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه
من الوفاء ﴿ان الله يحب المتقين﴾ تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى
كما مر ﴿كيف﴾ تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم
وا ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل لاستبعاد عين عدم ثباتهم على العهد
لا انه شيء يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في
البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لوروده وما يوجب استنكاره
لا بالجر وكونه معلوما كما في قوله ﴿وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب﴾ فانه على حذف الفعل اي كيف
يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله ﴿وان يظهروا عليكم﴾ اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم
﴿لا يرقبوا فيكم﴾ اي لم يراعوا في شانكم واصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية
والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيهما ﴿الا ولا ذمة﴾ اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا
او حقا يعاب على اغفاله مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من
المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال علام تقبل منهم
فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى عز وعلا اي لا يراعون حق الله تعالى وقيل الجوار وقيل
الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما لاعتبار
عدم عدمه كشف عن حقيقة شئونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء في
شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل ﴿يرضونكم بافواههم﴾ حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم
بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة
الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم ﴿وتابى
قلوبهم﴾ ما يتفوهون به ﴿واكثرهم فاسقون﴾ خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون
ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة لا يتنزهون عما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر
احدوثة السوء ﴿اشتروا بايات الله﴾ بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل
فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ﴿ثمنا قليلا﴾ اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم
التي اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب ﴿فصدوا﴾ اي عدلوا ونكبوا من صد صدودا
او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك ﴿عن سبيله﴾ اي الدين الحق الذي لا محيد
عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه ﴿انهم ساء ما كانوا يعملون﴾
اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازما
بمعنى قبح او متعديا والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا ﴿لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة﴾
نعي عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين ومن
يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء
بعملهم هذا دون غيره ﴿واولئك﴾ الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة ﴿هم المعتدون﴾ المجاوزون الغاية
القصوى من الظلم والشرارة ﴿فان تابوا﴾ اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما في

الرغبة فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا يترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها • فالله احق ان تخشوه • بمخالفة امره وترك قتال اعدائه • ان كنتم مؤمنين • فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى • قاتلوهم • تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم • يعذبهم الله بايديكم • قتلا واسرا • ويخزهم • وينصركم عليهم • اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء • ويشف صدور قوم مؤمنين • ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عم ابشروا فان الفرج قريب • ويذهب غيظ قلوبهم • بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عم بذلك قبل وقوعه معجزة • ويتوب الله على من يشاء • كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغلبتهم والانتقام منهم فهو سبب للتدبر في امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي ولا اختلاف في وجه السببية غير السبك والله تعالى اعلم • والله • ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة • عليم • لا يخفى عليه خافية • حكيم • لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة • ام حسبتم • ام منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق المتدرج الى آخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور اي بل احسبتم • ان تتركوا • على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين • ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم • الواو حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني اذ لو شمله تعلق الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اي ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما في لما من التوقع منبه على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة اكرم الاكرمين • ولم يتخذوا • عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة او حال من فاعله اي جاهدوا حال كونهم غير متخذين • من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة • اي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقي على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير • والله خبير بما تعملون • اي بجميع اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم آه والجملة حال من فاعل تتركوا او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه تعالى يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها • ما كان للمشركين • اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز [illegible] • ان يعمروا • اي ما حقهم ولا يحق لهم ان يعمروا • مساجد الله • اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس في جوانبها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل كان ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس وبابه [illegible] الوجود • شاهدين على انفسهم بالكفر • اي باظهار ما هو كفر من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكونوا جامعين بين عمارة متعبدات الله مع ملابستهم بما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء

عليهم من مساوي اعمالهم زجرة عنها ومظنة للتوبة • واقاموا الصلوة واتوا الزكوة • اي التزموهما وعزموا على اقامتهما • فاخوانكم • اي فهم اخوانكم وقوله تعالى • في الدين • متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة • ونفصل الآيات • اي نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيها تلك الآيات اندراجا اوليا • لقوم يعلمون • اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل في الاحكام المندرجة في تضاعيفها والمحافظة • وان نكثوا • عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا • ايمانهم من بعد عهدهم • الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل • وطعنوا في دينكم • قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام • فقاتلوا ائمة الكفر • اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بالائمة رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استئصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء • انهم لا ايمان لهم • اي على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم ثبات ايمانهم بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عقد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام ففي كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل من العلية للقتال او للامر كما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتي فلا يلايم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمان وعن الطعن في دينكم • لعلهم ينتهون • متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اي فقاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن الموذين • الا تقاتلون • الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة • قوما نكثوا ايمانهم • التي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة • وهموا باخراج الرسول • من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عم وهموا باخراجه من المدينة • وهم بدءوكم • بالمعاداة والمقاتلة • اول مرة • لان رسول الله صلى الله عم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة اي بدءوا القتال بخزاعة حلفاء النبي صلى الله عم لان اعانة بني بكر عليهم قتال معهم • اتخشونهم • اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب

العمارة الذي هو المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه
يوبخ العباس بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا فقالوا او لكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك
الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها
من الكفر فصارت هباء منثورا وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على
الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى
من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما
فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب فقد قرئ
بالافراد ايضا والمراد بهما ايضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح وينبغي
ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به
الوحي واقام الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج
تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمتي الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية
والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر
ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل
الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك
المسجد ضوءه ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية
ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل
تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجليلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم
مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة من الوصول الى موقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي
يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا
بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء و
رفض الاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد
الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان
من آمن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به
واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم
ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية
وحمل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول
فهو توبيخ للمشركين ومداره على انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك
بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما
للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين آنفا حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار
بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة

بالكلية

بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بشيء آخر
اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن
بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية و
العمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه
اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله
اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين
الاولين وبين الآخرين لان المدار في التفاوت بين الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين
لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان الدعوى من المفتخرين
بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم
فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتأكيده او
حال من مفعولي الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل سويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله
لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا
الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح والظالمون يوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة
تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف
لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان
بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التدارك اثر ما لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف
الجميلة اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها
من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كأن
فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو ترجيح لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة
والجهاد روي ان عليا رضي الله عنه قال للعباس رضي الله عنه بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلعم
فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا
فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل
ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد
في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية
والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله
او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور
الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا
تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ونفي
عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم
الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا
ولا الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الآخر او الى الفوز المطلق
ادعاء كما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات
عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم اي لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشر به وتربية

خالدين فيها اى فى الجنات ابدا تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله
عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التى فى مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهى لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية
مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما فى قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة
منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا
آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل
الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم فى ذلك
وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان
حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله ابعد الناس ويبغض فى الله اقرب الناس اليه ان استحبوا الكفر اى
اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهى عن الموالاة بذلك لما انها
قبل ذلك ربما تؤدى بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اى واحدا منهم كما يشير اليه افراد
الضمير فى الفعل مراعاة للفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم فى الاتصاف بالظلم لا ان المراد تولى فرد
واحد وكلمة من فى قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اى اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة
فى غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم
على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجرى مجراهم من الابناء والازواج ويقطع
علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر
الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اى اقرباؤكم مأخوذ من العشرة
اى الصحبة وقيل من العشرة فانها جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال اقترفتموها
اى اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايذانا بعزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اى امتعة اشتريتموها للتجارة
والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم ومساكن ترضونها اى منازل
تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة
الدنيا ليس لتعاطى ما فيها من مبادى المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر
حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله عز وجل وما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله
بالحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلى الذى لا يخلو عنه البشر فانه عز وجل
بحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد فى سبيله نظم حبه فى سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشأنه
وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال
اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اى انتظروا حتى يأتى الله بامره
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه فتح مكة وقيل هى عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين
عن الطاعة فى موالاة المشركين والقوم الفاسقين كافة فيدخل فى زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم الى ما هو
خير لهم وفى الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله
خطاب للمؤمنين خاصة فى مواطن كثيرة من الحروب وهى مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير
والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل فى مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وموطن يوم حنين او
فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت
كمقتل الحسين رضى الله تعالى عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن فى المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس

من

من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة
والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة آلاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين
والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب
وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصارى لن نغلب اليوم من قلة فساءت
رسول الله عم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذرارى فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون
يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وعلا فلم
تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء
وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اى لا تجدون فيها
مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روى انه بلغ فلهم
مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذا
بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وروى انه عليه الصلوة والسلام
كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا
تسرع نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان فى الشجاعة ورباطة الجاش
سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتنى بما
وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة
فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اى رحمته التى
تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام
قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت
اى المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير فى تحقق
اصل السكينة فى الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها
اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبى عم الى قتال المسلمين
فقال هذا حين حمى الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأ
به عيناه ثم قال عم انهزموا ورب الكعبة واختلفوا فى عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل
ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين
بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب فى قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان فى
المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال
بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
والسبى وذلك اى ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم فى الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من
يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اى يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصى
رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روى ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابر الناس وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من
الابل والغنم ما لا يحصى فقال عم ان عندى ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم
قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب
شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عم انا لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك

البتة فرغبت اليه الوفاد وانهم قد رضوا · يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس · وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم
عين النجاسة او لانهم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون
النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن حسن من صافح مشركا توضأ
واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما
المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس · فلا يقربوا المسجد الحرام · تفريع على نجاستهم وانما نهى عن
القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع
عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل · بعد عامهم هذا · فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص
المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله
عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون عن دخول الحرم
والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون عن المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون عن جميع المساجد ونهي
المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا عن تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك · وان خفتم عيلة · اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب
وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة · فسوف يغنيكم الله من فضله · من عطائه او من تفضله بوجه آخر
فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به
فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض · ان شاء ·
ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها والمانعة عنها وتقييد ذلك بها لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس بمطرد بحسب الاشخاص
والاحوال والاوقات · ان الله عليم · بمصالحكم · حكيم · فيما يعطي ويمنع · قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله · امرهم بقتال
اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة
المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء
لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك
في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه · ولا باليوم الآخر · فان علمهم
باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به · ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله · اي ما ثبت تحريمه بالوحي
متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا
ولا يدينون دين الحق · الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله · من الذين اوتوا
الكتاب · من التورية والانجيل من بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت · حتى يعطوا · اي يقبلوا
ان يعطوا · الجزية · اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم
بالاعفاء عن القتل · عن يد · حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين
بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد
قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم
او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه · وهم
صاغرون · اي اذلاء وكذلك بان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ
بتلبيبه فيقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة رحمه الله من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من
مشركي العرب وعند ابي يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي
رحمه الله تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها
تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب

وروي

وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا
على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عم في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة
اول السنة وتسقط بالموت مع الاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة
وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان وزمن
او صبي او امرأة وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن
وقالت اليهود · جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في
سلك المشركين · عزير ابن الله · مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف
للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه
قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة
عن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء رسول الله عم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس و
مالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله تعالى فقير ونحن اغنياء وسبب
هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عم فرفع الله تعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام
يسيح في الارض فاتاه جبريل عم فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا
يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان
عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى
عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره
فلما اتاهم فقال لهم اني عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية ففعل فقالوا ان الله تعالى لم يقذف
التورية في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود اضاعوا التورية
وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه
شله قالوا ما قالوا · وقالت النصارى المسيح ابن الله · هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير
اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها · ذلك · اشارة الى ما صدر عنهم
من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة · قولهم بافواههم
اما تأكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود
في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج · يضاهئون · اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز · قول
الذين كفروا · اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا
من قبل · اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم
كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل
الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي
اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى · قاتلهم الله · دعاء عليهم جميعا
بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم · انى يؤفكون · كيف يصرفون من الحق الى الباطل
والحال انه لا سبيل اليه اصلا · اتخذوا · زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى · احبارهم · وهم علماء
اليهود واختلف في واحده قال الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن
السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب · ورهبانهم · وهم علماء
النصارى من اصحاب الصوامع اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل · اربابا من دون الله ·
بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله

تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب كان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله • والمسيح ابن مريم • عطف على رهبانهم اي اتخذوه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عم الى الله من حيث دلالتها على بنوته المنافية للربوبية مما يؤذن بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة • وما امروا • اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا • عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عم وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه • لا اله الا هو • صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون • عن الاشراك في العبادة والطاعة • يريدون ان يطفئوا نور الله • اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القران العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القران ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة • بافواههم • باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل مثلت حالهم في طلبهم ابطاله بحال من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه • ويأبى الله • اي لا يريد • الا ان يتم نوره • باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم • ولو كره الكافرون • جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذف الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا • هو الذي ارسل رسوله • ملتبسا • بالهدى • اي القران الذي هو هدى للمتقين • ودين الحق • الثابت وهو دين الاسلام • ليظهره • اي رسوله • على الدين كله • اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا • ولو كره المشركون • كما في ما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة

على

على انهم فتنوا الكفر بالرسول على الكفر بالله • يا ايها الذين امنوا • شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون • ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل • يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه الغرض الاعظم منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم • ويصدون الناس عن سبيل الله • عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل • والذين يكنزون الذهب والفضة • اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بما في ايديهم بعد وصفهم بما سبق من اخذ البراطيل والاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين ويؤيده انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين ولا ينفقونها في سبيل الله • فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله ما روي انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عم من ترك صفرا او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره • فبشرهم بعذاب اليم • خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم • يوم • منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر • يحمى عليها في نار جهنم • اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحمار للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى • فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم • لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربعة التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه • هذا ما كنزتم • على ارادة القول • لانفسكم • لتنتفعوا به فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها • فذوقوا ما كنتم تكنزون • اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون • ان عدة الشهور • اي عددها • عند الله • اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر • اثنا عشر • خبر لان • شهرا • تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية • في كتاب الله • في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وقوله عز وجل • يوم خلق السموات والارض • متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة • منها • اي من تلك الشهور الاثني عشر • اربعة حرم • هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ومنه قوله عم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان والمعنى رجب لا شهر لما كانت عليه من

من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت
حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة
المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابرهيم واسمعيل عم
وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه
او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك
حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت
ويؤيد الاول انه عم حصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه
وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو المصدر نسأه اذا
اخره نسأ ونساء ونسيئا نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء الاولى
فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد
وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حراما و
لذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة شهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرمه
الله تعالى وتحريم ما احله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء
للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة
الاولى ايضا وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ نضل بفتح الياء والضاد من
ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام
ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي والاسناد
له الى آلهتهم كما سيجيء عاما آخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من
كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي
لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال
ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة واغاروا وقيل
جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد
احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة
يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسي الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن
خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله
من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من
الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع
محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية
موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال
يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك
ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم واصله
تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى

الغزو

الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف ما في
المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا
وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ هو الاول الى الارض متعلق باثاقلتم
على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه
المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة
تبوك في سنة تسع بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت
ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى
بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها
من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير
اي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة
الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا
ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله
عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم
وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال
اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفي تنكير
الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل
شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا
محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم
تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او
ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حين نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا
اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عم في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره عم وقرئ بسكون الياء
على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عم ثانيا فان معنى قولهم
ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب
ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة
المائدة وجملة ثانيهما الصديق رضي الله عنه
عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى
مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله
معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور
من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد ما فيه من المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار
فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عم ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو
طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ثمة قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام
الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج وانما النبي فكان على طمأنينة من امره

وايده بجنود لم تروها • عطف على نصره اي بجنود من الملائكة النازلين يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا • وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك • وكلمة الله اي
التوحيد او دعوة الاسلام • هي العليا • لا يداينها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل
شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين • والله عزيز
لا يغالب • حكيم • في حكمه وتدبيره • انفروا • تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله
تعالى • خفافا وثقالا • حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة
والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة
او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة
للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال ام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية • وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله • ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد
بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم
الاول فقط • ذلكم • اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف
خير لكم • اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد • ان كنتم
تعلمون • اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه
لو كان • صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريق المباثة
وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه • عرضا قريبا • العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان
ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال • وسفرا قاصدا • اي قاصدا بين القريب والبعيد • لاتبعوك • في النفير طمعا
في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدمه عند توسط السفر فقط • ولكن بعدت عليهم الشقة
اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين • وسيحلفون • اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى
بالله • اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك
قائلين • لو استطعنا • او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة
او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين فقوله تعالى • لخرجنا معكم • ساد مسد جوابي القسم والشرط
جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون
بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت • يهلكون انفسهم • بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال ع م اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من
فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف
ليفعلن مكان لافعلن • والله يعلم انهم لكاذبون • اي في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث
كانوا مستطيعين الخروج ولم يخرجوا • عفا الله عنك • صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله ع م ما وقع منه عند استئذان
المتخلفين التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن الغرامة من ترك الاولى
والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل • لم اذنت لهم • اي لاي سبب اذنت
لهم في التخلف حين استأذنوك واعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون امور دم

منوطة

منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه
سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ
والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم
الاستطاعة لبعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه • حتى يتبين لك الذين صدقوا • اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم
الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك • وتعلم الكاذبين • في ذلك فتعامل
كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيص له ع م عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى
الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام
اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر
كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله ع م لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه
الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل
دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح
لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة
ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق
والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما
امر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده
الى ضميره ع م لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه ع م بهم ومؤاخذتهم
بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن ثم تنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه و
اسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق و
الكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما
لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب بما ثمرة العفو دون ما يوهم العتاب من
مراعاة جانبه عليه السلام وتعظيم لحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف
بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ واساء الادب وبئس ما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية للتلطيف
في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر • تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل بالاستئذان على حالهم [illegible]
من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم • وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على
الاذن فضلا عن ان يستأذنوك في التخلف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

ان الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي نفى عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستاذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استاذنوا في التخلف • والله عليم بالمتقين • شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى • انما يستاذنك • اي في التخلف مطلقا على الاول ولكراهة الجهاد على الثاني • الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر • تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد • وارتابت قلوبهم • عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره • فهم • حال كونهم • في ريبهم • وشكهم المستقر في قلوبهم • يترددون • اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه • ولو ارادوا الخروج • يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكن لم نتهيا له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه • لاعدوا له • اي للخروج في وقته • عدة • اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • اي عدة وقرئ عدة بكسر العين وعده بالاضافة • ولكن كره الله انبعاثهم • اي نهوضهم للخروج وقيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين • فثبطهم • اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له • وقيل اقعدوا مع القاعدين • تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم واياما كان فغير خال عن الذم • لو خرجوا فيكم • بيان لسر كراهة الله تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم • ما زادوكم • اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء • الا خبالا • اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك • ولاوضعوا خلالكم • اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتفريق وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولارقصوا من رقصت الناقة اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا • يبغونكم الفتنة • يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف • وفيكم سماعون لهم • اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستانفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا للمنفعة ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين مع القاعدين اليهم مستتبعا للخلل الكلي كره الله انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذا الفساد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة • والله عليم بالظالمين • علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما ياتي منهم فيما سياتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين • لقد ابتغوا الفتنة • تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك • من قبل • اي يوم احد حين انصرف عبد الله ابن ابي ابن سلول المنافق بمن معه

وقد تخلف هو عنه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به فردهم الله تعالى خاسئين • وقلبوا لك الامور • تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف • حتى جاء الحق • اي النصر والتاييد • وظهر امر الله • غلب دينه وشرعه • وهم كارهون • والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والآية لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بالاذن مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب • ومنهم من يقول ائذن لي • في القعود • ولا تفتني • اي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والاثم بان لا تاذن لي فيكون تخلفي لا محالة اذنت او لم تاذن فاذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه • الا • في عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف لكمال التحقق باختصاص اسم الجنس به • سقطوا • لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني على الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انهم ينجون من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل • وان جهنم لمحيطة بالكافرين • وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار ومحيطة بهم الآن تنزيلا للشيء المتوقع من قريب منزلة الواقع او وضعا للاسباب موضع المسبب فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما وقعوا فيه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الآخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا • ان تصبك • في بعض مغازيك • حسنة • من الظفر والغنيمة • تسؤهم • تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك • وان تصبك • في بعضها • مصيبة • من نوع شدة • يقولوا • متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم • قد اخذنا امرنا • اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا • من قبل • اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة • ويتولوا • عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم • وهم فرحون • بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلوة والسلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون • قل • بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد • لن يصيبنا • ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب • الا ما كتب الله لنا • اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية الاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم • هو مولانا • ناصرنا ومتولي امورنا • وعلى الله • وحده • فليتوكل المؤمنون • التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية

والفاء للدلالة على السببية والاصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة
على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل
في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من جهته تعالى امرا للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم
بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان
امر الغائب واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشان المأمور به والاشعار بما بينه وبين امره اولا من الفرق
في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اي ما تنتظرون بنا
الا احدى الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم
من الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصرة والغنيمة
ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة و
الظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة
اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا
تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله تعالى طوعا او كرها مصدران وقعا موقع
الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن
يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال
فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي و
التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله تعالى عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين
اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله
استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى
ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة
او هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب
وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل
الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم
يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ
استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو
وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجؤون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء
استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك ان
انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان
لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار
الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون
من غار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغاور او مدخلا اي نفقا يندسون فيه يحجرون وهو مفتعل من الدخول و
قرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل و
الاندخال لولوا اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اليه اي الى احد ما ذكر وهم

يجمحون

يجمحون اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم
وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات اي في شأنها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم
وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها
وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اي يفاجؤون السخط واذا نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت
الآية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل
في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي اس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة
قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله اي ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات
طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه السلام كان بامره سبحانه وقالوا
حسبنا الله اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو
ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره
اي لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف
ورد لمقالتهم الباطلة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق
اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية
الآتية لا تتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون
وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رحمه الله
وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه مول عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم
هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف
قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام
نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف
قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام
فلما اعزه الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون
بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان تفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام
لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين
الاولين او لعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة
عن احاطتهم بها وكونهم محلا لها ومركزا والغارمين اي الذين تدينوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب
فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء الثائرة بين القبيلتين وان كانوا
اغنياء وفي سبيل الله اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير
الظرف في الاخيرين لزيادة فضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ان ذكرهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف
الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف
لا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند الشافعي رحمه الله لا تجوز
الا ان يصرف الى ثلثة من تلك الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية اي فرض لهم الصدقات
فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء
اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم

لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من الأمور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق إلى مستحقيها • ومنهم الذين يؤذون النبي • نزلت في
فرقة من المنافقين قالوا في حقه عم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد
نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول إنما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل • ويقولون هو
أذن • أي يسمع كل ما قيل من غير أن يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق له وبين ما لا يليق به
وإنما قالوه لأنه صلى الله عم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب قالوا ما قالوا
قل أذن خير لكم • من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كأنه قيل يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا
عليه أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ أذن بسكون الذال فيهما وقرئ أذن خير على أنه صفة أو خبر
ثان وقوله عز وجل • يؤمن بالله • تفسير لكونه أذن خير لهم أي يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكون ذلك
خيرا للمخاطبين كما أنه خير للعالمين مما لا يخفى • ويؤمن للمؤمنين • أي يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة
بين الإيمان المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى أنؤمن لك وقوله تعالى فما آمن لموسى إلا ذرية
ورحمة • عطف على أذن خير أي هو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة • للذين آمنوا منكم • أي للذين أظهروا
الإيمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم
وإسناد الإيمان إليهم بصيغة الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للإيذان بأن إيمانهم
أمر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على أنها علة لفعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة • والذين يؤذون
رسول الله • بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه إشعار
بقبول توبتهم كما أفصح عنه قوله تعالى فإن يتوبوا يك خيرا لهم • لهم • بما يجترئون عليه من أذيته عم كما ينبئ عنه بناء
الحكم على الموصول • عذاب أليم • وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير
الإسناد بإثبات العذاب الأليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وإيراده صلى الله عم بعنوان الرسالة مضافا
إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته راجعة إلى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب • يحلفون
بالله لكم • الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم
بالأيمان ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يحلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل إليهم مما يورث أذاة النبي صلى الله عم وأما التخلف
عن الجهاد فليس من أفراد هذا الاعتذار • ليرضوكم • بذلك وإفراد إرضائهم بالتعليل مع أن عمدة أغراضهم إرضاء
الرسول عم وقد قيل عم لأن ذلك منهم ولم يكذبهم للإيذان بأن ذلك بمعزل من أن يكون وسيلة إلى إرضائه وأنه عليه السلام
إنما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما أشير إليه • والله ورسوله أحق أن يرضوه • أي أحق بالإرضاء
ولا يتسنى ذلك إلا بالطاعة والمتابعة وإيفاء حقوقه في باب الإجلال والإعظام مشهدا ومغيبا وأما ما أتوا به من الأيمان
الفاجرة فإنما يرضي بها المخبر طريق علمه في الأخبار إلى أن يجيء الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون
أي يحلفون لكم لإرضائكم والحال أنه تعالى ورسوله أحق بالإرضاء منكم أي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا
يعنيهم وإفراد الضمير في يرضوه إما للإيذان بأن رضاه عم مندرج تحت رضاه سبحانه وإرضاؤه عم إرضاء له تعالى
لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وإما لأنه مستعار لاسم الإشارة الذي يشار به إلى الواحد والمتعدد بتأويل
المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • أي كأن ذلك لا يقال أي حاجة إلى الاستعارة
بعد التأويل بالمذكور لأنا نقول لولا الاستعارة لم يحسن التأويل لما أن الضمير لا يتعرض إلا للذات ما يرجع إليه من غير تعرض لوصف
من أوصافه التي من جملتها المذكورية وإنما المنبئ عنها اسم الإشارة وإما لأنه عائد إلى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الأولى
لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب إليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف أو إلى
الله على أن المذكور خبر الجملة الأولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد • إن كانوا مؤمنين • جوابه محذوف تعويلا على
دلالة ما سبق عليه أي إن كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فإنهما أحق بالإرضاء • ألم يعلموا • أي أولئك المنافقون

والاستفهام للتوبيخ على ما أقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع
والتوبيخ أي ألم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والإنذارات • أنه • أي الشأن
من يحادد الله ورسوله • المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فإن كل واحد من
مباشري كل من الأفعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى • فأن له نار جهنم • على أن خبره
محذوف أي فحق أن له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على أنها خبر أن وهي مع خبرها سادة
مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وأن تكرير للأولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظي المانع للأولى
من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال • لقد علم الحي اليمانون أنني • إذا قلت أما بعد أني خطيبها • وقد جوز أن
يكون فأن له معطوفا على أنه وجواب الشرط محذوف تقديره ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له ورد
بأن ذلك إنما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا أو مضارعا مجزوما • خالدا فيها • حال مقدرة من الضمير المجرور
إن اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وإن اعتبر مطلق الاستقرار فالأمر ظاهر • ذلك • إشارة إلى ما ذكر من
العذاب الخالد وبذلك إيذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة • الخزي العظيم • الخزي الذل والهوان المقارن
للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الأشهاد بظهور ما لحوق العذاب الخاص بهم
والجملة تذييل لما سبق • يحذر المنافقون أن تنزل عليهم • في شأنهم فإن ما نزل في حقهم نازل عليهم • سورة •
تنبئهم بما في قلوبهم • من الأسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من أقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها إياهم
بما في قلوبهم مع أنه معلوم لهم وأن المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على أسرارهم لا اطلاع أنفسهم عليها أنها تذيع ما كانوا
يخفونه من أسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من أفواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها أو المراد بالتنبئة المبالغة
في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل
معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالي بالتفكك عند ظهور الأمر بعود المعنى
إليه أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم أستارهم قال أبو مسلم
كان إظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فإنهم كانوا إذا سمعوا رسول الله صلى الله عم يذكر كل شيء ويقول إنه بطريق الوحي
يكذبونه ويستهزئون به ولذلك كانوا قيل • قل استهزئوا • أي فعلوا الاستهزاء وهو أمر تهديد • إن الله مخرج •
أي من القوة إلى الفعل أو من الكمون إلى البروز • ما تحذرون • أي ما تحذرونه من إنزال السورة ومن مخازيكم و
مثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملإ الناس والتأكيد لرد إنكارهم بذلك لزعم ترددهم في وقوع المحذور والحس
حذرهم بطريق الحقيقة • ولئن سألتهم • عما قالوا • ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب • روي أنه عم كان يسير في
غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عم ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد
أن يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا
وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر • قل • غير ملتفت إلى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم
على أخطائهم موقع الاستهزاء • أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون • حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يتم
ذلك إلا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته • لا تعتذروا • أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول عم والطعن فيه • بعد إيمانكم
بعد إظهاركم له • إن نعف عن طائفة منكم • لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء وقرئ يعف على
إسناد الفعل إلى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا إلى الظرف بتذكير الفعل وتأنيثه أيضا ذهابا إلى المعنى
كأنه قيل إن ترحم طائفة • نعذب • بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا
إلى ما بعده • طائفة بأنهم كانوا مجرمين • مصرين على الإجرام وهم غير التائبين أو مباشرين له وهم غير المجتنبين قال
محمد بن إسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الأشجعي لما نزلت هذه الآية تاب عن نفاقه وقال اللهم إني لا أزال

اسمع آية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره ● المنافقون والمنافقات ● التعرض لاحوال الاناث
للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق ● بعضهم من بعض ● اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ
الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم
وقوله تعالى ● يأمرون بالمنكر ● اي بالكفر والمعاصي ● وينهون عن المعروف ● اي عن الايمان والطاعة استئناف
مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ● ويقبضون ايديهم ● اي عن المبرات والانفاق
في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح ● نسوا الله ● اغفلوا ذكره ● فنسيهم ● فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم و
التعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ● ان المنافقين هم الفاسقون ● الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ● وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار ● اي المجاهرين ● نار جهنم خالدين فيها ● مقدرين الخلود فيها ● هي حسبهم ● عقابا وجزاء وفيه دليل
على عظم عقابها وعذابها ● ولعنهم الله ● اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط
ما لا يخفى ● ولهم عذاب مقيم ● اي نوع من العذاب غير عذاب النار دائم لا ينقطع ابدا او لهم عذاب مقيم معهم في الدنيا
لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي ظاهره غير باطنه دائما لا يأمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول
العذاب ان اطلع على اسرارهم ● كالذين من قبلكم ● التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع
على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في محل النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ●
كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا ● تفسير وبيان لتشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم ● فاستمتعوا ● وتمتعوا وفي
صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع ● بخلاقهم ● بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه
من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه ● فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع ● الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اي استمتاعا كاستمتاع ● الذين من قبلكم بخلاقهم ● ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفائهم
آثارهم ● وخضتم ● اي دخلتم في الباطل ● كالذي خاضوا ● اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض
الذي خاضوه ● اولئك ● اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط
فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهوما ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو تلوين الخطاب
عن الفائدة اذ الفائدة في ذلكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من
الاعمال الذميمة ● حبطت اعمالهم ● ليس المراد بها اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي
اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر ● في الدنيا والآخرة ● بطريق المثوبة والكرامة اما في الآخرة فظاهر واما
في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس بترتبه عليها على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج ●
واولئك ● اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين ● هم الخاسرون ● الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون
لمباديه واسبابه طرا فانه قد ذهب رؤوس اموالهم التي هي اعمالهم فيما قربهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم
ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران ●
الم يأتهم ● اي المنافقين ● نبأ الذين من قبلهم ● اي خبرهم الذي له شأن وهو ما فعلوا وفعل بهم والاستفهام للتقرير
والتحذير ● قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين ● وهم قوم شعيب ● والمؤتفكات ● قريات قوم لوط
ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات والائتفاك انقلاب احوالهن
من الخير الى الشر ● اتتهم رسلهم بالبينات ● استئناف لبيان نبأهم ● فما كان الله ليظلمهم ● الفاء للعطف على مقدر

ينبئ

ينبئ عنه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك والاثبات بما عليه النظم الكريم للمبالغة في
في تنزيه ساحته سبحانه عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يزالوا يعرضونها لل
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ● ولكن كانوا انفسهم يظلمون ● للدلالة على استمرار ظلمهم
حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد
الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا
انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل او المفعول وسيجيء لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس
شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ● والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ● بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات
حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة
اولئك بمن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للآثار من
المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة ● يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ●
اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين لكل خير وشر ● ويقيمون الصلوة ● فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة
ما سبق من قوله تعالى نسوا الله ● ويؤتون الزكوة ● بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ● ويطيعون الله ورسوله ●
اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة ● اولئك ● اشارة الى المؤمنين
والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل
اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة ● سيرحمهم الله ● اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد
والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سأنتقم منك ● ان الله عزيز ● تعليل للوعد اي قوي
قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه ● حكيم ● يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة
والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا للمؤمنين متضمن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق في
في شأن المنافقين من قوله فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين
● وعد الله المؤمنين والمؤمنات ● تفصيل لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمة الدنيوية والاظهار في موضع الاضمار
لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان لحصول الموعود وعدم التعرض لذكر ما بازائه من الاجر
وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اي وعدهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في
مراتب الفضل كيفا وكما ● جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ● فائز كل احد منهم بها لا محالة
● ومساكن طيبة ● اي وعد بعضهم او كلهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش وعن الحسن انها
قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر ● في جنات عدن ● اي ابنية جنات وبساتين
عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله
طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف
باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة وسرتها
على هذا اعلم وقيل هو علم ونحوه وعدن بالمكان اذا اقام به ومرجع العطف على اختلاف الوصف فكانه
وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عنها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء
ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك كله فقال ● ورضوان من الله ● اي وشيء يسير من رضوانه تعالى
اكبر ● اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع
عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين ذلك اشارة الى ما سبق فضلا عن الكل

مالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل
من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا [illegible] ذلك اشارة الى ما سبق ذكره [illegible]
[illegible] هو الفوز العظيم [illegible] الدنيا [illegible]
[illegible]
يا ايها النبى جاهد الكفار [illegible] والمنافقين [illegible] واغلظ عليهم [illegible] ومأواهم جهنم [illegible] وبئس المصير [illegible] يحلفون بالله ما قالوا [illegible]
[illegible] ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم [illegible] وهموا بما لم ينالوا [illegible]
[illegible] وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله [illegible]
[illegible] فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة [illegible] وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير [illegible]
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين [illegible]
[illegible]

الناس بصدقة [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] فقال
[illegible]
فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون [illegible] فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون [illegible]
[illegible] الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب [illegible]
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات [illegible] عبد الرحمن بن عوف [illegible]
[illegible] والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم [illegible]

اسمية للدلالة على الاستمرار • استغفر لهم • اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره
بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه السلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر
كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم • ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم • بيان
لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي
وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام محافظة على
ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسأزيد
على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين
والسبعمائة في مطلق الكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنها العدد بأسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها
معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها
ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الآحاد غايتها
العشرات والسبعمائة غاية الغايات • ذلك • اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك
الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل • بانهم • اي بسبب انهم • كفروا بالله ورسوله • كفرا متجاوزا عن الحد
كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وجل • والله لا يهدي القوم الفاسقين • فان الفسق في كل شيء عبارة عن
التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك
التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا
فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك
فيه المطبوع بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث
لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال والممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما ينبئ عنه قوله عز وجل ما كان
للنبي الآية • فرح المخلفون • اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله
بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم • بمقعدهم • متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم
عن الغزو • خلاف رسول الله • اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا
ولم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح ظرف لمقعدهم اذ لا
فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول
له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام
او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عليه السلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه السلام
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله • لا ايثارا للدعة والخوض على طاعة الله تعالى فحسب بل مع ما في
قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الآخر رتبة الكراهية
والغا وترتيبه عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من
اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذي
هو القعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقالوا • اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر
والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود
فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك • لا تنفروا
في الحر • فانه لا يستطاع شدته • قل • ردا عليهم وتجهيلا لهم • نار جهنم • التي ستدخلونها بما فعلتم • اشد حرا
مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير
لو كانوا يفقهون • اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو

مقدر

مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما جعله للتمني
على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله تعالى قل انظروا ماذا
في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون • فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا • اخبار عن عاجل امرهم
وآجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق
للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية
او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به
فان امر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف
الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون
الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام • جزاء بما كانوا يكسبون
من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له
للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي
فان رجعك الله • الفاء لتفريع الامر الآتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان
ردك الله تعالى • الى طائفة منهم • اي الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق
مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستأذن البعض
عن قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل • فاستأذنوك للخروج • معك الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك وهذه
فقل • اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك • لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك • انكم • تعليل لما سلف اي لانكم • رضيتم بالقعود
اي عن الغزو وفرحتم • اول مرة • هي غزوة تبوك • فاقعدوا • الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على
ما صدر عنهم من الرضى بالقعود اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد • مع الخالفين • اي المتخلفين
الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين فكان محوا لاساميهم عن دفتر المجاهدين ولزمهم في قرن
الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد
تسمع قائلا يقول هي كبرى امراة او اولى مرة • ولا تصل على احد منهم مات • صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها
على تحقق الوقوع لا محالة • ابدا • متعلق بالنهي لا بالموت • ولا تقم على قبره • اي لا تقف عليه للدفن
او للزيارة والدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المؤمنين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله
ابن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت
اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا
فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه بقميصه يكفن فيه فلما هم بالصلاة عليه نزلت وعن عمر رضي الله عنه قال لما
مات عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله القائل يوم كذا
كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم ثم صلى عليه ثم مشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه
فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عليه السلام
عن التكفين بقميصه لان الضنة به كانت مخلة بالكرم على انه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر
رضي الله عنه والخبر مشهور • انهم كفروا بالله ورسوله • تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت
والوقوف على قبره انما يكون للاستصلاح وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم
وماتوا وهم فاسقون • اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده • ولا تعجبك اموالهم واولادهم
تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الفريق الاول فقد اموالهم

في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات
فانها لا بد منها لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في
ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع
واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف
انما يريد الله • بما متعهم به من الاموال والاولاد • ان يعذبهم بها في الدنيا • بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد
في شانها • وتزهق انفسهم وهم كافرون • اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في
العواقب • واذا انزلت سورة • من القران ويجوز ان يراد بها بعضها • ان امنوا بالله • اي بان امنوا لما في الانزال
من معنى القول والوحي ومصدرية حذف عنها الجار اي بان امنوا • وجاهدوا مع رسوله • لاعزاز دينه واعلاء كلمته
استاذنك اولوا الطول منهم • اي ذووا الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا • وقالوا • عطف تفسيري لاستاذنك
مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود • ذرنا نكن مع القاعدين • اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر
رضوا • استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا • بان يكونوا مع الخوالف
مع النساء اللاتي شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه • وطبع على قلوبهم فهم • بسبب ذلك
لا يفقهون • ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله عم والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك
من الشقاوة • لكن الرسول والذين امنوا معه بالله • وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء
وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود • جاهدوا باموالهم وانفسهم • اي ان تخلف هؤلاء
عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين • واولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة • لهم • بواسطة نعوتهم
المذكورة • الخيرات • اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن
خيرات حسان وهي جمع خيرة بتخفيف خيرة • واولئك هم المفلحون • اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية
عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشانهم ورباء لمكانهم • اعد الله لهم • استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيا لهم في
الاخرة • جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد • ذلك • اشارة الى ما فهم
من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى • الفوز العظيم • اي الذي لا فوز وراءه • وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم • شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر
اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم
اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك
اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا وقال عم سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى
وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في
العين ادغامها في الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر
المعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر • وقعد الذين كذبوا الله ورسوله • وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم
يعتذروا واظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة • سيصيب الذين كفروا منهم • اي من الاعراب او من
المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره • عذاب اليم • بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الاخرة • ليس على الضعفاء
ولا على المرضى • كالهرمى والزمنى • ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون • لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة • حرج
اثم في التخلف • اذا نصحوا لله ورسوله • وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن في السراء والضراء
وتوليهما والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه • ما على المحسنين من سبيل • استيناف مقرر لمضمون

ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم
منخرطون في سلك المحسنين [illegible] • والله غفور رحيم • تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان
بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر • ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم • عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله
عز وجل فيما سياتي انما السبيل الاية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار و
صخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلعم
فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد
[illegible] وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه • قلت لا اجد
ما احملكم عليه • حال من الكاف في اتوك باضمار قد [illegible]
[illegible]
تولوا • جواب اذا • واعينهم تفيض • اي تسيل بشدة • من الدمع • [illegible]
[illegible]
[illegible] • حزنا • [illegible]
[illegible]
[illegible] • ما ينفقون • [illegible]
[illegible] • انما السبيل • [illegible]
[illegible] • على الذين يستاذنونك وهم اغنياء • [illegible]
لا تنهم • رضوا • استيناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا • بان يكونوا
مع الخوالف • الذين شانهم الضعة والدناءة • وطبع الله على قلوبهم • اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة • فهم
بسبب ذلك • لا يعلمون • ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه اجلا كما لم يعلموا بخساسة شانه عاجلا • يعتذرون اليكم
استيناف لبيان ما يتصدون له بعد القفول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عم اليهم جاؤا يعتذرون
اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله صلعم فقط
اي يعتذرون اليكم في التخلف • اذا رجعتم • من الغزو منتهين • اليهم • وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار
الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها • قل • تخصيص هذا
الخطاب برسول الله صلعم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا لان الجواب وظيفته عم واما اعتذارهم فكان شاملا للكل
لشمول الرجوع لهم • لا تعتذروا • اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما
عندكم من المعاذير وانما التعرض لعنوان كذبها فلا اليه عند قوله تعالى • لن نؤمن لكم • اي لن نصدقكم في ذلك
ابدا فانه استيناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من قبلهم متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر
فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل • قد نبانا الله من اخباركم •
تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق مما انطويتم عليه من الشر والفساد واخفوه
في ضمائركم وهنا الموجب للابراز في معرض الاعتذار من الاكاذيب جمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم
من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما اطمعهم
في تصديق الرسول ايضا صلعم بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة • وسيرى الله عملكم
فيما سياتي اتتبتون عليه ام تتوبون من النفاق وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية
على ما عطف عليه من قوله تعالى • ورسوله • للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار
الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم • ثم تردون • يوم القيمة • الى عالم الغيب والشهادة • للجزاء بما ظهر منكم من
الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته

بأحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم • فينبئكم • عند ردكم إليه ووقوفكم بين يديه • بما كنتم تعملون •
أي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أن ما موصولة والعائد إليها محذوف
أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وإيثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله
آه فإن المنبأ به الأخبار المتعلقة بأعمالهم وللإيذان بأنهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة أعمالهم وإنما يعلمونها يومئذ
• سيحلفون بالله لكم • تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام
وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له • إذا انقلبتم • أي انصرفتم من الغزو
• إليهم • ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الإيذان
بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلعم به من قوله تعالى لا تعتذروا آه بل هو مبتدأ • لتعرضوا عنهم • وتصفحوا عنهم
صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا عنهم • فأعرضوا عنهم • لكن لا إعراض رضا كما
هو طلبتهم بل إعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل • إنهم رجس • فإنه صريح في أن المراد بالإعراض
عنهم إما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني وإما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها التطهير
بالحمل على الإنابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا • ومأواهم جهنم • إما من تمام التعليل
فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب وإما تعليل مستقل أي
كفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا أنتم في ذلك • جزاء • نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع
حالا أي يجزون جزاء أو لمضمون الجملة السابقة فإنها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كأنه قيل يجزون جزاء • بما كانوا
يكسبون • في الدنيا من فنون السيئات أو على أنه مفعول له • يحلفون لكم • بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره
أي يحلفون به تعالى • لترضوا عنهم • بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم • فإن ترضوا عنهم • حسبما راموا وساعدتموهم
في ذلك • فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين • أي فإن رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لأن الله ساخط عليهم ولا أثر
لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من
السخط وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة
على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم
متوهم أن رضى المؤمنين يقتضي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين
منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي فحلف
أن لا يتخلف عنه أبدا • الأعراب • هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد
فإن العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي
ولهذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي قال أهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي
ثم يحذف ياء النسبة في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الأعراب والأعاريب أي أصحاب
البدو • أشد كفرا ونفاقا • من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء
ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفورا إذ ليس
كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا • وأجدر أن لا يعلموا • أي أحق وأخلق بأن لا يعلموا • حدود ما أنزل الله على
رسوله • لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب
والسنة • والله عليم • بأحوال كل من أهل الوبر والمدر • حكيم • فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب
• ومن الأعراب • شروع في بيان تشعب جنس الأعراب إلى فريقين وعدم اقتصارهم على الفريق المذكور كما يتراءى
من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب الأولى المتوجهة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الأعراب على
الفريق المذكور فاحشة وإن ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين مضطروا والأنفاق من أهل النفاق

دون فقرائهم أو أعراب أسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الأعراب من يؤمن الآية
فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وإنما هم من جنسهم أي ومن جنس الأعراب الذي نعت بنعت بعض أفراده • من يتخذ •
ما ينفق • من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة • مغرما • أي غرامة وخسرانا لازما إذ لا ينفقه
احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وإنما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار
والانتفاع بما يتخذ إنما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة • ويتربص
بكم الدوائر • أصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه
ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به • عليهم دائرة السوء • دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض
كقوله سبحانه غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيفت إليه الدائرة ذما
كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت في الأصل بالمصدر مبالغة
ثم أضيفت إلى صفتها كقوله عز وجل ما كان أبوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيانية وتأكيد
كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة • والله سميع • بما يقولونه عند الإنفاق مما لا خير فيه
عليم • بما يضمرونه من الأمور الفاسدة التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى • ومن الأعراب •
أي من جنسهم على الإطلاق • من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ • أي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار • ما ينفق •
أي ينفقه في سبيل الله تعالى • قربات • أي ذرائع إليه تعالى وللإيذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كأنه نفس القربات والجمع
باعتبار أنواع القربات أو أفرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل • عند الله • صفتها أو ظرف ليتخذ • وصلوات الرسول •
أي وسائل إليها فإنه صلعم كان يدعو للمتصدقين عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه حين قال اللهم
صل على آل أبي أوفى فإن ذلك منصبه فله أن يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الإيمان بالله واليوم الآخر في الفريق
مع أن مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا وأن ذكر اتخاذه ذريعة إلى القربات
والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بإيمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين
من أول الأمر وأما الفريق الأول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا • ألا إنها قربة لهم •
شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما فيه
من تعدده باعتبار الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع أي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي إيراد الجملة اسمية وتصديرها
بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لأنها الغاية القصوى وصلوات الرسول
من ذرائعها وقوله تعالى • سيدخلهم الله في رحمته • وعد لهم بإحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما أن قوله عز وعلا
والله سميع عليم وعيد للأولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره ألبتة وقوله تعالى
• إن الله غفور رحيم • تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني
مقرن من مزينة وقيل في أسلم وغفار وجهينة وروى أبو هريرة أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وغفار وشيء
من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهوازن وغطفان • والسابقون الأولون من
المهاجرين • بيان لفضائل أشراف المسلمين إثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين
شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة • والأنصار • أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل بيعة العقبة
الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
• والذين اتبعوهم بإحسان • أي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على أن من
تبعيضية أو الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والأنصار ومن بيانية
• رضي الله عنهم • خبر للمبتدأ أي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم • ورضوا عنه • بما نالوه من رضاه المستتبع
لجميع المطالب طرا • وأعد لهم • في الآخرة • جنات تجري تحتها الأنهار • وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع • خالدين

فيها أبدا • من غير انتهاء • ذلك الفوز العظيم • أي الذي لا فوز وراءه وما في اسم الإشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم
في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الأعراب • وممن حولكم من الأعراب • شروع في بيان أحوال منافقي أهل المدينة ومن حولها من
الأعراب بعد بيان حال أهل البادية منهم أي ممن حول بلدتكم • منافقون • وهم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين
حولها • ومن أهل المدينة • عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى • مردوا على النفاق • إما جملة مستأنفة
لا محل لها من الإعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق إثر بيان اتصافهم به وإما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينها وبينه بما
عطف على خبره وإما صفة لمحذوف أقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من أهل المدينة كما في قوله أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
والجملة عطف على الجملة السابقة أي ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق أي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه
إذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير أن مرد لا يكاد يستعمل إلا في الشر فالتمرد على الوجهين الأولين شامل للفريقين
حسب شمول النفاق وعلى الوجه الأخير خاص بمنافقي أهل المدينة وهو الأظهر والأنسب بذكر منافقي أهل البادية أولا ثم
ذكر منافقي الأعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي أهلها والله تعالى أعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم أي لا تعرفهم
أنت لكن لا بأعيانهم وأسمائهم وأنسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني أنهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية
والتحامي عن مواقع التهم إلى حيث يخفى عليك حالهم مع ما أنت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة
وفي تعليق نفي العلم بهم مع أنه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وإيماء إلى أن ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها
صارت بمنزلة ذاتياتهم أو مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه بهم بأعيانهم على عدم علمه
بعد مجيء هذا البيان على أنه يعلم أن فيهم منافقين لكن لا يعلمهم بأعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة و
قوله عز وجل • نحن نعلمهم • تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق أي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم إلا من لا تخفى
عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بإبطان الكفر وإظهار الإخلاص وفي تعليق العلم بهم مع أن المقصود بيان تعلقه بحالهم
ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه • سنعذبهم • وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد
مرتين • عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فإنك منافق فأخرج ناسا وفضحهم
فهذا هو العذاب الأول والثاني إما القتل وإما عذاب القبر أو الأول هو القتل والثاني عذاب القبر أو الأول أخذ الزكاة
لما أنهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الأبدان وإتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر
المشفوع بالنفاق أو النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز أن يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين
أي كرة بعد أخرى • ثم يردون • يوم القيامة • إلى عذاب عظيم • هو عذاب النار وفي تغيير السبك بإسناد عذابهم السابق
إلى نون العظمة حسبما أسند ما قبله من العلم وإسناد ردهم إلى العذاب اللاحق إلى أنفسهم إيذان باختلافهما حالا وأن الأول خاص
بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وإن اختلفت طبقات عذابهم • وآخرون
بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في أمور الدين وهو عطف على منافقون أي ومنهم يعني ممن حولكم ومن أهل المدينة
قوم آخرون • اعترفوا بذنوبهم • التي هي تخلفهم عن الغزو وإيثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك
ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الأعمال السيئة كما فعله من اعتاد إخفاء ما فيه وإبراز ما ليس فيه من
المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالأيمان الفاجرة حسبما بين فيما مر وهم رهط من المتخلفين
أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب
عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل إنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام وأنا أقسم أن لا أحلهم
حتى أومر فيهم فنزلت • خلطوا عملا صالحا • وهو ما سبق منهم من الأعمال الصالحة والخروج إلى المغازي السابقة وغيرها
وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف بالذنب خلطه بما
على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى • وآخر سيئا •
فإن قولك خلطت الماء باللبن يقتضي إيراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه إيقاع

الخلط

الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص أحدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل
كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد أخرى والمراد بالعمل السيئ
ما صدر عنهم من الأعمال السيئة أولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والإثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة
ودرهما بمعنى شاة بدرهم • عسى الله أن يتوب عليهم • أي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم • إن الله غفور
رحيم • يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فإنها للإطماع
الذي هو من أكرم الأكرمين إيجاب وأي إيجاب • خذ من أموالهم صدقة • روي أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه
أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت فليست هي
الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها وما روي أنه عليه السلام أخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين لوقوع ذلك بيانا لما وقع
من الإجمال وإنما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل • تطهرهم • أي عما تلطخوا به من أوضار التخلف و
التاء للخطاب والفعل مجزوم على أنه جواب للأمر وقرئ بالرفع على أنه حال من ضمير المخاطب في خذ أو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو للصدقة
والعائد على الأول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من أطهره • وتزكيهم بها • بإثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال
من الضمير في الأمر أو في جوابه أي وأنت تزكيهم بها أي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم إلى مراتب المخلصين أو أموالهم أو تبالغ في
تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم وأما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب أو للصدقة وكذا إن جعلت الجملة الأولى حالا
من ضمير المخاطب أو صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الأولى حالا أو صفة من غير حاجة إلى تقدير المبتدأ لتوجيه
دخول الواو في الجملة الحالية • وصل عليهم • أي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم • إن صلواتك • وقرئ
صلاتك مراعاة لتعدد المدعو لهم • سكن لهم • تسكن نفوسهم إليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بأنه سبحانه قبل توبتهم
والجملة تعليل للأمر بالصلاة عليهم • والله سميع • يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء • عليم
بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الإخلاص في التوبة والدعاء أو سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه الحكمة
والجملة تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الأول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما • ألم يعلموا • وقرئ بالتاء
والضمير إما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم
ببيان أن المتولي لقبول توبتهم وأخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وإن إسناد الأخذ والتطهير والتزكية إليه عليه السلام أي ألم يعلم أولئك
التائبون • أن الله هو يقبل التوبة • الصحيحة الخالصة • عن عباده • المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن
والمراد بهم إما أولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للإشعار بعلية العبادة لقبولها وإما كافة العباد وهم داخلون في ذلك
دخولا أوليا • ويأخذ الصدقات • أي يقبل صدقاتهم على أن اللام عوض عن المضاف إليه وجنس الصدقات المندرج تحته
صدقاتهم اندراجا أوليا أي هو الذي يتولى قبول التوبة وأخذ الصدقات وما يتعلق بهما من التطهير والتزكية وإن كنت أنت
المباشر لما ظاهره وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
ما لا يخفى • وأن الله هو التواب الرحيم • تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير مع زيادة معنى ليس فيه أي ألم يعلموا أنه المختص
المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وأن ذلك سنة مستمرة له وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا
يسد كل واحد منهما مسد مفعوليه وإما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي أنهم قالوا في التائبين على الأولين هؤلاء
الذين كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت أي ألم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية إلى التكرمة
والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى
وقل اعملوا • زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللأولين في الثبات على ما هم عليه أي قل
لهم بعد ما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الأعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله
عز وجل • فسيرى الله عملكم • أي خيرا كان أو شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب والسين للتأكيد
ورسوله • عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للإشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت • والمؤمنون • في الخبر

لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم
ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من جزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من
اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها • وستردون • اى بعد الموت • الى عالم
الغيب والشهادة • في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة
خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة
للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة
ما يظهرونه كقوله تعالى ما يسرون وما يعلنون فالتقديم ح لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده
بايهام ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل
وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما الايذان
بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب
فيتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية • فينبئكم • عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر
الممتد الى يوم القيمة • بما كنتم تعملون • قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به ان خيرا فخير وان شرا فشر
فهو وعد ووعيد • وآخرون • عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير
المعترفين المذكورين • مرجون • وقرئ مرجؤن من ارجيته وارجاته اى اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة
• لامر الله • في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار
كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فجروهم والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى
ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى • اما يعذبهم • ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق و
ليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين • واما يتوب عليهم • ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على
الحالية اى منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره • والله عليم •
باحوالهم • حكيم • فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم • والذين اتخذوا مسجدا • عطف على ما سبق اى ومنهم
الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها • ضرارا • اى مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له
او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اى يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى
الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اى مضارين بهم في مسجدهم فلما اعتله عليه الصلوة والسلام حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف
وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتل
ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة
وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله
عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد
فنزلت عليه فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله
فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بقنسرين • وكفرا •
تقوية للكفر الذي يضمرونه • وتفريقا بين المؤمنين • الذين كانوا يصلون في مسجد قباء مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان
يتفرقوا وتختلف كلمتهم • وارصادا • اعدادا وانتظارا وترقبا • لمن حارب الله ورسوله • وهو الراهب الفاسق اى
لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم • من قبل • متعلق باتخذوا اى اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف

حيث

حيث كانوا بتبوك قبل غزوة تبوك او بحارب اى حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد • وليحلفن ان اردنا • اى ما اردنا ببناء
هذا المسجد • الا الحسنى • الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى
والله يشهد انهم لكاذبون • في حلفهم ذلك • لا تقم • للصلوة • فيه • في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه • ابدا •
لمسجد اسس • اى بني اصله • على التقوى • يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه
ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلعم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء
فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اى والله لمسجد وعلى
التقديرين فمسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى • من اول يوم • اى من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تعالى
احق ان تقوم فيه • اى للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى • فيه رجال • جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه
فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدأ او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه
تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار رأسا
وانما عبر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني
ومن يتابعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سبق • يحبون ان يتطهروا • من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه
وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها • والله يحب المطهرين • اى يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل
لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال
امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال اترضون
بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط
فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ
ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه
هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم • افمن اسس
بنيانه • على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة
جمع اساس او اساس بالفتح والكسر جمع وقرئ آساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبينة
لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اى ابعد ما علم من حالهم من اسس
بنيان دينه • على تقوى من الله ورضوان • اى على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة
والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان
الالف للالحاق دون التأنيث • خير ام من اسس بنيانه • ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا
اختلافهما وصفا واضافة • على شفا جرف هار • الشفا الجرف والشفير وجرف ما جرفه السيل اى استأصله
واحتفر ما تحته فبقي واهيا يهم بالانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف على السقوط من هار يهور ويهار او هار
يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اى بغير موجب فجرى مجرى الاعراب على
لامه • فانهار به في نار جهنم • مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره
في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان و
مقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة
وقرئ جرف بسكون الراء • والله لا يهدي القوم الظالمين • اى لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها
اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا

به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعلهم
للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اى لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما
ريبة في قلوبهم اى سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم
في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقى بعضهم الى
بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر
وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم
اظهروا من امرهم بعد التبار اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم
تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل
او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم
حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التائين اى الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق
اجزاؤها بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار وهو استثناء من اعم الاوقات واعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية
اى لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت
سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او
في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اى الا ان
تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان
تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم
والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ
في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم
بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم
والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم
ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية
بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم فانه قيل
بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم
بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية
بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان ذلك بمعزل
من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد
بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله
تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور
كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة
الله سبحانه وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس
وان المقاتل في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط
الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم
او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم

يوجد

يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان
بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة
عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون
اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل
يقاتلون الخ معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما دل
عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له وقوله تعالى في التورية
والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا في التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن
ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من
كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني
عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار
المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا
افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا
لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد
والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح
بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي
عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما
يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع
للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي
ان الانصار لما بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت
قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك
فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عم اعرابي وهو يقرأها قال كلام من قال
كلام الله عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد وذلك اى الجنة التي جعلت ثمنا
لما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة
الى ان البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل
للآية الكريمة وعلى الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم
المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد
جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى
ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر هم الجامعون لهذه
النعوت الفاضلة العابدون اى المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون
في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف فيه
للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه
وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين
اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان

وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب بالاولين
اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية • ما كان للنبي والذين آمنوا • بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل
وحكمته وما استقام • ان يستغفروا للمشركين • به سبحانه • ولو كانوا • اي المشركون • اولي قربى • اي ذوي
قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما في قوله
تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عم قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها
عند الله فابى فقال عم لا ازال استغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام
مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل
علي الآيتين • من بعد ما تبين لهم • اي للنبي عم والمؤمنين • انهم • اي المشركين • اصحاب الجحيم • بان ماتوا على
الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك • وما كان استغفار ابرهيم لابيه • بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان
وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر
من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى • الا عن موعدة •
استثناء عن شيء من الاشياء الا عن موعدة • وعدها • ابرهيم عليه السلام • اياه • اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله
لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل
وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى • فلما تبين له • اي لابرهيم
بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى • انه عدو لله •
فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت • تبرأ منه • اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة [margin note: تبرأ منه]
ما ليس في تركه ونظائره • ان ابرهيم لاواه • لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب • حليم • صبور
على الاذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عم الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم
كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتسي به في ذلك وتأكيد لوجوب
الاجتناب عنه بعد التبين بانه عم تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا
وتبرؤا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الايتساء به في قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى • وما كان الله ليضل قوما • اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال
عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه • بعد اذ هداهم • للاسلام • حتى يبين لهم • بالوحي صريحا او دلالة • ما يتقون • اي ما
يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون
به فكانه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل
ان الله بكل شيء عليم • تعليل لما سبق اي انه تعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل
في معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل هنا • ان الله له ملك السموات والارض • من غير شريك له فيه • وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير • لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم رأسا بين لهم
ان الله مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم
متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه • لقد تاب الله على النبي • قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو العفو عن اذنه للمنافقين
في التخلف عنه • والمهاجرين والانصار • قيل هو في حق الذين سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان
فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى
الذين اتبعوه • ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره • في ساعة العسرة • اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة
لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة

لبشربوا

لبشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ
ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عم في مثل تلك
المرتبة من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم • بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان
يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتاء الفعل
وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه • ثم تاب عليهم • تكرير
للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم • انه بهم رؤوف
رحيم • استئناف تعليلي فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن
ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق • وعلى الثلاثة الذين خلفوا •
اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا رد
ولم يقطع في شأنهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ
خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب
لان قوله تعالى • حتى اذا ضاقت عليهم الارض • غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم
الى ان ضاقت عليهم الارض • بما رحبت • اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم
وهو مثل للشدة والحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له الدار • وضاقت عليهم انفسهم • اي اذا رجعوا الى انفسهم
لا يطمئنون لشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة • وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه • اي علموا
ان لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره • ثم تاب عليهم • اي وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا
من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم • ان الله هو التواب •
المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت • الرحيم • المتفضل عليهم بعنوان الالاء مع استحقاقهم
لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق
به عم عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك
وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن
بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله عم فتأبط زاده ولحق به عم قال الحسن رضي الله عنه كذلك
والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول
الله صلى الله عم ماشيا فقال عم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عم رحم الله ابا ذر يمشي وحده
ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله عم
في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق
به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله عم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال
يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عم ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى
عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا
ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت
لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله

سهروا الى حتى صاحبني فقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير
استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح
فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه • يا ايها الذين آمنوا
خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة • اتقوا الله • في كل ما
تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا • وكونوا مع الصادقين
في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشؤون فيدخل ما ذكر دخولا اوليا وانابتهم فيكون المراد
بهم هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا من المهاجرين
والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين • ما كان لاهل المدينة • ما صح وما استقام
لهم • ومن حولهم من الاعراب • كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم • ان يتخلفوا عن رسول الله • عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو
ولا يرغبوا • نصب او جزم • بانفسهم عن نفسه • اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده
من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر • ذلك • اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة
بانهم • بسبب انهم • لا يصيبهم ظمأ • اي عطش يسير • ولا نصب • ولا تعب ما • ولا مخمصة • اي مجاعة ما الا ستباح عنه الجوع ما
من مراتبها فان الظمأ والنصب اليسيرين حيث لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا ذلك منه اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا
ويجوز ان يراد بهما تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا
من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به
في سبيل الله • واعلاء كلمته • ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار • اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم دوسا او مكانا يدوسونه • ولا ينالون من عدو نيلا • مصدر كالقتل والاسر والنهب او منهولا اي شيئا ينال من
قبلهم • الا كتب لهم به • اي بكل واحد من الامور المعدودة • عمل صالح • وحسنة مقبولة مستوجبة لحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل
الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك
ان الله لا يضيع اجر المحسنين • على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام
المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس
المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا • ولا ينفقون نفقة صغيرة • ولو تمرة او علاقة سوط • ولا كبيرة • كما انفق
عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء
لا لتاكيد النفي كما في قوله عز وجل • ولا يقطعون • اي لا يجاوزون في سيرهم • واديا • وهو في الاصل كل منفرج من
من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق • الا كتب لهم • اي اثبت لهم
ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع • ليجزيهم الله • بذلك • احسن ما كانوا يعملون • احسن جزاء اعمالهم • وما كان
المؤمنون لينفروا كافة • اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان
ذلك مخل بامر المعاش • فلولا نفر • فهلا نفر • من كل فرقة • اي جماعة كثيرة • منهم • كاهل بلدة او قبيلة عظيمة • طائفة
اي جماعة قليلة • ليتفقهوا في الدين • اي ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها • ولينذروا قومهم • اي
وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم • اذا رجعوا اليهم • وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه
دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط
في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان • لعلهم يحذرون • ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل
به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها
كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر وهو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين
سارعوا الى النفر رغبة ورهبة وانقطعوا من التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون

حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي
الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم • يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار • امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة
الى العراق وغيره • وليجدوا فيكم غلظة • اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها
واعلموا ان الله مع المتقين • بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان
والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا • واذا ما انزلت سورة • من سور
القرآن • فمنهم • اي من المنافقين • من يقول • لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن
الايمان • ايكم زادته • السورة • ايمانا • وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته
هذه آه وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت آياته زادتهم ايمانا • فاما الذين آمنوا • جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين
لحالهم عاجلا اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده • فزادتهم ايمانا • بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر
فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق • وهم يستبشرون • بنزولها وبما فيها
من المنافع الدينية والدنيوية • واما الذين في قلوبهم مرض • اي كفر وسوء عقيدة • فزادتهم رجسا الى رجسهم
اي كفرا مضموما الى كفرهم بها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك • وماتوا وهم كافرون • واستحكم ذلك الى ان يموتوا
عليه • اولا يرون • الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي الا ينظرون ولا يرون • انهم • اي المنافقين
يفتنون في كل عام • من الاعوام • مرة او مرتين • والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين
البليات من المرض والشدة وما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله
فيعاينون ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم • ثم لا
يتوبون • عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى • ولا هم يذكرون • والمعنى اولا يرون افتتانهم
الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ
بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم
التنبه كذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على يفتنون • واذا ما انزلت سورة • بيان لاحوالهم
عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه • نظر بعضهم الى بعض • تغامزوا
بالعيون انكارا لها وسخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم • هل يراكم من احد • اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين
لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير
الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد اي قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على تحذير
انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر اهتماما منه بشأن اصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى
واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين • ثم انصرفوا • عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والتوقف
على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك • صرف الله قلوبهم
اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية • بانهم • اي بسبب انهم • قوم لا يفقهون
لسوء الفهم او لعدم التدبر • لقد جاءكم • الخطاب للعرب • رسول • اي رسول عظيم الشأن • من انفسكم
اي من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم • عزيز عليه ما عنتم • اي شاق شديد عليه عنتكم
ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج ما سلف من المجانسة • حريص عليكم

في ايمانكم وصلاح حالكم • بالمؤمنين • منكم ومن غيركم • رؤوف رحيم • قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل • فان تولوا • تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله • فانه يكفيك ويعينك عليهم • لا اله الا هو • استئناف مقرر لمضمون ما قبله • عليه توكلت • فلا ارجو ولا اخاف الا منه • وهو رب العرش العظيم • اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا وحرفا ما خلا سورة البراءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم السلام

سورة يونس عم مائة وتسع آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

الر • بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء لالف الصلة مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك • اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة آه واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل • آيات الكتاب • وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انزاله جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر الا يرى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان ما نعته الناس من القرآن في ذلك الوقت مع تحفظون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا • الحكيم • ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في تضاعيفها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك المتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيه والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقيق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف • اكان للناس عجبا • الهمزة لانكار تعجبهم

والتعجب

والتعجب التامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المراد لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون آه لتحقيق ما فيه من الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث • ان اوحينا • اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدار الانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم وهو نكرة والخبر اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجبا على حذف حرف التعليل اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عجب لان اوحينا لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم • اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة • والسبق في احراز الفضائل العلية • وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية • واما التقدم في الرياسة الدنيوية • والسبق في نيل الحظوظ الدنية • فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال بها غالبا قال عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • ان انذر الناس • ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع الامر والنهي صلة حيث حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرا انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل المقصود في الاسم لا الاستثناء على المصدر وفي الامر والنهي بمعنى القول وفي كونها مخففة من الثقيلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد بجميع الناس كافة لا ما اريد بالاول في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق • وبشر الذين آمنوا • بما اوحيناه وصدقوه • ان لهم • اي بان لهم • قدم صدق • اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق • قال الكافرون • هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخلها همزة الانكار وكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا • يعنون به ما اوحي الى رسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم المنطوي على الانذار والتبشير • لسحر مبين

اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون
بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن
المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة
عقب الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق فيه حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شئون
الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير وارشادهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير بقوله تعالى قل من رب
السموات السبع ورب العرش سيقولون الله فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله تعالى ومن
يدبر الامر فسيقولون الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون
ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذي خلق السموات والارض وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام
اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور
تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار
وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت
قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام
ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير
منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه
بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها
ليقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك
من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى واحوال لا تكاد تحصى من الاسباب والمسببات والذوات والصفات والازمنة
والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب
كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة
والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونها خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال
نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبئ عن اجراء احكام الملك على كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير
واستمراره وقوله عز وجل ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه بالتقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه
فان نفي جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله وبهذا
بعد قوله تعالى يدبر الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى
الا من بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا من بعد اذنه المبني على
الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح
والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم
اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق
الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربهم الله الذي
خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اي
وحده من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزله اليكم
افلا تذكرون اي اتعلمون ان الامر كما فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه
لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه
فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز

وجل

وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع
بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاحتجاج وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما
دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى
فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب
وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي
ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم
للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب
وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب
سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال
على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال عليها بما مر من ابداع السموات
والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد
الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال
الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء
والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة و
ان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لا بعد ان كانت خالية عن
تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر
نورا الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار
بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره في منازل او قدره
ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة
بكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها
لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان
في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة
عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين
والثريا والدبران الهقعة والهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك
الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت لتعلموا اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين
بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي
لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات على ان اللام عوض عن المضاف اليه
من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب
بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان
الحساب احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل

مواقع
العو

كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد يحصل كل من ذلك من ثلثين يوما قد يحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعدد
مجرد احصاء تكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل فيه معين له اسم
خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف
اعتبارية لا تحدد بوحدة بحصل العدد ونفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحدودة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسامي خاصة واحكام مستقلة
علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العدد طائفة منها وتعلقه
في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة اشهر وقد تحصل كل واحد منها
من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة
من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعدما على العكس لان العلم
المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل
امر آخر حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ● ما خلق الله ذلك ● اي ما ذكر من الشمس
والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه
ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند
وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل ● الا بالحق ● استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل والمفعول اي ما خلق ذلك
ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم
باحوال السنين والاوقات المنوطة به امور معاملاتهم وعباداتهم ● يفصل الآيات ● اي الآيات التكوينية المذكورة
او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة
لقوم يعلمون ● الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات
المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ● ان في اختلاف الليل والنهار ● تنبيه آخر اجمالي على ما ذكر
اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في
تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا
بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي
ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض
تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا ● وما خلق الله في السموات والارض ● من اصناف
المصنوعات ● لآيات ● عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من
جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء ● لقوم يتقون ● خصهم بذلك
لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون
غيرهم وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ● ان الذين لا يرجون لقاءنا ● بيان
لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء
ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله
اني ظننت اني ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم
التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون
الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله
عز وجل ● ورضوا بالحيوة الدنيا ● فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الآخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى ● واطمأنوا بها ● اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين
من اعتراء المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي

اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وعما فيها من فنون الكرامات السنية
بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها بمجامع هممهم على لذائذها وزخارفها
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان
بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة فانها منبئة
عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر
كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاول للايذان باستمرار عدم الرجاء ● والذين هم عن آياتنا ● المفصلة في صحائف
الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها في الدلالة على حقية ما
لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا ● غافلون ● لا يتفكرون
فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة و
تكرير الموصول للتوسل الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي
منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب هذا واما ما قيل
من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك
في الشهوات بحيث لا تخطر ببالهم الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة
الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام نازل عن السداد فتأمل ● اولئك ● الموصوفون بما ذكر
من صفات السوء ● مأواهم ● اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه ● النار ● لا ما اطمأنوا به من الحيوة الدنيا ونعيمها
بما كانوا يكسبون ● من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين
الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم ان
وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ ● ان الذين آمنوا ● اي فعلوا الايمان او
آمنوا بما يجب به الايمان من الآيات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا
وعملوا الصالحات ● اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء
يهديهم ربهم ● اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية ● بايمانهم ● اي يهديهم
بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا على ظهوره وانسياق النفس اليه لا سيما مع ملاحظة
ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما اداهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم
الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية
وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو
ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة
على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه
في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو
سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون
والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره وابقي خارج الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل
قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب ● تجري من تحتهم الانهار ● اي بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار
تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول
يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك
السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل

السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله
علم ما لم يعلم • في جنات النعيم • خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدى اليه
اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها • دعواهم • اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل • فيها • متعلق به وقوله تعالى
سبحانك اللهم • خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول لمقدر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا و
لعلهم يقولونه عند ما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف • وتحيتهم فيها •
التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم • سلام •
اي سلامة عن كل مكروه • وآخر دعواهم • اي خاتمة دعائهم • ان الحمد لله رب العالمين • اي ان يقولوا ذلك
نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اي ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في
سلك الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى
وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم
الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا
حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات
والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه يأباه اضافة الآخر الى دعواهم
وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون ايذانا بان لا تكليف في الجنة ما عدا
الآن يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين خاتمته • ولو
يعجل الله للناس • هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء • الشر • اي بعض
من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو ما استعجلوه مما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايراده
باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على صنعهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم
الشر • الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك قوله تعالى • استعجالهم بالخير • نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر
ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم
حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير لو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم بالخير عند
استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه • لقضي اليهم اجلهم • لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم
واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء
للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل
لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد
استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم
في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك
امر مغاير للطاعة لازم لها مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر يخصه كما في
الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى
ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرأيت امرا فظيعا او نحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما
كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ المراد بالاستئصال فانه فرد كامل من مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما اثر عليه
في الدلالة على الشدة والفظاعة تخصيص وقعه في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير

تعجيل

وان هي المخففة
من ان المثقلة

تعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزئي من جزئياته كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية فلم يعتبر في مفهومه ما
ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول حتى يكون في ترتبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة معتبرة فجعله تاليا له
ناظر الى ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى
لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو اريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزئي
من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فلا بد في بيان ترتبه عليها وجودا او عدما من مزيد فائدة واما الفائدة في بيان
ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتيب التالي على ارادة المقدم بالنسبة الى ترتيبه على نفسه من المبالغة
وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة • فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا • بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن
لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنذرهم امهالا واستدراجا • في طغيانهم • الذي هو عدم رجاء اللقاء
وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة • يعمهون • يترددون
ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج
واذا مس الانسان الضر • اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة • دعانا • لكشفه
وازالته • لجنبه • حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى
يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا • او قاعدا او قائما • اي في جميع الاحوال مما ذكر ولم
يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على ان المراد بالضر
فانه مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك • فلما كشفنا عنه ضره •
الذي مسه غب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء • مر • اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر
ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه • كان لم يدعنا • اي كانه لم
يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا وجملة التشبيه في محل النصب على الحالية
من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا • الى ضر مسه • وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف
بهذه الصفات • كذلك • نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده اي مثل ذلك التزيين العجيب
للتفخيم والكاف مقحمة [illegible]
[illegible] • زين للمسرفين • اي المتجاوزين عن الحد [illegible]
[illegible] ان الله تعالى اعطاهم [illegible]
من العلوم والاعمال الصالحة [illegible]
[illegible] • ما كانوا يعملون • من الاعراض
عن الذكر والدعاء [illegible]
الاستدراج [illegible] • ولقد اهلكنا القرون • اي الامم
[illegible] • من قبلكم • متعلق باهلكنا [illegible]
[illegible] • لما ظلموا • ظرف
للاهلاك [illegible] • وجاءتهم رسلهم •
[illegible] • بالبينات • متعلق بجاءتهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الى الاعتذار بان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى كما فى قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى • وما كانوا ليؤمنوا • على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتأكيد
النفى اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم
والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثانى عطف على ما عطف عليه
وقيل اعتراض بين الفعل وما يجرى مجرى مصدره التشبيهى اعنى قوله تعالى • كذلك • فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره
اى مثل ذلك الجزاء الفظيع اى الاهلاك الشديد الذى هو الاستئصال بالمرة • نجزى القوم المجرمين • اى كل طائفة
مجرمة وهو وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين فى الجرائم والجرائر التى هى تكذيب الرسول
والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات
الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم
اعلام فى الاجرام وياباه كل الاباء قوله عز وجل • ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم • فانه صريح فى انه ابتداء
تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادى احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة
فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم بعد القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم فى الارض
بعد اهلاك اولئك القرون التى تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها • استخلاف من يختبر • لننظر • اى لنعامل
معاملة من ينظر • كيف تعملون • ففيه استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى
الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اى اى عمل تعملون او على الحالية اى على اى حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من
اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلى من الاستخلاف
انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار
القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها فضلا عن ان ينتظم ظهورها فى سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على
انه مفعول به اى اى عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون فى كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر فى الجزاء
جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأى القائل بل تكون مستعارة لمعنى اى شئ • واذا تتلى عليهم •
التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد
منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد جوابهم الآتى حسب تجدد التلاوة • آياتنا • الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة
لتشريف المضاف والترغيب فى الايمان به والترهيب عن تكذيبه • بينات • حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد
فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة الى تعيين
التالى وللايذان بان كلامهم فى نفس المتلو دون التالى • قال الذين لا يرجون لقاءنا • وضع الموصول موضع الضمير
اشعارا بعلية ما فى حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترءوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له
ولما هو من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اى قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه
• ائت بقرآن غير هذا • اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من
البين اى ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء او ما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها
والوعيد على عبادتها • او بدله • بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه
كيدا وطمعا فى المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به • قل • لهم • ما يكون لى • اى ما يصح وما يستقيم لى
ولا يمكننى اصلا • ان ابدله من تلقاء نفسى • اى من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب
ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثانى للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان
التصدى لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان

ما يدل

ما يدل على استحالة الثانى يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى • ان اتبع • فى شئ مما آتى واذر • الا ما يوحى الىّ
من غير تغيير له فى شئ اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر
من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الىّ وقد مر تحقيق المقام فى سورة الانعام وهو تعليل لصدر
الكلام فان من شأنه اتباع الوحى على ما هو عليه لا يستبد بشئ دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الآيات
ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القرآن كلامه عليه السلام ولذلك قيد التبديل فى الجواب بقوله من
تلقاء نفسى وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى • انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم •
فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام على اتباع الوحى اى انى اخاف ان عصيته تعالى بتعاطى
ما ليس لى من التبديل من تلقاء نفسى والاعراض عن اتباع الوحى عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء
الذى لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمى ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من
العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر من جهة الوحى بتفسير قوله تعالى ما يكون لى
ان ابدله من تلقاء نفسى بانه لا يتسهل لى ان ابدله بالاستدعاء من جهة الوحى ما اتبع الا ما يوحى الىّ من غير صنع ما من
الاستدعاء وغيره من قبلى لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم
فان استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب فى كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر فى التعليل الا ترى الى ما بعده
من الآيتين الكريمتين فانه صريح فى ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم فى الاول
ايضا كذلك وقوله عز وجل • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم • تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله تعالى اثر بيان
بطلان ما اقترحوه الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق
اظهارا لكمال الاعتناء بشأنه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما
سيأتى وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
عليكم • ولا ادراكم به • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عم بلا وحي وعمرا انتصب على التشبيه بظرف الزمان اي مدة فلا قيمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا من قبله اي من قبل نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل في امره صلى الله عم وانه نشا فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شان من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم كاشفا عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطقا باخبار ما قد كان وما سيكون مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمنا عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى وهذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عم لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عم على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك لا ههنا لكون القران في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بما لا يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عم عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب وافتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب لنفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عم عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عم في التفادي عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقران وحملهم له على انه من جهته عم والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القران بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمله على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي اذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شاني وكذلك من كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان وقع اسما لان والجملة خبرها يعقبه من الجملة مدار وضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشان هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اي ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة

وتقديم

وتقديم نفي الضرر لان ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر الاصنام على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لي اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما يكون معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صورة انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم قل تبكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عم الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت اخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه عم من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم

حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله
واذا مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في آياتنا اى بالطعن
فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا وقوع المكر منهم وتنكير مكر
للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتي
منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم
والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في
اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة
تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون
من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستأنف مسوق
لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر آنفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من
السير ويمكنكم منه عند الملابسة به وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وعلا بشر تنتشرون
حتى اذا كنتم في الفلك اى في السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء
ركوبهم فيها بل مضمون الجملة الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى
السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي
احوالهم ليتعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم
فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات
في بحر لجي يغشاه اى او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك
الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف
لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه
للثاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم
الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به آمالهم اكثر ريح عاصف
اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك
من كل مكان اى من اماكن مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة
هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها لجبال تنشق وظنوا انهم احيط بهم اى اهلكوا فان ذلك مثل في
الهلاك واصله احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا لما بينهما
من الملابسة والتلازم او استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله
مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مختصين لعبادته تعالى فقط لعبادة ايضا فانهم بمجرد
تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى
قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي
من جملتها هذه النعمة المسؤلة وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى
لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين
عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكرب
للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اى فاجؤا الفساد فيها واسرعوا اليه متراقين في ذلك متجاوزين

عما كانوا

عما كانوا عليه من جد والعبث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عندهم
ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن
البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي
بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه
للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله
تعالى على انفسكم خبره اى عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا
بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر
بطريق الاستئناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو
الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا الخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير
بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج
اى زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى
انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي
عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاني يناسبه بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل
بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان
الجملة مستأنفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف
لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد او نحو ذلك وفيه ما مر من حمل
على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع
الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول
وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اى هو متاع كما في قوله تعالى
لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا للشفقة
عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت
عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يجر به بعد ما يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان
كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق واما كون البغي
على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على
الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغي والضمير العائد اليه من حيث هو هو لا
من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحيوة الدنيا اما نصب متاعا
فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذا لم يكن انتصابه على
المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا
ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما
بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم ومن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم
واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كانه قيل تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر

فينبئكم بما كنتم تعملون • في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت
وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة أبية وهي أن كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مغايرة
لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها
نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها أحسن الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وإن برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة
لتمتعهم به من حيث أخذ المال والتشفي من الأعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يشعرون
وإنما يظهر لهم ذلك عند إبراز ما كانوا يعملون من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على تلك الصورة
وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه أعلم • إنما مثل الحيوة الدنيا • كلام مستأنف سيق لبيان شأن الحيوة الدنيا
وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في
سلك الأمثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب إقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الأرض من أنواع النبات في
زوال رونقها ونضارتها فجأة وذهابها حطاما لم يبق لها أثر أصلا بعدما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض
وزينت الأرض بألوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا أنها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله
الكاف في قوله عز وجل • كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض • بل ما يفهم من الكلام فإنه من التشبيه المركب
مما يأكل الناس والأنعام • من البقول والزروع والحشيش • حتى إذا أخذت الأرض زخرفها • جعلت الأرض في تزينها
بما عليها من أصناف النباتات وأشكالها وألوانها المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد أخذت
من ألوان الثياب والزين فتزينت بها • وازينت • أصله تزينت فأدغم وقرئ على الأصل وقرئ وأزينت كأغيلت
من غير إعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت • وظن أهلها أنهم قادرون عليها • متمكنون من حصدها
ورفع غلتها • أتاها أمرنا • جواب إذا أي ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات • ليلا أو نهارا فجعلناها • أي زرعها
وسائر ما عليها • حصيدا • أي شبيها بما حصد من أصله • كأن لم تغن • كأن لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ
بتذكير الفعل • بالأمس • أي فيما قبل بزمان قريب فإن الأمس مثل في ذلك كأنه قيل لم تغن آنفا • كذلك • أي مثل ذلك
التفصيل البديع • نفصل الآيات • أي الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات المنبهة على أحوال الحيوة الدنيا أي
نوضحها ونبينها • لقوم يتفكرون • في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لأنهم المنتفعون بها و
يجوز أن يراد بالآيات ما ذكر في أثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي إيجادا و
إعداما فإنها آيات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على أحوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا • والله يدعو إلى دار السلام •
ترغيب للناس في الحيوة الأخروية الباقية إثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية أي يدعو الناس جميعا إلى دار السلامة
عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وإنما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بمقابلها مع كونها معرضا للآفات أو إلى دار الله تعالى
وتخصيص الإضافة التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك أو إلى دار يسلم الله تعالى والملائكة فيها على من دخلها أو يسلم
بعضهم على بعض • ويهدي من يشاء • هدايته منهم • إلى صراط مستقيم • موصل إليها وهو الإسلام والتزود بالتقوى وفي
تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة وأن من أصر على الضلالة لم يرد الله رشده •
للذين أحسنوا • أي أعمالهم أي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك • الحسنى • أي المثوبة الحسنى • وزيادة •
أي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى
سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء • ولا يرهق
وجوههم • أي لا يغشاها • قتر • غبرة فيها سواد • ولا ذلة • أي أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق
أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير أي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان أنهم

من المكاره إثر بيان فوزهم بالمطالب الثاني وإن اقتضى الأول الآن ذكرا إذ كان مما يتقدمهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول
على الفاعل للاهتمام ببيان أن المصون من الرهق أشرف أعضائهم وللتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر
تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولأن في الفاعل تفصيلا كما في قوله تعالى يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين • أولئك • إشارة
إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وسمو
طبقتهم أي أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة الفائزة بالمثوبات الناجون عن المكاره • أصحاب الجنة
هم فيها خالدون • بلا زوال دائمون بلا انتقال • والذين كسبوا السيئات • أي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ
بتقدير المضاف خبره قوله تعالى • جزاء سيئة بمثلها • أي جزاء الذين كسبوا السيئات أن يجازى سيئة واحدة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك حيث لم يقل للذين كسبوا السيئات السوءى لمراعاة ما بين الفريقين
من كمال التنافي والتباين وإيراد الكسب للإيذان بأن ذلك إنما هو بسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على أنفسهم
أو الموصول معطوف على الموصول الأول كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد
والحجرة عمرو وفيه دلالة على أن المراد بالزيادة الفضل • وترهقهم ذلة • وأي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي
وفي إسناد الرهق إلى أنفسهم دون وجوههم إيذان بأنها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء
التحتانية • ما لهم من الله من عاصم • أي لا يعصمهم أحد من سخطه تعالى وعذابه أو ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما
يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة أو حال من ضمير ترهقهم
كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل • لفرط سوادها وظلمتها • مظلما • حال من الليل والعامل فيه أغشيت
لأن العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة أو معنى الفعل في من الليل
وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
فيجوز كون مظلما صفة له أو حالا منه وقرئ كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستأنفة أو حال
من ضمير ترهقهم • أولئك • أي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة • أصحاب النار هم فيها خالدون •
وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار لقرينة هذا السياق والسباق لم يكن فيها تمسك للوعيدية • ويوم نحشرهم •
كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من أحوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض أحوالهم المحكية
سابقا للإيذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا
كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر أي أنذرهم أو ذكرهم وضمير نحشرهم
لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه المتبادر من قوله تعالى • جميعا • ومن إفراد الفريق الثاني
بالذكر في قوله تعالى • ثم نقول للذين أشركوا • أي نقول للمشركين من بينهم ولأن توبيخهم وتهديدهم على رؤوس
الأشهاد أفظع والإخبار بحشر الكل في تهويل اليوم أدخل وتخصيص وصف إشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر
ما ارتكبوه من الكفر والمعاصي لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الإيذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل
الضمير للكفار خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا • مكانكم • نصب على أنه في الأصل ظرف
لفعل أقيم مقامه أي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم • أنتم •
تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده • وشركاؤكم • عطف عليه وقرئ بالنصب على أن الواو بمعنى مع •
فزيلنا • من زلت الشيء أزيله أي أزلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه ككالمته وكلمته
وهو معطوف على نقول وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة
على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة إيذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة
أي ففرقنا • بينهم • وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة

فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما يجيء فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي
من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من
اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف
وتبرأ شركاؤهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو في قوله تعالى
وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعاء المحاورة
المحاضرة الفائتة بالمباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من
النكتة المذكورة المصار لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران
والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة
اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه
من المحاورة فرعاية تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد
بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم
ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم
بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق كل شيء فتقوم فهم
بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين
اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة
بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا القطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه
وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او
في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلو اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة
سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها
من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة
من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب
كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبا بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها
الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا
على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله
اي الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب
على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك
غير ضال او ضل في اعتقادهم ايضا ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة هذا وقيل
الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلو وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقق
والتقرر وايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض لوصف الحقية في قوله
تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن اكتفي فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب
والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين
فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم
قل اي لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من
الاشراك من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
او كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض ام من يملك السمع

والابصار

والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال
وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة
العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت و
يخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر
اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون
بلا تلعثم وتأخير الله اي لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره
فقل عند ذلك تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى
انكار الوقوع كما في أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم
عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم اشارة الى من
تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم
اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى الحق صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته
والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة
وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي بعد الحق اي غير طريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول
واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي
ليس غير الحق الا الضلال الذي لا يختاره احد وحيث ثبت ان عبادته من هو متصف بما ذكر من النعوت الجليلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت مع كونها من اعمال الجوارح
باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما على تقدير
كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته
الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال والضياع وهذا انسب
بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني فأنى تصرفون استفهام انكاري بمعنى انكار الواقع
واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون
وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا
والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل
المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذي
الذي يعمهم ضلاله وضياعه في الآخرة وايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال
مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما حقت
الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه
على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل
لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار
كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما
لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت الاعادة
لتحققها ووضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده
ايذانا بتلازمهما وجودا وعدما مما يستلزم الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد
ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غير كائنا
ما كان لا بان ينوب عنهم في ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب لان المسؤول عنه

لما ان ليس المسؤول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به
عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم فالجواب
المطلوب منهم لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترئون على التصريح به
مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق
لمزيد التأكيد والتحقيق ● فانى تؤفكون ● الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب
بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون ● قل هل من شركائكم ● احتجاج آخر على ما ذكر
الزاما لهم غب الزام واخرى اثر اخرى وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله ● من يهدي الى الحق ● اي بوجه من
الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم وانما نقيض طرق الهداية وتخصيص نصب
الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل مخل بما يقتضيه من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه
خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى حيث قيل ● قل الله يهدي
للحق ● اي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر و
التدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام في الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر ● افمن يهدي الى الحق ● وهو الله عز وجل
احق ان يتبع ام من لا يهدي بكسر الهاء اصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها
لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى
وانما نفي عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق
لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام
على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبي عن الجواب بالعدم
فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب بالحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكاري
كما قيل في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله ونحوه والهمزة متأخرة في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في
اقتضاء الصدارة كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما الا يرى الى قوله تعالى فاي الفريقين احق
بالامن اثر تقرير ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي
لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن يهدي
الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق له واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان واياما كان فالاستفهام
للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع ● الا ان يهدى ● استثناء مفرغ من
اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هداية الله تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال
اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا
ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة
● فما لكم ● اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم وقوله
تعالى ● كيف تحكمون ● اي بما يقضي صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب
كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس
الجواب الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله
سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه
تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم
له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون ● وما يتبع اكثرهم ● كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان

عدم

عدم فهمهم لمضمون ما القي اليهم والقامهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان حكمهم
وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم ● الا ظنا ● واهيا من
غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات
اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام
فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون
لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد
يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التأثر
من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما يفيده فحوى الكلام
عرفا من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او
ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام
فالمراد بالاتباع ح هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة الكل
لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم
بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع
وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ● ان الظن لا يغني من الحق ● من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق
للواقع ● شيئا ● من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان شأن الظن
وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ● ان الله عليم بما يفعلون ●
وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة
اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد ● وما كان هذا القرآن ● شروع في بيان
ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي ما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن
المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما تلي من الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ●
ان يفترى من دون الله ● اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ● ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه
خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا
اي ولكن هو تصديق الخ ● وتفصيل الكتاب ● عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق و
الشرائع ● لا ريب فيه ● خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا
اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب ● من رب العالمين ● خبر آخر اي كائنا من رب العالمين
او متعلق بتصديق او تفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من
الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الآية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ● ام يقولون افتراه ●
اي بل ايقولون افتراه محمد والهمزة لانكار الواقع واستبعاده ● قل ● تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة
ان كان الامر كما تقولون ● فأتوا بسورة مثله ● اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله ● وادعوا ●
للمظاهرة والمعاونة ● من استطعتم ● دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات
والملمات ومدارهكم الذين تلجأون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون ● من دون الله ● متعلق بادعوا ودون
جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من
خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة

للبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه • ان كنتم صادقين
اى فى انى افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه وجواب ان محذوف لدلالة المذكور
عليه • بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه • اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا فى حق القرآن العظيم بالتحدى الى اظهاره
ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اى سارعوا الى تكذيبه اثر ذى اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما فى تضاعيفه
من الشواهد الدالة على كونه كما وصف آنفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه
بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا
بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم انما كان بسبب عدم علمهم به لما ان ارادة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما فى حيز الصلة
له • ولما يأتهم تأويله • عطف على الصلة او حال من الموصول اى ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه
الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها
بنفسه او لما يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة
النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا فى معناه او ينتظروا وقوع
ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفى اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد
الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة فى تكذيب الشئ قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها فى تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى
انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند
ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب
بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدى الوارد
فى سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذى يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به و
منهم الآية وقوله تعالى • كذلك • الى آخره وصف لحالهم المحكى وبيان لما يؤدى اليه من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب
المبنى على بادى الرأى والمجازفة من غير تدبر وتأمل • كذب الذين من قبلهم • اى فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من
المعجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم او كذبوا انبياءهم • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وهم الذين من قبلهم
من المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة
وبدخول هؤلاء الظالمين فى زمرتهم جريا ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل • ومنهم • الى آخره وصف لحالهم بعد
اتيان التأويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن به ضرورة امتناع الايمان بشئ بدون العلم به واشتراك
الكل فى التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى ومن هؤلاء المكذبين • من يؤمن به
عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيقته بعد ما سعوا فى المعارضة ورازوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد
ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه
حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير
اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقى اى سيؤمنون ويتوبون عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثانى الى
انهم سيتبعون الحق كما مر • ومنهم من لا يؤمن به • اى لا يصدق به فى نفسه كما لا يصدق ظاهرا لفرط غباوته المانعة
عن الاحاطة بعلمه كما ينبغى وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص
علومه عن معارضة الظنون والاوهام التى الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان
التأويل كاف فى مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما
يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سيأتى بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المتبعون
اتباع الظن على التفسير الثانى من غير اذعان للحق وانقياد له • وربك اعلم بالمفسدين • اى بكلا الفريقين على الوجه

وهو حمل الاتباع على مطلق الانقياد لا باعتبار التحير والاعتقاد فقط منه

الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما فى اصل الافساد المستدعى لاستتباع الوعيد او بالمصرين الباقين على الكفر
على الوجه الشامل من المعاندين والشاكين • وان كذبوك • اى اى تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد
الزام الحجة بالتحدى • فقل لى عملى ولكم عملكم • اى تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برئ و
المعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة كمال المقابلة
انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون • تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا
تؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف • ومنهم من
يستمعون اليك • بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من
رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سيأتى محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء
على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون
اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع • افانت تسمع الصم • همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة
وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأى سيبويه والجمهور على ان محل الهمزة على الفاء
لاقتضائها الصدارة كما تقرر فى موضعه بل الانكار مرتب عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل
المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعى دخول المعطوف فى حيزه
وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب فى فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل
ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار لاستماعهم فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه
عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله
عز وجل • ولو كانوا لا يعقلون • اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل
الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر • ومنهم من ينظر اليك • ويعاين دلائل
نبوتك الواضحة • افانت • اى اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل • تهدى العمى • تربية للانكار وهدايتهم
وابرازا لوقوعها فى معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل • ولو كانوا لا يبصرون • اى ولو انضم الى عدم البصر
عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك يحدس
الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق حيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب
لو فى الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى افانت تسمع الصم تهدى العمى عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها
نحوى كلتاهما فى موضع الحال من مفعول الفعل السابق اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون
افانت تهدى العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب
حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوى فلان يتحقق
عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو وان الوصليتين من التأكيد وقد مر
الكلام فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا • ان الله لا يظلم الناس • اشارة الى ان ما حكى عنهم من
عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم مؤفى المشاعر
ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اى لا ينقصهم • شيئا • مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولية و
الاخروية من مبادى ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل
وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشئ اصلا • ولكن الناس • وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع
الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول
دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب • انفسهم يظلمون • اى ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادى كمالهم
وذرائع اهتدائهم وانما لم تذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن

عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتاً بالكلية وابطالاً للآلة بالمرة بجانب قرينة وقوله عز وجل انفسهم ايثاراً كما ذكر للاكثر من ذلك
بمنزلة النقص الفضيع ولكن كان اسم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول يظلمون جيء متوقع
في بناء المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على رأي من لا يرى التقديم
موجباً للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون من غير قصر للظلم على الفاعل ولا على
المفعول واما على رأي من يراه موجباً له فلعل ايثار قصر المظلومية عليهم دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان ما اضافوا
سخافة عقولهم لما ان احق الامرين عندها الى الفاعل والمفعول وان تساويا في الجواز العقل ونفرته عن الطبع
واوضحها عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاول عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر
الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه او لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك
الغير ظالماً لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفائدة
وصيغة المضارع للاستمرار نفياً واثباتاً فان حرف النفي اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي
الاستمرار الا يرى ان ذلك مما لا يضرب يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وسياق الآية الكريمة
للالزام بالحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم
يوم القيمة شيئاً من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلماً مستمراً فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين
ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق ويوم نحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات
اي اذكر لهم او انذرهم يوم نحشرهم كأن لم يلبثوا اي كأنهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيئاً قليلاً منه فانها
مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالاً من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي
نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من
اقام بها مدة مديدة وتمتع بها يبقى عليه اثر نعمتها واحكام تحقق منافية لما يرى من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن
لم يلبث في البرزخ الا ذلك القدر وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار
بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة
بين النشأتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وعلا
يتعارفون بينهم بياناً وتقريراً له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكراً وعلى الاول يكون استئنافاً اي يعرف
بعضهم بعضاً كانهم لم يتفارقوا الا قليلاً وذلك اول ما خرجوا من القبور ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة
فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة
لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من
ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله ان كان مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعنى
وضيعوا في تجارتهم ومعاملتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين
ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اي قد ضلوا
وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط
ومن ثمة اكد الفعل بالنون اي نبصرنك بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من العذاب او نتوفينك قبل ان نريك
فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والدلالة على التجدد والاستمرار اي نعدهم وعداً متجدداً
حسبما تقتضيه الحكمة من انذار وتخصيص البعض بالذكر للرمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اي فنحن نريكه في الآخرة وهو جواب الشرط كأنه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة و

وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم
والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم
الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتأكيد التهديد وقرئ ثَمّ اي هناك ولكل امة من الامم الخالية
رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به
فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به
واهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً وهم لا يظلمون في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم
لانه من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد
استعجالاً لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يشير اليه الجواب لا طلباً لتعيين وقت
مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي في انه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المنطوية على الوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتماداً على ما تقدمه حسبما حذف
في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل
فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل قل لا
املك لنفسي ضراً ولا نفعاً اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم
لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار
باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئاً من شؤوني رداً وايراداً مع ان ذلك اقرب حصولاً فكيف املك
شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله
على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ عن ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك
يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعلها عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة
بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد وعلى ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئاً من الضر والنفع الا ما شاء الله
ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على افعالي الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدماً
ووجوداً تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق
من الاطلاق المشعر بكون المقضي به امراً ناجزاً غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اي لكل امة امة
من قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله
اذا جاء اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه
من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك تحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة
فاظهار الاجل مضافاً اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها
من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموماً يفيده معنى الجمعية كأنه قيل اذا جاء كل امة اجلهم بان يجيء
كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار
لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اي اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا يستأخرون
عن ذلك الاجل ساعة اي شيئاً قليلاً من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه
اصلاً وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه
وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر
بنظمه في سلك المستحيل عقلاً كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافراً مع ظهور ان لا توبة له رأساً قد نظم في

جواب

حال عدم قبول التوبة في سلكت من سوقها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبيخ وعدمها بالمرة كما ترى في
سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة
معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستيخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستيخار على بيان انتفاء
الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما في قوله تعالى
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك ● قل ● لهم غب ما
بينت كيفية جريان سنة الله تعالى عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم
لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ● ارايتم ● اي اخبروني
ان اتاكم عذابه ● الذي تستعجلون به ● بياتا ● اي وقت بيات واشتغال بالنوم ● او نهارا ● اي عند اشتغالكم
بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشية التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة ● وقوله عز وجل
ماذا يستعجل منه المجرمون ● جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع
المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا
عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى اي شيء تستعجلون منه سبحانه
والشيء لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في استحالة
منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة
النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي
يتقاضاه حقه ارايت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب يريد المبالغة في انكار التقاضي بتنظيمه في سلك التقاضي
بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلته وقوله عز وجل ● اثم اذا ما وقع آمنتم به ● انكار لايمانهم بنزول العذاب
بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المامور به اي ابعد ما وقع
العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا لتاخيره الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم
والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل
منه متعلق بارايتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض معترض لمضمون
الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دالة على
استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجيء باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل
وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى ● الآن ● استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت
القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به
انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في حقيته ولا لشيء آخر مما
عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال على وجه الاستهزاء وقرئ الآن بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى ● وقد كنتم به تستعجلون ● اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل
آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل
دون القصر ● ثم قيل ● الى آخره تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن
للذين ظلموا ● اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك
ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم ● ذوقوا عذاب الخلد ●
المؤلم على الدوام ● هل تجزون ● اليوم ● الا بما كنتم تكسبون ● في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي

من جملتها ما مر من الاستعجال ● ويستنبئونك ● اي يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء والانكار ● احق هو ●
احق خبر قدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه لحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر و
الجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه
الحق ● قل ● لهم غير ملتفت الى استهزائهم عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة ● اي وربي ● اي من حروف
الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه ● انه ● اي
العذاب الموعود ● لحق ● لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد
تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه ● وما انتم بمعجزين ● اي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما
معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ● ولو ان لكل نفس
ظلمت ● بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا
ما في الارض ● اي في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة وان كثرت ● لافتدت به ● اي لجعلته فدية
لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه ● واسروا ● اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع
تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع
ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحد من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل
لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه ● الندامة ● على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها
لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا ● لما راوا العذاب ● اي عند معاينتهم من
فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب
باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسر رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من
توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اسرار ما
اخلاصه اولان سر الشيء خالصه حيث تخفى وتضن به ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء
واسره اذا اظهره حين عيل صبره وفني تجلده ● وقضي بينهم ● اي اوقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم
من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل
اهل كل منهما بما يليق به ● بالقسط ● بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين
والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم
عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا ● وهم ● اي الظالمون ● لا يظلمون ● فيما فعل بهم من العذاب
بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية ● الا ان لله ما في السموات والارض ● اي ما وجد فيهما داخلا في
حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع
الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا ● الا ان وعد
الله ● اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا
ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري
اي وعده بجميع ما ذكر فيدخل فيه ما ذكر قوله تعالى ● حق ● على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين
بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره
والمحافظة عليه ● ولكن اكثرهم ● لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة
لا يعلمون ● ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون ● هو يحيي ويميت ● في الدنيا من غير دخل
لاحد في ذلك ● واليه ترجعون ● في الاخرة بالبعث والحشر ● يا ايها الناس ● التفات ورجوع الى استمالتهم
نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم

سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم • قد جاءتكم موعظة • هى الوعظ والعظة التذكير
بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من فى قوله تعالى • من ربكم • ابتدائية متعلقة
بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اى موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفى التعرض لعنوان الربوبية
من حسن الموقع ما لا يخفى • وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين • اى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع
فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب فى الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التى
هى شفاء لما فى الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى
طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والانفس ورحمة للمؤمنين حيث نجوا به
من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير فى
الكل للتفخيم • قل • تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بان يغتنموا ما فى مجئ القرآن العظيم
من الفضل والرحمة • بفضل الله وبرحمته • المراد بهما اما ما فى مجئ القرآن من الفضل والرحمة واما جنسهما وهو داخل
فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء فى رحمته للايذان
باستقلالها فى استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية
فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل • فبذلك فليفرحوا • للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثانى
عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشئ فبذلك ليفرحوا لا بشئ آخر ثم
ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد فى اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى
ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اى جاءتكم موعظة
بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرأ ابى فافرحوا وعن ابى بن كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه
هو • اى ما ذكر من فضل الله ورحمته • خير مما يجمعون • من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اى فبذلك فليفرح المؤمنون
هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون • قل ارأيتم • اى اخبرونى • ما انزل الله لكم من رزق • ما منصوبة المحل بما بعدها او
بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر فى السماء محصل هو وما يتوقف عليه وجوده
او بقاؤه باسباب سماوية من المطر والكواكب للانضاج والتلوين • فجعلتم منه • اى جعلتم بعضه • حراما • اى حكمتم بانه
حرام • وحلالا • اى وجعلتم بعضه حلالا اى حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية
وقولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه
ودوران التوبيخ عليه • قل • تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اى اخبرونى • ءالله اذن لكم • فى ذلك الجعل فانتم فيه
ممتثلون بامره تعالى • ام على الله تفترون • ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا
كانه قيل ام لم ياذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيدا
للتبكيت اثر تاكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب و
الانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده تقريبا من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار
والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله خاصة تفترون • وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
كلام مسوق من جهته تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول فى موقع الاضمار
لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا
لكمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا فى اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتداء وظن خبرها ومفعولاه محذوفان
وقوله عز وجل • يوم القيمة • ظرف لنفس الظن اى اى شئ ظنهم فى ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة
عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم

من

من الامور التى ستقع يوم القيمة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره فى التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم
اى اى شئ ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا
ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفى اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا وقرئ على لفظ الماضى اى اى ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضى لانه كائن فكانه قد كان • ان الله
لذو فضل • اى عظيم لا يكتنه كنهه • على الناس • اى جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن
والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التى لا تستقل العقول فى ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم
من امر المعاش والمعاد • ولكن اكثرهم لا يشكرون • تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له
ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة
فلا يلتفتون اليه فيفعلون فيما يفعلون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه • وما تكون فى شأن • اى فى امر من
شأنك شأنه اى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول • وما تتلو منه • الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف
اى تلاوة كائنة من الشأن اذ هى معظم شئونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية
او لله عز وجل ومن ابتدائية والتى فى قوله تعالى • من قرآن • مزيدة لتاكيد النفى او ابتدائية على الوجه الاول
وبيانية او تبعيضية على الثانى والثالث • ولا تعملون من عمل • تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمن هو قدوة الكل وقد روعى
فى كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير • الا كنا
عليكم شهودا • استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلثة اى ما تلابسون بشئ منها فى حال من
الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له • اذ تفيضون فيه • اى تخوضون وتندفعون فيه و
اصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان
الماضى ايضا اوثر فى الاستثناء صيغة الماضى وفى الظرف كلمة اذ التى تقلب المضارع معنى الماضى • وما يعزب
عن ربك • اى لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفى التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى
وقرئ بكسر الزاء • من مثقال ذرة • كلمة من مزيدة لتاكيد النفى اى ما يعزب عنه ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة
او هباء • فى الارض ولا فى السماء • اى فى دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس
فى احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى
بتفاصيلها وقوله تعالى • ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين • كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية
للجنس واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شئ
ما لكن جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب شئ منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى
يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شئ الا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ
الا ان اولياء الله • بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى
مهيمنا على نبيه صلى الله عليه وسلم وامته فى كل ما ياتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما فى السماء والارض
وكون الكل مثبتا فى الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم
من الاهوال اشارة اجمالية الى طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها
بها والولى لغة القريب والمراد باوليائه تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه سبحانه وتعالى كما سيفصح
عنه تفسيرهم • لا خوف عليهم • فى الدارين من لحوق مكروه • ولا هم يحزنون • من فوات مطلوب اى لا يعتريهم
ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون
على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد

والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام
بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك
مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة
بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا
بفوات نافعها وقوله عز وجل • الذين آمنوا • اي بكل ما جاء من عند الله تعالى • وكانوا يتقون • اي يقون
انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
جائز ونعت لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى
المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا تعذر
في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها
الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل
اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود
والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم وهكذا كان حال من دخل معه عليه الصلوة والسلام تحت
الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الخ ان لهم في ميدان التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام
حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح
ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
فملاك امر الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل انهم الذين تولى الله
هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله
برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا
يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله
ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن
السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى والآثار
[illegible]

المؤمنين

المؤمنين في تحصيلهما [illegible]
[illegible]
في الحيوة الدنيا ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل
يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان بها والبشرى
في الدنيا هي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي عليه السلام هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن
او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة
بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم
مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك
من البشارات فيكون ذلك بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى
ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن التنزيل الكريم • لا تبديل لكلمات
الله • اي لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا
دخولا اوليا وحيث امتنع الاختلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل
كلماته تعالى ليس عدم التخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم التخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها
فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر • ذلك • اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين
هو الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به
وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وهذه تذييل لما قبلها اعتراض • ولا يحزنك قولهم •
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره
ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو
في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك
وسائر ما يتفوهون به في شأنك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التأثير
نهي عن التأثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا و
تخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى ينهى عنه
وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى • ان العزة • تعليل للنهي على طريقة
الاستئناف اي الغلبة والقهر • لله جميعا • اي في ملكته وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم
فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهو من جملة البشارات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل

اى لان العزة لله ● هو السميع العليم ● ليسمع ما يقولون فى حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك الا ان لله
من فى السموات ومن فى الارض اى العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم
مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو
مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عم وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد
لما من قوله تعالى ● وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ● وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها
وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء
فى الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون
مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ● ان يتبعون الا الظن ● اى ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة
معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه
واما استفهامية له وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة فى بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه
من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اى واى شىء يتبعون اى لا يتبعون شيئا ما يتبعون
الا الظن وخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الآية وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه
قيل اى شىء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم
اقتدائهم بهم فى ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة
فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق ● وان هم الا يخرصون ● يكذبون
فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا ● هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات
الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله
الثانى او هو حال كما فى الوجه الاول والمفعول الثانى لتسكنوا فيه او محذوف يدل عليه المفعول الثانى من الجملة الثانية كما ان
العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما فى الاولى والتقدير هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا
فيه لمصالحكم كما سيجىء نظيره فى قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية فحذف فى
كل واحد من الجانبين ما ذكر فى الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازى كما فى قولهم نهاره
صائم ● ان فى ذلك ● فى جعل كل منهما كما وصف وفيما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه
وعلو رتبته ● لآيات ● اى عجيبة كثيرة او لآيات اخر غير ما ذكر ● لقوم يسمعون ● اى هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة
على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة
لمصلحة الكل لما انهم المنتفعون بها ● قالوا ● شروع فى ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه ● اتخذ الله ولدا
اى تبناه ● سبحانه ● تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجب من كلمتهم الحمقاء ● هو الغنى ● على الاطلاق عن كل شىء فى كل
شىء وهو علة لتنزيهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل ● له ما فى السموات وما فى الارض ● اى من العقلاء
وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لملكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ● ان عندكم من سلطان ● اى حجة ● بهذا ● اى بما ذكر
من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن فى سلطان زائدة لتأكيد النفى
وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفى وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى
الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما فى عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم فى هذا القول من سلطان ثم التفت
الى الخطاب لمزيد المبالغة فى الالزام والافحام وتأكيد ما فى قوله تعالى ● اتقولون على الله ما لا تعلمون ● من التوبيخ والتقريع على جهلهم
واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهى جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعى وان التقليد بمعزل
من الاعتداد به ● قل ● تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ● ان

الذين يفترون على الله الكذب ● اى فى كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا
اوليا ● لا يفلحون ● اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج
فى ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة فى الزجر عن الافتراء عليه سبحانه ●
متاع فى الدنيا ● كلام مستأنف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على
الاطلاق او فى ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم فى غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير
فى الدنيا وليس بفوز بمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه ايضا بقوله عز وجل ● ثم الينا مرجعهم ● اى بالموت
ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ● فيبقون فى الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم فى الدنيا فاين
هم من الفلاح وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون
مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه فى نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه
اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء حكم ما يؤدى اليه من رياستهم
عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اى لهم متاع والآية اما مسوقة من جهته سبحانه
لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة فى الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة فيه على ان
النبى صلى الله عم مأمور بحكايته عنه عز وجل ● واتل عليهم ● اى على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم
لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد ● نبأ نوح ● اى خبره الذى له شأن
وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك فى الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه لزوال ما متعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق
الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان
يعرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد بل
بطريق الوحى وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن اوليائه
عز وعلا قاطبة وتشجيع النبى صلى الله عم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى ● اذ قال ●
معمول النبأ او بدل منه بدل اشتمال وايا ما كان فالمراد بعض نبأه عم لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام فى قوله تعالى
لقومه ● للتبليغ ● يا قوم ان كان كبر ● اى عظم وشق ● عليكم مقامى ● اى نفسى كما يقال فعلته لمكان فلان
اى لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه او قيامى ومكثى بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامى ● وتذكيرى بآيات الله ●
فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم ● فعلى الله توكلت ●
جواب للشرط اى دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل ●
فاجمعوا امركم ● عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب
وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل فيه حذف وايصال قال السدوسى اجمعت الامر
افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى
افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا ● وشركاءكم ● بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه
القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة التهكم
وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اى وادعوا شركاءكم وقد قرئ
كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على امركم الذى تريدون بى من السعى فى اهلاكى واحتشدوا فيه على اى وجه
يمكنكم ● ثم لا يكن امركم ● ذلك ● عليكم غمة ● اى مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهروننى به فان
الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك فى حقى لم يكن للستر وجه وانما قاله
عم بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته وكلمة
ثم للتراخى فى الرتبة واظهار الامر فى موقع الاضمار لزيادة تقرير بمقتضيها مقام الامر بالاظهار الذى يستلزمه النهى عن الستر

والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عم من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب
وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده
قوله عز وجل • ثم اقضوا الي ولا تنظرون • اي ادوا الي اي احكموا ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني
لقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر اي ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يجعل
بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء
اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء • فان توليتم • الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد
اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما
اقول ودلائلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى الحقيق بما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم واحجامكم
من الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم مقابلة وعظي وتذكيري • من اجر •
تؤدونه حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضر بي
توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عم بوجوده
وعدمه وعلى التقديرين فالفاء جزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا
ان ليس في مصحح له ولا تأثر منه وقوله عز وجل • ان اجري الا على الله • ينتظم المعنيين المعنيين جميعا خلا انه على
الاول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عم عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به آمنتم او توليتم
• وامرت ان اكون من المسلمين • المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء
في طاعة الله تعالى • فكذبوه • فاصروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم
ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب • فنجيناه ومن معه في الفلك • من المسلمين وكانوا
ثمانين • وجعلناهم خلائف • من الهالكين • واغرقنا الذين كذبوا باياتنا • اي بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر
الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين
ظلموا الصيحة وغير ذلك من الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان
بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين • فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين • تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له • ثم بعثنا • اي ارسلنا • من بعده •
اي من بعد نوح عم • رسلا • التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير • الى قومهم • اي الى اقوامهم
لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اي قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى
عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص • فجاؤهم • اي جاء كل رسول قومه المخصوصين به • بالبينات • اي المعجزات الواضحة
الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي
ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان
مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه • فما كانوا ليؤمنوا • بيان لاستمرار عدم ايمانهم
في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك
الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي آخر
حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي
وبما اشير اليه في قوله عز وجل • بما كذبوا به من قبل • تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل
ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك
عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول

اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى
آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت
عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها آثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم
بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك
الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عم فيكذبونها ثم كانت
حالتهم بعد مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم
اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع
التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر
ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا
راجع الى قوم نوح عم والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء
للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل
ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه
مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف • كذلك • اي مثل ذلك الطبع المحكم • نطبع • بنون العظمة
وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه • على قلوب المعتدين • المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد
المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي
امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد • ثم بعثنا • عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده
رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة • من بعدهم • اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام • موسى وهرون •
خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراجهما في ما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام
مع اقوامهم وادرج في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عم • الى فرعون
وملائه • اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهام ومراجعة الكل اليهم في النوازل الملمة
باياتنا • اي بالآيات المفصلات في الاعراف • فاستكبروا • الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء
فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعها وذلك قول اللعين لموسى عم الم نربك فينا وليدا ولبثت
فينا من عمرك سنين الخ • وكانوا قوما مجرمين • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنب
العظام فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة
الله عز وجل والاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات • فلما جاءهم الحق من عندنا • وهو الذي اتى به موسى عم
اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك قوله اولا اظهره من الآيات العظام والفاء فيه
ايضا فصيحة معربة عما ذكر في موضع آخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين • فلما جاءهم الحق من عندنا • وعرفوه قالوا من فرط عتوهم
وعنادهم • ان هذا لسحر مبين • اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر • قال موسى •
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كأنه قيل فماذا قال لهم موسى عم حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري
التوبيخي • اتقولون للحق • الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت • لما جاءكم • اي حين مجيئه اياكم
ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا المعنيين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة
ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني انه
لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاولوا

اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الآية فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه
وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل أسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب
لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه
سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التقريع بالرد عليهم في خصوصية
ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين
المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي أسحر
هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه
مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله
عز وجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء
الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر
بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين
عن كل محذور وقوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا
بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى
اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم
بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه
اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظيفة
من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب
تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من يأتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا
أجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب
الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استئناف
وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما
قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا
عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتأتى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي
شرح او على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام فالتأ عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة
ولا ريب انه لا علاقة بين قولهم أجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام ما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه وتكون لكما الكبرياء
اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى في الارض اي ارض مصر
متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما
لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما
تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما
اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون لتوحيد الفعل
لان الامر من وظائف فرعون اي قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن
الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء السحرة عطف على
مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به
فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخرى من قولهم اما ان تلقي
واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ما تلقونه كائنا ما كان من اصناف السحر فلما

القوا ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث
بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من
آيات الله سبحانه او هو من جنس السحر يريهم ان حاله بين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاريه وقرئ
آلسحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل
وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة ان الله سيبطله
اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد
ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم
فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح
عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط
عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد
وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين
الاخرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون
ذلك والمراد كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواضع
أخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك ايثارا للايجاز وايذانا بان قوله
ان الله سيبطله مما لا يحتمل التخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل
فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد
وروده ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث
اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قومه بني
اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية
طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد
على خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد في ضمير
العظماء ولا بائه بمقام بيان علوه في الفساد وعتوه في الشر والتسلط على العباد او لان المراد به آل فرعون كما
يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون
اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال من فرعون او مفعول خوف
فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام
واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر
وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق
اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين
منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اي فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون فانه
كاف لكل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يوجد مع
التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم
في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة
اي موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا قائلين
لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالنجاة

من سوء جوارهم وسوء مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتب الدعاء
على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى ● واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا ● اي تبوءا
لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة ● لقومكما بمصر بيوتا ● تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة ●
واجعلوا ● انتما وقومكما ● بيوتكم ● تلك ● قبلة ● مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عليه السلام
كان يصلي اليها ● واقيموا الصلوة ● اي فيها امروا بذلك في اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم
وبشر المؤمنين ● بالنصرة في الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعل كل احد ثم وحد لان البشارة
الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار في التبشير
وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة ● اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما ● واموالا ● وانواعا
كثيرة من المال ● في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ● دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون غيره
كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت وللعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها
على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ● ربنا اطمس على اموالهم ● الطمس المحق وقرئ بضم الميم
اي اهلكها ● واشدد على قلوبهم ● اي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شانهم
فلا يؤمنوا ● جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي وعطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض ● حتى يروا العذاب
الاليم ● اي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك ● قال قد اجيبت دعوتكما ● يعني موسى وهرون
عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة ● فاستقيما ● فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء
اربعين سنة ● ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ● اي بعادات الله سبحانه في تعليق الامور بالحكم والمصالح او
سبيل الجهلة في الاستعجال وعدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا ● وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ● هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اي
جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة
لا مما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والا لقيل وجوزنا بني اسرائيل في البحر
وبخلا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في
الفرق بين اذهبه وذهب به ● فاتبعهم ● يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اي ادركهم ولحقهم
فرعون وجنوده ● حتى تراءت الفئتان كاد يجتمع الجمعان ● بغيا وعدوا ● ظلما واعتداء اي باغين وعادين او للبغي
والعدوان وقرئ عدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى
لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وكمل
اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم ● حتى اذا ادركه الغرق ● اي لحقه والجمه ● قال آمنت انه ● اي بانه والضمير للشان
وقرئ انه على الاستيناف بدلا من آمنت وتفسيرا له ● لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل ● لم يقل كما قاله السحرة
آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه
عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة ● وانا من المسلمين ●
اي الذين اسلموا انفسهم لله اي جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة او الجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني
يحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد

بثلث

بثلث عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات بعدما فات ما فات واني بالهوات وقوله عز وجل
آلآن ● مقول لقول مقدر معطوف على قال اي فقيل له الآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه
من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار والتوبيخ على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد
وغير ذلك وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى
كما يفصح عنه ما روي من ان جبريل عليه السلام دس في فاه عند ذلك بحال البحر وسده به تاكيدا للرد القولي بالرد الفعلي ولا
ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عليهما السلام فلو رايتني يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه
في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة
ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام
من الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة الياس
فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وتخصيص العامل في الظرف
ان تقدر متاخرا لتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست
من الحيوة وايقنت بالممات وقوله عز وعلا ● وقد عصيت قبل ● حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد
التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل
والتدبر في دلائله واياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء
والافساد فان قوله تعالى ● وكنت من المفسدين ● عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت من الغالين
في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد
بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به ● فاليوم ننجيك ● اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر
البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به او نلقيك
على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرئ ننحيك من الانحاء وننجيك بالحاء اي نلقيك بناحية
الساحل ● ببدنك ● في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا روح
فيه [illegible] او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك كان له
درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان
مظاهرا بينها ● لتكون لمن خلفك آية ● لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته
ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم
من الساحل او لمن ياتي بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك اي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده عليه السلام بالالقاء الى الساحل
دليل على انه قصد منه لكشف تزويره واماطة الشبهة في امره وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته
وارادته ولعل هذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا فان تنجية فرعون على ما ذكر ايذانا بانها ليست
لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع
حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية
بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك ● وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ● لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي ● ولقد بوانا بني اسرائيل

كلام مستأنف مسوق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اى
اسكناهم وانزلناهم بعدما انجيناهم واهلكنا اعداءهم • مبوأ صدق • اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها حسبما ينطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها • ورزقناهم من الطيبات • اى اللذائذ • فما اختلفوا • فى امور دينهم
حتى جاءهم العلم الا لاجل ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحكامها او فى امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدق
نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلعم • ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون • فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب • فان كنت فى شك • اى فى شك ما يسير على الفرض والتقدير
فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شىء بشىء من غير تعرض لامكان شىء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما • مما انزلنا اليك • من القصص التى من
جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنى اسرائيل • فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك • فان ذلك محقق عندهم ثابت
فى كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عم بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة نبوته عم وتهييجه عم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عم
ولذلك قال عم لا اشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى
وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبى عم والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا اليك
على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل
الذين يقرءون الكتب • لقد جاءك الحق • الذى لا محيد عنه ولا ريب فى حقيته • من ربك • وظهر ذلك بالآيات
القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من التشريف ما لا يخفى
فلا تكونن من الممترين • بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل • ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله • من باب التهييج والالهاب والمراد به الاعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه
من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة • فتكون بذلك • من الخاسرين • انفسا
واعمالا • ان الذين حقت عليهم • شروع فى بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت
بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة • كلمة ربك • حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى النار كقوله تعالى ولكن
حق القول منى لاملأن جهنم الخ • لا يؤمنون • ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا
واقعا فى اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون واتباعا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون • ولو جاءتهم
كل آية • واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى به مفقود ولكن فقدانه ليس لمنع منه
سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم لذلك • حتى يروا العذاب الاليم • كدأب آل
فرعون واضرابهم • فلولا كانت • كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء
اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتى بيانا لكون قوم يونس عم ممن لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك
فى وقته ولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اى فهلا كانت • قرية • من القرى المهلكة • آمنت • قبل معاينة العذاب ولم
يؤخروا ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه • فنفعها ايمانها • بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها
الا قوم يونس • استثناء منقطع اى لكن قوم يونس • لما آمنوا • اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله
كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا • بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة فى معنى النفى كما يفصح عنه حرف
التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم
الا قوم يونس عم فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية • ومتعناهم
بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم • الى حين • مقدر لهم فى علم الله سبحانه روى ان يونس عم بعث الى نينوى من ارض

دعاء لدفع العذاب

فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عم
اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود
هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت
الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء
يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع
عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال
لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله
ولو شاء ربك لآمن من فى الارض • تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته
تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة للكلمة ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وان لا يكون فى تعلقها به غرابة كما هو المشهور اى لو شاء سبحانه ايمان من فى الارض من الثقلين
لآمن • كلهم • بحيث لا يشذ عنهم احد • جميعا • مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه
مخالفا للحكمة التى عليها بنى اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة
افانت تكره الناس • على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه الامتناع فى الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم • حتى يكونوا مؤمنين • فيكون الانكار متوجها الى
ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على
ان الهمزة متأخرة فى الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأى الجمهور واياما كان فالمشيئة على
اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الايمان خاصة فى انكار الترتيب عليه وترتيب الانكار عليه
وفى ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشأن فى المكره من هو وما هو الا هو
وحده لانه القادر على ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفى ابداء
باعتبار الاتيان فى المشيئة كما اشير اليه • وما كان لنفس • بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى
وجودا بعد بيان الدوران الكلى عليها وجودا وعدما اى ما صح وما استقام لنفس من النفوس التى علم الله تعالى انها
تؤمن • ان تؤمن الا باذن الله • اى بتسهيله ومنحه الالطاف وانما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل
قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما كان لنفس ان تؤمن
فى حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل
نفس بحيث لا محيص عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التى علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها
حتى يستثنى منها الحال المقارنة لاذنه تعالى • ويجعل الرجس • اى الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذى هو عبارة عن
القبيح المستقذر المستكره لكونه علما فى القبح والاستكراه او العذاب او الخذلان المؤدى اليه وقرئ بالنون
وقرئ الرجز • على الذين لا يعقلون • لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات او لا يعقلون
دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التى عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر
والضلال او مقهورين بالعذاب والنكال وهى معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل فيأذن لهم
بمنح الالطاف ويجعل الخ • قل • خطابا لاهل مكة ... والارض
لعجائب الآيات الانفسية والآفاقية ليتضح لكم انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة • انظروا • اى تفكروا
وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام • ماذا فى السموات والارض • اى اى شىء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على

وحدته وكمال قدرته على أن ماذا اجعل بالتركيب اسما لتعلق فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ وخبره الظرف ويجوز أن يكون
ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ وخبره في محل النصب باسقاط الخافض
وفعل النظر معلق بالاستفهام • وما تغني • أي تنفع وقرئ بالتذكير • الآيات • وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ما في السموات
والأرض • والنذر • جمع نذير على أنه فاعل بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الانذارات
على قوم لا يؤمنون • في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة إما حالية أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية
في موضع النصب على المصدرية أي أي اغناء تغني الخ فالجملة حينئذ اعتراضية • فهل ينتظرون • أي مشركو مكة وأضرابهم
الا مثل أيام الذين خلوا • أي الا يوما مثل أيام الذين خلوا • من قبلهم • من مشركي الأمم الماضية أي مثل وقائعهم
ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها • قل • تهديدا لهم • فانتظروا
ما هو عاقبتكم • إني معكم من المنتظرين • لذلك • ثم ننجي رسلنا • بالتشديد وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر
يدل عليه قوله مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل نهلك
الأمم ثم ننجي رسلنا المرسلة إليهم • والذين آمنوا • وصيغة الاستقبال لحكاية الأحوال الماضية لتهويل أمرها باستحضار
صورها وتأخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة
في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وجل • كذلك • أي مثل ذلك الانجاء • حقا علينا • اعتراض بين العامل والمعمول
أي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى
ننجي المؤمنين • أي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين إما الجنس المتناول
للرسل عليهم السلام والأتباع وإما الأتباع فقط وإنما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة إليه وأياما كان ففيه تنبيه على أن
مدار النجاة هو الإيمان • قل • لجمهور المشركين • يا أيها الناس • أو ترك الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه
تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ إليهم • إن كنتم في شك من ديني • الذي أعبد الله عز وجل به وأدعوكم
إليه ولم تعلموا ما هو وما صفته • فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله • في وقت من الأوقات ولكن أعبد الله
الذي يتوفاكم • ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب أي فاعلموا أنه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من
الأصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد
وللايذان بالمخالفة من أول الأمر أو إن كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا أن خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده
الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الأصنام فاعرضوها على عقولكم وأجيلوا فيها أفكاركم وانظروا فيها بعين
الانصاف لتعلموا أنه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك
مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بأن أقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته وأما القطع بعدمها
فمما لا سبيل إليه أو إن كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا أني لا أتركه أبدا • وأمرت أن أكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بأن ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق
الإلهي وحذف حرف الجر من أن يجوز أن يكون من باب الحذف المطرد مع أن وأن وأن يكون خاصا بفعل الأمر كما في
قوله أمرتك الخير فافعل ما أمرت به • وأن أقم وجهك للدين • عطف على أن أكون خلا أن صلة أن محكية بصيغة الأمر
ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية
ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل
الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه بأداء المأمور به والانتهاء
عن المنهي عنه أو باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات إلى اليمين والشمال • حنيفا • حال من الدين أو الوجه
أي مائلا عن الأديان الباطلة • ولا تكونن من المشركين • عطف على أقم داخل تحت الأمر أي لا تكونن منهم اعتقادا
ولا عملا وقوله عز وعلا • ولا تدع • عطف على قوله تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر وقيل على ما قبله من النهي

والوجه

والوجه هو الأول لأن ما بعده من الجمل إلى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لإدراج
الكل تحت الأمر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالأمر وكشفا عن وجه بطلان ما
عليه المشركون أي لا تدع • من دون الله • استقلالا ولا اشتراكا • ما لا ينفعك • إذا دعوته بدفع
مكروه أو جلب محبوب • ولا يضرك • إذا تركته بسلب المحبوب دفعا أو رفعا أو بايقاع المكروه وتقديم النفع
على الضر غني عن بيان السبب • فإن فعلت • أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها
لشأنه عم وتنبيها على رفعة مكانه من أن ينسب إليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية • فإنك إذن
من الظالمين • جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه • وإن يمسسك الله بضر
تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه • فلا كاشف له • عنك كائنا
من كان وما كان • إلا هو • وحده فيثبت عدم كشف الأصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع
المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فإن رفع المكروه أدنى مراتب النفع فإذا انتفى انتفى
النفع بالكلية • وإن يردك بخير • تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير
فلا راد لفضله • الذي من جملته ما أرادك به من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بأن فيضان
الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الأصنام
دخولا أوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بايقاع المكروه استلزاما
جليا ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للايذان بأن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما يمس
من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الأولي أو أريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وأنه لا راد
لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر الإرادة ليدل بما ذكر في كل
جانب على ما ترك في الجانب الآخر على أنه قد صرح بالاصابة حيث قيل • يصيب به • لاظهار كمال العناية
بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير وجعل الفضل
عبارة عن الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل
من يشاء من عباده فإن ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز قائلا • وهو الغفور الرحيم • تذييل لقوله تعالى
يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها • قل • مخاطبا لأولئك الكفرة بعد
ما بلغتهم ما أوحي إليك • يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم • وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام
التي من جملتها ما مر آنفا من أصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر
فمن اهتدى • بالايمان به والعمل بما في مطاويه • فإنما يهتدي لنفسه • أي منفعة اهتدائه لها خاصة • ومن
ضل • بالكفر به والاعراض عنه • فإنما يضل عليها • أي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة
الرسالة عن شائبة غرض عائد إليه عم من جلب نفع أو دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء إلى الحق من غير إشعار
بكون ذلك بواسطة • وما أنا عليكم بوكيل • بحفيظ موكول إلي أمركم وإنما أنا بشير ونذير • واتبع
اعتقادا وعملا وتبليغا • ما يوحى إليك • على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما
وفي التعبير عن بلوغه إليهم بالمجيء وإليه عم بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي • واصبر • على ما يعتريك
من مشاق التبليغ • حتى يحكم الله • بالنصرة عليهم أو بالأمر بالقتال • وهو خير الحاكمين • إذ لا يمكن الخطأ
في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطي له من الأجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون الحمد لله سبحانه على التمام والصلوة
على سيدنا محمد وآله أجمعين

سورة هود عم مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه مبتدا والاول هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدا محذوف على الوجوه الباقية احكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالايات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد آخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد يليق بشان الايات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى ايات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتعبير بجعلها اية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي اما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تزل الايات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الايات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتها على رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه ليس في متابعته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والاثار وفرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يترتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة لكتاب وصف بها بعدما وصف باحكام اياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدا المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي ابهامهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه ان لا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة غيره عز وجل وتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهته تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غيره تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالموعود من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر واتى اياه بالخطاب

سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل

عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا بالتحكم برسالته عليه السلام كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير كما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهته تعالى نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير ترككم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تمامه على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة اي قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينقصه شيء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع بها مجرى التابيد عادة اولا يهلككم بهلاك الاستئصال ويؤت كل ذي فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما يمتع آخر دونه في الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الآخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب ولان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بقحط اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعدما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال

تفعيل مصدرًا بالجملة التنبيه اشعارًا بان ما يعقبها من هنات امر يجب ان يفهم ويتعجب • الا انهم يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببًا للاستخفا
في قوله عز وجل • ليستخفوا منه • التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين
على اعراضهم وجعل في عود المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق
ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدور وبين الاستخفا ليس كانسياقه الى توسيط الضرب
بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة
النبي صلى الله عم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك
استهجانا بذكره او ايذانا الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل
فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفا ويؤيده ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس ابن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله
صلى الله عم محبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله عم ثنى صدره
وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عم
لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني
صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلاء وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني
كما يثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت
وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي • الا حين يستغشون ثيابهم • اي يتغطون بها للاستخفا على نقل عن ابن
شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار
يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي • يعلم ما يسرون وما اي يضمرون في قلوبهم
وما يعلنون • اي يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا
عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه
بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ووقوع ما يحذرونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم
فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار
ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما هنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى
بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة
بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التاكيد
والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع التنبيه عنه بما قبله من
قوله عز وجل الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن
اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية • انه عليم بذات الصدور • تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من الروعة ما لا يخفى كانه قيل
انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف
يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في

الصدور

الصدور • والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها • وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما
جيء على بطريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحققه لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض
عن اتعاب النفس في طلبه • ويعلم مستقرها • محل قرارها في الاصلاب • ومستودعها • موضعها في الارحام وما
يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها
الطبيعي ومنشأها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها
من الارض حين وجدت بالفعل وموضعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار
حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها
حيث كانت من اماكنها بعد الانبات ويعلم مواقعها المتفاوتة المتدرجة في مراتب الاستعداد المتفاوتة المتطورة
في الاطوار المختلفة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه
[illegible] التكفل بارزاقها • كل • من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في كتاب مبين • اي مثبت في اللوح المبين لمن ينظر فيه من الملائكة او المظهر لما اثبت فيه للناظرين وما ذاك
الا لان تعلق علمه سبحانه محيط بجميع احوالها في الارض من المحاسن الكاملة [illegible]
[illegible] على خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل • وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام • السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما
فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان
خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله ومن يولهم يومئذ دبره او مقدار
ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض
ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث
على التاني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه علام الغيوب جلت حكمته وايثار
صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الاثار والاحكام
وكان عرشه • قبل خلقهما • على الماء • ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه
كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء
اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما
ليبلوكم • متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون
اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به من
مطالبكم الدنيوية ليعاملكم معاملة من يبتليكم • ايكم احسن عملا • فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين
المحسن من المسيء وامتاز درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المرتبة على
انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص
بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال في عمله كيف لا
ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد [illegible] وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الله
المتلائق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب
الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس
بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي

المحبة وبغضه

هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام
لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر
ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين
باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع
تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الانحاء
الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما
التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل
من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة
نقائضها والله تعالى اعلم • ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت • على ما توجبه قضية الابتلاء لترتب عليه الجزاء المتفرع
على ظهور مراتب الاعمال • ليقولن الذين كفروا • ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته
للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم • ان هذا الا سحر مبين •
اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القران فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يكن
بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القران لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه
وتسميته بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهرا لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة
بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم
بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن
تصديق ما هذه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة
البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرا
حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القران على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح على تضمين قلت
معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال
المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج
والعناد ويجافوا اسماعهم عن قبول الحق لما الفوا والفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل
والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون • ولئن اخرنا عنهم العذاب • المترتب على تكذيبهم او العذاب الموعود في قوله تعالى
فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر
ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه لم يكن موعودا ويستعجله المجرمون • الى امة معدودة •
الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل • ليقولن ما يحبسه • اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده فيمنعه
مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف
به والاستفسار عن حابسه • الا يوم يأتيهم • ذلك • ليس مصروفا • محبوسا • عنهم • على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا
ان اريد به عذاب الاخرة او لا يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه
واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس لان المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف
يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر
واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع
تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم
معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة وكنت ابيا في الخنا لست اقدم

وحاق

وحاق بهم • اي احاط بهم • ما كانوا به يستهزءون • اي العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وفي التعبير
عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضي
وارد على عادته سبحانه وتعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على
علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى • ولئن اذقنا الانسان منا رحمة • اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة
وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها • ثم نزعناها منه • اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه
بها وحرصه عليها • انه ليئوس • شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل
الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به • كفور • عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع
انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتاخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية
على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الاجل من باب
الكفران للنعمة السالفة ايضا • ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته • كصحة بعد سقم ووجدة بعد عدم وفرج بعد شدة
وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس
المشعر بكونها في ادنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى
من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر
دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما يلاصق البشرة من غير تأثير واما نزع الرحمة فانما صدر عنه
بقضية الحكمة الداعية الى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها • ليقولن ذهب السيئات
عني • اي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لورود
امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش • انه لفرح • بطر واشر بالنعم مغتر بها • فخور • على الناس بما اوتي
من النعم مشغول بذلك عن القيام واللام في لئن في الايات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط
الا الذين صبروا • على ما اصابهم من الضراء سابقا او لاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه • وعملوا الصالحات
شكرا على آلائه السالفة واللاحقة واللام في الانسان اما للاستغراق او للجنس فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع
اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة • لهم مغفرة • عظيمة لذنوبهم وان
جمت • واجر • ثواب لاعمالهم الحسنة • كبير • ووجه تعلق الايات الثلاث بما قبلهن من حيث ان
اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدي الى سنن
الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه الى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من
حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان
مجبولة على ذلك • فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك • من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها
من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية • وضائق به صدرك • اي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم
وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة • ان يقولوا • لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد
تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح • لولا انزل عليه كنز • مال خطير مخزون
يدل على صدقه • او جاء معه ملك • يصدقه قيل قائله عبد الله بن امية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رؤساء
مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال
لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات
الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب

وتولول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا اشتغل حاله بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره
بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير
ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ
احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من
الجزالة ام يقولون افتراه اضراب بأم المنقطعة عن ذكر تركهم الاعتداد بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه
من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو
اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز
لما يوحى اي بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا
بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة
ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايماء الى وجه الشبه ومدار المماثلة
في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت
عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف
الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس
الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقة من عند انفسكم
ان صح اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب
والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم
دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في كل ما تأتون وما تذرون والكهنة ومدارهكم الذين
تلجأون الى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم
صادقين في ادعاء افترائه فان ذلك يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه وجواب
الشرط محذوف يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم
تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم
الى امر يريد وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم او له
وللمؤمنين لانهم اتباع له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه ويناصبوا معه
لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمأنينة
في الايقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع
تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من
مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك
مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم يستتبع تنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك
فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا تحوم
حوله العقول والافهام مستبدا بخصائص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو
اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون
اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب
في الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه داخلا تحت الامر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي
فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من اليهم تجأرون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك
خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر فايراد كلمة الشك حينئذ مع الجزم بعدم الاستجابة

من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه
مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكأنه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعدما اضطررتم الى ذلك
وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم
بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن
رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان
ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا اوليا ومنقادون للحق الذي هو كون
القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب
والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم آلهتهم من باس الله عز سلطانه هذا والاول انسب
لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه
كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق
وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية
لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون
الآخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك
منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما ينطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل
اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها
ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل وتوف
بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفي بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه
خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون
وانما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية
التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور
الاعمال ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى
انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما في الآخرة
فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم
الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في
سوء الحال اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين
ليس لهم في الآخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد
اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة الا النار وعذابها المخلد
وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت
معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في
نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شأنه استتباع الثواب
والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط
المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا
بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون الاول ايماء الى
ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات
مطالبهم الدنية وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما

لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوي فبطل مطلقاً وقرئ وباطلاً ما كانوا يعملون على أن ما إبهامية أو مصدرية كقوله
ولا خارجاً من في زور كلام وعن أنس رضي الله عنه أن المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى إن أعطوا سائلاً
أو وصلوا رحماً عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم وأنت خبير بأن ذلك مما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم أهل الرياء
يقال للقراء منهم أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل أعمال البر لا لوجه الله تعالى
فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم إلا النار بأن ليس لهم بسبب أعمالهم الريائية إلا ذلك والذي يقتضيه
جزالة النظم الكريم أن المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجاً أولياً فإنه
عز وعلا لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن يزدادوا علماً ويقيناً بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة
لغيره على شيء أصلاً وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن
المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلاً اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من
نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد تبين ذلك
أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام فقيل • أفمن كان على بينة من ربه •
أي برهان نير عظيم الشأن يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الإسلام وهو القرآن وباعتباره أو بتأويل
البرهان ذكر الضمير الراجع إليه في قوله تعالى • ويتلوه • أي يتبعه • شاهد • يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الإعجاز
في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه أو ما وقع في بعض آياته من الإخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه
من عند الله عز وجل غير أنه على التقدير الأول يكون في الكلام إشارة إلى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من جهته تعالى
والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلاً بعلم الله بشهادة الإعجاز • منه • أي من القرآن غير خارج عنه أو من
جهة الله تعالى فإن كلاً منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك أيضاً من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله أفمن كل
من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا أنما أنزل بعلم الله دخولاً أولياً وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه
لله عز وجل أو البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان النبي صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد
ملك يحفظه والأول هو الأولى ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان إقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعاً
بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فإن القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بأمرها إلى يوم
القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز وجل • ومن قبله كتاب موسى • على فاعله مع
كونه مقدماً عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى
وإنما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفاً لازماً له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد
للتفخيم • إماماً • أي مؤتماً به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من
تفخيم شأن المتلو • ورحمة • أي نعمة عظيمة على من أنزل إليهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة باعتبار أحكامه الباقية
المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب • أولئك • الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي الكون
على بينة من الله ولما أن ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد لمن سلف من علماء
الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم • بأنهم يؤمنون به • أي يصدقونه حق التصديق حسبما تشهد به
الشواهد الحقة المعربة عن حقيته • ومن يكفر به • أي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة • من الأحزاب •
من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فالنار موعده • يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا
ليس لهم في الآخرة إلا النار وفي جعلها موعداً إشعار بأن له فيها ما لا يوصف من أفانين العذاب • فلا تك في مرية •

منه
أي في شك من أمر القرآن وكونه من عند الله عز وجل غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به
• إنه الحق من ربك • الذي يربيك في دينك ودنياك • ولكن أكثر الناس لا يؤمنون • بذلك إما لقصور أنظارهم واختلال
أفكارهم وإما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت أعمالهم وبين مصيرهم
ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتاً عظيماً بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وإيراد الفاء بعد الهمزة لإنكار ترتب توهم المماثلة على ما
ذكر من صفاتهم وعدد من هناتهم كأنه قيل أبعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من
كان على أحسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه أولياء أي أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض
اتخذتم من دونه أولياء وقوله تعالى أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى • ومن أظلم ممن افترى على الله
كذباً • بأن نسب إليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني
أنهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذباً وهذا التركيب وإن كان سبكه على إنكار أن يكون أحد أظلم منهم من غير تعرض
لإنكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصداً مطرداً إنكار المساواة ونفيها وإفادة أنهم أظلم من كل ظالم كما ينبئ
عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون فإذا قيل من أكرم من فلان أو أفضل منه فالمراد منه حتماً أنه
أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل • أولئك • الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبعد
الإشارة حصلت الغيبة عن إسناد العرض إلى أعمالهم والتعبير بإسناده إليهم حيث قيل • يعرضون • لأن عرضهم
من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لأعمالهم على وجه أبلغ فإن عرض العامل بعمله أفظع من عرض عمله مع غيبته
• على ربهم • وفيه إيماء إلى بطلان رأيهم في اتخاذهم أرباباً من دون الله عز وجل • ويقول الأشهاد • عند العرض
من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد أو شهيد كأصحاب وأشراف • هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم • بالافتراء عليه كأن ذلك أمر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وإنما المحتاج إلى الشهادة تعيين من صدر عنه
ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز أن يكون المراد بالأشهاد الحضار وهم جميع أهل الموقف
على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذماً لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به
قوله ويقول دون ويشهد آه وتوطئة لما يعقبه من قوله • ألا لعنة الله على الظالمين • بالافتراء المذكور ويجوز
أن يكون هذا على الوجه الأول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم إنا نعوذ بك
من الخزي على رؤوس الأشهاد • الذين يصدون • أي كل من يقدرون على صده أو يفعلون الصد • عن سبيل الله •
على دينه القويم • ويبغونها عوجاً • انحرافاً أي يصفونها بذلك وهي أبعد شيء منه أو يبغون أهلها أن ينحرفوا
عنها ويرتدوا كما يقال بغيتك خيراً أو شراً أي طلبته لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم إنه ليس من عند الله • وهم
بالآخرة هم كافرون • أي يصفونها بالعوج والحال أنهم كافرون بها لا أنهم يؤمنون بها ويزعمون أن لها سبيلاً
سوياً يهدون الناس إليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم • أولئك •
مع ما وصف من أحوالهم الموجبة للتدمير • لم يكونوا معجزين • الله تعالى مفلتين أنفسهم من أخذه لو أراد ذلك
• في الأرض • مع سعتها وإن هربوا منها كل مهرب • وما كان لهم من دون الله من أولياء • ينصرونهم من بأسه
ولكن أخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع إما باعتبار أفراد الكفرة كأنه قيل وما كان لأحد منهم من ولي أو باعتبار تعدد ما كانوا
يدعون • من دون الله • تعالى فيكون ذلك بياناً لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية • يضاعف لهم
العذاب • استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد • ما كانوا يستطيعون
السمع • لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن
الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات المنوطة بالأبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفى عنهم
الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الإبصار فقال • وما كانوا يبصرون • لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الأنفس
والآفاق وهو استئناف وقع تعليلاً لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفي من ولاية الآلهة فإن ما لا يسمع

ولا يبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك • المنعوتون بما ذكر من القبائح • الذين خسروا انفسهم • باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون • من الآلهة وشفاعتهم او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم • فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك حق انهم في الآخرة هم الاخسرون • وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي في الآخرة انهم هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل • ان الذين آمنوا • اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع • وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم • اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كاتهم وانجد دخل في تهامة ونجد اولئك • المنعوتون بتلك النعوت الجميلة • اصحاب الجنة هم فيها خالدون • دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل • مثل الفريقين • المذكورين اي حالهما العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات • كالاعمى والاصم والبصير والسميع • اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي قوله تعالى والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما قرر فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا لجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان اعتبار ذلك يخرج الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه • هل يستويان • يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الآية • مثلا • اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون • اي اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرون بالتأمل فيما ضرب لكم

من

من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الهمزة لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تفعلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة لانكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر ذلك بما في تضاعيف ذلك له ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عم والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه • الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وفي حرف الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ ابن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عم على رأس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين سنة • اني لكم نذير • بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عم نذيرا لا لان دعوته عم كانت بطريق الانذار فقط الا ترى الى قوله عم فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عم • مبين • ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا مجرد التخويف والازعاج بل التحذير منه فيتعلق بيانه بكلا وصفيه • ان لا تعبدوا الا الله • اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلناه ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا انه توسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عم وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله ومفسرة متعلقة به او بنذيرا ومفعول المبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى وقوله تعالى • اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم • تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عم في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في سائر السور لما لم تصدر عنه عم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما ينطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عم

اللبث والتي بالفاء التعقيبية فقيل ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ اي الاشراف منهم من قولهم فلان مليء
بكذا اي مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء
الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ﴿ما نراك الا بشرا مثلنا﴾
مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرأيناه لا ان ذلك
محتمل لكن لا نراه وكذا الحال في قولهم ﴿وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي﴾ فالفعلان من
رؤية العين وقوله تعالى ﴿الا بشرا مثلنا﴾ حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على تقدير
قد عند من يشترطه ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعلق الرأي في الاول بالمثلية
لا بالبشرية فقط وانما لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل
بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي وتعريضا من اول الامر برأي المتبعين
فكان قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عم ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين
تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اي اخساؤنا واداننا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى
الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل ككالب وكلاب وكلب بعنوان انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس
لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله
من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية او على حذف المضاف
اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم
يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله
جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك ﴿وما نرى لكم﴾
اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين ﴿علينا من فضل﴾ بعنوان اتباعهم لك لا تدل على نبوتك ولا يجديك
فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم
السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا
﴿بل نظنكم كاذبين﴾ جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تصديقك و
اقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معه عم بطريق الاراءة على نهج الانصاف ﴿قال يا قوم ارأيتم﴾
اي اخبروني وفيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ﴿ان كنت على بينة﴾ برهان ظاهر ﴿من ربي﴾ وشاهد يشهد بصحة
دعواي ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ هي النبوة ويجوز ان يكون هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله
تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في ﴿فعميت عليكم﴾ ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان
الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة
او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة
وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله عز وجل
﴿انلزمكموها﴾ اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء
حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى
﴿فسيكفيكهم الله﴾ ﴿وانتم لها كارهون﴾ لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحاصل الجواب اخبروني ان كنت على حجة
ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها
غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عم بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود
عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عم ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها
بصرف الانكار الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل و

بحسبه

وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وما يكون عليها
والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عم وبالرحمة النبوة التي
انكروا اختصاصه عم بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس
مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني اي اثرت عليكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي واتاني بحسبها
نبوة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها او لم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى
الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك
فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عم جوابا عن شبهتهم التي
ادرجوها في خلال مقالتهم من كونه عم بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم
الركيكة ﴿ويا قوم لا اسألكم عليه﴾ اي على ما قلته في اثناء دعوتكم ﴿مالا﴾ تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم
لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ﴿ان اجري الا على الله﴾ الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه
حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزية ﴿وما انا بطارد الذين آمنوا﴾ جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك
اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا
به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام
بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد ﴿انهم ملاقوا ربهم﴾ تعليل لامتناعه عم عن طردهم اي انهم
فائزون في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس
والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء
ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم
من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الرأي من غير نظر
وتفكر وما علي ان اشق على قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم
بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما يستدعيه ما سيأتي وايضا انما قالوا انهم اتبعوك في بادي الرأي بلا تأمل
وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غاية ما في الباب ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وقد
ان يقال انهم على ظاهر الرأي لا يؤدي الى الرجوع عنه عند التأمل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تأمل فلا يثبتون
على دينك بل يرتدون عنه ﴿ولكني اراكم قوما تجهلون﴾ بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء
الله عز وجل وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف
ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد [illegible] الشرف بالغنى [illegible]
[illegible] ﴿ويا قوم من
ينصرني من الله﴾ [illegible] ﴿ان طردتهم﴾ [illegible]
[illegible] ﴿افلا تذكرون﴾ [illegible]
[illegible]
قال [illegible] ﴿افلا تذكرون﴾ اي [illegible] عليه من الجهل المذكور فلا تذكرون ما ذكر من
حالهم حتى تعرفوا ان ما تأتونه بمعزل عن الصواب [illegible] مستقلة بوجه بخصوص ظاهر الدلالة
على وجوب الامتناع عن الطرد [illegible] ﴿ولا اقول لكم﴾ ﴿عندي خزائن الله﴾
[illegible] اي رزقه واموال [illegible] بل
[illegible] فان النبوة اعز من ان ينال باسباب دنيوية ودعواها [illegible] عن [illegible] المال والجاه ﴿ولا اعلم
الغيب﴾ اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى

للإنكار والاستبعاد ﴿ولا أقول إني ملك﴾ حتى تقولوا ما نراك إلا بشرا مثلنا فإن البشرية ليست من موانع
النبوة بل من مباديها يعني أنكم اتخذتم فقد هذه الأمور الثلاثة ذريعة إلى تكذيبي والحال أني لا أدعي شيئا من ذلك
ولا الذي أدعيه يتعلق بشيء منها وإنما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ﴿ولا أقول﴾
مساعدة لكم كما تقولون ﴿للذين تزدري أعينكم﴾ أي تستحقرهم وتحتقرهم من ازدراه إذا ... وإسناد الازدراء إلى
أعينهم بالنظر إلى قولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا وأما للإشعار بأن ذلك لقصور نظرهم ولو
تدبروا في شأنهم لما فعلوا ذلك أي لا أقول في شأن الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين ﴿لن يؤتيهم الله خيرا﴾
في الدنيا أو في الآخرة فعسى الله أن يؤتيهم خيري الدارين إن قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون
صدوره عنه عليه السلام أصالة أو استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن حتى ما نفاه عليه السلام بطريق
التبرؤ عنه فمن أي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة أن كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف
فإنهم زعموا أن النبوة تستتبع الأمور المذكورة وأنه لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وأن الخير على ... وأغنيائنا
مغانمها ليس من دأب الأراذل فأجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكأنه قال لا أقول وجود تلك الأشياء من موجب
النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾ من الإيمان وإنما اقتصر على نفي القول المذكور
مع أنه عليه السلام جازم بأن الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وأنهم على يقين راسخ في الإيمان جريا على سنن الإنصاف
مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وإرشادا إلى من سلك الهداية بأن اللائق لكل أحد أن لا يبت القول إلا فيما له
يقينا ويبني أموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة ﴿إني إذا﴾ أي إذا قلت ذلك
﴿لمن الظالمين﴾ لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم أو من الظالمين لأنفسهم بذلك فإن وباله راجع إلى أنفسهم وفيه تعريض
بأنهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم وقيل إذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن
وهو بعيد لأن تبعة تلك الأقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾
خاصمتنا ﴿فأكثرت جدالنا﴾ أي أطلته أو أتيته بأنواعه فإن الإكثار في الجدال يتحقق بعد وقوع أصله فلذلك عطف عليه
بالفاء وأوردت ذلك فأكثرته كما في قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وأبرز بينات واضحة المدلول
وحججا ساطعة تلقتها العقول بالقبول والعمى لم يجر برد شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا
﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب المعجل والعذاب الذي أشير إليه في قوله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم على تقدير أن لا يكون المراد
باليوم يوم القيامة ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تقول ﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء﴾ يعني أن ذلك ليس موكولا
إلي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وإنما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا أو آجلا إن تعلق به مشيئته
التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكأنه قيل الإتيان به أمر خارج عن دائرة القوى البشرية وإنما يفعله الله
عز وجل ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بالهرب والمدافعة كما تدافعونني في الكلام ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾ النصح كلمة جامعة لكل
ما يدور عليه الخير من فعل أو قول وحقيقته إمحاض إرادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو إعلام موقع الغي ليتقى
وموضع الرشد ليقتفى ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير إن أردت أن
أنصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ والتقدير إن
كان يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط
وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الأول وجملته جزاء للشرط الثاني
وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فأكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام
إظهارا للعجز عن إلزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وإيذانا بأن ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق
النصيحة لهم والشفقة عليهم وبأنه لم يأل جهدا في إرشادهم إلى الحق وهدايتهم إلى السبيل المستبين وإمحاض النصح لهم ولكن
لا ينفعهم ذلك عند إرادة الله تعالى لإغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بإرادته مع أنه محقق لا محالة للإيذان بأن ذلك

النصح

النصح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بإزائه من إرادته تعالى لإغوائهم
وإنما اقتصر في ذلك على مجرد إرادة الإغواء دون نفسه حيث لم يقل إن كان الله يغويكم مبالغة في بيان غلبة جنابه عز
وجل حيث دل ذلك على أن نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد إرادة الله سبحانه لإغوائهم فكيف عند
تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار بتقدم إرادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها
وإنما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى إنما يأتيكم به الله إن شاء ردا عليهم من أول الأمر
وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على أن إرادته تعالى يصح تعلقها بالإغواء
وأن خلاف مراده غير واقع وقيل معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم وهلك ﴿هو ربكم﴾
خالقكم ومالك أمركم ﴿وإليه ترجعون﴾ فيجازيكم على أعمالكم لا محالة ﴿أم يقولون افتراه﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما
يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل أيقول قوم نوح إن نوحا افترى ما جاء به مسندا إلى الله عز وجل ﴿قل﴾ يا نوح ﴿إن افتريته﴾
بالفرض ﴿البحت﴾ ﴿فعلي إجرامي﴾ إثمي ووبال إجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره أي فعلي [illegible]
بآثامي ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل أيقول مشركو مكة افترى رسول الله صلعم خبر نوح فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة
عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة
متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن
من قومك﴾ أي المصرين على الكفر وهو إقناط له عليه السلام من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه
﴿إلا من قد آمن﴾ إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله إلا ما قد سلف
﴿فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ أي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والإيذاء
والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم وحان وقت الانتقام منهم ﴿واصنع الفلك﴾ ملتبسا
﴿بأعيننا﴾ أي بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه بأعينهم من التعدي من الكفرة
ومن الزيغ في الصنعة ﴿ووحينا﴾ إليك كيف تصنعها وتعليمنا وإلهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف
صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من
الغرق إلا به فيجب كوجوبها واللام إما للعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بوحي الله تعالى إليه عليه السلام أنه سيهلكهم بالغرق
وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بأمره تعالى ووحيه من شأنه كيت وكيت واسمه كذا وإما للجنس قيل صنعها عليه السلام

كيفية سفينة نوح عليه السلام

في سنتين وقيل في أربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون حمل في البطن الأول الوحوش و
السباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وفي البطن الأعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون إليه
من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وقيل جعل في الأول الدواب والوحوش وفي الثاني الإنس وفي الأعلى الطير قيل كان
طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة ذراع وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى
انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا
كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له
عيسى عليه السلام أهكذا أهلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة
نوح قال كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش
وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال عد بإذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾
أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم
وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه أكد التعليل فقيل ﴿إنهم مغرقون﴾ أي محكوم عليهم بالإغراق قد مضى

به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين • ويصنع الفلك •
حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما
كان ففيه ملائمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره اعني قوله تعالى • وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه • استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا
منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون
يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا
عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله
عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهالهم في ذلك • قال ان تسخروا منا • مستجهلين لنا
فيما نحن فيه • فانا نسخر منكم • اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عم
سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عم ولذلك تعرض الجميع للمجازاة
في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهالهم اياهم بما هم جاهلون فيما يأتون ويذرون اثر
بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهتهم به والا فعدهم اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر
مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنهم لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء لما صنعوا
بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم منه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول
ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستئناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح
عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب
الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة
ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا و
التشبيه في قوله عز وجل • كما تسخرون • اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عنكم لا في
الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم
اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده تعالى علمكم معاملة من يفعل ذلك لان السخرية مما لا يكاد
يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا يساعده لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها • فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • وهو عذاب الغرق • ويحل عليه • حلول الدين المؤجل • عذاب مقيم • هو عذاب النار
الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع وموصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها
ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عم في مكابدة المشاق الفادحة
لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قبل
بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب يعني ان ما باشرته ليس فيه عذاب لاحق بي فسوف تعلمون من المعذب
ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم مخزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة
والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة •
حتى اذا جاء امرنا • حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما
حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استئناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرنا وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل
من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عم وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عم
الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام • وفار التنور • نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها
والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عم اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في
السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عم وصار من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد

شيء

شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة
في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري ان
التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر • قلنا احمل
فيها • اي في السفينة وهو جواب اذا • من كل • اي من كل نوع لا بد منه في الارض • زوجين • الزوج ما له
شاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقال الزوج ولازالة ذلك الاحتمال قيل
اثنين • كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به
من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عم في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عم قال يا رب
كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده
اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخفى فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل بمباشرة البشر وهم
انما يدخلونها بعد حملهم اياها • واهلك • عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم • الا من
سبق عليه القول • بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه
كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه
او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في الاستثناء المعلومية عند المراجعة نافع في قوله عز وجل ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • ومن آمن • من غيرهم وافراد الاهل منهم
للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا
وما آمن معه الا قليل • قيل كانوا ثمانية نوح عم واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة
رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم
للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة • وقال • اي نوح عم لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور
رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج
كأنه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين • اركبوا فيها • كما يشير اليه قوله تعالى وهي تجري
بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها
لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عم جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط
وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء
له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال
ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول
بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا
ركبا في السفينة خرقها • بسم الله • متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله
مجريها ومرساها • نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء
والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة
ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها
مجراة ومرساة بسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا امرهم بالركوب
ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكونان كلامين له عم قيل كان عم اذا اراد ان يجريها يقول
بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في قوله مرسيها على صيغة
الفاعل مجروري المحل صفتين لله عز اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين من جرى ورسا

إن ربي لغفور • للذنوب والخطايا • رحيم • لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية العامة ولولا
ذلك لما فعله وفيه دلالة على أن نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على ما هو
رأي أهل السنة • وهي تجري بهم • متعلق بمحذوف دل عليه الأمر بالركوب أي ركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم
في موج كالجبال • وهو ما ارتفع من الماء إذا اضطرب كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من أن الماء
طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور أنه علا شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعا أو أربعين ذراعا ولئن صح ذلك فهذا الجريان إنما هو قبل أن يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى • ونادى نوح
ابنه • فإن ذلك إنما يتصور قبل أن تنقطع العلاقة بين السفينة والبر إذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح وبين ابنه
من المفاوضة بالاستدعاء إلى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الألف على أن الضمير لامرأته
وكان ربيبه وما يقال من أنه كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فإن جناب الأنبياء
صلوات الله تعالى عليهم وسلامه أرفع من أن يشار إليه بإصبع الطعن وإنما المراد بالخيانة الخيانة بالدين وقرئ ابناه على
الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وأنت خبير بأنه لا يلائمه الاستدعاء إلى السفينة فإنه صريح في أنه لم يقع من جهته
بأس بعد • وكان في معزل • أي في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وإخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا
واحتاج إلى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح أنه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه إلى
السفينة وقيل كان ينافق أباه فظن أنه مؤمن وقيل كان يعلم أنه كافر إلا أنه ظن أنه عند مشاهدة
تلك الأهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الإيمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى إلا من سبق عليه القول
نصا في كونه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الأبوة على ذلك • يا بني • قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء
الإضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك يا بنيا أو سقطت الياء والألف
لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة • اركب معنا • قرأ أبو عمرو والكسائي وحفص بإدغام الباء في الميم لتقاربهما
في المخرج وإنما أطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللإيذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع
إغناء المعية عن ذلك • ولا تكن مع الكافرين • أي في المكان وهو وجه الأرض خارج الفلك لا في الدين
وإن كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه رسوخه في الإيمان لأنه لم يقصد إلا التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي
عن الكفر • قال سآوي إلى جبل • من الجبال • يعصمني • بارتفاعه • من الماء • زعما منه أن ذلك كسائر المياه
في أزمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود إلى الربى وأنى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بأن ذلك
إنما كان لإهلاك الكفرة وأن لا محيص من ذلك سوى الالتجاء إلى ملجأ المؤمنين فلذلك أراد عم أن يبين له حقيقة الحال
ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر أن يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما أثبته للجبل من كونه
عاصما له من الماء بأن يقول لا يعصمك منه مفيد النفي وصف العصمة عنه من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف
أصلا لكنه عم حيث • قال لا عاصم اليوم من أمر الله • سلك طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع أفراد العاصم ذاتا
وصفة كما في قولهم ليس فيه ولع ولا مجب أي أحد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك
بالالتجاء إلى بعض الأسباب العادية وعبر عن الماء في محل إضماره بأمر الله أي عذابه الذي أشير إليه حيث قيل حتى إذا جاء
أمرنا تفخيما لشأنه وتهويلا لأمره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه أنه كسائر المياه التي يتقصى منها بالهرب
إلى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فإن أمر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة
في جناب الله عز جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عاصم من أمر الله إلا هو وإنما قيل • إلا من رحم • تفخيما
لشأنه الجليل بالإبهام ثم التفسير وبالإجمال ثم التفصيل وإشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه
وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداهية وقطع أطماعه الفارغة وصرفه

عن

عن التعليل بما لا يغني عنه شيئا وإرشاده إلى العياذ بالمعاذ الحق عز جاره وقيل لا مكان يعصم من أمر الله إلا مكان من رحمه الله
وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة إلا من رحمه الله تعالى • وحال بينهما الموج • أي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما
من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى • فكان من المغرقين • إذ هو إنما يتفرع على حيلولة الموج بينه عم وبين ابنه لا بينه
وبين الجبل لأنه بمعزل من كونه عاصما وإن لم يحل بينه وبين الملتجى إليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على أبلغ وجه
فكأن ذلك أمر مقرر الوقوع غير مفتقر إلى البيان وفي إيراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم • وقيل يا أرض ابلعي
أي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على أن ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي • ماءك
أي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والأنهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف
بأمر الله تعالى لأن المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل • ويا سماء أقلعي • أي أمسكي عن إرسال المطر
يقال أقلعت السماء إذا انقطع مطرها وأقلعت الحمى أي كفت • وغيض الماء • أي نقص ما بين السماء والأرض من الماء
وقضي الأمر • أي أنجز ما وعد الله تعالى نوحا من إهلاك قومه وإنجائه بأهله أو أتم الأمر • واستوت • استقرت الفلك
على الجودي • هو جبل بالموصل أو بالشام أو بآمل روي أنه عم ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم
فصام ذلك اليوم شكرا فصارت سنة • وقيل بعدا للقوم الظالمين • أي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للإشعار
بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب
الإعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري إن ذلك فوق ما يصفه
الواصفون فحري بنا أن نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض الأمر إلى تأمل أولي الألباب • والله عنده علم الكتاب
ونادى نوح ربه • أي أراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى • فقال رب إن ابني من أهلي • وقد وعدتني إنجاءهم في ضمن الأمر
بحملهم في الفلك والنداء على حقيقته والتفصيل بيان لما فيه من الإجمال • وإن وعدك الحق • أي وعدك ذلك أو أن كل وعد تعده
حق لا يتطرق إليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا أوليا • وأنت أحكم الحاكمين • لأنك أعلمهم وأعدلهم أو أنت أكثر حكمة
من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عم على طريقة دعاء أيوب عم إذ نادى ربه
أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين • قال يا نوح لما كان دعاؤه عم بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من
أهله نفي أولا كونه منهم بقوله تعالى • إنه ليس من أهلك • منهم أصلا لأن مدار الأهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة
بين الكافر والمؤمن أو ليس من أهلك الذين أمرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس من
الذين وعد بإنجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله • إنه عمل غير صالح • أصله إنه ذو عمل
غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فإنما هي إقبال وإدبار وإيثار غير صالح على فاسد إما لأن الفاسد
ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم وإما للتلويح بأن
نجاة من نجا إنما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب إنه عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عم مبنيا على ما ذكر
من اعتقاد كون كنعان من أهله وقد نفي ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال إنجائه إلا أنه جيء
بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا أوليا فقيل • فلا تسألن • أي إذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني
ما ليس لك به علم • أي بطلبه لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول
الذي هو مفعول للسؤال أو طلبا لا تعلم أنه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون
النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الأولى ويجوز
أن يكون المعنى ما ليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد
بالطريق الأولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في أن نداءه عم ربه عز
وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم إنجاء ابنه مع سبق وعده بإنجاء أهله وهو منهم كما قيل فإن النهي عن الاستفسار
عما لم يعلم غير موافق للحكمة إذ عدم العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه لا إلى تركه بل هو دعاء منه لإنجاء ابنه حين حال

الموج حيرتها ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بالنجاة في قلة جبل ونحو
تكذيبه الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحيلولة الموج
بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه
مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام ان يدعو ربه لنجاته واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار
على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاجتماع
في الفلك بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه
حيث لم يقل اكون معهم او يساوي او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين
واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام ولو تاملت شأنه حق التامل وتفحصت عن احواله في كل ما يأتي ويذر
لما اشتبه عليك انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل ◦ اني اعظك ان تكون من الجاهلين ◦ فعبر عن
ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء ◦ قال رب اني اعوذ بك ان
اسألك ◦ اي اطلب منك من بعد ◦ ما ليس لي به علم ◦ اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه
صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع
وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى
وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص منه الا
بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك ◦ والا تغفر لي ◦ ما صدر عني من السؤال المذكور
وترحمني بقبول توبتي ◦ اكن من الخاسرين ◦ اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول
مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل فيه
انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد
على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك
على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء
بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب
وان لا تعدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد المتقابلين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها
على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة
فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة
وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الآية لتقريعهم
على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية للتقريع على قتل النفس المحرمة
وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان
المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة
الدينية غامرة للقرابة النسبية الى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل الاظهر ان ذكر
هذا النداء كما ترى مستتبع لذكر ما تفرع من الجواب المستدعي لذكر ما تفرع من توبته عليه السلام وذكرها الى ذكر قبولها
في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا
ولا ريب في ان هذه المعاني اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية عليها بعضها من
بعض وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها
قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ
بما فيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء المذكور عقيب قوله فكان من المغرقين لربما

توهم

توهم من اول الامر ان [illegible]
الوارد على الارض والسماء [illegible] الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع [illegible]
امر [illegible] الطوفان واستواء الفلك
على الجودي [illegible]
[illegible] ◦ قيل يا نوح اهبط ◦ اي انزل من الفلك
[illegible] ◦ بسلام ◦ ملتبسا بسلامة [illegible] ◦ منا ◦ او بسلام وتحية منا عليك كما قال
سلام على نوح في العالمين ◦ وبركات عليك ◦ اي خيرات نامية [illegible]
انواع الارزاق [illegible]
الخيرات [illegible] ◦ وعلى امم ممن معك ◦ [illegible]
الامم [illegible] ◦ وامم سنمتعهم ◦ [illegible]
[illegible]
[illegible] ◦ ثم يمسهم منا عذاب اليم ◦ [illegible]
[illegible] ◦ تلك ◦ [illegible] ◦ من انباء الغيب ◦ [illegible]
[illegible] ◦ نوحيها اليك ◦ [illegible]
[illegible] ◦ ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ◦ [illegible]
[illegible] ◦ فاصبر ◦ [illegible] ◦ ان العاقبة ◦ [illegible] ◦ للمتقين ◦ [illegible]
[illegible]

عما يشغل سره عن الحق ويتقبل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلق بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين ۝ والى عاد ۝ متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم ۝ اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى ۝ هودا ۝ عطف بيان لاخاهم وكان عم من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح ابن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه ۝ قال ۝ لما كان ذكر ارساله عم اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال ۝ يا قوم اعبدوا الله ۝ اى وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ۝ ما لكم من اله غيره ۝ فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا على لفظه ۝ ان انتم ۝ ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها ۝ الا مفترون ۝ عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ۝ يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ۝ خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره الناشئ معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر ۝ افلا تعقلون ۝ اى اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ۝ ويا قوم استغفروا ربكم ۝ اى اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ۝ ثم توبوا اليه ۝ اى توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده ۝ يرسل السماء ۝ اى المطر ۝ عليكم مدرارا ۝ اى كثير الدرور ۝ ويزدكم قوة ۝ مضافة ومنضمة ۝ الى قوتكم ۝ اى يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عم كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ۝ ولا تتولوا ۝ اى لا تعرضوا عما ادعوكم اليه ۝ مجرمين ۝ مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام ۝ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة ۝ اى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر ۝ وما نحن بتاركي آلهتنا ۝ اى بتاركي عبادتها ۝ عن قولك ۝ اى صادرين عنه اى صادرا تركنا عن ذلك باسنادنا وحال الوصف الى الموصوف في معناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ۝ وما نحن لك بمؤمنين ۝ اى بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة آلهتهم وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ۝ ان نقول الا اعتراك ۝ اى ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك ۝ بعض آلهتنا بسوء ۝ بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كأنهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام متعرض لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عم كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه بعنوان انا لا نعتقد كلامك لانه من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا

اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عم حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عم بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عم في كلامه ثم نفوا التصديق له عم بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عم مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة بالكلية حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون ۝ قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه ۝ اى اشراككم من دون الله اى من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان او مما تشركون من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه عم في حق آلهتهم من كونها بمعزل من الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها تصيبه عم بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عم بالحق وصدع به حيث اخبر براءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عم ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال ۝ فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ۝ اى ان صح ما لوحتم به من كون آلهتهم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عم كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعازة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال ۝ اني توكلت على الله ربي وربكم ۝ يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه من غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ۝ ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ۝ اى الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه بقوله فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ۝ ان ربي على صراط مستقيم ۝ تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اى هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عم ۝ فان تولوا ۝ اى تتولوا بحذف احدى التاءين اى ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض ۝ فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ۝ اى لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ۝ ويستخلف ربي قوما غيركم ۝ استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار اضافة الرب عليه عم رمز الى اللطف والتدمير للمخاطبين ۝ ولا تضرونه ۝ بتوليكم ۝ شيئا ۝ من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ۝ ان ربي على كل شيء حفيظ ۝ اى رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ۝ ولما جاء امرنا ۝ اى نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب ۝ نجينا هودا والذين آمنوا معه

وكانوا اربعة الاف • برحمة • عظيمة كائنة • منا • وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه
ونجيناهم من عذاب غليظ • اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف
الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد
وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ • وتلك عاد • انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان
الاشارة الى قبورهم وآثارهم • جحدوا بآيات ربهم • كفروا بها بعد ما استيقنوها • وعصوا رسله • جميع الرسل
مع انه لم يرسل اليهم غير هود وهو تفظيع لحالهم واظهار لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عصيان
لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالآيات
ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملائمة لما تقدم من جحود الآيات وما تأخر من قوله • واتبعوا
امر كل جبار عنيد • من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا
امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع لامر
الجبار من اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى و
اطاعوا من دعاهم الى الردى • واتبعوا في هذه الدنيا لعنة • ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة
لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا و
لوقوعه في صحبة اتباعهم رؤسائهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء وفاقا • ويوم القيمة • اي اتبعوا
يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا
برأسه لم يجمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة
الاخروية الثواب والرحمة • الا ان عادا كفروا ربهم • اي بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه
الا بعدا لعاد • دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار
وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم • قوم هود • عطف بيان
لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود وهم قومه
والى ثمود اخاهم صالحا • عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح هو ابن
عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم
قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف • قال يا قوم اعبدوا الله • اي وحده وعلل ذلك بقوله • ما لكم من اله غيره • ثم زيد في
بعثهم على الايمان والتوحيد وتحثيهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله • هو انشأكم من الارض • اي هو كونكم وخلقكم
منها لا غيره فقصر قلب او قصر افراد فان خلق آدم ومن منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته لم تكن مقصورة
على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذريته التي ستوجد الى يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم ثم
وانشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر • واستعمركم • من العمر اي عمركم
واستبقاكم • فيها • او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها
منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم • فاستغفروه ثم توبوا اليه
فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد
زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل • ان ربي قريب • اي قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين
مجيب • لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار

والتوبة

والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتأخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة • قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا • اي كنا نرجو منك
لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما
فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه • قبل هذا • الذي باشرته
من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو
بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ مرجؤا بالمد والهمزة • أتنهانا ان نعبد ما يعبد
آباؤنا • اي عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية • واننا لفي شك مما تدعونا اليه • من التوحيد
وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة • مريب • اي موقع في الريبة من ارابه اي اوقعه في الريبة
اي قلق النفس وانتفاء الطمانينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايهما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك
للتفخيم • قال يا قوم ارأيتم • اي اخبروني • ان كنت • في الحقيقة • على بينة • اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة
من ربي • مالكي ومتولي امري • وآتاني منه • من جهته • رحمة • نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع
لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة على ما سبق من
ايتاء النبوة وكونه • فمن ينصرني من الله • اي ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب
انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ان عصيته • اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن في تلك شانه
ابعد المؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل • فما تزيدونني • اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت
فينا مرجوا قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه • غير تخسير • اي غير ان تخسروني
خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم
انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير
العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه على بينة من ربه وايتائه النبوة • ويا قوم هذه ناقة الله • الاضافة للتشريف
والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق • لكم آية • معجزة دالة على صدق
نبوتي وهو حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت
لكانت صفة لها ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية • فذروها • خلوها
وشأنها • تأكل في ارض الله • ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عزوجل لتربية استحقاقها لذلك
وتعليل الامر بتركها وشأنها • ولا تمسوها بسوء • ولا تتعرضوا لها بشيء من السوء اصلا
هو من مبادي الاصابة وذكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها
فيأخذكم عذاب قريب • اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء
مخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن
فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب
بن عمرو والحباب صاحبا اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع
راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت
تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم
فعقروها • قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت
الصخرة بعد رغائه فدخلها • فقال • لهم صالح • تمتعوا • اي عيشوا • في داركم • اي بلدكم او في دياركم

قصة الناقة التي خرجت من الصخرة

ثلثة ايام • قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب • ذلك
اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد للتفخيم • وعد غير مكذوب
اى غير مكذوب فيه فحذف الجار واتسع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له انى بك
فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول • فلما جاء امرنا • اى عذابنا او امرنا
بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل • نجينا صالحا والذين امنوا معه • متعلق بنجينا او بآمنوا • برحمة • بسبب رحمة
عظيمة • منا • وهى بالنسبة الى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورأفة منا • ومن خزى يومئذ
اى ونجيناهم من خزى يومئذ • ان ربك • خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ على انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزى يومئذ اى من ذلته ومهانته او ذلتهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به
العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجينا هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب
يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ • ان ربك • خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم • هو القوى العزيز • القادر
على كل شئ والغالب عليه لا غيره ولكون اخبار بتنجية الاولياء بحلول العذاب اتم ذكرنا اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء
فقال • واخذ الذين ظلموا • عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم
الصيحة • اى صيحة جبريل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شئ فى الارض فتقطعت
قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء
فاصبحوا • اى صاروا • فى ديارهم • اى بلادهم او مساكنهم • جاثمين • خامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك
عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ
وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول عذابك قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها و
اسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا • كان لم يغنوا • اى كانهم لم يقيموا • فيها • فى بلادهم او
مساكنهم وهو فى موقع الحال اى اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم فى مقام قط • الا ان ثمود • وضع موضع
الضمير لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفى النجم وقد اختص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين • كفروا
ربهم • صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد و
الهلاك فى قوله تعالى • الا بعدا لثمود • وقرأ الكسائى بالتنوين • ولقد جاءت رسلنا ابراهيم • وهم الملائكة
عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال
الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدى احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم
وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم المجئ بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين
اليه عليه السلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤا الداعية البشرى ولما كان المقصود فى السورة
الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابرهيم عليه السلام
ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا • بالبشرى • اى ملتبسين بها قيل هى مطلق
البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الاية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه
بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة
على مجيئهما كما سيأتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام فى شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد
وستعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم
قالوا سلاما • اى سلمنا او سلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى ذكروا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما

قال

قال سلام • اى عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم فى حرام وقرأ ابن ابى عبلة قالا سلاما
وعنه انه قرأ بالرفع فيهما • فما لبث • اى ابرهيم • ان جاء بعجل • اى فى المجئ به او بالمجئ به • حنيذ
اى مشوى بالرضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه لقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال
فلما رأى ايديهم لا تصل اليه • لا يمدون اليه ايديهم للاكل • نكرهم • اى انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى
وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم كانوا ينكتون
بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق
بانفسهم فلا تعلق له برؤيته عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس
الا يرى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون • واوجس منهم • اى احس او اضمر من جهتهم • خيفة
لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان الاخبار بانه عليه السلام
اوجس من جهتهم شيئا هو خيفة من جهتهم من جهة غيرهم وتحقيقه ان ناضر باحقه التقديم يوجب ترتب النفس اليه
فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن • قالوا لا تخف • ما قالوه بمجرد ما رأوا امنه من اثر الخوف فازاله منه بل
بالطهارة عليه السلام له قال تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك • انا ارسلنا
ظاهره انه استيناف فى معنى التعليل للنهى المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم
آخرين يوجب امنه من خوفه اى ارسلنا بالعذاب • الى قوم لوط • خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فى انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد
اوجز الكلام اكتفاء بذلك • وامرأته قائمة • وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد
والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهى قائمة تسمع مقالتهم • فضحكت • سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل
الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك
لوطا فانى اعلم ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها
وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء • فبشرناها باسحق • اى عقبناه سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا • ومن
وراء اسحق يعقوب • بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها اى ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب
وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل فى البشارة
ليجئ او واقع فى الحكاية بعد ولد افتسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل فى ذلك ابرهيم عليه السلام وقد
وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة
حريصة على الولد • قالت • استيناف وارد جوابا عن سؤال من سأل وقال فماذا قالت اذ بشرت بذلك فقيل
يا ويلتى • اصل الويل الخزى ثم شاع فى كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا ويا عجبا وقرأ
الحسن على الاصل واما لها ابو عمرو وعاصم فى رواية ومعناه يا ويلتى احضرى فهذا اوان حضورك وقيل هى
الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت • ءالد وانا عجوز • بنت تسعين او تسع وتسعين سنة • وهذا
الذى تشاهدونه • بعلى • اى زوجى واصل البعل القائم بالامر • شيخا • وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه
على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى
بدل من اسم الاشارة وقرئ بالرفع او بيان له وكلتا الجملتين فى محل النصب من الضمير فى ءالد لتقرير ما سبق من الاستبعاد
وتعليله اى ءالد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها
لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داوتهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها
صريحا ولان العكس فى البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابرهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى
من المحذور واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها

فلا يتعلق بها استبعاد • ان هذا • اى ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا • لشئ عجيب • بالنسبة الى سنة
تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقى ومصدقيتها استعظام نعمة
عز وجل عليها فى ضمن الاستعجاب العادى لا الاستبعاد وذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى • قالوا أتعجبين من امر الله
اى قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والآيات
ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى سائر النساء من امثال هذه
الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت
النبوة التى ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا
بقوله تعالى • رحمة الله • التى وسعت كل شئ واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها • وبركاته
اى خيراته النامية المتكاثرة فى كل باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليهم السلام • عليكم اهل البيت • نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل
بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحد الى جميع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان
خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى
على كل شئ قدير وانتم اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شئ
وبركاته اى خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم • انه حميد • فاعل ما يستوجب
الحمد • مجيد • كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم • فلما ذهب عن
ابرهيم الروع • اى ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفان انهم ملائكة لا بشر وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابرهيم
ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبى من كل وجه بل له مدخل تام فى السياق والسباق وتأخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة
فان التأخير باحقية التقديم تبقى النفس منتظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن • وجاءته البشرى
اى بشرته البشرى بقولهم لا تخف فثبتته زمان الخوف وبحئ السرور ليتمى داله المدلول عليها بقوله تعالى • يجادلنا فى قوم لوط
اى جادل رسلنا فى شأنهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهره واما ان قصت بشارة
الولد ومجاورتها فلعل سببها اليها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه
قال لهم حين قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك
قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته فيشكل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابرهيم عم قد علم
انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم فى شأنهم لاشتغاله بشأن نفسه
فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم
لوط فلعل كان لوط عم على شريعة ابرهيم عم وقومه مكلفين بها فلما رأى من الملائكة ما رأى خاف على نفسه وعلى كافة
امته التى من جملتهم قوم لوط ولا ريب فى تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذى علمه عم بعد النهى عن الخوف
فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتأمل والله الموفق • ان ابرهيم لحليم • غير عجول على الانتقام
ممن اساء اليه • اواه • كثير التأوه على الناس • منيب • راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد
صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عم على ما صدر عنه من المجادلة • يا ابرهيم اعرض عن هذا • الجدال • انه
اى الشأن • قد جاء امر ربك • اى قدره الجارى على وفق قضائه الازلى الذى هو عبارة عن الارادة الازلية
والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء فى اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر
وانهم آتيهم عذاب غير مردود • لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما • ولما جاءت رسلنا لوطا • قال ابن عباس رضى الله عنهما
انطلقوا من عند ابرهيم عم الى لوط عم وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه فى صورة غلمان مرد حسان الوجوه

فلذلك

أو ذهب وصه

فلذلك • سيئ بهم • اى ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر
والكسائى وابو عمرو وسيئ وسيئت باشمام السين روى ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات
فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض
عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به قومها وقالت ان فى
بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط • وضاق بهم ذرعا • اى ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته
وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل
وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اى ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم للجارحة من المرفق الى
الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع فى قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها ووجه التمثيل
بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذى قصرت
طاقته دون بلوغ الامر • وقال هذا يوم عصيب • شديد من عصبه اذا شده • وجاءه • اى لوطا وهو فى بيته مع ضيفه
قومه يهرعون اليه • اى يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله
ومن قبل • اى من قبل هذا الوقت • كانوا يعملون السيئات • اى جاؤا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين فى
عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين
مجاهرين • قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم • فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم
كفائتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمة من الكافر كان جائزا وقد زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن
ابى لهب وابى العاص بن الربيع قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما
ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على التحقيق
من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة فى التواضع لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا فى ان يستحيوا
منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة
بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق كما ستقف عليه • فاتقوا الله • بترك الفواحش او
بايثارهن عليهم • ولا تخزون فى ضيفى • اى لا تفضحونى فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا
تخجلونى فيهم من الخزاية وهى الحياء • أليس منكم رجل رشيد • يهتدى الى الحق الصريح ويرعوى عن الباطل القبيح
قالوا • معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهى عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه • لقد علمت ما لنا
فى بناتك من حق • مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك
الا عرض سابرى ولا مطمع لنا فى ذلك • وانك لتعلم ما نريد • من اتيان الذكران ولما يئس عم من ارعوائهم
عما هم عليه من الغى • قال لو ان لى بكم قوة • اى لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال او كلم به الموتى • او آوى الى ركن شديد • عطف على ان لى لما فيه من معنى الفعل اى
لو قويت على دفعكم بنفسى او اويت الى ناصر عزيز قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى الشدة والمنعة وروى عن
النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وروى انه عم اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من
وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب • قالوا • اى الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة
قومه • يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك • بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا
فاستأذن جبريل عم ربه رب العزة جل جلاله فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحه
وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما
قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة
• فاسر باهلك • بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء فى القرآن من السرى والفاء لترتيب الامر

بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهى من جنابه عز وجل اليه ع م بقطع من الليل بطائفة منه
ولا يلتفت منكم اى لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا فى السير
فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امرأتك
استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وقرئ بالرفع على البدل من احد
فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القرائتين المتواترتين فان النصب يقتضى كونه ع م
غير مأمور بالاسراء بها والرفع كونه مأمورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعى
الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان يسرى هى بنفسها كما يروى انه ع م لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة
العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسرى بها ع م من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو
عدم الامر بالاسراء بها لا النهى عن الاسراء بها حتى يكون ع م بالاسراء بها مخالفا للنهى لا يجدى نفعا لان انضمام الاستثناء
الى الالتفات يستدعى بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مأمورا به قطعا وفى حمل الاهلية فى احدى القرائتين على
الاهلية الدينية وفى الاخرى على النسبية مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى
ح جعل الاستثناء على القرائتين من قوله تعالى ولا يلتفت مثل الذى فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأه
بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد فى كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات
بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب
وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير فى انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر
لان الذى اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع
ان موعدهم الصبح اى موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهى عن الالتفات المشعر بالحث على الاسراع
أليس الصبح بقريب تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع فى الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروى
انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات
هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب ح افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين
فلما جاء امرنا اى وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اى عالى قرى قوم لوط وهى التى عبر عنها
بالمؤتفكات وهى خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اى قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا
اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذى
هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روى انه جعل جبريل ع م
جناحه فى اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل
والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المدائن
او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو
من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشىء المرسل او مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله تعالى ان يعذبهم
وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد فى السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل
بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض
او باسم من ترمى به عند ربك فى خزائنه التى لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هى اى الحجارة الموصوفة
من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم
كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل فقال يعنى ظالمى امتك ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه
من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير
البعيد على تأويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اى بشىء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت فى السماء وهى

فى غاية

فى غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهى اسرع شىء لحوقا بهم فكأنها بمكان قريب منهم ولانه على زنة
المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اى اولاد مدين
بن ابراهيم ع م او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه اخاهم اى نسيبهم
شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه والجملة معطوفة على
قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى مدين شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر
الكلام فكأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده
ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب
على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادى ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال
والميزان كى تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس انى اريكم بخير اى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك
او بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تأتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم
عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهى عقبت بعلة اخرى اعنى قوله عز وجل وانى اخاف عليكم ان لم تنتهوا
عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله
من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد
المجازى وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب
ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهى جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط
اى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة فى الوزن والكيل وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها فى الآلة
محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما
بعد النهى عن نقصهما مبالغة فى الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل
عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم قانونا للعدوان ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم
اعتدالهما اشياءهم التى يشترونها بهما وقد صرح بالنهى عن البخس بعد ما علم ذلك فى ضمن النهى عن نقص المعيار والامر
بايفائه اهتماما بشأنه وترغيبا فى ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال
والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهى عن البخس عاما للنقص فى المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما فى قوله تعالى
ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثى يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ
العشور فى المعاملات قال زهير بن ابى سلمى افى كل اسواق العراق اتاوة وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثى فى
الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر ع م من خرق السفينة
وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض حال كونكم مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم بقيت الله اى ما ابقاه لكم من الحلال
بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم
ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربى الصدقات ان كنتم مؤمنين شرط ان تؤمنوا فان خيريتها
باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لى فى مقالتى لكم وقيل البقية
الطاعة كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهى تقواه عن المعاصى
وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت
اذ انذرت ولم آل فى ذلك جهدا او ما انا بحافظ مستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء
الصنيع قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا به امره ع م
اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام وقصدوا به التهكم بالصلوة والاستهزاء فى ذلك وغلوا فى الكفر
والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا آمر به من العقلاء اصلا

وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التي هي من نتائج الوسوسة
وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه ع م مامورا مع ان الصادر عنه انما
الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه ع م لم يكن يأمرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان
يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه ع م كان كثير الصلوة
معروفا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ
اصلوتك • او ان نفعل في اموالنا ما نشاء • جواب عن امره ع م بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص وقرئ بالتاء
في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء ويجوز العطف على ما قبل
يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله ع م ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك
ليس من افعاله ع م بل من افعالهم وانما لم يعطف على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور تكليفه
ع م اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على معنى اصلوتك
تامرك بالسعي وسعيك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه ع م واستهزاء به من تلك
الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه ع م في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك او يوهمه
واني ذلك فتامل وقرئ بالنون في الاول وبالتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي او ان تفعل نحن في اموالنا عند المعاملة
ما تشاء انت من التسوية والايفاء • انك لانت الحليم الرشيد • وصفوه ع م بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا
بذلك وصفه بضديهما كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكر
على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد
بالصلوة الدين كما قيل • قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة • اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما اتاه الله تعالى
من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستند الى سند • من ربي • ومالك اموري
وايراد حرف الشرط مع جزمه ع م بكونه على ما عليه من البينة والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه
في نظائره • ورزقني منه • اي من لدنه • رزقا حسنا • هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع
كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي
اتقولون في شأني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي
من قبيل ما لا ينبغي ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم
من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به آمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة
وانما يأمر به صلوتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا على
النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شأني وشأن افعالي
ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق ويساعده النظم الكريم وما قيل من ان المحذوف
ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية
والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على حقيقته
واريد بالصلوة الدين على معنى ادينك يامرك ان تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق
في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الكامل
والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسوقا على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا
وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي اتاه الله تعالى والمعنى اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى
ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره او اوافقكم فيما تأتون وما تذرون • وما اريد
بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد

دونكم

دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس
ان اريد • اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي • الا الاصلاح • الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة
ما استطعت • اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بما لا اصلاح في الجملة لا عن
ارادة ما ليس في وسعه منه • وما توفيقي • اي كوني موفقا لتحقيق ما انحيه من اصلاحكم • الا بالله • اي بتاييده
ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله ع م تحقيقا للحق وازاحة
لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من استبداده بذلك • عليه توكلت • في ذلك معرضا
عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل
عن مرتبة الاستمداد به والاستظهار • واليه انيب • اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا
لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي
واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقق
كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه ع م من مراعاة لطف المراجعة ورفق
الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جنابه عز وجل
والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع
الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء
او ما يعمه • ويا قوم لا يجرمنكم • اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا • شقاقي • معاداتي واصلها
احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والآخر في آخر • ان يصيبكم • مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي
ان يصيبكم • مثل ما اصاب قوم نوح • من الغرق • او قوم هود • من الريح • او قوم صالح • من الصيحة والرجفة
وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد
كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في
المعنى الا ان الاول افصح واورد على السنة الفصحاء وقرأ ابو حيوة مثل بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع
الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب ما
ذكر لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته ع م على الطف اسلوب وابدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم
شنآن قوم • وما قوم لوط منكم ببعيد • زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنه انما
غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في
سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد
مع تذكيره لان المراد وما اهلاكهم على تقدير المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من
حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر
كالنهيق والشهيق ولما انذرهم ع م بسوء عاقبة صنيعهم عقبه بطلب الاستغفار عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بحمل على
الاستغفار والتوبة فقال • واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه • مر تفسير مثله في اول السورة • ان ربي رحيم
عظيم الرحمة للتائبين • ودود • مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل
للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما • قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول • الفقه معرفة غرض المتكلم من
كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل
وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقول والسلوك الى سبيل الشقاوة
كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ
وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما

ما يستوجب أن يقضي ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك بما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا وإنا لنراك
فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والإيقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة
جانبهم لا لولا أنهم يمانعوننا ويدافعوننا لرجمناك فإن ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة لهم وهم
ألوف مؤلفة محال لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل وما أنت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وإنما
نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيلاء الضمير حرف
النفي وإن لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لاستماع قرينة قوله ولولا رهطك
كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا إلى نفي ما فيه من القوة
والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة
إليه وإلى إسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله فإن تهاونهم
بمن لا يتعزز إلا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق عزة رهطه
لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على
جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله فإنه مما لا يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا
من العزة أصلا واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء
الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي في النسبة إلى الأمس إن ربي بما تعملون
من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم
عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب
رهطه رد عليهم ذلك بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الأذلة
ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر وأنهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترءوا على العظيمة التي
هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وإنما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا أنهم أقوياء قادرون على رجمه وأنه ضعيف
فيما بينهم لا عزة له أو على ناحيتكم وجهتكم التي أنتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما أنتم عليه
من الكفر والمشاقة لي وسائر ما أنتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وإيقاع ما في نيتكم وإخراج ما في أمنيتكم
من القوة إلى الفعل إني عامل على مكانتي حسبما يؤتيني الله ويوفقني بأنواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون
لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم إني عامل كان مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالإخزاء تعريضا بما أوعدوه عليه السلام به من الرجم فإنه مع كونه عذابا
فيه خزي ظاهر حيث لا يكون إلا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على أنه قسيمه بل حيث أوعدوه
بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه
وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية
والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمترقب كإتيان العذاب بل إنما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن إما استفهامية
معلقة للعلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا كاذب وإما موصولة أي سوف تعرفون
الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما أقول إني معكم رقيب منتظر فعيل
بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم إظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بأمره
ولما جاء أمرنا أي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أو وقته فإن الارتقاب مؤذن بذلك
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الإيمان الذي وفقناهم له أو برحمة كائنة منا لهم وإنما ذكر بالواو كما في قصة
عاد لما أنه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فإنه قد سبق

فيهما ذلك

فيهما ذلك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم الصبح وأخذت الذين ظلموا عدل إليه عن الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم وإشعارا بأن ما أخذهم إنما أخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل
عليه السلام فهلكوا وفي سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روادف
الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي إليها كما مر فيما قبل فأصبحوا في ديارهم جاثمين أي ميتين لازمين لأماكنهم لا
براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب إلخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه وذلك
جعل مجيئه بعد ذلك أمرا مسلم الوقوع غنيا عن الإخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام وإهلاك الكفرة جوابا
ومقصود الإفادة وإنما قدم تنجيته اهتماما بشأنها إيذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر
أثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا أي لم يقيموا فيها متصرفين في أطرافها متقلبين في أكنافها
ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدل على طغيانهم الذي أداهم إلى هذه المرتبة
وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم أعني ثمود وإنما شبه هلاكهم بهلاكهم لأنهما أهلكتا بنوع من العذاب وهو
الصيحة غير أن هؤلاء صيح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص
معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد أرسلنا موسى بآياتنا
وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والأنفس
ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها إظلال الجبل وليس كذلك فإنه لقبول أحكام التوراة حين أباه بنو إسرائيل والباء
متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول أرسلنا أو نعتا لمصدره المؤكد أي أرسلناه حال كونه ملتبسا بآياتنا أو أرسلناه
إرسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها أو هو العصا والإفراد بالذكر لإظهار شرفها لكونها
أبهرها أو المراد بالآيات ما عداها أو هما عبارتان عن شيء واحد أي أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له
على نبوته واضحا في نفسه أو موضحا إياها من أبان لازما ومتعديا أو الغلبة والاستيلاء كقوله ونجعل لكما سلطانا ويجوز
أن يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الأولى من الحقائق الرائقة
والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التوراة أو إدراجها في جملة الآيات يرده قوله عز وجل إلى فرعون وملإه فإن نزولها
إنما كان بعد ما هلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو إسرائيل فيما يأتون وما يذرون وأما فرعون وقومه فإنما كانوا
مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية
وبإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر وتخصيص ملئه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لأصالتهم في الرأي وتدبير
الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وإنما لم يصرح بكفر فرعون بآيات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال و
الإضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملئه فقيل فاتبعوا أمر فرعون أي أمره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين
للإيذان بوضوح حاله فكأن كفره وأمر ملئه بذلك أمر محقق الوجود غير محتاج إلى الذكر صريحا وإنما المحتاج إلى ذلك شأن
ملئه المترددين بين هاد إلى الحق وداع إلى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وإيراد الفاء في اتباعهم المرتب على أمر فرعون
المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للإشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعة فرعون إلى الكفر وأمرهم به فكأن ذلك
كله لم يتراخ عن الإرسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع إثر ذلك اتباعهم ويجوز أن يراد بأمر فرعون
شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثلها في قولك وعظته فلم يتعظ
وصحت به فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الإضمار لدفع توهم الرجوع إلى موسى عليه السلام من أول الأمر ولزيادة تقبيح حال المتبعين
فإن فرعون علم في الفساد والإفساد والضلال والإضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في
قوله تعالى وما أمر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الأول بمعنى المرشد أو ذي رشد
حقيقة لغوية والإسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والإسناد حقيقي يقدم قومه جميعا من الأشراف وغيرهم

يوم القيمة اى يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله فى الآخرة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال
كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او للتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اى يوردهم
وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة
والنار بالماء الذى يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملأ الذين اتبعوا امر فرعون فى هذه اى فى
الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة
فهى تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا فى الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة فى الدارين جزاء وفاقا
واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم
والقاهم فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على
طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف
الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى اللعنة فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منهما
معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب
لرسول الله صلعم وهو مبتدا خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدى اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اى
ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اى من تلك القرى قائم وحصيد اى ومنها حصيد حذف
لدلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
وما ظلمناهم بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم آلهتهم التى يدعون اى يعبدونها من دون الله او ثر صيغة المضارع
حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شىء فى موضع المصدر اى شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك
اى حين مجىء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتى ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب
اى اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه ومحله
رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى
اى اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ وهى ظالمة حال من القرى وهى
فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم فى الاخذ اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا لظلمهم
ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد
والتحذير ان فى ذلك اى فى اخذه تعالى للامم المهلكة او فى قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة
فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة
واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شىء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب
تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق فى بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصى التى يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار
تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس
اى يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحققه وانه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه
فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود
فيه حيث يشهد اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما فى قوله فى محفل من نواصى الناس
مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه من غيره فان
سائر الايام ايضا كذلك وما نؤخره اى ذلك اليوم الملحوظ بعنوانى الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانتهاء
مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اى حين يأتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم

الساعة

الساعة وقيل يوم يأتى الجزاء الواقع فيه وقيل اى الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات الياء
على الاصل لا تكلم نفس اى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل فى الظرف والانتهاء محذوف
فى قوله تعالى الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى او الضمير المعهود اعنى اذكر الا باذنه عز سلطانه فى التكلم
كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فى آخر
منها والمأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما فى قول
الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقى وجبت له النار بموجب الوعيد وسعيد اى ومنهم
سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم
بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقى على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا
اى سبقت لهم الشقاوة ففى النار اى مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس
والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول صوته
زفير ويتلوه شهيق محشرج والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه
او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستانفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا
او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير فى الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا انه ان اريد حدوث
كونهم فى النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اى مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد
ونفى الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر
وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد
قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقد جزم كل احد بان اهل الآخرة
لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين ويكفى فى تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل احوالهما
الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل
واستحالة تعلق المشية بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعنى انهم مستقرون فى النار فى جميع الازمنة الا فى زمان مشية الله
تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك المشية ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء
مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشية الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى
قال ان ربك فعال لما يريد يعنى انه فى تخليد الاشقياء فى النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته
قاض بمقتضى مشيته الجارية على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول من الاضمار الى
الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود فى عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون
بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت
تدرى انه وان ساغ ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس النار فما خلا عذاب الزمهرير
من تلك الانواع يقارن لعذاب النار فلا مصداق فى ذلك للاستثناء ولذلك ان تقول انهم ليسوا بمخلدين فى العذاب
الجسمانى الذى هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهى العقوبات والآلام الروحانية التى لا يقف
عليها فى هذه الحيوة الدنيا المنغمسون فى احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوا من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد
لتلقى ما وراء ذلك من الاحوال الروحانية اذا القى اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة
عن التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم فى النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه المرتبة

كافية في تحقيق معنى الاستثناء بهذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اوفق بما ذكر وقيل الا بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى
ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين • واما الذين سعدوا
ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض • الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا
كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار • الا ما شاء ربك • ان حمل على طريقة
التعليق بالمحال فقوله سبحانه • عطاء غير مجذوذ • نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي
اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض
نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى تحتمل ان يكون على جهة
عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة
فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر
الاستثناء من انقطاعه • فلا تك في مرية • اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من
العواقب الدنيوية والاخروية • مما يعبد هؤلاء • اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه
من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال
المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص
عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلعم عن كونه في شك من مصير
امر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف فقيل • ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم
الذين قصصت عليك قصصهم • من قبل • اي هم واباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون
شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا
يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق اباءهم فسيلحقهم مثل ذلك فان التماثل في الاسباب يقتضي
التماثل في المسببات • وانا لموفوهم • اي هؤلاء الكفرة • نصيبهم • اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب
عاجلا وآجلا كما وفينا اباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق
ما يوجبه • غير منقوص • حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته رفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له
لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل • ولقد آتينا موسى الكتاب
اي التوراة • فاختلف فيه • اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فامن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك
فيما آتيناك من القران وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته • ولولا كلمة سبقت من ربك
وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك • لقضي بينهم • اي لاوقع القضاء بين المختلفين
من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك • وانهم
اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس • لفي شك • عظيم • منه • اي من
القران وان لم يجر له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي
• مريب • موقع في الريبة • وان كلا • التنوين عوض من المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل • لما ليوفينهم ربك اعمالهم • اي اجزية اعمالهم واللام الاولى
موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف وما مركبة من من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت
النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت وسطهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق والله ليوفينهم ربك
وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الاية وقرئ لما
بالتنوين اي جميعا كقوله تعالى اكلا لما وقرأ ابي وان كل الا ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به

انه

انه بما يعملون اي بجملته كل فرد من المختلفين من الخير والشر • خبير • بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة
من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر • فاستقم كما امرت • لما بين في تضاعيف
القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال
واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقران مثل تكذيب
قوم موسى عليه السلام للتوراة وانه لو لم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل بهم
ما فعل باباءهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة
به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية
والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود • ومن تاب معك • اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية وهو
معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة
اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك
ولا تطغوا • ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد
تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين على حاله عليه السلام • انه بما تعملون بصير • فيجازيكم على ذلك هو تعليل للامر والنهي وفي الاية
دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع
لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد • ولا تركنوا • اي لا تميلوا ادنى
ميل • الى الذين ظلموا • اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وقيل
من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد والنهي عن الركون
اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك • فتمسكم • بسبب ذلك • النار • واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه
ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على صحبتهم
ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا
من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف
الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا
على صيغة البناء للمفعول من اركنه • وما لكم من دون الله من اولياء • اي من انصار ينقذونكم من النار والجملة
نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يفيد تجويز
ان يكون له ولي بل لكل منهم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي
ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام • ثم لا تنصرون • من جهته تعالى اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم
ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون
منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا
واقم الصلوة طرفي النهار • اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت • وزلفا من الليل
اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتهما صلوة الغداة
والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين

وضمة وسكون كبسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ﴿إن الحسنات﴾ التي من جملتها بل عمدتها ما أمرت به من الصلوات
﴿يذهبن السيئات﴾ التي قلما يخلو منها البشر أي يكفرنها وفي الحديث إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل نزلت
في أبي اليسر الأنصاري إذ قبل امرأة ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم أنتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر
نزلت فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت ويمنعن من اقترافها كقوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿ذلك﴾
إشارة إلى قوله تعالى فاستقم وما بعده وقيل إلى القرآن ﴿ذكرى للذاكرين﴾ أي عظة للمتعظين ﴿واصبر﴾ على مشاق ما أمرت
به في تضاعيف الأوامر السابقة وأما ما نهي عنه من الطغيان والركون إلى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له
اللهم إلا أن يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من أدنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المأمور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية
إلى من وجد منه ظلم ما فإن في الاحتراز عن أمثاله من المشقة ما لا يخفى ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أي يوفيهم أجور أعمالهم
من غير بخس أصلا وإنما عبر عن ذلك بنفي الإضاعة مع أن عدم إعطاء الأجر ليس بإضاعة حقيقة كيف لا والأعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح
وإبراز الإثابة في معرض الأمور الواجبة عليه وإنما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع إفادة فائدة عامة لكل من يتصف
به وهو تعليل للأمر بالصبر وفيه إيماء إلى أن الصبر على ما ذكر من باب الإحسان ﴿فلولا كان﴾ فهلا كان ﴿من القرون﴾ الكائنة
﴿من قبلكم﴾ على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أو كائنة من قبلكم ﴿أولو بقية﴾ من الرأي والعقل أو أولو
فضل وخير وسميا بها لأن الرجل إنما يستبقي مما يخرجه عادة أجوده وأفضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية
القوم أي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي
فهلا كان منهم ذوو إبقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده أنه قرئ أولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه
يبقيه إذا راقبه وانتظره أي أولو مراقبة وخشية من عذاب الله كأنهم ينتظرون نزوله لاتقائهم ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾
الواقع منهم حسبما حكي عنهم ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾ استثناء منقطع أي لكن قليلا ممن أنجينا منهم لكونهم على تلك الصفة على أن
من للبيان لا للتبعيض لأن جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لأنه يكون تحضيضا لأولي البقية على النهي
المذكور إلا للقليل من الناجين منهم كما إذا قلت هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من
المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك إن جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكأنه قيل ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلا
منهم لكن الرفع هو الأفصح على البدلية ﴿واتبع الذين ظلموا﴾ بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ﴿ما أترفوا فيه﴾ أي أنعموا
من الشهوات واهتموا بتحصيلها أما المباشرون فظاهر وأما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد
بهم تاركو النهي وأنت خبير بأنه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والإجرام عبارة ﴿وكانوا مجرمين﴾ أي كافرين
فهو بيان لسبب استئصال الأمم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله
واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام أي لم ينهوا واتبع إلخ فيكون العدول إلى المظهر لإدراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل
عليهم بالظلم وللإشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب أو على استئناف يترتب على قوله إلا قليلا أي إلا قليلا
ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الإظهار مقتضى الظاهر وقوله
وكانوا مجرمين عطف على أترفوا أي اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام أو أريد
بالإجرام إغفالهم للشكر أو على اتبع أي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز أن يكون اعتراضا وتسجيلا
عليهم بأنهم قوم مجرمون وقرئ واتبع أي اتبعوا جزاء ما أترفوا فيكون الواو للحال ويجوز أن يفسر به المشهورة ويعضده تقدم
الإنجاء ﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ أي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكها حسبما بلغك
أنباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله ﴿بظلم﴾ أي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل أي ظالما
لها والتنكير للتفخيم والإيذان بأن إهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه تعالى وإلا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة أهل السنة وقد مر تفصيله في سورة

ال

آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى ﴿وأهلها مصلحون﴾ حال من المفعول والعامل عامله
ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله أعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الإهلاك ظلما بحال كون أهلها مصلحين ويأباه
في فساده بل بإطلاقه عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية أي لا يهلك القرى بسبب إشراك أهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم
الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم
وأنت تدري أن مقام النهي عن المنكرات التي أقبحها الإشراك بالله لا يلائمه فإن الشرك داخل في الفساد في الأرض دخولا أوليا
ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت أنباؤهم أممهم أولا عن الإشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من أصناف المعاصي وحمل الإصلاح على إصلاحه والإقلاع عنه بكون بعضهم
متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين إلى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك وغيره من أنواع الفساد ﴿ولو شاء
ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ مجتمعة على الحق ودين الإسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه أحد ولكن لم يشأ ذلك فلم
يكونوا متفقة على الحق ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ في الحق أي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴿إلا من رحم ربك﴾ إلا قوما هداهم الله تعالى بفضله إلى الحق فاتفقوا عليه ولم
يختلفوا فيه أي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور
﴿ولذلك﴾ أي لما ذكر من الاختلاف ﴿خلقهم﴾ أي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة أو للترحم فالضمير
لمن واللام في معناها أو لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين ﴿وتمت كلمة ربك﴾
أي وعيده أو قوله للملائكة ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ أي من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لا من
أحدهما ﴿وكلا﴾ أي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف إليه ﴿نقص عليك﴾ نخبرك به وقوله تعالى ﴿من أنباء الرسل﴾
بيان لكلا وقوله تعالى ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ بدل منه والأظهر أن يكون المضاف إليه المحذوف في كلا المفعول المطلق
لنقص أي كل اقتصاص أي كل أسلوب من أساليبه نقص عليك من أنباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول
نقص وفائدته التنبيه على أن المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذية
الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الأمم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق
﴿وجاءك في هذه﴾ السورة أو الأنباء المقصوصة عليك ﴿الحق﴾ الذي لا محيد عنه ﴿وموعظة وذكرى للمؤمنين﴾
أي الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الأول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف له
بالقياس إلى غيره وتقديم الظرف أعني في هذه على الفاعل لأن المقصود بيان منافع السورة أو الأنباء المقصوصة فيها
واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولأن عند تأخير ما حقه التقديم تبقى النفس
مترقبة إليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولأن في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم
﴿وقل للذين لا يؤمنون﴾ بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على حالكم وجهتكم التي
هي عدم الإيمان ﴿إنا عاملون﴾ على حالنا وهو الإيمان به والاتعاظ والتذكر به ﴿وانتظروا﴾ بنا الدوائر
﴿إنا منتظرون﴾ أي ينزل بكم نحو ما نزل بأمثالكم من الكفرة ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾
فيرجع لا محالة أمرك وأمرهم إليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ فإنه كافيك
والفاء لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر
بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع دونها ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ فيجازيكم بموجبه وقرئ يعملون على تغليب
المخاطب أي أنت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود
أعطي عشر حسنات بعدد من صدق بكل واحد من الأنبياء المعدودين فيها عليهم السلام وبعدد من كذبهم و
كان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

سورة يوسف احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر • الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى
تلك آيات الكتاب • عين ما سلف في مطلع سورة يونس • المبين • من ابان بمعنى بان اي الظاهر امره في كونه من
عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لاسيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس
لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بيّن اي المبين لما فيه من الاحكام الشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار
النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص على تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فانه
ابانه من قصة يوسف فانه قد روي ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل
آل يعقوب عم من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عم ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل [illegible]
لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل • انا
انزلناه • اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى
قرآنا عربيا • اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل
عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفت فيما سلف في سورة الرعد من انه اسم جنس في الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب
او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم • لعلكم تعقلون • اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه
من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر • نحن نقص عليك • اي نخبرك
ونحدثك من اشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن لانه يتبع
ما حفظ منه آية بعد آية • احسن القصص • اي احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص
اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل • بما اوحينا • اي بايحائنا
اليك هذا القرآن • اي هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها
لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو وانما ظهوره من السؤال المشركين متلقين علماء اليهود
وحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من
طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي
كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك
احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عم على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي
به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه • وان كنت
ان مخففة من الثقيلة والضمير الشأن الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى ان الشأن كنت
من قبله • من قبل ايحائنا اليك هذه السورة • لمن الغافلين • عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك
قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين
اذ قال يوسف • نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص
على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص
للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب
به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته • لابيه • يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
عليهم السلام وقد روي عنه عم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
يا ابت • اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة فلذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها
او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء

لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة
الاسم فيجب تحريكها ككاف خطابك • اني رأيت • من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وهذا
تأويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤيته راء دون
راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس • احد عشر كوكبا والشمس والقمر • روي عن جابر رضي الله عنه
ان يهوديا جاء الى الرسول عم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف عم فسكت النبي صلعم فنزل جبريل عم
فاخبره بذلك فقال عم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عم جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب
اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف
جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر
ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تأخر ملاقاته عم لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عم رأى
وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة
تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي
عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين
رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون • رأيتهم لي ساجدين • استئناف لبيان حالهم
التي رآهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها
بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية
الفاصلة • قال يا بني • صغره للشفقة او لصغر السن وهو ايضا استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب
بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عم من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة
ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم
فقال صيانة لهم من ذلك ومن معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان [illegible] بان الله تعالى سيحقق
ذلك لا محالة [illegible] في حصوله بلا مشقة • لا تقصص رؤياك • هي في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة وفرق بينهما
بحرف التأنيث كما في القربة والقربى وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان
كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه • على اخوتك فيكيدوا • نصب باضمار ان اي لا تقصصها عليهم فيكيدوا اي فيفعلوا
لك • اي لاجلك • كيدا • متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك [illegible]
وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عم يعلم انهم ليسوا بقادرين على [illegible]
الاسلوب [illegible]
الالام لتضمين معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن فيه للتأكيد اي فيحتالوا لك لاهلاكك
حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وربالون [illegible] بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد واشر
من سريتين زلفة وبلهة [illegible] اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما

به اخل بحث هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخفى بعده ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والاظهر
نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ● ان الشيطان للانسان عدو مبين ● ظاهر العداوة فلا يألو جهدا في اغواء اخوتك
واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عم قال كيف يصدر ذلك على اخوتي الناشئين في بيت النبوة
فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك وله ذنبه عليهما السلام على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وفقره وانشاء تحاسدوا
الى ان يحول الغوته بينها وبين ظهور آثارها وصورتها او بيع روا السبل وصورتها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي
فقال ● وكذلك ● اي ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية
النيرة لك وخضوعها على وفقه ● يجتبيك ربك ● يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك تعالى من جباه اذا جمعه ويصطفيك
على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والاظهر
بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا واشباحا له من الكائنات
الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام سيسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين
لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه اعلم بتدرج جذرا من اذاعته
ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل تحت التشبيه اراد به عم تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما اخبر به على طريق
التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك ● من تاويل الاحاديث ● اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على
حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا
اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس والشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث
كالاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا احدوثة على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة و
اقاطيع وتسميته التعبير تاويلا لانه جعل المرئي آئلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عم اشار بذلك الى ما سيقع
من يوسف عم من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك كون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي
عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره
عليه السلام على الاطلاق فيجوز ان يكون معرفته عم بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات
والمخائل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لابد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي
كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عم في عالم المثال وقوة تصرفاتها فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك
العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في
احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر وان هذا الشأن البديع لابد ان يكون انموذجا
لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم السلام معجزة بها تظهر آثاره وتجري احكامه
● ويتم نعمته عليك ● بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما
لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشير اليه من كونه اثره ووسيلة الى تمام النعمة
ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة
● وعلى آل يعقوب ● وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عم اخوته كواكب يهتدي بانوارها من نعم الله تعالى
عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة
لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال
● كما اتمها على ابويك ● نصب على المصدرية اي يتم نعمته عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة
والنبوة واتمامها على ابرهيم عم باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه
بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقق
التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه ● من قبل ● اي من قبل هذا الوقت

او من

او من قبلك ● ابرهيم واسحق ● عطف بيان لابويك وفي التعبير عنهما بالاب مع كونهما اجداده وابيه للاشعار بكمال
ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سرابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار
في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية
للاجتباء لا محالة ● ان ربك ● استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه ● عليم ● بكل شيء
فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور ● حكيم ● فاعل لكل شيء
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في
الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه
الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة
او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها
على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي ● لقد كان في يوسف واخوته ● اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم
فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف وعليهم يدور رحاها ● آيات ● علامات عظيمة
الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة ● للسائلين ● لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او الطالبين
للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في
السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن سأله
من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها
اقتصاصها وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم
على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لما قيل من انه لتعدد
جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف
وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتاسى به ● اذ قالوا ليوسف واخوه ● اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر
باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين من غير تعرض لهم قالوا اقتلوا يوسف ● احب الى ابينا منا ●
وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف
وجب الفرق واذا اضيف جاز وفائدة لام الابتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ● ونحن عصبة ●
اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا
بذلك لان الامور تعصب بهم ● ان ابانا ● في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور
بالصغر والقلة ● لفي ضلال ● اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته ● مبين ● ظاهر الحال
روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخائل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث
لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم ● اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا ● من جملة ما حكي
بعد قوله اذ قالوا وقد قال بعض منهم مخاطبا للباقين بعقبة الصيغة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل
شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا آه فجعلوا كانهم القائلون واورد صيغة الامر ليسند القول
المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو اول على مبادرتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤه
من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصب نصب الظروف المبهمة
● يخل ● بالجزم جواب للامر اي يخلص ● لكم وجه ابيكم ● فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم
في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم ● وتكونوا ● بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو
بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء
بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل ● من بعده ● من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله

اوطرحه • قوما صالحين • تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
في امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم • قال قائل منهم • هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض
آه وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سؤال من سأل فقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك احد
فقيل قال قائل منهم • لا تقتلوا يوسف • اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه
يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله • والقوه في غيابة الجب
اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانه ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك
شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ
غيابات وغيبته • يلتقطه • ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع
بعض السيارة • اي بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وفي البعض من الابهام تحقيق لما
يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه
على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه • ان كنتم فاعلين
بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم
الافتيات او ان كنتم فاعلين ما ارفعهم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا
بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه ام لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيف قبولهم له ما جرى من قوله
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل • قالوا يا ابانا • خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا
لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عم عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد
والبغي فكانهم قالوا • ما لك • اي اي شيء لك • لا تامنا • اي لا تجعلنا امناء • على يوسف • مع انك ابونا
ونحن بنوك وهو اخونا • وانا له لناصحون • مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط و
القراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام • ارسله معنا غدا
الى الصحراء • يرتع • اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ • ويلعب • بالاستباق والتناضل
ونظائرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته لما راموه من استنزاله عن يوسف
عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء
وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء • وانا له لحافظون • من ان يناله مكروه
اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا
في تحصيل مقصدهم • قال • استيناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عم فقيل • قال اني ليحزنني • اللام
للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم • ان تذهبوا به • لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه • واخاف
ان ياكله الذئب • لان الارض كانت مذأبة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك
اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل
راى في المنام ان قد شد عليه ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع
في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت
من كل جانب قال الاصمعي الامر بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى • وانتم عنه غافلون • لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة
اهتمامكم بحفظه • قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة • اي والحال انا جماعة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام
وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله • انا اذا لخاسرون • جواب مجزئ
عن الجزاء اي لرابكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون
لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل [illegible]

وهو

وهو اغراء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب يعقوب عم من اكل الذئب لانه
السبب القوي في المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب • فلما ذهبوا به واجمعوا • اي عزموا
ان يجعلوه • مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي
الى فعلها • في غيابة الجب • قيل هي بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل
يعقوب عم بكنعان التي هي من نواحي الاردن كما ان مدين كذلك واما
ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل
يعقوب عم وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله لا يحويه فلك العبارة
ومجمله فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه
ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم
فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عم حين القي في النار وجرد عن
ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف
فجاء جبريل عم فاخرجه من التميمة فالبسه اياه • واوحينا اليه • عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته
وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بامرهم هذا • اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون • انك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد
حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه
ممتارين عرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ
من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه
بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه
وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله
وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير • وجاءوا اباهم عشاء • اخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى
بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء • يبكون • متباكين روي انه لما سمع يعقوب بكاءهم فزع وقال
ما لكم يا بني واين يوسف • قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق • اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك
الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظائرهما • وتركنا يوسف عند متاعنا • اي ما نتمتع به من الثياب
والازواد وغيرها • فاكله الذئب • عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح
المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عم عنده من باب الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يرحوه
ولم يضيعوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في ما منا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان
السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان
وما انت بمؤمن • بمصدق • لنا • في هذه المقالة الدالة على نزاهتنا في القضية في امره • ولو كنا • عندك وفي اعتقادك • صادقين
موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا [illegible]
[illegible]

لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المتغايرة لما عندها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين • وجاؤا على قميصه • محله النصب على الظرفية من قوله • بدم • اي جاؤا فوق قميصه بدم كما يقال جاء على جماله باحماله او على الحالية منه وتقديمه عليه لان تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا • كذب • مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل اي طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر • قال • استئناف مبني على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك • بل سولت لكم انفسكم • اي زينت وسهلت قاله ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الاشياء وهو امنيته التي تتمنين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء • امرا • من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف • فصبر جميل • اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرأ ابي فصبرا جميلا • والله المستعان • اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه للاستعانة المستمرة • على ما تصفون • على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه يأباه تكذيبه اياهم في ذلك ولا تساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه • وجاءت • شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ من ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء لبيان نسبته الى مكانهم فان كنعان ليس في الجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي ايثاره على المرور والاتيان ونحوهما ايماء الى كونه ثم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب في الامم المتبادر فان المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله عز وجل وجاءت • سيارة • اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة ... الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه • فارسلوا واردهم • الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يذهب عنه الذكر صفحا • فادلى دلوه • اي ارسلها الى الجب وحذف لما عرفه فتدلى بها يوسف فخرج • قال • استئناف مبني على سؤال يقتضيه الحال • يا بشرى هذا غلام • كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما وجد مبتغاه من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما لها حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف • واسروه • اي اخفاه الوارد

واصحابه

واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد • بضاعة • نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال تبضع منه اي تقطع للتجارة • والله عليم بما يعملون • وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك من الحيل • وشروه • اي باعوه والضمير للوارد واصحابه • بثمن بخس • زيف ناقص العيار • دراهم • بدل من ثمن اي لا دنانير • معدودة • اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اي المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما • وكانوا • اي البائعون • فيه • في يوسف • من الزاهدين • من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب مالهم لما ظن في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول • وقال الذي اشتراه من مصر • وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي وقد مات في حيوة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان ابن سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة • لامرأته • راعيل او زليخا قيل اسمها هو الاول واللقب هو الثاني واللام متعلقة بقال لا باشتراه • اكرمي مثواه • اجعلي محل ثوائه واقامته كريما حسنا والمعنى احسني تعهده • عسى ان ينفعنا • في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا • او نتخذه ولدا • اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما • وكذلك • [illegible] • مكنا ليوسف في الارض • اي جعلنا [illegible]

إليها الكلام ويستدعيها النظام كأنه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الأرض وجعلنا قلوب أهلها كافة محال لمحبته
ليترتب عليه ما يترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الأحاديث وهو تأويل الرؤيا المذكورة
فيؤدي ذلك إلى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للإشعار بعدم كونه مرادا بالذات أو جعلناه علة لمعلل
محذوف كأنه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرنا مما ليس عاقبته حميدة هذا ولا يخفى عليك
أن الذي عليه يدور هذه الأمور إنما هو التمكين في جانب العزيز وأما التمكين في جانب الناس كافة فتأديته إلى
ذلك إنما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فالأولى أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف
على أن يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز أو في منزله وكون ذلك تمكينا في الأرض بملابسة أنه عزيز
فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا من أن ذلك إشارة إلى مصدر
الفعل المذكور بعده لا إلى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار
إليه إقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي أن يحقق
المقام وأما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في أرض مصر بالأمر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة
عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية إليه فلا سبيل إلى جعله غاية له ولم يعهد منه عم في تضاعيف قضاياه العمل
بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عند انفتاح الجملة غاية لولايته وما وقع من التدارك في أمر
السنين فإنما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم إلا أن يراد بتعليم تأويل الأحاديث ما سبق من
تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكناه في أرض مصر
ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى ودقائق سنن الأنبياء فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الإجمالي
لتلك المعاني والأحكام وإن كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى إلا أن تعليم كل معنى يقتضي يتعلق في
ضمن الحوادث والإرشاد إلى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غاية له
والله غالب على أمره • لا يستعصي عليه أمر ولا يمانعه شيء بل إنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون فيدخل
في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا أوليا أو متول على أمر يوسف لا يكله إلى غيره وقد أريد به من الفتن ما أريد
مرة بعد مرة فلم يكن إلا ما أراده الله له من العاقبة الحميدة • ولكن أكثر الناس لا يعلمون • أن الأمر كذلك
فيأتون ويذرون زعما منهم أن لهم من الأمر شيئا وأنى لهم ذلك وأن الأمر كله لله عز وجل أو لا يعلمون لطائف
صنعه وخفايا فضله • ولما بلغ أشده • أي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين
وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم والأول هو الأظهر لقوله • آتيناه حكما • حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما
بين الناس وفقها أو نبوة • وعلما • أي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم أي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر
قدرهما وهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما كيف لا وقد
جعل إيتاءهما جزاء لعمله حيث قيل • وكذلك • أي مثل ذلك الجزاء العجيب • نجزي المحسنين
أي كل من يحسن في عمله فيجب أن يكون ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الأحزان و
الشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الأحاديث ولا صحة له إلا أن يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فإن ذلك
حيث كان عند تناهي أيام البلاء صح أن يعد إيتاؤه من جملة الجزاء وأما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه
السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين إشعار بعلية الإحسان له وتنبيه
على أنه سبحانه إنما آتاه لكونه محسنا في أعماله متقيا في عنفوان أمره هل جزاء الإحسان إلا الإحسان • وراودته
التي هو في بيتها • رجوع إلى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعدما أمر امرأته بإكرام مثواه وقوله تعالى
وكذلك مكنا ليوسف • إلى هنا اعتراض جيء به أنموذجا للقصة ليعلم السامع من أول الأمر أن ما لقيه عم من
الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وأنه عم محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه في حالتي

والضراء

والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى أن مدار حسن التخلص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكين البالغ المفهوم
من كلام العزيز فادراج الإنجاء السابق تحت الإشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور نأى من التقريب
فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة
من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن الآخر
سببه فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت
كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه
وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل إذا قمتم
إلى الصلاة فإذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت أسباب الأفعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة
عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فإن مطالبة الدائن للمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه لا للمطالبة التي هي من
جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عم
نزل صدورها عن محالها منزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الأفعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة
بأن أسند الفعل إلى الفاعل وأوقع على صاحب السبب فتأمل ويجوز أن يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة
على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز أن يكون من الرود وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمنها
معنى المخادعة فالمعنى خادعته • عن نفسه • أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه عن يده
وهو يحتال أن يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته إياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان
بذكره وإيراد الموصول لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير
فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولإظهار كمال نزاهته عم فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها
واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عم في أعلى معارج العفة والنزاهة • وغلقت الأبواب •
قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام • وقالت
هيت لك • قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل
معناه أقبل وبادر واللام للبيان أي لك أقول هذا كما في هلم لك وقرئ هيئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت يقال هاء
يهيء كجاء يجيء إذا تهيأ وهيئت لك واللام صلة للفعل • قال معاذ الله • أي أعوذ بالله معاذا مما تدعونني إليه
وهذا اجتناب منه على أتم الوجوه وإشارة إلى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك إلا لأنه
قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل • إنه ربي
أحسن مثواي • تعليل للامتناع ببعض الأسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها إلى اعتباره بعد التنبيه على سببه
الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره
وفائدة تصدير الجملة به الإيذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر
إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن الخطير هذا وهو
ربي أي سيدي العزيز أحسن مثواي أي أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه وفيه
إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر إن وأحسن مثواي خبر ثان أو هو الخبر والأول
بدل من الضمير والمعنى أن الحال هكذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله
عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته إليه إيذان بأن
هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا وقوله تعالى • إنه لا يفلح الظالمون
تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل فيه كأصبح وأخواته والمراد
بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للإحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى دخولا أوليا

وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله • ولقد همت به • بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدت
وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب
ودعوته الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك
مما يضطره عم الى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عم من الزواجر
• وهم بها • بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف
لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين
وهل هو الا تسجيل باستحالة الهم منه عم تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا
لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزما في قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر
وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل • لولا ان رأى برهان ربه •
اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة وصلته
الى مرتبة عين اليقين الذي يتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه
النشأة على ما نطق به قوله عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عم قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان
النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم
بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله
الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عم
لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية
الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من
حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم
اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم ح على معناه الحقيقي
فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع
عليه انتفى الهم رأسا هذا وقد فسر همه عم بانه عم حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها
ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عم عاضا على انملته وقيل ضرب
على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عم ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل
وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل ان كل ذلك
الا خرافات واباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها • كذلك •
الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير
والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه • لنصرف عنه السوء •
على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا • والفحشاء • والزنا لانه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة
قاطعة على انه عم لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك
من خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب
• انه من عبادنا المخلصين • تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى
لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين
فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك

فالحكم

فالحكم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عم بالكلية • واستبقا الباب • متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا
ان رأى برهان ربه وقوله كذلك الى آخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عم كقوله تعالى وكذلك نري
ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وأبى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص
ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار
واسناد السبق الى ضمير الاستباق اليهما مع ان مرادها انما مجرد منع يوسف عن الوصول الى الباب لانها لما رأته
سرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة
• وقدت قميصه من دبر • اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف
علي كرم الله تعالى وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا
دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت
المحبوب او لخوف الافتضاح • والفيا سيدها • اي صادفا زوجها واذ لم يكن ملكه ليوسف عم صحيحا لم يقل
سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المرأة • لدى الباب • اي البراني كما تقرر روي كعب انه لما
هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب • قالت • استئناف مبني على سؤال
سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت • ما جزاء من اراد باهلك سوءا • من الزنا ونحوه
• الا ان يسجن او عذاب اليم • ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او
استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك وذكره لقدات في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها
العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهي تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف
عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها
عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور
الارادة المذكورة عن يوسف عم امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هي عليه من الافاعيل لاجل
تحقيق جزائها فهي تريد ايقاع جزائها بمقتضى قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا
مطردا في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم
الغضب والحمية • قال • استئناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف فقيل قال • هي راودتني عن نفسي •
اي طالبتني للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عم لتبرئة نفسه عما اسندته اليه من الخيانة وعدم مراعاة حق
ودفع ما عرضته له من السجن او العذاب الاليم وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب
مع الايماء الى الاعراض عنها • وشهد شاهد من اهلها • قيل هو ابن عم لها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها
لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر
فاغضبه الله تعالى ليوسف عم بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو من اهلها لتكون
اوكد في نفي التهمة واقوى وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر
فان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عم رواه الحاكم عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف
الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم • ان كان قميصه قد من قبل • اي ان علم انه قد من
قبل ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق اليك
• فصدقت • بتقدير قد لانها لتقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وان
لم تصرح بانه عم اراد بها سوءا الا انها كانها صرحت لكون كلامها واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك
الاعتبار فانهما كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار مستلزمه ولذلك الاعتبار يعتريان الانشاء

وهو من الكاذبين • وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عن نفسها عند ارادة المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود بالشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل • وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين • الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب ان لم يكن بين طرفيها ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال وبتقدير القول اي شهد قائلا ان كان الخ وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر اذ هو اخبار بها من قبل علام الغيوب وتصويره بصورة الشرطية للايذان بان ذلك ظاهر من العلائم ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه ثم لكنه ساق شهادته مساق لومنا من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقة فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فكلمها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ التعليق الشيء بامر متقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين • فلما رأى قميصه قد من دبر • كانه لم يكن رأى ذلك بعد ولم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال • قال انه • اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى اخره لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى • من كيدكن • اي من جنس حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يمكن تجريده عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق ولا اختصاص لها به لا لعدد وحدها سجية نفس كل غانية هند • ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن محل النزاع من ارادة السوء بمن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء والامر المعبر به عن طمعها في يوسف الخبر فان الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك جنايات اخر من قبلها كما اشرنا اليه • ان كيدكن عظيم • فانه الطف واعلق بالقلب واشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف من الشيطان لانه يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال • يوسف • حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله • اعرض عن هذا • اي عن هذا الامر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك • واستغفري انت بامره • لذنبك • الذي صدر عنك وثبت عليك • انك كنت • بسبب ذلك • من الخاطئين • من جملة القوم المتعمدين للذنب ومن جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب الذكور على الاناث قيل كان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة • وقال نسوة • اي جماعة من النساء وكن خمسا امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء الشبه وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث • في المدينة • ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة • امراة العزيز • اي الملك يريدون قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليس لقصد المبالغة في اشاعة الخبر

بحكم

بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع في لومها بقولهن • تراود فتاها • اي تطالبه بموافقته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه • عن نفسه • وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي او فتاتي وتعبيرهن عن يوسف بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما قصدن من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال • قد شغفها حبا • اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث انه مصرح بالاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه • انا لنراها • اي نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة • في ضلال • عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل • مبين • واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها فيما بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطاء عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه • فلما سمعت بمكرهن • باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكر وان كان ظاهره لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف ثم • ارسلت اليهن • تدعوهن قيل دعت اربعين امراة منهن الخمس المذكورات • واعتدت • اي احضرت وهيأت • لهن متكأ • اي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد او دعت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجل ان يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا قال جميل • فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد • واهدت متكة لبني ابيها • تخب بها العثمثمة الوقاح • او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكي اذا اتكى • وآتت كل واحدة منهن سكينا • لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها ومن متكآت وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن • وقالت • ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى قولها • اخرج عليهن • اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن • فلما رأينه • عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه انما حذف لتحقيق المفاجأة وبزيين كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك في ايذان بسرعة امتثاله بامرها فيما يشاهد مضرته من الافاعيل • اكبرنه • عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله

علي جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة
المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس عليها وقيل معنى اكبرن
حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله
واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق • وقطعن ايديهن • اى جرحنها بما في ايديهن من
السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن بما فعلن وفي التعبير
عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به • وقلن حاش لله •
تنزيها له سبحانه عن صفات النقص وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج
فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستدعي الا ما يكون موجبا للتنزيه
فوضع موضعه فمعنى حاش لله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل
على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف
الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه
وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط
وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به
لله اى لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله • ما هذا بشرا • على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتها
في نفي الحال وقرئ بشر على لغة بني تميم وبشرى اى بعبد مشترى نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي
لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن • ان هذا الا ملك كريم • بناء على ما ركز في العقول من ان لا احسن
من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه
باقصى مراتب الحسن والجمال • قالت فذلكن • الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به
الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى
ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو • الذي لمتنني فيه • اى عيرتنني في الافتتان
به حيث رياتن بمحلي بنسبتي الى العزيز ووصفتن قدره بكونه من المماليك وبالعنوان الذي وصفته به فيما سبق
بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف اى فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن
وقلتن فيه وفي ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما يقال تعني انكن لم تصورنه بحق صورته ولو
صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن
وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال يحق للمعذرة قبل ظهور معذرته
وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية وهو انسب لايلام قولها
فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما لا ينافي تمشية مرامها بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها
وقد اصابهن من قبله ما اصابها باحت لهن بجلية سرها فقالت • ولقد راودته عن نفسه • حسبما قلتن وسمعتن
فاستعصم • امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو مجتهد في
الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه ما يخل باستعصامه بقوله معاذ الله
من الهم وغيره اعترفت لهن ولا بحالكن بسمعته من مراودتها له والكدية واظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك
انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم
العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت • ولئن لم يفعل ما آمره • اى امر به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار
واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او ما امره اياه اى موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير
ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال لامرها • ليسجنن • بالنون الثقيلة

اثرت

اثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كأنه لا يدخل بينهما
فاعل • وليكونن • بالمخففة • من الصاغرين • اى الاذلاء في السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن
المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم
وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست
في امرها على خفية ولا خيفة من احد فيضيق عليه الحيل ويعيى به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان
هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ • قال • مناجيا لربه عز سلطانه
رب السجن • الذي اوعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر • احب الي • اى آثر عندي لانه مشقة
قليلة نافدة اثرها راحات جليلة ابدية • مما يدعونني اليه • من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب
الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة
التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار
السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكرها وعدها وحوفته منه
مخالفتها في السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في
مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن لقوله هذا وكان الاولى ان
يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر • والا تصرف عني كيدهن • اصب
اليهن • اى امل الى اجابتهن او الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا
فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب
الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة
كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه
الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب
اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق • واكن من الجاهلين • اى الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو
والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح • فاستجاب له ربه • دعاءه
الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء الصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي
اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف • فصرف عنه كيدهن • حسب دعائه
وبيته على العصمة والعفة • انه هو السميع • لدعاء المتضرعين اليه • العليم • باحوالهم وما يصلحهم
ثم بدا لهم • اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك
من بعد ما راوا الآيات • الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على برائته عليه السلام وفاعل بدا ما يفسره
او الرأي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله • ليسجننه • والمعنى بدا لهم بداء او رأي او سجنه
المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك
البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها تقوده حيث شاءت
قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان
تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين عريكته وتنقاد
قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه
على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب العزيز ومن
عنده من اصحاب الرأي المباشرين للسجن والحبس • حتى حين • الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الرأي
عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل

ودخل معه • اي في صحبته • السجن فتيان • من فتيان الملك ومماليكه احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة
من اهل مصر ضمنوا لهما مالاً ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه
الخباز فسمم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب
مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فحبسهما فاتفق ان ادخلا معه
وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل
تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله فاوجس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس
ان يكون الظرف خبراً مقدماً على المبتدأ ويكون الجملة حالاً من فاعل دخل فتأمل • قال احدهما • استئناف مبني على سؤال كأنه
قيل ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي • اني اراني • اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار
الصورة الماضية • اعصر خمراً • اي عنباً سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة
ابن مسعود اعصر عنباً • وقال الآخر • وهو الخباز • اني اراني احمل فوق رأسي خبزاً • تأخير المفعول عن الظرف لما مر انفاً
وقوله • تأكل الطير منه • اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال • نبئنا بتأويله • بتأويل ما ذكر من
الرؤيين وما روي باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها خطوط
من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق اي كأن ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة
اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر او بما رأي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى
تأويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام
فتأمل هذا اذا قالاه معاً او قاله احدهما من جهتهما لتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتأويله مستفسراً لما رآه وصيغة
المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك
دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به • انا نراك • تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه
من المحسنين • من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلاً حسناً
او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف
غمتنا ان كنت قادراً على ذلك روي انه عم اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج
جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك
الله عليك ما احسن وجهك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله
اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن
شئت وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابي اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب
فقطعتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق رأسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة
واذا سباع الطير تنهش منها • قال لا يأتيكما طعام ترزقانه • في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة • الا نبأتكما
بتأويله • استئناف مفرغ من اعم الاحوال اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بان بينت لكما
ماهيته وكيفيته وسائر احواله • قبل ان يأتيكما • واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك
بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع
في عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آئلاً
الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عم
يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عم بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة
قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقاً في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما
استعبراه من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتماه علي قبل

قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مراداً به الاخبار بالاستقبال في البنية وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر
في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل
في ذلك تأويل رؤياهما دخولاً اولياً وانما لم يكتف بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه
عم بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عم فيهما خيراً وتوجهاً
الى قبول الحق فاراد ان يخرج آثر ذي اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة
تزيدهما علماً بعظم شانه وثقة بامره توقفاً على علو طبقته في بدائع العلوم توسلاً بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد
تخلص اليها من كلامهما فكانه قال تأويل ما قصصتماه علي في طرف الثمام حيث رأيتما مثاله في المنام واني
ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي
يأتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو
فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال • ذلكما • اي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات
ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته • مما علمني ربي • بالوحي والالهام اي بعض منه
او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوماً جمة ما سمعاه قطعة من
جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن
الشرك فقال • اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله • وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من قوله ذلكما
مما علمني ربي مع تعليل له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره
ولا المضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضاً مما علمه ربه او لكونه
من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا اعلمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة
اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأساً كما يفصح عنه قوله
ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في
اقتدائهما به عم والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان
ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر في قوله تعالى انه عمل غير صالح • وهم بالآخرة • وما فيها من الجزاء
هم كافرون • على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر • واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب •
يعني انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ
والمعاد وانما قاله عم ترغيباً لصاحبيه في الايمان والتوحيد وتنفيراً لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال
وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية • ما كان • اي ما صح وما استقام
فضلاً عن الوقوع • لنا • معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا • ان نشرك بالله من شيء • اي شيء
كان من ملك او جني او انسي فضلاً عن الجماد والجبت • ذلك • اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك
بالله من شيء • من فضل الله علينا • ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق
وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات • وعلى الناس • كافة
بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل • ولكن اكثر الناس
لا يشكرون • اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة
وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان وللقطع بتوهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم
اختصاص عدم الشكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على
الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضاً ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعاً لاهوائهم
فيبقون كافرين غير شاكرين وذلك لان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولاً ومشاعر نستعملها

هي دلائل التوحيد التي شهدتها في الانفس والآفاق وقد اعطي سائر الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون
تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية
يا صاحبي السجن • كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها
المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال
ءارباب متفرقون • لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للآخرين مع عدم استقلاله
خير لكما • ام الله • المعبود بالحق • الواحد • المتفرد بالالوهية • القهار • الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما
بينهما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب
لهما ولمن على دينهما • ما تعبدون من دونه • اي من دون الله شيئا • الا اسماء • فارغة لا مطابق لها في الخارج
لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط • سميتموها • جعلتموها
اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان
حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود • انتم وآباؤكم • بمحض جهلكم وضلالتكم • ما انزل الله بها
اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة • من سلطان • من حجة تدل على • ان الحكم • في امر العبادة المتفرعة على
تلك التسمية • الا لله • عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره
امر • استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة
الانبياء عليهم السلام • ان لا تعبدوا • اي بان لا تعبدوا • الا اياه • حسبما تقضي به قضية العقل ايضا ذلك
اي تخصيصه تعالى بالعبادة • الدين القيم • الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا • ولكن اكثر الناس
لا يعلمون • ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء
انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة
علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال • يا صاحبي السجن اما
احدكما • وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذارا مشافهته بما يسوءه • فيسقي ربه
اي سيده • خمرا • روي انه عم قال ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة
فثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ عكرمة فيسقي ربه على البناء للمفعول اي بما يروي به • واما الآخر
وهو الخباز • فيصلب فتأكل الطير من رأسه • روي انه عم قال له ما رأيت من السلال الثلث ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل
قضي • اي تم واحكم • الامر الذي فيه تستفتيان • وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة
احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في
الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا
ولا يقال افتى في حكمها وجوابها بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما
طلبهما لتاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشانه
اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك
لما انهما بصدده الى ان يقضي عم من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك
المال وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتاويله
لا لان الامر ما اتهما به ومحنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته لماله وعاقبته فتامل وانما
اخبرهما عم بذلك تحقيقا لتعبيره وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن
صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك مراعاة جانبه • وقال • اي
عم • للذي ظن انه ناج • اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر

الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا • منهما • من صاحبيه
وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك عنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان
كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه
المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عم لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل
على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى
قضي الامر وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي • اذكرني • بما انا عليه
من الحال والصفة • عند ربك • سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها • فانساه الشيطان • اي انسى الشرابي
بوسوسته والقائه في قلبه اشتغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببية فان توصيته
المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء • ذكر ربه • اي ذكر الشرابي له عم عند الملك
والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه • فلبث • اي يوسف بسبب ذلك الانساء والقول • في السجن
بضع سنين • البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم • وقال الملك • الريان
اني ارى • اي رأيت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية • سبع بقرات سمان • جمع سمين وسمينة
ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام • ياكلهن • اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار
الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها • سبع عجاف • اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء و
القياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الآخر وانما لم
يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلثة ضخام واربعة
غلاظ واما قولك ثلثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه رأى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان •
وسبع سنبلات خضر • قد انعقد حبها • واخر يابسات • اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر
حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات • يا ايها الملأ • خطاب
للاشراف من العلماء والحكماء • افتوني في رؤياي • هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير
عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه • ان كنتم للرؤيا تعبرون • اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا
وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الآفاقية والانفسية
الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مالها
وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه
واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل
ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا آخر • قالوا • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا • هي اضغاث
احلام • اي هي اخلاطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة
من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها
والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها
وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا
واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر

والاخر ابانت فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل • وما نحن بتأويل الاحلام
اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها • بعالمين • لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل
للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تأويل الاحلام مع ان لها
تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم
يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل والمآل من
البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتأويله • وقال الذي نجا منهما • اي من صاحبي يوسف وهو الشرابي • وادكر
بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عم وشئونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك
واشكال تأويلها على الملأ • بعد امة • اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة
وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق
كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك
قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا وجه
لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة • انا انبئكم بتأويله • اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك
لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله فارسلون • اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لوح من قوله
يوسف ايها الصديق • اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله
وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال • افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات • اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة
مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا مآلها وحكمها حيث عاين علو رتبته عم في الفضل عبر عن ذلك
بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتأويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن
له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال • لعلي ارجع الى الناس • اي الى الملك
ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن خارج البلد كما قيل فانبئهم بذلك • لعلهم يعلمون • ذلك ويعملون بمقتضاه
او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب
واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولعل الناس يأبون ما تعداني ولا من علمهم بذلك فربما
لم يعلموه • قال • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عم في التأويل فقيل قال • تزرعون سبع سنين دأبا
قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين
او تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو حال اول عم البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات
السمان وتأويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال • فما حصدتم • اي في كل سنة • فذروه في سنبله
ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عم استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك
اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتأويلا للرؤيا ومصداقا
لما فيها من البقرات السمان • الا قليلا مما تأكلون • في تلك السنين وفيه ارشاد منه عم لهم الى التقليل في الاكل و
الاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم
به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال • ثم يأتي • وهو عطف على تزرعون فلا وجه
لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا • من بعد ذلك
اي من بعد السنين السبع المذكور وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان الضمير ساكت
عن اوصاف المرجع بالكلية • سبع شداد • اي سبع سنين صعاب على الناس • يأكلن ما قدمتم لهن

من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عم بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه
حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تأويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك
فكأن ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس
فيهن • الا قليلا مما تحصنون • تحرزون لبذور الزراعة • ثم يأتي من بعد ذلك • اي من بعد السنين الموصوفة
بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة • عام • لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط و
تنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق • فيه يغاث الناس • من الغيث اي يمطرون يقال غيثت
البلاد اذا امطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا
وفيه يعصرون • اي ما من شأنه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض
لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث
له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مباد آخر غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار
حالته به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون
الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث
والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين
على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك
العام كما يفيده التأخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى
عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول
من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه
يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى
مطرت وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام المبارك
ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عم من جهة الوحي فبشرهم بها بعد ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير
اللائق في شأنه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على
نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم
يشاركهم في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام • وقال الملك • بعد ما جاءه السفير بالتعبير و
سمع منه ما سمع من نقير وقطمير • ائتوني به • لما علم من علمه وفضله • فلما جاءه • اي يوسف • الرسول •
واستدعاه الى الملك • قال ارجع الى ربك • اي سيدك • فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن •
اي فتش عن شأنهن وانما لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش لتتبين براءته وتتضح نزاهته
اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه
ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب حقوق
واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن
باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن
اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله • ان ربي بكيدهن عليم • مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن عند
الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد • قال • استئناف مبني على السؤال كانه
قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن • ما خطبكن • اي شأنكن وهو
الامر الذي يحق لعظمه ان يخاطب المرء فيه صاحبه • اذ راودتن يوسف • وخادعتنه • عن نفسه
ورغبتنه في اطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة • قلن حاش لله • تنزيها له وتعجبا عن عفته

ما علمنا عليه من سوء • بالغ في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من • قالت امرأة العزيز • وكانت حاضرة في المجلس
وقيل أقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن
لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فأقرت قائلة • الآن حصحص الحق • أي ثبت واستقر أو تبين وظهر بعد
خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الأراضي
وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه
أي ألقاها في الأرض للإناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما والمعنى أقر الحق في مقره ووضعه
موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عم فيما أحاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته
في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل أرادت ظهور
ما هو متحقق في نفس الأمر وثبوته من نزاهته عم في محل النزاع وخيانتها فقالت • أنا راودته عن نفسه • لا أنه راودني عن
نفسي • وإنه لمن الصادقين • أي في قوله حين افتريت عليه هي راودتني عن نفسي وأرادت بالآن زمان تكلمها بهذا
الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل أيها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها
والفضل ما شهدت به الخصماء وإنما تصدى عم لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز
قبل أن يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عم لما رجع إليه الرسول وأخبره بكلامهن • ذلك • أي ذلك التثبت المؤدي إلى ظهور
حقيقة الحال • ليعلم • أي العزيز • أني لم أخنه • في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فإن ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على
الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما أبرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لأن المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان
ما جعله سببا له وإن كان ذلك بأمر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه وإنما لم يكن ذلك لئلا يتمكن من تقبيح أمره عند الملك
تمحلا لإمضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه عم في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله • بالغيب • أي بظهر الغيب وهو حال
من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وهو غائب عني أو وهو غائب عنه أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة
وأيا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة واجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها • وأن الله • أي وليعلم أنه تعالى
لا يهدي كيد الخائنين • أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه أو لا يهديهم في كيدهم إيقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله
يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهئونهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها أمانته وبه في خيانته أمانة الله تعالى حين
ساعدها على حبسه بعد ما رأوا آيات نزاهته عم ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته وأنه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل
أمره وأحسن عاقبته • وما أبرئ نفسي • أي لا أنزهها عن السوء قاله عم هضما للنفس الكريمة لبرئته عن كل سوء وربأ بمكانها عن
التزكية والإعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على أسلوب قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أو تحديثا بنعمة الله عز وجل
عليه وإبرازا لسره المكنون في شأن أفعال العباد أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي ولا أسند هذه الفضيلة إليها بمقتضى
طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا • إن النفس لأمارة بالسوء • مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في تحصيلها بل إنما ذلك
بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته كما يفيده قوله • إلا ما رحم ربي • من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي
أو هي أمارة بالسوء في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء
كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون إلا رحمة • إن ربي غفور رحيم • عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة
لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإيثار الإظهار في مقام الإضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة
وقيل إلى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عم أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت
بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت إن كل نفس لأمارة بالسوء
إلا ما رحم ربي أي إلا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا
يكون تأنيه عليه السلام في الخروج من السجن لعدم رضاه عم بملاقاة الملك وأمره بين بين فعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وأنه
إنما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الإعظام والإجلال وقد وقع • وقال الملك

ائتوني به أستخلصه • أجعله خالصا لنفسي • وخاصا بي • فلما كلمه • أي فأتوه به فحذف للإيذان بسرعة الإتيان
به فكأنه لم يكن بين الأمر بإحضاره والخطاب معه زمان أصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك أي
فلما كلمه يوسف إثر ما أتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد • قال إنك اليوم لدينا مكين • ذو مكانة ومنزلة رفيعة
أمين • مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والأمانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا
عن احتمال كونهما بعد حين روي أنه عم لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال
ما هذا اللسان قال لسان أبي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن
أسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره
وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم وميشا ولعل
ذلك إنما كان بعد تعيينه عم لما عين له من أمر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل • قال اجعلني على خزائن الأرض
أي أرض مصر أي ولني أمرها من الإيراد والصرف • إني حفيظ • لها ممن لا يستحقها • عليم • بوجوه التصرف فيها
وفيه دليل على جواز طلب الولاية إذا كان الطالب ممن يقدر على إقامة العدل وإجراء أحكام الشريعة وإن كان
من يد الجائر أو الكافر وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده عم ولعل إيثاره عم لتلك الولاية خاصة إنما كان
للقيام بما هو أهم أمور السلطنة إذ ذاك من تدبير أمر السنين جميعا لما فصل في التأويل لكونه من فروع تلك الولاية
لا لمجرد عموم الفائدة وجسوم العائدة كما قيل وإنما لم يذكر إجابة الملك إلى ما سأله عم من جعله على خزائن الأرض إيذانا
بأن ذلك أمر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته أحكام السلطنة بحذافيرها من قوله إنك
اليوم لدينا مكين أمين وللتنبيه على أن كل ذلك من الله عز وجل وإنما الملك آلة في ذلك قيل • وكذلك • أي
مثل ذلك التمكين البديع • مكنا ليوسف • أي جعلنا له مكانا • في الأرض • أي أرض مصر روي أنها كانت أربعين
فرسخا في أربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الأرض مسندا إلى ضميره عز سلطانه من تشريفه عم والمبالغة في
كمال ولايته والإشارة إلى حصول ذلك من أول الأمر لا أنه حصل بعد السؤال ما لا يخفى • يتبوأ منها • ينزل من بلادها
حيث يشاء • ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكه وسلطانه فكأنها منزله
يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع
له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عم أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج
فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك
وفوض إليه الملك أمره وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى
بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم
جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم منه ثم أعتقهم ورد إليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر
من حمل بعير تقسيطا بين الناس • نصيب برحمتنا • بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم • من نشاء
بمقتضى الحكمة الداعية إلى المشيئة • ولا نضيع أجر المحسنين • بل نوفيه بكماله وفيه إشعار بأن مدار المشيئة المذكورة
إحسان من يصيبه الرحمة المرقومة وأنها أجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات الإحسان فيما ذكر من الأجر العاجل قيل على
سبيل التوكيد • ولأجر الآخرة • أي أجرهم في الآخرة فالإضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له • خير
لهم أي للمحسنين المذكورين وإنما وضع موضعه الموصول فقيل • للذين آمنوا وكانوا يتقون • تنبيها على أن المراد
بالإحسان إنما هو الإيمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل • وجاء إخوة يوسف •
ممتارين لما أصاب أرض كنعان وبلاد الشام ما أصاب مصر وقد كان أرسلهم يعقوب عم جميعا غير بنيامين • فدخلوا عليه
أي على يوسف وهو في مجلس ولايته • فعرفهم • لقوة فهمه وعدم مباينة أحوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته إياهم

وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته مقصودة بهم وبمعرفة احوالهم لاسيما في زمن القحط و
ما عرفهم حتى تعرفوا له ● وهم له منكرون ● اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حالته في نفسه ومنزلته
وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف
عرفانه اياهم ● ولما جهزهم بجهازهم ● اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤا له
من الميرة وقرئ بكسر الجيم ● قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ● لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله انما
قاله لما قيل من انهم سالوه حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان ياتوا به ليعلم صدقهم او لما قيل من انه
لما رآهم وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار
فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه
يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا
قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة
شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان لهم
في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به وجعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم
بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون
لو وقع لكان ذلك طامة تنسى عندها كل قيل وقال ● الا ترون اني اوفي الكيل ● اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع
كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة ● وانا خير المنزلين ● جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل
لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب
في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله بطريق
الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته معهم في ذلك كمعاملته مع
غيرهم في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء ● فان لم تاتوني به فلا كيل
لكم عندي ● من بعد فضلا عن ايفائه ● ولا تقربون ● بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو
اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له
قالوا سنراود عنه اباه ● اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب
وصعوبة مناله ● وانا لفاعلون ● ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعانى به ● وقال
يوسف ● لفتيانه ● لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له ● اجعلوا بضاعتهم في رحالهم ● فانه وكل
بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله تفضلا عليهم وخوفا من ان
لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله ● لعلهم يعرفونها ●
اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك ولكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله ● اذا انقلبوا الى اهلهم ● فان معرفتها
مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن
لما كان ابتداؤها حين تحدث به ● لعلهم يرجعون ● حسبما امرتهم به فان التفضيل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز
البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله لما لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه
ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علته الحمل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم
لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا فظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة
التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات
السابقة كما ستحيط به خبرا ● فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ● قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع ● يا ابانا منع منا الكيل ● اي فيما بعد

وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه ● فارسل معنا اخانا ● بنيامين
الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم ● نكتل ● بسببه من الطعام ما نشاء وقرئ حمزة والكسائي
بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا ● وانا له لحافظون ● من ان يصيبه
مكروه ● قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه ● يوسف ● من قبل ● وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم
به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله ● فالله خير حافظا ● وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز
والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة ● وهو ارحم الراحمين ● فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع
علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما راى فيه من المصلحة ● ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم ● اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء
كما قيل قيل وكيل ● قالوا ● استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا
عند الفتح ● يا ابانا ما نبغي ● اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك
من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك قالوا انا
قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى ● هذه بضاعتنا ردت
الينا ● جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا
تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك
مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب
المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول
للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله
عز وجل ● ونمير اهلنا ● اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي
فنستظهر بها ونمير اهلنا ● ونحفظ اخانا ● من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من مكروه ● ونزداد ● بواسطته
ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد ● كيل بعير ● اي وسق بعير زائد على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط
ذلك ● اي ما يحمله اباعرنا ● كيل يسير ● اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه
قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه
او اي مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب
او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا البضاعة حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره
ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب
اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان
داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك واي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه
والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار واما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما راينا من احسان الملك
في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل له واما اذا
فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه
الموجب لما ذكر والجملة المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي اي لا نبغي فيما ذكرنا
من احسانه ونحصل امثاله من مير اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك مما يهون علينا بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما
مبتدأ اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى ينبغي ان نمير اهلنا ونشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان
اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان
ينطق بالحق والحق ابلج وان قوله ونمير اهلنا وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك وما نبغي

وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجملة تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اي
حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت فقال · قال لن ارسله معكم · بعد ما عاينت منكم ما عاينت
حتى تؤتون موثقا من الله · اي ما اتوثق به من جهته عزوجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان تاكيد العهود به مأذون فيه من
جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا · لتأتنني به · جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني · الا ان يحاط بكم · اي الا ان
تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم
الاحوال والعلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لا تأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعلة من
العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك
وقد جوز الاول بلا تأويل ايضا اي لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به
من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته
على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت صل الا ان تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك
لا تحج العام الا ان تحصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال
على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى الى التأويل المذكور
فلما آتوه موثقهم · عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام · قال الله على ما نقول · اي على ما قلنا في اثناء طلب الموثق
وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته · وكيل
مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم · وقال · ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا
يا بني لا تدخلوا · مصر · من باب واحد · نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة
وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى
فكانوا مئنة لدنو كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق
وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله اعوذ بكلمات الله
التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بهما اسمعيل واسحق عليهم السلام رواه البخاري
في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب متفرقة وكان في
دخولهم من بابين او ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال · وادخلوا من ابواب
متفرقة · بيانا لما هو المراد بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالامر
المذكور لا تحقيق شيء آخر · وما اغني عنكم · اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري · من الله من شيء · اي شيئا مما قضى عليكم فان
الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم
بل اراد بيان ان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير
وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه · ان الحكم · مطلقا · الا لله · لا يشاركه احد
ولا يمانعه شيء · عليه · لا على احد سواه · توكلت · في كل ما آتي واذر وفيه دلالة على ان ترتب الاسباب غير مخل بالتوكل
وعليه · دون غيره · فليتوكل المتوكلون · جمع بين الحرفين في عطف الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف
فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عزوجل على فعل نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه
دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده على الله عزوجل غير مغترين بما وصاهم به من
التدبير · ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم · من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفي
بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه · ما كان · ذلك الدخول · يغني · عنهم · اي عند وقوع ما وقع عنهم عن الداخلين
لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان
عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول

المذكور

المذكور مغنيا فيما سيأتي فقال · من الله · من جهته · من شيء · اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي
حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه والمتقين بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم
الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيته
للاغناء مع كونها متوقعة في الرأي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان
عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمآل بيان عدم ترتب
الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما
ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع
الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل · الا حاجة · استثناء منقطع اي ولكن حاجة وحزازة
كائنة · في نفس يعقوب قضاها · اي اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان للتدبير تأثيرا في تغيير التدبير
وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من
ابواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه
حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما
لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم · وانه لذو علم جليل · لما علمناه
لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل
في رأيه عند تخلف الاثر وحيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بان
واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عليه السلام وعلو رتبة علمه
وفخامته ما لا يخفى · ولكن اكثر الناس لا يعلمون · اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى
لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي · ولما دخلوا على يوسف
آوى اليه اخاه · بنيامين اي ضمه اليه في الطعام او في المنزل وفيه روي انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد
جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال
[illegible] · قال اني انا اخوك · [illegible]
فلا تبتئس · [illegible] · بما كانوا يعملون · [illegible]
[illegible]
فلما جهزهم بجهازهم · [illegible]
[illegible] · ثم اذن مؤذن · نادى مناد · ايتها العير · [illegible]
[illegible] · انكم لسارقون · [illegible]

اخذهم له من ابيه ودخول اخيه فيه بطريق التغليب والاقرب من قبل المؤذن [illegible] والاول هو الظاهر [illegible]

اليهان سارقون [illegible] • قالوا • اي الاخوة • واقبلوا عليهم • جملة حالية من ضمير قالوا جئ بها للدلالة على [illegible]

لمباينته لحالهم • ماذا تفقدون • اي اي شيء تفقدون [illegible] او [illegible]

المستقبل [illegible] استحضار الصورة وقرئ تفقدون [illegible]

ماذا سرق منكم [illegible]

انه [illegible] ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب [illegible]

عنو الكلام معهم حيث • قالوا • في جوابهم • نفقد صواع الملك • ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صواع وصوع [illegible]

بفتح الصاد وضمها [illegible]

[illegible] • ولمن جاء به حمل بعير • من الطعام جعلا له [illegible]

[illegible] • وانا به زعيم • كفيل [illegible]

قالوا تالله • [illegible]

[illegible] • لقد علمتم • [illegible]

ما جئنا لنفسد في الارض • اي لنسرق فانه من اعظم انواع الافساد [illegible]

[illegible]

ولتقلبها همزة كما في اشاح في وشاح • كذلك • نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا
ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم
وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا المعنى قوله عز وجل • كدنا ليوسف • صنعنا له ودبرنا لاجل
تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة
على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى • ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك • استئناف وتعليل لذلك الكيد
وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق
اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف
ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عم فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها
اليه في حال من الاحوال • الا ان يشاء الله • اي الا حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته
للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر
عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره
مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عم عن اخذ اخيه في دين الملك في شان
السارق قطعا او لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد
البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد
ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في
تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه
دون بعض من ذلك فقط او على كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب
اي لم يكن ياخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل
لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد
قيل معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فانت تدري ان المراد بدينه ما عليه حينئذ فتغيره يخل
بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال الذي المقصود
بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه ولم يتعلق مشيئته بالجعل المذكور اذ ذاك ارادة عجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد
فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال العجز عم مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اي
لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك • نرفع درجات • اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على
المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى • من نشاء • اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة
مستانفة لا محل لها من الاعراب • وفوق كل ذي علم • من اولئك المرفوعين • عليم • لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل
الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عم ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية من ارشاده عم الى دس الصواع
في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه وما تم من قبل والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم
متمكنا من اخذ اخيه بدونه وارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه
لم يكن يتمكن من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام
مرامه او ليس في ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر
قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية
وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكان يوسف عم لم يكن على يقين من
صدور الافتاء المذكور من اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما والتعرض لوصف العلم

لتقابلن جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقداره
المحيط بالاشياء ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن
داخلا تحت قدرته عم لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه لم
نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء
توضيح لقوله كذلك وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل
ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي
منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجة
ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجة
اللائقة به والله تعالى اعلم • قالوا ان يسرق • يعنون بنيامين • فقد سرق اخ له من قبل • يريدون به يوسف عم وما جرى
عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها
منطقة ورثتها من ابيها اسحق عم فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت
منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عندها
حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب
كانوا يعبدونه فدفنه • فاسرها يوسف • اي اكن الحزازة الحاصلة مما قالوا • في نفسه • لا انه اسرها لبعض اصحابه
كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا • ولم يبدها لهم • لا قولا ولا فعلا صفحا لهم وحلما وهو تاكيد لما سبق • قال
اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشا من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك
الاسرار فقيل قال • انتم شر مكانا • اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها
والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا • والله اعلم بما تصفون • اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون
من صدور السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك
من علم • قالوا • عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين • يا ايها العزيز ان له ابا • لم يريدوا بذلك الاخبار
بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق والآثار او الاخبار بانه • شيخا كبيرا • في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة
يتسلى به عن شقيقه الهالك • فخذ احدنا مكانه • فلسنا عنده بمنزلته من المحبة والشفقة • انا نراك من المحسنين • الينا
فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك • قال معاذ الله • اي نعوذ بالله معاذا من
ان ناخذ • فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار • الا من وجدنا متاعنا عنده
لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على الخصوص
من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء مما لا يستبد به بل هو منوط باراء اولي الحل والعقد
وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم قد عرفوا
وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة • انا اذا • اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه • لظالمون
في مذهبكم وما لنا ذلك هذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في اثناء الحوار وله معنى باطني هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي
ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي • فلما استيأسوا منه
اي يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه
من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز
وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون • خلصوا • اعتزلوا وانفردوا عن الناس • نجيا • اي ذوي نجوى على ان
يكون بمعنى النجوى والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه
نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير • قال كبيرهم • في السن وهو روبيل

اوفى

350

او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون • الم تعلموا • كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال
منكرا عليهم الم تعلموا • ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله • عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه
وكون الحلف باسمه الكريم • ومن قبل • اي من قبل هذا • ما فرطتم في يوسف • قصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد
قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا
اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق في شان يوسف عم ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب
عطفا على اسم ان والخبر في يوسف ومن قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شان يوسف عم او ان تفريطكم الكائن
او كائنا في شان يوسف وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في
شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع
عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء وخبره من قبل وفيه
ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه
في حقه من الجناية واما النصب على اسم ان والرفع على الابتداء فقد عرفت حاله • فلن ابرح الارض • متفرع على ما ذكره
اياهم من ميثاق ابيه وقوله لن تعني به الآن بحالكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق • حتى ياذن لي
في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عم • او يحكم الله لي • بالخروج
منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب • روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك
لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه فكان
بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه
فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب • وهو خير الحاكمين • اذ لا يحكم الا بالحق والعدل
ارجعوا انتم • الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق • على ما شاهدناه من ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه
الا بما علمنا • وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه • وما كنا للغيب • اي باطن الحال • حافظين • فما ندري ان
حقيقة الامر كما شاهدنا او بخلافه وما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت
بيوسف • واسأل القرية التي كنا فيها • اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسالهم عن
القصة • والعير التي اقبلنا فيها • اي اصحابها فانها كانت معروفة وكانوا قوما من كنعان من جيران
يعقوب عم وقيل من صنعاء • وانا لصادقون • تاكيد في محل القسم • قال • يعقوب وهو استيناف مبني على سؤال
نشا من سوق ما قبله كانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا
انما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبول راي كبيرهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم
بل سولت • اي زينت وسهلت • لكم انفسكم امرا • من الامور فاتبعتموه يرد بعد ذلك
عن التسويل اذ هم مصدقون بالتسويل • فصبر جميل • اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل
جميل • عسى الله ان ياتيني بهم جميعا • بيوسف واخيه والمتوقف بمصر • انه هو العليم • بحالي وحالهم • الحكيم
الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة • وتولى عنهم • اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم • وقال يا اسفى على يوسف • الاسف
اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف
مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء وان تقادم عهده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه
ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى
رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال يا اسفى وفي التجانس بين لفظي الاسف ويوسف ما لا يخفى

تعالى

عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا
بنبا يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين
وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق
يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سأل جبريل عم ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد
وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن امثال ذلك مما لا يدخل تحت
التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن و
العين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح
والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب عن النبي صلعم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود
بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت
عند النوح وصوت عند الترح فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول
بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ
اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه
فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على
النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين
قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق
التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو الى احد منكم ومن غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما اشكو بثي وحزني الى الله تعالى
ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته
فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك
الموت عم في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه يسجد له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا
فتحسسوا اي فتعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب من يوسف واخيه اي من خبرهما
ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ
بضم الراء اي من رحمته التي يحيى بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم
عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله وصفاته فان
العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر
ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك كان امرا محققا لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر الممتنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب
صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا
ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فاوف لنا
الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى مرامهم
او بالايفار او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق
فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤا بما امروا به استجلابا للرأفة
والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا

ان الله

ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحملين فلعلهم حملوه على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به
ضمنوه وكلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا لاخيه فقط وانما
تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى
كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك اذ انتم جاهلون عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة
وشفقة عليهم لما رأى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عم منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم
على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يتحقق عم بطريق الوحي او الالهام
على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عم
وقد كتب فيه من يعقوب عم اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل
بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم
فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا
وقالوا انه سرق وانك حبسته انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا
تظفر كما ظفروا قالوا أإنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ
انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة
بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أإنك او انت يوسف على معنى أإنك يوسف او انت
يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله
وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
حتى انه قد بلغه قوله قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي
قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون
فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي
بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله وعذابه ويصبر على المحن
او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع
المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر موصوف بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان انا كنا لخاطئين لمتعمدين
للذنب ذنبا بما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب
اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة
الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله
عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة
له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفا عن جرمهم بما فعلوا من التوبة وهو
ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عم ان اخوته ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون
الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون
حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص
المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل عم بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه

على وجه ابي يات بصيرا • يصر بصيرا او يات الي بصيرا وينصره قوله • واتوني باهلكم اجمعين • اي بابي وغيره ممن ينتظمه
لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري وقيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته
وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الي كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا • ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من
البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرئ ابن عباس رض انفصل العير • قال ابوهم • يعقوب عم لمن عنده
اني لاجد ريح يوسف • اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل يهوذا • لولا ان
تفندون • اي تنسبوني الي الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم
تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني • قالوا • اي الحاضرون عنده • تالله انك
لفي ضلالك القديم • لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم
انه قد مات • فلما ان جاء البشير • وهو يهوذا • القاه • اي القي البشير القميص • على وجهه • اي وجه يعقوب او القاه
يعقوب على وجه نفسه • فارتد • عاد • بصيرا • لما انتعش فيه من القوة • قال الم اقل لكم • يعني قوله اني لاجد ريح يوسف
فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله • اني اعلم من الله ما لا تعلمون
فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون معمول القول اي الم اقل لكم
حين ارسلكم الي مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سأل
البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة • قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين • ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عم
ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار • قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
وهذا اشعر بعفوه وقيل اخر الاستغفار الي وقت السحر وقيل الي ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الي ان يستحل لهم من يوسف
عم او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف
خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عم فقال ان الله قد
اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح هذا ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء
وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الي الصلوة في وقت
السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما اتوا الي اخيهم فاوحى الله اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين • فلما دخلوا على يوسف • روي انه وجه يوسف الي ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه
فاستقبل يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم وهو يمشي متكئا على يهوذا فنظر الي
الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له
يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف • اوى اليه ابويه • اي اباه وخالته
وتنزيلها منزلة الام لتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل وآله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه
وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الي التأويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عم ضرب في الملتقى
مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه • وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين • من الشدائد والمكاره قاطبة والمشية متعلقة
بالدخول على الامن • ورفع ابويه • عند نزولهم بمصر • على العرش • على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته • وخروا له
اي ابواه واخوته • سجدا • تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد
ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور وقيل
خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى • وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي • التي رأيتها وقصصتها عليك • من قبل

في زمن

اي في زمن الصبا • قد جعلها ربي حقا • صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله
اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه
على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله • وقد احسن بي
المشهور استعمال الاحسان بالي وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف و
الاحسان يخفى كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي غير هذا الاحسان
اذ اخرجني من السجن • بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذارا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام
عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى • وجاء بكم من البدو • اي البادية • من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي • اي افسد بيننا بالاغراء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد
بالغ عم في الاحسان حيث اسند ذلك الي الشيطان • ان ربي لطيف لما يشاء • اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه
الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الي تدبيره سهل • انه هو العليم • بوجوه المصالح • الحكيم • الذي يفعل
كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب
وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى امرني بذلك
لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه
بالشام الي جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الي مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم
تاقت نفسه الي الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال • رب قد آتيتني من الملك • اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر
وعلمتني من تأويل الاحاديث • اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية
ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه
في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك
ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هناك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان
حمل على معنى التملك لزم تأخيره عنه واما الرفع فانما هو بحسب التأخر في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب
في الوجود • فاطر السموات والارض • مبدعهما وخالقهما انتصب على انه صفة للمنادى او منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه
بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله • انت وليي • مالك اموري • في الدنيا والآخرة • او الذي
يتولاني بالنعم فيهما • توفني • اقبضني • مسلما • والحقني • بالصالحين • من آبائي او بعامة
الصالحين في الرتبة والكرامة فاختم النبوة بذلك وقيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه
كل اي ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يعملوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الي مصر ليكونوا
شرعا في البركة به وولد له افراثيم وميشا وولد لافراثيم نون ولنون يوشع فتى موسى عم ولقد توارثت الفراعنة من
العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الي ان بعث الله موسى عم • ذلك
اشارة الي ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته وكونه بالانقضاء في حكم
البعيد والخطاب للرسول صلعم وهو مبتدأ خبره • من انباء الغيب • الذي لا يحوم حوله احد وقوله • نوحيه اليك
خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون نوحيه اليك خبره
وما كنت لديهم • اي لدي اخوة يوسف • اذ اجمعوا امرهم • وهو جعلهم اياه في غيابة الجب • وهم يمكرون
به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظاهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم ويحيط علمك بما لديهم خبرا وليس المراد
مجرد نفي حضوره عم في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل نفي سائر اسباب العلم ايضا وانما خصصه بالذكر لكونه مطلع القصة و
افخم احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلعم لكن المراد الزام المنكرين فان ذلك من قبيل

من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك الكتب
امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم يشكون
في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من الاخبار هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان
مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر • وما اكثر الناس • يريد به العموم او اهل مكة
ولو حرصت • اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات القاطعة الدالة على صدقك • بمؤمنين • لتصميمهم على الكفر و
اصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التوراة
فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك • وما تسألهم عليه • اي على الانباء او على القران • من اجر
من جعل كما يفعل حملة الاخبار • ان هو الا ذكر • عظة من الله تعالى • للعالمين • كافة لا ان ذلك مختص بهم • وكاين من اية
اي كاي عدد وشيء من الايات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الاية التي جئت
بها • في السموات والارض • اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وساير
ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر • يمرون عليها • اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون
خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار
الامم الهالكة وغير ذلك من الايات والعبر • وهم عنها معرضون • غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها • وما يؤمن اكثرهم
بالله • في اقرارهم بوجوده وخالقيته • الا وهم مشركون • بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او
بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال
شركهم قيل نزلت الاية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب • افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله
اي عقوبة تغشاهم وتشملهم • او تأتيهم الساعة بغتة • فجاة من غير سابقة علامة • وهم لا يشعرون • باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي • وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله • ادعوا الى الله على بصيرة • ببيان وحجة واضحة
غير عمياء وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة • انا • تأكيد للمستكن في ادعوا على بصيرة لانه حال منه او مبتدا
خبره على بصيرة • ومن اتبعني • عطف عليه • وسبحان الله وما انا من المشركين • مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا • رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة • نوحي اليهم • كما اوحينا اليك وقرئ بالياء
من اهل القرى • لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة • افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم • من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك • ولدار الاخرة • اي الساعة او الحيوة الاخرة
خير للذين اتقوا • الشرك والمعاصي • افلا تعقلون • فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الاخرة وقرئ بالياء على انه
غير داخل تحت قل • حتى اذا استيأس الرسل • غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء
فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير
وظنوا انهم قد كذبوا • كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم النصر من الله تعالى فقد تطاولت وتمادت
حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا • جاءهم نصرنا • فجاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم
قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس
وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة فما
ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شئون الله سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل
الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل
على ان الضميرين للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول
لقومهم • فنجي من نشاء • هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجى

ولا يرد

ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين • اذا نزل بهم وفيه بيان لمن يتعلق بهم المشيئة • لقد كان في قصصهم
اي قصص الانبياء وامهم وبنصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته • عبرة لاولي
الالباب • لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس • ما كان • اي القران المدلول عليه بما سبق
دلالة واضحة • حديثا يفترى ولكن • كان • تصديق الذي بين يديه • من الكتب السماوية
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه •
وتفصيل كل شيء • مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى
القران بالذات او بوسط • وهدى • من الضلالة • ورحمة •
ينال بها خير الدارين • لقوم يؤمنون • اي يصدقونه لانهم
المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدي بهداه ولا
ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلعم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم
تلاها وعلمها اهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات
الموت واعطاه
القوة ان لا
يحسد مسلما
تم

Not 353 den 359 atlanmıştır.

المر • اسم للسورة ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء
اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى • تلك • على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من
الاول المشار اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا
على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم واري على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى • آيات الكتاب •
اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن
الجميع المنزل حينئذ كما في مطلع سورة يونس عم اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت نظرا لما اريد من وصف الآيات بوصف ما
اضيفت اليه من نعوت الكمال تخلا مما او اجعل عبارة عن السورة فانها ايضا تكتب لشانه من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح
بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في
سورة يونس • والذي انزل اليك من ربك • اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها • الحق • الثابت
المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقيقة لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة
لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول
والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عم من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه
بناء الخبر ما لا يخفى • ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته
لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل لانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار • الله الذي رفع السموات
اي خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي
مد الارض • بغير عمد • اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اي دعمته وقرئ عمد على انه
جمع عمود او عماد كرسل ورسول او اهب واهاب وصيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد • ترونها • استئناف
استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه • ثم استوى
اي استولى • على العرش • بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف والمعنى انه
فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة • وسخر الشمس والقمر • ذللهما وجعلهما طائعين
لما اريد منهما من الحركات وغيرها • كل • من الشمس والقمر • يجري • حسبما اريد منهما • لاجل مسمى • لمدة معينة فيها تتم دورته
كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما
من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما • يدبر • بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي ويقدر
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة • الامر • امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته • يفصل الآيات • الدالة على كمال قدرته وبالغ
حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الجارية مجرى الاسباب المستتبعة للآثار الغريبة
في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفردتان
او الاولى حال منه والثانية من الضمير فيها او كلتاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران
من قوله الله خبر بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق ان الذي سمك السماء
بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول • لعلكم • عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها • بلقاء ربكم • بلقائه للجزاء • توقنون

فان من تدبر ما حق التدبير ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتقنة
عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم
فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال • وهو الذي مد الارض •
اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها • وجعل
فيها رواسي • اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف
بها عن ذلك واختصاص مجيء فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يراعى
اصلا كما في قوله تعالى ايام معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صيغة جمع القلة اعني اجبالا
ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا انتظامها لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال له لذلك
فان حجية كل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتهما لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة
فكل منهما جمع جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يتجاوز الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد
الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان
لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها • وانهارا • مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في
معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشأ الانهار وبيان لفائدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب
المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلاء • ومن كل الثمرات •
متعلق بجاعل قوله • جعل فيها زوجين اثنين • اي اثنين حقيقة وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الاخر واكد
بالزوجين لئلا يتوهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية اي جعل من
كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض
او القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا
لبيان كيفية ذلك الجعل • يغشي الليل النهار • استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء
الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء
النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم جعله في تضاعيف الآيات السفلية وان كان تعلقه
بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوقها موضع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار
لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على ان لهما ايضا زوجان متقابلان مثلهما وقيل يغشي من التغشية • ان في ذلك •
اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه
على عظم شان المشار اليه في بابه • لآيات • باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فمع على معناها فان تلك الآثار
مستقرة في تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فتجريدية
لقوم يتفكرون • فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق
لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد • وفي الارض قطع • جملة مستانفة مشتملة
على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك
متجاورات • اي متلاصقة وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات اي جعل في الارض قطعا • وجنات من اعناب •
اي بساتين كثيرة منها • وزرع • من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه
عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتأخير قوله تعالى • ونخيل • لئلا يقع بينها
وبين صفتها وهي قوله تعالى • صنوان وغير صنوان • فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان
واصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات
ولعل عدم نظم قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات

بحيث جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين بث الارض ودحاها للاعياد الى كون تلك الاحوال صفات راجحة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل
بالجر عطفا على اعناب وجنات ● يسقى ● اى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ والاول
بمقام بيان اتحاد الكل فى حالة السقى ● بماء واحد ● لا اختلاف فى طبعه سواء كان السقى بماء الامطار او بماء الانهار ● ونفضل
مع تأخذ اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض آخر منها ● فى الاكل ● فيما يحصل منها من الثمرات والطعم وقرئ
بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد
الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل ● ان فى ذلك ● الذى فصل من احوال القطع والجنات ● لآيات
عظيمة ظاهرة ● لقوم يعقلون ● يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على
ابداع هذه البدايع وخلق تلك الثمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح فى تلك القطع المتباينة المتجاورة و
جعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال وان كانت هى الآيات انفسها الا انها
الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة فى كونها آية ففى تجريدية مثلها فى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية
والآيات افرادها الحادثة شيئا فشيئا فى الازمنة واحادها الواقعة فى الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فتى على معنا ما دخل
كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض فى الاكل
الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك فى الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كأنه لا حاجة فى ذلك الى التفكر ايضا وفيه
تعريض بان المشركين غير عاقلين ● وان تعجب ● يا محمد من شئ ● فعجب ● لا عجب منه حقيق بان يتعجب منه التعجب ● قولهم
بعد مشاهدة ما عدد ذلك من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شئ قدير ● ائذا كنا ترابا ● على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال
الاستبعاد والاستنكار وهو فى محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او فى محل النصب على المفعولية منه على ان يقصد
فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثانى تكلمهم بذلك والعامل فى اذا ما دل عليه قوله ● ائنا لفى خلق جديد ● وهو نبعث ونعاد
وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم ائنا لتأكيد الانكار وليس مدار انكارهم
كونهم ثابتين فى الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم
فى النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم فى انكار البعث فعجب قولهم والمآل ان تعجب فقد تعجبت فى موضع التعجب وقيل
وان تعجب من قولهم فى انكار البعث فعجب قولهم الدال عليه قائل وقد جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اى ان تعجب يا من
ينظر فى هذه الآيات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من
هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون
قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذى لا عجب وراءه
قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا العجب لا عجب فوقه ● اولئك ● مبتدأ والموصول خبره اى اولئك
المنكرون لقدرته تعالى على البعث بعد ما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون ● الذين كفروا
بربهم ● وتمادوا فى ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واى كفر ● واولئك ● مبتدأ خبره قوله تعالى ● الاغلال فى اعناقهم
اى مقيدون بقيود الضلالة لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيمة ● واولئك ● الموصوفون بما ذكر من الصفات
اصحاب النار هم فيها خالدون ● لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بل بالجميع المدلول
عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ● ويستعجلونك بالسيئة ● بالعقوبة التى انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلى
ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره ● قبل الحسنة ● اى العافية والاحسان اليهم بالامهال ● وقد خلت من قبلهم المثلات
اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون من حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة رأيهم فى الاستعجال
بطريق الاستهزاء اى يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على
امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن الثمرة اى العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص
وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال الثمرة والمثلات بضم الميم وسكون

الثاء

الثاء وتخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات ● وان ربك لذو مغفرة ● عظيمة ● للناس على ظلمهم
انفسهم بالذنوب والمعاصى ومحلها النصب على الحالية اى ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا
يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتأخيرها ● وان ربك لشديد العقاب ● يعاقب من شاء منهم حين شاء
فتأخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد
ويقول الذين كفروا ● وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بآيات الله تعالى
التى تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا ● لولا انزل عليه آية من ربه ● مثل
آيات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا او مكابرة والا ففى ادنى آية انزلت عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولى الالباب ● انما انت
منذر ● مرسل للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم
به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ● ولكل قوم
هاد ● معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبى مخصوص له هداية مخصوصة يقتضى اختصاص كل منهم بما يختص به بحكم
لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشأن قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم
وانكارهم للآيات المنزلة عليك ازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم
والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبى وكل نبى بجنس معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته
على هدايتهم لكن لا يهدى الا من تحقق بهدايته مشيئته التابعة لحكم استأثر بعلمها فقال ● الله يعلم ما تحمل كل انثى ● اى تحمله
فما موصولة اريد بها ما فى بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اى شئ تحمل
وعلى اى حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهى استفهامية معلقة للعلم او حملها فهى مصدرية ● وما تغيض الارحام
وما تزداد ● اى تنقصه وتزداده فى الجثة كالخديج والتام وفى المدة كالمولود فى اقل مدة الحمل والمولود فى اكثرها وفيما
بينهما قيل ان الضحاك ولد فى سنتين وهرم بن حيان فى اربع ومن ذلك سمى هرما وفى العدد كالواحد فما فوقه يروى ان
شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما فى قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا
تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها ● وكل شئ ● من الاشياء
عنده بمقدار ● بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض
له فى كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديه وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمى
بل العلم الحضورى فان تحقق الاشياء فى انفسها فى اى مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم بالنسبة اليه
عز وجل ● عالم الغيب ● اى الغائب عن الحس ● والشهادة ● اى الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل يراد بالغيب
المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله
من قوله تعالى الله يعلم الخ ● الكبير ● العظيم الشأن الذى كل شئ دونه ● المتعال ● المستعلى على كل شئ بقدرته او المنزه
عن نعوت المخلوقين وهو على ما بين سبحانه علمه بجميع احوال الانسان فى مراتب فطرته وحيطة علمه بالغيب والشهادة
بين انه تعالى عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال ● سواء
منكم ● من اسر القول ● فى نفسه ● ومن جهر به ● اظهره لغيره ● ومن هو مستخف ● مبالغ فى الاختفاء كأنه مختف
بالليل ● وطالب بالزيادة ● وسارب ● بارز يراه كل احد ● بالنهار ● من سرب سروبا اى برز وقوله وسارب
عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما فى قوله تعالى فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب
يصطحبان كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار [illegible] وان اسند الى من هو مستخف وسارب [illegible]
الى المستخفى والسارب [illegible] اى الاستتر والجاهر او الى الفاعل [illegible] وتقديم
الاسرار والاستخفاء على الاظهار [illegible] ادوم منه بالظواهر [illegible]
آنفا ● له ● اى لكل ممن اسر او جهر والمستخفى والسارب ● معقبات ● ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة من عقبه

مبالغة عقبه اذا كان جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او عقب فلان
الغار في القافية الناس من احدى القافيين • من بين يديه ومن خلفه • من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر •
يحفظونه من امر الله • من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل
امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى • ان الله لا يغير ما بقوم • من النعمة والعافية • حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها • واذا اراد الله بقوم سوءا • لسوء
اختيارهم واستحقاقهم لذلك • فلا مرد له • فلا رد له والعامل فيه اذا ما دل عليه الجواب • وما لهم من دونه من وال
يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال
وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا
لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه • هو الذي يريكم البرق خوفا • من الصاعقة • وطمعا • في المطر وفيه تقديم الخوف
على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس والرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن لمن
يضره غير الطامع فيه كالطراف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه
مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او
بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع
ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الرؤية التي يتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة وحلت بيوت بني
بقاع ممتنع تخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على ان لا تنال معاذتي • ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا • اي احللت بيوتي حذارا
فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لما يرتبهم • وينشئ السحاب • الغمام المنسحب في
الجو • الثقال • بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب
ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام • ويسبح الرعد • اي سامعوه من العباد الراجين للمطر متلبسين • بحمده
اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته
على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد
يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك • والملائكة • اي ويسبح الملائكة • من خيفته • من هيبته واجلاله جل جلاله
وقيل الضمير للرعد • ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء • فيهلكه بذلك • وهم • اي الكفرة المخاطبون في قوله
تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن رتبة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى
كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال
الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين والرعد نفسه والملائكة الموكلون والملائكة ويعملون
بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اي الكفرة الذين حكيت جناياتهم مع ذلكم وهوانهم وحقارة
شأنهم • يجادلون في الله • اي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء
واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ او على قوله الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف
على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره
من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم
في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغيانه الغوائل
فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر من اجل الناس وقد كان اوصى

الى اربد

الى اربد انه اذا رايتني اكلم محمدا عليه السلام فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه فاخترط
من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي عليه السلام الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما
اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات
لئن اصحر الي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت
على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا
بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي
صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عن اله محمد ما هو ومم هو من ذهب ام من
فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا
اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده وينازعونه اذ ارتفعت
سحابة فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروا بما صنع عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا
فبينما هم عنده وينازعونه اذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤوا يسعون
ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم قالوا اوحى الى النبي عليه السلام
وهو شديد المحال • اي المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك
ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو مفعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على
غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون
مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد • له دعوة الحق • اي الدعوة الثابتة الواقعة
في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة البطلان
والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته كما في قوله عليه السلام
من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقيقة لتربية معنى الاستجابة والاولى هو
الاول لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر
محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم باجابة دعوته عليهم • والذين
يدعون • اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد • من دونه • من دون الله عز وجل •
لا يستجيبون لهم بشيء • من طلباتهم • الا كباسط كفيه الى الماء • اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط
كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان
يكون من المبني للمفعول ويضاف الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول
وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء
كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت ومجلف
ليبلغ • اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه • فاه وما هو • اي الماء • ببالغه • ببالغ فيه
ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال
المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما
يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء
في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون
لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة
من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين • وما دعاء الكافرين الا في ضلال

اى ذهاب وضياع وخسار . ولله . وحده . يسجد . يخضع وينقاد لا لشئ غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم
القلب والافراد . من في السموات والارض . من الملائكة والثقلين . طوعا وكرها . اى طائعين وكارهين
او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام
التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشئون مما لا يخفى على احد . وظلالهم
اى ينقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتتاتى على ارادته في الامتداد والتقلص والفئ
والزوال . بالغدو والآصال . ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها
متحقق في جميع الاوقات لوضوح ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل
جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اى الدخول في الاصيل
هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حالة الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه
قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله
سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد
فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير باختصاص سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان
سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق
انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص
انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله
عز وجل . قل من رب السموات والارض . فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امورهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله
سبحانه وقوله . قل الله . امر بالجواب من قبلهم اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء وامر بحكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لابد لهم منه كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر وامر بتلقينهم
ذلك ان تلعثموا في الجواب حذارا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره . قل . الزاما لهم
وتبكيتا . افاتخذتم . الهمزة للانكار الواقع كما في قولك اضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي
والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم . من دونه اولياء .
عاجزين . لا يملكون لانفسهم نفعا . يستجلبونه . ولا ضرا . يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع الى الغير
ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذ قدر المعطوف عليه
الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل
جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والى ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء ههنا بعدم المالكية للنفع والضر
في ترشيح الانكار وتأكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ
المذكور ويؤكد انكاره . قل . تصويرا لآرائهم الركيكة بصورة المحسوس . هل يستوي الاعمى . الذي هو المشرك الجاهل
بالعبادة ومستحقها . والبصير . الذي هو الموحد العالم بذلك والاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة
الى المعبود العالم بكل شئ . ام هل تستوي الظلمات . التي هي عبارة عن الكفر والضلال . والنور . الذي هو عبارة
عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما ذكر النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دونه
سبحانه في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شئ
اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تصلح ان تكون منشأ لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل . ام جعلوا
لله . اى بل اجعلوا له . شركاء خلقوا كخلقه . سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا
كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى فالمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى

شركا

شركاء خلقوا كخلقه . فتشابه الخلق عليهم . بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة
كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض
بركاكة آرائهم والتهكم بهم . قل . تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه . الله خالق كل شئ . كافة لا خالق سواه فيشاركه
في استحقاق العبادة . وهو الواحد . المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية . القهار . لكل ما سواه فكيف يتوهم
ان يكون له شريك وبعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق
الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد في جريانه عليها ملاحظة
وحفظا وعلى الالسنة تذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحيوتها الروحانية وما يتلوها من الملكات
السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا
بمقدار اقتضته الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى
به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات
التي يتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور
نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل
انزل من السماء . اى من جهتها . ماء . اى كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر . فسالت . بذلك . اودية
واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو موضع بين جبال او تلال
او آكام على الشذوذ كناد وانديه وناج وانجية قالوا وجهه ان فاعلا يجئ بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد
وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل
فيها مجازا فالاسناد السيلان اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل
بها على الانهار المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه . بقدرها . اى سالت مثبتة
بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها
صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستلزم
لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد
بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته
آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين . فاحتمل السيل . الجاري
في تلك الاودية اى حمل معه . زبدا . اى غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى . رابيا . اى عاليا منتفخا
فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل
السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من
الباطل الذي شانه الظهور في بادي الراي من غير مداخلة في الحق . ومما يوقدون عليه في النار . اى يفعلون الايقاد
عليه كائنا في النار والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب . ابتغاء حلية او متاع .
اى لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني
والآلات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات . زبد . خبث . مثله . مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه
رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية
معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من
ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة
الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه
وبعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه

حسبما فصل فيما سلف بل لو اطال بذلك • كذلك • اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة • يضرب الله
الحق والباطل • اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للايذان بكمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق
والباطل وهو بعد تحقيق التمثيل مع الايجاز في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجوه وانفعها حسبما اشير اليه في بيان
بين عاقبة كل من المتمثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث
على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقيل • فاما الزبد • من كل منهما • فيذهب جفاء • اي مرميا به
وقرئ جفالا والمعنى واحد • واما ما ينفع الناس • منهما كالماء الصافي والفلز الخالص • فيمكث في الارض • اما الماء
فيثبت بعضه في مناقعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنا والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلي
ويتخذ من بعضه اصناف الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من
المكث في نفسها والبقاء في ايدي المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في
التمثيل لمراعاة الملائمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الحق بعد ذهاب الزبد لا بحكم
• كذلك يضرب الله • اي مثل ذلك الضرب العجيب يضرب • الامثال • في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد
والهداية وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتاكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل
الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع في بيان حال
اهل كل منهما حالا ومآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل • للذين استجابوا لربهم • اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي
من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو
تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعاني في هيئة المأنوس فاي دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول • الحسنى •
اي المثوبة الحسنى وهي الجنة • والذين لم يستجيبوا له • وعاندوا الحق الجلي • لو ان لهم ما في الارض • من اصناف الاموال جميعا
بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان • ومثله معه لافتدوا به • اي بما في الارض ومثله معه
جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت
موضع السوءى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كأنه قيل وللذين لم يستجيبوا له
السوءى كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا باللام الداخلة
على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى • اولئك لهم سوء
الحساب • وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا
لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كأنه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب
وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مورد
ذلك فقيل • ومأواهم • اي مرجعهم • جهنم • وفيه نوع تأييد لتفسير الحسنى بالجنة • وبئس المهاد • اي المستقر والمخصوص
بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السالفة وقوله
الحسنى صفة للمصدر اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم ما
كلام مستأنف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين وللكافرين
المعاندين اي هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان
الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرأة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين
بل مثل للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا بالهما ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس
اولا وجه لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين فتأمل • افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك • من القرآن الذي مثل
بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى • كمن هو اعمى • عمي القلب لا يشاهده وراءه او الحق الذي

ثمن بعضه صح

الحق • الذي اشير اليه بالامثال المضروبة صح
لا يحق وراءه او لولي الذي

اشير اليه

اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له • كمن هو اعمى • وهو لا يعلم ولا يقدر قدره وهو في قصور ادراك العلو العظيم
فبقي حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال ولا يتذكر بما ضرب من الامثال اي لا يكن من يعلم ذلك الا انه ابدا
متيقظ حاله فتعين عند الاعمى وانما اوثر الفاء لترتيب الانكار على ما ظهر من احوال الفريقين فلم يبق الا ان يرجح كل منهما على فرد
من الاشتمال وبين البصير والمآل كأنه قيل ابعد ما بين حال كل من الفريقين وما لهما وتوهم المماثلة بينهما انما مستأنف
فقيل • انما يتذكر • بما ذكر من المذكورات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنافي • اولوا الالباب • اي العقول
الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم • الذين يوفون بعهد الله • بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف
بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه • ولا ينقضون الميثاق • ما وثقوه على انفسهم من الايمان
بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد لاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل
• والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل • من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المحقين على خلاف من يفرق
لن نفرق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج • ويخشون
ربهم • جلاله وخشية ربانية فلا يعصونه فيما امر به • ويخافون سوء الحساب • فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل • والذين صبروا • على ما تكرهه النفس من الافعال والتروك
• ابتغاء وجه ربهم • طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا
وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء
بشأنه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في انفس الصلات كما في الاولى والرابعة والخامسة او في
اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في
الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه • واقاموا الصلوة
المفروضة • وانفقوا مما رزقناكم • اي بعضه الذي يجب عليهم انفاقه • سرا • لمن لم يعرف بالمال ولمن لا يتهم
بترك الزكوة او عند انفاقه او اعطائه من يمنعه المروة من اخذه ظاهرا • وعلانية • لمن لم يكن كما ذكر او الاول في
التطوع والثاني في الفرض • ويدرؤن بالحسنة السيئة • اي يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا
ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور
على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة • اولئك • اي المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ
خبره الجملة الظرفية اعني قوله • لهم عقبى الدار • اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة وقيل الجار
والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من
العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب على طريقة المدح
من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر • جنات عدن • بدل من عقبى الدار او مبتدأ
خبره • يدخلونها • والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة
• ومن صلح من آبائهم • جمع ابوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وامهاتهم • وازواجهم وذرياتهم • وهو عطف
على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان
لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة
لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب • والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح
والتحف قائلين • سلام عليكم • بشارة لهم بدوام السلامة • بما صبرتم • متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة
العظمى بما صبرتم اي بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة

ثم استئناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات من العواقب
الموصولات المتعاطفة صح

وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل منها وفرعية زايدة من حيث انه ملاك الامر
في كل منها وان شيأ منها لا يعتد به ما لم يكن لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس ● فنعم عقبى الدار ● اى فنعم
عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ● والذين ينقضون عهد الله ● اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف
بنقائض صفاتهم ● من بعد ميثاقه ● من بعدما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ● ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة
المؤمنين وغير ذلك مما راعوا حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم
صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات
المعدودة ليقع معتدا به ولا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة
ممن لا يحوم حول اهل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت
قطع ما امر الله تعالى به ان يوصل واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسانه عز وجل
بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وعلا ● ويفسدون في الارض ● اى بالظلم و
تهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا في الافضاء الى العقوبة التي
ينبئ عنها قوله تعالى ● اولئك ● اى اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح ● لهم ● بسبب ذلك ● اللعنة
اى الابعاد من رحمة الله تعالى ● ولهم ● مع ذلك ● سوء الدار ● اى سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم
لان ترتب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها
مأذون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عن الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث
تركه نقمة واما اعتبار اندراجه تحت الصلة الثانية من حيث ان الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره
من حيث انه من مستتبعات الاخلال باللوازم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة و
تكرير لهم للتأكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت ● الله يبسط الرزق ● اى يوسعه
لمن يشاء من عباده ويقدر ● اى يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا
بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيق على المؤمن زيادة لاجره فلا يغتر ببسط الكافر كما لا يقنط
المؤمن ● وفرحوا ● اى اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى ● بالحيوة الدنيا ● وما بسط لهم فيها
من نعيمها ● وما الحيوة الدنيا ● وما يتبعها من النعيم ● في الآخرة ● في جنب نعيم الآخرة ● الا متاع ● الا شيء نزر
يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا
عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ● ويقول الذين كفروا ● اى اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم
عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم ● لولا انزل عليه آية من ربه ●
فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه
الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله ● قل ان الله
يضل من يشاء ● اضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه
منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو
في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ● ويهدي اليه ● اى الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة
مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشريفهم ما لا يوصف ● من اناب ● اى اقبل الى الحق وتأمل
في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة

كما في

كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعا الى المشيئة الاولى من المكابرة
وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية
لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم
● الذين آمنوا ● بدل من من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا
اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اى الصائرين
الى التقوى وان الايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين آمنوا او منصوب
على المدح ● وتطمئن قلوبهم ● اى تستقر وتسكن ● بذكر الله ● بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا
ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان الآية اعظم منه فيقترحونها والعدول
الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها ● الا بذكر الله ● وحده
● تطمئن القلوب ● دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنيويات وهذا ظاهر اما سائر المعجزات
فالقصر من حيث انها ليست في افادة الطمأنينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القرآن المجيد فانه معجزة باقية
الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدتهم
هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته
بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على
وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها ● الذين آمنوا وعملوا
الصالحات ● بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما مر اليه اى قلوب الذين آمنوا وفيه
ايماء الى ان الانسان انما هو القلب ومبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل اعني قوله ● طوبى لهم ● او خبر
مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى
والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى ليسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب
كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في
قوله تعالى ● وحسن مآب ● بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك ● كذلك ● مثل ذلك
الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ● ارسلناك في امة قد خلت ● اى مضت
من قبلها امم ● كثيرة قد ارسل اليهم رسل ● لتتلو ● لتقرأ ● عليهم الذي اوحينا اليك ● من الكتاب العظيم
الشأن وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى
ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها عند وروده عليها ● وهم
اى والحال انهم ● يكفرون بالرحمن ● بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول
الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم
يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع
الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن ● قل هو ● اى الرحمن
الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ● ربي ● الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف
به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اى خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله ● لا اله الا هو ●
اى لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ● عليه توكلت ● في جميع اموري لا سيما في النصرة عليه لا على احد سواه ● واليه ● خاصة ● متاب ●
اى توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك انابة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة

الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه من حيث اقربها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها
من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع
فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم ومقاساتكم • ولو ان قرانا • اي قرانا ما
هو اسم ان والظرف قوله تعالى • سيرت به الجبال • وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بتلقفه السامع من التالي و
المقصود اما بيان عظم شان القران العظيم وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل
الايات فاقترحوا غيره مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال و
الفساد فالمعنى على الاول لو ان قرانا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل
ذلك بالطور لموسى عم • او قطعت به الارض • اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عم
بعصاه او جعلت قطعا متصدعة • او كلم به الموتى • اي بعد ان احيي بقراءته عليها كما احييت لعيسى عم لكان ذلك
هذا القران لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب اثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الاثار ولا في التذكير والانذار
والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة
وتقديم المجرور في المواضع الثلثة على المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان تقدم
ما حقه التاخير تبقى النفس مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين
لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها
بواسطة القران لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله
عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة رايهم في شانه كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه
من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القران الذي لم يعدوه اية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل
ما لا يخفى • بل لله الامر جميعا • اي الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
لما يدعو اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقة بل باعتبار موجبه ومؤداه اي
لو ان قرانا فعل به ما ذكر لكان ذلك هو القران ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الان لان الامر كله له وحده
فالاضراب ليس متوجها الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما كان يقتضيه الحكمة
من بناء التكليف على الاختيار • افلم يياس الذين امنوا • اي افلم يعلموا على لغة هوازن او قوم من النخع او على
استعمال الياس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا • ان لو
يشاء الله • على حذف ضمير الشان وتخفيف ان • لهدى الناس جميعا • باظهار امثال تلك الاثار العظيمة فالانكار متوجه
الى المعطوفين جميعا او اغفلوا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف
عليه اي تخلف العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم
علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشاها وذلك لانهم كانوا يودون
ان يظهر ما اقترحوا من الايات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثاني لو ان قرانا فعل به ما فصل به من التعاجيب لما امنوا به كقوله
تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما
شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما تستدعيه داعية الحكمة من غير
ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح والياس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين امنوا حالهم هذه فلم ييئسوا من ايمانهم حتى تمنوا
ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين اذا علموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف

عليه

عليه اي تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظايره
لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله آه متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم
علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه لم يشأ ذلك او بامنوا اي افلم يقنط الذين امنوا بان
لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنفهم
من مكابرتهم حسبما تحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار يأسهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فسير لنا الجبال عن مكة حتى يتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطايع وقد سخرت
لداود فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عم لنتجر عليها الى
الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من ابائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض
ح قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة الى القران كما احتيج اليه في الوجهين الاولين
وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير
ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب
المذكر من الموتى على غيره • ولا يزال الذين كفروا • من اهل مكة • تصيبهم بما صنعوا • اي بسبب ما صنعوه
من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول
من علية الصلة له مع ما في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك • قارعة • داهية تقرعهم وتقلقهم وهو
ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا
من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير
او تحل • تلك القارعة • قريبا • اي مكانا قريبا • من دارهم • فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها
شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية
وتخييل وترشيح • حتى ياتي وعد الله • اي موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على ان
ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله
تعالى • ان الله لا يخلف الميعاد • اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله
سبحانه وقال ابن عباس رض اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة
واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول ح من احوالهم ويجوز على ان هذا ان يكون قوله تعالى
او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول عم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة • ولقد
استهزئ برسل • كثيرة خلت • من قبلك • فامليت للذين كفروا • اي تركتهم ملاوة من الزمان في امن
ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح
على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة
من قبلك فامهلت الذين فعلوه بهم في الضلالة الى وصف الكفر ليس لان المملى لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع
بين الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم فقط • ثم اخذتهم فكيف كان عقاب • اي عقابي
اياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى • افمن هو قائم • اي رقيب مهيمن
على كل نفس • كائنة من كانت • بما كسبت • من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو
الله سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك والانكار الذي في ادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم المماثلة غب ما
علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد • والاخذ الشديد • ومن كون الامر كله لله تعالى وكون هداية
الناس جميعا منوطة بمشيته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتي وعد الله كانه قيل االامر كذلك فمن هذا
شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه

المقدر اعني كون الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا اذ لا قلت لا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى
وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر او حالية اي أفمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا
واحدا معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح لذلك اي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر
للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام بايراده موصولا
للدلالة على التحقيق وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر تبكيت اي سموهم من هم وما اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل
لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه اي بل أتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء
مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم و
ما تنبئك الاساليب البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر
فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم
تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة
الدال اليها وقرئ بفتحها اي صدوا الناس او من صد صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره او يخذله
فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب
فانها انما يصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه
المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد مثل الجنة
اي صفتها العجيبة الشأن التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه
اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف
من الصلة العائد الى الجنة اي وعدها وهو خبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه او على حذف موصوف
اي مثل الجنة جنة تجري اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا
تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون
بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التوراة والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلعم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما
من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعي عليهم في اول الامر مدار ذلك انما
جنايات ايديهم واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا
يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فيكون قوله تعالى ومن الاحزاب الخ تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل
الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا من الاشياء او لا افعل الاشراك به والمراد قصر
الامر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل الي بعبادة الله وتوحيده
وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستئناف
اي وانا لا اشرك به اليه اي الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعوا
الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكاركم واليه
الى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام
بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع المنسوخة

بيان

الحكمة في ذلك فتقبل وكذلك انزلناه اي انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه حكما حاكما يحكم
في القضايا والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة
عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك
مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده
قوله تعالى انما امرت ان اعبد الله الخ يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتابا فان المجمع
عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل اليك
من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي
او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة
فان الالوهية لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من يبغيك
الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته ادخل على
المعطوف حرف النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك من بأس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم
وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما
سادّ مسد جوابي الشرط والقسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية
نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا
الرسول يأكل الطعام الخ وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية مما اقترح
عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التي عليها يدور امر الكائنات لا سيما
مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قد مر ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة
ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح
احوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضيته ذلك ان تختلف حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله
ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه
على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم
كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت
آخرين او يمحو الفاسدات من الجسماني ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه
قال ابن عمر وابن مسعود رض والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي عم
والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد
وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو وإما
نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة الحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم
اي وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا
حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك
فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها وعلينا
لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اي كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من
العذاب الدنيوي او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك
من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عم بطلوع تباشيره فقال اولم يروا
استفهام انكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا
في ذلك فلم يروا انا نأتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا

ولحقها بدار الاسلام وتذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله غرسلطانه افلم يروا
انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد
وفي لفظ الاتيان المؤذن بالاستواء المحتوم والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا • والله يحكم • ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار
حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية
المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى • لا معقب
لحكمه • اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد
لا عمامة على رأسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل
لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب • وهو سريع الحساب • فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم
في الآخرة بافانين العذاب غب ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى قال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام
وقد مكر • الكفار • الذين • خلوا • من قبلهم • من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليل
اعني قوله تعالى • فلله المكر • اي جنس المكر • جميعا • لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير
من حيث لا يشعر به وحيث كان ما يأتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير
حسبما يبينه قوله عز وجل • يعلم ما تكسب كل نفس • ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل جزاء
ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون
المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء
بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيء الا باهله • وسيعلم الكفار • حين يقضي بمقتضى
علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه • لمن عقبى الدار • اي العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل
السين لتأكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر اي اهله والذين
كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اي وسيخبر • ويقول الذين كفروا لست مرسلا • قيل قاله رؤساء اليهود
وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها او للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم • قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم • فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد
آخر • ومن عنده علم الكتاب • اي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم
يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اي كفى شاهدا بالذي
يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني بانواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشياء الكائنة
التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على ا ومبتدأ خبره الظرف
وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
• من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب يكون الى يوم ويبعث يوم القيمة
• من الموفين بعهد الله عز وجل والله اعلم •

سورة ابراهيم عليه السلام اربع وخمسون آية مكية • بسم الله الرحمن الرحيم

• الر • قد مر الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى • كتاب • خبر له على تقدير كونه مبتدأ او لمبتدأ مضمر
على تقدير كونه خبر المبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى
• انزلناه اليك • صفة له وقوله تعالى • لتخرج الناس • متعلق بانزلناه اي لتخرجهم كافة بما في تضاعيفه من البينات الواضحة

المفصح

المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس • من الظلمات • من عقائد الكفر
والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة • الى النور • الى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك
لا تهدي من احببت بل • باذن ربهم • اي بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما ينفصح عنه
قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم
اسم الرب المفصح عن التربية التي هي عبارة عن تبليغ الشيء الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه
يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء غير مخل بذلك
والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اي ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم
لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه في نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى
فقيل • الى صراط العزيز الحميد • على وجه الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر وقيل هو استئناف مبني على سؤال كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط الى الله تعالى لانه
مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن وحسن العاقبة الحميدة • الله • بالجر عطف
بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز
الحميد • الذي • اضيف اليه الصراط الله الذي • له • ملكا وملكا • ما في السموات وما في الارض • اي اوجدهما
داخلا فيهما وخارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر في آية الكرسي ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شأن الصراط واظهار لتحتم
سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا ابتناء الغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل • وويل
للكافرين • وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل هو نقيض الوال هو النجاة واصله النصب كسائر
المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك • من عذاب شديد • متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون
منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا • الذين يستحبون الحيوة الدنيا • اي يؤثرونها استفعال من المحبة
فان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره • على الآخرة • اي الحيوة الآخرة
الابدية • ويصدون • الناس • عن سبيل الله • التي بين شأنها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي
على كل وصف جميل لزوم الاقتصار وسوس بصده وصده وقرئ يصدون من اصده المنقول من صد صدودا لانه
هو غير فصيح كاوقف فان في صده وقفه لمندوحة عن تكلف النقل • ويبغونها • اي يبغون لها فحذف الجار واوصل
الفعل الى الضمير اي يطلبون لها • عوجا • اي زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون
صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة
فبعينه كل وصف من اوصافهم بازاء ما بين من الصفات المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب
الحيوة الدنيا الفانية المنغصة عن وخامة العاقبة بمقابلة كونه سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه عائدا وتعد فيه
من الدلالة على عبادتهم في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى • اولئك في ضلال بعيد •
وعلى الاول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من الحقوق الويل بهم كما شهد بما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك
الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج
وهي منه بمنزلة في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغاية القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا
انه قد وصف به وصفه مجازي للمبالغة كجد جده وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذا بعد او فيه بعد فان
الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف ما فيه ما لا يخفى
من المبالغة • وما ارسلنا • اي في الامم الخالية • من قبلك • كما ينبئ عنه قوله اجمالا • من رسول الا • متلبسا • بلسان قومه •
متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش وريش ولسن
كحسن بالضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد • ليبين لهم • ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير

حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمن به وحيث لم يمكن مراعاة هذه القاعدة في شأن سيدنا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره ومئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصر البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشأن المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفي رجعه الى قوم كل نبي كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرته اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الآية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان في الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر والجهالات التي ادتهم الى ان قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم الآيات وبآياته المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما توهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب حروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تقدم له عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك ان في ذلك اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامهما لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثاني عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثالث فعن كل واحدة من تلك

النعماء

النعماء والبلاء او المشار اليه المجموع المشتمل عليهما من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور السابق على التذكر المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه وعلى من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقهما وتخصيص الآيات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير لاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر ذكر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهد في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحيوة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منكم لان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدية فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له واذ تاذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم اي اذكروا نعمة الله تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب من القول او للقول مقدر بعده كانه قيل واذ تأذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيرهم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد

حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا
ولم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكر ولعله م انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار
على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله عقب تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه
تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال • الم يأتكم نبأ الذين من
قبلكم • ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل
هو ابتداء كلام الله سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي م فيختص تذكير موسى بما اختص ببني اسرائيل من السراء والضراء والايام
بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي عليه
بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو قبل هولاء • قوم نوح • بدل من الموصول او عطف
بيان • وعاد • معطوف على قوم نوح • وثمود والذين من بعدهم • اي من بعد هولاء المذكورين عطف على قوم نوح
وما عطف عليه وقوله تعالى • لا يعلمهم الا الله • اعتراض او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الى آخره خبره والجملة اعتراض
والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما بين عدنان واسمعيل ثلثون
ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد
نفى الله تعالى علمها عن العباد • جاءتهم رسلهم • استيناف لبيان نبأهم • بالبينات • بالمعجزات الظاهرة والبينات
الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور • فردوا ايديهم في افواههم •
مشيرين بذلك الى السنتهم وما نطقت به من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها
واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه • وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به • اي على زعمكم وهي
البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم كقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة
رسالاتهم او عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا
منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم
يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي
الله شك الخ وقيل الايدي بمعنى الايادي عبر بها عن مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لانهم
لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه • وانا لفي شك • عظيم • مما تدعوننا اليه • من الايمان
والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها
ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام • مريب • موقع في
الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم اطمئنانها بالشيء • قالت رسلهم • استيناف
مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم
الحمقاء • افي الله شك • بادخال الهمزة على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد
يتوهم فيه الشك اصلا متقاعدين عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم في شك مريب من الله مبالغة في
تنزيه ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب
الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم
الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما
ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر
فقالوا • فاطر السموات والارض • اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقق ما انتم منه في شك وهو
صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى
الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا • يدعوكم

الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه • ليغفر لكم • بسببه او يدعوكم
لاجل المغفرة كقولك دعوته لينا كل معي • من ذنوبكم • اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجب
ما قبله هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة
حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم • ويؤخركم الى اجل مسمى • اي وقت سماه الله تعالى
وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان • قالوا • استيناف كما سبق • ان انتم • اي ما انتم • الا بشر مثلنا • من غير
فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة • تريدون • صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف
اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد • ان تصدونا • بتخصيص العبادة بالله سبحانه • عما كان يعبد
اباؤنا • اي عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا • فأتونا • اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل
كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فأتونا • بسلطان مبين • يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على
صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات
الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا واراءة لما اتيتم به ان ذلك
ليس من جنس ما ينطلق عليه السلطان المبين • قالت لهم رسلهم • مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم
لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان
اختص بهم ما يعقبه • ان نحن الا بشر مثلكم • كما تقولون • ولكن الله يمن • بالنبوة • على من يشاء من عباده
يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه
تواضعا وهضما للنفس اي ما نحن من الملائكة بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى
يمن بالفضائل والكمالات والاستعدادات على من يشاء ذلك لا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات
والاستعدادات هي التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة • وما كان • وما صح وما استقام • لنا ان نأتيكم
بسلطان • اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء من الاشياء وسبب من الاسباب • الا باذن الله
فانه امر متعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا • وعلى الله • وحده دون ما عداه مطلقا • فليتوكل المؤمنون •
امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم عليه آثر ذي اثير الا يرى الى قوله عز وجل • وما لنا • اي اي عذر
لنا • ان لا نتوكل على الله • اي في ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر
اسمه تعالى وتعليل التوكل • وقد هدانا • اي والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا • سبلنا
اي ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له واوجب عليه سلوكه في الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب
القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة • ولنصبرن على ما اذيتمونا
بالعناد واقتراح الايات وغير ذلك مما لا خير فيه • وعلى الله • خاصة • فليتوكل المتوكلون • اي فليثبت
المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين
المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل من توكل دون غيره • وقال
الذين كفروا • لعل هولاء القائلين بعض المتمردين العاتين الغالين في الكفر من اولئك الامم الكافرة التي
نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم شعيب واضرابهم ولذلك لم يقل قالوا • لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا • لم يقتنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما رأوا البينات الغالبة للبصر حتى اجترؤا
على مثل تلك العظيمة التي لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الامرين والعود اما بمعنى
مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل ع وقد مر في الاعراف وسيأتي في الكهف • فاوحى اليهم •
اي الى الرسل • ربهم • مالك امرهم عند تناهي كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها في ايمانهم

لنهلكن الظالمين • على إضمار القول أو على إجراء الإيحاء مجراه لكونه ضربا منه • ولنسكننكم الأرض • أي أرضهم و
ديارهم عقوبة لهم بقولهم لنخرجنكم من أرضنا كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
من بعدهم • أي من بعد إهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدا • ذلك
إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق ثابت • لمن خاف مقامي • موقفي
وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامي عليه وحفظي لأعماله وقيل لفظ المقام مقحم
وخاف وعيد • وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار والمعنى أن ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا • أي استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا وسألوه القضاء بينهم
من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإنهم سألوا
أن ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على أوحى إليهم وقرئ بلفظ الأمر عطفا على لنهلكن الظالمين أي أوحى إليهم
ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا • وخاب • أي خسر وهلك • كل جبار عنيد • متكبر معاند للحق فنفى المستفتحون
أي فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان
دون الحرمان عن المطلوب وذلك باعتبار أنهم كانوا يزعمون أنهم على الحق أو استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا
وإنما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصبهم الخيبة أو
استفتحوا جميعا فنصر الرسل وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلوب وفي إسناد الخيبة إلى
كلهم ما لا يخفى من المبالغة • من ورائه جهنم • أي من بين يديه فإنه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث إليها في
الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك • ويسقى • معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا
يكون إذن فقيل يلقى فيها ويسقى • من ماء • مخصوص لا كالمياه المعهودة • صديد • وهو قيح أو دم مختلط بمدة يسيل
من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من أجساد أهل النار وهو عطف بيان لماء أبهم أولا ثم بين بالصديد تهويلا لأمره
وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد أنواعه • يتجرعه • قيل هو صفة لماء أو حال منه والأظهر أنه استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه أي يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه
ولا يكاد يسيغه • أي لا يقارب أن يسيغه فضلا عن الإساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول
عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشربه على تلك الحال فإن السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه
لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالإساغة لما أنها المعهودة في الأشربة وهو حال من فاعل يتجرعه
أو من مفعوله أو منهما جميعا • ويأتيه الموت • أي أسبابه من الشدائد • من كل مكان • ويحيط به من جميع الجهات أو من
كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله • وما هو بميت • أي والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء أسبابه
لا سيما من جميع الجهات حتى لا يتألم بما غشيه من أصناف الموبقات • ومن ورائه • من بين يديه • عذاب غليظ • يستقبل
كل وقت عذابا أشد وأشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في
النار وقيل هو حبس الأنفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استمطار أهل مكة في سنيهم التي أرسلها الله تعالى عليهم بدعوته
صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعدلهم بدل ذلك صديد أهل النار • مثل الذين كفروا بربهم • أي صفتهم
وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • أعمالهم كرماد • كقولك صفة زيد عرضه مصون
وماله منهوب وهو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال أعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب
وفداء الأسارى وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم إلى هذا المآل فأجيب بأن ذلك
كرماد • اشتدت به الريح • حملته وأسرعت الذهاب به • في يوم عاصف • العصف اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة
كقولك ليلة ساكرة وإنما الساكر ريحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والإيمان به وكونها لوجهه
تعالى برماد طيرته الريح العاصفة أو أشبه مسوق لبيان أعمالهم للأصنام أو مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه

أي

أي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله أعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل كيت وكيت
سواء أريد بها صنائعهم أو أعمالهم للأصنام وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره • لا يقدرون
أي يوم القيامة • مما كسبوا • من تلك الأعمال • على شيء • ما أي لا يرون له أثرا من ثواب أو تخفيف عذاب
كذلك الرماد وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات هائلة للتصريح
ببطلان اعتقادهم وزعمهم أنها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم • ذلك • أي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة
من ضلالهم مع حسبانهم أنهم على شيء • هو الضلال البعيد • عن طريق الحق والصواب أو عن نيل الثواب
ألم تر • خطاب للرسول صلعم والمراد به أمته وقيل لكل أحد من الكفرة لقوله يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى
أن الله خلق السموات والأرض • ساد مسد مفعوليها أي ألم تعلم أنه تعالى خلقهما • بالحق • ملتبسة بالحكمة والوجه
الصحيح الذي يحق أن تخلق عليه وقرئ خالق السموات والأرض • إن يشأ يذهبكم • يعدمكم بالمرة • ويأت بخلق
جديد • أي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى
على خلق السموات والأرض على هذا النمط البديع إرشادا إلى طريق الاستدلال فإن من قدر على خلق مثل تلك الأجرام
العظيمة كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر ولذلك قال • وما ذلك • أي إذهابكم والإتيان بخلق جديد مكانكم
على الله بعزيز • بمتعذر أو متعسر فإنه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا
شأنه حقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه • وبرزوا لله جميعا • أي يبرزون يوم القيامة وإيثار صيغة الماضي
للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أو لأنه لا مضي ولا استقبال بالنسبة إليه
سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لأمر الله تعالى على محاسبته أو لله على ظنهم فإنهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش
سرا أنها تخفى على الله سبحانه فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم • فقال الضعفاء • الأتباع جمع ضعيف والمراد
ضعفاء الرأي وإنما كتب بالواو على لغة من يفخم الألف قبل الهمزة • للذين استكبروا • لرؤسائهم الذين استتبعوهم
واستغووهم • إنا كنا • في الدنيا • لكم تبعا • في تكذيب الرسل والإعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع
غائب أو مصدر نعت به مبالغة أو على إضمار أي ذوي تبع • فهل أنتم مغنون • دافعون • عنا • والفاء للدلالة
على سببية الاتباع للإغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت • من عذاب الله من شيء • من الأولى للبيان واقعة
موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض أي بعض الشيء
الذي هو بعض عذاب الله تعالى والإعراب كما سبق ويجوز أن تكون الأولى مفعولا والثانية مصدرا أي فهل أنتم
مغنون عنا بعض العذاب بعض الإغناء ويعضد الأول قوله تعالى فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار • قالوا • أي
المستكبرون جوابا عن معاتبة الأتباع واعتذارا عما فعلوا بهم • لو هدانا الله • أي للإيمان ووفقنا له • لهديناكم
ولكن ضللنا فأضللناكم أي اخترنا لكم ما اخترناه لأنفسنا أو لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم وأغنيناه عنكم
كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص • ولات حين مناص • سواء أجزعنا • مما لقينا • أم صبرنا • على ذلك
أي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الإنجاء والهمزة وأم لتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
وإنما أسندوا ونسبوا استواءهما إلى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين أيضا مبالغة في النهي عن التوبيخ بإعلام أنهم شركاء لهم
فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز أن يكون قوله سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم أني لم أخنه
ويؤيده ما روي أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك
فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الأتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان أن لا جدوى في ذلك
فقالوا • ما لنا من محيص • من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار إذا عدل بالفرار وهو اسم مكان كالمبيت والمصيف
أو مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لإجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة أو بدل منه
وقال الشيطان • الذي أضل الفريقين واستتبعهما عند ما عتبا به بما قاله الأتباع للمستكبرين • لما قضي الأمر

اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله
وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم
اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم
اي في موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له
ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويلي
وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه
قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي
فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على طريقة الالتفات كما في قوله
تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد
تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان
انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة
التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه وتعالى انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة و
قيل من ابى يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل
الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك
مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف
يكون من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية فكان ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم و
استعانتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتموني من قبل اي باشراككم
اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم
في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك لم احمده و
لم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو
الله عز وجل كما في قوله سبحانه وما سخركن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء
كان ذلك بالمدافعة والشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل وان تعليل
عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء
كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته
وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة عليهم السلام وقرئ على
صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم
الم تر الخطاب للرسول صلعم وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه
اللائق به كلمة طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف
اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة
وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه كشجرة
طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينته اعني قوله تعالى وفرعها اي اعلاها في السماء
في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقت

اقته

اقته لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات
ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل او كل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي كمثل
شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود
الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق
الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزلون عنه
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون
اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة او عند سؤال القبر روي انه عم ذكر قبض روح المؤمن عذاب قبر
فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول
الثابت وهذا امثال اثبات الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين
وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هرون في المنام بعد
موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء
فقلت لهما الِمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال
عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم
الشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت
او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق
فالمراد بالذين امنوا المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذ كان
لا عن ايقان واخلاص تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما
يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى
مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير
ما هو مبدأ صدور الآخر الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التي لا تكاد تصدر
عمن له ادنى ادراك اي الم تنظر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة تعالى بان وضعوا موضعه كفرا عظيما وغمطا
او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه
الامن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا
واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش
بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين كانهما تأولا ما سيتلى من
قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا اي انزلوا قومهم بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض
لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار دار البوار دار
الهلاك الذي لا اهلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال
منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان كيفية الحلول او منصوب بفعل يقدر ناصبا لجهنم
فالمراد بالاحلال المذكور تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول
وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على
وجه الدوام والاستمرار وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اي جعلوا في

اعتقادهم وحكمهم ﴿لله﴾ الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار ﴿اندادا﴾ اشباها في التسمية او في
﴿ليضلوا﴾ قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا ﴿عن سبيله﴾ القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال
ولعل تغيير الترتيب مع مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم بنعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدي الى
احلالهم دار البوار لتثنية التعجب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ
الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجب من مجموع الجنايات الثلاث كما في قصة البقرة
وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل
عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية ﴿قل﴾ تهديدا لاولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم
قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال الاحقاء بان يضرب عنهم صفحا ويطوى عنهم عنان العظة
ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم
﴿تمتعوا﴾ بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام ﴿فان مصيركم الى النار﴾
ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال لجحيمها لوح به قوله سبحانه
واحلوا قومهم دار البوار الآية فهو تعليل للامر المأمور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم
تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم مأمورون بذلك من قبل امر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كدأب مأمور ساع في طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى
فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار
وفيه التهديد والوعيد لا في الامر ﴿قل لعبادي الذين آمنوا﴾ خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف
العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حاليهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول لهنا
محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا ﴿يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم﴾ اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان
بكمال مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف
لام الامر عنهما وانما جوز ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا
اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذاك ﴿سرا وعلانية﴾ منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور
اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه
بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة ﴿من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه﴾
فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة
في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ﴿ولا خلال﴾
ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بما يفتدي به نفسه او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بما يتعاطونه من البيع والمخالة ولا
انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم
لتأكيد مضمونه كما في سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار
البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق
في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن ذلك
في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة
به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالمبايعات والمخالات
كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار
خطابي وهو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال ﴿الله﴾ مبتدأ خبره ﴿الذي خلق السموات﴾ وما فيها من الاجرام العلوية
﴿والارض﴾ وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه

شرع

شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين
عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول
بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة
ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان ﴿وانزل من السماء﴾ اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من
الفلك فان المطر منه يبتدي الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء
الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا واياما كان فمن ابتدائية ﴿ماء﴾ اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور
على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق
الى المؤخر ﴿فاخرج به﴾ بذلك الماء ﴿من الثمرات﴾ المأكولة للبشر اما لان صنيع الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما
لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان ﴿رزقا لكم﴾ تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل
للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا
ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء
بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق
ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة
من الماء والتراب واودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء
بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها
لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعول له ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم ﴿وسخر لكم الفلك﴾ بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما
الهمكم كيفية ذلك ﴿لتجري في البحر﴾ جريا تابعا لارادتكم ﴿بامره﴾ بمشيئته التي بها نيط كل شيء وتخصيصه بالذكر
للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال ﴿وسخر لكم الانهار﴾ ان اريد بها
المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها
جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم ﴿وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين﴾ يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما ما نيط بهما صلاحه من المكونات ﴿وسخر لكم
الليل والنهار﴾ يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها واجمالها ذكر سبحانه انواع النعم الفائضة عليهم
وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة تنويها بشأنها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة
مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من
الدلالة على صعوبة المآخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير
ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكر ما ذكره سبحانه لانزال الماء من السماء
الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار وللتفادي عن توهم كون الكل اعني تسخير السموات
والارض والشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه
حسبما تقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم
من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الاستعداد
او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم
ابواب كل شيء وقيل الاصل وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقى على ما القى وقرئ بتنوين كل
على ان ما نافية ومحلها النصب على الحالية اي آتاكم من كل ذلك غير سائليه [illegible] وقيل اللام في ليقيموا لام الامر
والمراد امرهم باقامة الصلوة [illegible]

من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فان فى بذكر كون الوادى غير ذى زرع بيان لكمال افتقارهم الى المسؤل وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشارة الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت تمهيد جميع وسائل اجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته بحسن القبول ● ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ● من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفى ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اى تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفى على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما فى تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما نعلن اولان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو قبل ذلك خفى فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة فى الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض ● وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء ● لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان فى زمان من الازمان الا وجوده فى ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما فى السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقين وكلمة فى متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اى من شئ كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عم كقوله تعالى وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين ● الحمد لله الذى وهب لى على الكبر ● اى مع كبرى ويأسى عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها ● اسمعيل واسحق ● روى انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة ● وان تعدوا نعمة الله ● التى انعم بها عليكم ● لا تحصوها ● لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها فمعناه لا تبلغوا بعدم بلوغ مرتبة معتدة من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان فى اقصى مراتب الفقر والافلاس متنوعا باصناف العناء مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تأملته الفيته متقلبا فى نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطى كل ساعة وآن من النعماء ما حوته حيطة الامكان وان كنت فى ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما فى الدنيا من اصناف الاموال من غير ند يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد دفع من فقد مشروب او مطعوم فى حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشترى وهو فى تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة تروى من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس فى صفقته شائبة خسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما فى الدنيا بالف رتبة مع انهما فى طرف الثمام ينالهما متى شاء من الليالى والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لرأيه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها وسطا لها بحذافيرها مع انه قد اتيح له كل آن من آنات الليالى والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور بحيث لا يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية

من العلاقة

من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا فى مطمورة العدم والبوار ومهاوى الهلاك والدمار لكن يفيض تعالى عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس فى كل زمان يمضى وكل آن يمر وينقضى من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلى لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارئ لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبى وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التى هى علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهى ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التى لها دخل فى وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة فى ان يكون لشئ واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة فى دخولها تحت الوجود فانتفاء تلك الموانع التى لا تتناهى اعنى بقاءها على العدم مع امكان وجودها فى انفسها فى كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال فى وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا فى كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل آن نعم لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شأنك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن فى معرفتك حائرون وفى اقامة مراسم شكرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصى ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ● ان الانسان لظلوم ● يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها فى غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان ● كفار ● شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واللام فى الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجدا فيه من افراده ويدخل فى ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا ● واذ قال ابرهيم ● اى اذكر وقت قوله والمقصود من تذكيره ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل والمراد به تأكيد ما سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابرهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات وتهوى قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فكفروا تلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا ● رب اجعل هذا البلد ● يعنى مكة شرفها الله سبحانه ● آمنا ● اى ذا امن او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر فى سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثانى للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله سأل اولا كلا الامرين فاستجيب له فى احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال او كان المسؤل اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤل فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثانى للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلى اولان المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤل كلا الامرين وقد حكى اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل فى استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكى بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اذ المسؤل هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى

فقال ربنا انى اسكنت الآية وانما فصل ما بينهما تنبيه للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير
واجنبنى وبنى • بعدنى واياهم • ان نعبد الاصنام • واجعلنا منه فى جانب بعيد اى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد
وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبنى من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبنى شره واجنبنى شره
واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد ببنيه
اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رضى الله عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم
حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف ولا يقال دار بالبيت
وليت شعرى كيف ذهب عليه ما فى القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه
رب انهن • اى الاصنام • اضللن كثيرا من الناس • اى تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه
وانما صدره بالنداء اظهارا للاعتناء به ورغبة فى استجابته • فمن تبعنى • منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام
فانه منى • اى بعضى قاله عم مبالغة فى بيان اختصاصه به او متصل بى لا ينفك عنى فى امر الدين • ومن عصانى • اى لم يتبعنى
التعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عم مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة
فانك غفور رحيم • قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك
الا ان الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره • ربنا • آثر عليه السلام ضمير الجماعة لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والآل كما
فى قوله رب انهن آه بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادى اجابته من قوله • انى اسكنت • الآية
متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل فى القبول واجابة المسؤل • من ذريتى • اى بعضهم او ذرية من ذريتى
فحذف المفعول وهو اسمعيل عم وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم روى ان هاجر ام اسمعيل
كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم فلما ولدت له اسمعيل عم غارت عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة
فاظهر الله تعالى عين زمزم • بواد غير ذى زرع • لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادى مكة شرفها الله سبحانه • عند بيتك
ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع
فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجى وعصمته
عن المكاره فى قوله تعالى • المحرم • حيث حرم التعرض له والتهاون او لم يزل معظما ممتنعا تهابه الجبابرة فى كل عصر او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول
فتأخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عم فانه ينزع الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا
كذلك بل انما هى باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف فى كيفية عدده وقد
ذكرناه فى سورة البقرة بفضل الله سبحانه • ربنا ليقيموا الصلوة • متوجهين اليه متبركين وهو متعلق باسكنت وتخصيصها
بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض
ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادى البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادى اجابة دعائه
واعطاء مسؤوله الذى لا يتسنى لك المرام الآية ولذلك ادخل عليه الفاء فقال • فاجعل افئدة من الناس • اى افئدة
من افئدتهم ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم وانما ما زيد عليه من قولهم وحجت
اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسؤل توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوى
اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى بعبارة اخرى كما مر او للابتداء الغاية كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس
وقرئ آفدة على القلب كآدر فى ادؤر وعلى انه اسم فاعل من افدت الرحلة اى عجلت اى جماعة من الناس
وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد • تهوى اليهم • تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على البناء
للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول آثار هذه الدعوة
ما روى انه مرت رفقة من جرهم بهاجر تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف

على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا ان شئت كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب
اسمعيل عم وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور • وارزقهم • اى ذريتى الذين اسكنتهم هناك او مع من
ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما فى قوله وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم
الآخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة • من الثمرات • من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى
اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد روى
عن ابن عباس رضى الله عنه ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى
ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهرى انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم
ولعلهم يشكرون • تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام فى ليقيموا لام الامر والمراد
امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالى بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء فى قوله تعالى فاجعل آه وفى دعائه عم من مراعاة
حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام
بذكر كون الوادى غير ذى زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار
الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء
حقوق البيت مهد جميع مبادى اجابة السؤل ولذلك قرنت دعوته عم بحسن القبول • ربنا انك تعلم ما نخفى
وما نعلن • من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفى ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء او لا اى تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان
علمه تعالى متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفى على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما
فى تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن
اذ ما من شئ يعلن الا وهو قبل ذلك خفى فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده عم
ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع
لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة فى الضراعة
والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله
على وجه الاعتراض • وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء • لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود
كائنا من كان فى زمان من الازمان الا وجوده فى ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى من الله دون ان يقول
ويعلم ما فى السموات والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة
خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة فى متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ اى من شئ كائن
فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بتخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا
بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة
والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يختص به او بمن يتعلق به
بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض
لتصديقه عم كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين • الحمد لله الذى وهب لى على الكبر
اى مع كبرى ويأسى عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها • اسمعيل واسحق • روى انه ولد له اسمعيل
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة • ان ربى • ومالك امرى
لسميع الدعاء • لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله
او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته
المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب
هب لى من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر هبتهما لما ان نعمة الهبة

فاليقينة عليه خاصة وبما من النعم لا من المنعم عليهم • رب اجعلني مقيم الصلوة • مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم
مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال • ومن ذريتي • اي بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهم من اولادهما للاشعار
بانه المقتدي في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد لا كما في قوله ربنا اني اسكنت فان اسكانه مع عدم
ملابسته لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه
من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك •
ربنا وتقبل دعاء • اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام
ولذلك جيء بضمير الجماعة • ربنا اغفر لي • اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر
ولوالدي • وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عم انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه
آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابرهيم الآية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتي
تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل • وللمؤمنين • كافة من ذريته وغيرهم للايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء
بضمير الجماعة • يوم يقوم الحساب • اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل
بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساقها والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسئل القرية
واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر
عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى
لمصالحهم الدينية والدنيوية • ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون • خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه
من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه
في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهي عم من حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك
للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم
لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد
للكفرة وسائر الظالمين شديدا ولكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم للجهل بصفاته تعالى والاغترار بامهاله
وقيل معناه لا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا
والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عددت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما
يؤذن به التعرض لحكمة التأخير المنبئ عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا
انما يؤخرهم • يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق
اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما يستوجبه من العذاب الاليم ان تأخيره
للتشديد والتغليظ ولا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تأخيرها انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم
معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التأخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التأخير عليهم مع ان
المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون
باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من العذاب وهو الاستئصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان
بان المؤخر ليس من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الى آخره لما فهم ذلك • ليوم • هائل • تشخص فيه
الابصار • اي ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك
اجفانهم من هول ما يرونه واعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين واما بجعل الصيغة من
شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع • مهطعين • مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع او
مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههنا بالنظر الى الداعي
قيل • مقنعي رؤسهم • اي رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شي قاله القتيبي وابن عرفة او ناكسيها وقال

اقنع

اقنع رأسه اي طأطأها وعكسه فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال من
الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي الحالية • لا يرتد اليهم طرفهم • لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم
حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف ولا يرجع اليهم اجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون
اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا او هو نفس الجفن قال الفيروزآبادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في
في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا عن ان يرجع الى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو
ايضا حال او بدل من مقنعي الخ او استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتأخيره عما هو من تتمته
من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى • وافئدتهم هواء •
خالية عن العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق
قلبه هواء اي لا قوة ولا رأي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مفيدة
لكون شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة • وانذر الناس • خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه ان تأخير عذابهم لماذا وامره بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين
كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم
شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار
عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار
خاصة اي انذرهم وخوفهم • يوم يأتيهم العذاب • المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الاوصاف
الهائلة اعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم هلاكهم بالعذاب
العاجل ويأباه القصر السابق • فيقول الذين ظلموا • اي فيقولون والعدول عنه الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل
عليهم بالظلم والاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار صيغة الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان
بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير
كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب
من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل • ربنا اخرنا
ردنا الى الدنيا وامهلنا • الى اجل قريب • الى امد وحد من الزمان قريب • نجب دعوتك • اي الدعوة
اليك والى توحيدك او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عنده تعالى •
ونتبع الرسل • فيما جاؤنا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع
على التوحيد وكون عصيانهم للرسول عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم
جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها • اولم تكونوا اقسمتم من قبل • على اضمار القول معطوفا على
فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا
وسفها • ما لكم من زوال • مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا
ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه او ما لكم من زوال من
هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب في جواب
القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن وهو اوفق للتوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال
المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم في اربع فاذا كانت الخامسة
لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم
الله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا
فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون فيجيبهم تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب

نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الاية ثم يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا
نعمل فيجيبهم الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا
شقوتنا وكنا قوما ظالمين فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند
ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك • وسكنتم • من السكنى بمعنى التبوء والايطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل • في مساكن
الذين ظلموا انفسهم • جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث
اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب
ما اجترحوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آئلة الى صاحبه
والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السابق بالمنذرين واما
اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال اواخرهم • وتبين لكم
بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار • كيف فعلنا بهم • من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف
منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة
اي فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى سبحانه وقرئ بنين • وضربنا لكم الامثال • اي بينا لكم في القرآن العظيم على
تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما
فعل بهم من الامور التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على
مآلهم وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم
انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم
في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل
• وقد مكروا مكرهم • حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال
لشدة ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي
استفرغوا فيه المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل
او قد مكروا مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال
قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى • وعند الله مكرهم • اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله
او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه في صورة المكر
في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف
والجملة حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا
فعلا مع تحقق ما يوجب تركه • وان كان مكرهم • في العظم والشدة • لتزول منه الجبال • اي وان كان مكرهم في
غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المعتمد
بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال
وان كان الخ وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكورة عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع
القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف
دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وتنصره
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي مكروا
مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي
الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم

وامر القرآن

وفيه من المبالغة ما ليس في ان يقال ما فعلنا بهم

وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص
الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من
الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة
الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها
وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي
عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على
لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير
في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
الآية وغيره من انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول
المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين
وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي وبخوا به بل اجترؤوا
على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكر من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم
لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويا او ضعيفا كما مر هناك وعلى
تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم اي وقد مكروا والحال ان
مكرهم ما كان لتزول منه ما تلك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام
مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم
مكر لذلك لما ان شان الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا
من قبل فليتامل • فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله • لم يرد به والله سبحانه اعلم وما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا
الآية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف آنفا
من وعده بتعذيب الظالمين بقوله تعالى انما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلام
على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن
لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن
العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه
من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعدم تاملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اسكناهم بظلمهم بعدما
وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا • ان الله عزيز • غالب لا يماكر
وقادر لا يدافع • ذو انتقام • لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد
عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام
المشعر بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر • يوم تبدل الارض غير الارض • ظرف للمضمر
مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي يوم الخ او معطوف عليه نحو ارتقب يوم تبدل الارض او للانتقام وقيل
يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن اعيد لاحوال جمة يذكر كل مرة بعنوان خصوص التقييد مع عموم انتقامه للاوقات
كلها للافصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من
يوم يأتيهم العذاب او نصب بما ذكرا وباضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة
الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى
ان الله عزيز جملة اعتراضية فلا يبالي بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير
وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها

صاحب الكشف والبيضاوي

ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والآية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله وجهه
تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وتبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل
عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم
وما الدار بالدار التي كنت تعلم ويبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا
ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يبدل الارض غير الارض فيبسط ويمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا
ولا امتا ● والسموات ● اى وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها
اعظم اثرا بالنسبة الينا ● وبرزوا ● اى الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم
التي في بطون الارض او ظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل
اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة
على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو ● لله الواحد القهار ● للحساب والجزاء والتوصيف
بالوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق
اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغاث ولا قادر لا يعجز
ولا يعاز كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة ● وترى المجرمين ● عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضي لاستحضار
الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه على تقدير حالية برزوا فهو عطف على تبدل ويجوز عطفه
على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه ينجز ● يومئذ ● يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده
مقرنين ● قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من
العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال
الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين ● في الاصفاد ● في القيود او الاغلال وهو اما متعلق
بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره او مستقرين ● سرابيلهم ● اى قمصانهم ● من قطران ● جملة من مبتدا وخبر محلها النصب
على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستانفة والقطران ما يتحلب من
الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يحصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن
يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب
لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد
يقادر قدره فكان ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك
تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب اليها الآلام والغموم بل ان يكون القطران المذكور
عين ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لعنوان العذاب قد تجسدت
في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطر آن اى
نحاس مذاب متناه حره ● وتغشى وجوههم النار ● اى تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص
الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
الآية ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفؤاد اشرف
الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها من القطران المغني عن ذكر غشيان النار
لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد وقرئ وتغشى
اى تتغشى بحذف احدى التاءين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة
على الحال قاله ابو البقاء ● ليجزي الله ● متعلق بمضمر اى يفعل بهم ذلك ليجزي ● كل نفس ● مجرمة ● ما كسبت
من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كون

معطوفا

معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق اى برزوا للحساب ليجزي كل نفس
مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق
الرحمة الواسعة ● ان الله سريع الحساب ● اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع
المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب ● هذا ● اى ما ذكر
من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب ● بلاغ ● كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوت
عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع ● للناس ● للكفرة خاصة على تقدير اختصاص
الانذار بهم في قوله وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين
ولينذروا به ● عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اى كفاية لهم في ان ينصحوا او ينذروا به او هذا ابلاغ لهم
ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اى ولينذروا به
انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له ● وليعلموا ● بالتأمل فيما فيه من
الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ولحق ● انما هو اله واحد ●
لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى
وليذكر اولوا الالباب ● اى ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته
مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال
الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا
من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة
وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي
الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه
من الختم بالحسنى [illegible] السعادة الحسنى ورزقنا الفوز برضاه في الاولى والعقبى آمين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية ● بسم الله الرحمن الرحيم

الر ● قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها ● تلك ● اشارة الى ما تضمنته السورة
العظيمة الشأن ● آيات الكتاب ● الكامل المعهود الغني عن الوصف المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق
باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق [illegible] فهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع
المنزل اذ ذاك اذ هو المتبادر الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيفت
اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المثابة من الشهرة
حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على ما جعله عبارة عن جميع آياتها [illegible] الى كل واحدة منها وفيه
من التكلف [illegible] كما ذكر في سورة الرعد ● وقرآن ● اى قرآن عظيم الشأن ● مبين ● مظهر لما في تضاعيفه
من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من
الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيهما من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في تفصيل ما تضمنته فقيل • ربما •
بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا ومخففا وفيه ثمان لغات ضم
الراء وفتحها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة
مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى • يود الذين كفروا • لما ان المترقب في اخبار
الله تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند
الله تعالى • لو كانوا مسلمين • منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من
عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة
المسلمين من النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى
عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته
فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد
عن ابن عباس رض انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك
يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت
بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة انما جيء بصيغة التقليل جريا
على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب
فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير
فرسانه لكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل
وهذه الطريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه مصغى للحق فدل النظم
الكريم على وداد الكافرين للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو
جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو
الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم
يأكلوا الاية او ذما بالى الاشعار بان من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنون الحمد وقليلا ما يكون كذلك ان
يفارقه ولا يفارق ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما
فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر
ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بمتيقن الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف
كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى
لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام
استمرارهم على ما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متمايزان ذاتا ومعنى فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه
• ذرهم • ودعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك بالغ في تخليتهم وشأنهم بل
مرهم بتعاطي ما يتعاطونه • يأكلوا ويتمتعوا • بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم
بالمآكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك وتمتعهم بلا استماع ما ينغص عيشهم من القوارع
والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصح ان يكون مرتبا على تخليتهم وشأنهم • ويلههم • ويشغلهم
عن اتباعك او عن التفكر فيما يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك
• الامل • والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالجمل
الثلثة مجزومة على جواب الامر حسبما عرف من تضمن الامر عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا يرتاب في ترتب

ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامرهم
بتركه ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون • فسوف يعلمون • سوء صنيعهم
او وخامة عاقبته او حقيقة الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وسوف مع كونه وعيدا
اي وعيد وتهديدا غب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة
ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه
من الاكل • وما اهلكنا • شروع في بيان سر تأخير عذابهم الى القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل
العذاب اي ما اهلكنا • من قرية • من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب
اهلاكهم كما فعل بآخرين • الا ولها • في ذلك الشأن • كتاب • اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة
بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له • معلوم • لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم
والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها كتاب
اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا نغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر او مرتفع
بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان لها في حق هلاكها اي اجل مقدر
مكتوب في معلوم لا نغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة
كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا
يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع
وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه
فصل بين الموصوف بجملته الا كما توهم واما توسيط الواو بينهما وان كان القياس عدمه فللايذان بكمال الالتصاق بينهما
من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط فانما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله وما اهلكنا من قرية
الا لها منذرون فان امتناع الانفكاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى على السنة الالهية ولما
بين ان الامم المهلكة كان لكل منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقديم عليه ولا التأخر عنه فقيل • ما تسبق من امة •
من الامم المهلكة وغيرهم • اجلها • المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها ولا تمضي امة قبل مضي اجلها
فان السبق اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه
وراءه واذا كان واقعا على زمان كان الامر بالعكس في ذلك لان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم
فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد
وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك
• وما يستأخرون • اي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع
في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان دوامها واستمرارها فيما بين الامم الماضية والباقية
واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستئخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة
من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم
مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان
سر تأخر عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل
ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان ودادتهم
للاسلام اذ ذاك بالامر بتركهم وشأنهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتأخر اجلهم المقدر لما تقتضيه من الحكم البالغة ومن
جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة • وقالوا • شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب
بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والغي • يا ايها الذي نزل

بالترك للامر بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد
بالافعال المذكورة مباشرتهم لها غافلين عن عاقبته
ذلك

عليه الذكر • خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه السلام واشعارا
بعلية الحكم اي انك لطالع في قولهم • انك لمجنون • كدأب فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون
يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بشهادة ما يعتريك عند ما تدعي
انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا
من الله تعالى لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا انزل هذا القرآن
على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على
صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون الانزال عليه لا الى استناده الى الله تعالى
لوما تأتينا • كلمة لو عند تركيبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركيبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التخصيص خلا انه
عند ارادته لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر وعند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر او مقدر عند البصريين
والمراد هنا هو الثاني اي هلا تأتينا • بالملائكة • ليشهدوا بصحة نبوتك ويعضدوك في الانذار كقوله تعالى
لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبون على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة لرسلهم • ان كنت من الصادقين
في دعواك فان قدرة الله تعالى على مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون
ذلك او كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم • ما ننزل الملائكة • بالنون على
بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول
ومن التنزل بحذف احدى التائين وماضيا منه من التنزيل ومن التنزل وهو كلام مسوق الى النبي صلعم جوابا لهم عن مقالاتهم
المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن
نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا
ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون
احد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله والعدل عن تطبيقه لظاهر بصدد
الاقتراح وهو ان يقال ما تأتيهم بهم للانذار بانه قد اخطأوا في التعبير حيث اخطأوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم
اعلى من ان ينسب اليهم مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر منها بل من الاسفل الى الاعلى
وان يكون مقصد حركاتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق بشأنهم النزول من
مقامهم العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل • الا بالحق • اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة
التنزيل به مما يقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي
اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة
والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء والكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف
على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حكمهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال كما فعل
باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة • وما كانوا اذا منظرين • جزاء للشرط مقدر
ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذن لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم
اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين يقول اتيتك اذ جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها
فمجيء لفظة ان دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ كان ما طلبوه انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا
مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة
حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الآية وحال حائل الحكمة بينهم وبين استئصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم
عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد
ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة

من انهم

380

من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار او اذ لا حكمة في ان تأتيهم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان
انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة
لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية الباقي لا يلزم
من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذن منظرين هذا على تقدير كون
اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة اما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا
تنزيلا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة حتما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا ما كان ذلك
التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيمة لارتفاعهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث
كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ابهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر
الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل
المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر • انا نحن نزلنا الذكر • رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله عليه السلام
بذلك وتسلية له اي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك
بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له ولا فعل لا فاعل له • وانا له لحافظون
عن كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين واما الحفظ عن مجرد التحريف
والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته
ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص
والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية
بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله
يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ورد اله لما ذكر آنفا ولارتباطه بما يعقبهم
من قوله تعالى • ولقد ارسلنا • اي رسلا انما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه • من قبلك • متعلق بارسلنا
او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك • في شيع الاولين • اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة
وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين من اضافة الصفة الى موصوفها عند الفراء
ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه
لشيعته الخاصة به لا ايتان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا و
هو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها • الا كانوا به يستهزؤن • كما يفعله هؤلاء الكفرة
والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه وفي محل الرفع على انها صفة
باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف
منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله عم
بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم السلام وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول
استهزاءهم بالكتاب • كذلك • اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك
السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاؤا به من الكتب • نسلكه • اي الذكر
في قلوب المجرمين • اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال
منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما يقتضيه الحكمة
فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع
في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح

والمطعون • لا يؤمنون به • اى بالذكر حال من ضمير نسلكه اى غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل
للاستهزاء فتعين البيانية الآن يجعل الضمير المجرور ايضاله على ان الباء للملابسة اى نسلك الاستهزاء فى قلوبهم حال كونهم
غير مؤمنين بملابسة والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما فى قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
• وقد خلت سنة الاولين • اى قد مضت طريقتهم التى سنها الله فى اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء
وهو استيناف جىء به تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد • ولو فتحنا عليهم • اى على هؤلاء المقترحين المعاندين
بابا من السماء • اى بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقى والصعود اليه • فظلوا فيه • فى ذلك
الباب • يعرجون • بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول وقيل الملائكة الذين اقترحوا
اتيانهم يعرجون فى ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم فى المكابرة و
تفاديهم عن قبول الحق • انما سكرت ابصارنا • اى سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت
كما يعضده قراءة من قرأ سكرت اى حارت • بل نحن قوم مسحورون • قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوه عند ظهور سائر
الآيات الباهرة وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك ان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم
بالسحر وفى اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان
عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك
نوع آخر من السحر غير تسكير الابصار • ولقد جعلنا فى السماء بروجا • قصورا ينزلها السيارات وهى البروج الاثنا عشر
المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان
جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اى جعلنا بروجا
كائنة فى السماء • وزيناها • اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت
للناظرين • اليها فمعنى الزينة ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فترتيبها
ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة • وحفظناها من كل شيطان رجيم • مرمى بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها
ويوسوس اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها • الا من استرق السمع • محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر
الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف على ما فيها من الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها
والتصرف فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما
ولد النبى عليه السلام منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من
المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من الاوضاع • فاتبعه • اى تبعه ولحقه • شهاب • لهب محرق وهى شعلة نار ساطعة
وقد يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق • مبين • ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب
الزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم
يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه عليه السلام ولكن لم يكن فى شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضى
الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا
فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس فى البوادى
قال القرطبى اختلفوا فى ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل
والاول اصح • والارض مددناها • بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب
للعطف على الجملة الفعلية اعنى قوله تعالى ولقد جعلنا الخ لتوافق ما بعده اعنى قوله تعالى • والقينا فيها رواسى • اى جبالا
ثوابت وقد مر بيانه فى اول الرعد • وانبتنا فيها • اى فى الارض او فيها وفى رواسيها • من كل شىء موزون •
بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شىء مستحسن متناسب

يوزن

او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة • وجعلنا لكم فيها معايش • ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما
مما يتعلق به البقاء وهى بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل • ومن لستم له برازقين • عطف على
معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم و
الدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم وتحقيق ان الله تعالى
هو الذى يرزقهم واياهم وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين • وان من شىء • ان النفى ومن مزيدة
للتاكيد وشىء فى محل الرفع على الابتداء اى ما من شىء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها دخولا اوليا • الا عندنا
خزائنه • الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن
جمع خزانة وهى ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب فى العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس
شبهت مقدوراته تعالى الغائبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة فى كونها مستورة عن علوم العالمين
ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى
تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة فى الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على
طريقة الاستعارة التخييلية • وما ننزله • اى ما نعطيه ولا ننشئه ولا نوجده • الا بقدر معلوم • اى ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة
التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شىء بصفة معينة وقدر معين
ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل فى الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة
تقتضى اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو
فى خزائن القدرة وهو عطف على مقدر اى ننزله وما ننزله او حال مما سبق اى عندنا خزائن كل شىء والحال
انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثانى لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك
بطريق التفضل من العالم العلوى الى العالم السفلى كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك
بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار • وارسلنا الرياح • عطف على جعلنا
فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اى ارسلنا الرياح • لواقح • اى حوامل شبهت
الريح التى تجىء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب
ونظيره الطوائح بمعنى المطاوح فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة
الجنس • فانزلنا من السماء • بعد ما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا • ماء فاسقيناكموه • اى جعلناه لكم
سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤا • وما انتم له بخازنين
نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شىء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه فى السحاب
وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه فى الغدران والآبار والعيون
بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضى الغور • وانا لنحن نحيى • بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام
القابلة لها • ونميت • بازالتها عنها وقد يعمم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر
وهو اما تاكيد للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام مانعة عن ذلك
كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما فى قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم
يقع بين اسمين • ونحن الوارثون • اى الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان
الملك المجازى الحاكمون فى الكل اولا وآخرا وليس لهم الا التصرف الصورى والملك المجازى وفيه تنبيه
على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يترائى من ظاهر الحال • ولقد علمنا المستقدمين منكم • من تقدم منكم
ولادة وموتا • ولقد علمنا المستأخرين • من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم
يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر فى ذلك لا يخفى علينا شىء من احوالكم

فهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل عليه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى
من الدلالة على كمال التأكيد وقيل رغب رسول الله ع م في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء
كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله ع م فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول
المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى • وان ربك هو يحشرهم • للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه
هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم
اى يحشرهم لا غيره وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره ع م دلالة على
اللطف به ع م • انه حكيم • بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان
بالافعال على ما ينبغي • عليم • وسع علمه كل شيء ولعل تقديم الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء • ولقد خلقنا
الانسان • اى هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء
اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام • من صلصال • من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند نقره قيل
اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن
من حمإ • من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اى من صلصال كائن من حمإ • مسنون
اى مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اى مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من
الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمإ وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمإ تنبيها
على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حمأ كانه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال
انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين • والجان • ابا الجن
وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق
من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره • خلقناه • وهو اقوى من الرفع
للعطف على الجملة الفعلية • من قبل • من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين
وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل • من نار السموم • من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق
الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد والمؤلفة التي غالب اجزائها الجزء
الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب
وسياق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرته تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف
عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء • واذ قال ربك • نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر من
انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا
مع الاضافة اليه ع م اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله ع م اى اذكر وقت قوله تعالى • للملائكة اني خالق • فيما سيأتي وفيه
ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه • بشرا • اى انسانا
ليس على العبارة هذه الجارية وقت الخطاب بل الظاهر انه قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند
الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر • من صلصال • متعلق بخالق او بمحذوف
وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا • من صلصال • كائن • من حمإ مسنون • تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى
في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد لما ورد عليه من آثار
التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غاية انه لم يتعرض هناك اكتفاء بما شرح ههنا • فاذا سويته
اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه • ونفخت فيه من روحي • النفخ اجراء
الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة
القابلة لها فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري • فقعوا له • امر من وقع يقع

Not 381 den 383 e atla mıştr

وفيه دليل على ان المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اسقطوا له • ساجدين • تحية له وتعظيما او اسجدوا
لله تعالى على انه ع م بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله عنه أليس
اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقران والسنن • فسجد الملائكة • اى فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فسجد له
الملائكة • كلهم • بحيث لم يشذ منهم احد • اجمعون • بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص
لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع
وان حمل على الخطاب التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله
تأكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل
صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي
كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله تعالى
عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة • الا ابليس • استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من
الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى • ابى ان يكون مع الساجدين
استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه من الاباء
والاستكبار او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج
في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم ع م ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في
سلك اولئك المقربين الكرام • قال • استئناف مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال
يا ابليس ما لك • اى اى سبب لك اى غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك • الا تكون • في ان لا تكون
مع الساجدين • لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من
المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك الا تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند حكايته
في كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر في موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ
واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه
قال • اى ابليس وهو ايضا استئناف مبني على السؤال الذي ينساق اليه الكلام • لم اكن لاسجد • اللام لتأكيد النفي
اى ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد • لبشر • اى جسم كثيف • خلقته من
صلصال من حمإ مسنون • اقتصر ههنا على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به
حين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه ع م من التراب الذي هو اخس العناصر
واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة ص بما حكي
عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه ع م من طين وكذا في سورة بني اسرائيل حيث قيل أأسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه
دليل على ان قوله تعالى ليس استفسارا عن الغرض بل هو استفسار ... عنه وله عن تطبيق جوابه على السؤال روم
للتقصي عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة عما لا يليق بي
من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل و
الكمال هو التحلي بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي افحشها الكبر والاستعصاء على امر رب العالمين
جل جلاله • قال فاخرج منها • اى من زمرة الملائكة المقربين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام
في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى
هبوط واى هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق توسل اليه بالجنة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا
ينافي هذا طرده على رؤوس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة • فانك رجيم • مطرود من كل خير وكرامة
فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس

فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة
العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتأخير عقابه وجزائه وان
اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد
اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فيصير هي كالزائل وقيل
انما حدت به لانه ابعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تأخير
العقوبة مع الموت كسائر من اخرت عقوباتهم الى الاخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى
قال رب فانظرني اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني
الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت
لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين
على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به
وقع اجابة لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس
الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكورة كما في قوله فارحم فانك لذاك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط
ما فيه تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره
كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم
الى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن ومن لحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحيوة ولان ذلك المعنى
معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم
يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفي
سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم
لابد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام
المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة
فضلا عن الارتقاء الى معالم الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت
النفخة الاولى التي علم انه يصعق عندها من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا
والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من
الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر او لاستئثاره تعالى بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد
يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه ويعاقب في بقيته يروى ان ما بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا
مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه
فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عم الوفاة قال يا رب سيشمت بي
عدوي ابليس اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق
ألم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب حسبي فضج
الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة
اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسطواتي على
رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية
سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن
بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات
والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون

اضللت

اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى
المغرب فاذا هو بين عينيه فيغوص البحار فتنبذه منه البحار ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عم ويتمرغ
في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عم وقد نصبت
له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب
الى حيث شاء الله تعالى ويقال لآدم وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى
ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما
مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في
الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه
بهذا فانه فرع من فروعها واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بهذا واخرى بذاك وللسببية وقوله
لازينن جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسببك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم
بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عم
واعتذروا عن امهال الله تعالى له وتسليطه على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين
لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب ولا يعمل فيهم كيدي
وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط علي اي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي
الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم
صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم
المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين
وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه
للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين او
الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في
الفظاعة اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة
ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة
وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم
حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة
للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رض ان جهنم لمن ادعى الربوبية
ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين
ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاء
وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديد ما في الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرهما
مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القران العظيم ادخلوها على ارادة القول امرا من الله
تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من
الادخال بسلام ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في

ما في صدورهم من غل • اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
رضوان الله عليهم اجمعين • اخوانا • حال من الضمير في قوله تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين
او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى • على سرر متقابلين • ويجوز كونهما صفتين
لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة
حيث ما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم • لا يمسهم فيها نصب • اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد
في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدون من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة
لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال من الضمير في متقابلين • وما هم منها بمخرجين • ابد الاباد لان تمام النعمة
بالخلود • نبئ عبادي • وهم الذين عبر عنهم بالمتقين • اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم
فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب
كبيرها وصغيرها وفي وصفه تعالى ذاته بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما تقتضيهما الذات وان
العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج • ونبئهم • عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابرهيم
من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته مع اهله التابعين له في ضمن التخويف وتنبيههم
لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذابه هو العذاب الاليم • عن ضيف ابرهيم • عن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم جبريل عم وملكان معه وقال محمد وسبعة معه عم وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك
كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام
وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابرهيم عم بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره • اذ دخلوا عليه
نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابرهيم
حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل • فقالوا • عند ذلك • سلاما • اي نسلم سلاما
او سلمت سلاما • قال انا منكم وجلون • اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام
حين امتنعوا عن اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا انه
لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه
بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصدوا لتقريب الطعام اليهم وانما لم
يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا يرى انه لم يذكر ههنا رده عم لسلامهم • قالوا لا توجل • لا تخف وقرئ
لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله • انا نبشرك • استئناف لتعليل النهي عن الوجل
فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا
طويلا • بغلام • هو اسحق عم لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عم اكتفاء بما ذكر في سورة
هود • عليم • اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم • قال ابشرتموني • بذلك • على ان مسني الكبر • وانه في تعجب
من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال • فبم تبشرون • اي باي اعجوبة تبشرونني او
باي شئ تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ او باي طريقة تبشرونني بتشديد النون
المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية • قالوا بشرناك بالحق • اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه
او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله • فلا تكن من القانطين • من الآيسين من ذلك فان الله قادر على ان
يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز وقرئ من القنطين وكان مقصوده عم استعظام نعمة الله تعالى عليه
في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده دون ان يقول من المترتب اوجه • قال ومن
يقنط • استفهام انكاري اي لا يقنط • من رحمة ربه الا الضالون • المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون
سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عم فلا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط

عن

عن نفسه عن ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة
الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه
المفاوضة من الملائكة مع ابرهيم عم خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء
بما ذكر هناك كما انه لم تذكر هذه هناك اكتفاء بما ذكر • قال • اي ابرهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله السابق
وبين قوله • فما خطبكم • اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة • ايها المرسلون • صريح
في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت
علي الآية فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين
قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة
بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس
لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكأنه قال عم ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى الانجرار
الى ان علمه عم بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفي
بالواحد في زكريا عم ومريم ولا الى انهم بشروا في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا
بها فتأمل • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء به بطريق التنكير ذما لهم
واستهانة بهم • الا آل لوط • استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط فالقوم
والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين
ويدل عليه قوله تعالى • انا لمنجوهم • اي لوطا وآله • اجمعين • اي مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم
لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين
او لتعليله فان من تعلق بهم التنجية بمنجى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار
مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى • الا امرأته • استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة لاختلاف
الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف • قدرنا انها لمن الغابرين • الباقين مع الكفرة
لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز
حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه
لما لهم من الزلفى والاختصاص • فلما جاء آل لوط المرسلون • شروع في بيان اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط
حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا
به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عم بقوله تعالى
قال انكم قوم منكرون • انما قاله عم بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين
عند مقاساة الشدائد ومعاناة المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة
والامداد فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بهم
حيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
حسبما فصل في سورة هود لا انه قال عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي
بقوله • قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك
قد قشروا العصا وبينوا له جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب
الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عم من ترك
النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئنا بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين
كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة

لوط عم باهلاک قومه وتنجيته عقيب ذكر بشارة ابرهيم عم بها وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة و
مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر
ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤا به وفوضوا
امره اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به • وآتيناك بالحق • اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك وهو
عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه والمراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله تعالى • وانا لصادقون
تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على
صدقهم فيه وعلى الاول تاكيد اثر تاكيد وقوله تعالى • فاسر باهلك • شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في
الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير • بقطع من الليل • بطائفة منه او من
آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شئ صالح • واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر المبالغة
في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر والالتفات
المنهي عنه بقوله تعالى • ولا يلتفت منكم • اي منك ومنهم • احد • فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما
اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او
هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او هو الاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة
عن الاسراء والالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك لما عرف مرارا لا اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر • وامضوا
حيث تؤمرون • الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار
المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين
وقضينا • اي اوحينا • اليه • مقضيا • ولذلك عدي بالى • ذلك الامر • مبهم يفسره • ان دابر هؤلاء
مقطوع • انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على فهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي
دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونه ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء
والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتاخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة
على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين • داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري
هؤلاء • وجاء اهل المدينة • شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل والقول
وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اي جاء اهل سذوم منزل لوط عم • يستبشرون
اي مستبشرين باضيافه طمعا فيهم • قال ان هؤلاء ضيفي • الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد
والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس لانكارهم
بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشميره لرعاية حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال
فلا تفضحون • اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي
فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار • واتقوا الله
في مباشرتكم لما يسوؤني • ولا تخزون • اي لا تذلون ولا تهينون بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة
وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تاثيرا في جانبه عم واجلب للعار
اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته والذب عنه فذاك اعظم
العار عبر عم عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك
وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب

الفاحشة

الفاحشة ولا يساعده المقام لتطابق النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عم وكذلك قوله تعالى • اولم ننهك
عن العالمين • اي عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اي الم نتقدم اليك
ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء وكان عم ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا
قد نهوه عم عن ان يجير احدا فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي انما جاءك من قبلك لانك لولا
تعرضك لما نتعدى لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه • قال هؤلاء بناتي • يعني نساء القوم
فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اي فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمة والكافر وقد فصل ذلك في سورة هود • ان كنتم فاعلين • اي قضاء الوطر
او ما اقول لكم • لعمرك • قسم من الله تعالى بحياة النبي صم او من الملائكة بحياة لوط عم والتقدير لعمرك قسمي وهي لغة في
العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دوره على الالسنة • انهم لفي سكرتهم • غوايتهم وشدة غلمتهم التي ازالت
عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب • يعمهون • يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة
اعتراض • فاخذتهم الصيحة • العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عم • مشرقين • داخلين في وقت شروق الشمس
فجعلنا عاليها • عالي المدينة وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى • سافلها • مفعول ثان له وهو
ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر • وامطرنا عليهم • في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب • حجارة
كائنة • من سجيل • من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود • ان في ذلك • اي
فيما ذكر من القصة • لآيات • لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق • للمتوسمين • اي المتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته • وانها • اي المدينة او القرى • لبسبيل مقيم • اي طريق ثابت
يسلكه الناس ويرون آثارها • ان في ذلك • فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونها بمرأى من الناس يشاهدونها
في ذهابهم وايابهم • لآية • عظيمة • للمؤمنين • بالله ورسوله فانهم الذين يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب
الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم فيحملون ذلك لاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد
الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف • وان كان • مخففة من ان
وضمير الشأن الذي كان • اصحاب الايكة • وهم قوم شعيب عم والايكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة
وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم • لظالمين • متجاوزين عن الحد • فانتقمنا منهم
بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى
عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة • وانهما • يعني سذوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام
كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر • لبامام مبين • لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق
ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به • ولقد كذب اصحاب الحجر • يعني ثمود • المرسلين • يعني
صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف
الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب بن عبد الله ابن الزبير واصحابه
والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه • وآتيناهم آياتنا • وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من نحو
الناقة وسقبها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم • فكانوا عنها معرضين • اعراضا كليا بل كانوا معارضين
لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا • وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين • من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب
الاعداء لوثاقتها او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله
صلى الله عم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله صلى الله عم راحلته فاسرع حتى خلفها • فاخذتهم الصيحة مصبحين • وهكذا وقع في سورة هود و
قيل صاح بهم جبريل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت

قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء
تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود • فما اغنى عنهم • ولم يدفع عنهم ما نزل بهم • ما كانوا يكسبون • من بناء
البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول
العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر • وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
اي الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت
الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف
يوم الجزاء على الاعمال كما ينبي عنه قوله تعالى • وان الساعة لآتية • فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك
فاصفح • اي اعرض عنهم • الصفح الجميل • اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح
الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف • ان ربك • الذي يبلغك الى غاية الكمال • هو الخلاق • لك ولهم ولسائر
الموجودات على الاطلاق • العليم • باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق
بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون
السيف اصلح فهو تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح
للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير • ولقد آتيناك سبعا • سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن مسعود
وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله تعالى وقيل سبع سور
وهي الطوال التي سابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس
او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع • من المثاني • بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان
المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة واما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل بحيث
يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة واما تكرر نزولها فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت
مسماة قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك
تكرر قراءته والفاظه وقصصه ومواعظه او من الثناء لاشتماله على ما هو ثناء على الله تعالى واحدتها مثناة او مثنية
صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما
فيها من الثناء على الله تعالى كانها تثني عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران لما ذكر
او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول للبيان • والقران العظيم • ان اريد بالسبع الآيات
او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع او كل القران فهو عطف احد الوصفين
على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم اي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقران
العظيم • لا تمدن عينيك • لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك • الى ما متعنا به • من زخارف الدنيا
وزينتها ومحاسنها وزهرتها • ازواجا منهم • اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر
بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فرأى ان احدا اوتي افضل مما
اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها
انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله
فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع • ولا تحزن عليهم • حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك
اتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل او انهم المتمتعون به والباء كلمة على فان تمتعهم لا يكون مدارا للحزن عليهم
واخفض جناحك للمؤمنين • اي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء • وقل
اني انا النذير المبين • اي المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله • كما انزلنا على المقتسمين • قيل انه متعلق بقوله تعالى
ولقد آتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب • الذين جعلوا القران عضين • اي قسموه الى حق وباطل

حيث

حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او اقتسموه لانفسهم
استهزاء حيث كان بعضهم يقول سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران وهكذا او اقتسموا ما قرؤوا من كتبهم وحرفوه
فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على امداد ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك
بانه حل المقام عن التشبيه ولقد اوتي عم ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل انه متعلق بقوله وقل اني انا النذير المبين
فانه في قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير
بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع
معلوم الحال عند المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع
عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع
جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على ان تخصيص
الاقتسام باليهود وتجريد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى المذكورين معهم في كونه من نتائج الاقتسام
تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا للانذار اي انذر المعضين الذين يجزئون القران الى سحر وشعر واساطير
مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس
عن الايمان برسول الله صلعم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب
فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات وفيه مع ما فيه من الاشتراك لما سبق في عدم كون العذاب الذي شبه به
العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعي لتخصيص وصف التعضية بهم واخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم في ذلك فان وصفهم لرسول الله عم من السحر والشعر والكذب متفرع على
وصفهم للقران بذلك وهل هو الا نفس التعضية ولا الى اخراجهم من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب
لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم من ان بعض المنذرين
كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب قد هلكوا قبل هلاك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم
المفعول الثاني على الاول كما ترى وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل
مكة كما حرر وفيه مع ما مر من ان قوله تعالى كما انزلنا صريح في انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عم والاعتذار بان ذلك
من باب ما يقوله بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا انها
لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون فلا بد من المصير الى مسلك الكوفيين
او المصير الى جعله مفعولا غير صريح اي انا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط
الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عم فاهلكهم الله تعالى وانت تدري ان عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين
حسبما نطق به القران العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يمكن كونه
صفة للمقتسمين حتى تحوز جعله مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه من انذر لا يكون للتعرض بعنوان التعضية في
الصلة ولا بعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور في حيز المفعول الثاني فائدة لما ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة
والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون هناك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم ضرورة
لعدم اشتراكهم في السبب فان المعضين بمعزل من التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك اولئك بمعزل من
التعضية التي هي السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مفهوما ولا وجودا والجمع وقوع احدهما في جانب الآخر
واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق على الشر المفهوم من الاتفاق على الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه
بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على
ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال
المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية

اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم ايتاء مماثلا لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم من الكتابين
لان الغرض بيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه
بان يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب آه للتنبيه على ما بين الايتاءين من التباين
فان الاول على وجه التكرمة والامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فان ذلك
انما هو لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما في الصلوات الجليلة فان التشبيه فيها
ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم والآل اتم واكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذلك للتقدم
في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن
ايهام افضلية ما تعلق به الاول مما تعلق به الثاني وانما ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه
من الانزال المذكور وايذانا بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بالكل حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك في العلة
والاتحاد في الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى لا تمدن آه لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان
حاله عم اوتي النبي عم ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عم بمكانه واستغنائه به عما سواه
ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعبر عن ايتائها لاهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم ثم عن الحزن
بعدم ايمان المنهمكين فيها وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة
حسبما فصل في تضاعيف ما اوتي من القرآن العظيم ثم رجع الى كيفية ايتائه على وجه ادرج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستتبع
من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى
قل انا النذير المبين كما قد انزلنا في الكتب انك ستأتي نذيرا على المقتسمين اهل الكتاب انتهى مريدا ان ما في كما موصولة
والمراد بالمثلية المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها في محل النصب على الحالية من مفعول قل اي قل هذا
القول حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اي موافقا لذلك فالانسب الاقتسام على التحريف ليكون وصفهم
بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها
عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير
عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذوي الروح المستلزمة لازالة حيوته وابطال اسمه دون مطلق
التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقرآن العظيم و
قيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء
فوربك لنسألنهم اجمعين ● اي لنسألن يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع
عما كانوا يعملون في الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ونجزيهم
بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها
وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عم اظهار للطف به عم ● فاصدع بما تؤمر ● فاجهر به من صدع بالحجة
اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اي بما
تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم ● واعرض عن المشركين ●
اي لا تلتفت الى ما يقولونه ولا تبال بهم ولا تقصد للانتقام منهم ● انا كفيناك المستهزئين ● بقمعهم وتدميرهم قيل كانوا
خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل عم فقال امرت ان اكفيكهم فاومى
الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى
اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني

قال صاحب ... وعبارة وتخيل ... المعنى مشكل

الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحرث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ● الذين يجعلون مع الله الها آخر ● وصفهم بذلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عم بل اجترؤا على العظيمة التي هي الاشراك
بالله سبحانه ● فسوف يعلمون ● عاقبة ما يأتون وما يذرون ● ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون ●
من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك وتحلية الجملة بالتأكيد لافادة تحقيق ما تضمنه من التسلية
وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة ● فسبح بحمد
ربك ● فافزع الى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم ما لا يخفى من اظهار اللطف به عم والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح
والحمد ● وكن من الساجدين ● اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على
ان هداك للحق المبين وعنه عم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ● واعبد ربك ● دم على ما انت عليه من
عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السالف لما مر لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عم والاشعار بعلة الامر بالعبادة
حتى يأتيك اليقين ● اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه
الى الحي طالب للوصول اليه عم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تكاثرا

سورة النحل مائة وثمان وعشرون آية مكية ● بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله ● اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان
بان تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسبب وايا ما كان فهو بمعنى على كمال
قربه من الوقوع والقطع به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل ● فلا تستعجلوه ● فان النهي عن استعجال الشيء
وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال
راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب وهو
استعجالهم وان كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله
ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب
حتى يعمهم النهي عنه واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما
صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق
بشأن التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت
فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا
وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من ان التصدير
بالفاء يأباه فانه بمعزل عن اباء حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان
العادي لا التحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عن الشيء يقتضي امكانه في الجملة ومدار ذلك
الوقوف انما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف
المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور
استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة

لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع
لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا
في تضاعيفه ان صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا منه بشفاعتها رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف ● سبحانه وتعالى عما
يشركون ● اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك
فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان
باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحمله على المؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنزه عنه
بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب ● ينزل الملائكة ● بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب
الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذانا بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا
بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان
ما اوعدهم به وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رايهم في الاستعجال والتكذيب
وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عليه السلام قال الواحدي يسمى
الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى
التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل ● بالروح ● اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي
القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين
بالروح ● من امره ● بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة
له على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية
كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره ● على من يشاء من عباده ● اي ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات
تؤهلهم لذلك ● ان انذروا ● بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين
نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والامر هو الله سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به الباء في المبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان
الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول
كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية
كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص
باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في ابلاغه كذا في القاموس
اي اعلموا الناس ● انه لا اله الا انا ● فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه اشعاره لشهرته المغنية عن التصريح وفائدة تصدير
الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير له في الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم
خطير فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وبناء مضمونه على المحذور
ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه
● فاتقون ● خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة
على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه ومباشرة ما
ينافيه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شروع في تحرير الادلة العقلية
فقيل ● خلق السموات والارض بالحق ● اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه الفائق والنمط اللائق ● تعالى
وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين ● عما يشركون ● عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه
به من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من
خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال ● خلق الانسان ● اي هذا النوع غير الفرد الاول منه ● من نطفة ● جماد لا حس
ولا حراك لا يستأنس الخبط شكلا ولا وصفا ● فاذا هو ● بعد الخلق ● خصيم ● منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم

مبين

● مبين ● لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته ووحدته
او مجادل لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف
جاء الى النبي عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ● والانعام ● وهي الازواج الثمانية
من الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره وقوله تعالى ● لكم ● اما متعلق بخلقها وقوله ● فيها ● خبر مقدم وقوله
● دفء ● مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول اذ لو تأخر لكان صفة ● ومنافع ● هي درها وركوبها
وحملها والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وقدم الدفء على المنافع
لرعاية اسلوب الترقي الى الاعلى ● ومنها تأكلون ● اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايذان
الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت
محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش مع ان الاكل مما عداها من الدجاج والبط
وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب
والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ● ولكم فيها ● مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية
● جمال ● اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم ● حين تريحون ● تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي ● وحين
تسرحون ● تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين
الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية والاكناف بها وبتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها
في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء
ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال
واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملأى البطون حافلة
الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه ● وتحمل اثقالكم ● جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم ● الى بلد ● قال ابن عباس رضي الله عنهما اريد به اليمن
ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم واحمالهم عند القفول
من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد سحيق ● لم تكونوا بالغيه ● واصلين اليه بانفسكم
مجردين عن الاثقال لولا الابل ● الا بشق الانفس ● فضلا عن استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى
الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور بمعنى النصف
كانه ذهب نصف القوة لما ناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس
وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال
على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب
المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ
خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم
المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما وفي عامة الاوقات ● ان ربكم لرءوف رحيم ●
ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة ● والخيل ● هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل
وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل ● والبغال والحمير لتركبوها ● تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بالخيل ايضا مما لا ريب
في تحققه ● وزينة ● عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتأخيره
لان الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة لتركبوها ويجوز ان
يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين بها او متزينا بها ● ويخلق ما لا تعلمون ●
اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة

● خلقها ● او بالعطف على الانسان وما بعده بيان ما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله

على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة او ويخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم
ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه السلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة
للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق
الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون
الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة ۞ وعلى الله قصد السبيل ۞ القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم على طريقة الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه
اي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب
الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليها او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل
تقويمها وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابداعا ابتداء كذلك
على نهج قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه
البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدي بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل
عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق والهادي الى سبيل الاستدلال
بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن غياهب الضلالة ومهاوي الردى الا يرى كيف بين اولا تنزه جناب
الكبرياء وتعاليه بحيث فاته عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم
بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال ارشادا الى طريقة
الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى عما يشركون ثم
فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معاشهم ثم نبه تعالى
على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان وتعديل له اي تعديل فالمراد بالسبيل على الاول
الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله ۞ ومنها ۞ في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف
كما في قوله ومنا دون ذلك فقد مر في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر آه اي بعض السبيل او بعض
من السبيل فانها تؤنث وتذكر ۞ جائر ۞ اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد
يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل وتقويم ابداعه ابتداء على وجه الاستقامة والعدالة
لا تقويمه بعد انحرافه واياما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون
فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقيني واذا مرضت
فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكره
النفس وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدم
ذلك على انه ان اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من
نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها
حتى يصرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك بان يقال
لا جائرها ثم تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى
البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق
وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة
على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته

بل

بل هو محل الحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله تعالى ۞ ولو شاء
لهداكم اجمعين ۞ اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك
ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه
ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء وهذا هو الذي يقتضيه المقام
ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على
اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في
قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر وقوله ومنها جائر معطوف على الجملة
الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت
خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق وما بين طريق
السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وتفصيل بين ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي الى بعثها
للمخاطبين على التأمل فيها ليستوثقوا وحثا على حسن التلقي لما يحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل ۞ هو الذي
انزل ۞ بقدرته القاهرة ۞ من السماء ۞ اي من السحاب او من جانب السماء ۞ ماء ۞ اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره
عن الجار والمجرور لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل الماء من السماء والتشويق
الى ما سلف من ان عند تأخير ما حقه في التقديم يبقى الذهن مترقبا له مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن
۞ لكم منه شراب ۞ اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب
على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا بأس به لان مياه العيون
والآبار منه بقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني
خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين الجارين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته
مما لا يليق بجزالة النظم التنزيل الجليل ۞ ومنه شجر ۞ من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت
في الارض سواء كان له ساق او لا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه
يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعني الكلأ ۞ فيه تسيمون ۞ ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها
تؤثر بالرعي علامات في الارض ۞ ينبت ۞ اي الله عز وجل وقرئ بالنون ۞ لكم به ۞ بما انزل من السماء ۞ الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ۞ بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنة جارية على مر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه
اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادم من وجه وفاكهة من وجه وتقديم
النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص
الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله تعالى ۞ ومن كل الثمرات ۞ للاشعار بفضلها وتقديم الشجر
عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام
الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه ولان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع
ولا شجر وقيل المراد وتقديم ما هو لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من
الثلاثي مسندا الى الزرع وما عطف عليه ۞ ان في ذلك ۞ اي في انزال الماء وانبات ما فصل ۞ لآية ۞
عظيمة دالة على تفرده تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة ۞ لقوم يتفكرون ۞ فان من تفكر
في ان الحبة والنواة تقع في الارض وتصل اليها نداوة وتنفذ فيها فينشق اعلاها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق

الارض وتنشق اعلاها وان كانت منكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب التي
المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبايع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية
مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبايع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله واثاره لا
يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق
العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر
وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعايشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما
وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل من اجل كل ذلك لمصالحكم ومنا
وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه
تعالى لها حسبما ترتب عليه منافعهم ومصالحهم كان ذلك تسخيرا لهم وتصرفا من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف
بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين واختيار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد
مستمر وان تجددت آثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث
والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة
ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى
من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ
برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان اي
وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع
اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر
ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين
النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة
على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مختص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر
دالة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم
ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون و
قال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية انما ذلك دلالة التوحيد من حيث
ان من هذا شانه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر
من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار
العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل
من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقايق
المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا تتصدى لمعرفتها الا المهرة من ساطين علماء الحكمة ولا ريب في
ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق
لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف
اللون مسخر لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا
من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واجيب
بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل
مقدر اي خلق وانبت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات
ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير

محاج

محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس
الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان
ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات
المسلمة جيء به للاستدلال على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية
وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث
تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه
حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى
اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا
في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف لا ياكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى
الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن
ممتثلا بالامر الا يرى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه
من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن
لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري
فيه مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك
ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج
الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل
ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة
فتقومون باداتها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة
طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك
وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا
والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة
ان تميد بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت
جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا
لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة
بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويعرفون بها الطرقات وبالنجم هم يهتدون
بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات نعش
والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو
من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري الترداد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم
وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار
بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل ما يشاء من الافاعيل
البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام
بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب
الهمزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص

به تعالی المعلومة کذلک فیما بینهم حسبما یوذن به ما تلوناه من قوله تعالی ولئن سألتهم الآیتین والاقتصار علی ذکر الخلق
من بینها لکونه اعظمها واستتباعه ایاها او لکون کل منها خلقا مخصوصا ای بعد ظهور اختصاصه تعالی بمبدئیة تلک
الشؤون الواضحة الدالة علی وحدانیته وتفرده بالالوهیة واستبداده باستحقاق العبادة بتصور المشابهة بینه
وبین ما هو بمعزل من ذلک بالمرة کما هو قضیة اشراککم وعدادکم وان کان علی تشبیه غیر الخالق بالخالق لکن التشبیه حیث
کان لشبهة تقوم بالمتشابهین اختیر ما علیه النظم الکریم مراعاة لحق سبق الملکة علی العدم وتفادیا عن توسیط عدمها
بینها وبین جزئیاتها المفصلة قبلها وتنبیها علی کمال قبح ما فعلوه من حیث ان ذلک لیس مجرد رفع الاصنام عن محلها
بل هو حط للمنزلة الربوبیة الی مرتبة الجمادات ولا ریب فی انه اقبح من الاول والمراد بمن لا یخلق کل ما هذا شانه کائنا ما
کان والتعبیر عنه بما یختص بالعقلاء للمشاکلة او العقلاء خاصة ویعرف منه حال غیرهم بدلالة النص فان من یخلق حیث لم
یکن کمن لا یخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنک بالجماد وایا ما کان فدخول الاصنام فی حکم عدم المماثلة والمشابهة
اما بطریق الاندراج تحت الموصول العام واما بطریق الانفهام بدلالة النص علی الطریقة البرهانیة لا بانها هی المرادة
بالموصول خاصة • افلا تذکرون • ای الا تلاحظون فلا تذکرون ذلک فانه لوضوحه بحیث لا یفتقر الی شیء
سوی التذکر • وان تعدوا نعمة الله • تذکیر اجمالی لنعمه تعالی بعد تعداد طائفة منها وکان الظاهر ایراده عقیب
تکملة علی طریقة قوله تعالی لا تعلمون ولعل فصل ما بینهما بقوله تعالی افمن یخلق کمن لا یخلق للمبادرة الی الزام الحجة والقام
الحجر اثر تفصیل ما فصل من الافاعیل التی هی ادلة الوحدانیة مع ما فیه من سر ستقف علیه ودلالتها وان لم تکن
مقصورة علی حیثیة الخلق ضرورة ظهور دلالتها علیها من حیثیة الانعام ایضا لکنها حیث کانت من مستتبعات الحیثیة
الاولی استغنی عن التصریح بها ثم بین حالها بطریق الاجمال ای ان تعدوا نعمته الفائضة علیکم مما ذکر وما لم یذکر حسبما یوذن
عنه قوله تعالی هو الذی خلق لکم ما فی الارض جمیعا • لا تحصوها • لا تطیقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا
عن القیام بشکرها وقد خرجنا عن عهدة تحقیقه فی سورة ابراهیم بفضل الله سبحانه • ان الله لغفور • حیث یستر ما فرط
منکم من کفرانها والاخلال بالقیام بحقوقها ولا یعاجلکم بالعقوبة علی ذلک • رحیم • حیث یفیضها علیکم مع
استحقاقکم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من اصناف الکفر التی من جملتها عدم الفرق بین الخالق وغیره
وکل من ذلک نعمة واتمام نعمة فالجملة تعلیل للحکم بعدم الاحصاء وتقدیم وصف المغفرة علی نعت الرحمة لتقدم
التخلیة علی التحلیة • والله یعلم ما تسرون • تضمرونه من العقائد والاعمال • وما تعلنون • ای تظهرونه منها
وحذف العائد لمراعاة الفواصل ای یستوی بالنسبة الی علمه المحیط سرکم وعلنکم وفیه من الوعید والدلالة علی اختصاصه
سبحانه بنعوت الالهیة ما لا یخفی وتقدیم السر علی العلن لما ذکرناه فی سورة البقرة وسورة هود من تحقیق المساواة
بین علمیه المتعلقین بهما علی ابلغ وجه کان علمه تعالی بالسر اقدم منه بالعلن او لان کل شیء یعلن فهو قبل ذلک مضمر فی
القلب فتعلق علمه تعالی بحالته الثانیة • والذین یدعون • شروع فی تحقیق کون الاصنام بمعزل من استحقاق
العبادة وتوضیحه بحیث لا یبقی فیه شائبة ریب بتعدید اوصافها واحوالها المنافیة لذلک منافاة ظاهرة
وتلک الاحوال وان کانت غنیة عن البیان لکنها شرحت للتنبیه علی کمال حماقة عبدتها وانهم لا یعرفون ذلک
الا بالتصریح ای والآلهة الذین یعبدهم الکفار • من دون الله • سبحانه وقرئ علی صیغة المبنی للمفعول وعلی
الخطاب • لا یخلقون شیئا • من الاشیاء اصلا ای لیس من شانهم ذلک ولما لم یکن بین نفی الخالقیة وبین
المخلوقیة تلازم بحسب المفهوم وان تلازما فی الصدق اثبت لهم ذلک صریحا فقیل • وهم یخلقون •
ای شانهم ومقتضی ذاتهم المخلوقیة لانها ذوات ممکنة مفتقرة فی ماهیاتها ووجوداتها الی الموجد وبناء الفعل للمفعول
لتحقیق التضاد والمقابلة بین ما اثبت لهم وبین ما نفی عنهم من وصفی المخلوقیة والخالقیة وللایذان بعدم الافتقار
الی بیان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ویجوز ان یجعل الخلق الثانی عبارة عن النحت والتصویر
رعایة للمشاکلة بینه وبین الاول ومبالغة فی کونهم مصنوعین لعبدتهم واعجز عنهم وایذانا بکمال رکاکة عقولهم

حیث

حیث اشرکوا بخالقهم مخلوقهم واما الاول ایضا عبارة عن ذلک کما قیل فلا وجه له اذ القدرة علی مثل ذلک
الخلق لیست مما یدور علیه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقیة لهم غیر مستدع لنفی الحیوة عنهم لما
ان بعض المخلوقین احیاء صرح بذلک فقیل • اموات • وهو خبر ثان للموصول لا للضمیر کما قیل او خبر مبتدأ
محذوف وحیث کان بعض الاموات مما یعتریه الحیوة سابقا او لاحقا کاجساد الحیوان والنطف التی ینشئها الله
تعالی حیوانا احترز عن ذلک فقیل • غیر احیاء • ای لا یعتریها الحیوة اصلا فهی اموات علی الاطلاق واما قوله تعالی
وما یشعرون ایان یبعثون • ای ما یشعر اولئک الآلهة ایان یبعث عبدتهم ففیه تهکم بهم لان شعور الجماد
بالامور الظاهرة بدیهی الاستحالة عند کل احد فکیف بما لا یعلمه الا العلیم الخبیر وفیه ایذان بان البعث من لوازم
التکلیف وان معرفة وقته مما لا بد منه فی الالوهیة • الهکم اله واحد • لا یشارکه شیء فی شیء وهو تصریح بالمدعی
وتخلیص للنتیجة عقب اقامة الحجة • فالذین لا یؤمنون بالآخرة • واحوالها التی من جملتها ما ذکر من البعث وما یعقبه
من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم • قلوبهم منکرة • علیها وانکار للایذان بان اصرارهم علی الانکار واستمرارهم
علی الاستکبار وقع موقع النتیجة للدلائل الظاهرة والبراهین الباهرة والمعنی انه قد ثبت بما قرر من الحجج و
البینات اختصاص الالهیة به سبحانه فکان من نتیجة ذلک اصرارهم علی ما ذکر من الانکار والاستکبار وبناء الحکم
المذکور علی الموصول للاشعار بکونه معللا بما فی حیز الصلة فان الکفر بالآخرة وبما فیها من البعث والجزاء المتنوع
الی الثواب علی الطاعة والعقاب علی المعصیة یؤدی الی قصر النظر علی العاجل والاعراض عن الدلائل السمعیة
والعقلیة الموجب لانکارها وانکار مؤداها والاستکبار عن اتباع الرسول علیه السلام وتصدیقه واما الایمان بها وبما
فیها فیدعو لا محالة الی التامل فی الآیات والدلائل رغبة ورهبة فیورث ذلک یقینا بالوحدانیة وخضوعا لامره
تعالی • لا جرم • ای لا جرم او حقا وقد مر تحقیقه فی سورة هود • ان الله یعلم ما یسرون • من انکار قلوبهم
وما یعلنون • من استکبارهم وقولهم للقرآن اساطیر الاولین وغیر ذلک من قبائحهم فیجازیهم بذلک • انه
لا یحب المستکبرین • تعلیل لما تضمنه الکلام من الوعید ای لا یحب المستکبرین عن التوحید او عن الآیات الدالة
علیها او لا یحب جنس المستکبرین فکیف من استکبر عما ذکر • واذا قیل لهم • ای لاولئک المنکرین المستکبرین وهو
بیان لاضلالهم غب بیان ضلالهم • ماذا انزل ربکم • القائل الوافدون علیهم او المسلمون او بعضهم علی
طریقة التهکم وماذا منصوب بانزل او مرفوع بالابتداء ای ای شیء انزل او ما الذی انزله • قالوا اساطیر الاولین
ای ما تدعون نزوله او المنزل اساطیر الاولین ای احادیثهم واباطیلهم ولیس من الانزال فی شیء قیل هو لاز
القائلون هم المقتسمون الذین اقتسموا مداخل مکة ینفرون عن رسول الله صلی الله علیه وسلم وعند سؤال وفود الحاج عما انزل
علیه السلام • لیحملوا • متعلق بقالوا ای قالوا ما قالوا لیحملوا • اوزارهم • ای آثامهم وهی اوزار ضلالهم
کاملة • لم یکفر منها شیء لنکبة اصابتهم فی الدنیا کما یکفر بها اوزار المؤمنین • یوم القیامة • ظرف لیحملوا • ومن
اوزار الذین یضلونهم • وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شریکان هذا یضله وهذا
یطاوعه فیتحاملان الوزر واللام للتعلیل فی نفس الامر من غیر ان یکون غرضا وصیغة الاستقبال للدلالة
علی استمرار الاضلال او باعتبار حال الوزر لا حال الحمل • بغیر علم • حال من الفاعل ای یضلونهم غیر عالمین
بان ما یدعون الیه طریق الضلال وانما حملوا علی معنی غیر عالمین بانهم یحملون یوم القیامة اوزار الضلال والاضلال
علی ان یکون العامل فی الحال قالوا وتاییده تعالی بما سیاتی من قوله واتاهم العذاب من حیث لا یشعرون من حیث
ان حمل ما ذکر من اوزار الضلال والاضلال من قبیل اتیان العذاب من حیث لا یشعرون فیزره لهم المحل المذکور
انما هو یوم القیامة والغرض المذکور لیس کذلک کما ستقف علیه وحال من المفعول ای یضلون
من لا علم له انهم ضلال وفائدة التقیید بها الاشعار بان مکرهم لا یروج عند ذی لب وانما یتبعهم الاغبیاء
والجهلة والتنبیه علی ان جهلهم ذلک لا یکون عذرا اذ کان یجب علیهم ان یبحثوا ویمیزوا بین المحق والمبطل

بالاتباع وبين المبطل • الا ساء ما يزرون • اي بئس شيئا يزرون ما ذكر • قد مكر الذين من قبلهم • وعيد لهم برجوع
غائلة مكرهم الى انفسهم كداب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي قد سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى • فاتى الله • اي امره وحكمه • بنيانهم • وقرئ بيتهم وبيوتهم • من القواعد
من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه • فخر عليهم السقف من فوقهم • اي سقط
عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكائد والمنصوبات
التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكائد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال
قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا
وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين • واتاهم العذاب • اي الهلاك والدمار • من حيث لا يشعرون • باتيانه منه
بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين
سياتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه • ثم يوم القيمة يخزيهم
فانه عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي هذا الذي فهم من التمثيل من عذاب هؤلاء او بما هو اعم منه ومما ذكر من
عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤس الاشهاد واصل الخزي ذل
يستحيى منه وثم للاشعار الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم
الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا
موذن بان لهم جزاء اخرويا فيبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه في الآخرة فسيق
الكلام على وجه يوذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين في حق القرآن الكريم
او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين وتخصيصهم بايراده للسباق والسياق كما استحق عليه • ويقول • لهم تفضيحا
وتوبيخا وهو الى آخره بيان للاخزاء • اين شركائي • اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ
مع استهزائهم • الذين كنتم تشاقون فيهم • اي تخاصمون الانبياء والمؤمنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين
بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والافحام
عن مكان لا يوجب غيبتهم حقيقة حتى يعتذر بانه يحول الحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجا
فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون
به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندهم الامر
فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان مشاقة الانبياء
والمؤمنين لا سيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل • قال الذين اوتوا العلم • من اهل الموقف وهم
الانبياء والمؤمنون اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون
عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا بهم للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب الجنة
ونادى اصحاب الاعراف • ان الخزي • الفضيحة والذل والهوان • اليوم • منصوب بالخزي على راي من يرى
اعمال المصدر المقدر باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر
في الظرف ومنقول ايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق • والسوء • العذاب • على الكافرين
بالله تعالى وباياته ورسله • الذين تتوفاهم الملائكة • بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول
الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او
بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت
دون من آمن منهم وتوفي على غيره اي على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان يتوفاهم الملائكة • ظالمي انفسهم

اي حال

اي حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا
فالقوا السلم • اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على قوله تعالى
فيقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس الاشهاد اي فيسالموا
ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين • ما كنا نعمل • في الدنيا
من سوء • اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء
اعترافا بكونه سوءا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان يكون
المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة الانعام لا عن
قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء • بلى • رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات
لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون • ان الله عليم بما كنتم تعملون • فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه • فادخلوا ابواب
جهنم • اي كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة • خالدين
فيها • ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة • فلبئس مثوى المتكبرين
اي عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص
بالذم محذوف اي جهنم وذا يدل قولهم ما كنا نعمل من سوء عاملين ذلك في اعتقادهم والتي محافظة على ان لا كذب ثمة
برده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم • وقيل للذين اتقوا • اي المؤمنين
وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى • ماذا انزل ربكم قالوا خيرا • سلكوا في
الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اي انزل خيرا فانه جواب مطابق لما هو الواقع في نفس الامر
مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج صحة الواقع الذي ليس له من دافع غيروا صورته
وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير رونا لما مر من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا
يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان
لم تلقه كان خيرا لك انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي عم ويخبرونه
فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا • للذين احسنوا • اي اعمالهم او فعلوا الاحسان • في هذه • الدار
الدنيا حسنة • اي مثوبة حسنة مكافاة فيها • ولدار الآخرة • اي مثوبتهم فيها • خير • اوثواب الدنيا
من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة • ولنعم دار المتقين • اي دار الآخرة
حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدا مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم بذلك
ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له اي انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه
ترغيبا للسائل • جنات عدن • خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح
يدخلونها • صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته • لهم فيها
في تلك الجنات • ما يشاؤن • الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها
ما يشاؤن من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب
ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن • كذلك • مثل ذلك الجزاء الاوفى • يجزي الله المتقين
اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث
لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة • الذين تتوفاهم الملائكة • نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين
عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم
ففيه حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم
بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس • يقولون • حال من الملائكة اي قائلين

لهم سلام عليكم قال القرطبي رح اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت عم فقال السلام عليك
يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة ادخلوا الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الخ ولذلك جردت
عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة
من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة
او بالذي كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي في الحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون
اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم
وبين الانتظار لا لانه البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون
لوروده وقرئ بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار
بان اتيانه للطف به صلى الله عم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظاره
يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه العطف باو لانها ليست نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايراد
كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم لان قوله تعالى فيما سيأتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في
ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء
فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه
من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه
ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه
من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله تعالى
فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اي اجزية اعمالهم
السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم
وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزؤن
من العذاب وقال الذين اشركوا اي اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول عن الاضمار الى الموصول
لتقريعهم بما في حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء عدم عبادتنا
لشيء غيره كما تقول لا عبدنا ذلك نحن ولا اباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شيء
من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول عم وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما شاء الله
يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم ما حرمنا كما يقول الرسل وينقلونه من
جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا
من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع
فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطا
وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي ليست
وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي التي من جملتها تحتم تعلق مشيئة
الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم
الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يدور عليها
امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم ظهور اثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب
عليه الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم الجزئي الى
تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين وفي ايراد التعليل كانه قيل لذلك فعل اسلافهم وذلك باطل فان
الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجبارهم عليهما على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على

للايذان

للايذان بانهم في ذلك مأمورون او بانهم يبلغونه حقا للناس عليهم ايفاؤه وهذا ليظهر ان حمل قولهم لو شاء الله
على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيقا لكيفية تعلق مشيئته
بافعال العباد وبعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب
والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله
يجوز ان يكون ان مفسرة لما في البعث من معنى القول وان يكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده
واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعوا الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم والفاء فصيحة اي
فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذي
هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة
اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب
للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها
الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق مشيئته تعالى
بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين
من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم اثار
الهلاك والعذاب للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان
هلاك الامم في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص
خطاب لرسول الله صلى الله عم وقرئ بفتح الراء وهي لغية على هداهم اي ان تطلب هدايتهم بجهدك
فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره
والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم و
يجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي
من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله وقرئ لا
يهدي بفتح الهاء وادغام تاء يهتدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء
وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية ويدفعون العذاب عنهم
وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد لا ان
المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن آخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث
جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى
عليهم ابلغ رد بقوله الحق بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من
الله تعالى او لمحذوف اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده
او لان البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى ونصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس
لجهلهم بشؤون الله عز شأنه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر
التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه بمراعاتها لا يعلمون انه
يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم
وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اي يبعثهم ليبين لهم
بذلك ما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن الذي يختلفون فيه
من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالتحقيق

حال الاشراك وانكار البعث وعدا وحقا • انهم كانوا كاذبين • في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت
والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين مع ما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث
المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم
الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقق البعث انما كان لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون في انكاره كان ذلك
ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلي انا اصلي
رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها واما الغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته
انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره في مواضع اخر
وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جيء بصيغة العلم لان
ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذي
نطق بان يخبر به القران فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق به علم ضروري حاصل
لهم من قبل انفسهم قد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث
لم يقل وليعلموا ان الآية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا • انما قولنا • استئناف لبيان كيفية التكوين
على الاطلاق ابداء واعادة بعد التنبيه على انية البعث ومنه يظهر كيفيته مما كافة وقولنا مبتدا وقوله • لشيء •
اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهي في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اي لاجل
شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك • اذا اردناه •
ظرف لقولنا اي وقت اردنا لوجوده • ان نقول له كن • خبر للمبتدا • فيكون • اما عطف على مقدر يفصح عنه الفا
وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف
اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون فليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب
المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان الآية تستدعي انحصار قوله تعالى كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما ينبئ
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة انحصاره
في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة
حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لامر الآمر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشيء عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده
في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة
من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر • والذين
هاجروا في الله • اي في شأن الله ورضاه وفي حقه ولوجهه • من بعد ما ظلموا • ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب
رسول الله صلعم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه • لنبوئنهم
في الدنيا حسنة • اي مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور من كون السورة غير ثلث
ايات من آخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضي من انها نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابي جندل
ابن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم
وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضي الله عنه قال نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية الى آخر السورة مدنية فيحمل
ما نقلنا عنه من نزول الآية في اصحاب الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لننزلنهم في الدنيا منزلة
حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة • ولاجر الآخرة •
اي اجر اعمالهم المذكورة في الآخرة • اكبر • مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رض انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين

عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة افضل • لو كانوا يعلمون •
الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا
ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها • الذين صبروا • على الشدائد من اذية الكفار
ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب والرفع على المدح • وعلى ربهم • خاصة • يتوكلون •
منقطعين اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة
على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا • وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم • وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حيث قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر
كما هو مبنى قولهم لو شاء الله ما عبدنا اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا
يوحي اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلعم تنبيه الكفار على
مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل • فاسألوا اهل الذكر • اي اهل الكتاب او علماء الاخبار او كل من يذكر بعلم وتحقيق
ليعلموكم ذلك • ان كنتم لا تعلمون • حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا
وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عم
وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم • بالبينات والزبر •
بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا
تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اي ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية
التقديم قبل اداة الاستثناء اي ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز صلة ما قبل الا الى ما بعد
او بما وقع صفة للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعل يوحي وهو
اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك
فاعطني حقي • وانزلنا اليك الذكر • اي القران وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين • لتبين للناس
كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا • ما نزل اليهم • في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع وغير ذلك من احوال القرون
المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين
لا سيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولما ان التبيين اعم من الصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه
دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل • ولعلهم يتفكرون •
اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من
العذاب • افأمن الذين مكروا السيئات • هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان
عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما
اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اي مكروا المكرات السيئات التي
قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اي عملوا السيئات فقوله تعالى • ان يخسف الله بهم الارض •
مفعول لأمن او السيئات صفة لما هو المفعول اي أمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الله بدل من ذلك وعلى
كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذي من جملته
انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض
كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او انكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان الامن
بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اي امكروا فامن الذين مكروا الخ
• او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون • بغتة اي في حالة غفلتهم او من مأمنهم ومن حيث يرجون اتيان ما
يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين • او يأخذهم في تقلبهم • اي في حال تقلبهم في مسائرهم ومتاجرهم

فما هم بمعجزين • بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء اما للتعليل لاخذ او لترتب عدم
الاعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية
للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام • او يأخذهم على تخوف • اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالة التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ
وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف
عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان
قدرته سبحانه على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها • فان ربكم لرؤف رحيم • حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم
مع استحقاقكم لها • اولم يروا • استفهام انكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي
الم ينظروا ولم يروا متوجهين • الى ما خلق الله من شيء • اي من كل شيء • يتفيؤ ظلاله • اي ترجع شيئا فشيئا حسبما تقتضيه
ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتأنيث الفعل • عن اليمين والشمائل • اي الم يروا الاشياء التي
لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله • سجدا لله
حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى
في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى • وهم داخرون • اي صاغرون منقادون حال
من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من
جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها وباختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار من
من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد
والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من
الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما ولعل المراد بالموصول
الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف
مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب
منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدي من الشرق واقعة
على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدي من الغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود المخلوقات
الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة
بالارادة سواء كانت لها ظلال او لا فقيل • ولله يسجد • اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او
اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين • ما في السموات • قاطبة • وما في الارض • كائنا ما كان • من دابة • بيان لما في الارض وتقديمه لقلته
ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش
هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله • والملائكة • عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة
تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض
من الحفظة وغيرهم • وهم • اي الملائكة مع علو شانهم • لا يستكبرون • عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير
ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل يسجد مسندا الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك • يخافون ربهم • اي مالك
امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم • من فوقهم • اي يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله
تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له
وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته • ويفعلون ما يؤمرون • اي يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات
وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الجلالة وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره

سبحانه

سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مداورون بين الخوف والرجاء • وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخضعون لخضوع
والانقياد الطبعي والاجزي مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا بالله عز وجل اردف ذلك
بحكاية نهيه سبحانه وتعالى المكلفين عن الاشراك فقيل • وقال الله • عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل
وتخصيص لفظ الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه مطلق اتخاذ
الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال لجميع المكلفين • لا تتخذوا الهين اثنين • انما ذكر العدد
مع ان صيغة التثنية مغنية عنه للدلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله
بالوحدة في قوله تعالى • انما هو اله واحد • للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما
الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على ان
من الكنى في تحقيق [illegible] الملتفت عنه في الكلام [illegible] بالذكر على ذلك الوجه • فاياي
فارهبون • التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر
الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات
والارض • وله ما في السموات والارض • خلقا وملكا تقرير لعلة انحصار الرهبة فيه سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة
به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى • وله الدين • اي الطاعة والانقياد
واصبا • اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر ان الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله
الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر • افغير الله
تتقون • الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق اي اعقيب تقرر الشئون المذكورة من
تخصيص جميع الموجودات للسجود له تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين واصبا المستدعي
ذلك للتخصيص التقوي به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون فتطيعون • وما بكم • اي شيء يلابسكم ويصاحبكم حكم
من نعمة • اي نعمة كانت • فمن الله • فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى • ثم اذا مسكم الضر • مساسا
يسيرا • فاليه تجأرون • تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى
يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وذكر
المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد مدة من اوان
[illegible] النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام
[illegible] المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم
ايراد اذا دون ان للتوسل الى تحقق وقوع الجواب • ثم اذا كشف الضر عنكم • وكلمة ثم
للدلالة على تمادي زمان مساس ووقوع الكشف بعد مدة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما ترتب عليه من مفاجأة
الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه • اذا فريق منكم بربهم يشركون • فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال
ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل
اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن للتبعيض
ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران • ليكفروا بما آتيناهم
من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل • فتمتعوا • امر تهديد
والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة
والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد • فسوف تعلمون • عاقبة
امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف

ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعداداً لجناياتهم اي يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك
به عند كشفه لما لا يعلمون اي لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه
جهالة وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلاً وليس من شأنه
ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي
وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل اي لعدم علمهم والمجهول له محذوف للعلم بمكانه نصيباً مما
رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقرباً اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون
في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال
الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله
سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك وتعجب من جراءتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة
ولهم ما يشتهون من البنين وما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره والجملة حالية وسبحانه اعتراض
في حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل
بمعنى الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار او دام النهار كله مسوداً
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم ممتلئ حنقاً وغيظاً يتوارى
يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا
في امره محدثاً نفسه في شأنها ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد وتذكير الضمير
باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهوان والحقارة لله المتعالي
عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه
مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس لقوله تعالى تلك اذا
قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح
وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق
المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك
القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو
مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى
عما قالوه علواً كبيراً وهو العزيز المنفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل
كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم
بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم وهذا التصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه
من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة
اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا
منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت
في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة و
وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم
كي يتوالدوا او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة
الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون
اي لا يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار

في

في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فان من مات كافراً مع انه لا توبة له رأساً
قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس ويجعلون لله
اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع
وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اي يجعلون له تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب
وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب
وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اي حقاً ان لهم مكان ما
املوا من الحسنى النار التي ليس وراء عذابها عذاب وهي علم في السوء وانهم مفرطون اي مقدمون اليها
من افرطته اي قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد
وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي
فلا يكون ان ح من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما ناله من جنايات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم
الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اي قرينهم وبئس القرين اليوم اي يوم
زين لهم الشيطان فيه على طريق حكاية الحال الماضية وفي الدنيا او يوم القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم
معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير
عائدة الى مشركي قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي
امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اي القرآن
الا لتبين استئناف مفرغ من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اي للناس
الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل
لتبين اي للهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث
لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون
آثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء وهذا تكرير لما سبق تأكيداً لمضمونه وتوطئة لما
يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من التشويق الى المؤخر
فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اي يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب
العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اي انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به لآية
واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر
فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة واي عبرة تحار في دركها العقول وتهيم في فهمها
الفحول نسقيكم استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما في بطونه اي بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة
جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق كما ان تأنيثه في سورة
المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها او له على المعنى فان المراد به الجنس
وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما يبقى من العلف
في الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت
وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان وسطه يكون مادة اللبن واعلاه
مادة الدم الذي يغذو البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم
في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة
تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي

على الاعضاء بحسبها فتجري على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها
لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصبت ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض لمجاورته لحومها الغددية البيض فيتطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدايع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط
والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر
الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته فمن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق
من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض
لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه
التأخير يبعث للنفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف
لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد
الشوق والاستشراف للمؤخر كما في قوله تعالى هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع العبرة • خالصا • عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ من القدرة القاهرة الحاجزة عن
بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له • سائغا للشاربين • سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا
بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين • ومن ثمرات النخيل والاعناب • متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام
المنتظم لاعطاء المطعوم والمشروب فان المطعوم كما انه يشرب اي نطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما
وقوله تعالى • تتخذون منه سكرا • استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه وتكرير الظرف للتأكيد
او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام
كلمة من شايع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان
المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم • ورزقا حسنا • كالتمر والدبس والزبيب
والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة • ان في ذلك لآية
باهرة • لقوم يعقلون • يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل • واوحى ربك الى النحل • اي الهمها وقذف
في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين • ان اتخذي • اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز
ان تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل يذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتأنيث
لغة اهل الحجاز • من الجبال بيوتا • اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء • ومن الشجر ومما يعرشون
اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا
من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل
وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها • ثم كلي من كل الثمرات • من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها • فاسلكي
ما اكلت منها • سبل ربك • اي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك
او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذللا • جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي
اسلكي منقادة لما امرت به • يخرج من بطونها • استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله
تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت • شراب • اي عسل لانه مما يشرب واحتج به وبقوله تعالى كلي من
زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا ومن فسر البطون بالافواه زعم
انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء
كثير يكون عسلا • مختلف الوانه • ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل او الذي اخذت منه
العسل • فيه شفاء للناس • اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا وفيه

وغير

عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله عم فقال ان اخي يشتكي
بطنه فقال عم اسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال
وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رض العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في
الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقرآن • ان في ذلك • الذي ذكر من عجائب آثار قدرته تعالى
لآية عظيمة • لقوم يتفكرون • فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة
المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة
جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه جل جلاله • والله خلقكم • لما ذكر سبحانه من عجائب
احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاول سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب
والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة • ثم يتوفاكم
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبابا وشيوخا • ومنكم من يرد • قبل توفيه اي
يعاد • الى ارذل العمر • اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رض وتسعون سنة على ما نقل
عن قتادة رض وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه
رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي
يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة • لكيلا يعلم بعد علم • كثير • شيئا • من العلم او المعلوم او لكيلا يعلم
بعد علم بذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا • ان الله عليم • بمقادير اعماركم • قدير • على كل شيء
يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ • والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق • اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم افضل مما اعطى مماليككم • فما الذين فضلوا • فيه • على غيرهم
برادي رزقهم • الذي رزقهم اياه • على ما ملكت ايمانهم • على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية
فهم • اي الملاك والمماليك • فيه • اي في الرزق • سواء • اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف
ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما
يردون عليهم منه شيئا يسيرا بحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه
في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى
فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار
وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم
فانتم فيه سواء الآية • افبنعمة الله يجحدون • حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا
نعم الله تعالى الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم
الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على
الفعل اي يشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل انما انا الله
رازقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم
على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على تعليم المؤذن بذلك وما المفضلون
برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا
يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد وعلى
عن ابي ذر رض انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي

عبيده بعد ذلك الأوراد والوه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت ● والله جعل لكم من أنفسكم ● أي من جنسكم أزواجا
لتأنسوا بها ولتعيشوا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام ● وجعل
لكم من أزواجكم ● وضع الظاهر موضع المضمر للإيذان بأن المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره ● بنين
وبأن نتيجة الأزواج هو التوالد ● وحفدة ● جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت
وإليك نسعى ونحفد أي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم أولاد الأولاد وقيل البنات عبّر
عنهن بذلك إيذانا بوجه المنة فإنهن يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل أولاد المرأة من الزوج الأول وقيل
البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الأختان على البنات وتأخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر
من التشويق وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن لما مر من الإيذان من أول الأمر بعود منفعة الجعل إليهم إمدادا للتشويق
أي جعل لمصالحكم ولمنفعتكم مما يسكن إليه أزواجا وجعل لمنفعتكم من جهتهن مناسبة لكم بنين وحفدة ● ورزقكم من الطيبات
من اللذائذ أو من الحلالات ومن للتبعيض إذ المرزوق في الدنيا أنموذج لما في الآخرة ● أفبالباطل يؤمنون
وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى للعطف على مقدر أي أيكفرون
بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل والعدول إلى ما ذكر من نعمه تعالى بالباطل يؤمنون دون الله تعالى ● وبنعمة الله
التي الفائضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دائرة البيان ● هم يكفرون ● حيث يضيفونها إلى الأصنام وتقديم
الصلة على الفعل للاهتمام أو لإيهام الاختصاص مبالغة أو لرعاية الفواصل والالتفات إلى الغيبة للإيذان باستيجاب
حالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ● ويعبدون من دون الله ● عطف
على يكفرون داخل تحت الإنكار التوبيخي أي أيكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ● ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والأرض شيئا ● إن جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه أي لا يقدر على أن
يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الأرض نباتا وإن جعل اسما للمرزوق فنصبه على البدلية منه بمعنى قليلا ومن
السموات والأرض صفة لرزقا أي كائنا منهما ويجوز كونه تأكيدا لما لا يملك أي لا يملك شيئا من الملك
ولا يستطيعون ● أن يملكوه إذ لا استطاعة لهم رأسا لأنها موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز أن يكون للكفرة
على معنى أنهم مع كونهم أحياء متصرفين في الأمور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به ● فلا تضربوا لله الأمثال
والالتفات إلى الخطاب للإيذان بالاهتمام بشأن النهي أي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد إلى النهي
عن الإشراك به تعالى في شأن من الشؤون فإن ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة
أي لا تشبهوا بشأنه شأنا من الشؤون واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي
على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن أن يملك لهم من أقطار السموات
والأرض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الأزواج والأولاد ● إن الله
يعلم ● تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه أي أنه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وأنه في غاية العظم والقبح
وأنتم لا تعلمون ● ذلك ولو علمتموه لما فعلتموه أو أنه تعالى يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا آراءكم وقفوا في مواقف
الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهي ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم
لا تعلمون ذلك فتقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الأمثال في هذا الباب فقال
ضرب الله مثلا ● أي ذكر وأورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما أشركوا به وعلى
تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوا نداء جليا ● عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ● بدل من مثلا وتفسير له
والمثل في الحقيقة حالة عارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن
الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله تعالى وفيه إدماج أن الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والمأذون

الذين

لذين لهما التصرف في الجملة وفي إبهام المثل أولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ● ومن رزقناه
من موصوفة معطوفة على عبدا أي ورزقناه بطريق الملكية والالتفات إلى التكلم للإشعار باختلاف حالي ضرب المثل
والرزق ● منا ● من جنابنا الكبير المتعالي ● رزقا حسنا ● حلالا طيبا أو مستحسنا عند الناس مرضيا ● فهو ينفق منه
تفضلا وإحسانا والفاء لترتيب الإنفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فأنفق وإيثار ما عليه النظم
الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجددي ● سرا وجهرا ● أي حال السر والجهر
أو إنفاق سر وإنفاق جهر والمراد بيان عموم إنفاقه للأوقات وشمول إنعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والإشارة إلى أصناف
نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للإيذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال حرا
مالكا للأموال مع كونه أدل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بأن الأحرار أيضا تحت ربقة عبوديته
سبحانه وتعالى وأن مالكيتهم لما يملكونه ليست إلا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة
المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فإن العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك
فما ظنكم بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين ● هل يستوون ● جمع الضمير للإيذان بأن المراد بما ذكر من اتصف
بالأوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما أي هل يستوي العبيد والأحرار الموصوفون
بما ذكر من الصفات مع أن الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وأن ما ينفقه الأحرار ليس مما لهم دخل في
إيجاده ولا تملكه بل هو مما أعطاه الله تعالى إياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما
لا ذليل أذل منه وهو الأصنام ● الحمد لله ● أي كله له لأنه مولى جميع النعم لا يستحقه أحد غيره وإن ظهرت على أيدي
بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه إرشاد إلى ما هو الحق من أن ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع إلى
الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه ● بل أكثرهم لا يعلمون ● ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى إلى غيره ويعبدونه لأجلها ونفي العلم
عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وإنما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها و
أكثرهم الكافرون ● وضرب الله مثلا ● أي مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه أوضح وأظهر وبعد ما أبهم
ذلك لتتشوف النفس إلى وروده وتترقبه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل ● رجلين أحدهما أبكم ● وهو
من ولد أخرس ● لا يقدر على شيء ● من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغيره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء إدراكه
وهو كل ● ثقيل وعيال ● على مولاه ● على من يعوله ويلي أمره وهذا بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح نفسه بعد
ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى ● أينما يوجهه ● أي حيث يرسله مولاه في أمر بيان لعدم قدرته على إتمام
مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه ● لا يأت بخير
بنجح وكفاية مهم البتة ● هل يستوي هو ● مع ما فيه من الأوصاف المذكورة ● ومن يأمر بالعدل ● أي ومن هو منطيق فهم
ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل ● وهو ● في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام
للخاص والعام ● على صراط مستقيم ● ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لأنهما في حاق ما يقابلهما
فإن محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية ومحصل هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن
بأجمعها وتغيير الأسلوب حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملازمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين
بين القرينتين واعلم أن كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد
أن يقال إن الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما
على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ● ولله تعالى
خاصة لا لأحد غيره استقلالا ولا اشتراكا ● غيب السموات والأرض ● أي الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين
قاطبة بحيث لا سبيل لهم إليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الإضافة إليهما التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيهما حالا
أو مآلا وإما باعتبار الغيبة عن أهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة

لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب
في انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض • وما امر الساعة • التي هي اعظم ما وقع فيه
المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعها
من الغيوب المختصة به سبحانه وان كانت نفسها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما شانها في سرعة المجيء • الا كلمح البصر
اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها • او هو • اي بل امرها فيما ذكر • اقرب • من ذلك واسرع زمانا بان
يقع في بعض من آنات زمانه فان ذلك وان قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل
للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها الا كالشيء
الذي يستقرب فيقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة
بالاتيان • ان الله على كل شيء قدير • ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر الساعة
التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين و
تبديل صور الاكوان اجمع وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة
التاتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل
غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية
مضمون الجملة • والله اخرجكم من بطون امهاتكم • عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك
ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات
بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحد
قال امهتي خندف والياس ابي • لا تعلمون شيئا • في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا • وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة • عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو هو
الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم
والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر
الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب
وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب
لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن
لعلكم تشكرون • كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي
او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل • اولم يروا • وقرئ بالتاء
الى الطير • جمع طائر اي الم ينظروا اليها • مسخرات • مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة
له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب
للانسان والواقع هاهنا تسخير الهواء للطير يطير فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران
وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى • في جو السماء • اي في الهواء المتباعد من الارض
والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة • ما يمسكهن
في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن • الا الله • عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة
قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو حال من الضمير المستتر في مسخرات
او من الطير واما مستانف • ان في ذلك • الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة تتمكن بها منه
بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق
ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير • لآيات •

ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون بها • والله جعل لكم • معطوف على
ما مر وتقديم لكم على ما بعده من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى
وروده وقوله تعالى • من بيوتكم • اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم
في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق • سكنا • فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه
من غير ان تنتقل من مكانه اي جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط • تستخفونها • تجدونها خفيفة
سهلة المآخذ • يوم ظعنكم • وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين • ويوم اقامتكم •
وقت نزولكم في الضرب والبناء • ومن اصوافها واوبارها واشعارها • عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام
على وجه التنويع اي وجعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز • اثاثا • اي متاع البيت واصله
الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث • ومتاعا • اي شيئا يتمتع به بفنون التمتع • الى حين • الى ان تقضوا منه
اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل
والله جعل لكم مما خلق • من غير صنع من قبلكم • ظلالا • اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل و
وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة • وجعل لكم من الجبال اكنانا • مواضع تسكنون فيها
من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة • وجعل لكم سرابيل
جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها • تقيكم الحر • خصه بالذكر اكتفاء
بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر ولان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا • وسرابيل • من الدروع والجواشن
تقيكم باسكم • اي البأس الذي يصل الى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن وفي القدم امتن سبحانه علينا
حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدا بما يخص المقيمين حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام
آه ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأويه الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا آه ثم بما لا بد منه
لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل آه ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال • كذلك •
اي مثل ذلك الاتمام البالغ • يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون • اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة
والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد
النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من
العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع • فان تولوا • فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب
عنهم الى رسول الله تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات
فانما عليك البلاغ المبين • اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته
بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب • يعرفون نعمة الله • استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن
الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعمة الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله • ثم ينكرونها
بافعالهم حيث يعبدون من غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد عليه السلام
عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة
الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال
البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليس كذلك لقوله سبحانه
واكثرهم الكافرون • اي المنكرون بقلوبهم غير معترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث
الكمية لا ينافي كمال المعرفة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان
العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر • ويوم نبعث من كل امة شهيدا •

يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار إذ لا عذر لهم
وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الإقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون أشد
من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام ولا هم يستعتبون يسترضون أي لا يقال لهم أرضوا ربكم إذ
الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم يوم نبعث الخ أو يوم نبعث يحيق بهم
ما يحيق مما لا يوصف وكذا قوله تعالى وإذا رأى الذين ظلموا العذاب الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون أي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم
الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الأوثان أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي والضلال
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك أي نعبدهم أو نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع
العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فألقوا أي شركاؤهم إليهم القول إنكم لكاذبون فإن تكذيبهم
إياهم فيما قالوا ليس إلا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لأن الأوثان
ما كانوا راضين بعبادتهم لهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن يعنون
أن الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله سبحانه من الشريك
والشياطين وإن كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والإلجاء كما قال إبليس وما
كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل إنما عبدتم أهواءكم وألقوا
أي الذين أشركوا إلى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا
وضل عنهم أي ضاع وبطل ما كانوا يفترون من أن لله سبحانه شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك
حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في أنفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الإسلام
والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت
وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفا وقيل يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون
من شدة البرد إلى النار بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم أي زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد
وهو الصد المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل أمة شهيدا عليهم أي نبيا من أنفسهم
من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم إشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم وجئنا بك إيثار
لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الأمم وشهدائهم
كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على أمتك والعامل في الظرف محذوف
كما مر والمراد به يوم القيامة ونزلنا عليك الكتاب الخ في الكتابة تحقيق بأن يخص ب اسم الجنس وهو إما استئناف
أو حال بتقدير قد تبيانا بليغا لكل شيء يتعلق بأمور الدين ومن جملة ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم فيكون
كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما أخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا
عليهم عليه السلام والتبيان كالتلقاء في كسر أوله وكونه تبيانا لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصا على بعضها وإحالة
لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الإجماع وقد رضي رسول
الله عليه السلام لأمته باتباع أصحابه حيث قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد
فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب ولم يضرنا في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فإن
المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد إنه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده
ومنه قوله سبحانه وتعالى وما للظالمين من أنصار وهدى ورحمة للعالمين فإن حرمان الكفرة من مغانم آثاره
من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة أو يكون كل ذلك خاصا بهم لأنهم المنتفعون بذلك
إن الله يأمر أي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد

والاستمرار

والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة
العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين
الخلاعة والخمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أن العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين
الجبر والقدر ومن الحكمة العملية التعبد بأداء الواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط
بين البخل والتبذير والإحسان أي الإتيان بما أمر به على الوجه اللائق وهو إما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل
أو بحسب الكيفية كما يشير إليه قوله عليه السلام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وإيتاء
ذي القربى أي إيتاء الأقارب ما يحتاجون إليه وهو تخصيص إثر تعميم اهتماما بشأنه وينهى عن الفحشاء
الإفراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا أو عقلا من الإفراط في إظهار آثار القوة
الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية
التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر إلا وهو مندرج في هذه
الأقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر
ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يأمر وينهى وهو إما استئناف
وإما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لأن تتعظوا بذلك وأوفوا بعهد الله هو البيعة
لرسول الله عليه السلام فإنها مبايعة لله سبحانه لقوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله إذا عاهدتم أي
أي حافظوا على حدود ما عاهدتم الله وعليه بايعتم به رسوله عليه السلام ولا تنقضوا الأيمان التي تحلفون بها عند المعاهدة
بعد توكيدها حسبما هو المعهود في أثناء العهود لا على أن يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا رقيبا فإن الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه إن الله يعلم ما تفعلون من نقض الأيمان
والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها أي ما غزلته مصدر
بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت أي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد إبرامه وإحكامه أنكاثا
طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها أو على أنه مفعول ثان لنقضت فإنه بمعنى صيرت والمراد
تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت
مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر
ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون أيمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا أو في الجار والمجرور الواقع
موقع الخبر أي مشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم وأصل الدخل ما يدخل الشيء
ولم يكن منه أن تكون أمة بأن تكون جماعة هي أربى أزيد عددا وأوفر مالا من أمة من جماعة
أخرى أي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فإنهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي
حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم إنما يبلوكم الله به أي بأن تكون أمة أربى من أمة أي يعاملكم بذلك
معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم
وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم بأعمالكم
ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر وإلجاء لجعلكم أمة واحدة متفقة على الإسلام ولكن لا يشاء
ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل يضل من يشاء إضلاله أي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره التحري إليه
ويهدي من يشاء هدايته حسبما يصرف اختياره إلى تحصيلها ولتسألن جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون
في الدنيا وهذا إشارة إلى ما يوجب من الكسب الذي عليه يدور أمر الهداية والضلال ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم
تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه فتزل قدم عن محجة

الحق * بعد ثبوتها * عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة اى قدم
كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة * وتذوقوا السوء * اى العذاب الدنيوى * بما صددتم
بصدودكم او بصدكم غيركم * عن سبيل الله * الذى ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل
ذلك سنة لغيره * ولكم * فى الآخرة * عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله * اى لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى
وبيعة رسول الله عم او اياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان * ثمنا قليلا * اى لا تستبدلوا بها عوضا
يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا * ان ما عند الله
عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروى * هو خير لكم * مما يعدونكم * ان كنتم تعلمون * اى ان كنتم من اهل العلم
والتمييز وهو تعليل للنهى على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى * ما عندكم * الخ تعليل للخيرية بطريق الاستئناف اى ما تتمتعون به
من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا * ينفد * وان جم عدده * وينقضى وان طال امده * وما عند الله
من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية * باق * لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة
بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات الصالحات وفى ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على
على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى * ولنجزين * بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى
ان ما عند الله هو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر الحال
من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء اى والله لنجزين
الذين صبروا * على اذية المشركين ومشاق الاسلام التى من جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات
اجرهم * مفعول ثان لنجزين اى لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة * باحسن ما كانوا
يعملون * اى لنجزينهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما فى قوله سبحانه
وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى
اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة
الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطى الاجر بحسب افرادها المتفاوتة فى مراتب الحسن بان نجزى الحسن منها بالاجر الحسن
والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم فى تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه فى سلك الصبر
الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا
كالمحرمات والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث
على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب فى تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض اعمالهم عن مدار
الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة فى مقام توسيع حماها * من عمل صالحا * اى عملا صالحا اى عمل كان وهذا شروع فى
تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم فى الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص ودفعا لتوهم
اختصاص الاجر الموفور بهم وبعملهم المذكور وقوله تعالى * من ذكر او انثى * مبالغة فى بيان شموله للكل * وهو مؤمن
قيده به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه فى سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح
فلنحيينه حيوة طيبة * فى الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة
والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا
فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه * ولنجزينهم * فى الآخرة * اجرهم باحسن
ما كانوا يعملون * حسبما نفعل بالصابرين فليس فيه شائبة تكرار والجمع فى الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب
المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع
المناسب للجمعية ووقوع ما فى حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد * واذ قد انتهى الامر

الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب
الفساد فقيل * فاذا قرات القرآن * اى اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب
ايذانا بان المراد هى الارادة المتصلة بالقراءة * فاستعذ بالله * فاسأله عز جاره ان يعيذك * من الشيطان الرجيم
من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلعم وتخصيص قراءة القرآن من بين الاعمال الصالحة
بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عم وفى سائر الاعمال الصالحة اهم فانه عم حيث امر بها عند قراءة القرآن
الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عم وفيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وعند
عطاء للوجوب وهذا مذهب الجمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضى الله عنه
ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضه قرات على رسول الله صلى الله عم فقلت اعوذ بالسميع
العليم من الشيطان الرجيم فقال عم قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرائيل عم عن القلم عن اللوح المحفوظ
انه * الضمير للشأن او للشيطان * ليس له سلطان * تسلط وولاية * على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون *
اى اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون فى كل ما يأتون وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة
عندهم وايثار صيغة الماضى فى الصلة الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال فى الثانية لافادة
الاستمرار التجددى وفى التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين وبالجملة تعليل للامر بالاستعاذة
او لجواب الامر اى يعيذك او نحوه * انما سلطانه * اى تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر
والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى
وقد افصح عنه قوله تعالى * على الذين يتولونه * اى يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته ويطيعونه فان المعتبر هو التولى
من ذلك * والذين هم به * سبحانه وتعالى * مشركون * او بسبب الشيطان مشركون اذ هو الذى حملهم على الاشراك
بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله
تعالى وبين تولى الشيطان وان كان بينهما واسطة فى المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان
من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية
فى الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددى كما ان اختيار الجملة الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير
الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه
وتقديم الاولى على الثانية التى هى بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله
تعالى ولو روعى الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها * واذا بدلنا آية مكان آية * اى اذا انزلنا آية
من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها بها * والله اعلم بما ينزل * اولا وآخرا وبان كلا من ذلك
ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة فى وقت
تنقلب فى وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد فى المعاش
والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم وفى الالتفات الى الغيبة مع
اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف
من الانزال * قالوا * اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ * انما انت مفتر * اى متقول على الله تعالى تأمر بشئ ثم يبدو
لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم
بل اكثرهم لا يعلمون * اى لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان فى النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر
لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا * قل نزله * اى القرآن المدلول عليه بالآية * روح القدس *
يعنى جبرائيل عم اى الروح المطهر عن الادناس البشرية واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود

حيث قيل خاتم الجود والمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بأن التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكمة البالغة ● من ربك ● في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه عم ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض ● بالحق ● اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ● ليثبت الذين آمنوا ● على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال ● وهدى وبشرى للمسلمين ● المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ● ولقد نعلم انهم يقولون ● غير ما نقل عنهم من الشناعات الشنعاء ● انما يعلمه ● اي القرآن ● بشر ● على طريق البت مع ظهور انه نزله روح القدس عم وتحلية الجملة بفنون التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطائهم ليس بنسبته عم الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عم معدنا لعلوم الاولين والآخرين ● لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ● الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة الرجل الذي يميلون اليه القول من الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف اللسان ● وهذا ● اي القرآن الكريم ● لسان عربي مبين ● ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم ● ان الذين لا يؤمنون بآيات الله ● اي لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر ● لا يهديهم الله ● الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ● ولهم ● في الآخرة ● عذاب اليم ● وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله ونسبة رسول الله عم الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبههم ورد طعنهم وقوله تعالى ● انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ● رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقته الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة ● واولئك ● الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بآيات الله ● هم الكاذبون ● على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ● من كفر بالله ● اي تلفظ بكلمة الكفر ● من بعد ايمانه ● به تعالى

وهو

وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم ● الا من اكره ● على ذلك بامر يخاف على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يعم القول كما اشير اليه وقوله تعالى ● وقلبه مطمئن بالايمان ● حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ● ولكن من ● لم يكن كذلك بل ● شرح بالكفر صدرا ● اي اعتقده وطاب به نفسا ● فعليهم غضب ● عظيم لا يكتنه كنهه ● من الله ● اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ● ولهم عذاب عظيم ● اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضمير من المجرورين لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عم وهو يبكي فجعل رسول الله عم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنها اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عم قال رسول الله قال فما تقول في قال فانت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد صلى الله عم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلثا فاعاد جوابه فبلغ رسول الله صلى الله عم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق ● ذلك ● اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور ● بانهم ● بسبب انهم ● استحبوا الحيوة الدنيا ● آثروها ● على الآخرة وان الله لا يهدي ● الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والجاء ● القوم الكافرين ● في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى ● اولئك ● اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح ● الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ● فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه ● واولئك هم الغافلون ● اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب ● لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ● اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد ● ثم ان ربك للذين هاجروا ● الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رض اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة ● من بعد ما فتنوا ● اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ● ثم جاهدوا ● في سبيل الله تعالى ● وصبروا ● على مشاق الجهاد ● ان ربك من بعدها ● من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم ● لغفور ● لما فعلوا من قبل ● رحيم ● ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين ايماء الى علة

الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عليه الصلوة والسلام
واشعار بان افاضة اثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته عليه السلام وكونهم اتباعا له • يوم تأتي كل نفس
منصوب برحيم او بما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين • تجادل عن نفسها
عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسي نفسي • وتوفى كل نفس • اي تعطى وافيا
كاملا • ما عملت • اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والافعال
وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد
وهم لا يظلمون • لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم • وضرب الله
مثلا قرية • قيل ضرب المثل صنعه واعتماده وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما
عدي الى اثنين لتضمنه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب
عليها اذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب اطراف النظم وتجاوبها ولان تأخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا
لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو
مثل فيتمكن المؤخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل
مكة خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة دخولا
اوليا • كانت آمنة • ذات امن من كل مخوف • مطمئنة • لا يزعج اهلها مزعج • يأتيها رزقها • اقوات اهلها
صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها امنة مطمئنة ثابت مستمر • رغدا
واسعا • من كل مكان • من نواحيها • فكفرت • اي كفر اهلها • بانعم الله • اي بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد
بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان
بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة • فاذاقها الله • اي اذاق اهلها
لباس الجوع والخوف • شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه
واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة
على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء
اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في
المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما
من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس لمناسب الخوف بجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول
بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي
اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة
والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على
اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه
ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف • بما كانوا يصنعون • فيما قبل او على وجه
الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة
عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة • ولقد جاءهم
من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة
لحجة الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية • رسول منهم • اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم
بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما يأتون وما يذرون • فكذبوه • في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء
فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تلعثم • فاخذهم العذاب • المستأصل لشأفتهم غب ما ذاقوا مرارة

من ذلك

من ذلك • وهم ظالمون • اي حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله
غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد
معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية
حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس
من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول تحار في
ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله
لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه بقوله اللهم اعن عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة
حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت
عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم
يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير
من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله
وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه • فكلوا مما رزقكم الله •
مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب
رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول
صلى الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا مما
رزقكم الله حال كونه • حلالا طيبا • وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها • واشكروا نعمة الله • واعرفوا
حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما دخلت على الامر بالاكل لكون الاكل
ذريعة الى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في
ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستأصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه وبعد ما وقع ما وقع من
زال الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك
قبل الوقوع يأباه التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه
من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما فعله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل • ان كنتم اياه تعبدون • اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته تعالى • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم
اي انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها • فمن اضطر • بالجاء من الضرورة
فتناول شيئا من ذلك • غير باغ • اي على مضطر آخر • ولا عاد • اي متجاوز قدر الضرورة • فان ربك
غفور رحيم • اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي
الاضافة الى ضميره عليه السلام اظهار لكمال اللطف به عليه السلام وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما
ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال • ولا تقولوا لما تصف
السنتكم • اللام صلة مثلها في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي لا تقولوا في شأن ما تصفه
السنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتيب
ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن استناده الى وحي وقياس مبني عليه • الكذب • منتصب بلا تقولوا
وقوله تعالى • هذا حلال وهذا حرام • بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف
السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون القول المقدر حالا من السنتكم اي قائلة هذا حلال الخ ويجوز

ان ينتصب الكذب بتصف ويتعلق بهذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اى لا تقولوا هذا
حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة
مستحسنة وتزيينه فى المسامع كأن السنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته
يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه
تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد
بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى
الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جنى لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل
والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه
واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب فى امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم
التى ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة
ولهم فى الآخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين
حرمنا ما قصصنا عليك اى بقوله تعالى حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل
متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل ابطال لما يخالفه من فرية اليهود وتكذيب لهم فى ذلك
فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا
وما ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ولقد الهمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه عليه السلام لما قال لهم
ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة
وتشديدا ووضح بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة
اى بسبب جهالة وملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء
على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اى من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة
واصلحوا اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا فى الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض
لوصف الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة
على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة فى امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم
فى واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقى ولا تذر
وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عم كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل
هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته
كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عم عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة
وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله
مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين
فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لارد على كفار قريش فقط فى قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم
بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله فى افترائهم وادعائهم انه عم كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا
لانعمه صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع القلة للايذان بانه عم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح

بكونه

بكونه عم على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل اجتباه للنبوة
وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام
بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه فى الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء
فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هى الخلة والنبوة وقيل قول المصلين منا كما صليت
على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عم وانه فى الآخرة لمن الصالحين
اصحاب الدرجات العالية فى الجنة حسبما سأله بقوله والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى
من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم
لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار
الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهى مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به
يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبى عم ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد
الامة ولا تستعمل الا فى جملة الشرائع دون آحادها والمراد بملته عم الاسلام الذى عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم
حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت
وجه هند قائمة والمأمور به الاتباع فى الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما فى ثم من التراخى فى
الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عم وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تأكيد
وتقرير لنزاهته عم عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه انما جعل السبت اى فرض تعظيمه والتخلى فيه للعبادة
وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفى الكلى وتوضيح له بابطال ما عسى يوهم كونه قادحا فى كليته حسبما سلف فى قوله تعالى
وعلى الذين هادوا حرمنا الآية فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم عم كان محافظا
عليه اى ليس السبت من شعائر شريعته وشعائر ملته التى امرت باتباعها حتى يكون بينه عم وبين بعض المشركين علاقة
فى الجملة وانما شرع ذلك لبنى اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان
بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصلا
بكلمة على وعبر عنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد و
الابتلاء المؤدى الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم فى شأنه قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى به واختيار العكس
لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفى الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف
المخالف للحق وذلك ان موسى عم امر اليهود ان يجعلوا فى الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة
فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة
فاذن الله تعالى لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون و
اعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعون وان ربك ليحكم بينهم اى بين
الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اى يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازى كل فريق
بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع فى الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع
فى الآخرة شئ لا يعتد به هذا هو الذى يستدعيه الاعجاز التنزيلى وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على
الذين اختلفوا فيه اى احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر الله تعالى به
وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين
من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التى كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب فى ان كلمة
بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار المذكور بين
حكاية امر النبى صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عم وبين امره صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه

قائل • ادع • اى من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما فى قولهم يعطى ويمنع اى يفعل
الاعطاء والمنع فحذفه للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غنى عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها
على وجه مخصوص • الى سبيل ربك • الى الاسلام الذى عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابرهيم عليه السلام
وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشئ الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير النبى عم
فى مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به صلى الله عم
والايعاز الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى • بالحكمة • اى بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة
والموعظة الحسنة • اى الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى
لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد فانه جامع لكلا
الوصفين • وجادلهم • اى ناظر معانديهم • بالتى هى احسن • بالطريقة التى هى احسن طرق المناظرة والمجادلة من
الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عم
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله • الذى امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم
والمواعظ والعبر • وهو اعلم بالمهتدين • اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك فى
الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال
من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلى فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى يقتضيه الحكمة فانه كاف فى هداية المهتدين
وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة
عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدى اليه فيجازى كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان
مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة
وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذى هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جئ
على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال المعلومين ومآلهما من العقاب والثواب
وبعد ما امره عم فيما يختص به من شان الدعوة بما امره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن تابعه فيما يعم الكل فقال
وان عاقبتم • اى اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمى ان اكلت فكل قليلا • فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
اى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود
ايجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين مآل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور
بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهى موجبة لصرف الوجوه عن القبلة المعبودة وادخال الاعناق فى قلادة غير معهودة
قاضية عليهم بفساد ما ياتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت
بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم
لما راى حمزة رضى الله عنه يوم احد قد مثل به قال لان اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين عنه والامر وان دل على اباحة
المماثلة فى المثلة من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وان عاقبتم حثا على العفو تعريضا وقد صرح على الوجه الاكد فقيل
ولئن صبرتم • اى عن المعاقبة بالمثل • لهو • اى لصبركم ذلك • خير • لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل
للصابرين • مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر
المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم فى جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عم صريحا بما ندب اليه
غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشئونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل • واصبر
اى على ما اصابك من جهتهم من فنون الالام والاذية وعاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية • وما صبرك الا بالله
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما صبرك ملابسا ومصحوبا بشئ من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق

فى مراقبة شئونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عم وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه
او الا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه
ومعونته فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط • ولا تحزن عليهم • اى على الكافرين بوقوع اليأس من ايمانهم
ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم
الكريم • ولا تك فى ضيق • بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان كالقول والقيل اى لا تكن فى ضيق صدر وحرج
ويجوز ان يكون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اى فى امر ضيق • مما يمكرون • اى من مكرهم بك فيما يستقبل
فالاول نهى عن التألم لمطلوب من قبلهم فات والثانى عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهى عنهما مع انتفائهما
من لوازم الصبر المامور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بشان التسلية والا فهل
يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شئ من مطلوب فينهى عن الحزن
بفواته ومحذور فيكف عن الخوف من وقوعه • ان الله مع الذين اتقوا • تعليل لما سبق من الامر والنهى والمراد
بالمعية الولاية الدائمة التى لا تحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة
مع من متبوعية المتقين انما هى من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال فى قوله سبحانه ان الله مع الصابرين
ونظائرها كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك ومرتبة التجنب عن
كل ما يؤثم من فعل وترك اعنى التنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقى المورث
لولايته تعالى المقرونة ببشارته فى قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله ولى الذين
تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته
او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر المامور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما فى قوله
تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد التفسيرين كما حقق فى مقامه والا فمجرد التوقى عن المعاصى لا يكون مدارا
لشئ من العزائم المرخص فى تركها فكيف بالصبر المشار اليه ودقيقه وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل ان الله مع الذين
صبروا وانما اوثر عليه ما فى النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر بالتنبيه على انه من خصائص اجل النعوت الجليلة وروادفها
كما ان قوله تعالى • والذين هم محسنون • للاشعار بانه من باب الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون على ما
نقل ان ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان
فى قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى
هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين فى ولايته سبحانه من غير ان يكون احديهما تتمة للاخرى
وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان
التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عليه السلام داخل فى زمرتهم
دخولا اوليا واما هو عليه السلام ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجليلين وفيه رمز
الى ان صنيعه عم مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضى الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك
صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس • عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاحتضار اوص قال انما الوصية من المال
واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه فى دار
الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية والحمد لله وحده

سورة الاسرى مائة وعشر واحدى آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده • سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجب الاختصاص لم تكن
اضافته من قبيل ما في زيد المعارك وحاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان آه وفيه ما لا يخفى من
الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب الابعاد في الارض ومنه فرس سبوح
اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما
وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه
ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه
وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى • ليلا • لافادة قلة زمان الاسراء
بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا
كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد
استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان
بتمحضه عليه السلام في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به
مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف فان
ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين • من المسجد الحرام • اختلف في مبدأ الاسراء
فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين
النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته
بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هانئ
بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما اراد قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم
قال عليه السلام وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن
لوي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال
الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك
فسمي الصديق فكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع
طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت
فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد عليه السلام ثم لم يؤمنوا فانى يؤفكون واختلف
في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في المنام
فعن الحسن انه كان في المنام فاكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف
ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس
في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجب منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه
قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع
طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في
قبول الاعراض التي من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك
الحركة بل اسرع منها في جسد النبي عليه السلام او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة • الى المسجد الاقصى • اي بيت
المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى • الذي باركنا حوله
ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام • لنريه • غاية للاسراء • من آياتنا • العظيمة

التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات
وقرئ ليريه بالياء • انه هو السميع • لاقواله عليه السلام بلا اذن • البصير • بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه
ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عليه السلام ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله
وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة • وآتينا موسى الكتاب • اي التوراة
وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر
ههنا العروج بالنبي عليه السلام الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول
السامعين اي آتيناه التوراة بعد ما اسرينا به الى الطور • وجعلناه • اي ذلك الكتاب • هدى لبني اسرائيل
يهتدون بما في تضاعيفه • ان لا تتخذوا • على ان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان
مصدرية والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا • من دوني وكيلا • اي ربا تكلون اليه اموركم
والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى • ذرية من حملنا مع نوح • نصب على الاختصاص او النداء على
قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه السلام
او على انه مفعول لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو
مذهب بعض البغادة وقرئ ذرية بكسر الذال • انه • اي ان نوحا عليه السلام • كان عبدا شكورا • كثير الشكر في مجامع
حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو
اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير لموسى عليه السلام • وقضينا • اي اعلمنا واخبرنا مبرما • الى بني اسرائيل • او موحين
اليهم • في الكتاب • اي في التوراة فان الانزال والوحي الى موسى عليه السلام انزال ووحي اليهم • لتفسدن في الارض
جواب قسم محذوف ويجوز اجراء القضاء المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن • مرتين • مصدر والعامل فيه
من جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعياء عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية قتل زكريا ويحيى
وقصد قتل عيسى عليهم السلام • ولتعلن علوا كبيرا • لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن الناس بالظلم والعدوان
وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود • فاذا جاء وعد اولاهما • اي اولى كرتي الافساد اي حان وقت
حلول العقاب الموعود • بعثنا عليكم • لمؤاخذتكم بجناياتكم • عبادا لنا • وقرئ عبيدا لنا • اولي بأس شديد
ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنجاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر عامل لهراسب وقيل جالوت
• فجاسوا • اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا • خلال الديار • في اوساطها للقتل
والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك
من قبيل تولية بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة الالهية • وكان • ذلك • وعدا مفعولا • لا محالة بحيث
لا صارف عنه ولا مبدل • ثم رددنا لكم الكرة • اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة
حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد والعلو وقيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسارهم واموالهم ورجوع
الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسب القى الله تعالى في قلبه الشفقة
عليهم فرد اساراهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل
داود عليه السلام لجالوت • وامددناكم باموال • كثيرة بعد ما نهبت اموالكم • وبنين • بعد ما سبيت اولادكم • وجعلناكم
اكثر نفيرا • مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب
الى العدو كالعبيد والمعيز • ان احسنتم • اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه
اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان • احسنتم لانفسكم • لان ثوابها

لها ● وان اسأتم ● اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي او فعلتم الاساءة ● فلها ● اذ عليها
وبالها وعن علي كرم الله تعالى وجهه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاهما ● فاذا جاء وعد الآخرة ● حان وقت ما
وعد من عقوبة المرة الآخرة ● ليسوؤا وجوهكم ● متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم ليسوؤا ومعنى ليسوؤا
وجوهكم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير
لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله تعالى عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن
بالنون الخفيفة ولنسوءن واللام في قوله تعالى ● وليدخلوا المسجد ● عطف على ليسوؤا متعلق بما تعلق هو به ● كما دخلوه
اول مرة ● اي في اول مرة ● وليتبروا ● اي يهلكوا ● ما علوا ● ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم ● تتبيرا
فظيعا لا يوصف بان سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل
جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال لم تصدقوني فقتل عليه الوفا فلم يهدأ الدم ثم قالوا ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم
يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك
فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي منهم احدا فهدأ ● عسى ربكم ان يرحمكم ● بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى
وانزجرتم عما كنتم عليه من المعاصي ● وان عدتم ● الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى ● عدنا ● الى عقوبتكم ولقد عادوا
فاعاد الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن عادوا
فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله ● وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا
على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ● ان هذا القرآن ● الذي آتيناكه ● يهدي ● اي الناس
كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى ● للتي ● للطريقة التي ● هي اقوم ● اي اقوم الطرائق
واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور
بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية من رواد فيها والمراد بهدايته لها كونه بحيث
يهتدي اليها من يتمسك به لا لتحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حينئذ ● ويبشر المؤمنين ● بما في تضاعيفه
من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف ● الذين يعملون الصالحات ● التي شرحت فيه ● ان لهم ● اي بان لهم بمقابلة
تلك الاعمال ● اجرا كبيرا ● بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات ● وان الذين لا يؤمنون بالآخرة ● واحكامها
المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به
لمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل ● اعتدنا لهم عذابا اليما ● وهو عذاب جهنم اي اعتدنا
لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع
وافجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجاز مطلق
الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويجوز
كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم ● وقوله تعالى ● ويدع الانسان بالشر
بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض
افراده او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر
الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب
المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم ومن قال فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه
الموجبة له مجازا كما هو دين كلهم ● دعاءه بالخير ● اي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه

رمز الى انه اللائق بحاله ● وكان الانسان ● اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده ● عجولا ● يسارع الى
طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير
حمل الدعاء على اعمالهم يحمل العجولية على اللج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو
الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو الله تعالى لنفسه واهله وماله بما هو شر وكان الانسان
بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا فاقلت كتافه رحمة
لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبرت النبي عليه السلام قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة
فقال عليه السلام اني سألت الله تعالى ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا
وكان الانسان عجولا غير مستبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة
منه ● وجعلنا الليل والنهار آيتين ● شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال
بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور
وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهداية التكوينية لكن الاخبار بذلك
من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهداية وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه
تظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية
آية النهار عليها بلا واسطة اي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة
يحار في فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم
من ملة الاسلام والتوحيد ● فمحونا آية الليل ● الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود اي محونا
الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم تكن
كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي انشأهما كذلك والفاء تفسيرية
لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته
● وجعلنا آية النهار ● اي الآية التي هي النهار على نحو ما مر ● مبصرة ● مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال
[illegible]
[illegible] ● لتبتغوا ● متعلق بقوله تعالى
[illegible] ● فضلا من ربكم ● [illegible]
[illegible]
[illegible] ● ولتعلموا ● متعلق بكلا الفعلين [illegible]
[illegible] ● عدد السنين
[illegible] ● والحساب ● [illegible]
[illegible]

منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاء بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شيء
كذلك وعلما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليه العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه
تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب لا تعد
من العشرات والمئات والالوف اعتبارى الجدى في تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا
وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين
علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكر نازل من الحساب المعتبر
فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان وآيتا به
اعلم • وكل شيء • تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع الدينية
والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى • فصلناه تفصيلا • اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه
كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا • وكل انسان • مكلف • الزمناه
طائره • اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة الازلية
حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا • في عنقه • لتصوير شدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله
بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون • ونخرج له • بنون العظمة
وقد قرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج • يوم القيمة
والبعث للحساب • كتابا • مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاولين وحال من المفعول
المحذوف الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر • يلقاه • اي يلقى الانسان او يلقاه الانسان
منشورا • وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن
بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما
الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة
اقرا كتابك • اي قائلين له ذلك عن قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب
نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا وشرا يحدث منه في جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى
ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته
لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول
الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة • كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا • اي كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم
بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب
والكفاية مما يتولاه الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس المذكر كقول جبلة بن حريث
يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير • من اهتدى فانما يهتدي لنفسه • فذلكة لما تقدم
من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه
من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد • ومن ضل
عن الطريقة التي يهديه اليه • فانما يضل عليها • اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن لم يباشره حتى يمكن
مفارقة العمل صاحبه • ولا تزر وازرة وزر اخرى • تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى
يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله
عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل

الغير

الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة
والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال
وانما خص التاكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على
اسلافهم الذين قلدوهم • وما كنا معذبين • بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال
باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام
منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا
من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل • حتى نبعث • اليهم • رسولا • يهديهم الى الحق ويردعهم
عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب
الاستئصال كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي
وهو من افراده وايا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف
والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل بعده الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى
الى قوم نوح كيف تاخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة • وقوله تعالى • واذا اردنا ان نهلك قرية • بيان لكيفية
وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنها المراد
ولا الارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها الجزاء الآتي بل دنو وقتها كما في قوله
[illegible] واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكر من عذاب الاستئصال الذي
بينا انه لا يصح منا قبل البعثة او بنوع ما ذكرنا من مطلق العذاب اعني عذاب الاستئصال لما لهم من الظلم
والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين • امرنا • بالطاعة على لسان الرسول المبعوث الى اهلها • مترفيها
متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان
توجه الامر اليهم اكد وعدم التعرض للمأمور به [illegible]
هداية القرآن لما هي اقوم [illegible] • ففسقوا فيها • اي خرجوا
عن الطاعة وتمردوا • فحق عليها القول • اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم وانهماكهم فيها
• فدمرناها تدميرا • لا يكتنه كنهه ولا يوصف [illegible] وقيل الامر مجاز من الحمل
على الفسق والتسبب له [illegible]
[illegible] ويعضده قراءة آمرنا وامرنا
من الافعال والتفعيل [illegible] مقام الزجر عن الضلال والحث
على الاهتداء [illegible]
على الفسق [illegible] • وكم اهلكنا • اي كثيرا ما اهلكنا • من القرون • بيان لكم
وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او اربعون او ثمانون او مائة [illegible]
[illegible] • من بعد نوح • [illegible]
كعاد وثمود [illegible] • وكفى بربك • [illegible]
[illegible] • بذنوب عباده خبيرا بصيرا • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • من كان يريد • [illegible]

بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة
العاجلة • فقط من غير ان يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على
الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان
يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب
بقوله تعالى • عجلنا له فيها • اي في تلك العاجلة فان الحيوة واستمرارها من جملة ما عجل له فلا يناسب بذلك كلمة
من كما في قوله تعالى ومن يريد ثواب الدنيا نؤته منها • ما نشاء • اي ما نشاء تعجيله من نعيمها لا كل ما يريد • لمن نريد
تعجيل ما نشاء وهو بدل من الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء و
تقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التي عليها يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل
طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترائ من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير
الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى • ثم جعلنا له • مكان ما عجلنا له • جهنم • وما فيها من اصناف
العذاب • يصليها • يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف • مذموما مدحورا • مطرودا
من رحمة الله تعالى وقيل الآية المنافقين كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال ان السورة مكية سوى آيات معينة • ومن اراد • باعماله • الآخرة • الدار
وما فيها من النعيم المقيم • وسعى لها سعيها • اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب
بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص • وهو مؤمن • ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه
وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة • فاولئك • اشارة الى الموصول
بعنوان اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة
جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع الجامعون لما مر من الخصال الحميدة
اعني ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان • كان سعيهم مشكورا • مقبولا عند الله تعالى بحسن القبول مثابا
عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه اشعار بانه العمدة فيها • كلا • التنوين عوض عن المضاف اليه
اي كل واحد من الفريقين لا الفريق الاخير المريد للخير الحقيقي بالاسعاف فقط • نمد • اي نزيده مرة بعد مرة بحيث
يكون الآنف مددا للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة
المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف
عليه وقوله تعالى • هؤلاء • بدل من كلا • وهؤلاء • عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم
فان الاشارة متعرضة لذات المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين
للمضاف اليه المحذوف ودفع التوهم كونه افراد الفريق الاخير تأكيدا للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى
من عطاء ربك • اي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان
الامداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل • وما كان عطاء ربك • اي دنيويا كان
او اخرويا وانما اظهر اظهارا لمزيد الاعتناء بشأنه اشعارا بعليته للحكم • محظورا • ممنوعا ممن يريده بل هو فائض
على من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكافر وهو في معنى التعليل لشمول
الامداد للفريقين مع التعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر
• انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض • كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم
محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الآخر اي انظر بنظر
الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع و

ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد
بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى • وللآخرة اكبر • اي هي وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر
درجات واكبر تفضيلا • لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وفيها
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل
القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم اليها بالذكر من تعرض لبيان
النسبة بينها وبين الفريق الثاني اي ارادته لها فقط من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي
محظورا من احد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما
وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يختصه
من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم الاختصاص للامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق
في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه • لا تجعل مع الله الها آخر • الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل احد ممن يصلح للخطاب • فتقعد • بالنصب جوابا للنهي والقعود
بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز عنه • مذموما
مخذولا • خبران او حالان اي جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه
اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة • وقضى ربك • اي امر امرا مقطوعا به وقرئ ووصى ربك • ان لا تعبدوا
اي بان لا تعبدوا • الا اياه • على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة ولا ناهية
لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة • وبالوالدين
اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما • احسانا • لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش • اما يبلغن
عندك الكبر احدهما او كلاهما • اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد
ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التأخر عنه للتشويق الى وروده فانه
مدار تضاعف الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام وبه
وما عطف عليه وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تأكيدا
للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي
كل احد عن تبرم بكل واحد من والديه ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لا يحصل هذا المرام • فلا تقل لهما • اي لكل واحد منهما
حال الانفراد والاجتماع • اف • وهو صوت ينبئ عن التضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح و
الضم منونا وغير منون اي لا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما
بدلالة النص وتخصيص حالة الكبر بالذكر لكونها اظهر لاحتياجهما الى البر فيها • ولا تنهرهما • اي لا تزجرهما عما لا يعجبك
باغلاظ قيل النهي والنهر اخوان • وقل لهما • بدل التأفيف والنهر • قولا كريما • ذا كرم وهو
وصف صاحبه اي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول
على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمهما
فانه من الجفاء وسوء الادب وديدن الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل
وقيل لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما
ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة وداهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل
ود ابيه • واخفض لهما جناح الذل • عبارة عن الالانة والتواضع والتذلل فان اخفاض الجناح لا يكون الا
بذلك كما قيل واخفض لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناحا كما جعل لبيد للشمال يدا في قوله • وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • للقرة زماما والشمال يدا تشبيها بالطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة

عليهما واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام ❁ من الرحمة ❁ من فرط رحمتك
وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل
ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية ❁ وقل رب ارحمهما ❁ برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى
الاسلام فلا ينافي ذلك كونهما ❁ كما ربياني ❁ الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي
او مثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر
في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كانه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني ❁ صغيرا ❁
ويجوز ان يكون الكاف للتعليل اي لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما
حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في باب
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ماله من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان
جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما
وروي يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر الى اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا
يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تريد موتهما وروي ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له
مال كثير وانه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في ابنه ابياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها
فانشدها الشيخ فقال غذوتك مولودا ومنتك يافعا ❁ تعل بما اجني عليك وتنهل ❁ اذا ليلة ضافتك بالسقم
لم ابت ❁ لسقمك الا ساهرا اتململ ❁ كاني انا المطروق دونك بالذي ❁ طرقت به دوني وعيني تهمل ❁ فلما بلغت السن والغاية
التي ❁ اليها مدى ما كنت فيك اؤمل ❁ جعلت جزائي غلظة وفظاظة ❁ كانك انت المنعم المتفضل ❁ فليتك اذ لم ترع حق ابوتي ❁
فعلت كما الجار المجاور يفعل ❁ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت ومالك لابيك ❁ ربكم اعلم بما في نفوسكم ❁
من البر والعقوق ❁ ان تكونوا صالحين ❁ قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد ❁ فانه ❁ تعالى ❁ كان
للاوابين ❁ اي الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر ❁ غفورا ❁ لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية
فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويدخل فيه الجاني على ابويه
دخولا اوليا ❁ وآت ذا القربى ❁ اي ذا القرابة ❁ حقه ❁ توصية بالاقارب اثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم
المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ❁ والمسكين وابن السبيل ❁ فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة
اي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض والبسط فان الكل
المالية ❁ ولا تبذر تبذيرا ❁ نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ
من تفريق البذر والقائه كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز
الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم ❁ ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ❁ تعليل للنهي
عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات
السوء التي من جملتها التبذير اي كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اي كانوا اصدقاءهم
واتباعهم فيما ذكر من التصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي والمقارنة بهم في النار على سبيل الوعيد ❁ وكان الشيطان لربه كفورا ❁
من تتمة التعليل اي مبالغا في كفران نعمته تعالى لان شأنه ان يصرف جميع ما اعطاه الله من القوى والقدر الى غير ما خلقت
هي له من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها
الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر اوصافه القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن
صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت هي له والتعرض

حكاية شيخ مع ابنه

لوصف الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها غاية الكفران
ونهاية الضلالة والطغيان ❁ واما تعرضن عنهم ❁ اي ان اعتراك امر اضطرك الى ان تعرض عن اولئك المستحقين
ابتغاء رحمة من ربك ❁ اي لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ❁
ترجوها ❁ من الله تعالى لتعطيهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء ❁ فقل
بتعهدهم بالقول الجميل لئلا يعتريهم الوحشة بسكوته عليه السلام ❁ فقل لهم قولا ميسورا ❁ سهلا لينا ولا تعدهم وعدا
جميلا من يسر الامر نحو سعد او قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم بتيسر عليهم فقرهم ❁ ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ❁ تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من
الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من اول الامر روعي ذلك في التصوير
بافتح الصور ولما كان غائلة الاسراف في آخره بين قبحه في اثره فقيل ❁ فتقعد ملوما ❁ اي فتصير ملوما عند الله تعالى
وعند الناس اذا احتجت وندمت على ما فعلت ❁ محسورا ❁ نادما او منقطعا بك لا شيء عندك من حسرة السفر
اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رحمه الله انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال عليه السلام من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم يخرج للصلوة فنزلت فيأباه
ان السورة مكية خلا آيات في آخرها وكذا ما قيل انه عليه السلام اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري
فجاء عباس بن مرداس فانشأ يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد ❁ بين عيينة والاقرع ❁ وما كان حصن ولا حابس ❁ يفوقان
مرداس في مجمع ❁ وما كنت دون امرئ منهما ❁ ومن تضع اليوم لا يرفع ❁ فقال عليه السلام يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة
من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة قلوبهم فنزلت ❁ ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ❁ تعليل لما مر
اي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما يتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي
تحوجك الى الاعراض عن السائلين او نفاد ما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك ❁ انه كان بعباده خبيرا
بصيرا ❁ تعليل لما سبق اي يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله
العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يراد
انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يراد انه
تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ❁ ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق ❁ اي مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك ❁ نحن
نرزقهم واياكم ❁ لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي
المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الانعام للاشعار
باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وهنا
الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينتقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه
واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ❁ ان قتلهم كان خطأ كبيرا ❁ تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ
الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى
ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ❁ ولا تقربوا الزنا ❁
بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة
في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل
الحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما ❁ انه كان
فاحشة ❁ فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد ❁ وساء سبيلا ❁ اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع

نزع قميصه واعطاه

المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان
فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله عنه
انه قال عليه السلام اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البها
ء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار ○ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
بان عصمها بالاسلام او بالعهد ○ الا بالحق ○ الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة فالاستثناء
مفرغ اي لا تقتلوا بسبب من الاسباب الا بسبب الحق او الا متلبسين وملتبسة بشيء من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي لا تقتلوا قتلا ما او قتلا الا قتلا متلبسا بالحق ○ ومن قتل مظلوما ○ بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته
بغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيد قول الولي انا امرته بذلك ما لم يكن
الامر ظاهرا ○ فقد جعلنا لوليه ○ لمن يلي امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث ○ سلطانا ○ تسلطا او استيلاء
على القاتل بمؤاخذته بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة ○ فلا يسرف ○ وقرئ لا تسرف ○ في القتل
اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل
الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة
النهي ○ انه كان منصورا ○ تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب القصاص والدية وامر الحكام
بمعونته في استيفاء حقه فلا يبتغ ما وراء حقه ولا يستبد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى انه
تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلما او اسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير
في لا يسرف للقاتل الاول على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل اي لا يسرف
على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ○ ولا تقربوا مال اليتيم ○ نهي قربانهم لما ذكر
من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه والتوسل الى الاستثناء بقوله تعالى ○ الا بالتي هي احسن ○
اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره ○ حتى يبلغ اشده ○ غاية لجواز التصرف
على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط ○ واوفوا بالعهد ○ سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم
وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه
وبين الايفاء الحسي كايفاء الكيل والوزن ○ ان العهد ○ اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشأنه او لان المراد
مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود ○ كان مسؤولا ○ اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا
مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم
بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة
باي ذنب قتلت ○ واوفوا الكيل ○ اي اتموه ولا تخسروه ○ اذا كلتم ○ اي وقت كيلكم للمشترين وتقييد
الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا
على الناس يستوفون الآية ○ وزنوا بالقسطاس ○ هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا وهو معرب ولا يقدح
ذلك في عربية القرآن لانتظام المعرب في سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف ○ المستقيم ○ اي العدل السوي ولعل الاكتفاء
باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع
استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه
ايضا في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان بالقسط ○ ذلك ○ اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي ○ خير ○ في الدنيا
او هو ما يوجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس ○ واحسن تأويلا ○ عاقبة تفعيل من آل اذا رجع و
المراد ما يؤول اليه ○ ولا تقف ○ ولا تتبع من قفا اثره اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه
القافة في جمع القائف ○ ما ليس لك به علم ○ اي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري

انه

انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا
كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده
قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء
بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان رمينا ○ ان السمع والبصر والفؤاد ○ وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة
عند ضم الفاء ○ كل اولئك ○ اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها
شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء
لغيرهم ايضا قال ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام ○ كان عنه مسؤولا ○ اي كان كل من
تلك الاعضاء مسؤولا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم
ضمير القافي بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا معللا بان الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند
مسؤولا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس
حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف
على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون
مسؤولا مسندا الى المصدر المدلول عليه وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني
ابا علي عن قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اي فيك يرغب الرغبة
بمعنى يفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع وجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل
بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤولا او مسؤولا صاحبه ○ ولا تمش في الارض ○ التقييد لزيادة التقرير
والاشعار بان مشيها مما لا يليق بالمرح ○ مرحا ○ تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او
تمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر ○ انك لن تخرق الارض ○ تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك
مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض بدوسك شدة وطأتك وقرئ بضم الراء ○ ولن تبلغ الجبال
التي هي بعض اجزاء الارض ○ طولا ○ حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما
مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه ○ كل ذلك ○ اشارة الى ما علم في
تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين ○ كان سيئه ○ الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة
عند ربك مكروها ○ مبغوضا غير مرضي وغير مراد بالارادة الازلية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان
جميع الاشياء واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان
البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى
الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار
بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار
وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة
على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او يجري على موصوف مذكرا اي امرا مكروها او يجري مجرى الاسماء زال عنه
معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على ان صفة سيئة وقرئ سيئاته وقرئ شأنه
ذلك ○ اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة ○ مما اوحى اليك ربك ○ اي بعض منه او من جنسه ○ من الحكمة
التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والخير للعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان هذه الآيات الثماني عشرة كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من
كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التورية ومن اما متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا
من الموصول او من ضميره المحذوف في الصلة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ○ ولا تجعل مع

المتأخر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ
ومنتهاه وانه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذّ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء
وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولاً حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل
فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري
على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها آخذ بكفه فيطرحها في التنور افاصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة اناثا خطاب للقائلين بان الملائكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضّلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها كما في
قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد
النكير وتأكيده واشير بذكر الملائكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام
بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم
الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث
لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار
الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من
اشرف الخلائق بالانوثة التي هي اخس اوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا
هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه من التصريف في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور و
قرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ان يعرض عنهم
ويحكى للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالاتهم
المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف
كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد يجوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من اثار القرآن
ونتايجها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه
فضلا عن التذكر المؤدي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى
لو كان معه تعالى آلهة كما يقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف
في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذن لابتغوا
جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية كونا مشابها لما يقولون
والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذن لابتغوا جواب عن على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن
الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان
انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير
ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقيا وتعالى متباعدا
عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه آلهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله والله انبتكم من الارض نباتا
كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد
مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتب
فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه آلهة ولا ريب في
ان ذلك ليس من اخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى
من من شأنه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن

من الملائكة

من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز
وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال
عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة
على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون
لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان
حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة
الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن الناطق
بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا
المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة
وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن
وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من
النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب
على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امرأة ابي لهب
وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه
واخاف ان تراك فقال النبي عليه السلام انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله عليه السلام مما لا يقبله الذوق
السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا
في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة
جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا
على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات
معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح
لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا
لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا اقبح من حالهم السابق لا لحكاية ما قالوا قلوبنا في اكنة مما
تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن
سحرا وشعرا واساطير وقصد الحكاية ههنا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوا قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من
قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى لا يحمل عليه الا بالحمل ولا يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع
بالهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا او ولوا
نافرين نحن اعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم
عن يمينه عليه السلام رجلان من بني عبد الدار وعن يساره رجلان منهم فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم
لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع
بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون به مما لا خير فيه من الامور المذكورة
وبالذي يتناجون به فيما بينهم والاول ظرف يستمعون والثاني يتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم
من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مصدر على طريقة وصف الشيء بالمصدر اي ذوو نجوى او جمع نجي كقتلى
جمع قتيل اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما
وضع الظالمون موضع المضمر اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم

ان يتبعون ما يتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما يتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او
رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون
فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا اي طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون
ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى
وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال الى هذا
لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب التكلم به والرفات
ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر
والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها
وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت
وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد
النكير وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا الانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب
كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما تراءى من ظاهر
الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على
غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحالية على ان
الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا آخر مما يكبر في صدوركم
اي يعظم عندكم من قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون
من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد
وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي اي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة
من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شممتم رائحة الحيوة أليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان يعيد
العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركونها نحوك تعجبا وانكارا
ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا
نصبا على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر
لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث يقع في زمان قريب
او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم منصوب بفعل
مضمر اي اذكر او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظرف
او بضمير المصدر المستكن في عسى او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المستكن في عسى
او يكون اعني البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث
المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء
والاجابة ايذانا بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون
اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة
احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون عندما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم
اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين
يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض

لتقع

لتقع بينهم المشاقة والمشاررة والمعاداة والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر
السابق وقرئ بكسر الزاي ان الشيطان كان قديما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق
من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان يشأ يعذبكم بالاماتة
على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى يهديهم الى الايمان
وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر
اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه
شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرطت اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن
ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها
يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات
لابطال قولهم ولولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال
والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله ثم فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه
ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان تقوية الحلية وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعبادي الصالحين
في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في
الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب ومصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد آتينا داود زبورا من الزبر وبعضا
من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة
من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر و
القحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الآلهة الذين يدعونهم
المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم ومالك امورهم الوسيلة اي القربة
بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون وأي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة بالطاعة
والعبادة ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا
عن ان يكونوا آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو
تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب
بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين
الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية
الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن مهلكوها اي مخربوها البتة بالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما
ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل من الدلالة على التحقق
والتقرر ما ليس في صيغة المستقبل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة وانما هو لانقضاء
عمر الدنيا او معذبوها اي معذبو اهلها على الاسناد المجازي عذابا شديدا لا بالقتل والسبي ونحوهما
من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه من فنون العقوبات الاخروية حسبما ينبئ عنه اطلاق التعذيب عما قيد به
الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة كان ذلك
الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء
الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة

فتحت قسطنطينية

وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة ويهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق
والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ ابو عمرو
الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية آمنة حتى تخرب
مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي
رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف
الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب الكوفة من قبل عدو وراءهم يحصرهم حتى لا يستطيعون ان يشربوا من الفرات
قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان
من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب السند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب
المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة وقد اخرجه
العمري من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق • وما منعنا ان نرسل بالآيات • اي الآيات
التي اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا ذهبا ونحو ذلك • الا ان كذب بها الاولون • استثناء مفرغ
من اعم الاشياء اي وما منعنا ارسالها لشيء من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله
تعالى بها وان كان بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا يمنع مانع عن ذلك من التكذيب وغيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم
المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك في العتو والعناد
وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا للارسال لما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب
المستدعي لاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبة هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم
من ايمان بعض اعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لا كما زعموا
من عدم ارادته تعالى لتأييده عليه السلام بالمعجزات وهو السر في ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعي
الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير واسناد هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين
كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان
بان مدار عدم الاجابة الى ايتاء مقترحهم ليس الا صنيعهم • وآتينا ثمود الناقة • عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم
كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا
باقتراحهم ثمود الناقة • مبصرة • على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار او بصائر يدركها الناس او اسند اليها حال من
يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصائر من ابصره جعله بصيرا وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على
الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف • فظلموا بها • فكفروا بها ظالمين اي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا
بها ما فعلوا من العقر وظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان
لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا ولانها من جهة انها حيوان اخرج من الحجر
اوضح دليل على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا • وما نرسل بالآيات • المقترحة • الا تخويفا • مما نزلت
هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة من الاعراب
ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا
من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل • واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس • اي علما كما نقله الامام الثعلبي
عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى • وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس • الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات
لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم لبعضها مستلزم
لتكذيب الجميع كما ان تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم

ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها
وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي ما جعلنا الرؤيا التي اريناكها عيانا مع كونها
آية عظيمة وآية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم
والشجرة الملعونة في القرآن • عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها على الاسناد المجازي او ابعادها عن الرحمة
فانها تنبت في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة اي ما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم
فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى
في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك
ونخوفهم • بذلك وبنظائره من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار
فما يزيدهم • التخويف • الا طغيانا كبيرا • متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا
بنظائرها وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي
يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم
الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لما ان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت
رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل اذكر وقت
قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك
منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها فتنة للناس
مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسرت الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما
عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام
في المنام من مصارعهم لما روي انه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض
هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وعاد ورآه انه سيدخل مكة واخبر بذلك
فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا
واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك
والقطع بعد الهجرة وان يكون الافتتان بها متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد حمل الرؤيا على ما في وقعة بدر من
مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا وقعت
بالمدينة ما حصلت فتنة للناس • واذ قلنا للملائكة • تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة
من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب
يرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام
في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعانده الحق ويخالف الامر اي
واذكر وقت قولنا لهم • اسجدوا لآدم • تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك • فسجدوا • له
من غير تلعثم امتثالا للامر واداء لحقه عليهم • الا ابليس • وكان من الذين في زمرتهم منذ خالف الامر بالسجود
قال • اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك ان تسجد اذ امرتك
وقوله يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر • ءاسجد • وانا مخلوق من العنصر العالي • لمن
خلقت طينا • نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول
اي اسجد له وهو اصله طين والتعبير عنه بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة • قال • اي ابليس لكن لا عقيب

[illegible]

كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملا الاعلى مع اللعن المؤبد وانما لم يصرح به
اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه
بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ● ارايتك هذا الذي كرمت
علي ● الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي
اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول
مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني اهذا من كرمته علي وقيل معنى ارايتك تاملت كان المتكلم
ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه عقيبه ● لئن اخرتن ● حيا ● الى يوم القيمة ● كلام مبتدأ واللام موطئة
للقسم وجوابه قوله ● لاحتنكن ذريته ● اي لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم
حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا
تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب تلقيا من جهة الملائكة ع م
او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه ● الا قليلا ● منهم وهم المخلصون
الذين عصمهم الله تعالى ● قال اذهب ● اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم ● اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية ● جزاء موفورا
اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفرة وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى
تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا ● واستفزز ● اي استخف ● من استطعت منهم ● ان تستفزه
بصوتك ● بدعائك الى الفساد ● واجلب عليهم ● اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح ● بخيلك ورجلك ● اي باعوانك
وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس
فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تعالى فهو من رجل ابليس
والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على
انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب وبضمه مثل حدث وحدث وندس وندس نظائر لهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ
رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار وقع
على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استاصلهم
وشاركهم في الاموال ● بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي ● والاولاد ● بالحث على التوسل
اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال
القبيحة ● وعدهم ● الى المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل
وما يعدهم الشيطان الا غرورا ● اعتراض لبيان شان مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف
الكلام عن خطابه وبيان شانه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ● ان عبادي
الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم وان الاضافة علة لثبوت الحكم في قوله تعالى ● ليس لك عليهم سلطان
اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ● وكفى بربك وكيلا
لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف
الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ● ربكم الذي يزجي لكم
الفلك في البحر ● مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لمنافعكم الفلك ويجريها في البحر
لتبتغوا من فضله ● من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض
النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية ● انه كان بكم
ازلا وابدا ● رحيما ● حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من

الازجاء

من الازجاء والابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى جليلة
وحقيرة ● واذا مسكم الضر في البحر ● خوف الغرق فيه ● ضل من تدعون ● اي ذهب عن خواطركم كل من تدعون من
دون الله من الملائكة او المسيح او غيرهم ● الا اياه ● وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشراكا
او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع ● فلما نجيكم ● من الغرق
واوصلكم الى ● البر اعرضتم ● عن التوحيد او اتسعتم في كفران النعمة ● وكان الانسان كفورا ● تعليل كالتتميم
من الاعراض ● افامنتم ● الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ● ان يخسف بكم جانب
البر ● الذي هو مامنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات
بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة ● او يرسل عليكم ● من فوقكم وقرئ بالنون ● حاصبا
ريحا ترمي بالحصباء ● ثم لا تجدوا لكم وكيلا ● يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ● ام امنتم
ان يعيدكم فيه ● في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه ● تارة اخرى
اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة
هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا ● فيرسل عليكم ● وانتم في البحر وقرئ بالنون
قاصفا من الريح ● وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف
اي تتكسر ● فيغرقكم ● اي بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح
بما كفرتم ● بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ● ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ● اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا ودركا للثار
من جهتنا كقوله تعالى ولا يخاف عقباها ● ولقد كرمنا بني ادم ● قاطبة تكرما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة
والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن
جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل
من شركة القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطا بها القاذورات لا بيده
وحملناهم في البر والبحر ● على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم
فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء وانت خبير بان الاول هو اللائق بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك
ورزقناهم من الطيبات ● اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم ● وفضلناهم ● في العلم
والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح ● على كثير ممن خلقنا ● وهم
من عدا الملائكة عليهم السلام ● تفضيلا ● عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل
العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عن فضل من عدا الملائكة على
الذين هم العقول المجردة [illegible] من هذا التفضيل [illegible] عارية عن الخطار والخلل وليس
فيه دلالة على افضليتهم المطلقة المتنازع فيها فان المراد بها بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحا وطالحا
ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عنده سبحانه [illegible]
التفضيل [illegible] الملائكة عليهم السلام [illegible] تفضيل جميع افراد البشر عليهم السلام [illegible]
من تفضيل بعض افراده عليهم [illegible]
[illegible] بقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى ان شر
الدواب عند الله الذين كفروا ● يوم ندعو ● نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون
وقرئ بالياء على البناء للفاعل وللمفعول [illegible]
[illegible]
[illegible] ● كل اناس ● [illegible] من بني ادم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم

والتفصيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا • باما مهم • اي بمن ائتموا به او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عم وتشريف الحسنين رضي الله تعالى عنهما والستر على اولاد الزنا • فمن اوتي • يومئذ من اولئك المدعوين • كتابه • صحيفة اعماله • بيمينه • ابانة لخطر المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه • فاولئك • اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال الايتاء وما فيه من معنى البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها الايتاء المزبور • يقرؤن كتابهم • الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات • ولا يظلمون • اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة • فتيلا • اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة • ومن كان • من المدعوين المذكورين • في هذه • الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل • اعمى • فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم والمعارف الحقة • فهو في الآخرة • التي عبر عنها بيوم ندعو • اعمى • كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما • واضل سبيلا • اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله • وان كادوا ليفتنونك • نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين • عن الذي اوحينا اليك • من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا • لتفتري علينا غيره • لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف وقريش حسبما نقل • واذا لاتخذوك خليلا • اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي • ولولا ان ثبتناك • على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك • لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا • من الركون الذي هو ادنى ميل اي لو لم تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون وهذا صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته • اذن • لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة • لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات • اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيم الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر • ثم لا تجد لك علينا نصيرا • يدفع عنك العذاب • وان كادوا • الكلام فيه كما في الاول اي كاد

اهل مكة

ضعف الحيوة وضعف الممات

اهل مكة • ليستفزونك • اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم • من الارض • اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذن لا يلبثون • بالرفع عطفا على خبر كادوا وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك • خلافك • اي بعدك قال خلت الديار خلافهم فكانما • بسط الشواطب بينهن حصيرا اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك • الا قليلا • الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه السلام وقد نزلت الآية في اليهود حيث حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء عليهم فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه عم فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل • سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا • نصب على المصدرية اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين ظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل • ولا تجد لسنتنا تحويلا • اي تغييرا • اقم الصلوة لدلوك الشمس • لزوالها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتأقيت مثلها في قولك لثلث خلون • الى غسق الليل • الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عم كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه عم ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الآخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدئه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق فقيل • وقرآن الفجر • اي صلوة الفجر بالنصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة على ذلك لجواز كون مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر • ان قرآن الفجر • اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام به • كان مشهودا • يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير فالآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر • ومن الليل • قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري به حرفا ولا يجدي نفعا كون معناها التبعيض فان واو مع ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل • فتهجد به • اي ازل والق الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة اياي فارهبون • نافلة لك • فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك • عسى ان يبعثك ربك • الذي

يبلغك الى كمالك الا ترى بك من بعد الموت الاكبر لما ابتعث من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة
مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف
فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس
وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع
لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى
تشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا يتكلم فيه نفس فاول مدعو
محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك
واليك لا ملجا ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي في القبر
مدخل صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة
فهو تلقين للدعاء بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المحمودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصود وقيل ادخاله عليه السلام مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في
كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا
كقوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عليه السلام بقوله عز وجل
والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء
الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان
من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة
كريمة باجابة الدعاء بالسلطان النصير الذي لقنه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة
وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن وقرئ
ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين
بما فيه اي هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء
فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك

من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله

بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما يستدعي الحكمة نزوله حينئذ فيقع ذلك ممن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية
الى نزوله موقع الدواء الشافي المصادف لاوانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه متصف
بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة وآيات الشفاء لا يساعده قوله تعالى
ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشياء في غير مواضعها
مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال
حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادئ الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث
انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه
والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك
واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه
تعجيب من امره حيث يكون مدار الشفاء والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا
فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه الناي بالجانب ان يلوي عن الشيء عطفه

ويوله

ويوليه عرض وجهه فهو تاكيد للاعراض او عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر
او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات
والشر ليس كذلك كان يؤوسا شديد اليأس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه
الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شان بعض آخرين منهم وقيل اريد
الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في رأى واما على انه بمعنى نهض قل كل اي كل احد منكم وممن
هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة
لمزاج بدنه فربكم الذي براكم على هذه الطبائع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين
منهاجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة
الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حيوته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي
القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين
وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية قل الروح اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشانه من امر ربي
كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف
ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس ما استاثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم
حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم
ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب قال عليه السلام بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الآية وانما قالوا ذلك لركاكة
عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينيطه به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة
الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات
الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه
ومآله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط
بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا
اي الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك قيل من
فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على
السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته
لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فان ما سالوا عنه مما يفي به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح
خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها
ومنناك عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا
بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن جوابه
النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ
من الاذهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين
لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب
ثم لا تجد لك به اي بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك

فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب
فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في
القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها • ان فضله كان عليك كبيرا • كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك
وغير ذلك • قل • للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر
لئن اجتمعت الانس والجن • اي اتفقوا • على ان ياتوا بمثل هذا القرآن • المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت
الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما
لان غيرهما قادر على المعارضة • لا ياتون بمثله • اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم
ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا ياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب
العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولا هي لكان جوابا
له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وحيث
كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة من كل واحد
على الانفراد او من المجموع بان يتناوبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل • ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا • اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا
لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث
انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله
النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا ياتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان
فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض آياتها ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها
من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه
ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان
الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عم • ولقد صرفنا • كررنا ورددنا على انحاء
مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان وزيادة رسوخ واطمئنان • للناس في هذا القرآن • المنعوت بما ذكر من
النعوت الفاضلة • من كل مثل • من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول
فابى اكثر الناس • اوثر الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا • الا كفورا • اي الا جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب
مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه
دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى
بلغوا مرتبة الاباء • وقالوا • عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز الشرعي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين
بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج • لن نؤمن لك حتى تفجر
وقرئ بالتشديد • لنا من الارض • ارض مكة • ينبوعا • عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء اذا زخر • او تكون لك جنة • اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة • من نخيل وعنب فتفجر الانهار • اي
تجريها بقوة خلالها تفجيرا • كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا • جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال
من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى
او نسقط عليهم كسفا من السماء • او تاتي بالله والملائكة قبيلا • اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة
ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله تعالى
فاني وقيار بها لغريب او جماعة فتكون حالا من الملائكة • او يكون لك بيت من زخرف • من ذهب وقد قرئ

واصله

وان اتاه خليل يوم مسغبة

واصله الزينة • او ترقى في السماء • اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة • ولن نؤمن
لرقيك • اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها • حتى تنزل • منها • علينا كتابا • فيه
تصديقك • نقرؤه • نحن من غير ان نتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن
لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون
لك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوه من
الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال • قل • تعجبا
من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن
منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه • سبحان ربي • وقرئ قال سبحان ربي • هل كنت الا
بشرا • لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه • رسولا • مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون
لي خيرة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات
اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله بشرا خبر لكنت ورسولا صفته • وما منع الناس • اي الذين حكيت
اباطيلهم • ان يؤمنوا • مفعول ثان لمنع وقوله • اذ جاءهم الهدى • اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم
وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت
مجيء ما ذكر • الا ان قالوا • في محل الرفع على انه فاعل منع اي الا قولهم • ابعث الله بشرا رسولا • منكرين ان يكون رسول الله
تعالى من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع
لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق
وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اعني عند سماع الجواب
بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية
وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر
ويجعلونه مانعا منه • قل • لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب • لو كان • اي لو وجد
واستقر • في الارض • بدل البشر • ملائكة يمشون • عليها • مطمئنين • قارين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب
ان يعلم • لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا • يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما
عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة
التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكا يحتمل ان يكون
حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا في قوله ابعث الله بشرا رسولا وهو اوفق • قل • لهم
ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا
كفى بالله • وحده • شهيدا • على اني اديت ما علي من مراعاة الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب
والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه عم رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله • بيني وبينكم
وانما ذكره [illegible] للتعليل وانما قال بيني وبينكم تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة • انه كان بعباده • من
الرسل والمرسل اليهم • خبيرا بصيرا • محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار • ومن يهد الله • كلام مبتدا غير داخل تحت الامر الكلام السابق من حكاية
العباد واشارة اجمالية الى من يهديه الله الى الحق ويجاء من قبله من الهدى • فهو المهتد • اليه والى ما يؤدي اليه من
الثواب او المهتدي الى كل مطلوب • ومن يضلل • اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين • فلن تجد لهم
او من ضمير الجماعة اعتبار المعنى من كما ان الافراد في مقابله نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه

وبعدد سبل الضلال وكثرة الضلال • اولياء من دونه • من دون الله تعالى اى انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى طريق
يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذى يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا
على ان المقتضية قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى الآحاد • ونحشرهم • التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء
بامر الحشر • يوم القيمة على وجوههم • حال من الضمير المنصوب اى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على
وجوههم او مشيا فقد روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على
ان يمشيهم على وجوههم • عميا • حال من الضمير المجرور فى الحال السابقة • وبكما وصما • لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون
بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا فى الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه
ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم
فان ادراكاتهم بهذه المشاعر فى بعض المواطن مما لا ريب فيه • مأويهم جهنم • اما حال او استيناف وكذا قوله تعالى
كلما خبت زدناهم سعيرا • اى كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق النار به وتحرقه زدناهم
توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها
مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله تعالى • ذلك • اى ذلك العذاب • جزاؤهم بانهم
اى بسبب انهم • كفروا باياتنا • العقلية والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره
ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف
وقالوا • منكرين اشد الانكار • ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا • اما مصدر مؤكد من غير لفظه اى
لمبعوثون بعثا جديدا او حال اى مخلوقين مستأنفين • اولم يروا • اى الم يتفكروا ولم يعلموا • ان الله الذى خلق
السموات والارض • من غير مادة مع عظمها • قادر على ان يخلق مثلهم • فى الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة
كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا • وجعل لهم اجلا لا ريب فيه • عطف على اولم يروا فانه فى قوة قد رأوا والمعنى قد
علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا • لا ريب فيه
هو القيمة • فابى الظالمون • وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة • الا كفورا • اى جحودا • قل
لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى • خزائن رزقه التى افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم
لو ذات سوار لطمتنى وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص • اذن لامسكتم • لبخلتم • خشية الانفاق ‏ لو ذات سوار لطمتنى
مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس فى الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشىء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن
هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه • وكان الانسان قتورا • مبالغا فى البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله • ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات • واضحة الدلالة على نبوته وصحة
ما جاء به من عند الله وهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل
انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بنى اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلاث لم تكن منزلة اذ ذاك
وان الاولين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سال النبى عليه السلام عنها فقال
ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا
ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا فى السبت
فقبل اليهودى يده ورجله عليه السلام ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان فى
التورية مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله عليه السلام الا من جهة الوحى • فاسأل بنى اسرائيل • وقرئ فسل اى فقلنا له
سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرائيل او سلهم عن حالهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضى وقيل الخطاب للنبى صلعم اى على القراءة المذكورة وباتينا او بمضمر هو يخبروك او اذكر على تقدير كون
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم • فقال له فرعون • الفاء فصيحة اى فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما

ارسل به فقال له فرعون • انى لاظنك يا موسى مسحورا • سحرت فتخبط عقلك • قال لقد علمت ما انزل هؤلاء
يعنى الآيات التى اظهرها • الا رب السموات والارض • خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر
على ايجاد مثل ما بيتك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما • بصائر • حال من الآيات اى بينات مكشوفات تبصرك صدقى ولكنك
تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل
فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت على صيغة التكلم اى لقد علمت يقينا ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله تعالى فكيف
يتوهم ان يحوم حولى سحر • وانى لاظنك يا فرعون مثبورا • مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا
اى ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين
فاراد • اى فرعون • ان يستفزهم • اى يستخفهم ويزعجهم • من الارض • ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل
كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم • فاغرقناه ومن معه جميعا • فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده • من بعد اغراقه • لبنى اسرائيل اسكنوا الارض • التى اراد ان يستفزكم منها • فاذا جاء وعد الآخرة
الكرة الآخرة او الحيوة الآخرة او الساعة او الدار الآخرة اى قيام القيمة • جئنا بكم لفيفا • مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى • وبالحق انزلناه وبالحق نزل • اى وما انزلنا القرآن الا
بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا
محفوظا من تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر وآخره • وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب • ونذيرا • للعاصى من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عليه السلام اثر تحقيق حقية انزال القرآن • وقرآنا
منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • فرقناه • وقرئ بالتشديد لدلالة على كثرة نجومه • لتقرأه على الناس على مكث
على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه • ونزلناه تنزيلا • حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات • قل • للذين كفروا • آمنوا به او لا تؤمنوا • فان ايمانكم به لا يزيده كمالا وامتناعكم
عنه لا يورثه نقصانا • ان الذين اوتوا العلم من قبله • اى العلماء الذين قرؤا الكتب السالفة من قبل تنزله وعرفوا حقيقة
الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعت ما انزل اليك
اذا يتلى • اى القرآن • عليهم يخرون للاذقان • اى يسقطون على وجوههم • سجدا • تعظيما لامر الله تعالى او شكرا
لانجاز ما وعد به فى تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار
اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما فى قوله فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا
من عدم المبالاة بذلك اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية
لرسول الله صلعم كانه قيل تسل بايمان العلماء من ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم • ويقولون • فى سجودهم
سبحان ربنا • عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده • ان كان وعد ربنا لمفعولا • ان مخففة من المثقلة و
اللام فارقة اى ان الشأن هذا • ويخرون للاذقان يبكون • كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول
لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله • ويزيدهم
اى القرآن سماعهم • خشوعا • كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى • قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن • نزلت حين
سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت
اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله تعالى فى التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان
عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى • اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى • والدعاء بمعنى
التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين فى اى عوض عن المضاف اليه وما مزيدة
لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع

موضعه قبله لان الاسماء الحسنى للمبالغة والدالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه تعالى يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها
حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام . ولا تجهر بصلوتك . اي بقراءة صلوتك بحيث تسمع
المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها . ولا تخافت بها . اي بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين
وابتغ بين ذلك . اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور . سبيلا . امرا وسطا فان خير الامور اوساطها والتعبير
عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان ابا بكر رض كان يخفت
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ
بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا
ربكم تضرعا وخفية . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا . كما زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله
والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ولم يكن له شريك في الملك . اي الالوهية كما يقوله الثنوية
القائلون بتعدد الآلهة . ولم يكن له ولي من الذل . ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها
به وفي التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال و
القدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله تعالى . وكبره تكبيرا . وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف
بالقصور في ذلك روي انه عم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه صلى الله عم من قرأ سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية الحمد لله سبحانه وله الكبرياء والجبروت

سورة الكهف مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده . محمد صلى الله عم . الكتاب . اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك
من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى
بالموصول اشعار بعلية ما في حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة
الدارين وفي التعبير عن الرسول صلى الله عم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عم الى اعلى معارج العبادة وتشريف له
واي تشريف واشعار بان شأن الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عم وتأخير المفعول الصريح
عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى . ولم يجعل له عوجا . اي شيئا من العوج بنوع اختلال في
النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا
مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة وبواسطة
استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في اعوجاج
المنتصب كالعود والحائط والكسر في اعوجاج غيره عينا كان او معنى . قيما . بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ
عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها
ومهيمنا عليها او متناهيا في الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية
اللازمة له حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة
معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا
فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما . لينذر . متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما في الفعلين
المعطوفين عليه والاطلاق عن ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول
ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر الذين كفروا به . بأسا . اي عذابا . شديدا من لدنه

اي

اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون
لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع . ويبشر . بالتشديد وقرئ بالتخفيف . المؤمنين . اي المصدقين به
الذين يعملون الصالحات . الاعمال الصالحة التي بينت في تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد
الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان . ان لهم
اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة . اجرا حسنا . هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى . ماكثين
حال من الضمير المجرور في لهم . فيه . اي في ذلك الاجر . ابدا . من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو نصب على الظرفية
لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير
الانذار بقوله تعالى . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس
الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل
هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى
القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في
الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول
المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار
هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى انما تنذر
وتنذر الذين امنوا يفضي الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون
الفاعل في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عم . ما لهم به . اي باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا . من علم
مرفوع على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم في مقالهم
اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في نفسه . ولا لابائهم
الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول
عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة
كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الآيات وهو الانسب بقوله تعالى
كبرت كلمة . اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق بكبرياء جنابه والفاعل
في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا
والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة عن افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة
بالرفع . تخرج من افواههم . صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء
المتكيف بكيفية الصوت الملابسة بها . ان يقولون . ما يقولون في ذلك الشأن . الا كذبا . الا قولا كذبا لا يكاد يدخل
تحت امكان الصدق اصلا والضميران لهم ولابائهم مثل حاله عم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن
وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم
فقيل على طريقة التمثيل حملا له عم على الحذر والاشفاق من ذلك . فلعلك باخع . اي مهلك . نفسك على آثارهم
غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة . ان لم يؤمنوا بهذا الحديث . اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة بالكتاب
وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بالمفتوحة اي لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية استحضارا
للصورة كما في قوله عز وجل باسط ذراعيه . اسفا . مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي
متأسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين
منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم . انا جعلنا ما على الارض . استئناف وتعليل
لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا

كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا • زينة • مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع
واللام في • لها • متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها
نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة
من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك
كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت
الابتلاء • لنبلوهم • متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم • ايهم احسن عملا • فنجازيهم بالثواب
والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم
وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن
خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجري مجراه بطريق
التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا
من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن
من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة
وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها
وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شانها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر
لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل
المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا • وانا لجاعلون • فيما سيأتي
عند تناهي عمر الدنيا • ما عليها • من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج
المكلفين فيه • صعيدا • مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال
الزجاج هو الطريق الذي لا نبات فيه • جرزا • ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته للجنا
يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي ذهب نباتها بقحط او جراد
ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت
من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم
بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم • ام حسبت • الخطاب لرسول الله صلعم والمراد انكار
حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور
وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت • ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا • في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر
من آياتنا • من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرنا من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله
صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس • عجبا • اي آية ذات عجب وصفا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة
خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها
ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على
باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان
وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل في
الصحيحين • اذ اوى • ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ • الفتية • اي اصحاب الكهف وايرادهم بعنوان الفتوة
على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك

فروا

فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف بجعلهم مجلوس
واتخذوه مأوى • فقالوا ربنا آتنا من لدنك • من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة من لدنك • رحمة
خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء • وهيئ لنا من امرنا • الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة
على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا من امرنا • رشدا • اصابة للطريق الموصل الى المطلوب
واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلاف معناهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة
في المؤخر بتقديم احواله فان تأخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة
المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على تقدير تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان
من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك اسدا
فضربنا على آذانهم • اي انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب
الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج الى الحجب عادة
اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الانامة الثقيلة
وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف مع عدم ملائمته لما سيأتي من البعث لا يدل على
النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب
عليه من التقلب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية
استجابة لدعوتهم • في الكهف • ظرف مكان لضربنا • سنين • ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه • عددا • اي ذوات
عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال
القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل
ثم بعثناهم • اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت • لنعلم • بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق
الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او حمله على التحقق وقوعه غاية للبعث الحادث
من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا
ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة
الايام بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار
والتمييز واما بعثهم هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء من ذلك
في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تفرقهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما
من الاحصاء في شيء بل بجعل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم
المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على
سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأت بها من المغرب وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم
اي الحزبين • اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي • احصى • اي اضبط
لما لبثوا • اي للبثهم • امدا • اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا احوالهم وما صنع الله
بهم من حفظ ابدانهم واديانهم فيزدادوا يقينا بكمال علمه وقدرته وليستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا
لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي
على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الخ
حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم
من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى

الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختبر واختير هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان
الاول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا اي ليعلم
الله الناس اي الحزبين احصى آه وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان احد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة
ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء
الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء تلك المدة
ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها
الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين و
يجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن كون المستمر المنطبق
على الزمان المذكور فباعتبار الامداد العارضة له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع غاية ومنتهى لذلك الكون
المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو ان انبعاثهم من نومهم فان معرفته من تلك
الحيثية لا يخفى على احد لا تسمى احصاء كما مر باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه
الى السنين ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به
الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين وفي الصورة الاخيرة منتهى
تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه بالمعنى
الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز
ان تكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي للذين لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه
الوضعي على حقيقته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق
لما وقع من سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بان
غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل
من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياسي مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل لا ريب في ان ما نحن فيه
من ذاك القبيل وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلا نعم ان بمنعه يتجه ان يقال
ايهم احفظ لمدة اللبث وزنا او تقطيعا او يقال ان العامل في امدا افعل محذوف يدل عليه المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما
في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر
فمع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين وتمييزه عن الادنى
مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا
ولو تم ايذانه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم
نحن نقص عليك ● شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية آه اي نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان
الاشتقاق في مطلع سورة يوسف عم ● نبأهم ● النبأ الخبر الذي له شأن وخطر ● بالحق ● اما صفة لمصدر محذوف
او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اي نقص قصصا ملتبسا بالحق
او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم الملتبس به وبناء على حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل
وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس
فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عم وكان
يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية
قتله وقطع آرابه وعلقها في سور المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك
قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه

واضرب منا بالسيوف القوانسا

فقال

فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو
من دونه احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده
وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين
فاتفقت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا
الباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه اناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجؤار وفوضوا امر
نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يتنكر عليه ثياب الخلقان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار
ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم
وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما
شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك
اذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف
فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن
عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل منهم
انهم فتية ● استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبي
آمنوا بربهم ● اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم
وزدناهم هدى ● بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما
عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم ● وربطنا على قلوبهم ● اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر
الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار
اذ قاموا ● منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا
على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا
جميعا ● فقالوا ربنا رب السموات والارض ● ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقضي بمقتضاها فان ربوبيته
عز وجل لهما تقتضي ربوبيته لما فيهما اي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على
ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء آه منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده
لن ندعو ● لن نعبد ابدا ● من دونه الها ● معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا
للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان
بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية ● لقد قلنا اذا شططا ● اي قولا ذا شطط اي تجاوز عن
الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة
مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهيته تعالى والتضرع اليه قيل لقد قلنا واذا جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه
الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم ● هؤلاء ● هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم ● قومنا
عطف بيان له ● اتخذوا من دونه آلهة ● خبره وفيه معنى الانكار ● لولا يأتون ● تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي
هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة ● بسلطان بين ● بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو
تبكيت لهم والقام حجر ● فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ● بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى
انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود
واذ اعتزلتموهم ● اي فارقتموهم في الاعتقاد واردتم الاعتزال الجسماني ● وما يعبدون الا الله ● عطف على الضمير المنصوب
وما موصولة او مصدرية اي واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء
متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار

من اسنده تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه ● فأووا ● اي التجئوا ● الى الكهف ● قال الفراء هو جواب اذ كما تقول
اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم
اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ● ينشر لكم ● يبسط لكم ويوسع عليكم ● ربكم ● مالك امركم ● من رحمته
في الدارين ● ويهيئ لكم ● يسهل لكم ● من امركم ● الذي انتم بصدده من الفرار بالدين ● مرفقا ● ما ترتفقون
وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان من اول
الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده ● وترى الشمس ● بيان لحالهم بعد ما أووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم
الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن اصحاب تعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى
الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد
الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس ● اذا طلعت تزاور ● اي تتزاور
وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوئر وكلها من الزور وهو الميل
● عن كهفهم ● الذي أووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ● ذات اليمين ● اي جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل
الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم ● واذا غربت ● اي تراها عند غروبها ● تقرضهم
اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ● ذات الشمال ● اي جهة ذات شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك
بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى ● وهم في فجوة منه ● جملة حالية مبينة لكون ذلك
امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان كفها عنهم يد التقدير
● ذلك ● اي ما صنع الله بهم من ازورار الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها ● من آيات الله
العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان يسد وقيل باب الكهف
وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس
اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل
عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك وقع التزاور
على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف شأنه هذا وانما جعل اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك
الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله عم على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة ● من يهد الله
الى الحق بالتوفيق له ● فهو المهتد ● الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق
ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرفق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها
● ومن يضلل ● اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه ● فلن تجد له ● ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء ● وليا
مرشدا ● يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه ● وتحسبهم
بفتح السين وقرئ بكسرها والخطاب فيه كما فيما سبق ● ايقاظا ● جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو المتيقظ ومدار الحسبان انفتاح عيونهم
على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم ● وهم رقود ● اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا
على ذكره السابق من الضرب على آذانهم ● ونقلبهم ● في رقدتهم ● ذات اليمين ● نصب على الظرفية اي جهة تلي ايمانهم
● وذات الشمال ● اي جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم
الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى
الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم ● وكلبهم ● قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا
فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده
قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف في لونه فقيل كان احمر وقيل اصفر وقيل
الصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تتوه وقيل قطمور وقيل غير ذلك قال خالد بن معدان ليس في الجنة

من

باب الكهف شماليا

من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا ● باسط ذراعيه ● حكاية حال ماضية
ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى
● بالوصيد ● اي بموضع الباب من الكهف ● لو اطلعت عليهم ● اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على
الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو ● لوليت منهم فرارا ● هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى
ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار
واما على انه مفعول له ● ولملئت منهم رعبا ● وقرئ بضم العين اي خوفا يملأ الصدر ورعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك
لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا
يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم
ولعل تأخير هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب
المجموع من حيث هو هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو
اطلعت عليهم الآية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله
تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد ● وكذلك بعثناهم ● اي كما انمناهم
وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ● ليتساءلوا بينهم ● اي ليسأل بعضهم بعضا
فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على
ذكره لاستتباعه لسائر آثاره ● قال ● استئناف لبيان تساؤلهم ● قائل منهم ● هو رئيسهم واسمه مكسلمينا ● كم
لبثتم ● في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة ● قالوا ● اي بعضهم ● لبثنا يوما او بعض يوم
قيل انما قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب
بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب ● قالوا ● اي بعض آخر منهم بما سنح لهم
من الادلة او بالهام من الله سبحانه ● ربكم اعلم بما لبثتم ● اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد
منهم على الاولين بأجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم
ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية والخطاب في المحكي يقتضي ان الكلام جار على منهاج المحاورة و
المجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا ● فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ● قالوه اعراضا عن التعمق في
البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان
القائل ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو وسكون الراء
مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى ● فلينظر ايها ● اي اهلها ● ازكى ● احل واطيب
او اكثر وارخص ● طعاما فليأتكم برزق منه ● اي من ذلك الازكى طعاما ● وليتلطف ● وليتكلف اللطف في المعاملة
كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ● ولا يشعرن بكم احدا ● من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي
الى ذلك فالنهي على الاول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للامر بالتلطف ● انهم ● تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في
التلطف وعدم الاشعار لانهم ● ان يظهروا عليكم ● اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها
● يرجموكم ● ان ثبتم على ما انتم عليه ● او يعيدوكم في ملتهم ● اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة
كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم
كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب في المواضع
الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض النصح ادخل في القبول واهتمام
الانسان بشأن نفسه اكثر واوفر ● ولن تفلحوا اذا ● اي ان دخلتم فيها ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير ● ابدا ● لا في

في الدنيا وفي الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى • وكذلك • اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازدياد بصيرتهم في
اليقين • اعثرنا • اي اطلعنا الناس • عليهم ليعلموا • اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة • ان وعد الله
اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث او البعث الموعود دخولا اوليا
حق • صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث • وان الساعة • اي القيامة التي
هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء • لا ريب فيها • لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم
وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور
فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب اعمالهم • اذ يتنازعون • ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه لغاية اظهار كمال العناية بذكره اي
ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون • بينهم امرهم • ليرتفع الخلاف ويتبين الحق
قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول
ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس
مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة
لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان
على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا بان فتية فروا
بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك
الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فرآهم في المنام
كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم لما انتهوا الى الكهف
قال لهم الفتية مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا
عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه الرجال
وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل • فقالوا • فصيحة اي اعثرناهم عليهم فرأوا ما رأوا ثم ماتوا فقالوا اي قال بعضهم
ابنوا عليهم • اي على باب كهفهم • بنيانا • لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى • ربهم اعلم بهم
من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف
قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه ردا لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل
امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فالفاء متعلق بقوله تعالى
قال الذين غلبوا على امرهم • وهم الملك والمسلمون • لنتخذن عليهم مسجدا • وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار
صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان
اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى
مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو متأخر في الوقوع • سيقولون • الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي
عليه السلام من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم • ثلاثة رابعهم كلبهم • قيل قالته النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا • رجما بالغيب • رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه وظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن
وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستأنف
او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك • ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم • هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم
بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل • قل • تحقيقا للحق
وردا على الاولين • ربي اعلم • اي اقوى علما • بعدتهم • منهم • ما يعلمهم • اي ما يعلم عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن
العلم بعدتهم • الا قليل • من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو

تفصيل اصحاب كهف

انقطعت

انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله تعالى عنه انا من اولئك القليل ولو كان في ذلك وحي آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو
ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي
وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشطيطيوس • فلا تمار • الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذ قد عرفت جهل اصحاب
القولين الاولين فلا تجادلهم • فيهم • اي في شأن الفتية • الا مراء ظاهرا • قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب
وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق • ولا تستفت
فيهم • في شأنهم • منهم • من الخائضين • احدا • فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال
علماء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول الثالث
وفيه تجشم عما في الاول من التكلف في جعل الاقوال المحكية المنظومة في سمط واحد ناشئة عن الحكاية مع كون الآخرين بخلافه وتوجيه
في سبب حذف المفعول في لا تمار والمعنى حينئذ وقد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطأ في ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا
نطق به الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان تعلق النهي عن الاستفتاء لدفع ما عسى يتوهم من احتمال جوازه او احتمال
وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا تراجع اليهم في شأن الفتية ولا تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث
التلقي من الوحي • ولا تقولن لشيء • اي لاجل شيء تعزم عليه • اني فاعل ذلك الشيء • غدا • اي فيما يستقبل من
الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين
فسألوه عليه السلام فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان مدلول العبارة هو
الغد وما بعده ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في مناط النهي فان في سعة المجال دليل القدرة فليتدبر
الا ان يشاء الله • استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد
وهو ان يقال ان شاء الله او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئة اذن فان النسيان
ايضا بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاة استثناء اعتراضها للنهي
قيل الاستثناء جار مجرى التأبيد كأنه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله • واذكر ربك
بقولك ان شاء الله متداركا له • اذا نسيت • اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم
تحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق
ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا ويجوز ان
يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت
بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة
المنسية عند ذكرها • وقل عسى ان يهدين ربي • اي يوفقني • لاقرب من هذا • اي لشيء اقرب واظهر من نبأ
اصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي • رشدا • اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك
حيث آتاني من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعدة ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة
الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي • ولبثوا في كهفهم • احياء مضروبا على آذانهم • ثلثمائة سنين
وازدادوا تسعا • وهي جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب
فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم هكذا وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله تعالى عنه
انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين
فيكون ثلثمائة وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه
ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع • قل الله اعلم بما لبثوا • اي بالزمان الذي
لبثوا فيه • له غيب السموات والارض • اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه

غير مختص بالغيب • أبصر به وأسمع • ذكر بصيغة التعجب إيذانا بأن شأنه سبحانه في علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين
لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية
والباء مزيدة وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ثم نقل إلى صيغة الأمر للإنشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما
في كفى به والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعدية إن كانت
للصيرورة ولعل تقديم أمر إبصاره تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات • ما لهم • لأهل السموات والأرض • من دونه
تعالى • من ولي • يتولى أمورهم وينصرهم استقلالا • ولا يشرك في حكمه • في قضائه أو في علم الغيب • أحدا • منهم ولا يجعل
له فيه مدخلا وهو كما ترى أبلغ في نفي الشريك من أن يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على أن الخطاب لكل أحد ولما
دل اشتمال القرآن الكريم لقصة أصحاب الكهف من حيث إنها بالنسبة إلى النبي عليه السلام من المغيبات على أنه وحي معجز أمره عليه السلام بالمداومة
على دراسته فقال • واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك • ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله • لا مبدل لكلماته
لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره • ولن تجد • أبد الدهر وإن بالغت في الطلب • من دونه ملتحدا • ملجأ تعدل إليه عند إلمام
ملمة • واصبر نفسك • احبسها وثبتها مصاحبة • مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • أي دائبين على الدعاء
في جميع الأوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة على أن دخال اللام عليها وهي علم في الأغلب على تأويل التنكير والمراد بهم
فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل إنه قال قوم من رؤساء الكفرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبعك
الأرذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الأمر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية إلى إدامة الصحبة • يريدون
بدعائهم ذلك • وجهه • حال من المستكن في يدعون أي مريدين لرضاه تعالى وطاعته • ولا تعد عيناك عنهم • أي لا يجاوزهم
نظرك إلى غيرهم من عداه أي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو أو لا تصرف عيناك النظر عنهم إلى غيرهم من عدوته عن الأمر
أي صرفته عنه على أن المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الإعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام
عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء • تريد زينة الحياة الدنيا • أي تطلب مجالسة الأشراف والأغنياء وأصحاب
الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الأول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين وإسناد
الإرادة إليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الأخريين
• ولا تطع • في تنحية الفقراء عن مجلسك • من أغفلنا قلبه • أي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة أو وجدناه
غافلا كقولك أجبنته وأبخلته إذا وجدته كذلك وهو من أغفل إبله أي لم يسمها بالذكر • عن ذكرنا • كأولئك الذين
يدعونك إلى طرد الفقراء عن مجلسك فإنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الأوقات وفيه تنبيه
على أن الباعث له إلى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه أن الشرف بحلية النفس
لا بزينة الجسد وقرئ أغفلنا قلبه على إسناد الفعل إلى القلب أي حسبنا غافلين عن ذكرنا إيانا بالمؤاخذة من أغفلته إذا وجدته
غافلا • واتبع هواه وكان أمره فرطا • ضياعا وهلاكا أو متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس
فرط أي متقدم للخيل أو هو بمعنى الإفراط والتفريط فإن الغفلة عن ذكره سبحانه تؤدي إلى اتباع الهوى المؤدي إلى التجاوز
والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الإطاعة • وقل • لأولئك الغافلين
المتبعين هواهم • الحق من ربكم • أي ما أوحي إلي الحق لا غير كائنا من ربكم أو الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى
يتصور فيه التبديل أو يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى • فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • إما من تمام القول المأمور به والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا التفريع عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وقوله تعالى الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين أي عقيب تحقق أن ما أوحي إلي حق لا ريب فيه وأن ذلك الحق من جهة ربكم من شاء
أن يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء أن يكفر به فليفعل وفيه من التهديد وإظهار
الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبإيمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى وإما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما

بعدها

بعدها من التهديد على الأمر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء أن يؤمن به أو أن يصدقك فيه
فليؤمن ومن شاء أن يكفر به أو أن يكذبك فيه فليفعل وقوله تعالى • إنا أعتدنا • وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل
لما يفيده من الزجر عن الكفر أو لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فإن إعداد جزائه
من دواعي الإملاء والإمهال وعلى الوجه الأول هو تعليل للأمر بما ذكر من التخيير التهديدي أي قل لهم ذلك إنا أعتدنا
للظالمين • أي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على أن مشيئة الكفر واختياره
تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه • نارا • عظيمة عجيبة • أحاط بهم • أي يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للتحقيق
سرادقها • أي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها
دخانها وقيل حائط من نار • وإن يستغيثوا • من العطش • يغاثوا بماء كالمهل • كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت
وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم • يشوي الوجوه • إذا قدم ليشرب انشوى الوجه بحرارته عن النبي عليه السلام هو كعكر الزيت
فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه • بئس الشراب • ذلك • وساءت • النار • مرتفقا • وأصل الارتفاق نصب
المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار وإنما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا • إن الذين آمنوا • في محل التعليل للحث على
الإيمان المنفهم من التخيير كأنه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للإيذان بكمال تنافي حالي الفريقين أي إن الذين آمنوا بالحق
الذي أوحي إليك • وعملوا الصالحات • حسبما بين في تضاعيفه • إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا • خبر إن الأولى
مع ما في حيزها والراجع محذوف أي من أحسن منهم عملا أو مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن
عملا في الحقيقة هو الذي آمن وعمل الصالحات • أولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة • لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار
استئناف لبيان الأجر أو هو الخبر وما بينهما اعتراض أو هو خبر بعد خبر • يحلون فيها من أساور من ذهب • من الأولى
ابتدائية والثانية بيانية صفة لأساور والتنكير للتفخيم وهو جمع أسورة أو أسوار جمع سوار • ويلبسون ثيابا خضرا
خصت الخضرة بثيابهم لأنها أحسن الألوان وأكثرها طراوة • من سندس وإستبرق • أي مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع
بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين • متكئين فيها على الأرائك • على السرر على ما هو شأن
المتنعمين • نعم الثواب • ذلك • وحسنت • أي الأرائك • مرتفقا • أي متكأ • واضرب لهم • أي
للمؤمنين والكافرين • مثلا رجلين • مفعولان لاضرب أولهما ثانيهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي اضرب
للكافرين والمؤمنين لا من حيث أحوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من أن للأولين في الآخرة كذا وللآخرين كذا بل من حيث
عصيان الأولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين أو محققين هما
أخوان من بني إسرائيل أو شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا
وعقارا وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوه المبار فآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى وقيل هما أخوان من بني مخزوم كافر هو الأسود بن عبد الأسد
ومسلم هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد زوج أم سلمة رضي الله عنها أولا • جعلنا لأحدهما • وهو الكافر • جنتين • بستانين • من أعناب
من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة لرجلين • وحففناهما بنخل • أي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما
يقال حفه القوم إذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به • وجعلنا بينهما • وسطهما
زرعا • ليكون كل منهما جامعا للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الأنيق • كلتا الجنتين آتت أكلها
ثمرها وبلغ مبلغا صالحا للأكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى أكله • ولم تظلم منه • لم تنقص من أكلها • شيئا
يعهد ذلك في سائر البساتين فإن الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الأشجار يأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض
• وفجرنا خلالهما • فيما بين كل من الجنتين • نهرا • على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير
ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن
الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة
وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار • وكان له • لصاحب الجنتين

ثمر أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله إذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال
مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو أي القائل يحاوره أي صاحبه المؤمن وإن جاز العكس
أي يراجعه في الكلام من حار إذا رجع أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا أو أولادا ذكورا لأنهم الذين ينفرون معه
ودخل جنته التي تفرعت أحوالها وعدد ما وصف أنهارها وأشجارها وتوحيدها إما لعدم تعلق الغرض بتعددها وإما لاتصال إحداهما بالأخرى
وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر
دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل قال ما أظن أن تبيد هذه أي تفنى أبدا لطول أمده وتمادي
غفلته واغتراره بمهلته ولعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات
وما أظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقول إلى ربي لأجدن يومئذ خيرا منها
أي من هذه الجنة وقرئ منهما أي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وهذا منه الطمع واليمين الفاجرة اعتقادا أنه تعالى إنما أولاه
ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه لذاته وكرامته عليه سبحانه ولم يدر أن ذلك استدراج قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره
جملة حالية من فائدتها التنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة أكفرت حيث قلت ما أظن الساعة
قائمة بالذي خلقك أي في ضمن خلق أصلك من تراب فإن خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه لما أن خلق كل فرد من أفراد
البشر له حظ من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجماليا
مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل مادتك إذ به يحصل الغذاء الذي منه
يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا أي عدلك وكملك إنسانا
ذكرا أو صيرك رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لإنكار الكفر والتلويح بدلالة البعث الذي نطق به قوله عز
وجل يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا وقد قرئ كذلك فحذفت
الهمزة فتلاقت النونان فكان الإدغام وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربي والجملة خبر أنا والعائد منها إليه الضمير وقرئ بإثبات
الألف في الحال والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء ولكن هو الله ربي بطرح أنا ولكن أنا لا إله إلا هو ربي وهذا استدراك
لقوله تعالى أكفرت كأنه قال أنت كافر لكني مؤمن موحد ولا أشرك بربي أحدا فيه إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك
ولولا إذ دخلت جنتك قلت أي هلا قلت عند ما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للإيذان بتحتم القول في آن الدخول
من غير ريث لا للقصر ما شاء الله أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان
على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها
لا قوة إلا بالله أي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره عن النبي عليه السلام
من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا أنا إما مؤكد لياء المتكلم أو ضمير
فصل بين مفعولي الرؤية إن جعلت علمية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا تأكيدا لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل
توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبرا لأنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى
وولدا تنصره لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك جواب الشرط والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع
من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب
جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها
وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم في باقي الآيات للأول
أكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضا ملساء تزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء
والشجر والنبات أو يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثاني على يرسل ماؤها غورا أي غائرا في الأرض أطلق
عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له أبدا أي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده وأحيط بثمره
أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور

استحقاقه

من رأى شيئا فأعجبه فقال

واهلك

وأهلك أمواله وإنما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن
وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون هلاك
الباقي من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أنفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه
إلى مصالحها رجاء أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا ينالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا فلما
ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء السريع الزوال
وهي أي الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها أي دعائمها المصنوعة للكرم لسقوطها
قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع إما لأنها العمدة وهما من متماتها وإما لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر
هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الأولى وإما لأن الإنفاق في عمارتها أكثر وقيل
أرسل الله تعالى عليها نارا فأحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب أو حال من ضميره أي وهو يقول
يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما أصابه
قيل ويحتمل أن يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه
يقدرون على نصره بدفع الإهلاك أو على رد المهلك والإتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم
مثليهم من دون الله فإنه القادر على ذلك وحده وما كان في نفسه منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه
سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق أي النصرة له وحده لا يقدر عليها أحد فهو
تقرير لما قبله أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير
عقبا أي لأوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان أي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع
منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله يا ليتني لم أشرك الخ
كان عن اضطرار وجزع مما دهاه على أسلوب قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك إشارة
إلى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على أنه صفة للولاية وبنصبه على أنه مصدر
مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا أي واذكر لهم
ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الآخرة صفحا بالمرة
أو بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استئناف لبيان المثل أي كماء أنزلناه من السماء
ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير فاختلط به فاشتبك بسببه نبات الأرض فالتف
وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع فيه الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا
فكان الظاهر فاختلط بنبات الأرض ووجه إيثار ما عليه النظم الكريم عليه المبالغة في الكثرة فإن كلا من المختلطين موصوف
بصفة صاحبه فأصبح ذلك النبات الملتف إثر بهجته ورونقه هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح
تفرقه وقرئ تذريه من أذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات
المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كأن لم يغن بالأمس وكان الله على كل شيء من الأشياء التي
من جملتها الإنشاء والإفناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحياة الدنيا بيان لشأن ما كانوا
يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الأخ الكافر أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا إثر بيان شأن نفسها بما مر من المثل
وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما في الآية المحكية آنفا وقوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين وغير ذلك من
الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة إلى الأفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل
من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ مبلغ الأبوة ولأن
المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود ولأنه
زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وإفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الاثنين

لما انها مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين
في الحيوة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي شانها ان تزول قبل زوالها
والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل
كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه
دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت شانه
من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لاسيما
في مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر
محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف لذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له خيريتها
عند ربك اي في الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها من المال
والبنين مع مشاركة الكل في الاصل اذ لا مشاركة لهما في الخيرية في الآخرة ثوابا عائدة تعود الى صاحبها وخير املا
حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار
باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها
كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره
تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم
القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه
وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها والخطاب لرسول الله عم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء
للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب واختيار صيغة الماضي بعد نسير
وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا
وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر
اي لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ماء يتركه
السيل في الارض الغائرة وقرئ بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت
وعرضوا على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان لياءمر فيهم بما يامر وفي الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل
للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عم من تربية المهابة والجري على سنن الكبرياء واظهار اللطف به عم
ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله
الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اي مقولا
لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا في يوم نسير كما قيل فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود
بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص التعلق بما قبله من الرفع والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما خلقناكم
نعت لمصدر مقدر اي مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اي كائنين كما خلقناكم اول مرة وتركتم
ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اي
زعمتم في الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفي بينها
وبين خبرها لكونها جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا
وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التي اريد تذكيرها بتذكير وقتها
واورد فيه ما اورد في مثاله من صيغة الماضي دلالة على التقرر ايضا اي وضع صحائف الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس
والمراد بوضعها اما وضعها في ايدي اصحابها يمينا وشمالا واما في الميزان فترى المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة

المنكرة

يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا

المنكرة للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على
ما في تضاعيفه نقيرا او قطميرا يا ويلتنا منادين لهلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اي
يا ويلتنا احضري فهذا اوان حضورك ما لهذا الكتاب اي اي شيء له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
اي حواها وضبطها جملة حالية محققة لما في الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشا من التعجب كانه قيل
ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا في الدنيا من السيئات او جزاء
ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد في عقابه المستحق فيكون اظهارا
لمعدلة القلم الازلي واذ قلنا للملائكة اي اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما وقدم تفصيله
فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستانف
سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه
اي خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة
للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن
الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى
افتتخذونه فان الهمزة للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اي اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته
اي اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة
عن جماعة من الشياطين اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم اي والحال ان ابليس وذريته
لكم عدو اي اعداء كما في قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له
بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف
له قطعا بئس للظالمين اي الواضعين للشيء في غير موضعه بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفي الالتفات الى الغيبة
مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف
مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور في انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من خباثة المحتد والنشوء على العداوة
اي ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض
[illegible]

ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفي اتخاذ
وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وعضدا بفتحتين
على انه جمع عاضد كرصد وراصد ويوم يقول اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين
زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اى نادوهم للاغاثة وفيه
بيان لكمال اعتنائهم باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم اذ لا
امكان لذلك وفي ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين
والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون
فيه وهو النار او عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق
البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار
وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اى فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها
او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه
ولقد صرفنا اى كررنا واوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل
من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعاني البديعة الداعية الى الايمان التي هي في الغرابة
والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه وكان الانسان بحسب جبلته اكثر شيء جدلا اى اكثر الاشياء
التي يتأتى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لان كلا من
المجادلين يلتوي على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس اى اهل مكة الذين
حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الاشراك اذ جاءهم الهدى اى القرآن العظيم
الهادي الى الايمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التي من جملتها مجادلتهم
للحق بالباطل الا ان تأتيهم سنة الاولين اى الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستئصال او يأتيهم العذاب اى عذاب الآخرة قبلا اى انواعا جمع قبيل
او عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اى مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحال
من الضمير او العذاب والمعنى ان ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة الغوية لما
امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين اى الامم ملتبسين بحال من الاحوال
الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا
بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به اى بالجدال
الحق اى يزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا
ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اى انذروه من القوارع
الناعية عليهم العقاب والعذاب او انذارهم هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به ومن اظلم
ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله
الوضعي نفي الاظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم الا ان مفهومه العرفي انه اظلم من كل ظالم وبناء الاظلمية على ما في
الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه
اى عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على
قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول
لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه على كنهه او مفعول له اى كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا اى جعلنا فيها

وقرا

وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا اى فلن يكون منهم اهتداء البتة
مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي عليه السلام المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عليه السلام ما لي لا
ادعوهم فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده في المواطن
الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة اى الموصوف
بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك المضار
وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم
الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية او لانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم
لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي
عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن آيات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب
لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي
المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة
ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل
فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم
ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجا او ملجأ يقال وأل اى نجا ووأل اليه اى لجأ اليه
وتلك القرى اى قرى عاد وثمود واضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف اى اهل تلك القرى خبره قوله تعالى
اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش ما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول
اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد
الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى آخره وجعلنا لمهلكهم اى عينا لهلاكهم موعدا
اى وقتا معينا لا يحيدون عنه وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا
بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى نصب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله عليه السلام
لفتاه وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام سمي فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه ويسمى التلميذ فتى
وان كان شيخا ولعل المراد بتذكيره تعقيب بيان ان لكل موعدا بذكر ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع
الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اى لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه
الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله حتى ابلغ فان ذلك غاية تستدعي ما هي غاية له يؤدي اليها ويجوز ان يكون اصل الكلام
لا يبرح مسيري حاصلا حتى ابلغ فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير البارز المجرور والمحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة
الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اى لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع البحرين هو ملتقى
بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل بحرا الكر والرس بارمينية وقيل افريقية وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي
حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة ان موسى عليه السلام لما ظهر
على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطبهم بخطبة بديعة رقت بها
القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك
عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى
قصة خضر عليه السلام
ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي
يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى
فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب
كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان

فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل
الذي جعل فقدانه امارة وجدان المطلوب اي نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليهما السلام ان يأمره فيه
بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه صخرة وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا الا حيي وصغار ونسها على الصخرة فناما فاصاب
الحوت برد الماء وروحه فعاش وقد كانا اكلا منه وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح
الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق قيل امسك الله عز وعلا جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه بمنظرة لموسى وللخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على انه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه او من سبيل
ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما جاوزا اي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ادلجا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي على
موسى عم الجوع فعند ذلك قال لفتاه آتنا غداءنا اي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا
هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر بايتاء
الغداء اما باعتبار ان النصب انما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال
اي فتاه عليهما م ارأيت اذ اوينا الى الصخرة اي التجأنا اليها واقمنا عندها وذكر الاواء اليها مع ان المذكور فيما سبق
مرتين بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فان المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه وتمهيد لعذر
فان الاواء اليها والنوم عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده
بالاستفهام تعجيب موسى عم مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارأيت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب صاحبه منه
وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت
وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المأمور باتيانه للتنبيه من اول
الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء
وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيوانات مع زيادة اي نسيت ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه
الا الشيطان بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اي ما انساني ان اذكره لك
وفي تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره له ثانيا على طريق الابدال المنبئ عن تنحية المبدل منه اشارة الى ان متعلق النسيان
ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه
والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عم والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ
سبيله في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار
كانه قيل حي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما او هو
المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اي اتعجب منه عجبا وقد
قيل انه من كلام موسى عم وليس بذاك قال اي موسى عم ذلك الذي ذكرت من امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات
الياء والضمير العائد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اي نطلبه لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اي رجعا على آثارهما
طريقهما الذي جاءا منه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا
من عبادنا التنكير للتفخيم والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس عليهم السلام
آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء وعلمناه من لدنا علما
خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى استيناف مبني على سؤال نشأ من السياق
كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن استيذانا منه في اتباعه له على وجه التعلم
مما علمت رشدا اي علما ذا رشد ارشد به في ديني والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت
محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه

صاحب

اذا نابه خطب ارأيت ما نابني

صاحب شريعة ان يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه عم
قال اي الخضر انك لن تستطيع معي صبرا نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله
بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب
لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى اني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت
على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك قال موسى عم ستجدني ان شاء الله صابرا
معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر
ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في
الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدني فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء
ح وفيه دليل على ان افعال العباد بمشيئة الله سبحانه قال فان اتبعتني اذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء
لتفريع الشرطية على ما مر من التزامه موسى عم للصبر والطاعة فلا تسألني عن شيء تشاهده من افعالي اي لا تفاتحني بالسؤال
عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى ابتدئ ببيانه وفيه ايذان بان كل ما صدر
عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة
فانطلقا اي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عم الى بني اسرائيل
قيل انهما مرت بهما سفينة فكلما اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة استعمال الركوب في امثال هذه
المواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما تقتضيه تعديته بنفسه لما اشرنا اليه في قوله تعالى وقال
اركبوا فيها لا لما قيل من ان في ركوبها معنى الدخول خرقها قيل خرقها بعد ما لججوا اخذ الخضر فاسا فقلع من الواحها
لوحين مما يلي الماء فعند ذلك قال موسى اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق
وليغرق اهلها من الثلاثي لقد جئت اتيت وفعلت شيئا امرا اي عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل اصل الامر
امر مخفف قال اي الخضر الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار
على عدم الوفاء بوعده قال لا تؤاخذني بما نسيت بنسياني او بالذي نسيته وهو وصيته بان لا يسأله
عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي [illegible] وفي صحيح البخاري
من ان الاول كان من موسى نسيانا او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره
في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا
تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي فقبل عذره فخرجا من
السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب مع الغلمان فاقتلع عنقه وقيل ضرب رأسه
بالحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عم اقتلت نفسا زكية طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية
بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان
والزنا بعد الاحصان لانه اقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل خرقها جزاء للشرط وجعل
هنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عم في معرض الجزاء المقصود افادة [illegible]
عن الخضر من الخوارق البديعة [illegible]
ولا كذلك [illegible] في الشرطية الاولى [illegible] مخرج العادة فانصرف
عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عم [illegible]
الى [illegible]
[illegible]

فان كون القتل اقبح من مبادي قتله لصدوره عن المؤمن العاقل وندرته وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله
مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت
شيئا نكرا • قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر
لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة • قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا • زيد لك زيادة المكافحة
بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في الاستنكار في
المرة الثانية • قال • اي موسى عم • ان سالتك عن شيء بعدها • اي بعد هذه المرة • فلا تصاحبني • وقرئ فلا تصحبني
اي لا تجعلني صاحبك • قد بلغت من لدني عذرا • اي قد اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلث مرات عن
النبي صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون
وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد • فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية • هي انطاكية وقيل ابلة وهي ابعد ارض الله
من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة باندلس عن النبي عم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف
ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى • استطعما اهلها • في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم
على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع
روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم • فابوا ان يضيفوهما • بالتشديد وقرئ بالتخفيف
من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف السهم عن
الغرض ونظيره زاره من الازورار • فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض • اي يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة
للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير
والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن
اذا انشقت طولا • فاقامه • قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا • تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى
الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند
البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء • قال • اي الخضر عم • هذا فراق بيني وبينك
على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه نفس الفراق كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر
اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود • سانبئك
السين للتاكيد لعدم تراخي التنبئة • بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا • التاويل رجع الشيء الى ماله والمراد به هنا المال والعاقبة
اذ هو المتبادر دون التاويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن
واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عم للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت
ونحوهما نوع تعريض به وعتاب • اما السفينة • التي خرقتها • فكانت لمساكين • لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة
وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة • يعملون في البحر • واسناد العمل الى الكل حينئذ بطريق التغليب او لان
عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين • فاردت ان اعيبها • اي اجعلها ذات عيب • وكان وراءهم ملك • اي امامهم
وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندي بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي • ياخذ كل
سفينة • اي صالحة وقد قرئ كذلك • غصبا • من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع
ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدار كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ هي
المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الاول ولذلك لا يبالي بتخليص سفن سائر الناس مع تحقق
خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب • واما الغلام
الذي قتلته • فكان ابواه مؤمنين • لم يصرح بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره • فخشينا

ان يرهقهما

ان يرهقهما • فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين • طغيانا • عليهما • وكفرا • لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا
وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما
خشي الخضر عم منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء
عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك • فاردنا ان يبدلهما ربهما
بان يرزقهما بدله ولذا اخر اسمه وفي التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما
• خيرا منه زكوة • طهارة من الذنوب والاخلاق الردية • واقرب رحما • اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد
وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة • واما الجدار • المعهود • فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي
القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل
اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون • وكان تحته كنز لهما • من فضة وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز
وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن
بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم • وكان ابوهما صالحا • تنبيه على ان سعيه في ذلك كان
لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء • فاراد ربك • اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب
الى ضمير موسى عم دون ضميرهما تنبيه له عم على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن المناقشة
فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة • ان يبلغا اشدهما • اي حلمهما وكمال رايهما • ويستخرجا كنزهما • من تحت الجدار ولولا
انه لا ينقض لخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية • رحمة من ربك • مصدر في موقع
الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اي فعلت ما فعلت
من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وعلا
• وما فعلته عن امري • اي عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك • ذلك • اشارة الى العواقب المنظومة في سلك
البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة • تاويل ما لم تسطع • اي لم تستطع فحذف التاء
للتخفيف • عليه صبرا • من الامور التي رايته اي مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه
فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للنكير وتشديد للعتاب تنبيه
اختلفوا في حيوة الخضر عم عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب من مائها واخطاها ذو القرنين الطريق فعاد قالوا وانهما
ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم
قال ارايتكم ليلتكم هذه فان راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لما عاش
بعد مائة عام روي ان موسى عم لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به
• ويسالونك عن ذي القرنين • هم اليهود سالوه على وجه الامتحان او سائر قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة
على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن
اسحق اسمه مرزبان بن مرذبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل
مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن يعرب
بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة وقيل انه افريدون
بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية
ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عمير بن افريقيش الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي
افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب

ينبغي اسباب امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون
وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى الغاية التي
نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد
ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه
ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون
والقبط والبربر ثم توجه الى دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند
وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدنا كثيرة
ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد
ان اهل النجوم
وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف فسقط عن دابته
فبسطت له دروع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو
ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا
وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني
كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه فانه مما لا يكاد يتأتى نسبته
الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول
للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشياء النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين
ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي ان عمر رض سمع رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء
حتى تسميتم باسماء الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها
من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر
على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد ذكر الازرقي وغيره انه اسلم على يدي ابراهيم الخليل عليه السلام
فطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروي انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم عم بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه
اتي بفرس ليركب فقال لا اركب في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عم بذلك فكانت السحاب
تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال ابو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه اكان نبيا او ملكا فقال
لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح الله فناصحه فسخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته
واختلف في وجه تسميته بذي القرنين
بذي القرنين فقيل لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم والترك وقيل لانه كان في رأسه او في تاجه
ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل
فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه رأى في منامه انه صعد الفلك
فاخذ بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه
الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن
هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نونه بن شرخون بن رومه بن نوفيل بن رومي
بن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام كذا نسبه ابن عساكر المعروف باليوناني المصري باني الاسكندرية
الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة كان قبل المسيح عم بنحو من ثلثمائة سنة وكان
وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما نبهنا على هذا لان
كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول
كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر عم وقد قيل انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس
الفيلسوف وقد كان بينهما من الزمان اكثر من الفي سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم

غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت محفوفة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك
عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد
ولكن فيها علائم تحكي كمال عظمها في عهد عمرانها ونهاية شوكة اهلها وسلطنتها ولقد مررت بها عند القفول عن بعض
المغازي السلطانية فعاينت فيها من عجائب الآثار ما فيه عبرة لاولي الابصار • قل • لهم في الجواب • سأتلو عليكم
اي سأذكر لكم • منه • اي من ذي القرنين • ذكرا • اي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية
عن جهته عز وجل قيل سأتلو اي سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكرا اي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقيق
المناسب لمقام تأييده عم وتصديقه بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قول من قال ح سأشكر عمرا ان
تراخت منيتي ايادي لم تمنن وان هي جلت لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية
ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عم عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف
فقال لهم عم ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل
التمكين بمعنى الاقدار
انا مكنا له في الارض • شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الاقدار وتمهيد الاسباب
يقال مكنه ومكن له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما
في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين من حيث
القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد
والاسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكنا لهم في الارض ما لم نمكن لكم وهذا
اذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عم والمعنى انا جعلنا له
مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الاسباب
وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض وذللت له طرقها • وآتيناه
من كل شيء • اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه • سببا • اي طريقا يوصله اليه وهو
كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة • فاتبع • بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا
يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق ان الاول
فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني • حتى اذا بلغ مغرب الشمس • اي منتهى الارض من جهة المغرب
بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس الذي فيه الجزائر
المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين • وجدها • اي الشمس • تغرب في عين
حمئة • اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة روي ان
معاوية رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص
كيف تقرأ قال كما تقرأ يا امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وفي
لفظ فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون
الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رض بما سمعه من كعب
مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل
المحيط رآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب • ووجد عندها •
عند تلك العين • قوما • قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله عز وجل
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى • قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب •
بالقتل من اول الامر • واما ان تتخذ فيهم حسنا • اي امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر
على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء

او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك اقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا اي
في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك النبي
موافقا لشريعة ذلك النبي • قال • اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تعالى مختارا الشق
الاخير • اما من ظلم • اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك • فسوف نعذبه
بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه • ثم يرد الى ربه • في الآخرة • فيعذبه
فيها • عذابا نكرا • اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه
وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته • واما من آمن • بموجب دعوتي • وعمل • عملا
صالحا • حسبما يقتضيه الايمان • فله • في الدارين • جزاء الحسنى • اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى
او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدا اعتناء به او منصوب بمضمر اي نجزي بها جزاء والجملة
حالية او معترضة بين المبتدا والخبر المقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه
لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدا والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر وجوابه
من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا
يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان
فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب • وسنقول له من امرنا • اي مما نامر به • يسرا • اي سهلا متيسرا
غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين • ثم اتبع سببا • اي طريقا راجعا من مغرب
الشمس موصلا الى مشرقها • حتى اذا بلغ مطلع الشمس • يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض
وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك
بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوى له الاسباب • وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا • من اللباس
والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر
فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقالوا بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا
تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما
طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون
ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض
كذلك • اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير
والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل سترهم من اللباس الاكنان والجبال وغير ذلك • وقد احطنا بما لديه
من الاسباب والعدد • خبرا • يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول
واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتامل • ثم اتبع سببا
اي طريقا ثالثا معترضا بين المغرب والمشرق اخذا من الجنوب الى الشمال • حتى اذا بلغ بين السدين • بين الجبلين اللذين
سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق
الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل اسما
ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك • وجد من دونهما • اي من ورائهما
مجاوزا عنهما • قوما • اي امة من الناس • لا يكادون يفقهون قولا • لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من
باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال

السدى

وصف ياجوج وماجوج

السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجه فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم
اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك لانهم تركوا خارجين
قال اهل التاريخ اولاد نوح عم ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة
ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة وياجوج وماجوج • قالوا • اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم
ذي القرنين كلامهم وافهام كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب • يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج
قد ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح عم وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم فقيل
في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قد بعضهم نحو
مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف
وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرا عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث • مفسدون في الارض • في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام
الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس ايضا • فهل نجعل لك خرجا
اي جعلا من اموالنا والفاء لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال
وقيل الخراج ما على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد
وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه • على ان تجعل بيننا وبينهم سدا • وقرئ بالضم • قال
ما مكني • بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكنني • فيه ربي • وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر
الاسباب • خير • اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخرج فلا حاجة بي اليه • فاعينوني بقوة • اي بفعلة
وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى
فيه من الهم او على عدم قبول خرجهم • اجعل • جواب للامر • بينكم وبينهم • تقديم اضافة الظرف الى ضمير
المخاطبين على اضافته الى ضمير ياجوج وماجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا وبينهم
ردما • اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي فيه رقاع وهذا اسعاف
بمرامهم فوق ما يرجونه • آتوني زبر الحديد • جمع زبرة كغرف في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم
لان المامور به الايتاء بالثمن والمناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • حتى اذا ساوى بين الصدفين • [illegible]
[illegible]
[illegible] • قال انفخوا • [illegible]
[illegible] • حتى اذا جعله • [illegible] • نارا • [illegible]
[illegible]
[illegible] • قال آتوني افرغ عليه قطرا • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • فما اسطاعوا • بحذف التاء [illegible]
[illegible]
[illegible]

يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته
وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر
الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكأنه سبحانه وتعالى صرف تأثير
تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مربوطا
بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اي ذو القرنين
لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل المتقدم اي هذا الاثر
ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر
بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق
عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي
مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه
ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي
ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة
الى التمكين المذكور دكاء اي ارضا مستوية وقرئ دكا اي مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد
اندك ومنه الجمل الادك اي المنبسط السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد
بيان سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا
ثابتا لا محالة وواقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته
قوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء وتحقيق لمضمونه اي جعلنا
بعض الخلائق يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب
امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض يأجوج ومأجوج
يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه
ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث
الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل
مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل
الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة
الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال
وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب
والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا
الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا
اي عرضا فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة
الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب
عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت اعين بصائرهم
غطاء عن ذكري على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم
عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا للذكر وكلام الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار
والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض

هلاك قوم ياجوج ماجوج

جهنم

جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا
منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى
الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت اباك لا لانكار
الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا
كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي
اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى
وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي اولياء معبودين ينصرونهم من بأسي وما قيل انها للعطف على ما
قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخال همزة الانكار عليها للذم
وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا ومعنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر
غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكر من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة
كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تعاميهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار
بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون
فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام
منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم
والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
وكافيهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل
فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار
ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم
وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء
من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر
جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم وراء جهنم من العذاب ما هو انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره
ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول الامر
وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان حال
الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها
ومشاهدة آثارها اثر بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم
اي ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص
بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال ما عملوه من الاحكام
المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما
يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين
وجعله مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الآية يأباه
ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه
ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثاني
مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
احسانا الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون انهم يعملون ذلك على
الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل اي بطل

سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون في ذلك ينتفعون بآثاره او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع كقوله تعالى
اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم آه والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني
نفس سعيهم والاول ادخل في بيان خطائهم اولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين
وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون
بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض
لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة على ما هي عليه
فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين بما مر من حبوط
الاعمال وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا اي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مدار الاعمال الصالحة
وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر
فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير
الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير او عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية
دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة
بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي
جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء
لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا
بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين
اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال
كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايذان الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم
للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية
وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم
خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد وهو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه
ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله عم في الجنة مائة درجة ما بين كل
درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن
ومنه تتفجر انهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من جنات الفردوس
والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات
نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عند ما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر
خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور
ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة
حال من صاحب خالدين او من ضميره فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر اي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة
من الحبر لكلمات ربي لتحرير كلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك
لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربي
لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم
في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو
جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو

يس في الجنان اعلى
من جنة الفردوس

لعطف

لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته
تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع
ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي الابعاد وقرئ مددا جمع مدة وهي
ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة
بكلماته التامة يوحى الي من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له في الخلق ولا في سائر احكام الالوهية
وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته
وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر
على رجاء كرامته تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا
كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير
وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير رضه قال لرسول الله صلعم
اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عم ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عليه السلام
قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عم اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك
الاصغر قال الرياء وعن رسول الله من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها
كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم آه كان له من مضجعه نورا
يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى
البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه وتعالى على نعمه العظام

سورة مريم عليها السلام ثمان وتسعون آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل الصاد
لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على
الوقف سواء جعلت اسما للسور او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا
نحو هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها اجراء على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما
للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت
الاشارة اليه مع عدم جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى
فلان او على انه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك اي المسمى به ذكر رحمة آه فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة
ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب
اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما
جنح اليه اهل التحقيق فذكر آه خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة
مرادا به السورة ذكر رحمة آه او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها اي هذا ذكر رحمة الخ
وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو
ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
للايذان بان تنزيل السورة عليه عم تكميل له عم وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لها
بها وقيل للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف
فلان اي بلغني وقوله عز وجل زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك

وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر
في الكتاب مريم اذ انتبذت ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص
وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة
وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين
وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران • قال • جملة مفسرة لنادى
لا محل لها من الاعراب • رب اني وهن العظم مني • اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد فاذا اصابه
الضعف والرخاوة اصاب كله ولانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا وهن كان ما وراءه اوهن
وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء
وبضمها ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها • واشتعل الرأس شيبا • شبه عليه السلام الشيب في البياض
والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند
الاشتعال الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة
ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة
الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا
ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين • ولم اكن بدعائك رب شقيا • اي لم اكن بدعائي اياك
خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى
واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة
من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعدما عوّد عبده بالاجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة
افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه
فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته • واني خفت الموالي • عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على
مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل
فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله • من ورائي • اي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق اليه
الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر
من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلّوا وعجزوا عن
القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا
مسرعين اي درجوا قدامي ولم يبق منهم من به تقوٍّ واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت • وكانت امرأتي عاقرا •
اي لا تلد من حين شبابي • فهب لي من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء
الغاية مجازا وتقديم الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل
بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك
الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية • وليا • اي ولدا من صلبي وتأخيره عن الجارين
لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل
او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام
من كبر السن وضعف القوى وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية
واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور

من

من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم
ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء
بما ذكر في موطن عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى • يرثني • صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه
بالجزم جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال قال
عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا • ويرث من آل يعقوب •
يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت
زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل
هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي
كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث
من بني ماثان ملكهم وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب
بالتصغير فقيل انه تصغير وارث لصغره عليه السلام لما يرثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل من يرثني على طريقة التجريد
اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليهم السلام انبياء ولا علماء • واجعله رب رضيا •
مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه • يا زكريا •
على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا • انا نبشرك بغلام اسمه يحيى • لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة
الملك على ان يحكي عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقد مر
تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له
ووهبنا له يحيى الآية بل بعضا حسبما تقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبياء عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة
لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابرهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي عليه السلام حيث قال وسألته ان
لا يذيق بعضنا بأس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فتحقق دعوته في الاول دون
الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام
تأكيد للوعد وتشريف له وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى • لم نجعل له من قبل سميا • اي شريكا له في الاسم
حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام وهذا شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى
[illegible]
• قال • استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال • رب •
مع وصول الخطاب اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم
خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك
• انى يكون لي غلام • كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها
[illegible]
• وكانت امرأتي عاقرا • [illegible]
• وقد بلغت من الكبر عتيا • [illegible]

عتيا من عتا يعتو وأصله عتو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية أيضا لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما أنه قد ذكر حاله في ذلك قدرته على ذكر حال امرأته لما المسارعة إلى بيان قصور شأنه انما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه في ذلك بإظهار أنه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الأمور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما أجيب فيزداد المؤمنون إيقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها النصب على أنه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الأول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت أي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة حينئذ حال من ربك أي آثار عبارة عن ضميره كما ستعرفه أو اعتراض وعلى كل حال فهو مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم أخرج القول مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء وتربية المهابة وإدخال الروعة كقول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك مكان أنا أرسم ثم أسند إلى اسم الرب المضاف إلى ضميره عليه السلام تشريفا له وإشعارا بعلة الحكم فإن تذكير جريان أحكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من إيجاده من العدم وتصريفه في أطوار الخلق من حال إلى حال شيئا فشيئا إلى أن يبلغ كماله اللائق به مما يقلع أساس استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمئنان بإنجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغائب العائد إلى الرب إلى ياء العظمة إيذانا بأن مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك إشارة إلى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو لأنها لا تدخل بين المفسر والمفسر وأما الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أي قال عز وعلا الأمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك إلخ استئناف مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الأولى أو حال من المستكن في الجار والمجرور وأيا ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في إسناد القول إلى الرب ثم الالتفات إلى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك إشارة إلى ما قاله زكريا عليه السلام أي قال تعالى الأمر كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك إلخ استئناف مسوق لإزالة استبعاده بعد تقريره أي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة بالنصب أدخل في إفادة هذا المعنى على أن الواو للعطف فإن جعلها للحال مخل بسداد المعنى لأن ما لم يقرر صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع أن المقصود بيان سهولته تعالى مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر إذ هو الواقع إثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد والتناسل فنسب ذلك إلى آدم عليه السلام وهو مخلوق من العدم حقيقة بأن يقال وقد خلقت أباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع فرط الاستبعاد بتنبيس حال البشرية على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس من حيث نبه على أن كل فرد من أفراد البشر له حظ من إنشائه عليه السلام من العدم إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت أنموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء إجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان إبداعه عليه السلام على ذلك الوجه إبداعا لكل أحد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري إلى جميع أفراد ذريته أبدع من أن يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور إليه وأدل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم كونه بشرا حينئذ أظهر عنده وأجلى وكان حاله أولى بأن يكون معيارا لحال سائر البشرية نسب الخلق المذكور إليه كما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين في قوله

تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية لمقام الامتنان حقه كما قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك إذ ذاك شيئا أصلا عدما بحتا ونفيا صرفا هذا وأما حمل الشيء على المعتد به أي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لي آية أي علامة تدلني على تحقق المسئول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فإن ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وإنما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة من تعيينه وهو أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره إلى أن تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الإشارة إليه في تفسير سورة آل عمران ولعل هذا السؤال ينبغي أن يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي أن يحيى كان أكبر من عيسى عليهما السلام بستة أشهر أو بثلث سنين ولا ريب في أن دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي إنما ولدت عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين أو بنت ثلث عشرة سنة والجعل إبداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أو بمحذوف وقع حالا من آية إذ لو تأخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين أولهما آية وثانيهما الظرف فتقديمه لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك ألا تكلم الناس أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلث ليال مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار أي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب أي من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغيرا لونه فأنكروه وقالوا ما لك فأوحى إليهم أي أومى إليهم لقوله تعالى إلا رمزا وقيل كتب على الأرض وأن في قوله تعالى أن سبحوا إما مفسرة لأوحى أو مصدرية والمعنى أي صلوا أو بأن صلوا بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن أبي العالية أن المراد بهما صلوة الفجر وصلوة العصر أو نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بأن يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك يا يحيى استئناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة إلى الإنباء بإنجاز الوعد الكريم أي قلنا يا يحيى خذ الكتاب أي التوراة بقوة أي بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو ابن ثلث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا أو رحمة في قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما وزكوة أي طهارة من الذنوب أو صدقة تصدق بها على أبويه أو وفقناه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا أي بارا بهما لطيفا بهما محسنا إليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا عاقا لهما أو عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من أن يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيمة وعذاب النار واذكر في الكتاب كلام مستأنف خوطب به النبي عليه السلام وأمر بذكر قصة مريم إثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن إذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الأنبياء المذكورين فيها أي واذكر للناس مريم أي نبأها فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان وقوله تعالى إذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على أن يكون المأمور ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على أن المراد بها نبأها فإن الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على أن المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل إذ بمعنى أن المصدرية كما في قولك أكرمتك إذ لم تكرمني أي لأن لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى من أهلها متعلق بانتبذت وقوله

مكاناً شرقياً • مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الإتيان المترتب وجوداً واعتباراً على أصل معناه العامل في الجار والمجرور
وهو الشرقي تأخيره عنه أي اعتزلت وانفردت منهم وأتت مكاناً شرقياً من بيت المقدس أو من دارها لتتخلى هناك للعبادة
وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو بشيء يسترها وذلك قوله تعالى • فاتخذت من دونهم حجاباً
وكان موضعها المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فبينا هي في مغتسلها أتاها
الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى • فأرسلنا إليها روحنا • أي جبريل عليه السلام
عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سبباً لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في
قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان • فتمثل لها بشراً سوياً • سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان
نعوت الآدمية شيئاً وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى
منه ما يلقى إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته وأما ما قيل من أن ذلك
لتهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى • قالت
إني أعوذ بالرحمن منك • فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلاً عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى
مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من
الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة
التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى • إن كنت تقياً • متقياً لله تعالى مبالياً بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
السياق عليه أي فإني عائذة به أو فتتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي • قال إنما أنا رسول ربك • يريد عليه السلام أني
لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به • لأهب لك غلاماً • أي لأكون
سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفي بعض المصاحف
أمرني أن أهب لك غلاماً • زكياً • طاهراً من الذنوب ونامياً على الخير أي مترقياً من سن إلى سن على الخير والصلاح • قالت
أنى يكون لي غلام • كما وصفت • ولم يمسسني بشر • أي والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل وإنما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها
عن مبادي الولادة • ولم أك بغياً • عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح
أي ولم أكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل أو الفعيل بغوي كما يقال فلان نهو عن المنكر وإنما لم تلحقه التاء لأنها من باب النسب
كطالق أو بمعنى المفعول أي يبغيها الرجال للفجور بها • قال • أي الملك تقريراً للمقالة وتحقيقاً لها • كذلك
الأمر كما قلت لك وقوله تعالى • قال ربك • إلخ استئناف مقرر له أي قال ربك الذي أرسلني إليك • هو • أي ما ذكرت
من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلاً • علي • خاصة • هين • وإن كان مستحيلاً عادة لما أني لا أحتاج إلى الأسباب
والوسائط وقوله تعالى • ولنجعله آية للناس • إما علة لمعلل محذوف أي ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهاناً يستدلون به
على كمال قدرتنا نفعل ذلك أو معطوف على علة أخرى مضمرة أي لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية إلخ والواو على الأول اعتراضية
والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الجلالة • ورحمة • عظيمة كائنة • منا • عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون
بإرشاده • وكان • ذلك • أمراً مقضياً • محكماً قد تعلق به قضاؤنا الأزلي أو قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه
عليك البتة أو كان أمراً حقيقياً بأن يقضى ويفعل لتضمنه حكماً بالغة • فحملته • بأن نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة
في جوفها قيل إنه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح إليها فحملت في الحال وقيل إن النفخة كانت
في فيها وكانت مدة حملها سبعة أشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غيره وقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات
وقيل ساعة كما حملت وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين • فانتبذت به
أي فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على الحالية أي فانتبذت
ملتبسة به • مكاناً قصياً • بعيداً من أهلها وراء الجبل وقيل أقصى الدار وهو الأنسب بقصر مدة الحمل • فأجاءها

أصلها بغوي فأدغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل إنه فعيل بمعنى الفاعل صح

في كيفية نفخ الروح

المخاض • أي فألجأها وهو في الأصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل في غيره كآتى في أعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما
مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج • إلى جذع النخلة • لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو
ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف إما للجنس أو للعهد
إذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب
الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها • قالت يا ليتني مت • بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت
قبل هذا • أي هذا الوقت الذي لقيت فيه ما لقيت وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام
من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفاً من لائمتهم أو حذراً من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها أو جرياً على سنن
الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال يا ليتني هذه التبنة
ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال ليت بلالاً لم تلده أمه • وكنت نسياً • أي شيئاً تافهاً شأنه أن ينسى ولا يعتد به
أصلاً وقرئ بالكسر قيل هما لغتان في ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح
مصدر سمي به المفعول مبالغة وقرئ بهما مهموزاً من نسأت اللبن إذا صببت عليه ماءً فصار مستهلكاً فيه وقرئ
نساً كعصاً • منسياً • لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم إتباعاً له بالسين • فناداها
أي جبريل عليه السلام • من تحتها • قيل إنه كان يقبل الولد وقيل من تحتها أي من مكان أسفل منها تحت الأكمة وقيل
من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم • ألا تحزني • أي لا تحزني على أن
أن مفسرة أو بأن لا تحزني على أنها مصدرية قد حذف عنها الجار • قد جعل ربك تحتك • أي بمكان أسفل منك
وقيل تحت أمرك إن أمرت بالجري جرى وإن أمرت بالإمساك أمسك • سرياً • أي نهراً صغيراً حسبما روي
مرفوعاً قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن جبريل عليه السلام ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولاً
وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فإنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها
ولا ورق فضلاً عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها إذ ذاك رأساً وخوصاً وثمراً وقيل كان هناك ماء جار
والأول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سرياً أي سيداً نبيلاً رفيع الشأن
جليلاً وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع
الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية • وهزي • الهز تحريك إلى الجهات المتقابلة تحريكاً
عنيفاً متداركاً والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى • إليك • أي إلى جهتك والباء في
قوله عز وعلا • بجذع النخلة • صلة للتأكيد كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به وأخذ
الخطام وأخذ بالخطام أو لإلصاق الفعل بمدخولها أي افعلي الهز به أو هزي الثمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع
حالاً من مفعول الهز أي هزي إليك الرطب كائناً بجذعها • تساقط • أي تسقط النخلة • عليك • إسقاطاً
متواتراً حسب تواتر الهز وقرئ تُسقط ويُسقط من الإسقاط بالتاء والياء وتتساقط بإظهار التاءين ويساقط
بالياء الثانية وتساقط بإدغامها في السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على أن التاء للنخلة
والياء للجذع وقوله تعالى • رطباً • على القراءات الثلاث الأول مفعول وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى
جنياً • صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أي رطباً مجنياً أي صالحاً للاجتناء وقيل بمعنى فاعل أي طرياً
طيباً وقرئ جنياً بكسر الجيم للإتباع • فكلي واشربي • أي من ذلك الرطب وماء السري أو من الرطب وعصيره
وقري عيناً • وطيبي نفساً وارفضي عنها ما أحزنك وأهمك فإنه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج في صدور المتقيدين بالأحكام
العادية بأن أظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم إلى الوقوف على
حقيقة أمرك وقرئ وقري بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه
من النظر إلى غيره أو من القر فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين

للمحبوب والمكروه فإما ترين من البشر أحدا أي آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين
الهمزة والياء من التآخي فقولي له إني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وقد قرئ كذلك وصيا
وكان صيامهم بالسكوت فلن أكلم اليوم إنسيا أي بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل
أمرت بأن تخبر بنذرها بالإشارة وهو الأظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل ما لم يؤكد
بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء والاكتفاء بكلام عيسى
فإنه نص قاطع في قطع الطعن فأتت به قومها أي جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت من نفاسها تحمله
أي حاملة له قالوا مؤنبين لها يا مريم لقد جئت أي فعلت شيئا فريا أي عظيما بديعا منكرا من فري
الجلد أي قطعه أو جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشيء تحقيقا للاستغراب يا أخت هارون استئناف لتجديد التعيير وتأكيد
التوبيخ عنوا به هارون النبي عم وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما ألف سنة
وقيل هو رجل صالح أو طالح كان في زمانهم شبهوها به أي كنت عندنا مثله في الصلاح أو شتموها به ما كان أبوك امرأ سوء
وما كانت أمك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش
فأشارت إليه أي إلى عيسى عم أن كلموه والظاهر أنها بينت حينئذ نذرها وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت
ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها
كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض
مبهم صالح للقريب والبعيد وهو ههنا للقريبة خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من
المستكن فيه أو هي تامة أو دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق
النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عم إني عبد الله أنطقه الله عز وجل بذلك أول ذي أثر
تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي رح لما أشارت
إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا مما فعلت وروي أنه عم كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه
واتكأ على يساره وأشار بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان آتاني
الكتاب أي الإنجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي
في الأفعال الثلاثة إما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل أكمله الله عقلا واستنبأه
طفلا أينما كنت أي حيثما كنت وأوصاني بالصلاة أي أمرني بها أمرا مؤكدا والزكاة زكاة المال
إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا أي جعلني برا
بها وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به مبالغة أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر
والجر عطفا على الصلاة والزكاة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام علي يوم
ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا كما هو على يحيى على أن التعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على
أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض
بأن العذاب على من كذب وتولى ذلك إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو
رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم
لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه
قول الحق بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض مقرر لمضمون ما
قبله وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق
أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فإن القول
والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون أي يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله

كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع

وقرئ

وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله أي ما صح وما استقام له تعالى أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى
وتنزيه له تعالى عما بهتوه وقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى
أمرا من الأمور أن يعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب
على الجواب وقوله تعالى وإن الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى عم قيل هو عطف على قوله إني عبد الله
داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأنه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله
تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقيل معطوف على الصلاة هذا أي الذي ذكرته من التوحيد
صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها
على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فإن ما حكي من مقالات عيسى عم مع كونها نصوصا قاطعة
في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله
وقالت اليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه
فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول إيذانا بكفرهم جميعا وإشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم
أي من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء عليهم السلام وألسنتهم وآذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر آرائهم
بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى وأمه أسمع بهم وأبصر تعجب من
حدة أسماعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء أي يوم القيامة
جدير بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا أو تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم
ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الأول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن
الظالمون اليوم أي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع
الظالمين موضع الضمير للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم وأنذرهم يوم الحسرة أي يوم يتحسر الناس قاطبة
أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه إذ قضي الأمر أي فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة
والنار وروي أن النبي صلعم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظرون
فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح وأهل النار غما إلى
غم وإذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم فكيف بالظرف
وهم في غفلة أي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال
مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين
فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل إنا نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى
الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه وإلينا يرجعون أي يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالا
أو اشتراكا واذكر عطف على أنذرهم في الكتاب أي في السورة أو في القرآن إبراهيم أي اتل على الناس
قصته وبلغها إياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم فإنهم ينتمون إليه عليه السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من
القبائح إنه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله
والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر فإن وصفه عليه السلام بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للأول
مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية أي كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب
للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فإن كل نبي صديق إذ قال بدل اشتمال من إبراهيم وما بينهما
اعتراض مقرر لما قبله أو متعلق بكان أو بنبيا وتعليق الذكر بالأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره
مرارا أي كان جامعا بين الأثرين حين قال لأبيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا أبت

الموت على صورة كبش الملح فيذبح

اي يا ابي فان التاء عوض عن ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء • لم تعبد ما لا يسمع
ثناءك عليه عند عبادتك وجؤارك اليه • ولا يبصر • خضوعك وخشوعك بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات
والمبصرات فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا اوليا • ولا يغني • اي لا يقدر على ان يغني • عنك شيئا • في جلب نفع
او دفع ضر ولقد سلك عم في دعوته احسن منهاج واقوم سبيل واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب
متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل
ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع انها لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام
العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح
والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل
السليم عن عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك
بجماد مصنوع ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم
الالهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال • يا ابت اني قد جاءني
من العلم ما لم يأتك • ولم يسم اباه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز
نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال • فاتبعني اهدك صراطا سويا
اي مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره
بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر
فقال • يا ابت لا تعبد الشيطان • فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله
ان الشيطان كان للرحمن عصيا • تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم
ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بان تسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عم وذريته فتذكيره
داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لاظهار كمال شناعة عصيانه وقوله • يا ابت
اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن • تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده
من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم • فتكون
للشيطان وليا • اي قرينا في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وابراز الاعتناء بامره • قال • استيناف مبني على سؤال
نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال ابوه عند ما سمع منه عم هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده
اراغب انت عن آلهتي يا ابرهيم • اي معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار الى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب
كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى • لئن لم تنته لارجمنك • تهديد وتحذير
عما كان عليه من العظة والتذكير اي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان
واهجرني • اي فاحذرني واتركني • مليا • اي زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به • قال • استينافا كما
سلف • سلام عليك • توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه بعد ولا اشافهك بما
يؤذيك ولكن • سأستغفر لك ربي • اي استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك للتوبة ويهديك الى الايمان كما
يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على
الكفر مما لا ريب في جوازه وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما
الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا يرى الى انه عم قال لعمه ابي طالب
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه

وانما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر

في ان هذا

في ان هذا الوعد من ابرهيم عم وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الآية انما كان
قبل انقطاع رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة و
استثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل
ورود النهي والموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عم
قبل التبين فلم يتناوله النهي اصلا وان الوعد المحظور لا يرفع حظره بل لان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود
الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه لا عدم جوازه وقد انقطع
ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يتردد فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء
عليه قطعا وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة
له عم عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا
عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى • انه كان بي حفيا • اي بليغا في البر
والالطاف تعليل لمضمون ما قبله • واعتزلكم • اي اتباعد عنك وعن قومك • وما تدعون من دون الله
بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصائحي • وادعو ربي • اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في
سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد استدعاء الولد ايضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السياق والسباق
عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا • اي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير
الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل
لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى • فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله • بالمهاجرة الى الشام • وهبنا له اسحق ويعقوب • بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب
المهاجرة فان المشهور ان الموهوب حينئذ اسمعيل عم لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين
ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء
فانهما شجرتا الانبياء ولهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عم لما قصد الشام اتى اولا
حران تزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر • وكلا • اي كل واحد منهما او منهم
وهو مفعول اول لقوله تعالى • جعلنا نبيا • قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اي كل
واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض • ووهبنا لهم من رحمتنا • هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم نبيا للايذان
بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والاظهر انها عامة لكل خير
ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين • وجعلنا لهم لسان صدق عليا • يفتخر بهم الناس ويثنون
عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم
واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار
وتبدل الدول وتحول الملل والنحل • واذكر في الكتاب موسى • قدم ذكره على ذكر اسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر
يعقوب عم • انه كان مخلصا • موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه
وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه • وكان رسولا نبيا • ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك
قدم رسولا مع كونه اخص واعلى • وناديناه من جانب الطور الايمن • الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب
اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عم او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل
له الكلام من تلك الجهة • وقربناه نجيا • تقريب تشريف مثل حاله عم بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه
لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات

حتى سمع صريف القلم • ووهبنا له من رحمتنا • اي من اجل رحمتنا ورأفتنا له او بعض رحمتنا • اخاه • اي معاضدة اخيه
ومؤازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي • هرون اخي لا نفسه لانه كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول
مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان له وقوله تعالى • نبيا • حال منه • واذكر في الكتاب اسمعيل
فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى • انه كان صادق الوعد
تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين
فوفى • وكان رسولا نبيا • فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم عليهم السلام كانوا
على شريعته • وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة • اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب
الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل الكل
بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام اباء الامم • وكان عند ربه مرضيا • لاتصافه
بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة • واذكر في الكتاب ادريس • وهو سبط شيث وجد ابي نوح
فان نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في
تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في
علم النجوم والحساب • انه كان صديقا • ملازما للصدق في جميع احواله • نبيا • خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق
نبيا • ورفعناه مكانا عليا • هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما قال
تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عليه السلام انه
سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها
مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب الذي قضيت فيه فقال ان عبدي ادريس سألني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل
بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء • اولئك • اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما
من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى • من ذرية آدم • بدل منه باعادة الجار
• الذين انعم الله عليهم • صفة له اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله • من النبيين
بيان للموصول وقوله تعالى • من ذرية آدم • بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم
اعم من الانبياء واخص من الذرية • وممن حملنا مع نوح • اي ومن ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام
فان ابرهيم كان من ذرية سام بن نوح • ومن ذرية ابرهيم • وهم الباقون • واسرائيل • عطف على ابرهيم اي ومن ذرية
اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية • وممن هدينا واجتبينا
اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى • اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا • خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئنافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما
لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا
اي ساجدين باكين عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله
بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر
لمجانسة الياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد
في سجدته بما يليق باياتها فههنا يقول اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة
آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك • فخلف من بعدهم خلف
يقال للعقب الخير خلف بفتح اللام وللعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء • اضاعوا الصلوة

وقرئ

اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم

وقرئ الصلوات • اي تركوها او اخروها عن وقتها • واتبعوا الشهوات • من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت
من الاب والانهماك في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور •
فسوف يلقون غيا • اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو
لا يعدم على الغي لائما • وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد
في جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى • الا من تاب وآمن وعمل صالحا • يدل على ان الآية في حق الكفرة •
فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر اي فاولئك المنعوتون
بالتوبة والايمان والعمل الصالح • يدخلون الجنة • بموجب الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول • ولا
يظلمون شيئا • اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق
لا يضرهم ولا ينقص اجورهم • جنات عدن • بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب
على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا
ورفعا وعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة
التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال
ما اضيف اليه بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى • التي وعد الرحمن عباده • وجعله بدلا خلاف
الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان
بان وعدها وانجازه لكمال رحمته تعالى والباء في قوله تعالى • بالغيب • متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات
او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها
وانما آمنوا بها بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم • انه كان وعده • اي موعوده
كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل • مأتيا • اي يأتيه من وعد
له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل مأتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه احسانا اي فعله • لا يسمعون فيها لغوا
اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في
هذه الدار ما امكن • الا سلاما • استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل
بطريق التعليق بالمحال كما في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب • ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا •
تلك الجنة • مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين اهلها فما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها •
التي نورث • اي نورثها • من عبادنا من كان تقيا • اي نبقيها عليهم ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث
مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب فسخا
ولا استرجاعا ولا ابطالا وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة
في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد • وما نتنزل الا بامر ربك • حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ
عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان
ذلك كله وانزل الله عز وجل هذه الآية وسورة والضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق على
مطلق النزول كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته
وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي • له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك • وهو ما نحن فيه من الاماكن

والازمنة ولا ينتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته • وما كان ربك
نسيا • اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن تركه تعالى لك وتوديعه اياك
كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه والاشعار
بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج
والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدنا وما
نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال
العاملين والمعنى تحقيق معرفته تعالى بها وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى • رب السموات والارض وما بينهما
بيان لامتناع النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول
ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك والفاء في قوله تعالى • فاعبده واصطبر
لعبادته • لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه
تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فانه
معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك ولا ينسى اعمال العاملين كائنا من
كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك
في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات
للعبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من
شداته • هل تعلم له سميا • السمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى
بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه وآكده
فالجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله
عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان
المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية
على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى باستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة
ح باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر • ويقول الانسان • المراد اما الجنس
باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال زعم محمد انا نبعث
بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد • ائذا ما مت لسوف اخرج حيا •
اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت
وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتاكيد مجردة عن معنى
الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة
مكسورة على الخبر • اولا يذكر الانسان • من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور
وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية
على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا يذكر • انا خلقناه من قبل • اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة
بقائه • ولم يك شيئا • اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق
بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر
فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل • فوربك • اقسامه باسمه عزت اسماؤه

مضافا

اخذ عظاما بالية ففتها

مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عليه السلام ورفع منزلته • لنحشرنهم • لنجمعن القائلين بالسوق
الى المحشر بعد ما اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه وآكده كانه امر واضح
غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال • والشياطين • معطوف على الضمير المنصوب
او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في
سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده • ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا •
ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا
غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو
بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها
فاجتمعت واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا
لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول
المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به
قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون
من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة • ثم لننزعن من كل شيعة •
اي من كل امة شاعت دينا من الاديان • ايهم اشد على الرحمن عتيا • اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم
فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من
كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب وندخل كلا منهم طبقته التي تليق
به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة
واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره
بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق
عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى
لننزعن بعض كل شيعة وكانه قيل من هم فقيل ايهم اشد عتيا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل على
الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى • ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا • اي هم اولى بصليها او
صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم
واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد • وان منكم • التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون
الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيده ان قرئ وان منهم اي ما منكم احد
• الا واردها • اي واصلها وحاضرها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه عليه السلام
سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد
وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها
الجواز على الصراط الممدود عليها • كان • اي ورودهم اياها • على ربك حتما مقضيا • اي امرا محتوما
اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لا محالة واقع وقيل اقسم عليه • ثم ننجي الذين اتقوا • الكفر والمعاصي مما كانوا
عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي على البناء
للمفعول وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك • ونذر الظالمين • بالكفر والمعاصي • فيها جثيا •
منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم
وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم • واذا تتلى عليهم • اي على الناس • اياتنا • حكاية لما قالوا عند سماع

اذا دخل اهل الجنة الجنة

الآيات الآتية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم اي واذا تتلى على المشركين • آياتنا • التي من جملتها هاتيك الآيات
الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة وقوله تعالى • بينات • اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان
الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات الاعجاز حال مؤكدة من آياتنا • قال الذين كفروا • اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه على انهم قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم
النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى • للذين آمنوا • للتبليغ كما في مثل قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام
الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول
هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى • اي الفريقين • اي المؤمنين والكافرين كأنهم
قالوا اينا • خير • نحن او انتم • مقاما • اي مكانا وقرئ بضم الميم اي موضع اقامة ومنزلا • واحسن نديا
اي مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون ذلك
لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه
وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته هوان المؤمنين عليه تعالى لقصور
حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم
من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله • وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا • اي كثيرا من القرون التي كانوا
افضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب
ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل
ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة
وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه
والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها
او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع
فانه عبارة عن المحاسن المجموعة • قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا • لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع
كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل امر
الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين بها على ان من على عمومها واما على
وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم اي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل
والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اي يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه
على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار
في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام
الرحمة الدنيوية وقوله تعالى • حتى اذا رأوا ما يوعدون • غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد
بحسب الذات وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى • اما العذاب واما الساعة • تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل
فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم من الخزي والنكال
على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى • فسيعلمون • جواب الشرط والجملة
محكية بعد حتى اي حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي والاخروي فقط فسيعلمون الخ • من هو شر مكانا
من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما • واضعف جندا
اي فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله

وما كان

وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك
في الاندية والمحافل • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى • كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضلال
وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى
والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحيوة ليس
لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك قوله تعالى
والباقيات الصالحات خير • على تقديري الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل
اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى • عند ربك • اي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها
ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه صلى الله عليه وسلم • ثوابا • اي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة
الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله
تعالى • وخير مردا • اي مرجعا وعاقبة وتكرير خير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة
بمعزل من ان يكون لهم خير في العاقبة تهكم بهم • افرأيت الذي كفر بآياتنا • اي بآياتنا التي من جملتها آيات البعث
نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا
ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثمة مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني
لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت وابعث فاوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله و
الايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين الم تر وارأيت بعد بيان
اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من
حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارأيت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل فقد حقق مقالا
وغابت عنه اشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل ارأيت الذي يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي انظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل من شاهدها • وقال • مستهزئا بها مصدرا كلامه
باليمين الفاجرة والله • لاوتين • في الآخرة • مالا وولدا • اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجرأته
الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارأيت بمعنى اخبر والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا
الكافر عقب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما الآية وانت خبير بان المشهور استعمال ارأيت في معنى
اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه
جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب وقوله تعالى • اطلع الغيب • رد لكلمته الشنعاء واظهار
لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي اقد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استأثر به العليم الخبير
حتى ادعى ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا واقسم عليه • ام اتخذ عند الرحمن عهدا • بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به
الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة
وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه
مع خباب كان كذلك وقوله تعالى • كلا • ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه • سنكتب ما يقول
اي سنظهر انا كتبنا قوله كقوله شعر اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة • اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من
كتب جريمته وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى البروز فيكون
استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤوس الاشهاد بابداعها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان
كتبة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا • ونمد له من العذاب مدا • مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد

اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعفه له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه بآياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب • ونرثه بموته • ما يقول • اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما آتيناه • ويأتينا • يوم القيامة • فردا • لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على صدور القول المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قاله بطريق الاستهزاء • واتخذوا من دون الله آلهة • حكاية لجناية عامة للكفرة المستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى • ليكونوا لهم عزا • اي ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده • كلا • ردع لهم وانكار لتعززهم بها • سيكفرون بعبادتهم • اي ستجحد الآلهة عبادتهم • ويكونون عليهم ضدا • • الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين • • تؤزهم ازا • • فلا تعجل عليهم • • انما نعد لهم عدا • • يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا • • ونسوق المجرمين الى جهنم وردا • عطاشا

نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر متقدم خوطب النبي عليه السلام اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر
وقيل على الظرفية لقوله تعالى • لا يملكون الشفاعة • والذي تقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان
ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد
الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لا لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل
الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله تعالى
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا • على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل
او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى المؤدي
الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من ... او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا
للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثالث استثناء من الشفاعة على حذف المضاف و
المستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام
فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الرابع استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا
يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • حكاية لجناية اليهود والنصارى
ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف
القصة وقوله تعالى • لقد جئتم شيئا ادا • رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال
السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر
والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره
فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى • تكاد السموات • الخ صفة لادا او استئناف
لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير • يتفطرن منه • يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر
وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعّل وانفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف • وتنشق الارض
اي وتكاد تنشق الارض • وتخر الجبال • اي تسقط وتنهدم وقوله تعالى • هدا • مصدر مؤكد لمحذوف هو حال
من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير المصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل
وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير
لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام
العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم
وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولدا • منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور
باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا
وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدأ محذوف اي الموجب لذلك
ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاول هو الاولى ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد
اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى
وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا • حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا
اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به سبحانه اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته
في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان
يجانس من هو مبدأ النعم ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز قائلا • ان كل
من في السموات والارض • اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين • الا آتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له
يأوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل • لقد احصاهم • اي حصرهم واحاط بهم بحيث

لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته • وعدهم عدا • اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم وكل شيء
عنده بمقدار • وكلهم آتيه يوم القيمة فردا • اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل
من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شأنه تعالى وشأنهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال
ان يتخذ شيئا منهم ولدا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات • لما فصل قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال
المؤمنين • سيجعل لهم الرحمن ودا • اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان
والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل
احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة
في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام او لان
الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس الاشهاد وينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا
بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن
فانما يسرناه • اي القرآن • بلسانك • بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي
يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايجاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او
وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين • لتبشر به المتقين • اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي
وتنذر به قوما لدا • لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى • وكم اهلكنا قبلهم
من قرن • وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء
المعاندين وقوله تعالى • هل تحس منهم من احد • استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى • او تسمع لهم ركزا •
اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى
اهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي عن رسول الله صلعم من قرأ سورة مريم
اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى
في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مائة وخمس وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه • فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون
وهو من الفواتح التي يصدر بها السور الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رض والحسن ومجاهد
وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية
وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا
من هذا وما استشهد به من قول الشاعر ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ليس بنص في ذلك لجواز
كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأها بصيغة الامر من الوطئ فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها
كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلعم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأبى التفسير بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف
مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ طه على ان اصله طأ فقلبت همزته هاء كما في ارقت هرقت او قلبت الهمزة
في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق بها هاء السكت واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين اقيما مقامهما في الدلالة على
المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال انه اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما الا ان
الشطرين لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليعبر عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما وذلك
وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين
ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي

الشطرين

الشطرين من حيث هما مسميان بهما من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين يعني
طا على تقديري كونه اغراء او كونه حرف نداء وها على تقديري كونها كناية عن الارض او كونها حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين
في التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف لا وطا وها على ذكر من التقادير ليسا باسمين للجزئين المذكورين بل الاول اغراء او حرف نداء
والثاني ضمير الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها
من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها
من قوله تعالى • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى • فانه استئناف مسوق لتسليته صلى الله عليه وسلم عما كان يعتريه من جهة المشركين
من التعب فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد
في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك
على آثارهم الآية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه عم عما كان عليه من المبالغة
في المجاهدة في العبادة كما روي انه عم كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليهما السلام ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين آبائك
وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به
الاستثناء الآتي هذا وان جعل اسما للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ
كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه وعلى تقدير جعله
يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ
بلا عائد فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض
او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا
اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك
انما يتصور في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه
عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ما له ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها
لتشقى ولا يخفى ان حملها مجرد اعتبار مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى
الا تذكرة • نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بتبليغه الا تذكرة الآية كقولك ما ضربتك للتأديب الا اشفاقا لما انه يجب ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية
والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتأذى الا لزجر الغير فان التأديب في الاول مسبب
عن الاشفاق والتأذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي فلا يجدي ان يراد
الشقاء مع الجملة المجامع للتذكرة لظهور ان لا علاقة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا
تذكرة الا تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل
لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد
من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة • لمن يخشى • وقد جرد التذكرة عن
اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شأنه ان يخشى الله عز وعلا ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن
علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى • تنزيلا •
مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستئنافية فانها متضمنة لان يقال انزلناه
للتذكرة والاول هو الانسب لما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية
اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق بآيات

ببعض اخبار المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا مساغ له الا بان يكون قيدا لانزلنا بعد تقييده بالنفي الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدإ محذوف ومن في قوله تعالى • ممن خلق الارض والسموات العلى • متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الآية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية المفضية الى التذكر والايمان • الرحمن • رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدإ ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول بناء على ما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي على مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى • على العرش استوى • وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذي شأنه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدإ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى • له ما في السموات وما في الارض • سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما • وما بينهما • من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما • وما تحت الثرى • اي ما واراه التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة • وان تجهر بالقول • بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك • فانه يعلم السر واخفى • اي ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطر ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته في نفسك وما ستسره فيها [illegible] انه نهي عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى • الله • خبر مبتدإ محذوف والجملة مستأنفة مسوقة لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى • لا اله الا هو • تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل [illegible] وقوله تعالى • له الاسماء الحسنى • بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه وان [illegible]

حين

حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تأنيث الاحسن وصف الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى ومنه آياتنا الكبرى • وهل اتاك حديث موسى • استئناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر وقد خوطب به موسى عم حيث قيل انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عم مقاله حيث قال انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما ان ذلك ترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عم في تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فانه ان سياق النظم الكريم [illegible] المشاق وقوله تعالى • اذ رأى نارا • ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عم استأذن شعيبا عم في الخروج الى امه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور • فقال لاهله امكثوا • اي اقيموا مكانكم امرهم عم بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم • اني آنست نارا • اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمأمور به • لعلي آتيكم منها • اي اجيئكم من النار • بقبس • اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي المرادة بالجذوة في سورة القصص والشهاب القبس • او اجد على النار هدى • هاديا يدلني على الطريق على انه مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم اي فاذهب اليها لآتيكم او كي آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس الآية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون • فلما اتاها • اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي رأى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوء ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربعة انواع نوع له نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عم ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة • نودي يا موسى • اي نودي فقيل يا موسى • اني انا ربك • اوعومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال عم من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قلت وذلك لانه سماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة • فاخلع نعليك • امره عم بذلك لان الحفوة ادخل في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عليه السلام

[illegible]

من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى • انك بالواد المقدس • تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب وروده
الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها روي انه عليه السلام خلعهما والقاهما وراء الوادي • طوى • بضم الطاء غير منون
وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي
او المقدس اي نودي نداءين او قدس مرة بعد اخرى • وانا اخترتك • اي اصطفيتك للنبوة والرسالة
وقرئ انا اخترناك بالفتح والكسر والفاء في قوله تعالى • فاستمع • لترتيب الامر والمأمور به على ما قبلها فان اختياره
عليه السلام لما ذكر من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى • لما يوحى • متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية
اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا
بد من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى • انني انا الله لا اله الا انا • بدل مما يوحى ولا ريب في ان اختياره
عليه السلام ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى • فاعبدني • لترتيب المأمور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية
به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل • واقم الصلوة • خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر
مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب
واللسان بذكره وذلك قوله تعالى • لذكري • اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة
او لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي
لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها في الكتب
او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام
قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري وقرئ لذكرى بالف
التأنيث وللذكرى معرفا وللذكر بالتعريف والتذكير وقوله تعالى • ان الساعة آتية • تعليل لوجوب العبادة واقام
الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين
• اكاد اخفيها • اي لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت
او اكاد اظهرها باتيانها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه
من الاضداد يجيء بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى • لتجزى كل نفس بما تسعى • متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها
على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه
لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد
بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المأمور به في قوة الوجوب
والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطامات
وتحترز عن اقتراف ما يرديها من الهنات وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا
لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخير لما ذكر من ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع
انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد
احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة
والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك
الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي مطلق العمل • فلا
يصدنك عنها • اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهي
بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى • من لا يؤمن بها • لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في

المؤخر

في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عليه السلام
عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الانصداد عنها على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية
اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده
عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن
السبب على ان يراد نهيه عليه السلام عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما في قوله لا ارينك هنا
فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته • واتبع هواه • اي ما تهواه نفسه من اللذات الحسية
الفانية • فتردى • اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب
على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانت تردى • وما تلك بيمينك يا موسى • شروع في حكاية
ما كلفه عليه السلام من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع
بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك
قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي وما التي
هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس
والتنبيه • قال هي عصاي • نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة
اليه عليه السلام وقرئ عصي على لغة هذيل • اتوكأ عليها • اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع
واهش بها • اي اخبط بها الورق واسقط • على غنمي • وقرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا
عليها • ولي فيها مآرب اخرى • اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عليه السلام كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق
بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها قيل ومن جملة المآرب انها
كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام فهم ان
المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة
وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر
حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض
الذي فهمه من سؤال العليم الخبير • قال • استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل
فقيل قال • القها يا موسى • لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه • فالقاها
على الارض • فاذا هي حية تسعى • روي انه عليه السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت
فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها هاهنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من
اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة
وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة • قال •
خذها ولا تخف • عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر
ولكنه ما ملكت البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي
عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى • سنعيدها سيرتها الاولى • مع كونه استئنافا مسوقا
لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار
معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له عليه السلام ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة
فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من الثقة وعدم

لخوف اي حيث كان يدخل يده في فمها ويأخذ بلحيها او السيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على
الجار اي الى سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير
فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها اي جائزة سيرتها الاولى فتنتفع بها
كما كنت تنتفع من قبل • واضمم يدك الى جناحك • امر عليه السلام بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت
اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وسميا
جناحين لانه يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى • تخرج • جواب الامر وقوله تعالى • بيضاء • حال من الضمير
فيه وقوله تعالى • من غير سوء • متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص
كما كني بالسوءة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عليه السلام كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء
لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر • آية اخرى • اي معجزة اخرى غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في
تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل
مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى • لنريك من آياتنا الكبرى • متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما فعلنا
من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او نريك بذلك من آياتنا
التي هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من ذلك المفعول اي ما كان فالآية الكبرى
عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او
بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عراء آية العصا من وصف الكبر فتدبر • اذهب الى
فرعون • تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه
بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله تعالى • انه طغى • تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي
جاوز الحد في الكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي دعوى الربوبية • قال • استئناف مبني على سؤال ينساق
اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل • رب اشرح
لي صدري ويسر لي امري • لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري
ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا
يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل
عليه مع ذلك امره الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع
وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا
وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما
به • واحلل عقدة من لساني • روي انه كان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون
حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب فامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت
فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه
قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال
به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح مني وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب
عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام لذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني
اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله تعالى • يفقهوا قولي • جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها في الجملة يتحقق
ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في الجملة اما قوله تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قاله قبل استدعاء الحل
كما يعرب عنه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا تستدعي بقاءها اصلا بل تستدعي عدم البقاء لما ان الافصحية توجب
ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو

اللعاين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها
بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة لها ليس مقطوعا به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل
فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه او
ابتداء حصوله منه • واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي • اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان
اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم برأيه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر
بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل
قدم على الاول الذي هو قوله تعالى هرون اعتناء بشأن الوزارة ولي صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا
اذ هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لي وزيرا وهرون عطف بيان
للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل مفعولاه وزيرا من اهلي
ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية
ولا مساغ لجعل وزير مبتدا والاخبار عنه بما بعده • اشدد به ازري واشركه في امري • كلاهما على صيغة الدعاء
اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغي وفصل الاول عن الدعاء السابق
لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة
توسط بينهما العاطف • كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا • غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من
التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب انضمامه اليه مكثر له في نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده
اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد
بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي
التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد
وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من
جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من
صفات الكمال ونعوت الجلال والجمال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة
معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك ونثني عليك فلا يساعده المقام • انك كنت بنا بصيرا
اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان التعاون
مما يردفني اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل • قال قد اوتيت سؤلك
اي اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته
تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له وان كان وقوع بعضها
بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى • يا موسى •
تشريف له بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى • ولقد مننا عليك • كلام مستانف
مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من
غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال
الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا • مرة اخرى • اي في وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر
من هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة
من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد ماله افراد متجددة فصار علما في ذلك
حتى جعل معيارا لما في معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة
والمراد بها ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى

إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالإيحاء إما الإيحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى وإذ أوحيت
إلى الحواريين الآية وإما الإيحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما أوحي إلى مريم وإما الإلهام كما في قوله تعالى وأوحى
ربك إلى النحل وإما الإراءة في المنام والمراد بما يوحى ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر أبهم أولاً تهويلاً
له وتفخيماً لشأنه ثم فسر ليكون أقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي أن يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل
ما لا يعلم إلا بالوحي وفيه أنه لا يلائم المعنيين الأخيرين للوحي إذ لا تخصيص لشأنه في أن يكون مما لا يعلم إلا بالإلهام أو بالإراءة
في المنام وأن في قوله تعالى أن اقذفيه في التابوت مفسرة لأن الوحي من باب القول أو مصدرية حذف عنها الباء
أي بأن اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وأما في قوله تعالى فاقذفيه في اليم فالإلقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله
تعالى فإذا خفت عليه فألقيه في اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل
أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضمائر
كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل
التابوت تبعاً له في ذلك يأخذه عدو لي وعدو له جواب للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالأمر و
الإشعار بأن عداوته له مع محبتها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدي إلى المحبة فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه
في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بأن هناك لطفاً خفياً مندرجاً تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار
الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث
يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه
إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتي به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به
فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى
وألقيت عليك محبة مني كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية
أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك أحبك عدو الله وآله
وقيل هي متعلقة بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني
متعلق بألقيت معطوف على علة مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي أو بمضمر مؤخر هو
عبارة عما قبله من إلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الأمر بسكون
اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن أمري إذ تمشي أختك
ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمها و
تربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة أعظم من شفقة الأم وصنعها على موجب
مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متباعد الأطراف وهو الأنسب بما سيأتي
من قوله تعالى فنجيناك من الغم الخ فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء منها بالصنع المذكور وأما
كونه ظرفاً لألقيت كما جوز فربما يوهم أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم آثار إلقائها
ظهر عند فتح التابوت فتقول أي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعة يقبل ثديها
وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل أدلكم على من يكفله أي يضمه إلى
نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبوله ثديها روي أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً في النيل
لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت
وقالوا لها ما قالوا فجاءت بأمه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك إلى أمك فصيحة معربة عن محذوف
قبلها يعطف عليه ما بعدها أي فقالوا دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها كي تقر عينها بلقائك
ولا تحزن أي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه

بقرة

بقرة العين فإن التخلية مقدمة على التحلية وقيل ولا تحزن أنت بفقد إشفاقها وقتلت نفساً هي نفس القبطي
الذي استغاثه الإسرائيلي عليه فنجيناك من الغم أي غم قتله خوفاً من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون
بالإنجاء عنه بالمهاجرة إلى مدين وفتناك فتوناً أي ابتليناك ابتلاءً أو فتوناً من الابتلاء على أنه جمع فتن أو
فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة أي خلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال لما ناله
في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلاً وفقد الزاد وقد روي أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن
عباس رضي الله عنهم فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته
أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطياً وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان
يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم أن لا تعد إجارة نفسه وما بعدها من
تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع قبل وصوله عليه السلام إلى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في
أهل مدين إذ لا ريب في أن الإجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذكر لبثه عليه السلام
فيهم دون وصوله إليهم إلى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي
كل واحد منها فتنة وأي فتنة ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثماني مراحل من مصر ثم جئت أي إلى المكان الذي
أونس فيه النار ووقع فيه النداء والجوار وفي كلمة التراخي إيذان بأن مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال
الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة وغير ذلك على قدر أي تقدير قدرته لأن أكلمك وأستنبئك
في وقت قد عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه
إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على انتهاء الحكاية
التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولاً وقوله واصطنعتك لنفسي تذكير لقوله تعالى
وأنا اخترتك وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون مؤيداً بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير المنن السابقة تأكيداً
لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه و
اصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظائره
السابقين تمهيداً لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أي اصطفيتك
برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب أنت وأخوك أي وليذهب أخوك حسبما استدعيت
مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي أي بمعجزاتي التي أريتكها من اليد والعصا فإنهما وإن كانتا
ثعباناً عظيماً لا يقادر قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرى وكونه مع ذلك مسخراً له عليه السلام بحيث كان
يدخل يده في فمه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصاً آية أخرى وكذلك اليد البيضاء فإن بياضها في نفسه آية وشعاعها آية
ثم رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات
متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابها وإيصالها إليه ولا تنيا
أي لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري أي بما يليق بي من الصفات الجليلة
والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إلي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فإن الذكر يقع على جميع
العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنيا في ذكري عند تلقي أمر وحي تستمدا به العون والتأييد واعلما أن أمراً من
الأمور لا يتأتى ولا يتمشى إلا بذكري اذهبا إلى فرعون جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هارون
إذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي وروي أنه أوحي إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى عليهما السلام وقيل
سمع بإقباله فتلقاه إنه طغى تعليل لموجب الأمر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولاً ليناً لترتيب
ما بعدها على طغيانه فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما
لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فإنه دعوة في

في صورة عرض ومشورة ويرده ما يجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلث
كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا
لا يزول الا بالموت وقرئ لينا • لعله يتذكر • بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه • او يخشى •
عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو
اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى
ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة • قالا ربنا • اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة
هو موسى عم بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عم له في كل ما يأتي ويذر ويجوز ان يكون
هرون قد قال ذلك بعد ما تلاقيا فحكي ذلك مع قول موسى عم عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة
استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب • اننا نخاف ان يفرط علينا • اي يعجل علينا بالعقوبة ولا
يصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرط
اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب • او ان
يطغى • اي يزداد طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة
ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما • قال • استئناف مبني على
السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من سياق الى سياق آخر فان
ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عم بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى
فان ما قبله ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا
مما توهمتما من الامرين وقوله تعالى • انني معكما • تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما
ينبئ عنه قوله تعالى • اسمع وارى • اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع شر وجلب
نفع ودفع ضر ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت
النصرة غايتها • فأتياه • امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف
على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده • فقولا انا رسولا ربك • امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية
شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى • فارسل معنا بني اسرائيل • لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم
والمراد بالارسال اطلاقهم من الاسر والقسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام
كما ينبئ عنه قوله تعالى • ولا تعذبهم • اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم
في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرها من الامور الشاقة ويقتلون ذكورهم عاما دون عام
ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به
مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة
عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك مخل بتجاوب اطراف النظم
الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا • قد جئناك بآية من ربك •
تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بآية من جهته تعالى مما يحقق
رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد
ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك
قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر

ان المراد

ان المراد بها آية من الآيات • والسلام • المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين
على من اتبع الهدى • بتصديق آيات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على ألطف وجه ما لا
يخفى • انا قد اوحي الينا • من جهة ربنا • ان العذاب • الدنيوي والاخروي • على من كذب • اي بآياته
تعالى • وتولى • اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه
قال • اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك
سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به • فمن ربكما يا موسى •
لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك بآية من ربك
لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى
للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون
لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا
من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عم مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره
واما ما قيل من ان ذلك لانه قد عرف ان له عم رتة فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عم من حسن البيان
القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر • قال • اي
موسى عم مجيبا له • ربنا • اما مبتدأ وقوله تعالى • الذي اعطى كل شيء خلقه • خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف
والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا
للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته
وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء تحتاج هي اليه وترتفق به وتقديم المفعول الثاني
للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة
ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف اليه او للمضاف وحذف
المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه
منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه • ثم هدى • اي الى طريق الانتفاع والارتفاق
بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات واما طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية
النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي
عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام
جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما
يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق
بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات الظاهرة والباطنة • قال فما بال القرون
الاولى • لما شاهد اللعين ما نظمه عم في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر
للناس حقية مقالاته عم وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عم عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور
التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين
يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب
عم بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه
سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى • قال علمها عند ربي •
فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما
ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم

ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الآتيين • في كتاب • اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظ العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى • لا يضل ربي ولا ينسى • اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق مجانبا مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات • الذي جعل لكم الارض مهدا • على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم • وسلك لكم فيها سبلا • اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها • وانزل من السماء ماء • هو المطر • فاخرجنا به • اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية والتفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم • ازواجا • اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض • من نبات • بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى • شتى • اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى • كلوا وارعوا انعامكم • حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا اصنافا قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك • ان في ذلك • اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى • لآيات • للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهارون عليهما السلام • لاولي النهى • جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها • منها خلقناكم • اي في ضمن خلق ابيكم آدم عليه السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة • وفيها نعيدكم • بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها • ومنها نخرجكم تارة اخرى • بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة • ولقد اريناه • حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون

اثر

اثر حكاية ما ذكره عليه السلام من الدلائل بطريق الحكاية الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسنادها الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون او عرفناه • آياتنا • حين قال لموسى عليه السلام ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل منها داهية دهياء فانه روي انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى • كلها • كأنه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترقب بعد وابعد من ذلك ان يعد منها ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه عليه السلام فان حكايته عليه السلام اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتي من حمل ما اظهره عليه السلام على السحر والتصدي للمعارضة بالمثل يأباه اباء بينا وينطق بان المراد منها ما ذكرناه قطعا ولو لا ذلك لما جاز جعلها فصلا مما من افعاله تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية و

[illegible]

بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب في قوله
• قال موعدكم يوم الزينة • من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل
مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد
المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين
قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه عم بالتعيين لاظهار كمال قوته
وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق
الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد • وان يحشر الناس ضحى • عطف على يوم
او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم • فتولى
فرعون • اي انصرف عن المجلس • فجمع كيده • اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم • ثم اتى • اي الموعد ومعه ما جمعه
من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد بطء وتلعثم وقوله تعالى • قال لهم موسى • الخ بطريق الاستئناف
المبني على السؤال المقتضي بان المعروف من احواله عم حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان ليس الا ما صدر عنه عم من الكلام
واما اتيانه اولا فامر محقق غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال
لهم بطريق النصيحة • ويلكم لا تفتروا على الله كذبا • بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون • فيسحتكم •
اي يستأصلكم بسببه • بعذاب • هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم
ونجد • وقد خاب من افترى • اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او وقد
خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها • فتنازعوا • اي السحرة حين سمعوا كلامه
عم كان ذلك غاظهم فتنازعوا • امرهم • الذي اريد منهم من مغالبته عم وتشاوروا وتناظروا • بينهم • في كيفية
المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك • واسروا النجوى • اي من موسى عم لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم
ما نطق به قوله تعالى • قالوا • اي بطريق التناجي والاسرار • ان هذان لساحران • الى آخره فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم
وخلاصة ما استقرت عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ ان بتشديد
نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث
بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة
من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام
لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة • يريدان ان يخرجاكم من ارضكم • اي ارض مصر بالاستيلاء
عليها • بسحرهما • الذي اظهراه من قبل • ويذهبا بطريقتكم المثلى • اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها
باظهار مذهبهما واعلائه وبنحو يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل
ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عم ارسل معنا بني اسرائيل كانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم
من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج
بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء بالمبالغة
في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل
من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة
لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى • فاجمعوا كيدكم • تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء
فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا
عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات
سحركم ورتبوها كما ينبغي • ثم ائتوا صفا • اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب

الرهبة

الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين
وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية
وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عم بما ذكر في قطر
من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع
الناس فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات
بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى • وقد افلح اليوم من استعلى • اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد
لما قبله من الامرين اي قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق
به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب
منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بنظام اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين
سمعوا مقالة موسى عم ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك
قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان
لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت
آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا
لهم عن الاختلاف وامرا لهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم
كما يشهد به الذوق السليم • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كأنه
قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا • يا موسى • وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق
الاصطفاف اشعارا بظهورهما وغنائهما عن البيان • اما ان تلقي • اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف
لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم • واما ان نكون اول من القى • ما يلقيه او اول
من يفعل الالقاء خيروه عم وما ذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عم ما رأوا من مخائل الخير ورزانة الرأي واظهارا
للجلادة بارائة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف
اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر اما القاؤك او القاؤنا • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
تخيير السحرة اياه عم كأنه قيل فماذا قال عم فقيل قال • بل القوا • مقابلة للادب باحسن من ادبهم
حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا
ما معهم ويستنفدوا اقصى جهدهم ويستفرغوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله تعالى سلطانه فيقذف بالحق على الباطل
فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحر • فاذا حبالهم وعصيهم • يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى • الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق
اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم واذا هي المفاجأة والتحقيق انها ظرف مكان والعامل فيها الفعل الذي تضمنته
المفاجأة والجملة ابتدائية اي فالقوا ففاجأ موسى عم وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم
وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها
تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل اشتمال وقرئ يخيل
باسناده الى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل • فاوجس في نفسه خيفة موسى • اي اضمر فيها
بعض خوف من مفاجأته بمقتضى الجبلة البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه
وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه والتنكير للتقليل وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل • قلنا
لا تخف • اي ما توهمت • انك انت الاعلى • تعليل للنهي وتقرير لغلبته على اكد وجه
وآكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة

وصيغة التفضيل وألق ما في يمينك اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما
لشأنها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس
مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها
عند وقوع المحكي هذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الذي في يدك فانه
بقدرة الله تعالى يلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من ان ذلك المعنى انما
يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا
للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي
خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف
واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة
بما في حيزها للتعليل موجبة لبيان كيفية غلبته عليه السلام وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس يقلع مادة
بالكلية وهذا كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام وقوله تعالى
ان ما صنعوا الخ تعليل لقوله تعالى تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه
كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل الى تنكير ما اضيف اليه للتحقير وقرئ بالنصب
على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر
سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل
وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تعالى
فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوف ينساق اليه النظم الكريم غنيا عن التصريح به لعدم احتمال
تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف
فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا
نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدلوا بتغير احوال الاجسام
على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا
وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا
سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل
منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم قالوا استئناف كما مر غير مرة آمنا برب هرون وموسى
تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام
واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عليه السلام في صغره فلو قدموا
موسى لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون قال اي فرعون للسحرة آمنتم له
اي لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان آذن لكم اي من غير ان آذن
لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم في ذلك واقع بعده او متوقع
انه يعني موسى عليه السلام لكبيركم اي لعظيمكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم
او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه
فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه
من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن
اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتداء
من مخالفة العضو العضو فان المبتدأ من المعروض مبتدأ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية

اى

اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة
لا لانها افظع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا
تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين
للتكثير وقد قرئا بالتخفيف ولتعلمن ايّنا يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام
مع الايمان في كتاب الله تعالى لغيره تعالى وهذا اما لقصد توضيع موسى عليه السلام والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما
لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عليه السلام حيث رأوا ابتلاع
عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون
وموسى اشد عذابا وابقى اي ادوم قالوا غير مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان
والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده
عليه السلام من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذي
فطرنا اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه
آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من
جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن
لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور
جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما انت قاض
جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تعالى انما تقضي
هذه الحيوة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه
او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها انا آمنا بربنا ليغفر
لنا خطايانا التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية
حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اي ويغفر لنا
السحر الذي عملناه في معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه
في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار
منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل ارادوا الاكراه على تعلم السحر حيث روي
ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم
السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه
فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على الرغبة
والنشاط كما يعرب عنه قولهم أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
والله خير اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا وابقى اي جزاء ثوابا كان او عذابا او
ابقى عذابا وقوله تعالى انه الى آخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال
لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته
المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اي قوله تعالى من يأت ربه مجرما
بان مات على الكفر والمعاصي فان له جهنم لا يموت فيها فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى
ولا يحيى حيوة ينتفع بها ومن يأته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدوه
قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهي كل ما استقام

من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يأته وعمل باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم اي فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحات الدرجات العلى اي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل النشاء الا فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان لها وقد مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجري من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى اي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ادعاء فرعون بقوله اينا اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القران ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاثار ولقد اوحينا الى موسى حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الايات المفصلات الظاهرة على يد موسى عم بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى ان اسر بعبادي اما مفسرة لان الوحي فيه معنى القول واما مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عباده تعالى لاظهار المرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عم ان اسر بعبادي الذين ارسلتك لانقاذهم من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل او فاتخذ لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب وجمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم واياما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عم الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روي ان موسى عم خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عم بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عم بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اي غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى

وماهدى

وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتأكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه لجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلعم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بابائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما اعجلك الاية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيتكم وانجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عم للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عم نظرا لملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم عم وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان اباحة ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عم من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عم لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عم بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عم ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عم وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كأنه قيل من جهة السامعين فماذا قال له ربه فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون عم وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة

العجل الا اثني عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عم بعجلته لكن لا لان الاخبار
بها مسبب عن الاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء
المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عم عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين
وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عم عين ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة
فقال لهم انما اخلف موسى عم ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره
تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عم اما باعتبار تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع
بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او لان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب
موسى عم وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري
على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها
السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان
من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعد ما استوفى الاربعين واخذ التورية لا عقيب
الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا
لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب
الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فانه احد
لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء وان سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار
نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه
كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التورية فيها ما فيها
من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل
لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار
المعطوف ونفيه فقط اي اوعدكم ذلك فطال زمان الانجاز فاخطأتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب
عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي
اي وعدكم اياي بالثبات على امري الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح
حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عم من حيث اضافته اليه عم اشنع منه من حيث اضافته اليهم
والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد بطول العهد فاخلفتموه
خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اخلافه على معنى وجدان
الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا
قالوا ما اخلفنا موعدك اي وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال وعدنا على
اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا
السامري ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها وكلها لغات في مصدر
ملكت الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ
الخطاء وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم
العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي
ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم
تحل حينئذ فقذفناها اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك اي فمثل ذلك القذف القى
السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم انما

كان

كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار
فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم
للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا
اي جثة ذا لحم ودم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا
اي السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا
حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين
والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكور من للكل لا للعبدة فقط
خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم للسامري وعدم اغتنائهم بتسويله مع كون الاخراج والجعل لهم
مما يهون مخالفة للمعتذرين فاقترافهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين
لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل
واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا باختيارنا بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج
لهم ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سباق
النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون الخ انكار وتقبيح من جهته تعالى بحال الضالين والمضلين جميعا و
تسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد وهو اتخاذه الها والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون الا يرجع اليهم قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا
فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب قالوا فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين
اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه
على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا عطف على
لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على
ان يضرهم ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار
والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون و
نبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى عم اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام
اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم يا قوم انما فتنتم به اي وقعتم في
الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي هو الهداية
لا الى قيده المذكور بالقياس الى قيد آخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا على معنى انما فتنتم
بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل
والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن
الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين واطيعوا امري هذا واتركوا عبادة
ما عرفتم شأنه قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين
حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عم اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند
رجوعه عم بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عم لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة
السامري روي انهم لما قالوا ذلك اعتزلهم هرون عم في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عم
وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم قال

وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عم كأنه قيل فما
قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد
أخذ بلحيته ورأسه • يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا • بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك
بتلك المقالة الشنعاء • ألا تتبعن • أي أن تتبعني على أن لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في
إذ أي أي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به و
قيل المعنى ما حملك على أن لا تتبعني فإن المنع عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك أن تلحقني و
تخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه أن نصائح هرون عم حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن
لا تزجرهم مفارقته إياهم عنه أولى والاعتذار بأنهم إذا علموا أنه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقضية يخافون رجوع
موسى عم فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز القبول كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه عم
أفعصيت أمري • أي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فإن قوله له عليهما السلام اخلفني متضمن للأمر بهما
حتما فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للإنكار التوبيخي
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي ألم تتبعني أو خالفتني فعصيت أمري • قال يا ابن أم • خص الأم
بالإضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من أنه كان أخاه لأمه فإن الجمهور على أنهما كانا شقيقين
لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي • أي بشعر رأسي روي أنه عم أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط
غضبه لله تعالى وكان عم حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى
إني خشيت • الخ استئناف سيق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي إلى ترك المقاتلة وتحقيق أنه غير عاص لأمره
بل ممتثل به أي إني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا • أن تقول فرقت بين بني إسرائيل •
برأيك مع كونهم أبناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه وأراد عم بالتفريق
ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع • ولم ترقب قولي • يريد به قوله عم اخلفني في قومي
وأصلح أي بيني أي إني رأيت أن الإصلاح في حفظ الدهماء والمداراة معهم إلى أن ترجع إليهم فلذلك استأنيتك
لتكون أنت المتدارك للأمر حسبما رأيت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب
عنه قوله تعالى إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني • قال • استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما
مر من اعتذار القوم بإسناد الفساد إلى السامري واعتذار هرون عم كأنه قيل فماذا صنع موسى عم بعد سماع
ما حكي من الاعتذارين واستقرار أصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شأنهم • فما خطبك
يا سامري • أي ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عم بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه و
ليفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الأمم • قال • أي السامري مجيبا له
بصرت بما لم يبصروا به • بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الأول وفتحها في الثاني وقرئ بالتاء على الوجهين
على خطاب موسى عم وقومه أي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له أو رأيت ما لم يروه وهو الأنسب
بما سيأتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فإن ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عم
جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عم فإنها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى
أن جبريل عم جاء راكب فرس كان كلما رفع الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات في الحال
فعرف أن له شأنا فأخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى • فقبضت قبضة من أثر الرسول • وقرئ من أثر
فرس الرسول أي من تربة موطئ فرس الملك الذي أرسل إليك ليذهب بك إلى الطور ولعل ذكره بعنوان
الرسالة للإشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الأسرار الإلهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه
على وقت أخذها أخذه والقبضة المرة من القبض أطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم

المقبوض

اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والأول للأخذ بجميع الكف والثاني بأطراف
الأصابع ونحوهما الخضم والقضم • فنبذتها • أي في الحلي المذابة فكان ما كان • وكذلك سولت لي نفسي
أي فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الأصل النصب على
أنه مصدر تشبيهي أي نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل
لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
أي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته لا تزيينا أدنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه
بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وإغوائها لا بشيء آخر من البرهان النقلي أو الإلهام الإلهي فعند ذلك
قال • عليه السلام • فاذهب • أي من بين الناس وقوله تعالى • فإن لك في الحيوة • تعليل لموجب الأمر
وفي متعلقة بالاستقرار في لك أي ثابت لك في الحيوة أو بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار
في الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى أي بقوله تعالى • أن تقول لا مساس • لكان أن أي ثابت لك
كائنا في الحيوة أي مدة حياتك أن تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار
الملجئ إليه وذلك أنه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس أحدا أو يمسه أحد كائنا من كان إلا حم من ساعته حمى شديدة
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها
مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس أوحش من القاتل اللاجئ إلى الحرم ومن الوحشي
النافر في البرية ويقال إن قومه باق فيهم تلك الحالة إلى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة
تلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات
عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من أسباب موت الأحياء • وإن لك موعدا • أي
في الآخرة • لن تخلفه • أي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام
والأظهر أنه من أخلفت الموعد أي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل • وانظر إلى
إلهك الذي ظلت عليه عاكفا • أي ظللت مقيما على عبادته فحذفت اللام الأولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء
بنقل حركة اللام إليها • لنحرقنه • جواب قسم محذوف أي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الإحراق وقيل بالمبرد
على أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه • ثم لننسفنه • أي لنذرينه وقرئ بضم السين
في اليم • رمادا أو مبرودا كأنه هباء • نسفا • بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر ولقد فعل عم ذلك كله
حينئذ كما يشهد به الأمر بالنظر وإنما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين
إنما إلهكم الله • استئناف مسوق لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكل أي إنما معبودكم
المستحق للعبادة الله • الذي لا إله • في الوجود لشيء من الأشياء • إلا هو • وحده من غير أن يشاركه
شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية وقرئ الله لا إله إلا هو الرحمن رب العرش
وقوله تعالى • وسع كل شيء علما • أي وسع علمه كل ما من شأنه أن يعلم بدل من الصلة كأنه قيل إنما إلهكم الذي
وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا أوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على
المفعولية لأنه على القراءة الأولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل إلى التعدية إلى المفعولين صار الفاعل مفعولا
أول كأنه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عم المذكور إثر ما تم التوحيد حسبما نطقت به خاتمته
وقوله تعالى • كذلك نقص عليك • كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل بتنزيل أمثال
ما مر من أنباء الأمم السالفة وذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى عم وما فيه من معنى البعد للإيذان
بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر مقدر أي نقص عليك • من أنباء
ما قد سبق • من الحوادث الماضية الجارية على الأمم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر

المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى من أنباء في حيز النصب إما على أنه مفعول نقص باعتبار مضمونه وإما على أنه متعلق
بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك أي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض أنباء ما
قد سبق أو بعضا كائنا من أنباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيره عن عليك
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر
من الأنباء لا قصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من أمتك
وقد آتيناك من لدنا ذكرا • أي كتابا منطويا على هذه الأقاصيص والأخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار
وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما أن مرجع الإفادة في الجملة كون
المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل
مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم • من أعرض عنه • عن ذلك
الذكر العظيم الشأن المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن إما شرطية أو موصولة وأيا ما كانت
فالجملة صفة لذكرا • فإنه • أي المعرض عنه • يحمل يوم القيمة وزرا • أي عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر
ذنوبه وتسميتها وزرا إما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره أو
لأنها جزاء الوزر وهو الإثم والأول هو الأنسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى • خالدين فيه • أي في الوزر
أو في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها
كما أن الإفراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر إلى لفظها • وساء لهم يوم القيمة حملا • أي بئس لهم ففيه ضمير مبهم
يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف أي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال
هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الأمر • يوم ينفخ في الصور • بدل من يوم القيمة
أو منصوب بإضمار اذكر أو ظرف لمضمر قد حذف للإيذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل وقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على إسناد النفخ إلى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة
على أن ضميره لله تعالى أو لإسرافيل عليه السلام وإن لم يجر ذكره لشهرته • ونحشر المجرمين يومئذ • أي يوم إذ ينفخ في الصور وذكره
صريحا مع تعين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون • زرقا • أي حال كونهم زرق العيون
وإنما جعلوا كذلك لأن الزرقة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق
ولذلك قالوا في صفة العدو أسود الكبد وأصهب السبال أزرق العين أو عميا لأن حدقة الأعمى تزرق وقوله تعالى
يتخافتون بينهم • أي يخفضون أصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون
ح أو حال أخرى من المجرمين أي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة • إن لبثتم • أي ما لبثتم في الدنيا • إلا عشرا •
أي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها أو لاستطالتهم مدة الآخرة أو لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وتيقنوا
أنهم استحقوها على إضاعتها في قضاء الأوطار واتباع الشهوات أو في القبر وهو الأنسب بحالهم فإنهم حين يشاهدون
البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من أن يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة
وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر إلا مدة يسيرة والأول أنهم افظع من أن تمكنهم من الاشتغال بتذكر أيام النعمة
والسرور واستقصارها والتأسف عليها • نحن أعلم بما يقولون • وهو مدة لبثهم • إذ يقول أمثلهم طريقة •
أي أعدلهم رأيا أو عملا • إن لبثتم إلا يوما • ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب
إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول • ويسألونك عن الجبال • أي عن مآل أمرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف
وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء • فقل ينسفها ربي نسفا • أي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
والفاء للمسارعة إلى إلزام السائلين • فيذرها • الضمير إما للجبال باعتبار أجزائها السافلة الباقية بعد النسف وإما
مقارها ومراكزها أي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر أجزاء الأرض بعد نسف ما نتأ منها ونشز وإما

للارض

للأرض المدلول عليها بقرينة الحال لأنها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل • قاعا صفصفا •
لأن الجبال إذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر أجزاء الأرض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل
السهل وقيل المنكشف من الأرض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف
الأرض المستوية الملساء كأن أجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب أو مفعول
ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا إما حال ثانية أو بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى • لا ترى فيها •
أي في مقار الجبال أو في الأرض على ما مر من التفصيل • عوجا • بكسر العين أي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل
ما في المعاني أي لا تدركه إن تأملت بالمقاييس الهندسية • ولا أمتا • أي نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق
من القاع الصفصف أو حال أخرى أو صفة لقاعا والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب
أطراف النظم الكريم • يومئذ • أي يوم إذ نسفت الجبال على إضافة اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى
يتبعون الداعي • وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك أي يتبع الناس داعي الله عز وجل إلى المحشر وهو إسرافيل عليه السلام
يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام النخرة والأوصال المتفرقة واللحوم
المتمزقة قومي إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه • لا عوج له • لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه
وخشعت الأصوات للرحمن • أي خفضت لهيبته • فلا تسمع إلا همسا • أي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت أخفاف
الإبل وقد فسر الهمس بخفق أقدامهم ونقلها إلى المحشر • يومئذ • أي يوم إذ يقع ما ذكر من الأمور الهائلة • لا تنفع
الشفاعة من الشفعاء أحدا • إلا من أذن له الرحمن • أي أن يشفع له • ورضي له قولا • أي ورضي لأجله قول الشافع
في شأنه أو رضي قوله لأجله وفي شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة نفع
للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من أعم المفاعيل وأما كونه استثناء من الشفاعة
على معنى لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل إليه لما أن حكم الشفاعة
ممن لم يؤذن له أن لا يملكها ولا تصدر هي عنه أصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن
عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى فالإخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم إمكان صدورها
عمن لم يؤذن له مع إخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم وأما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الإذن فيها
الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها • يعلم ما بين أيديهم • أي ما تقدمهم من الأحوال وقيل من أمر الدنيا • وما خلفهم •
وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من أمر الآخرة • ولا يحيطون به علما • أي لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته
أي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لأحد الموصولين أو لمجموعهما فإنهم لا
يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه • وعنت الوجوه للحي القيوم • أي ذلت وخضعت خضوع العناة أي الأسارى
في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كما في قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى • وقد خاب
من حمل ظلما • قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خسر من أشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لأجله عنت وجوههم
أو اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على
العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى • ومن يعمل من الصالحات • الخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب
من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما أنه كذلك على الوجه الأول أي ومن يعمل بعض الصالحات أو بعضا من
الصالحات على أحد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من أنباء ما قد سبق • وهو مؤمن • فإن الإيمان شرط في
صحة الطاعات وقبول الحسنات • فلا يخاف ظلما • أي منع ثواب مستحق بموجب الوعد • ولا هضما • ولا كسرا منه
بنقص أو لا يخاف جزاء ظلم وهضم إذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي • وكذلك •
عطف على كذلك نقص وذلك إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال

القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال • انزلناه • اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة
وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان • قرآنا عربيا • ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على
كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر • وصرفنا فيه من الوعيد • اي كررنا فيه بعض الوعيد
او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا • لعلهم يتقون • اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل • او يحدث لهم ذكرا
اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء • فتعالى الله • استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من
الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله
واحواله • الملك • النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده • الحق • في ملكوته والوهيته لذاته او الثابت
في ذاته وصفاته • ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك • اي يتم • وحيه • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا القى اليه جبريل عم الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر
الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن
سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل • وقل • اي في نفسك • رب زدني علما • اي سل
عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان ياتي بيانه وليس
بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته • ولقد عهدنا الى آدم • كلام مستانف
مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان
مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه
واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي
واقسم او وبالله او وتالله لقد امرناه ووصيناه • من قبل • اي من قبل هذا الزمان • فنسي • اي العهد ولم
يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان • ولم نجد له عزما • تصميم راي وثبات
قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عم في بدء امره
من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عم لو وزنت احلام
بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطا ولم يتعمد وقوله
تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود
المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول ليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله
متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه
قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور
نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلى الله عم اي واذكر وقت قولنا لهم و
تعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها فان
الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل على اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اي
اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه • فسجدوا الا ابليس • قد سبق
الكلام فيه مرارا • ابى • جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا عن الاخبار بعدم سجوده كانه قيل ما باله
لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين
او غير منوي راسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره • فقلنا • عقيب ذلك اعتناء بنصحه • يا آدم
ان هذا • الذي رايت ما فعل • عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما • اي لا يكونن سببا لاخراجكما
من الجنة • والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قوله

لا

لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما او على الاخبار بها • فتشقى • جواب للنهي واسناد
الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقاوته لشقاوتها مع ما فيه من مراعاة
الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال • ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى • تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب
المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن
التصريح بان له عم فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن
المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري
والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي
اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما نطق به قوله تعالى ويا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر
من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى آخره ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري
والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل
كلما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عم بما ذكر ما مر
آنفا وفصل الظما عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية
مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم
ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي
كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية
لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع
وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما ان المحذور
اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا
لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة
من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل
منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق
ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع
حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل
بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي
يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا
موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم العري وعدم
الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عم عدم الظما والضحو مطلقا كما فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان
ان الثابت له عم تحقيق عدمهما فوضع موضع الحرف المصدري المحض ان المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظماك
على التحقيق • فوسوس اليه الشيطان • اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه • قال • اما بدل من وسوس او
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا منه كانه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال • يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين • وملك لا يبلى • اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه • فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما • وطفقا يخصفان عليهما من ورق

الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذي
هو الخلود او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل اذا اتخم من اللبن
وفي وصفه عم بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتبيه ربه
اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبي الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كذلك اجتمعه
او من جبي الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف له عم فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا
ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عم بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه
وهدى اي الى الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استيناف مبني على سؤال نشأ من
بانه تعالى قبل توبته وهداه كانه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اي انزلا
من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما انهما اصل الذرية
ومنشأ الاولاد اي متعادين في امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فاما يأتينكم مني هدى
من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة
في ايجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكري اي عن الهدى
الذاكر لي والداعي الي فان له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي
فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره مقصورة على اعراض الدنيا
متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر
ويوسع ببركة الايمان كما قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولو ان اهل الكتاب آمنوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف
وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وقرئ اعمى بالامالة في الموضعين وفي الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير
لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسره بقوله تعالى اتتك آياتنا
واضحة نيرة بحيث لا تخفى على احد فنسيتها اي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر اصلا
وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب جزاء
وفاقا لكن لا ابدا كما قيل بل الى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار و
يكون ذلك له عذابا فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا
وكذلك اي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من اسرف بالانهماك في الشهوات ولم يؤمن
بآيات ربه بل كذبها واعرض عنها ولعذاب الآخرة على الاطلاق او عذاب النار اشد وابقى اي
من ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون كلام مستانف مسوق
لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف
وايا ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلعم والمعنى اغفلوا
فلم يفعل الهداية لهم او فلم يتبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد مر في قوله عز وعلا او لم
يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة

بنون

بنون العظمة وقوله تعالى كم اهلكنا آه اما معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والاوجه
ان لا يلاحظ له مفعول كانه قيل افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا آه بيانا لتلك الهداية
ومن القرون في محل النصب على انه وصف لمميز كم اي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم
حال من القرون او من مفعول اهلكنا اي اهلكناهم وهم في حال امن وتقلب في ديارهم او من الضمير في لهم مؤكد للانكار
والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم مارين
في مساكنهم اذا سافروا الى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا
يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمكنون من المشي ان في ذلك تعليل للانكار
وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى كم اهلكنا آه وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة واضحة الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فاذن هو هاد
واي هاد ويجوز ان يكون كلمة في تجريدية فافهم لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من جملتها
ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على ان مضمون الجملة
هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به
قوله تعالى افلم يهد لهم الآية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة اي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب
هذه الامة الى الآخرة لحكمة تقتضيه ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما اي لازما لهؤلاء الكفرة
بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم
تلويح بان ذلك التأخير لتشريفه عم كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم
وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة
اي ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم بدر لما تأخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه
للمسارعة الى بيان جواب لولا والاشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز
عطفه على المستكن في كان العائد الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اي لكان الاخذ
العاجل واجل مسمى لازمين لهم كدأب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على
ما يقولون اي اذا كان الامر على ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون
من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اي صل
وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له
على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس آه فان توقيت
التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر وقبل غروبها يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها
لوقوعهما قبل طلوع الشمس وقبل صلوة العصر ومن آناء الليل اي من ساعاته
فسبح اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس
الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف
النهار تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس
مع ظهور التكرير او امر بصلوة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين
او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان
تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اي يرضيك ربك ولا تمدن
عينيك اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى ازواجا
منهم اما صنفا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به او هو حال من الضمير والمفعول منهم

أي إلى الذي متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أن من للتبعيض أو بعضاً منهم على حذف الموصوف كما مر مراراً ● زهرة
الحيوة الدنيا ● منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أي أعطينا أو به على تضمين معناه أو بالبدلية من محل به أو من أزواجاً بتقدير مضاف
أو بدونه أو بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهرة أو جمع زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو
الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد ● لنفتنهم فيه ● متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته
مآلاً إثر إظهار بهجته حالاً أي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ● ورزق ربك ● أي ما
ادخر لك في الآخرة أو ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى ● خير ● مما منحهم في الدنيا لأنه مع كونه في نفسه أجل ما يتنافس
فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه ● وأبقى ● فإنه لا يكاد ينقطع نفسه أو أثره أبداً كما عليه زهرة الدنيا
● وأمر أهلك بالصلوة ● أمره بأن يأمر أهل بيته أو التابعين له من أمته بالصلوة بعد ما أمره بها ليتعاونوا على
الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة ● واصطبر عليها ● وثابر عليها غير
مشتغل بأمر المعاش ● لا نسألك رزقاً ● أي لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك ● نحن نرزقك ● وإياهم
ففرغ بالك بأمر الآخرة ● والعاقبة ● الحميدة ● للتقوى ● أي لأهل التقوى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
تنبيهاً على أن ملاك الأمر هو التقوى روي أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلوة وتلا هذه الآية ● وقالوا
لولا يأتينا بآية من ربه ● حكاية لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر عليه السلام بالصبر عليها أي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في دعوى
النبوة أو بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من
قبيل الآيات حتى اجترؤوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى ● أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى ● أي التورية
والإنجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من إنكار إتيان الآية بإتيان
القرآن الكريم الذي هو أم الآيات وأس المعجزات وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الأمور الخارقة
للعادات أي أمر كان ولا ريب في أن العلم أجل الأمور وأعلاها إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم
الأولين والآخرين على يد أمي لم يمارس شيئاً من العلوم ولم يدارس أحداً من أهلها أصلاً فأي معجزة تراد بعد وروده وأي آية
ترام مع وجوده وفي إيراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الأولى من التورية والإنجيل وسائر الكتب السماوية أي شاهداً
بحقية ما فيها من العقائد الحقة وأصول الأحكام التي أجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من أنباء الأمم من حيث إنه
غني بإعجازه عما يشهد بحقيته حقيق بإثبات حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شأنه وإنارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لإثباته وإسناد
الإتيان إليه مع جعلهم إياه مأتياً به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لإنكار الوقوع والواو للعطف على
مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى تقريراً لإتيانه وإيذاناً بأنه من الوضوح
بحيث لا يتأتى منهم إنكاره أصلاً وإن اجترؤوا على إنكار سائر الآيات مكابرة وعناداً وقرئ أولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ
الصحف بالسكون تخفيفاً وقوله تعالى ● ولو أنا أهلكناهم بعذاب ● إلى آخره جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرآن
آية بينة لا يمكن إنكارها ببيان أنهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو أنا أهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل ● من قبله ●
متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب أي بعذاب كائن من قبل إتيان البينة أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ● لقالوا ● أي يوم القيمة
● ربنا لولا أرسلت إلينا ● في الدنيا ● رسولاً ● مع كتاب ● فنتبع آياتك ● التي جاءنا بها ● من قبل أن نذل ● بالعذاب
في الدنيا ● ونخزى ● بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ● قل ● لأولئك الكفرة المتمردين ● كل ● أي كل واحد منا ومنكم ● متربص ● منتظر
لما يؤول إليه أمرنا وأمركم ● فتربصوا ● وقرئ فتمتعوا ● فستعلمون ● عن قريب ● من أصحاب الصراط السوي ● أي المستقيم
وقرئ السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوأى والسوي تصغير السوء ● ومن اهتدى ● من الضلالة ومن في الموضعين
استفهامية محلها الرفع بالابتداء وخبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم أو مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الأولى
لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط

وقيل

وقيل العائد في الأولى محذوف والتقدير من هم من أصحاب الصراط عن رسول الله صلعم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والأنصار وقال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس صدق رسول الله وصدق حبيبه

سورة الأنبياء مائة واثنتا عشرة آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم ● مناسبة هذه الفاتحة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله
عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي ينبئ عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة وهنا
الاقتراب إليه لا إلى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأهوال الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم
عنه وإعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة
الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترب كما أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض لتعجيل المسرة لما أن بيان كون المخلوق لأجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما
خلق لهم وشوقاً إليه وجعلها تأكيداً للإضافة على أن الأصل المتعارف فيما بين الأوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس
الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع أنه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام وأما الذي يستدعيه حسن النظام فما قدرناه والمعنى أنهم
حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي إسناد الاقتراب المنبئ على التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يعتبر التوجه
والإقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل أمره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم
لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم منه في الساعة السابقة
هذا وأما أن الاعتذار بأن قربه بالإضافة إلى ما مضى من الزمان أو بالنسبة إلى الله عز وجل أو باعتبار أن كل آت قريب فلا
تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة إليه في تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم منه عرفاً كونه قريباً
في نفسه أيضاً فيصار حينئذ إلى التوجيه بالوجه الأول دون الأخيرين أما الثاني فلا سبيل إلى اعتباره ههنا لأن قربه بالنسبة إليه تعالى
مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتماً وإنما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث
وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة إلى شيء آخر ● وهم في غفلة ● أي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة
لا أنهم غير مبالين به مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء ● معرضون ●
أي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمراً جبلياً لهم جعل الخبر الأول ظرفاً منبئاً
عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالاً من المستكن في معرضون ● ما يأتيهم من ذكر ●
من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى ● من ربهم ●
لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأياماً كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا
به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع ● محدث ● بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملاً على محله أي محدث تنزيله بحسب
اقتضاء الحكمة وقوله تعالى ● إلا استمعوه ● استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف
المشهور وقوله تعالى ● وهم يلعبون ● حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى ● لاهية قلوبهم ● إما حال أخرى منه أو من واو
يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه أو
لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية
بالرفع على أنه خبر بعد خبر ● وأسروا النجوى ● كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة
والنجوى اسم من التناجي ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سراً أنهم بالغوا في إخفائها أو أسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر
أحد بأنهم متناجون وقوله تعالى ● الذين ظلموا ● بدل من واو وأسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا
أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماماً به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلاً على فعلهم
بكونه ظلماً أو منصوب على الذم وقوله تعالى ● هل هذا إلا بشر مثلكم ● إلى آخره في حيز النصب على أنه مفعول للقول مضمر هو

جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه وقيل
انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى افتأتون السحر للانكار والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تأتون وتحضرونه على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون
انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل
السحر وزل عنهم ان ارسال البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك
لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر النبوة واطفاء نور
الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما
اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على نهج
البرهان مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم
الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض
وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم
وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية
قولهم السابق الى حكاية قول آخر مضطرب في مسالك البطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا الا بشر وفي حق ما
ظهر على يده من القرآن الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء نفسه من غير ان يكون
له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل المحجوج
متحيرا لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث
من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول
شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول لقالوا المضمر قبل
قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كأنه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد
العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا بآية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وان لم يكن
كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون اي مثل الآية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا
ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على انها صفة لآية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة المحل
على انها مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف اي فليأتنا بآية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه
حيث ان الاتيان بالآية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد
كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه ذكر الارسال وفي جانب المشبه به
ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية
كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات
كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب
استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم
عذاب الاستئصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي
من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم
بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى افهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على
مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم يؤمن امة من الامم المهلكة
عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات انهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم
واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان

الاولين

الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا
رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلى الله عليه وسلم
مثل اولئك الرسل صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز
فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل
الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين لان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق
ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك
حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر
بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي
عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي يقتضيه الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية
المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب
وقوله تعالى نوحي اليهم استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة
وحذف المفعول لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين
من افراد الجنس مستأهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما
من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون
انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم بالياء على
صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لان المحقق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الانيقة واما الوقوف عليها بالاخبار من الغير فهو من وظائف
العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر
فاسألوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام لتزول شبهتكم امروا بذلك لان
اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم ويشاورونهم في امره عليه السلام
ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي عليه السلام ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام
اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد جسم الانسان والجن
والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير
بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار
مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي
جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا
الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا
على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الخ لا بالجعل المستأنف والمراد
بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا
متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل
كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السابقة عليهم السلام بشرا لا ملائكة
وفي ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم
من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم

سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل

في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم • فانجيناهم ومن نشاء • من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال • واهلكنا المسرفين • اي المتجاوزين الحدود في الكفر والعناد • لقد انزلنا اليكم • كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته عليه الصلاة والسلام ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش • كتابا • عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى • فيه ذكركم • صفة لكتابا مؤكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل المقدار بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى • افلا تعقلون • انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى • وكم قصمنا من قرية • نوع تفصيل لاجمال قوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انها مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى • كانت ظالمة • في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدأبكم • وانشأنا بعدها • اي بعد اهلاكها • قوما آخرين • اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى • فلما احسوا باسنا • اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس • اذا هم منها يركضون • يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع • لا تركضوا • اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا • وارجعوا الى ما اترفتم فيه • من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة • ومساكنكم • التي كنتم تفتخرون بها • لعلكم تسألون • تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تسألون اذا رئيت مساكنكم خالية وتسألون اين اصحابها او يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم • قالوا • لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب • يا ويلنا • اي هلاكنا • انا كنا ظالمين • اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك • فما زالت تلك دعواهم • اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى لان المدلول كأنه يدعو الويل قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك • حتى جعلناهم حصيدا • اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع • خامدين • اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد • وما خلقنا السماء والارض • اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للظالمين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما • وما بينهما • من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصى انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل • لاعبين • لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره

عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى • لو اردنا ان نتخذ لهوا • استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب • لاتخذناه من لدنا • اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى • ان كنا فاعلين • جوابه محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده • بل نقذف بالحق على الباطل • اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص لما سيأتي من الوعيد • فيدمغه • اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم • فاذا هو زاهق • اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل • ولكم الويل مما تصفون • وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به • وله من في السموات والارض • استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع المخلوقات على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل استقلالا او استتباعا • ومن عنده • وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره • لا يستكبرون عن عبادته • اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا • ولا يستحسرون • اي لا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال من الثانية • يسبحون الليل والنهار • اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنه قيل ماذا يصنعون في عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى • لا يفترون • اي لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر • ام اتخذوا آلهة • حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى • من الارض • متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد

هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى • هم ينشرون • اي يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اي بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكأنهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى افي الله شك وقوله تعالى ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكأنهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار • لو كان فيهما آلهة الا الله • ابطال لتعدد الالهة باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا في الاستدلال وكذا كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اي لو كان في السموات والارض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل • لفسدتا • اي لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالي فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر في المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقضي باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الآلهة فان توافق الكل في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم والفاء في قوله تعالى • فسبحان الله • لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اي فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق به من الامور التي من جملتها ان يكون له شريك في الالوهية وايراد الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التي من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى • رب العرش • صفة لاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل • عما يصفون • متعلق بالتسبيح اي فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة • لا يسأل عما يفعل • استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من خلقه ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك في الالوهية • وهم • اي العباد • يسألون • عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون وفيه وعيد للكفرة • ام اتخذوا من دونه آلهة • اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التي من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الآلهة على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بطريق الانكار والتشنيع وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية • قل • لهم بطريق التبكيت والقام الحجر • هاتوا برهانكم • على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه في الامور الدينية لا سيما في مثل هذا الشان الخطير وما في اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى • هذا ذكر من معي وذكر من قبلي • انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اي هذا الوحي الوارد في شان التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلي ذكر امتي اي عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاتوا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب انزل على امتي وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف

فراجعوها

فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى • بل اكثرهم لا يعلمون الحق • اضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل • فهم • لاجل ذلك • معرضون • اي مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغي والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القي عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيدا للسببية وقوله تعالى • وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحي • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • حكاية لجناية فريق من المشركين جيء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على الاطلاق وهم حي من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدي انها قريش وبعض اجناس العرب جهينة وبنو سلمة وخزاعة وبنو مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة • سبحانه • اي تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او سبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى • بل عباد • اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى • مكرمون • مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى • لا يسبقونه بالقول • صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون شيئا حتى يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق واداة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم • وهم بامره يعملون • بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم • استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى • ولا يشفعون الا لمن ارتضى • ان يشفع له مهابة منه تعالى • وهم • مع ذلك من خشيته • عز وجل • مشفقون • مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته بعلى بالعكس • ومن يقل منهم • اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم • اني اله من دونه • متجاوزا اياه تعالى • فذلك الذي فرض قوله فرض محال • نجزيه جهنم • كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما توهم اولئك الكفرة ما لا يخفى • كذلك نجزي الظالمين • مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه • اولم ير الذين كفروا • تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على

استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو و
قلبيه اي الم يتفكروا ولم يعلموا • ان السموات والارض كانتا • اي جماعتا السموات والارض كما في قوله تعالى
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا • رتقا • الرتق الضم والالتحام والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول
اي كانتا ذواتي رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي مرتوقا • ففتقناهما • قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي
واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتها ففتقتها وعن الحسن خلق الله تعالى الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها
فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضي في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر
والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق
او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة الرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعنى الاول فهم و
ان لم يعلموه لكنهم متمكنون من علمه اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من
العلماء ومطالعة الكتب • وجعلنا من الماء كل شيء حي • اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة
من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لا بد له من
ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين في الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم على
المبتدأ فان ذلك مصحح لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول
للاهتمام به والتشويق الى المؤخر • افلا يؤمنون • انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات
الآفاقية والانفسية الدالة على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته
والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون • وجعلنا في الارض رواسي
اي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب
في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات واياما معدودات • ان تميد بهم • اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم
بحذف اللام ولا لعدم الالتباس • وجعلنا فيها • اي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان
حقه او في الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق • فجاجا • مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى • سبلا • وهو وصف
ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك ليدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة
مع ما فيه من التوكيد • لعلهم يهتدون • اي الى مصالحهم ومهماتهم • وجعلنا السماء سقفا محفوظا • من الوقوع
بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب • وهم عن
آياتها • الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في
علمي الطبيعة والهيئة • معرضون • لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى • وهو
الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر • [illegible] بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق
الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي هو الذي خلقهن وحده • كل • اي كل واحد منهما على ان التنوين عوض
عن المضاف اليه • في فلك يسبحون • اي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك
كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل
الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم • وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد • اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية
والتشريعية • افإن مت • بمقتضى حكمتنا • فهم الخالدون • نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء
لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم

ونفيه

ونفيه انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عم فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن
العاقل كانه قيل افان مت فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى • كل نفس ذائقة الموت • اي ذائقة مرارة
مفارقتها جسدها برهان على ما انكر من خلودهم • ونبلوكم • الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق
الالتفات اي نعاملكم معاملة من يبلوكم • بالشر والخير • بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا • فتنة •
مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه • والينا ترجعون • لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من
الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحيوة الدنيا الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات • واذا رآك الذين كفروا • اي المشركون
ان يتخذونك الا هزوا • اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عم على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى
قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
ان اتبع الا ما يوحى الي • اهذا الذي يذكر آلهتكم • على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك اي يذكرهم
بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الآية وقوله تعالى • وهم بذكر الرحمن هم كافرون • في حيز النصب على الحالية
من ضمير القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عم ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر
الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب او بالقرآن كافرون فهم احقاء
بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني
تاكيد لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول • خلق الانسان من عجل •
جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كانه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية
لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين
استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالانسان
آدم عم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة
ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى
عم ساريا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له هنا وقوله تعالى • سأريكم آياتي •
لخطاب للمستعجلين بطريق التهديد والوعيد سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره • فلا تستعجلون •
بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوا عن مرادها • ويقولون متى هذا الوعد • اي وقت مجيء الساعة
التي كانوا يوعدونها وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين
وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك • ان كنتم صادقين • اي في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه فان قولهم متى
هذا الوعد في قوة ايتونا به فالمعنى ان كنتم صادقين فاتوا به وقولهم متى هذا الوعد استعجالا منهم بالموعود وطلبا لاتيانه بطريق
العجلة فكانه قيل فليأتنا به كما قالوا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • لو يعلم الذين كفروا •
استئناف مسوق لبيان شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة
المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي
ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قوله ولو يطيعكم في كثير
فان المعنى على انتفاء الاحسان لا انتفاء استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما
في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى • حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم • مفعول يعلم
وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة بعده لكونه معلوما

الانتقا. الى الموصوف عند المخاطب لشايع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما
الانتظام فى سلك المسلّم المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد
الحين الذى يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام
الاحاطة بهما للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم • ولا هم ينصرون • من جهة الغير فى دفعها آه
لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى
فلا يستطيعون ردها • فتبهتهم • اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او للحين آه استئناف
مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كانه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال • بل تأتيهم •
عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة • بغتة فتبهتهم • اى تغلبهم او تحيرهم وقرئ
الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء فى قوله تعالى • فلا يستطيعون ردها • بتأويل الوعد بالنار
او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية • ولا هم ينظرون •
اى يمهلون ليستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم فى الدنيا • ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله ص
عن استهزائهم به عم فى ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم الصلوة والسلام
وتصديرها بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اى وبالله لقد استهزئ
برسل اولى شأن خطير وذوى عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • فحاق •
اى احاط عقيب ذلك او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق
ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى • بالذين سخروا منهم • اى من اولئك الرسل عم متعلق بحاق وتقديمه
على فاعله الذى هو قوله تعالى • ما كانوا به يستهزؤن • للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير
المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى فاحاط بهم الذى كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله
واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على ان يحيق
بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم
على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال
فان الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وعلى ذلك
بنى الوزن وقد مر تفصيله فى سورة الاعراف وفى قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها • قل • خطاب لرسول الله صلعم
اثر تسليته عما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وانه عم بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت • من
يكلؤكم • اى يحفظكم • بالليل والنهار من الرحمن • اى من بأسه الذى تستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل
لما ان الدواهى اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفى التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد
امره عم بسؤالهم على الوجه المذكور اضرب عنه بقوله تعالى • بل هم عن ذكر
ربهم معرضون • ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم وهى انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا
ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ
المنبئ عن كونه تعالى مالكا ومربيا لهم من الدلالة على كونهم فى الغاية القاصية من الضلالة والغى ما لا يخفى وكلام
فى قوله تعالى • ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا •
منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
والهمزة للانكار اى بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا • من

عذاب كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفى توجيه الانكار والنفى الى وجود الآلهة الموصوفة
بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال أم تمنعهم آلهتهم آه من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة
المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا • لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون • استئناف مقرر لما قبله من الانكار
وموضح لبطلان اعتقادهم اى هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان
ينصروا غيرهم وقوله تعالى • بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر • اضراب عما توهموا ببيان ان الداعى الى
حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة
الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه
طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل • افلا يرون • اى الا ينظرون فلا يرون • انا نأتى الارض • اى ارض الكفرة
• ننقصها من اطرافها • فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله عز وجل من ايدى
المسلمين وينقصها الى دار الاسلام • افهم الغالبون • على رسول الله صلى الله عم والمؤمنين والفاء لترتيب الانكار
الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما فى
قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفى التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون
للغلبة المعروفون بها • قل انما انذركم • بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند
اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذى يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوى احوالهم
أمر عم بان يقول لهم انما انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان يجب ان يكون
لا عيانا وقوله تعالى • ولا يسمع الصم الدعاء • اما من تتمة الكلام الملقن بتذييل بطريق الاعتراض فقد امر عم بان يقول
لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بالتصام وتقييد نفى السماع بقوله تعالى • اذا ما ينذرون • مع ان الصم لا يسمعون الكلام
انذارا كان او تبشيرا لبيان شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذى هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك
فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم فى غاية لا غاية
وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبى صلى الله عم من
الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عم
وقرئ على البناء للمفعول اى لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى • ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك •
بيان لسرعة تأثرهم من مجئ نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجئ خبره بل على نهج التوكيد القسمى اى وبالله لئن اصابهم
ادنى اصابة ادنى شئ من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ • ليقولن
يا ويلنا انا كنا ظالمين • ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى • ونضع الموازين القسط •
بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اى نقيم الموازين العادلة التى يوزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين
تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام فى سورة الاعراف وافراد القسط
لانه مصدر وصف به مبالغة • ليوم القيامة • التى كانوا يستعجلونها اى لجزائه او لاجل اهله او فيه كما فى قولك جئت
لخمس خلون من الشهر • فلا تظلم نفس • من النفوس • شيئا • حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذى حق
حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين • وان كان • اى العمل المدلول عليه بوضع
الموازين • مثقال حبة من خردل • اى مقدار حبة كائنة من خردل اى وان كان فى غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل
مثل فى الصغر وقرئ مثقال حبة كائنة من خردل اى ان كان فى غاية القلة بالرفع على ان كان تامة • اتينا بها •
اى احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اى جازينا بها
من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها
• وكفى بنا حاسبين • اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا • ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين

نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى
انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التورية
وكذا بالضياء والذكرى اي وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون
بمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق
النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر
هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان
وقوله تعالى • الذين يخشون ربهم • اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب
او مرفوع على المدح • بالغيب • حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض
بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل • وهم من الساعة مشفقون •
اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على
الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه • وهذا • اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره • ذكر •
يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة • مبارك •
كثير الخير غزير النفع يتبرك به • انزلناه • اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر • افانتم له منكرون • انكار لانكارهم بعد ظهور كون
انزاله كانزال التورية كانه قيل أبعد ان علمتم ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من
عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا • ولقد آتينا ابرهيم رشده • اي الرشد اللائق
به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس
الالهية وقرئ رَشَده وهما لغتان كالحُزن والحَزَن • من قبل • اي من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر
ايتائهما لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه او بابائه المقام • وكنا به عالمين •
اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى • اذ قال لابيه وقومه •
ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستانف وقع تعليلا
لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم • ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون • لتقف على كمال رشده وغاية فضله و
التمثال اسم لشيء مصنوع مشبها بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عم حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان
الحقيقة او شرح الاسم كانه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتهم لها بالعكوف
العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على
اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف
معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى • قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين • اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عم الاستفسار
عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عم اياهم بالعكوف لها كانه عم قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف
عليها فلما لم يكن لهم ما يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عم على طريقة التوكيد القسمي حيث • قال لقد كنتم انتم
وآباؤكم • الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة • في ضلال • عجيب لا يقادر قدره • مبين • اي ظاهر بيّن
بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل
قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما
والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة • قالوا • لما سمعوا مقالته عم استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من
تضليله عم اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددوا في كون ذلك منه عم على وجه الجد • أجئتنا بالحق • اي بالجد

ام انت من اللاعبين • فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على
الثبات ايذان برجحانه عندهم • قال • عم اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه
قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك • بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن •
وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى
بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات
التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدونه من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم
واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات • وانا على ذلكم •
الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان • من الشاهدين • اي العالمين
به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته
بها كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه • وتالله • وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الباء
وفيها تعجب • لاكيدن اصنامكم • اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله
عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد • بعد ان تولوا مدبرين • من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولّوا من التولي بحذف
احدى التائين ويعضده قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى • فجعلهم • فصيحة اي فولوا فجعلهم
جذاذا • اي قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وهي لغة وجمع جذيذ
كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجُذُذا جمع جذة روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدءوا ببيت
الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا
وبقي ابرهيم عم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس في عنقه وذلك قوله تعالى • الا كبيرا لهم •
اي للاصنام • لعلهم اليه • اي الى ابرهيم عم • يرجعون • فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير
فيسألونه عن الكاسر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز
آلهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم • قالوا • اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا • من فعل هذا
بآلهتنا • على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهؤلاء وهي بين ايديهم
مبالغة في التشنيع وقوله تعالى • انه لمن الظالمين • استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع
على انها خبر لها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على اهانتها وهي حقيقة
بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة • قالوا • اي بعض منهم مجيبين
للسائلين • سمعنا فتى يذكرهم • اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله تعالى يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او
صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان القائلون سمعوه عليه بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام
يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح • يقال له ابرهيم • صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم • قالوا • اي النمرود واشراف قومه
فأتوا به على اعين الناس • اي مرأى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد • لعلهم
يشهدون • اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بقوله او بفعله ذلك فالضمير ليس للناس بل لبعض
منهم مبهم او معهود • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك
هل اتوا به اولا فقيل قالوا • أانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم • اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عم للتنبيه
على ان اتيانهم به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان • قال بل فعله كبيرهم هذا • مشيرا الى الذي لم يكسره سلك
مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه
من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرز في ذلك المعرض فعلا يحمل

الفاس في عنقه وقد قصد به اسناده اليه بطريق التسبب حيث كانت تلك الاصنام غاظته ام حين ابصرها مصطفة مرتبة
للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه
وقيل هو حكاية لما يؤدي الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على
ما هو اشد من ذلك ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به
تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادة الاصنام واما ما قيل من انه لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك صاحبك
فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك
مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة
لنفسك او عار ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته
عندك لا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال
صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى • فاسألوهم ان كانوا ينطقون
اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل
ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله
• فرجعوا الى انفسهم • اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره
بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا • فقالوا • اي قال بعضهم
لبعض فيما بينهم • انكم انتم الظالمون • اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة الاصنام
لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها • ثم نكسوا على رؤسهم • اي انقلبوا
الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا
على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم • لقد علمت ما هؤلاء ينطقون • على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس
من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع • قال
مبكتا لهم • افتعبدون • اي اتعلمون ذلك فتعبدون • من دون الله • اي متجاوزين عبادته تعالى • ما لا ينفعكم
شيئا • من النفع • ولا يضركم • فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا • اف لكم ولما
تعبدون من دون الله • تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح
ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له • افلا تعقلون • اي الا تتفكرون فلا تعقلون
قبح صنيعكم • قالوا • اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل
المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة • حرقوه • فانه اشد العقوبات • وانصروا آلهتكم
بالانتقام لها • ان كنتم فاعلين • اي للنصر ولشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش
ابن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هيزن خسف به الارض وروي انهم لما اجمعوا على احراقه بنوا له
حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب
مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها
ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد
فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل
هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك
قوله تعالى • قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم • اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات
جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه

وقيل

وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء
عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي انه مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب
عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه
جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها
قال نعم قال فاخرج فقام فخرج يمشي حتى خرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رأيته معك قال ذلك ملك
الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال انه
لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف
عن ابراهيم عليه السلام وكان ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من بدائع الغرائب فان انقلاب النار هواء طيبا وان
لم يكن بدعا من قدرة الله تعالى لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى
دفع عنه اذاها كما تراه في السمندر كما يشعر به قوله تعالى على ابراهيم • وارادوا به كيدا • مكرا عظيما في الاضرار به
• فجعلناهم الاخسرين • اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه على الحق وهم
على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب • ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
اي من العراق الى الشام وبركاتها العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيها فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي
الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب • روي انه عليه السلام نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة • ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة • اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة
على ما سال فهو اسحق فيختص بيعقوب ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة • وكلا • اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم
دون بعض • جعلنا صالحين • بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين • وجعلناهم ائمة
يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه بقوله ومن ذريتي • يهدون • اي الامة الى الحق • بامرنا
لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين • واوحينا اليهم فعل الخيرات • ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى
العلم واصله ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذا قوله تعالى • واقام الصلوة وايتاء الزكوة • وهو من عطف الخاص على
العام دلالة على فضله وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه • وكانوا لنا
خاصة دون غيرنا • عابدين • لا يخطر ببالهم غير عبادتنا • ولوطا • قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • آتيناه
اي وآتينا لوطا وقيل باذكر • حكما • اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق • وعلما • بما ينبغي علمه للانبياء
• ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث • اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف
واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى • انهم كانوا قوم سوء فاسقين • فانه كالتعليل له • وادخلناه في رحمتنا
اي في اهل رحمتنا او في جنتنا • انه من الصالحين • الذين سبقت لهم منا الحسنى • ونوحا • اي اذكر نوحا اي خبره
وقوله تعالى • اذ نادى • اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه
• من قبل • اي من قبل هؤلاء المذكورين • فاستجبنا له • اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر • فنجيناه
واهله من الكرب العظيم • وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد • ونصرناه • نصرا مستتبعا
للانتقام والانتصار ولذلك قيل • من القوم الذين كذبوا باياتنا • وحمله على ما نصرناه بما ذكر من دعائه ثم فان
ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى • انهم كانوا قوم سوء • تعليل لما قبله
وتمهيد لما بعده من قوله تعالى • فاغرقناهم اجمعين • فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما
يوجب الاهلاك قطعا • وداود وسليمان • اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير
المضاف وقوله تعالى • اذ يحكمان • ظرف للمضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر
خبرهما وقت حكمهما • في الحرث • اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى

اذ نفشت فيه اي تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عم رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت في حرثي فافسدته فقضى بالغنم لصاحب الحرث فخرجا فمرا على سليمان عم فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى رب الغنم ليقوم عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عم غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عم لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره ابتداء وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان رأي سليمان عم استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين ورأي داود عم قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة رح الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عم فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عم اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عم لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان عم ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رح لا ضمان اذا لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عم بالتفهيم من عدم كون حكم داود عم حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتينا حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على خطاء المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل بل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عم كان ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اي يقدسن الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بيسبحن وهو بعيد والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بؤسها وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم اي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عم او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من بأسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام ههنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخر له عم من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عم فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عم والاقتداء به في عبادة الله تعالى عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب

من حيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عم وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عم وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفائسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما افرد حاله بقوله تعالى من الشياطين روي ان المسخر له عم كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين مع قوله تعالى وكنا لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اني اي بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصف تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عم روميا من ولد عيص بن اسحاق استنبأه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عم او رحمة بنت افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرددت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عم كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تأتيه وتسأل عنه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فالتفت فلما رأته عرفته اذ رأته فقالت هل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي آتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسماعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبيائه

زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على
التكاليف وشدائد النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اي في النبوة او
في نعمة الآخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان
صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي اذكر صاحب الحوت وهو يونس عم اذ ذهب مغاضبا
اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب
فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم
بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه اي نعامل
معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اي يعامل معاملة
من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول
فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة
او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت
اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك
انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين
لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف
وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت
الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك اي مثل
الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي على البناء للمفعول
فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء
في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان
الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير
المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا اي واذكر
خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي ان لم
ترزقني وارثا فاستجبنا له اي دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا
له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا
يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه
الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين
عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب
ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا
خاشعين اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت
فرجها اي واذكر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما
زعموه في حقها آخر ذي اثر فنفخنا فيها اي احيينا عيسى في جوفها من روحنا اي من الروح الذي هو امرنا
وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عم وجعلناها وابنها اي قصتهما وحالهما آية للعالمين
فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد
منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذف

الاولى

الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة
والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب
للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحال من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عم اذ لا مشارك لغيرها في صحة
الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدل
من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون
خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره
قطعا موزعة وينهي قبائح افعالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه
كافة الانبياء كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا
راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله
تعالى فمن يعمل من الصالحات آه تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن
بالله ورسوله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها
لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور
الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه
كاتبون اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم
وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم
لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل
الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء
لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق
به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة
وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في
الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع
ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج
وماجوج آه هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبله كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك
حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا آه وعلى الثاني غاية لحرمته اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت
القيامة يرجعون اليها حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين
لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قيل الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج وفتح
سدهما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اي ياجوج وماجوج وقيل الناس
من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع
الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب
والجزاء فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية
كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده
يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا
قد كنا في غفلة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع الى الجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر او ظالمين بتكذيب الرسل انكم وما تعبدون من دون

حصب جهنم • خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما ينفصح عنه كلمة ما وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا الآية فقال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فرد عليه بقوله ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روى انه عم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شئ منهما نصا في عموم كلمة ما لما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عم بعد ما بين لهم النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تأكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شئ حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عم وهذا هو الوجه بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بيانا للتجوز او تخصيصا فلا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة • انتم لها واردون • استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا • لو كان هؤلاء • اى اصنامهم آلهة • كما تزعمون • ما وردوها • وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الوهية الاصنام لا الوهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة بانجرار الكلام اليه عند بيان ما سيق النظم الكريم بطريق العبارة حيث سئل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين • وكل • اى من العبدة والمعبود فيها خالدون • لا خلاص لهم عنها • لهم فيها زفير • اى انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالباس وكذا في قوله تعالى • وهم فيها لا يسمعون • اى لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • شروع في بيان حال المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب اثر الترهيب اى سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة او البشرى لهم بثوابها [illegible] • اولئك • اشارة الى المذكورين [illegible] المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل • عنها • اى عن جهنم • مبعدون • [illegible]

وتقول

لا يسمعون حسيسها • ليس تبرعا لكون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس اى لا يسمعون صوتها حسا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المحسوس بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها القوي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقة للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى • وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون • بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اى دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى • لا يحزنهم الفزع الاكبر • بيان لنجاتهم عن الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة وعن الحسن رحمه الله انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي في سورة النمل • وتتلقاهم الملائكة • اى تستقبلهم مهنئين لهم • هذا يومكم • على ارادة القول اى قائلين هذا يومكم • الذي كنتم توعدون • في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى هم المؤمنون الموصوفون بالايمان والاعمال الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عم خاصة كما قيل • يوم نطوي السماء • بنون العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من العائد المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ يطوى بالياء والتاء والبناء للمفعول • كطي السجل • وهي الصحيفة اى طيا كطي الطومار وقرئ السجل كالعتل والدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى • للكتب • متعلقة بمحذوف هو حال من السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحيفة وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلعم • كما بدأنا اول خلق نعيده • اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف • وعدا • مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب بانه بمعنى نعد عدة بالاعادة • علينا • اى علينا انجازه • انا كنا فاعلين • لما ذكر لا محالة • ولقد كتبنا في الزبور • هو كتاب داود عم وقيل هو اسم للجنس ما انزل على الانبياء عم • من بعد الذكر • اى التوراة وقيل اللوح المحفوظ اى وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا في اللوح المحفوظ • ان الارض يرثها عبادي الصالحون • اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة يرثها امة محمد عم • ان في هذا • اى فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة • لبلاغا • اى لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية • لقوم عابدين • اى لقوم همهم العبادة دون العادة • وما ارسلناك • بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي مناط السعادة في الدارين • الا رحمة للعالمين • هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل او من اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك

رحمة لهم فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فإنما فرط في نفسه وحرمه حقه لا أنه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار أمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم • قل إنما يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد • أي ما يوحى إلي إلا أنه لا إله لكم إلا إله واحد لأن المقصود الأصلي من البعثة وأما ما عداه فمن الأحكام المتفرعة عليه فإنما الأولى لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على الحكم كقولك إنما زيد قائم أي ليس له إلا صفة القيام • فهل أنتم مسلمون • أي مخلصون العبادة لله تعالى مختصون لها به تعالى والفاء للدلالة على أن ما قبلها موجب لما بعدها وفيه دلالة على أن صفة الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع • فإن تولوا • عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي • فقل • لهم • آذنتكم • أي أعلمتكم ما أمرت به أو حربي لكم • على سواء • كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم أو مستوين به أنا وأنتم في العلم بما أعلمتكم به أو في المعاداة أو إيذانا على سواء وقيل أعلمتكم أي على سواء أي عدل واستقامة رأي بالبرهان النير • وإن أدري • أي ما أدري • أقريب أم بعيد ما توعدون • من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتيا لا محالة • إنه يعلم الجهر من القول • أي ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود • ويعلم ما تكتمون • من الإحن والأحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا • وإن أدري لعله فتنة لكم • أي ما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم أو امتحان لكم لينظر كيف تعملون • ومتاع إلى حين • أي تمتيع لكم إلى أجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم • قال رب احكم بالحق • حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الأمر أي اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه حيث عذبوا ببدر أي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي أحكم على صيغة التفضيل وربي أحكم من الإحكام • وربنا الرحمن • مبتدأ وخبر أي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى • المستعان • أي المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ وإضافة الرب فيما سبق إلى ضميره عليه السلام خاصة لما أن الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما أن إضافته ههنا إلى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين أيضا لما أن الاستعانة من الوظائف العامة لهم • على ما تصفون • من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم وإن راية الإسلام تخفق ثم تركد وإن المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أولياءه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج ثماني وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• يا أيها الناس اتقوا ربكم • خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة وإن كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الأول على الوجه الذي تم تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والإناث حقيقة وأما صيغة جمع المذكر في اتقوا فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للإناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الإيمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا أوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أي احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى • إن زلزلة الساعة شيء عظيم • تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف بطريق التكرير بحيث تزيل الأشياء من مقارها وتخرجها عن مراكزها وإضافتها إلى الساعة إما إضافة المصدر إلى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الأشياء أو إضافته إلى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به اتساعا أو بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة

في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها عن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي أنها قبل طلوع الشمس من مغربها فإضافتها إلى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها وفي التعبير عنها بالشيء إيذان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام وقوله تعالى • يوم ترونها • منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة أي وقت رؤيتكم إياها ومشاهدتكم لهول مطلعها • تذهل كل مرضعة • أي مباشرة للإرضاع • عما أرضعت • أي تغفل وتذهب مع دهشة عما هي بصدد إرضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها أنه ماذا لا أنها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية أي تذهل عن إرضاعها والأول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الإذهال مبنيا للمفعول أو مبنيا للفاعل مع نصب كل أي تذهلها الزلزلة • وتضع كل ذات حمل حملها • أي تلقي جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي وأما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل إنه تمثيل لتهويل الأمر وفيه أن الأمر حينئذ أشد من ذلك وأعظم وأهول مما وصف وأطم وقيل إن ذلك يكون عند النفخة الثانية فإنهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الأولى فتقوم المرضعة على إرضاعها والحامل على حملها ولا ريب في أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر • وترى الناس • بفتح التاء والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والإفراد لما أن المرئي في الأول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من إفراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فإن المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلال مشاعره لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كأنه قيل ويصير الناس سكارى الآية وإنما أوثر عليه ما في التنزيل للإيذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء إلى حد لا يكاد يخفى على أحد أي يراهم كل أحد • سكارى • أي كأنهم سكارى • وما هم بسكارى • حقيقة • ولكن عذاب الله شديد • فرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا إلى المخاطب من أريتك قائما أو رؤيتك قائما والناس منصوب أي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على إسناد الفعل المجهول إليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ يرى بضم الياء وكسر الراء أي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى إجراء للسكر مجرى العلل • ومن الناس • كلام مبتدأ جيء به إثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء إما بحمله على المعنى أو بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا أي بعض الناس أو وبعض كائن من الناس • من يجادل في الله • أي في شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الأباطيل وقوله تعالى • بغير علم • حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل أي ملابسا بغير علم روي أنها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولأضرابه من العتاة المتمردين • ويتبع • أي فيما يتعاطاه من المجادلة أو في كل ما يأتي وما يذر من الأمور الباطلة التي من جملتها • كل شيطان مريد • عات متمرد متجرد للفساد وأصله العري المنبئ عن التمحض له كالتشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الأملس والمراد به إما إبليس وجنوده وإما الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وقوله تعالى • كتب عليه • أي على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى • أنه • فاعل كتب والضمير للشأن أي رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن • من تولاه • أي اتخذه وليا وتبعه • فأنه يضله • بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط إن جعلت من شرطية وخبر إن جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أي من تولاه فشأنه أنه يضله من طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أنه يضله قطعا وقيل فأنه معطوف على أنه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ فإنه بالكسر على أنه خبر لمن أو جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت إن الله يأمر بالعدل والإحسان أو على إضمار القول وتضمين الكتب معناه • ويهديه إلى عذاب السعير • بحمله على مباشرة ما يؤدي إليه من السيئات • يا أيها الناس • إثر ما حكى أحوال المجادلين بغير علم وأشير إلى ما يؤول إليه أمرهم أقيمت الحجة الدالة

علی ما جاء لو فیه من البعث • ان کنتم فی ریب من البعث • من امکانه وکونه مقدورا له تعالی او من وقوعه وقری من البعث بالتحریک
کالجلب فی الجلب والتعبیر عن اعتقادهم فی حقه بالریب مع الشک المبنی عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وایراد کلمة الشک مع تحقق
حالهم لان ذلک وارد علیه النظم الکریم علی ان یقال ان ارتبتم فی البعث قد مر تحقیقه فی تفسیر قوله تعالی وان کنتم فی ریب مما نزلنا
علی عبدنا • فانا خلقناکم • ای فانظروا الی مبداء خلقکم لیزول ریبکم فانا خلقناکم ای خلقنا کل فرد منکم • من تراب
فی ضمن خلق آدم منه خلقا اجمالیا فان خلق کل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه علیه السلام اذ لم تکن فطرته الشریفة مقصورة علی نفسه
بل کانت انموذجا منطویا علی فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجمالیا مستتبعا لجریان آثارها علی الکل فکان خلقه علیه السلام من التراب
خلقا للکل منه کما مر تحقیقه مرارا • ثم من نطفة • ای ثم خلقناکم خلقا تفصیلیا من نطفة ای منی من النطف الذی هو الصب
• ثم من علقة • ای قطعة من الدم جامدة متکونة من المنی • ثم من مضغة • ای قطعة من اللحم متکونة من العلقة وهی فی الاصل
مقدار ما یمضغ • مخلقة • بالجر صفة مضغة ای مستبینة الخلق مصورة • وغیر مخلقة • ای لم یستبن خلقها وصورتها
بعد والمراد تفصیل حال المضغة وکونها اولا قطعة لم یظهر فیها شیء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلک شیئا فشیئا وکان مقتضی
الترتیب السابق المبنی علی التدرج من المبادی البعیدة الی القریبة ان یقدم غیر المخلقة علی المخلقة وانما اخرت عنها لانها
عدم الملکة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغیر المسواة وبالتامة والساقطة ولیس بذاک وفی جعل کل واحدة من هذه المراتب
مبدا لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب کما فی قوله تعالی ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآیة مزید دلالة علی
عظم قدرته تعالی وکسر لسورة استبعادهم • لنبین لکم • متعلق بخلقنا وترک المفعول لتفخیمه کما وکیفا ای خلقناکم علی هذا النمط
البدیع لنبین لکم بذلک ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التی من جملتها سر البعث فان من تامل فیما ذکر من الخلق
التدریجی تاملا حقیقیا جزم جزما ضروریا بان من قدر علی خلق البشر اولا من تراب لم یشم رائحة الحیوة قط وانشائه
علی وجه مصحح لتولید مثله مرة بعد اخری بتصریفه فی اطوار الخلقة وتحویله من حال الی حال مع ما بین تلک الاطوار والاحوال
من المخالفة والتباین فهو قادر علی اعادته بل هو اهون فی القیاس نظرا الی الفاعل والقابل وقری لیبین بطریق الالتفات
وقوله تعالی • ونقر فی الارحام ما نشاء • استئناف مسوق لبیان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف علیه فی سلک
الخلق المعلل بالتبیین مع کونهما من متماته ومن مبادی التبیین ایضا لما ان دلالة الاول علی کمال قدرته تعالی علی جمیع المقدورات
التی من جملتها البعث المبحوث عنه اجلی واظهر ای ونحن نقر فی الارحام بعد ذلک ما نشاء ان نقره فیها • الی اجل مسمی •
هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقیل اربع سنین وفیه اشارة الی ان بعض ما فی الارحام لا یشاء تعالی
اقراره فیها بعد تکامل خلقه فیسقط والتعرض للازلاق لا یناسب المقام لان الکلام فیما جری علیه اطوار الخلق وهذا
صریح فی ان المراد بغیر المخلقة لیس من لم یخلق قطعا ومعیبا وان ما فصل الی منتهی الاطوار المتواردة علی المولود قبل
الولادة وقری یقر بالیاء ونقر ویقر بفتح القاف من قررت الماء اذا صببته • ثم نخرجکم • ای من بطون امهاتکم عند
تمام الاجل المسمی • طفلا • ای حال کونکم اطفالا والافراد باعتبار کل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد
المتعدد وقری یخرجکم بالیاء وقوله تعالی • ثم لتبلغوا اشدکم • علة لنخرجکم معطوفة علی علة اخری له مناسبة لها کانه قیل
ثم نخرجکم لتکبروا شیئا فشیئا ثم لتبلغوا کمالکم فی القوة والعقل والتمییز وقیل التقدیر ثم نمهلکم لتبلغوا الخ وما قیل انه معطوف
علی نبین مخل بجزالة النظم الکریم هذا وقد قری ما قبله من الفعلین بالنصب حکایة وغیبة فهو حینئذ عطف علی نبین ومنتظم معه
المعنی خلقناکم علی التدریج المذکور لغایتین مترتبتین علیه احداهما ان نبین شئوننا والثانیة ان نقرکم فی الارحام ثم
نخرجکم صغارا ثم لتبلغوا اشدکم وتقدیم التبیین علی ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الکل للایذان بانه غایة الغایات
ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجرید الاولین عنها للاشعار باصالته فی الغرضیة بالنسبة الیهما اذ علیه یدور
التکلیف المودی الی السعادة والشقاوة وایثار البلوغ مسندا الی المخاطبین علی التبلیغ مسندا الیه تعالی کالافعال السابقة
لانه المناسب لبیان حال اتصافهم بالکمال واستقلالهم بمبدئیة الآثار والافعال والاشد من الفاظ الجموع التی لم
یستعمل لها واحد کالاسدة والقتود وکانها حیث کانت شدة فی غیر شیء بنیت علی لفظ الجمع • ومنکم من یتوفی

ای بعد

ای بعد بلوغ الاشد او قبله وقری یتوفی مبنیا للفاعل ای یتوفاه الله تعالی • ومنکم من یرد الی ارذل العمر • وهو الهرم والخرف
وقری بسکون المیم وایراد الرد والتوفی علی صیغة المبنی للمفعول للجری علی سنن الکبریاء لتعین الفاعل • لکیلا یعلم من بعد علم
ای علم کثیر • شیئا • ای شیئا من الاشیاء او شیئا من العلم مبالغة فی انتقاص علمه وانتکاس حاله ای لیعود الی ما کان علیه فی
اوان الطفولیة من ضعف البنیة وسخافة العقل وقلة الفهم فینسی ما علمه وینکر ما عرفه ویعجز عما قدر علیه وفیه من التنبیه علی صحة
البعث ما لا یخفی • وتری الارض هامدة • حجة اخری علی صحة البعث والخطاب لکل احد ممن یتاتی منه الرؤیة وصیغة
المضارع للدلالة علی التجدد والاستمرار وهی بصریة وهامدة حال من الارض ای میتة یابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا • فاذا انزلنا علیها الماء • ای المطر • اهتزت • تحرکت بالنبات • وربت • انتفخت وازدادت وقری
ربأت ای ارتفعت • وانبتت من کل زوج • ای صنف • بهیج • حسن رائق یسر ناظره • ذلک بان الله هو الحق •
کلام مستانف جیء به اثر تحقیق حقیة البعث واقامة البرهان علیه من العالمین الانسانی والنباتی لبیان ان ذلک من آثار الوهیته
تعالی واحکام شئونه الذاتیة والوصفیة والفعلیة وان ما ینکرون وجوده بل امکانه من اتیان الساعة والبعث من اسباب تلک
الآثار العجیبة التی یشاهدونها فی الانفس والآفاق ومبادی صدورها عنه تعالی وفیه من الایذان بقوة الدلیل واصالة المدلول
فی التحقق واظهار بطلان انکاره ما لا یخفی فان انکار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما یقضی ببطلانه بدیهة العقول والمراد
بالحق هو الثابت الذی یحق ثبوته لا محالة لکونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلک اشارة الی ما ذکر من خلق الانسان علی اطوار
مختلفة وتصریفه فی احوال متباینة واحیاء الارض بعد موتها وما فیه من معنی البعد للایذان ببعد منزلته فی الکمال وهو مبتدا
خبره الجار والمجرور ای ذلک الصنع البدیع حاصل بسبب انه تعالی هو الحق وحده فی ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من
الاشیاء • وانه یحیی الموتی • ای شانه وعادته احیاؤها وحاصله انه تعالی قادر علی احیائها بدءا واعادة والا لما احیی النطفة
والارض المیتة مرارا بعد مرار وما یفیده صیغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار
نفسها • وانه علی کل شیء قدیر • ای مبالغ فی القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التی من جملتها ما ذکر
واما الاستدلال علی ذلک بان قدرته تعالی لذاته الذی نسبته الی الکل سواء فلما دلت المشاهدة علی قدرته علی احیاء
بعض الاموات لزم اقتداره علی احیاء کلها فمنشاؤه الغفول عما سیق له النظم الکریم من بیان کون الآثار الخاصة المذکورة
من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصیص احیاء الموتی بالذکر مع کونه من جملة الاشیاء المقدور علیها للتصریح
بما فیه النزاع والدفع فی نحور المنکرین وتقدیمه لابراز الاعتناء به • وان الساعة آتیة • ای فیما سیاتی وایثار صیغة الفاعل
علی الفعل للدلالة علی تحقق اتیانها وتقررها البتة لاقتضاء الحکمة ایاه لا محالة وتعلیله بان التغیر من مقدمات الانصرام و
طلائعه مبنی علی ما ذکر من الغفول وقوله تعالی • لا ریب فیها • اما خبر ثان لان او حال من ضمیر الساعة فی الخبر ومعنی نفی
الریب عنها انها فی ظهور امرها ووضوح دلائلها التکوینیة والتنزیلیة بحیث لیس فیها مظنة ان یرتاب فی اتیانها حسبما
مر فی مطلع سورة البقرة والجملة معطوفة علی المجرور بالباء کما قبلها من الجملتین داخلة مثلها فی حیز السببیة وکذا قوله عز وجل
• وان الله یبعث من فی القبور • لکن لا من حیث ان اتیان الساعة وبعث الموتی مؤثران فیما ذکر من افاعیله تعالی تاثیر
القدرة فیها بل من حیث ان کلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد والمبنیة علی الحکم البالغة الی ما ذکر
من خلقهم ومن احیاء الارض المیتة علی نمط بدیع صالح للاستشهاد به علی امکانهما لیتاملوا فی ذلک ویستدلوا به علی تحققهما
لا محالة ویصدقوا بما ینطق بهما من الوحی المبین وینالوا به السعادة الابدیة ولولا ذلک لما فعل تعالی ما فعل بل لما خلق العالم
رأسا وهذا کما تری من احکام حقیته تعالی فی افعاله وابتنائها علی الحکم الباهرة کما ان ما قبله من احکام حقیته تعالی فی صفاته
وکونها فی غایة الکمال وقد جعل اتیان الساعة وبعث من فی القبور لکونهما من روادف الحکمة کنایة عن کونه تعالی حکیما کانه
قیل ذلک بسبب انه تعالی قادر علی احیاء الموتی وعلی کل مقدور وانه حکیم لا یخلف میعاده وقد وعد الساعة والبعث
فلا بد ان یفی بما وعد وانت خبیر بان ماله الاستدلال بحکمته تعالی علی اتیان الساعة والبعث ولیس الکلام فی ذلک بل انما
هو فی سببیتهما لما ذکر من خلق الانسان واحیاء الارض فتامل وکن علی الحق المبین وقیل قوله تعالی ان الساعة آتیة

آتية ليس معطوفاً على المجرور بالباء ولا داخلاً في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة
آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو الحق الآتيان • ومن الناس من يجادل في الله •
هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضه وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائناً من كان
كما ان الاول من يتكلم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق • بغير علم • متعلق بمحذوف
وقع حالاً من ضمير يجادل اي كائناً بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى • ولا هدى •
هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي الى المعرفة • ولا كتاب منير • وحي مظهر للحق اي يجادل في شأنه تعالى من غير
تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً
وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له
من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء
عن الدليل العقلي والسمعي • ثاني عطفه • حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفاً لجانبه وطاوياً كشحه معرضاً متكبراً
فان ثني العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعاً لتعطفه • ليضل عن سبيل الله • متعلق بيجادل فان غرضه
الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين
او الناس جميعاً بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة عليه مجازاً فالمفعول هم الكفرة خاصة
وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك
• له في الدنيا خزي • جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما
اصابه يوم بدر من القتل والصغار • ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق • اي النار المحرقة • ذلك • اي ما ذكر من العذاب
الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
• بما قدمت يداك • اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدي والالتفات
لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وعلا • وان الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم
قطعاً على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً بالغاً قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محله الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال
• ومن الناس من يعبد الله على حرف • شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده
تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف الى طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر • فان اصابه خير • اي دنيوي
من الصحة والسعة • اطمأن به • اي ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف
ولا يثنيهم عاطف • وان اصابته فتنة • اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او ماله • انقلب
على وجهه • روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهراً سرياً وولدت
امرأته ولداً سوياً وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيراً واطمأن وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شراً وانقلب وعن ابي سعيد رضه ان يهودياً اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله
فقال اقلني فقال عم ان الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم • خسر الدنيا والآخرة • فقدهما
وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع
الضمير تنصيصاً على خسرانه او على انه خبر مبتدأ محذوف • ذلك • اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان
بكونه في غاية ما يكون • هو الخسران المبين • الواضح كونه خسراناً اذ لا خسران مثله • يدعو من دون الله • استئناف
مبين لعظم الخسران اي يعبد متجاوزاً عبادة الله تعالى • ما لا يضره • اذا لم يعبده • وما لا ينفعه • اذا عبده
اي جماداً ليس من شأنه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما • ذلك • اي الدعاء • هو الضلال البعيد

والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالاً عن الطريق • يدعو لمن ضره اقرب من نفعه • استئناف
مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالاً بعيداً مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق
المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب ايضاً فالدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولاً له ومن مبتدأ
وضره مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى • لبئس المولى ولبئس العشير • جواب لقسم
مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جماداً وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع
بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى
تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلاً لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو
ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثاني اعادة للاول تأكيداً له
وتمهيداً لما بعده من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد
كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس
المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام
اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضاً والجملة القسمية مستأنفة • ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات • استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى
وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان غاية سوء حال الكفرة
وما لهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم
يعترفون بسوء الولاية والعشرة ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى • تجري من تحتها الانهار • صفة لجنات فان اريد
بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف
اي من تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر
المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى • ان الله يفعل ما يريد •
تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة
التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عم ولما كان هذا من آثار
نصرته تعالى لرسوله عقب بقوله عز وعلا • من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة • تحقيقاً لها وتقريراً
لثبوتها على ابلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة
لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى
بسبب مدافعته لبعض الامور ومباشرته ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود
فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق حنقاً مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه
• فليمدد بسبب الى السماء • فليمدد حبلاً الى سقف بيته • ثم ليقطع • اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه
يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد
بالنظر في قوله تعالى • فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ • تقدير النظر وتصويره اي فليصور في نفسه النظر
هل يذهبن كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا
ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظ وقيل المعنى فليمدد حبلاً الى السماء المظلة
وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه ان مساق
النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين
ان لا مساغ لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فانه فرض وقوعه محال
فظنوا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من

من النصر والآخرون من المشركين يريدون اتباعهم ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق
بيد الله لا تنال الا بمشيته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو
الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا • وكذلك • اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم
البالغة • انزلناه • اى القرآن الكريم كله وقوله تعالى • آيات بينات • اى واضحة الدلالة على معانيها الرائقة حال من
الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك • وان الله يهدى • به ابتداء او يثبت على الهدى ويزيد فيه • من يريد
هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك
او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله يهدى من يريد هدايته • ان الذين آمنوا • اى بما ذكر من الآيات البينات
بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا • والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين
النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة • والذين اشركوا • هم عبدة الاصنام
وقوله تعالى • ان الله يفصل بينهم يوم القيمة • فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملة بحرف التحقيق لزيادة
التقرير والتأكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء
باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى • ان الله على كل شىء شهيد • تعليل لما قبله من الفصل
اى عالم بكل شىء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة
واجراء جزائه اللائق عليه وقوله تعالى • الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض • الخ بيان لما يوجب الفصل
المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر بيان
ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور
المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى
بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بكمال افعال المكلف فى باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود
الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار
فيهما وبطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى • والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب • افرادا لها بالذكر لشهرتها
واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول السجود والطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى • وكثير
من الناس • فانه مرتفع بمضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن
بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب
فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون
وان يكون قوله تعالى • وكثير • معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير وكثير من
الناس • حق عليه العذاب • اى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اى حق عليه العذاب حقا • ومن يهن الله
بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر • فما له من مكرم • يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر
ميمى • ان الله يفعل ما يشاء • من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة • هذان • تعيين لطرفى الخصام وازاحة
لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى وتحرير لمحله اى فريق المؤمنين وفريق
الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس • خصمان • اى فريقان مختصمان وانما قيل • اختصموا فى ربهم • حملا على المعنى اى
اختصموا فى شأنه عز وعلا وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية
ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل
تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله
منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت • فالذين كفروا

تفصل

تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة • قطعت لهم • اى قدرت على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار • اى نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها • يصب من فوق رؤسهم الحميم • اى الماء
الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لو سقطت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة
او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم • يصهر به • اى يذاب • ما فى بطونهم • من الامعاء والاحشاء وقرئ
يصهر بالتشديد • والجلود • عطف على ما وتأخيره عنه اما لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان
تأثيرها فى الباطن اقدم من تأثيرها فى الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم • ولهم • اى للكفرة
اى لتعذيبهم واجلهم • مقامع من حديد • جمع مقمعة وهى آلة القمع • كلما ارادوا ان يخرجوا منها • اى اشرفوا على
الخروج من النار ودنوا منه حسبما روى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا
فيها سبعين خريفا • من غم • اى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف
كما اشير اليه او مفعول له للخروج • اعيدوا فيها • اى فى قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا
منها • وذوقوا • على تقدير قول معطوف على اعيدوا اى وقيل لهم ذوقوا • عذاب الحريق • اى الغليظ
من النار المنتشر العظيم الاهلاك • ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار
بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وتغيير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل و
تصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة
على تحقق مضمون الكلام • يحلون فيها • على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من حلى
بمعنى الالباس اى يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليها ومن فى قوله تعالى
من اساور • اما للتبعيض اى بعض اساور وهى جمع اسورة جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ
عن الحلى المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون • من ذهب • بيان للاساور
• ولؤلؤا • عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اى يؤتون
وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبهما واوا ولوليا
بقلبهما ياء • ولباسهم فيها حرير • غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للدلالة على ان الحرير
ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل لا بد ان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غنى عن البيان
اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم
الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان
حال اللباس • وهدوا الى الطيب من القول • وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض الخ
وهدوا الى صراط الحميد • اى المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى
القول المذكور ان ذكرها وقع موقع الحمد لجنة المتفرع عن الهداية الى طريقها رعاية للفواصل وقيل المراد بالحميد الحق
المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير ان ذكر الحمد يستدعى ذكر المحمود
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله • ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد
ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل
كفروا اى وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من الحد فى الحرم حيث عوقب
بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله بالعذاب من ذلك احق واولى • والمسجد
الحرام • عطف على سبيل الله وقيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى • الذى جعلناه للناس
اى كائنا من كان من غير فرق بين مكى وآفاقى • سواء العاكف فيه والباد • اى المقيم والطارئ وسواء اى
مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به او صفة للمسجد الحرام بذلك

زيادة الضاد من عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من
الناس • ومن يرد فيه • مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما • بالحاد • بعدول عن القصد
بظلم • بغير حق وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف
الآثام • نذقه من عذاب اليم • جواب لمن • واذ بوأنا • يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل اللام مباءة للاول
قيل لابرهيم مكان البيت • وعليه مبني قول ابن عباس رض جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له ع م اي مرجعا
يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام
زائدة ومكان ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء
فاعلم الله تعالى ابرهيم ع م مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات
احديها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابرهيم ع م والثالثة بناء قريش في الجاهلية
وقد حضر رسول الله صلعم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رض والخامسة بناء الحجاج وقد اوردناها في هذا الشان من كان
في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى • ان لا تشرك بي شيئا • مفسرة لبوأنا من حيث انه
متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي قد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك
بي في العبادة شيئا • وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود • اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به
ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك
بالياء • واذن في الناس • اي ناد فيهم وقرئ آذن • بالحج • بدعوة الحج والامر به روي انه ع م صعد ابا قبيس فقال يا ايها
الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل
الخطاب لرسول الله صلعم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية • ياتوك • جواب للامر • رجالا • اي مشاة جمع راجل
كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجال كعجال • وعلى كل ضامر • عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله • ياتين • صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ ياتون على انه صفة للرجال والركبان
او استئناف فيكون الضمير للناس • من كل فج • طريق واسع • عميق • بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة
المعق بمعنى كالجذب والجبذ • ليشهدوا • متعلق بياتوك لا باذن اي ليحضروا • منافع • عظيمة الخطر كثيرة العدد او
نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى • لهم • متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة
لهم • ويذكروا اسم الله • عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره
وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه • في ايام معلومات • هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى • على ما رزقهم من بهيمة الانعام • فان المراد
بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر • فكلوا منها
التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى
فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب
الى مواساة الفقراء ومساواتهم • واطعموا البائس • اي الذي اصابه بؤس اي شدة • الفقير • المحتاج وهذا الامر للوجوب
وقد قيل به في الاول ايضا • ثم ليقضوا تفثهم • اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد عند الاحلال • وليوفوا نذورهم • ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد
الفاء • وليطوفوا • طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع • بالبيت العتيق
اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل واما الحجاج
الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه • ذلك • اي الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق
للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد • ومن يعظم حرمات الله • اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوبها
والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام • فهو خير له

اي

اي فالتعظيم خير له ثوابا • عند ربه • اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير من لتشريفه والاشعار
بعلة الحكم • واحلت لكم الانعام • وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى • الا ما يتلى عليكم • اي الا ما يتلى عليكم
آية تحريمه استثناء متصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله
من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونه من
ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما يحرم
لعارض فقط لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى • فاجتنبوا الرجس من الاوثان • فانه مترتب على ما يفيده قوله
ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب
عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام
ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب
الاجتناب عنها وقوله تعالى • واجتنبوا قول الزور • تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور وكانه لما
حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بانه
حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي انه ع م قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلثا وتلا هذه الآية والزور من
الزور وهو الانحراف كالافك المأخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع
قيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك • حنفاء لله • مائلين
عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى • غير مشركين به • اي شيئا من الاشياء فيدخل في ذلك الاوثان
دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا • ومن يشرك بالله • جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك
واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك • فكانما خر من السماء • لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر
فتخطفه الطير • فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وكسر
التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه • او تهوي به الريح • اي تسقطه وتقذفه • في مكان سحيق • بعيد فان الشيطان قد
طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله
فقد اهلك نفسه اهلاكا شبيها باهلاك احد الهالكين • ذلك • اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك • ومن يعظم شعائر الله
اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها
اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه صلعم اهدى مائة بدنة فيها جمل
لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رض اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار • فانها • اي فان تعظيمها • من
تقوى القلوب • اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى
القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهرت آثارها في سائر الاعضاء • لكم فيها • اي في
الهدايا • منافع • هي درها ونسلها وصوفها وظهرها • الى اجل مسمى • هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه
ثم محلها • اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية • الى البيت العتيق • اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني
او الرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية اعظم منها في النفع محلها اي وجوب نحرها او وقت نحرها
الى البيت العتيق اي منتهية اليه هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك
واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء الحج ثم محلها اي محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف
الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فاضافة المحل اليها لادنى ملابسة • ولكل امة • اي لكل اهل دين • جعلنا منسكا
اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اي موضع نسك وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص اي لكل امة
من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض • ليذكروا اسم الله • خاصة دون غيره ويجعلوا نسكهم لوجهه تعالى
علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك ذكر المعبود • على ما رزقهم من بهيمة الانعام • عند ذبحها وفيه

على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والحكمة في قوله تعالى • فالهكم اله واحد • للكل تعليلا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد
في ذاته كما انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى • فله اسلموا • لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى وتقديم
الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب والذكر لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشركة
• وبشر المخبتين • تجريد للخطاب الى رسول الله صلعم اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم • الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم • منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها • والصابرين على ما اصابهم • من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب
• والمقيمي الصلوة • في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل • ومما رزقناهم
ينفقون • في وجوه الخيرات • والبدن • بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمتها وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال
كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن
بدانة وحيث شاركها البقر في الاجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا
وانتصابه بمضمر يفسره • جعلناها لكم • وقرئ بالرفع على انه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى • من شعائر الله • اي من اعلام
دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى • لكم فيها خير • اي نفع ديني ودنيوي جملة
مقررة لما قبلها • فاذكروا اسم الله عليها • بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
• صواف • اي قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وعلى طرف سنبك الرابعة
لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اي خوالص
لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله لعلي ارى باق على الحدثان • فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض وهي كناية عن الموت • فكلوا منها واطعموا القانع • اي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال • والمعتر • اي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره
وعراه واعتره واعتراه • كذلك • مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى صواف • سخرناها لكم • مع كمال عظمها
ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى انكم تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها
• لعلكم تشكرون • لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص • لن ينال الله • اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول
• لحومها • المتصدق بها • ولا دماؤها • المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء • ولكن يناله التقوى منكم • ولكن يصيبه
تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم
فهم به المسلمون فنزلت • كذلك سخرها لكم • تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى • لتكبروا الله • اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا
يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح • على ما هديكم • اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هديكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر • وبشر
المحسنين • اي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في امور دينهم • ان الله يدافع عن الذين امنوا • كلام مستأنف مسوق لتوطين
قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة
التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل
المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة
من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله
وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى • ان الله لا يحب كل خوان كفور • تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين
وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل خوان في امانة الله تعالى وهي اوامره ونواهيه
او في جميع الامانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة
في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا • اذن • اي رخص وقرئ على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى

للذين

للذين يقاتلون • اي يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة
على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه
فدلالته على المحذوف اظهر • بانهم ظلموا • اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلعم كان المشركون يؤذونهم وكانوا
يأتونه من بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فانزلت وهي اول
اية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية • وان الله على نصرهم لقدير • وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر
من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار
بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس
المؤمنين وقوله تعالى • الذين اخرجوا من ديارهم • في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في
محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة • بغير حق
متعلق باخرجوا اي اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى • الا ان يقولوا ربنا الله • بدل من حق اي بغير موجب سوى
التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • وقيل الاستثناء منقطع • ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض • بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع • لهدمت • لخربت باستيلاء المشركين
على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف • صوامع • للرهابنة • وبيع • للنصارى • وصلوات • اي كنائس
لليهود وسميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوتا بالعبرية فعربت • ومساجد • للمسلمين • يذكر فيها اسم الله
كثيرا • اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع
وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه
الافهام • ولينصرن الله من ينصره • اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز سلطانه
وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم
• ان الله لقوي • على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم • عزيز • لا يمانعه شيء ولا يدافعه • الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر • وصف من الله عز وجل للذين
اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ
عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل
ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر
مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين
بدل من قوله من ينصره • ولله • خاصة • عاقبة الامور • فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد
باظهار اوليائه واعلاء كلمته • وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح • تسلية لرسول الله صلعم متضمنة للوعد الكريم
باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع
عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب لما ان المقصود تسليته عما يترتب على التكذيب من
الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك
اياك قوم نوح • وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين • اي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر وانما حذف
لكمال ظهور المراد او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الخ • وكذب موسى • غير النظم الكريم بذكر المفعول
وبناء الفعل له لان قوم موسى بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان ذلك لا يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم
قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله

● فامليت للكافرين ● اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على
تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح
بمكذبي موسى حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ● ثم اخذتهم ● اي اخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة
املائه وامهاله ● فكيف كان نكير ● اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة
وقوله تعالى ● فكاين من قرية ● منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى ● اهلكناها ● اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك
اهلها والجملة بدل من قوله تعالى فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ
اهلكتها على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير ● وهي ظالمة ● جملة حالية من مفعول اهلكنا وقوله تعالى
● فهي خاوية ● عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فلا محل لها
من الاعراب كالمعطوف عليه على الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى
فهي ساقطة حيطانها ● على عروشها ● اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت
فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل
اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون على بمعنى مع ويجوز ان يكون على عروشها خبرا بعد خبر
اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان
قائمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا ● وبئر معطلة
عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله
● وقصر مشيد ● مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء
عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا
قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما ● افلم يسيروا في الارض ● حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع
المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك
والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا فيها ● فتكون لهم ● بسبب ما شاهدوه من مواد
الاعتبار ومظان الاستبصار ● قلوب يعقلون بها ● ما يجب ان يعقل من التوحيد ● او آذان يسمعون بها ● ما
يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم ● فانها لا تعمى الابصار
الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ● ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز
وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل قوله تعالى من كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال
ابن ام مكتوم انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ● ويستعجلونك بالعذاب ● كانوا منكرين لمجيء العذاب
الموعود به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلعم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة
والاستنكار فقوله تعالى ● ولن يخلف الله وعده ● اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به
واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد
فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى ● وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ● جملة مستأنفة
ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة
ساحة علمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به
قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به
ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اي يعده
المستعجلون ووفق لهذا المعنى وقد جعل خطابا في القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول صلى الله

ومن معه

ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة
مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر
بيانه فلا يكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم
ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم
العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم
الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله
بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا يرى الى قوله تعالى ● وكاين من قرية ● الى آخره فانه كما سلف خلا
من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من
اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل ●
امليت لها ● كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء
● وهي ظالمة ● جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها
ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كهؤلاء ● ثم اخذتها ● بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال ● والي المصير
● اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين ايضا
ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا شركة فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم فافعلن
● قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين ● انذركم انذارا بينا بما اوحي الي من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي
دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما ان صدر الكلام
ومساقه للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم ● فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم مغفرة ● لما اندر منهم من الذنوب ● ورزق كريم ● هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله
ويحوز كمالاته ● والذين سعوا في آياتنا معاجزين ● اي مسابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين
ان كيدهم للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر
عن اللحاق وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة ● اولئك ● الموصوفون بما ذكر من السعي
والمعاجزة ● اصحاب الجحيم ● اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها ● وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي ● الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير
شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه عليه السلام علماء امته
بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم
الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول
من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام ● الا اذا تمنى ●
اي هيأ في نفسه ما يهواه ● القى الشيطان في امنيته ● في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانه ليغان
على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة ● فينسخ الله ما يلقي الشيطان ● فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون
اليه وارشاده الى ما يزيحه ● ثم يحكم الله آياته ● اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين
للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات احكام
آياته تعالى الباهرة ● والله عليم ● مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا
او خطاء ● حكيم ● في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث
نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في

ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا
مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليهما السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به
الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليلة • تمنى داود الزبور على رسل
وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي عم وقد رد بانه ايضا
يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية دلالة على
جواز السهو من الانبياء عم وتطرق الوسوسة اليهم • ليجعل ما يلقي الشيطان • علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه
تعالى اياه من ذلك في حق النبي عم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر
الانبياء عم لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل • فتنة للذين في قلوبهم مرض •
اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية • والقاسية قلوبهم • اي المشركين • وان الظالمين •
اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة •
لفي شقاق بعيد • اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف حقيقة هو معروضه للمبالغة
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله • وليعلم الذين اوتوا العلم انه • اي القرآن • الحق من ربك • اي هو
الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجليلة لانه
مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عم فلا حاجة الى تخصيص التمكين فيما يتعلق بالالقاء في حقه عم لكن بما في قوله
تعالى • فيؤمنوا به • اي بالقرآن اي يثبتوا على الايمان به او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان • فتخبت له قلوبهم •
بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي ورجع الضمير [illegible] تعالى الى تمكين الشيطان من الالقاء مما
لا وجه له • وان الله لهادي الذين آمنوا • اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر
الى صراط مستقيم • هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله • ولا يزال الذين كفروا في مرية •
اي في شك وجدال • منه • اي من القرآن وقيل من الرسول صلعم والاول هو الاظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى
ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا باياتنا واما تجويز كون الضمير لما
القى الشيطان في امنيته خاصة فلا مساغ له لان ذلك ليس مما تستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شان القرآن
ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتداة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها
مستمرة منذ من لدن نزول القرآن الكريم • حتى تأتيهم الساعة • اي القيمة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى • بغتة • اي فجأة
فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت • او يأتيهم عذاب يوم عقيم • اي يوم لا يوم بعده كان كل يوم يلد ما
بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كانه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل
ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفته واما ما قيل من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا او
لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عم فيه فمما لا يساعده سياق
النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين
بالثواب والعذاب الاخرويين يقضي بان المراد يوم القيمة قضاء بينا لا ريب فيه • الملك • اي السلطان القاهر
والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق • يومئذ لله • وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات
في امر من الامور لا حقيقة ولا مجازا لا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا
عما تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط
بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدارا لحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب لا ريب في ان ايمانهم

او زوال مريتهم ليس مما له تعلق بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر
ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة
غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى • يحكم بينهم • جملة مستأنفة وقعت جوابا عن
سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كانه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين والممارين بالمجازاة
وقوله تعالى • فالذين آمنوا • الى آخره تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه
وعملوا الصالحات • امتثالا بما امروا في تضاعيفه • في جنات النعيم • اي مستقرون فيها • والذين كفروا
وكذبوا باياتنا • اي اصروا على ذلك واستمروا • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الكفر والتكذيب هو مبتدأ وقوله تعالى • لهم عذاب • جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك
او لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على
الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول
عنها للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى • مهين • صفة لعذاب
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى • والذين هاجروا في سبيل الله •
اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى • ثم قتلوا او ماتوا • اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله
تعالى • ليرزقنهم الله • جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ يضمر قولا هو خبر
والجملة محكية به وقوله تعالى • رزقا حسنا • اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد
والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة
فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي عم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا
في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في
طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم • وان الله لهو خير الرازقين • فانه يرزق بغير حساب
مع ان ما يرزق به لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى • ليدخلنهم مدخلا يرضونه •
بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال
او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي الله عنهما انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر فيرضونه • وان الله لعليم • باحوالهم واحوال معاديهم • حليم • لا يعاجلهم بالعقوبة • ذلك •
خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف • ومن عاقب بمثل ما عوقب
به • اي لم يزد في القصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له • ثم بغي عليه •
بالمعاودة الى العقوبة • لينصرنه الله • على من بغى عليه لا محالة • ان الله لعفو غفور • اي مبالغ في العفو والمغفرة
فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك
لمن عزم الامور • فان في ذلك حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته
لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده
ذلك • اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى
بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تقليب بعض الامور على بعض فانه تعالى
[illegible] المداولة بين الاشياء [illegible] وعبر عن ذلك بايلاج احد الملوين في الآخر [illegible]
بتحصيل احدهما في مكان الآخر [illegible] • وان الله سميع • [illegible]
بصير • [illegible] • ذلك • اي [illegible]

لما مر آنفا وهو مبتدأ وخبره قوله تعالى • بأن الله هو الحق • الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب
وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان
عالما قادرا • وان ما يدعون من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء
على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته • وان الله هو العلي • على جميع الاشياء
الكبير • عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا • الم تر ان الله انزل من السماء ماء • استفهام
تقرير كما ينصح عنه الرفع في قوله تعالى • فتصبح الارض مخضرة • بالعطف على انزل وانما صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد
اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار • ان الله لطيف • يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق • خبير
بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا • له ما في السموات وما في الارض • خلقا وملكا وتصرفا • وان الله لهو الغني
عن كل شيء • الحميد • المستوجب للحمد بصفاته وافعاله • الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض • اي جعل ما فيها من الاشياء
مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر • والفلك
عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء • تجري في البحر بامره • حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير
ويمسك السماء ان تقع على الارض • اي من ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك • الا باذنه
اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط فتقبل كقبول
غيرها • ان الله بالناس لرءوف رحيم • حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال
بالآيات التكوينية والتنزيلية • وهو الذي احياكم • بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة
ثم يميتكم • عند مجيء آجالكم • ثم يحييكم • عند البعث • ان الانسان لكفور • اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا
وصف للجنس بوصف بعض افراده • لكل امة • كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عم من اهل الاديان السماوية عن منازعته
عم ببيان ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية • جعلنا • اي وضعنا وعينا
منسكا • اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة
لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا • وقوله تعالى • هم ناسكوه • صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار
والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه العاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت
من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث
النبي عم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى • فلا ينازعنك في الامر • لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل
من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله
صلعم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى
من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه عم عن الالتفات الى
نزاعهم المبني على زعمهم المذكور وانما جعله عبارة عن نهيه عم عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييج
عم والمبالغة في تثبيته وايا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم
للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر
ما يدعونه من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل • وادع • اي وادعهم او
وادع الناس كافة على انهم داخلون فيهم دخولا اوليا • الى ربك • الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم
انك لعلى هدى مستقيم • اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتهما • وان جادلوك
بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم • فقل • لهم على سبيل الوعيد • الله اعلم بما تعملون • من الاباطيل

التي

التي من جملتها المجادلة • الله يحكم بينكم • يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين • يوم القيمة • بالثواب والعقاب
كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات • فيما كنتم فيه تختلفون • من امر الدين • الم تعلم • استيناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام
للتقرير اي قد علمت • ان الله يعلم ما في السماء والارض • فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة
وما يعملونه • ان ذلك • اي ما في السماء والارض • في كتاب • هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع
علمنا به وحفظنا له • ان ذلك • اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم • على الله يسير • فان
علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور • ويعبدون من دون الله • حكاية لبعض اباطيل المشركين
واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء امر دينهم على غير مبني من دليل سمعي او عقلي واعراضهم
عما التي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي يعبدون متجاوزين عبادة الله • ما لم
ينزل به • اي بجواز عبادته • سلطانا • اي حجة • وما ليس لهم به • اي بجواز عبادته • علم • من ضرورة
العقل او استدلاله • وما للظالمين • اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ظلما به وكونه ظلما بديهة العقول
من نصير • يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او بدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم • واذا تتلى عليهم آياتنا
عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي • بينات • اي حال كونها واضحات
الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل
تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر • اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه
بظهور مخائله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى • يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا • اي يثبون ويبطشون
بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهي جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا بالا يوهم صحة عبادته شيء ما اصلا
بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهر لمن يهديهم الى الحق المبين بالبرهان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع
الذين كفروا موضع الضمير • قل • ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين • افأنبئكم • اي اخاطبكم
فاخبركم • بشر من ذلكم • الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من
الضجر بسبب ما تلوه عليكم • النار • اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى
وعدها الله الذين كفروا • وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استينافا كالوجه
الاول وحالا من النار باضمار قد • وبئس المصير • اي النار • يا ايها الناس ضرب مثل • اي بين لكم حال غريبة
او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل لله مثل اي شبه في استحقاق العبادة وهي
ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام • فاستمعوا له • اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله
تعالى • ان الذين تدعون من دون الله • الى آخره بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا
لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول الراجع الى الموصول على الاول
محذوف • لن يخلقوا ذبابا • اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على
منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه • ولو اجتمعوا له • اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على
اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا ومحلها
نصب على الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال • وان يسلبهم الذباب شيئا • بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم
الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي ان يأخذ الذباب منهم شيئا • لا يستنقذوه منه • مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية
التجهيل في اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هي اعجز الاشياء وبين ذلك بانها
لا تقدر على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها و
استنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله
ضعف الطالب والمطلوب • اي عابد الصنم ومعبوده والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت

وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال • ما قدروا الله حق قدره
اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة • ان الله لقوى • على خلق الممكنات باسرها
افناء الموجودات عن آخرها • عزيز • غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لاوليها العجزة عن اقلها و
الجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى • الله يصطفى من الملائكة رسلا • يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام
بالوحى • ومن الناس • وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين
الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جانب الحق
فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرائعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه
فيها شىء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى
الدرجات واقصى الغايات لمن عداهم من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم
ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل • ان الله سميع بصير • عليم بجميع المسموعات والمبصرات
فلا يخفى عليه شىء من الاقوال والافعال • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم • والى الله ترجع الامور • لا الى غيره لانه مالكها كلها
يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا • اى فى صلوتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا
عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا • واعبدوا ربكم • بسائر ما تعبدكم
به • وافعلوا الخير • وتحروا ما هو خير واصلح فى كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم
الاخلاق • لعلكم تفلحون • اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم
والآية آية سجدة عند الشافعى رح لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا
يقرأها • وجاهدوا فى الله • اى لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه السلام
انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر • حق جهاده • اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه
فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه
مفعول لوجهه ومن اجله • هو اجتباكم • اى هو اختاركم لدينه ولنصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه
وما جعل عليكم فى الدين من حرج • اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر
لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى
حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد • ملة ابيكم ابرهيم • نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله
بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله عم
وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من
ذريته عم فغلبوا على غيرهم • هو سماكم المسلمين من قبل • فى الكتب المتقدمة • وفى هذا • اى فى القرآن والضمير
لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم بالمسلمين فى القرآن وان لم يكن منه عم كان بسبب تسميته من
قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين • ليكون الرسول
يوم القيمة متعلق بسماكم • شهيدا عليكم • بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة
من اطاع وعصيان من عصى • وتكونوا شهداء على الناس • بتبليغ الرسل اليهم • فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
اى فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما • واعتصموا بالله • اى ثقوا بالله
فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه • هو موليكم • ناصركم ومتولى اموركم • فنعم المولى ونعم
النصير • اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقى

سورة المؤمنون مائة وثمانى عشرة آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون • الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير وافلح دخل فى ذلك
كابشر الذى الدخول فى البشارة وقد يجىء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد
ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت
الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم
وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالافلاح حقيقة الدخول
فى الفلاح الذى لا يتحقق الا فى الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت و
ان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلونى البراغيث
وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال فلو ان الاطبا كان حولى والمراد بالمؤمنين اما المصدقون
بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى • الذين هم
فى صلوتهم خاشعون • وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة
اليهم فهى صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر فى
اوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم
روى انه عم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه • والذين هم عن اللغو • اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال • معرضون
اى فى عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة
دخولا اوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى امور الدين كما
قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل
الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم
عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غير عرضه • والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه [illegible]
[illegible] والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه [illegible]
[illegible] • والذين هم لفروجهم
حافظون • ممسكون لها [illegible] • الا على ازواجهم • من نفى الارسال الذى ينبئ عنه الحفظ
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • او ما ملكت ايمانهم • [illegible] • فانهم
[illegible]
غير ملومين • [illegible]
[illegible]

العادون • الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل صريحاً على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد انه
قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان ولو كانت زوجة له لحصل التوارث
لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة
واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد الموت
فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه • والذين هم لاماناتهم وعهدهم • لما يؤتمنون عليه ويعاهدون
من جهة الحق او الخلق • راعون • اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم • والذين هم على
صلواتهم • المفروضة عليهم • يحافظون • يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما في الصلوة
من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا
منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة • اولئك
اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة
المشار اليهم حساً وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة • هم الوارثون • اي الاحقاء بان يسموا وراثاً دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر
وكرائمها • الذين يرثون الفردوس • بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيماً
لشأنها ورفعاً لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون
من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار • هم فيها
اي في الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة الفردوس
لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري وغرس فيها من جيد الفاكهة
وجيد الريحان • خالدون • لا يخرجون منها ابداً والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون
او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها • ولقد خلقنا الانسان • شروع في بيان
مبدأ خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بياناً اجمالياً اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام
جواب قسم محذوف والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً
اجمالياً حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقاً من سلالات جعلت نطفاً بعد ادوار واطوار فبعيد • من سلالة • السلالة
ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصوداً منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة
والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن في قوله تعالى • من طين •
بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية
كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق • ثم جعلناه •
اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لآدم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عليه السلام • نطفة • بان
خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء • في قرار • اي مستقر وهو الرحم عبر عنها
بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله تعالى • مكين • وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها
مكنت بحيث هي واحرزت • ثم خلقنا النطفة علقة • اي دماً جامداً بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء • فخلقنا
العلقة مضغة • اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها • فخلقنا المضغة • اي غالبها ومعظمها او كلها • عظاماً •
بان صلبناها وجعلناها عموداً للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة • فكسونا العظام • المعهودة
لحماً • من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار
لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد
فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب • ثم انشأناه خلقاً آخر • هي صورته او الروح او

المعنوي

المعنوي بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رح على ان من غصب بيضة فافرخت عنده
لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر • فتبارك الله • فتعالى شأنه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق
كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالاً واعظاماً لشؤونه تعالى • احسن الخالقين •
بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اي هو احسن الخالقين خلقاً اي المقدرين
تقديراً حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن
الخالقين خلقاً فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عم ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فانقلب مرفوعاً فاستكن روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله عم الوحي فلما انتهى عليه السلام الى
قوله خلقاً آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عم فقال عليه السلام اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد
يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافراً ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضي الله عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر
وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي
لهن او ليبدلنه الله خيراً منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت
هذه الواقعة سبباً لسعادة عمر رضي الله عنه وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ولا يقدح في تكلم
البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر سورة على
ان اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله • ثم انكم بعد ذلك •
اي بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل
والكمال وكونه بذلك ممتازاً منزلاً منزلة الامور الحسية • لميتون • لصائرون الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت
الدالة على الثبوت دون الحدث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون • ثم انكم يوم القيمة • اي عند
النفخة الثانية • تبعثون • من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب • ولقد خلقنا فوقكم • بيان لخلق
ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما هي بعد خلقهم
• سبع طرائق • هي السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل بالنعل
كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها • وما كنا عن الخلق • عن ذلك
المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس • غافلين • مهملين امرها بل
نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به
المشيئة وبهذا يتصل ما في الارض • وانزلنا من السماء ماء • هو المطر والانهار
النازلة من الجنة قيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر
انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون
معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو • بقدر • بتقدير لائق
لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم • فاسكناه في الارض • اي جعلناه ثابتاً
قاراً فيها • وانا على ذهاب به • اي ازالته بالافساد او التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه • لقادرون •
كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى
قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين • فانشأنا لكم به • اي بذلك الماء • جنات من
نخيل واعناب لكم فيها • في الجنات • فواكه كثيرة • تتفكهون بها • ومنها • اي من الجنات • تأكلون •

تغذيا او ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه • وشجرة • بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف ويدل عليه ما قبله ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى • تخرج من طور سيناء • وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لان فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى • تنبت بالدهن • صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اي تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان • وصبغ للآكلين • معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه ادما يصبغ فيه الخبز اي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ • وان لكم في الانعام لعبرة • بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظم قدرة الله تعالى وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى • نسقيكم مما في بطونها • تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف واما عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون والتاء اي تسقيكم الانعام • ولكم فيها منافع كثيرة • غير ما ذكر من اصوافها واشعارها • ومنها تأكلون • فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها • وعليها • اي على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها فالضمير فيه كما في قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن • وعلى الفلك تحملون • اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه • شروع في بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايراده اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا عليه السلام ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود • فقال • متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق • يا قوم اعبدوا الله • اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة في شيء رأسا وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود

او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه • افلا تتقون • اي افلا تتقون انفسكم عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب يوم اليم وقيل الا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فلا تتقونه فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة في الكمية وفي الاول في الكيفية • فقال الملأ • اي الاشراف • الذين كفروا من قومه • وصف الملأ بما ذكر من اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه اي قالوا لعوامهم • ما هذا الا بشر مثلكم • اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة • يريد ان يتفضل عليكم • اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى • ولو شاء الله لانزل ملائكة • بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام اي لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره • ما سمعنا بهذا • اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام في دعوى النبوة • في آبائنا الاولين • اي الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وآبائهم في فترة متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد واياما كان فقولهم هذا ينبغي ان يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عليه السلام كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل معناه ما سمعنا به عليه السلام انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم • ان هو • اي ما هو • الا رجل به جنة • اي جنون او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول • فتربصوا به • اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا • حتى حين • لعله يفيق مما هو فيه محمولا على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام من البشرية وارادة التفضل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن • رب انصرني • باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الخ • بما كذبون • اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم • فاوحينا اليه • عند ذلك • ان اصنع الفلك • ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول • باعيننا • ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة • ووحينا • وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى • فاذا جاء امرنا • لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه او ابتداء ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى • وفار التنور • عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عليه السلام فصار الى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير سورة هود عليه السلام • فاسلك فيها • اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر • من كل • اي من امة • زوجين • اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله

اثنين • فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل اثني
وهما الذكر والانثى كالجمال والنوق والخصي والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة
هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد
عند فور التنور الذي نيط به الامر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر
التعليقي قبل تحقق المعلق به في حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز
وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم • واهلك • منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا
بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه ونحو
الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عزيمة قطعية فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عم بل الى
معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره
فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم • الا من سبق عليه القول منهم • اي القول باهلاك الكفرة
وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا • ولا
تخاطبني في الذين ظلموا • بالدعاء لانجائهم • انهم مغرقون • تعليل للنهي ولما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم
مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة
منهم بهلاكهم بقوله تعالى • فاذا استويت انت ومن معك • اي من اهلك واشياعك • على الفلك فقل الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين • على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • وقل
رب انزلني • في السفينة او منها • منزلا مباركا • اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضعا
وانت خير المنزلين • امره بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عم بالامر مع شركة الكل
في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عم والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه • ان في ذلك • الذي
ذكر مما فعل به عم وبقومه • لايات • جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار • وان كنا
لمبتلين • ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح
ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر
• ثم انشأنا من بعدهم • اي من بعد اهلاكهم • قرنا آخرين • هم عاد حسبما روي عن ابن عباس رض وعليه اكثر
المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح عم وقيل هم ثمود • فارسلنا
فيهم • جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا
الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى
• رسولا منهم • اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى • ان اعبدوا الله • مفسرة
لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • تعليل للعبادة
المأمور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به • افلا تتقون • عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي
والكلام في العطف كالذي مر في قصة نوح عم • وقال الملأ من قومه • حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق
الذي نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عم اجمالا لا حكاية ما جرى بينه
وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما ينبئ عنه ما سيأتي من حكاية
سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه • الذين كفروا • في محل الرفع على انه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها
على غلوهم في الكفر وتأخيره عن من قومه لعطف قوله تعالى • وكذبوا بلقاء الاخرة • وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء
ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث • واترفناهم • ونعمناهم • في الحيوة
الدنيا • بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم • ما هذا الا بشر مثلكم • اي في الصفات والاحوال

واشار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عم وتوهينه • يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون • تقرير للمماثلة وما
خبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف اي او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه • ولئن اطعتم بشرا مثلكم •
اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي ان امتثلتم باوامره • انكم اذا • اي على تقدير الاتباع • لخاسرون • عقولكم
ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا
دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا وقع بين اسم ان وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة
جواب لقسم محذوف قيل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
• ايعدكم • استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عم بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده
• انكم اذا متم • بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت • وكنتم ترابا وعظاما • نخرة مجردة عن
اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد
وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى • انكم • تأكيد للاول لطول
الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى • مخرجون • اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم
خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل اذا متم وقع اخراجكم
ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم • هيهات
هيهات • تكرير لتأكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة • لما توعدون • وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما في
هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ
خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين
وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء • ان هي الا حياتنا الدنيا • اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير
مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تحمل ما حملت
وهي العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس
• نموت ونحيى • جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة محصورة في الحيوة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض اخر
العصر • وما نحن بمبعوثين • بعد الموت • ان هو • اي ما هو • الا رجل افترى على الله كذبا • فيما يدعيه من
ارساله وفيما يعده من ان الله يبعثنا • وما نحن له بمؤمنين • بمصدقين فيما يقوله • قال • اي هود عم
عندما يئس من ايمانهم بعدما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل • رب انصرني • عليهم وانتقم لي
منهم • بما كذبون • اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه • قال • اجابة لدعائه وعدة بالقبول
عما قليل • اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة
من الله او نكرة موصوفة اي عن شيء قليل • ليصبحن نادمين • على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم العذاب
• فاخذتهم الصيحة • لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روي ان شداد
بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة
نفس العذاب والموت وقيل العذاب المصطلم قال قائلهم صاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على
الاذقان • بالحق • متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له
او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق • فجعلناهم غثاء • اي كغثاء السيل وهو حميله • فبعدا للقوم
الظالمين • اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا
واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل • ثم انشأنا من بعدهم • اي بعد هلاكهم
• قرونا اخرين • هم قوم صالح ولوط وشعيب عم وغيرهم • ما تسبق من امة اجلها • اي ما تتقدم امة من الامم
المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم • وما يستأخرون • ذلك الاجل ساعة

وقوله تعالى • ثم أرسلنا رسلنا • عطف على أنشأنا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ من انشاء القرون المذكورة جميعا
بل على معنى ان ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كأنه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين
قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم آجالها المقدرة
لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي • تترى • متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء
بدل من الواو كما في تولج ويتقوروا الالف للتأنيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل
وقع حالا وقوله تعالى • كلما جاء امة رسولها كذبوه • استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ
الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع
اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال
شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم
• فاتبعنا بعضهم بعضا • في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر
المعاصي • وجعلناهم احاديث • لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة
وهو ما يتحدث به تلهيا كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اي جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا
• فبعدا لقوم لا يؤمنون • اقتصر هٰهنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون
فحيث نقل عنهم ما مر من العتو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم • ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
• بآياتنا • هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ
لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها • وسلطان مبين • اي حجة واضحة ملزمة للخصم
هي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما انها ام آيات موسى عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من
انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التوسل بها لانفلاق البحر وانفجار العيون من
الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد
غير مشهود فرعون وقومه غير ملائم لمقتضى المقام واما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام عبر عنها بذلك
على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي • الى فرعون وملائه
اي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم • فاستكبروا • عن الانقياد
وتمردوا • وكانوا قوما عالين • متكبرين متمردين • فقالوا • عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار
اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة • انؤمن لبشرين مثلنا • ثني البشر لانه يطلق
على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر
ووضع القصص كما ترى يدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل
شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين
وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني
والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها
في اسفل سافلين كاولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا • وقومهما • يعني بني اسرائيل • لنا عابدون
اي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما وحط رتبتهما العلية من منصب الرسالة
من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة
لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة
على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من

النعوت

النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا • فكذبوهما • اي فتموا على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا
• فكانوا من المهلكين • بالغرق في بحر قلزم • ولقد آتينا • اي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم
موسى الكتاب • اي التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه السلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كأنهم
اوتوها فقيل • لعلهم يهتدون • اي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم اي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل
الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى • فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى
ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة
القصص • وجعلنا ابن مريم وامه آية • وآية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية امر
واحد نسب اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بانها ولدته من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه ابنها وكونها امه عليهما السلام للايذان من اول الامر
بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه السلام اليها مع ان النسب الى الآباء دالة على ان لا اب له اي جعلنا ابن مريم وحده من غير ان يكون
له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه
في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليهما من الاحصان والنفخ • وآويناهما الى ربوة • اي
ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا
على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها
ورباوة بالكسر والضم • ذات قرار • مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها
يستقر فيها ساكنوها • ومعين • اي ماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في
المشي او من الماعون وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف
ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره
المونق • يا ايها الرسل كلوا من الطيبات • حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في
عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم تكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة
الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل رسول كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فعبر عن
تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه
الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول
ما رزقا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي ان المراد به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة
كمالاتهم والطيبات ما يستلذ من مباحات المأكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للترفيه
• واعملوا صالحا • اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم • اني بما تعملون • من الاعمال الظاهرة
والباطنة • عليم • فاجازيكم عليه • وان هذه • استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه
المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور
امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة • امتكم • اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل
• امة واحدة • اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة
الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة • وانا
ربكم • من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب في قوله تعالى • فاتقون • اي في شق العصا

والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية له للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب
وفي حق الامم للتحذير والايجاب. والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة
فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون
اي فاتقون كما مر في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الخ وقيل على تقدير
فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من ان • فتقطعوا امرهم • حكاية لما ظهر من
امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسير الثاني والفاء لترتيب عصيانهم
على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة • بينهم
زبرا • اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو فتقطعوا
او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم او من واو تقطعوا على تقدير
المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل • كل حزب • من اولئك المتحزبين • بما لديهم • من الدين
الذي اختاروه • فرحون • معجبون معتقدون انه الحق • فذرهم في غمرتهم • شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذي
يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك
على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم
• حتى حين • هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله
ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل • ايحسبون انما نمدهم به • اي
نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى • من مال وبنين • بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز
منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى • نسارع لهم في الخيرات • على حذف الراجع الى الاسم
اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وقوله تعالى • بل لا يشعرون • عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم
لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في
الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ نسارع مبنيا للمفعول
• ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون • استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال
حسبانهم الكاذب اي من خوف عذابه حذرون • والذين هم بآيات ربهم • المنصوبة والمنزلة • يؤمنون • بتصديق مدلولها
• والذين هم بربهم لا يشركون • شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع
الثلثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك • والذين يؤتون ما آتوا • اي يعطون ما اعطوه من الصدقات
وقرئ يأتون ما اتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات واياما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق
كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار • وقلوبهم وجلة • حال من فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوه
او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف • انهم الى ربهم راجعون • اي من ان رجوعهم
اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى
وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف
الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الى آخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة
على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها • اولئك • اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما
فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم
• يسارعون في الخيرات • اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله

فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم
ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال
استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون
عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية • وهم لها سابقون •
اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا
وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى • ولا نكلف نفسا الا وسعها • جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون
من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على ان
لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او
للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا
في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع
القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى • ولدينا كتاب • الخ تتمة لما قبله ببيان احوال
ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها عند
الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى • ينطق بالحق • كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي
عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل احد على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه اثبت فيه اعمال
الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اي يظهر الحق المطابق للواقع
على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها
ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى • وهم لا يظلمون • بيان لفضله تعالى وعدله في
الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر
اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اي
لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها
عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كلا منها على مقاديرها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان
شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى
يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما
فوقها زيادة وكذلك تكليف ما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة
السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى • بل قلوبهم في غمرة من هذا •
اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في
القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ
عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة
• ولهم اعمال • سيئة كثيرة • من دون ذلك • الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون
كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا
تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزية في وصف اعمالهم
الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره
• هم لها عاملون • مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها • حتى اذا اخذنا مترفيهم •
اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لاعمالهم المذكورة مبدأ

لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون اعمالهم الى حيث اذا اخذنا رؤسائهم • بالعذاب • قيل هو القتل
والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلعم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها
سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي
يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل
والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روي انه
قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك • اذا هم يجأرون • اي فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى
فاليه تجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجاة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا
لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس امرهم وكون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم
من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم
• لا تجأروا اليوم • على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة
والاعانة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط
وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجاتهم الى الجؤار غير مقصود
اصلي وقوله تعالى • انكم منا لا تنصرون • تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا
نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى الغير
حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى • قد كانت آياتي تتلى عليكم • الخ صريح في انه تعليل
لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة او عزة
الله تعالى وقوته اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا • فكنتم على اعقابكم تنكصون • اي تعرضون عن سماعها اشد
الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى • مستكبرين به • اي البيت الحرام او الحرم والاضمار
قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه باياتي على تضمين الاستكبار معنى
التكذيب ولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى • سامرا •
اي تسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن
وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا و
ان تعلق بقوله تعالى • تهجرون • من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهذون في شان القرآن او تتركونه
او من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجّرون من هجّر الذي هو
مبالغة في هجر اذا هذى • افلم يدبروا القول • الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام اي افعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم
وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شانه من القبائح وام في قوله تعالى
• ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين • منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى
التوبيخ بآخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يات آباءهم الاولين حتى
استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل
سنة قديمة له تعالى لا يكاد ينبغي انكاره وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن
من عذابه تعالى ما لم يات آباءهم الاولين كاسمعيل عم واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث
بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه • ام لم يعرفوا
رسولهم • اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عم

بالامانة

بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة
بالانبياء عليهم السلام • فهم له منكرون • اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشانه عم
ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه وهم غير عارفين له عم فهو تاكيد لما قبله • ام يقولون به جنة • انتقال الى
توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا
واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان
به عم الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من
الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم
من عدم معرفتهم به عم وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عم ذلك لقدح في رسالته عم •
بل جاءهم بالحق • اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول عم بل جاءهم عم
بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه • واكثرهم للحق • من حيث هو
حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار • كارهون • لما في جبلتهم من الزيغ
والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف
لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتامل وقيل نسبة الحكم
بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة للحق وانت خبير بان
التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا • ولو اتبع الحق اهواءهم •
استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة اي لو كان
ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عم موافقا لاهوائهم الباطلة • لفسدت السموات والارض ومن فيهن •
وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على سمو
مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولاهلك العالم
ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه عم به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو
اتبع الحق اهواءهم [illegible] فما لا احتمال له اصلا • بل اتيناهم بذكرهم • انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق
الذي يقوم به العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم
حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل
اقبال • فهم • بما فعلوا من النكوص • عن ذكرهم • اي فخرهم وشرفهم خاصة • معرضون • لا عن غير ذلك مما
[illegible]
• ام تسألهم • [illegible] • خرجا • اي جعلا [illegible] • فخراج
ربك خير • اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة [illegible]

من تعلق الحكم وتشريفه عم ما لا يخفى والخرج بإزاء الدخل يقال لكل ما تخرجه إلى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الأرض وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج أخص من الخراج ففي النظم الكريم إشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج
وخراجا فخراج • وهو خير الرازقين • تقرير لخيرية خراجه تعالى • وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم • تشهد العقول
السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عز وعلا وأزاح عللهم
في هذه الآيات حيث حصر أقسام ما يؤدي إلى الإنكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم
• وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة • وصفوا بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم أن لا حياة
إلا الحياة الدنيا وإشعارا بعلة الحكم فإن الإيمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من أقوى الدواعي إلى طلب الحق
وسلوك سبيله • عن الصراط • أي عن جنس الصراط • لناكبون • لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم أو عن الصراط
المستقيم الذي تدعوهم إليه والأول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبئ عن كون ما ذهبوا إليه مما لا يطلق عليه
اسم الصراط ولو كان معوجا • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر • أي قحط وجدب • للجوا • لتمادوا • في طغيانهم
إفراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين • يعمهون • أي عامهين عن الهدى روي
أنه لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان
إلى رسول الله صلعم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء
بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا إياهم ووجدوا الخصب لارتدوا
إلى ما كانوا عليه من الإفراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والإبلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى
• ولقد أخذناهم بالعذاب • استئناف سيق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من
القتل والأسر وما أصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد
أخذناهم بالعذاب • فما استكانوا لربهم • بذلك أي لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه إما استفعال من الكون لأن المفتقر
ينتقل من كون إلى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار
وقوله تعالى • وما يتضرعون • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى • حتى إذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد • هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد • إذا هم
فيه مبلسون • أي متحيرون آيسون من كل خير أي محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم لين مقادة
وتوجه إلى الإسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع إليه تعالى في شيء وإنما هو نوع قنوع إلى أن
يتم غرضه فحاله كما قيل إذا جاع ضغا وإذا شبع طغى وأكثرهم مستمرون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل
المراد بالباب الجوع فإنه أشد وأعم من القتل والأسر والمعنى أخذناهم أولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم
فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أطم وأتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم
وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الأول • وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار • لتشاهدوا بها الآيات
التنزيلية والتكوينية • والأفئدة • لتتفكروا بها فيما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا • قليلا ما تشكرون
أي تشكرون شكرا قليلا غير معتد به تلك النعم الجليلة لما أن العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في أنفسها نعم باهرة
إلى ما خلقت هي له وأنتم تخلون بذلك إخلالا عظيما • وهو الذي ذرأكم في الأرض • أي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل • وإليه
تحشرون • أي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا إلى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه • وهو الذي يحيي ويميت
من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الأشياء • وله • خاصة • اختلاف الليل والنهار • أي هو المؤثر في اختلافهما أي
تعاقبهما أو اختلافهما ازديادا وانتقاصا أو لأمره وقضائه اختلافهما • أفلا تعقلون • أي ألا تتفكرون فلا تعقلون
أو أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ
يعقلون على أن الالتفات إلى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الأول لتغليب المؤمنين و

ليس

وليس كذلك • بل قالوا • عطف على مضمر يقتضيه المقام أي فلم يعقلوا بل قالوا • مثل ما قال الأولون • أي آباؤهم
ومن دان بدينهم • قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون • تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الإجمال
وقد مر الكلام فيه • لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا • أي البعث • من قبل • متعلق بالفعل من حيث إسناده
إلى آبائهم لا إليهم أي ووعد آباؤنا من قبل أو بالمحذوف الواقع حالا من آباؤنا أي كائنين من قبل • إن هذا • أي ما
هذا • إلا أساطير الأولين • أي أكاذيبهم التي سطروها جمع أسطورة كأحدوثة وأعجوبة وقيل جمع أسطار جمع
سطر • قل لمن الأرض ومن فيها • من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم • إن كنتم تعلمون • جوابه محذوف ثقة
بدلالة الاستفهام عليه أي إن كنتم تعلمون شيئا ما فأخبروني به وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجوابهم
قبل أن يجيبوا حيث قيل • سيقولون لله • لأن بديهة العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها • قل
أي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم • أفلا تذكرون • أي أتعلمون ذلك أو أتقولون ذلك فلا تتذكرون
أن من فطر الأرض ومن فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانيا فإن البدء ليس بأهون من الإعادة بل الأمر بالعكس في قياس
العقول وقرئ تتذكرون على الأصل • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • أعيد الرب تنويها لشأن العرش و
رفعا لمحله من أن يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعي في الأمر بالسؤال الترقي من الأدنى إلى الأعلى •
سيقولون لله • باللام نظرا إلى معنى السؤال فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام
نظرا إلى لفظ السؤال • قل • إفحاما وتوبيخا • أفلا تتقون • أي أتعلمون ذلك ولا تتقون أنفسكم عقابه بعدم العمل
بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية • قل من بيده ملكوت كل شيء • وهو
الذي ما ذكرنا ولم نذكر أي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه • وهو يجير • أي يغيث غيره إذا شاء • ولا يجار عليه
أي ولا يغيث أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه • إن كنتم تعلمون • أي شيئا ما أو ذلك فأجيبوني على ما سبق
سيقولون لله • أي لله ملكوت كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه • قل فأنى تسحرون • أي فمن أين
تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به إلى ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك
بل أتيناهم بالحق • الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث • وإنهم لكاذبون • فيما قالوا من الشرك
وإنكار البعث • ما اتخذ الله من ولد • كما يقوله النصارى والقائلون إن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا • وما كان معه من إله • يشاركه في الألوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم • إذا لذهب كل إله
بما خلق • جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل إله
منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو الجاري فيما بين الملوك
ولعلا بعضهم على بعض • فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على
استناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود واحد بالذات • سبحان الله عما يصفون • أي يصفونه من أن يكون له
أنداد وأولاد • عالم الغيب والشهادة • بالجر على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف وأيا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله تعالى • فتعالى عما يشركون • فإن تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له
شريك • قل رب إما تريني • إما كان لابد من أن تريني • ما يوعدون • من العذاب الدنيوي المستأصل
وأما العذاب الأخروي فلا يناسب المقام • رب فلا تجعلني في القوم الظالمين • أي قرينا لهم فيما هم فيه
من العذاب وفيه إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد
يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريق الاستهزاء به وقيل أمره ربه أن يدعو بهذا الدعاء مع
علمه بأنه تعالى لا يجعله في القوم الظالمين هضما لنفسه وإظهارا للعبودية وقيل
لأن شؤم الكفر قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد روي
أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير

كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال • وانا على ان نريك ما نعدهم • من العذاب • لقادرون
ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم
بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه لعدم
الحكمة الداعية اليه • ادفع بالتي هي احسن السيئة • وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لا يؤدي الى
وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة
السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام • نحن اعلم بما يصفون • اي بما
يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وارشاد له الى تفويض امره اليه تعالى • وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين • اي وساوسهم المغرية
على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم
للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع والوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه • واعوذ
بك رب ان يحضرون • امر بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم
واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك
من ان يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القران كما روي عن ابن عباس رضي
وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة رحمه الله لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها • حتى اذا جاء احدهم الموت
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ودخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض
مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انه الغاية له
لفظا والمعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف
المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا مرد له وظهرت له احوال الاخرة • قال • تحسرا على ما فرط
فيه من الايمان والطاعة • رب ارجعون • اي ردني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل
في قفا نبك ونظائره • لعلي اعمل صالحا فيما تركت • اي في الايمان الذي تركته لعلي اتيت به في سلك الرجاء كسائر الاعمال
الصالحة بان يقول لعلي ومن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه
مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي اتي به عملا صالحا وقيل فيما تركت من المال او من الدنيا وعنه عليه السلام
اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما
الكافر فيقول ارجعون • كلا • ردع عن طلب الرجعة واستبعاد • انها • اي قوله رب ارجعون الخ • كلمة هو قائلها
لا محالة لتسلط الحسرة عليه • ومن ورائهم • اي امامهم والضمير للاحد والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد
في الضماير الاول باعتبار اللفظ • برزخ • حائل بينهم وبين الرجعة • الى يوم يبعثون • يوم القيمة وهو اقناط كلي
عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية • فاذا نفخ في
الصور • لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها
على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد • فلا انساب بينهم • تنفعهم لزوال
التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون
بها • يومئذ • كما هي بينهم اليوم • ولا يتساءلون • اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك • فمن ثقلت موازينه •
موزونات حسناته من العقائد والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى
• فاولئك هم المفلحون • اي الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب • ومن خفت موازينه • ومن لم
يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى ولا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل

ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف • فاولئك الذين خسروا انفسهم • ضيعوها بتضييع زمان استكمالها
وابطال استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين
في الصلتين باعتبار لفظه • في جهنم خالدون • بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك • تلفح وجوههم النار •
تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصي
المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل • وهم فيها كالحون • من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن
الاسنان وقرئ كلحون • الم تكن اياتي تتلى عليكم • على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به
استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا • فكنتم بها تكذبون • حينئذ • قالوا ربنا غلبت
علينا • اي ملكتنا • شقوتنا • التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم وقرئ شقوتنا بالفتح وشقاوتنا
ايضا بالفتح والكسر • وكنا • قبل ذلك • قوما ضالين • عن الحق ولذلك فعلنا من التكذيب في هذا كما ترى
اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة
الازلية مع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم
ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى
الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون
على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا الثبات عليها لا احداثها • قال اخسئوا فيها • اي اسكتوا ولما وعدوا
والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح في انهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا
الثبات عليهما لا احداثهما • قال اخسئوا فيها • اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب
اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته مختارا اي ازجر • ولا تكلمون • اي باستدعاء الاخراج من النار والرجع
الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الاتي وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون
به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية
قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشان وقرئ بالفتح اي لان الشان • كان فريق
من عبادي • وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين • يقولون
في الدنيا • ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين • فاتخذتموهم سخريا • اي هزؤا وقرئ بضم
الاول وكلاهما مصدر سخر زيدت فيه ياء النسب للمبالغة وعن الكسائي ان المكسور بمعنى الهزء والمضموم بمعنى التسخير
بهم • حتى انسوكم • اي الفريق باعتبار اشتغالكم بالاستهزاء بهم • ذكري • من فرط اشتغالكم باستهزائهم • وكنتم منهم تضحكون • وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى • اني
جزيتهم اليوم • الخ استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم • بما صبروا • بسبب صبرهم على اذيتكم وقرئ
انهم هم الفائزون • ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة
على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن • قال • اي الله تعالى او الملك المأمور بسؤالهم تذكيرا
لما سألوا الرجوع الى الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك
• كم لبثتم في الارض • احياء او امواتا في القبور • عدد سنين • تمييز لكم • قالوا لبثنا يوما او بعض يوم •
استقصارا لمدة لبثهم فيها • فاسأل العادين • اي المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة
العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة فانهم ايضا يقولون مثل ما نقول وقرئ العاديين
اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرون مدة لبثهم
قال • ان لبثتم الا قليلا • وقرئ قل كالسابق • تصديق لهم في ذلك • لو انكم
كنتم تعلمون • اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك
لتذكرتم ذلك • افحسبتم انما خلقناكم عبثا • ...

انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثاً حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي انما خلقناكم
للعبث • وانكم الينا لا ترجعون • عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث او انما خلقناكم لنتعبدكم
ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع • فتعالى الله • استعظام له تعالى ولشؤونه التي
تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن
مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته واحواله وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة
• الملك الحق • الذي يحق له الملك على الاطلاق ايجاداً واعداماً بدءاً واعادة احياءً واماتة عقاباً
واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته • لا اله الا هو • فان كل ما عداه عبيده • رب العرش الكريم
فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائناً ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او
الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش
المجيد • ومن يدع مع الله الها آخر • يعبده افراداً او اشراكاً • لا برهان له به • صفة لازمة لالها كقوله تعالى
يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيهاً على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة
العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه
• فانما حسابه عند ربه • فهو مجازيه على قدر ما يستحقه • انه لا يفلح الكافرون • اي ان الشأن الخ وقرئ
بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع
الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة
الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسول الله صلى الله عم بالاستغفار
والاسترحام فقيل • وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين • ايذاناً بانهما من اهم الامور الدينية
حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلعم من قرأ سورة المؤمنين
بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عم انه قال لقد انزلت علي عشر
آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان اولها وآخرها من كنوز الجنة
من عمل بثلث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها نجا وافلح صدق رسول الله وصدق حبيبه

سورة النور اربع وستون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

• سورة • خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في
الذكر في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى • انزلناها • مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير
من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما
اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان في جملة ما اوحي
الى النبي عم سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست
على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اتل
ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية • وفرضناها •
اي اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجاباً قطعياً وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرضناها
بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف • وانزلنا فيها •
اي في تضاعيف السورة • آيات بينات • اي اريد بها الآيات التي نيطت بها الاحكام المفروضة
وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على معانيها على
الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز

كمال

كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات
عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعاً لمحلها
كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا • لعلكم تذكرون •
بحذف احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية في الذال اي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية
الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها • الزانية
والزاني • شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة
منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرهاً وتقديمها على الزاني لانها الاصل في الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا
تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى • فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة • والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما
وقيل الخبر محذوف اي فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزاني اي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا
عاماً في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عم قد رجم ماعزاً وغيره فيكون من
باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب
وروي عن علي رضي الله تعالى عنه جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلعم وقيل نسخ باية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما نكالاً من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه • ولا تأخذكم بهما رأفة • وقرئ
بفتح الهمزة وبالمد ايضاً على فعالة اي رحمة ورقة • في دين الله • في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه
وقد قال رسول الله صلى الله عم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها • ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر • من باب التهييج
والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب
في مقابلة المسامحة والتعطيل • وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين • اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل
اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر • الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك • حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن
نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين
فاستأذنوا رسول الله عم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب
الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما
فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن او لتأكيد
العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير
هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعاً في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة • وحرم ذلك
اي نكاح الزواني • على المؤمنين • لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في
النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الاداني والاراذل فضلاً عن المؤمنين ولذلك
عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول
او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان • والذين يرمون المحصنات •
بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة
عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الآلة وايلام المرمي
وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجماً بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به

للاكتفاء بإيراد من عقيب الزواني ووصفهن بالإحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فإن ذلك بمنزلة التصريح
بكون رميهن بها لا محالة ولا حاجة في ذلك إلى الاستشهاد باعتبار الأربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول
الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين
يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ● ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ● يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة
ثم إشعار بجواز تأخير الإتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة إلى تحقق العجز عن الإتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع الشهود
لا بد منه عند الأداء خلافا للشافعي فإنه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج
المقذوفة خلافا له أيضا وقرئ بأربعة شهداء ● فاجلدوهم ثمانين جلدة ● لظهور كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الإتيان
بالشهداء لقوله تعالى ● فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ● وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر
ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي المحصنين أيضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي
فيهن ● ولا تقبلوا لهم شهادة ● عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن
الجلد مؤلم للبدن وقد تأذى المقذوف بلسانه فعوقب بإهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من
شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم
الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة
من أهليته السابقة بل من أهلية حدثت له بعد إسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا
يعبأون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فإن ذلك دون ما عرض من الاعتبار
تعليل في مقابلة النص لا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي أبدا
أي مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم أي فاجمعوا لهم الجلد
والرد فيبقى كأصله ● وأولئك هم الفاسقون ● كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل
وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن
والتجاوز عن الحدود والكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى
● إلا الذين تابوا ● استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لأنه عن موجب وقوله تعالى
● من بعد ذلك ● لتهويل المتوب عنه أي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل ● وأصلحوا ● أي أصلحوا
أعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف ● فإن الله غفور رحيم ●
تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم
في سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى
حينئذ الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الأبد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها ●
● والذين يرمون أزواجهم ● بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون
مخصصا للمحصنات بالأجنبيات كي يلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فإن من شرائطه أن لا يكون
المخصص متراخي النزول بل بكون ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فيبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما
بقي بعد النسخ لما بين في موضعه أن دليل النسخ غير معلل ● ولم يكن لهم شهداء ● يشهدون بما رموهن به من الزنا
وقرئ بتأنيث الفعل ● إلا أنفسهم ● بدل من شهداء أو صفة لها على أن إلا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء إيذانا
من أول الأمر بعدم إلغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن إضافة الشهادة إليهم
في قوله تعالى ● فشهادة أحدهم ● أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى ● أربع شهادات ● خبره أي
فشهادتهم المشروعة أربع شهادات ● بالله ● متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ أربع شهادات
بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه إما خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب شهادة أحدهم وإما مبتدأ محذوف

الخبر

الخبر أي فشهادة أحدهم واجبة ● إنه لمن الصادقين ● أي فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار
وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيد ● والخامسة ● أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمسا
بانضمامها إليهن وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في إفادة ما يقصد بالشهادة
من تحقيق الخبر وإظهار الصدق وهي مبتدأ خبره ● أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ● فيما رماها به من الزنا
فإذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن ● ويدرأ عنها العذاب ● أي العذاب الدنيوي وهو
الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذي هو أشد العذاب ● أن تشهد أربع شهادات بالله إنه ● أي الزوج ● لمن
الكاذبين ● فيما رماني به من الزنا ● والخامسة ● بالنصب عطفا على أربع شهادات ● أن غضب الله عليها إن كان
أي الزوج من الصادقين أي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين
ورفع اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن
النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي أن آية القذف
لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك إن وجد
رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء
بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر
وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة
عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتأبد حكمها حتى إذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها
وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما
اجتماع بعد ذلك أبدا ● ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ● التفات إلى خطاب الرامين
والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره
كأنه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها
ما شرع لكم من حكم اللعان لكان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على
الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما شرع
لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر
له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما
توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم
وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إمهاله
والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته
وأدق حكمته ● إن الذين جاؤوا بالإفك ● أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك
وأصله الأفك وهو القلب لأنه قول مأفوك عن وجهه والمراد به ما أفك به على الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي
لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد
سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قيل غزوة
بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى إذا قفلنا ودنونا من المدينة
نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي
فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه فلم يستكثروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش

الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي
غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي
ووالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق
يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري
فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك قوله تعالى • عصبة منكم • خبر ان اي
جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن
اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى • لا تحسبوه شرا لكم • استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك • بل هو خير لكم • لاكتسابكم به الثواب العظيم
وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء
على من ظن بكم خيرا • لكل امرئ منهم • اي من اولئك العصبة • ما اكتسب من الاثم • بقدر ما خاض فيه • والذي
تولى كبره • اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه • منهم • من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة
لرسول الله صلعم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول ح باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما
• له عذاب عظيم • اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا
عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر والتعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه
بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى • لولا اذ سمعتموه • تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين
بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى • ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا • لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل
بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان
مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون
انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ ادخل مع ما فيه من التوسل
الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان
كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ
ح متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض
عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي كان الواجب ان
يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا
• وقالوا • في ذلك الآن • هذا افك مبين • اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين
حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم • لولا جاؤا عليه باربعة شهداء • اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام
المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء
يشهدون على ما قالوا فاذ لم يأتوا بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير • فاولئك • اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى
البعد للايذان بغلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون • عند الله • اي في حكمه وشريعته المؤسسة على
الدلائل الظاهرة المتقنة • هم الكاذبون • الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم
دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا
لا يساعده الدليل اصلا • ولولا فضل الله عليكم • خطاب للسامعين والمسمعين جميعا • ورحمته في الدنيا • من فنون النعم
التي من جملتها الامهال للتوبة • والآخرة • من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة • لمسكم • عاجلا
• فيما افضتم فيه • بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض

واندفع

واندفع وهضب بمعنى • عذاب عظيم • يستحقر دونه التوبيخ والجلد • اذ تلقونه • بحذف احدى التاءين ظرف
لمسكم اي لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين • بالسنتكم • والتلقي والتلقف والتلقن معان
متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة و
قرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه
وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه • وتقولون
بافواهكم ما ليس لكم به علم • اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس
بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم • وتحسبونه هينا • سهلا لا تبعة له او
ليس له كثير عقوبة • وهو عند الله • والحال انه عنده عز وجل • عظيم • لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب
• ولولا اذ سمعتموه • من المخترعين او المشايعين لهم • قلتم • تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه • ما يكون لنا •
ما يمكننا • ان نتكلم بهذا • وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة
او الاستقامة والانتفاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت
السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه و
اما ترك القول نفسه رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان
المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم
واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها
فهي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا للفعل المذكور كما في قوله تعالى واذكروا اذ
جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما هاهنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم
توجيه التخصيص اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها • سبحانك •
تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر
حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفر عنه ويخل بمقصود الزواج فيكون
تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى • هذا بهتان عظيم • لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها
باعتبار متعلقاتها • يعظكم الله • اي ينصحكم • ان تعودوا لمثله • اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان تعودوا
او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه • ابدا • اي مدة حياتكم • ان كنتم مؤمنين • فان الايمان وازع
عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع • ويبين الله لكم الآيات • الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا
وتتأدبوا بها اي ينزلها كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وهذا كما في
قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقها صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم
الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن البيان • والله عليم • باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها • حكيم •
في جميع تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق
ويزكيهم ويطهرهم تطهيرا واظهار الاسم الجليل هاهنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم
والحكمة • ان الذين يحبون • اي يريدون ويقصدون • ان تشيع الفاحشة • اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح
وهي الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا والمراد بشيوعها شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما
لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة • في الذين آمنوا • متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين
لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق
المؤمنين وفي شأنهم • لهم • بسبب ما ذكر • عذاب اليم في الدنيا • من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد
ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره

والآخرة * من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل * والله يعلم * جميع الأمور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة
المذكورة * وأنتم لا تعلمون * ما يعلمه تعالى بل إنما تعلمون ما ظهر لكم من الأقوال والأفعال المحسوسة فابنوا أمركم على ما تعلمونه و
عاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور وهذا إذا
جعل العذاب العظيم في الدنيا عبارة عن حد القذف ومنتظما له كما أطبق عليه الجمهور أما إذا أبقي على إطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير
أن يقارنها القذف والإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن عذاب من يباشر
الإشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلي أعني قوله تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب العظيم لهم
وتعليلا له * ولولا فضل الله عليكم ورحمته * تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة * وأن الله
رءوف رحيم * عطف على فضل الله وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار باستتباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة
التي هي كمال وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحمة التي
هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا
محذوف لدلالة ما قبله عليه * يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان * أي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون
من الأفاعيل التي من جملتها إشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا * ومن يتبع خطوات
الشيطان * وضع الظاهران موضع ضميريهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة
في التنفير والتحذير * فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر * علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه
المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير إنه
للشيطان وقيل للشأن على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية إلى اسم الشرط وعلى أن الأصل يأمره وقيل هو عائد
إلى من أي فإن ذلك المتبع يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الإضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى
رتبة الإضلال والإفساد * ولولا فضل الله عليكم ورحمته * بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب
وشرع الحدود المكفرة لها * ما زكى * أي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى
منكم * بيانية وفي قوله تعالى * من أحد * زائدة وأحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على
المفعولية على القراءة الثانية * أبدا * لا إلى نهاية * ولكن الله يزكي * يطهر * من يشاء * من عباده بإفاضة
آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم * والله سميع * مبالغ في سمع الأقوال التي من جملتها ما أظهروه
من التوبة * عليم * بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الإخلاص في التوبة وإظهار الاسم الجليل للإيذان
باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي * ولا يأتل * أي لا يحلف افتعال من
الألية وقيل لا يقصر من الألو والأول هو الأظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد
وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل * أولو الفضل منكم
في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه * والسعة * في المال * أن يؤتوا * أي على أن لا
يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات * أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله * صفات لموصوف واحد
جيء بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الإيتاء وقيل لموصوفات أقيمت هي مقامها وحذف
المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوهم شيئا * وليعفوا * ما فرط منهم * وليصفحوا * بالإغضاء عنه وقد
قرئ الأمران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى * ألا تحبون أن يغفر الله لكم * أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى
من أساء إليكم * والله غفور رحيم * مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد
الداعية إليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي
أنه صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها
أبدا * إن الذين يرمون المحصنات * أي العفائف مما رمين به من الفاحشة * الغافلات * عنها على الإطلاق

بحث

بحث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات
أي السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء * المؤمنات * أي المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن يؤمن به
من الواجبات والمحظورات وغيرها إيمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الإيمان فإنه
للإيذان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لإطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر
على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين
لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين
ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار
استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات المترتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار
والمنافقين ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد إياهن على أحد الوجهين فإنهن قد
خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا إبرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة من أن يحوم حولها
أحد بسوء حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما جعله أغلظ من سائر أفراد الكفر حيث سئل عن هذه الآية فقال من أذنب
ذنبا ثم تاب قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه إلا تهويل لأمر الإفك
والتنبيه على أنه كفر غليظ * لعنوا * بما قالوا في حقهن * في الدنيا والآخرة * حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة
أبدا * ولهم * مع ما ذكر من اللعن الأبدي * عذاب عظيم * هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى
يوم تشهد عليهم * الخ إما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم
الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور
المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وإن أخص بالوصف لإخلاله بجزالة المعنى وإما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم
بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للإيذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع من الطامة التامة
والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم * ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يكون من الأحوال والأهوال
ما لا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة
فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها
لا أن كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن
أحدها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالإجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم
المعهودة وحمل شهادة الجوارح على إخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لأمر الوازع والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه
من التشويق إلى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق * أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم
القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق أن يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتب حكم الشهادة
عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الإجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب
على أنه مفعول لفعل مضمر أي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل * ويعلمون * عند معاينتهم الأهوال و
الخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم * أن الله هو الحق * الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة في ذاته وصفاته
وأفعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها * المبين * المظهر للأشياء
كما هي في أنفسها أو الظاهرة هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه
على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذي الحق البين أي العادل الظاهر عدله كذلك
ولو تتبعت ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك
القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك إلا لإظهار منزلة النبي صلى الله عليه وسلم في علو الشأن والنباهة

وابرازه الصديقة رضي الله تعالى عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى • الخبيثات • الخ كلام مستانف مؤسس على قاعدة
السنة الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء • للخبيثين • من الرجال
اي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص • والخبيثون • ايضا • للخبيثات
لان المجانسة من دواعي الانضمام • والطيبات • منهن • للطيبين • منهم • والطيبون • ايضا • للطيبات
منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلعم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين
تبين كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى
• اولئك مبرؤن مما يقولون • على ان الاشارة الى اهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلعم
والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون
بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة
ولائقة بهم لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين
من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في
حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون
من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء
بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات
مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر من غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها
والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر من غيرهم والطيبون من الفريقين مختصة بطيبات الكلام لا يصدر
عنهم غيرها اولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين سبحانك
هذا بهتان عظيم • لهم مغفرة • عظيمة لما يخلو عنه البشر من الذنب • ورزق كريم • هو الجنة • يا ايها الذين امنوا
• لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم • اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي
الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة
الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان
عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء • حتى تستانسوا • اي تستاذنوا من يملك الاذن من
اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء اذا ابصره فان المستاذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او
من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما ان المستاذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استانس • وتسلموا على اهلها
عند الاستيذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أادخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا رجع •
• ذلكم • اي الاستيذان مع التسليم • خير لكم • من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل
بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أ
استاذن على امي قال نعم قال انه ليس لها خادم غيري أاستاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
فاستاذن • لعلكم تذكرون • متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه • فان لم
تجدوا فيها احدا • ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان من لا
النص الكريم عبارة عن النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور
مطلقا واما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند
انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى • فلا تدخلوها • واصبروا • حتى يؤذن لكم • اي من جهة من
يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى ياتي من ياذن لكم او حتى تجدوا من ياذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال
ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك

قوله

قوله تعالى • وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا • اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الآمر ممن يملك الاذن او لا
او لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى ان ياتي الآذن كما في الثاني
فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح • هو • اي الرجوع • ازكى لكم • اي اطهر
مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة • والله بما تعملون عليم • فيعلم ما تاتون
وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه • ليس عليكم جناح ان تدخلوا • اي بغير استيذان • بيوتا غير مسكونة • اي غير موضوعة
لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات
ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى • فيها متاع لكم • فانه صفة للبيوت او استيناف جار مجرى التعليل
لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما
يليق بحال البيوت وداخليها فلا باس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام
الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم روي ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان الله تعالى قد انزل
عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هي الخرابات يتبرز
فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المراد فقط وقوله تعالى • والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات • قل للمؤمنين • شروع في بيان احكام كلية شاملة
للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستاذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلعم
وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رايه عم لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها
والمتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا
• يغضوا من ابصارهم • عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل • ويحفظوا فروجهم • الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد
الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر • ذلك • اي ما ذكر
من الغض والحفظ • ازكى لهم • اي اطهر لهم من دنس الريبة • ان الله خبير بما يصنعون • لا يخفى عليه شيء مما يصدر
عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه
في كل ما ياتون وما يذرون • وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن • فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه • ويحفظن
فروجهن • بالتستر والتصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد • ولا يبدين زينتهن • كالحلي
وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ما لا يخفى • الا ما ظهر منها • عند مزاولة الامور التي لا بد منها
عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن
الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة • وليضربن بخمرهن على جيوبهن • ارشاد الى كيفية
اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن ابدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن
من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما
تقدم • ولا يبدين زينتهن • كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعد ما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار
المنظور • الا لبعولتهن • فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود • او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن • او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن • لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما
في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط
ان يتسترن عنهم حذرا من ان يصفوهن لابنائهم • او نسائهن • المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر
لا يتحرجن عن وصفهن للرجال • او ما ملكت ايمانهن • اي من الاماء فان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما روي
انه عليه السلام اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها
فقال عليه السلام انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك • او التابعين غير اولي الاربة من الرجال • اي اولي الحاجة

الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية • او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء • لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف • ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين • اي ليعلم ما يخفينه من الرؤية • من زينتهن • اي لا يضربن بارجلهن الارض لتتقعقع خلاخيلهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت الحلي بعد النهي عن ابداء عينها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى • وتوبوا الى الله جميعا • تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلعم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما في قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله • ايها المؤمنون • تأكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون • لعلكم تفلحون • تفوزون بذلك بسعادة الدارين • وانكحوا الايامى منكم • بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال بكرا كان او ثيبا كما ينصح عنه قول من قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر • والصالحين من عبادكم وامائكم • على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه • ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله • ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء • والله واسع • غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك • عليم • يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة • وليستعفف • ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة • الذين لا يجدون نكاحا • اي اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال • حتى يغنيهم الله من فضله • عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء • والذين يبتغون الكتاب • بعدما امر بانكاح صالحي المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة • مما ملكت ايمانكم • عبدا كان او امة وهي ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول لا ريب في ان ذلك لا يعقد حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه وحصوله في نفسه الا منوطا بتحقق الآخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وحصوله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري لم يكن بد من تضمين احدهما الآخر وقت الانشاء فكما ان قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي

كذلك

كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة اي ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره • فكاتبوهم • والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه • ان علمتم فيهم خيرا • اي امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان • وآتوهم من مال الله الذي آتاكم • امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله عم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه مقداره ضمنا وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية • ولا تكرهوا فتياتكم • اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبني قوله عم ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولسعة العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقعها مع قوله تعالى • على البغاء • وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى • ان اردن تحصنا • ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب [illegible] • لتبتغوا عرض الحياة الدنيا • [illegible] • ومن يكرههن • [illegible] • فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم • [illegible]

محرومين منها بالكلية كأنه قيل لا تكره ولظهور التقرير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معها اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهي في مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ۞ ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ۞ كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي تعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان اسناد التبيين اليها مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول اي التي بينت واوضحت في هذه السورة من معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول ۞ ومثلا من الذين خلوا من قبلكم ۞ عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات ۞ وموعظة ۞ تتعظون وتنزجرون به عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونهما من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما بين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وقوله تعالى ۞ للمتقين ۞ مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاغتنام بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى ۞ الله نور السموات والارض ۞ الى آخره استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه اما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق به من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه وعلى شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث وعلى تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضي الله عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام ۞ مثل نوره ۞ اي نوره الفائض منه تعالى على الاشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالانزال والتبيين ومن حكم بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وزيد بن اسلم رحمهم الله وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اي صفة نوره العجيبة

كمشكاة

كمشكاة ۞ اي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير ۞ فيها مصباح ۞ سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ۞ المصباح في زجاجة ۞ اي قنديل من الزجاج الصافي الازهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين ۞ الزجاجة كأنها كوكب دري ۞ متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دريء [illegible] من الدرء وهو الدفع اي يدفع الظلام بضوئه او يدفع بعض اجزاء ضوئه بعضا من لمعانه [illegible] وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال [illegible] ۞ يوقد من شجرة ۞ اي يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة ۞ مباركة ۞ اي كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين ۞ زيتونة ۞ بدل من شجرة [illegible] ۞ لا شرقية ولا غربية ۞ تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار [illegible] لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اي يصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقنأة ولا خير فيهما في مضحى ۞ يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ۞ اي هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب والمنفي اي يعطي او لا يعطي كائنا على جميع الاحوال والتقدير في الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه اي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة ۞ نور ۞ خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ۞ على نور ۞ متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه

المراتب مجاز يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءته مرتبة اخرى عادة بهذا جعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
يهدي الله لنوره • اي يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في مقام الاضمار
لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل • من يشاء • هدايته من عباده بان يوفقهم
لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية
وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب • ويضرب الله الامثال للناس • في تضاعيف
الهداية حسبما تقتضي حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعاني بصورة المانوس
ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال المسند اليه تعالى من الهداية
الخاصة وضرب الامثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة • والله بكل شيء عليم
معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها وتخصها من الناس دون من عداهم لمخالفة الحكمة
التي عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا • في بيوت
اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه • لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب
والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونها في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة و
اشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك
بذكر الفريقين في تصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضي
وقيل هي المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابرهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان
عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذان بناهما رسول الله صلعم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة
لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري واياما كان ففي التعبير عنه
بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستأذن في ذلك فيقع
الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى • يسبح له • وقوله تعالى • فيها •
تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح
والتقديس يستعمل باللام وبدونها ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله
تعالى • بالغدو والآصال • اي بالغدوات والعشايا على ان الغدو اما جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به
اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو العشي وهو شامل للاوقات ما عدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع
في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لعنايتهما لمقام كلمة لكونهما
العمدة فيها لكونهما مشهودين وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل وقوله تعالى
• رجال • فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام
وقرئ يسبح على البناء للمفعول باسناده الى الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه الكلام على طريقة قوله ليبك يزيد
ضارع لخصومة [illegible] كانه قيل من يسبح له فقيل رجال [illegible]
[illegible]
• لا تلهيهم تجارة • صفة لرجال مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة [illegible]
[illegible]
• ولا بيع • [illegible]

لا للنفي تأكيد وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب
فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه • عن ذكر الله • بالتسبيح والتحميد • واقام الصلوة • اي اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد
اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي
عدة الامر • وايتاء الزكوة • اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة
لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى • يخافون
الى آخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى
• يوما • مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى • تتقلب فيه القلوب والابصار • صفة ليوما اي تضطرب وتتغير في انفسها
من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان
كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم • ليجزيهم الله • متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من المداومة على
التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى • احسن ما عملوا • اي احسن جزاء اعمالهم حسبما
وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف • ويزيدهم من فضله • اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم
بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وقوله عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد
الكريمة التي من جملتها قوله تعالى • والله يرزق من يشاء بغير حساب • فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية
اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك
الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على
ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر الاسباب
وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع
ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي
هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الى آخره من تتمة التمثيل
وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن
التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء
عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتهين
بالتمثيل المهتدين بنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد
به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز • والذين كفروا • عطف على ما ينساق اليه ما قبله كأنه قيل الذين آمنوا اعمالهم
حالا وما لا كما وصف والذين كفروا • اعمالهم • اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية
الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين
كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية • كسراب • وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب
اي يجري • بقيعة • متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع
جار وقرئ بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف
• يحسبه الظمآن ماء • صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان
والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الذي هو المطمع المطلع والمقطع المؤيس • حتى اذا جاءه • اي اذا جاء
ما حسبه ماء وقيل موضعه • لم يجده • اي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه • شيئا • اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه
من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل • ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب •

كلمة

بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر انه
يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان
الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة
كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الآخرة فلم يجدوها شيئا ووجدوا الله
اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان
وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير من الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما
للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان تعبد في الجاهلية ولبس المسوح و
التمس الدين فلما جاء الاسلام كفر • او كظلمات • عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها
اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خير
يغتر بها المغترون بظلمات كائنة • في بحر لجي • اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه
يغشاه • صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية • موج • وقوله تعالى • من فوقه موج • جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انها
صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور اي يغشاه
امواج متراكمة بعضها على بعض وقوله تعالى • من فوقه سحاب • صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اي من فوق ذلك
الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب • ظلمات • خبر مبتدأ محذوف
اي هي ظلمات • بعضها فوق بعض • اي متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة
النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها
• اذا اخرج • اي من ابتلي بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة • يده • وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها
• لم يكد يراها • وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها • ومن لم يجعل الله له نورا • الخ اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل
من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم
وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذي هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما
ولم يوفقه للايمان به • فما له من نور • اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى • الم تر • الخ استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عليه السلام اعلى مراتب النور واجلاها وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي
قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح • ان الله يسبح • اي ينزهه تعالى
على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص او خلل • من في السموات والارض • اي ما فيهما اما
بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق
بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه
واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان
عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان
مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل
التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى
كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي
يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا
يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية • والطير • بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم
استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها

ولطف

ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى • صافات • اي تنزهه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه
تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها
بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ
المعيد وقوله تعالى • كل قد علم صلاته وتسبيحه • بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل
حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان
لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه
ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه من الوجود
وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو يستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته
ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية
بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها
عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير وافرادها و
بالصلاة والتسبيح ما الهمه الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا
برافعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر
اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما قرئ في قوله تعالى وكثير من الناس اي وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات
اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه
ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما
دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء عن الادراك قالوا انه
يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حكي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان
ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره
قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله
تعالى • والله عليم بما يفعلون • اي يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة
لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل المسند الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير
معا او عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح الكل
هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلاته وتسبيحه للكل اي قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه
فالاعتراض ح مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له
وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا اوليا • ولله ملك السموات والارض • لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات
والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى • والى الله • اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره • المصير •
اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملكوت به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدا واظهار الاسم الجليل
في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم • الم تر ان الله يزجي سحابا • الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق
شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به • ثم يؤلف بينه •
اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة • ثم يجعله ركاما • اي متراكما بعضه فوق بعض • فترى الودق •
اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى • يخرج من خلاله • اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل
المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير
الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله • وينزل من السماء • من الغمام فان
كل ما علاك سماء • من جبال • اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة • فيها • وقوله تعالى • من برد • مفعول ينزل

على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال
فيها من برد وقيل المفعول محذوف ومن بيانية للجبال اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا والاول اظهر
لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن بيانية للجبال اى ينزل من السماء
بعض جبال كائنة فيها من برد اى شبيهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع
المشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان
لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا
فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح • فيصيب به
اى بما ينزل من البرد • من يشاء • ان يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله • ويصرفه عمن يشاء • ان يصرفه عنه فينجو من غائلته
يكاد سنا برقه • اى ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتاليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار
بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه
جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة الباء • يذهب بالابصار • اى يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها
وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال
القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء • يقلب الله الليل والنهار • بالمعاقبة
بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب
وما ترتب عليه • ان في ذلك • اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد
منزلته • لعبرة • اى لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته
وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي • لاولي الابصار • لكل من له بصر • والله خلق كل دابة • اى كل حيوان يدب على الارض وقرئ
خالق كل دابة بالاضافة • من ماء • هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوان ما يتولد
لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق • فمنهم من يمشي على بطنه • كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق
الاستعارة او المشاكلة • ومنهم من يمشي على رجلين • كالانس والطير • ومنهم من يمشي على اربع • كالنعم والوحش وعدم التعرض
لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب وكثير من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من
ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة • يخلق الله ما يشاء • مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا
على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية • ان الله على كل شيء قدير • فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر
مع استقلال الاستئناف التعليلي • لقد انزلنا آيات مبينات • اى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية
والله يهدي من يشاء • اى يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في معانيها • الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة • ويقولون آمنا بالله وبالرسول • شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط
المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه
الى كعب بن الاشرف ودعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض وماء فابى ان يحاكم
الى الرسول صلى الله عليه وسلم واياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم • واطعنا • اى اطعناهما في الامر والنهي • ثم يتولى • عن قبول حكمه • فريق منهم من بعد ذلك
اى بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه
امرا معتدا به واجب المراعاة • وما اولئك • اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان
عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار

بعد

بعد منزلتهم في الكفر والفساد اى وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل
بالمؤمنين • اى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اى ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات
عليه • واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم • اى الرسول • بينهم • لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى
حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى • اذا فريق منهم معرضون • اى فاجا فريق منهم الاعراض
عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه • وان يكن لهم الحق
لا عليهم • ياتوا اليه مذعنين • منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء يعديان بالى
او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص • افي قلوبهم مرض
انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد
المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وام من الامور الثلاثة بل هو منشئيتها له كانه قيل اذلك اى اعراضهم
المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم • ام • لانهم • ارتابوا • في امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها • ام
لانهم • يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله • ثم اضرب عن الكل وابطلت منشئيته وحكم بان المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل
بل اولئك هم الظالمون • اى ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما
اتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف اصلا لمعرفتهم
بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون
المحاكمة اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف منشئيتهما للاعراض
فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد قيل الارتياب بحاله منشأ صحيح لعروضه لهم في الجملة والمعنى
ام ارتابوا بان راوا منه عليه السلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به ومدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشئيته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل
ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظم الجليل • انما كان قول المؤمنين • بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها
وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل
للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان
مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة
بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو احق بالخبرية واما
ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة
وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين • اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم • اى الرسول عليه السلام
بينهم • اى وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم • ان يقولوا سمعنا واطعنا • اى خصوصية هذا القول المحكي عنهم
لا قولا آخر اصلا واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم ففيه
جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها
من معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا اى ليفعل
الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم • واولئك • اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور
عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل •
هم المفلحون • اى هم الفائزون بكل مطلب والناجون عن كل محذور • ومن يطع الله ورسوله • استئناف جيء به لتقرير
مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اى ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام
الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام • ويخش الله ويتقه • باسكان القاف المبني على
تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اى ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل • فاولئك
الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء • هم الفائزون • بالنعيم المقيم لا من عداهم • واقسموا بالله •

حكاية لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى • جهد ايمانهم • نصب على انه مصدر بمعنى جهد اليمين مؤكد لفعله الذي هو في
حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم
جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اي
اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين • لئن امرتهم • اي بالخروج الى الغزو لا من ديارهم واموالهم
كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد
جاهدنا وقوله تعالى • ليخرجن • جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر
بردها حيث قيل • قل • اي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها • لا تقسموا • اي على ما
ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى • طاعة معروفة • خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم
طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ
بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم
طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او لتكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة هذا وحملها مما لا يساعده المقام • ان الله
خبير بما تعملون • من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم
من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار
امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم • قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول • كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله
تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المامور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما
بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى • فان تولوا • خطاب للمامورين بالطاعة من جهته تعالى
وارد لتاكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه
المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى [illegible]
كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بواسطته عليه السلام وتصديه لبيان
الامتثال بالامر والتولي اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول المامور بحكايته
[illegible]
مسارعة [illegible] في التبليغ [illegible] • فانما عليه •
• ما حمل • اي ما امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول • وعليكم ما حملتم • [illegible]
ولعل التعبير عنه بالحمل للاشعار بثقله [illegible]
[illegible] • وان تطيعوه • [illegible] • تهتدوا • [illegible]
المقصد الاقصى الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر [illegible]
[illegible] • وما على الرسول الا البلاغ المبين • [illegible]
[illegible]
[illegible]
ما عليهم وقوله تعالى • وعد الله الذين آمنوا منكم • استئناف [illegible]
[illegible]
المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء [illegible]
[illegible]
[illegible] • وعملوا الصالحات • عطف على آمنوا [illegible]

ويتم تفسير الطاعة التي امر بها وترتب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار
اصالة الايمان وعراقته في استتباع الاثار والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تاخيره عنهما في قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه الصلوة والسلام
من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان وبين الاعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم
الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة عموما على ان من تبعيضية اوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا
على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل البعد عما يليق بشأنه عليه السلام من مراحل • ليستخلفنهم في الارض •
جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف
الملوك في مماليكهم او خلفاء من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة • كما استخلف الذين من قبلهم •
هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون وجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التي اخبر
الله عنهم في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله
تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تاكيده
بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس
العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم
مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال وعض
دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي فلم يبق الا مسحت الخ • وليمكنن لهم دينهم • عطف على ليستخلفنهم
منتظم معه في سلك الجواب وتاخيره عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير
المواعيد بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون
وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى
انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه
وسلامته عن التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف
في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله
عند وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى • الذي ارتضى لهم • وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم
ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه
• وليبدلنهم • بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال • من بعد خوفهم • اي من الاعداء • امنا • حيث كان
اصحاب النبي عليه السلام قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك
حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال النبي عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه
حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا
الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف
من العذاب والامن منه في الآخرة • يعبدونني • حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد • لا يشركون بي شيئا • حال من الواو اي يعبدونني
غير مشركين بي في العبادة شيئا • ومن كفر • اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب
فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة
والاول هو الانسب بالمقام • بعد ذلك • اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام
بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها • فاولئك • البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال • هم الفاسقون

الكاملون في الفسق والخروج عن حدوده والكفر والطغيان • وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة • عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فإن تولوا الخ وترغيبه تعالى إياهم في الطاعة بقوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى إياهم على الإيمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف في ما تبلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الأمر بالإيمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحاً وأقيموا أو فلا تكفروا وأقيموا وعطفه على أطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم • وأطيعوا الرسول • أمرهم الله سبحانه بالأدب مما أمرهم به بواسطة الرسول عليه السلام من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيداً للأمر السابق وتقريراً لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الأحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية أيضاً أي أطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه وتكميلاً لما قبله من الأمرين الخاصين المتعلقين بالصلوة والزكوة على أن المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع أي أطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى • لعلكم ترحمون • متعلق على الأول بالأمر الأخير المشتمل على جميع الأوامر وعلى الثاني بالأوامر الثلاثة أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء والطاعة راجين أن ترحموا • لا تحسبن الذين كفروا • لما بين حال من أطاعه وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلاً لأمر الترغيب والترهيب والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان وإما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للإيذان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى • معجزين • ثانيهما وقوله تعالى • في الأرض • ظرف لمعجزين لكن لا لإفادة كون الإعجاز المنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك مما لا يحتاج إلى البيان بل لإفادة شمول عدم الإعجاز لجميع أجزائها أي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن إدراكهم وإهلاكهم في قطر من الأقطار بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أي لا يحسبن أحد الكافرين معجزين له سبحانه في الأرض أو هو الموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لا يحسبن الكافرون أنفسهم معجزين في الأرض وأما جعل معجزين مفعولاً أول وفي الأرض مفعولاً ثانياً فمعزول من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الأرض وقد مر في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله تعالى • ومأواهم النار • معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية أي المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلاً للنهي كأنه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون وتقدير • ولبئس المصير • جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أي وبالله لبئس المصير هي أي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيراً لهم إثر نفي فوتهم بالهرب في الأرض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل • يا أيها الذين آمنوا • رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب إما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعاً بطريق التغليب وروي أن غلاماً لأسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاماً وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى رسول الله صلعم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية • ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم • من العبيد والجواري • والذين لم يبلغوا الحلم • أي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله • منكم • أي من الأحرار • ثلث مرات • أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للإيذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها • من قبل صلوة الفجر • لظهور أنه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي أحدها من قبل الخ • وحين تضعون ثيابكم • أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وقوله تعالى • من الظهيرة • وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها إيراد الحين مضافاً إلى فعل حادث متقض ووقوعها في النهار الذي هو مظنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الأحوال وبروز الأمور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا

يحتاج

يحتاج إلى التصريح به • ومن بعد صلوة العشاء • ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي بل ما يعرض منهما الطرف من ذلك الوقت الممتد المتصل بالصلوتين المذكورتين اتصالاً عادياً وقوله تعالى • ثلث عورات • خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى • لكم • متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات أي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أي هن ثلاثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الأصل هو الخلل غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلث عورات بالنصب بدلاً من ثلث مرات • ليس عليكم ولا عليهم • أي على المماليك والصبيان • جناح • أي إثم في الدخول بغير استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والاطلاع على العورات • بعدهن • أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وإيرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من العورات كما أنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه إذ الرخصة إنما تتصور في فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الأولى كونها في محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلث عورات وأما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير إذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلث عورات لا إثم في ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الإثم حينئذ معلوماً من صدر الكلام لم يعلمه السامع إلا بهذا الكلام لم يحسن إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فإن انتفاء الإثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى • طوافون عليكم • استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات • بعضكم على بعض • أي بعضكم طائف على بعض طوافاً كثيراً أو بعضكم يطوف على بعض • كذلك • إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من تفخيم شأن المشار إليه والإيذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار إليه حساً أي مثل ذلك التبيين • يبين الله لكم الآيات • الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالة عليها لا أنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل يبين علل الأحكام وليس بواضح مع أنه مؤد إلى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا • والله عليم • مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم • حكيم • في جميع أفاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم معاشاً ومعاداً • وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم • لما بين فيما مر آنفاً حكم الأطفال في أنه لا جناح في ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعاً لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أي إذا بلغ الأطفال الأحرار الأجانب • فليستأذنوا • إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى • كما استأذن الذين من قبلهم • في حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لأن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولا ريب في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وإن كان الأمر كذلك في الواقع وإنما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أي فليستأذنوا استئذاناً كائناً مثل استئذان المذكورين قبلكم بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف • كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم • الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها • والقواعد من النساء • أي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل • اللاتي لا يرجون نكاحاً • أي لا يطمعن فيه لكبرهن • فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن • أي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو للوصف بها • غير متبرجات بزينة • غير مظهرات لزينة مما أمر بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله إلا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال • وأن يستعففن • بترك

الوضع • خير لهن • من الوضع لبعده من التهمة • والله سميع • مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من
المقاولة • عليم • فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى • ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج • كانت
هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذرا من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الأعمى ربما سبقت
يده الى ما سبقت اليه عين أكيله وهو لا يشعر به والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة
تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض
من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون كذلك
وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتحها
واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الأكل في بيوت غيرهم
فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة • ولا على انفسكم • اي عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج • ان تأكلوا
اي تأكلوا انتم ومن معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما • من
بيوتكم • اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لأبيك
وقوله عليه السلام ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه • او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم • وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر
الأولى وفتح الثانية • او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
او ما ملكتم مفاتحه • من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك و
المفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه • او صديقكم • اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم قرابة نسبية فانهم
ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الأقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالآباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما
وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى
ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا • كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين
كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من
يؤاكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها
حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج
ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون طعاما عزلوا للأعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى
اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان يأكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للأعمى واشباهه طعاما على
حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على
صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق وعلى انه في الأصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين • فاذا
دخلتم • شروع في بيان الآداب التي تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه • بيوتا • اي من البيوت المذكورة
فسلموا على انفسكم • اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك • تحية من عند
الله • اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية ويجوز
لانها بمعنى التسليم • مباركة • مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما • طيبة • تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه
انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار
الأوابين • كذلك يبين الله لكم الآيات • تكرير لتأكيد الأحكام المختتمة به وتفخيمها • لعلكم تعقلون • اي ما في تضاعيفها
من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد
تذييل الأولين بما يوجبها من الجزالة ما لا يخفى • انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله • استئناف جيء به في اواخر الأحكام السابقة
تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا

للمبتدأ

المبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للايمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى
واذا كانوا معه على امر جامع • الخ معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن
صميم قلوبهم واطاعوهما في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة
بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عليه السلام على امر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية الى اجتماع
اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع • لم يذهبوا • اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا
محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه • حتى يستأذنوه • عليه السلام في الذهاب لا على ان نفس الاستئذان غاية
لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برأيه عليه السلام والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن
ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما
في الذهاب بغير اذنه عليه السلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى • ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله
ورسوله • فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما
وبين الاستئذان وفي ذلك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى • فاذا استأذنوك • بيان لما هو وظيفته عليه السلام في هذا الباب
اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستئذان ليس بمحتوم بل هو مفوض الى رأيه عليه السلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك • لبعض شأنهم • اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم
فأذن لمن شئت منهم • لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة • واستغفر لهم الله • فان الاستئذان وان كان لعذر قوي لا يخلو
عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة • ان الله غفور • مبالغ في مغفرة فرطات العباد • رحيم • مبالغ في افاضة آثار الرحمة
عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم • لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم • استئناف مقرر لمضمون ما قبله
والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عليه السلام اياكم في الاعتقاد والعمل بها • كدعاء بعضكم بعضا • اي لا تقيسوا
دعاءه عليه السلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه السلام بغير استئذان
فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه السلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله
[illegible]
[illegible] • قد يعلم الله الذين يتسللون منكم • [illegible]
[illegible] • لواذا • [illegible]
[illegible] • فليحذر الذين يخالفون عن امره • [illegible]
[illegible] • ان تصيبهم فتنة • [illegible]
اي محنة في الدنيا • او يصيبهم عذاب اليم • [illegible]
[illegible] • الا ان لله ما في السموات والارض • من الموجودات باسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما وابداء واعادة
قد يعلم ما انتم عليه • ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق • ويوم
يرجعون اليه • عطف على ما انتم عليه [illegible]

رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وإشعار بأن علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعاً ويجوز أن يكون الخطاب أيضاً خاصاً بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنياً للفاعل ۞ فينبئهم بما عملوا ۞ من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية ۞ والله بكل شيء عليم ۞ لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ تبارك الذي نزل الفرقان ۞ البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة يجوز أن تكون لإفادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئاً فشيئاً وآناً فآناً بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والإشعار بالتعجب المكنى للإنشاء والإنباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل بأحكامه أو بين المحق والمبطل بإعجازه أو لكونه مفصولاً بعضه من بعض في نفسه أو في إنزاله حسبما ۞ على عبده ۞ محمد صلى الله عليه وسلم وإيراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والإيذان بكونه عليه السلام في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ۞ ليكون ۞ غاية للتنزيل أي نزله عليه ليكون هو عليه السلام أو الفرقان ۞ للعالمين ۞ من الثقلين ۞ نذيراً ۞ أي منذراً أو إنذاراً مبالغة أو ليكون تنزيله إنذاراً وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وإيراد تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع إنكار الكفرة له لإجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيهاً على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لا ريب فيه ۞ الذي له ملك السموات والأرض ۞ أي له خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتة وأمراً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما ليس بأجنبي لأنه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو مدح له تعالى بالرفع أو النصب ۞ ولم يتخذ ولداً ۞ كما زعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون سبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للإيذان بأن مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ۞ ولم يكن له شريك في الملك ۞ أي ملك السموات والأرض وهو أيضاً عطف على الصلة وإفراده بالذكر مع أن ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعاً للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله والاحتراز عن كونه تتمة للأول ۞ وخلق كل شيء ۞ أي أحدث كل موجود من الموجودات إحداثاً جارياً على سنن التقدير حسبما اقتضته إرادته المبنية على الحكم البالغة بأن خلق كلاً منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والأحكام ۞ فقدره ۞ أي هيأه لما أراد به من الخصائص والأفعال اللائقة به ۞ تقديراً ۞ بديعاً لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الإنسان للفهم والإدراك والنظر والتدبر في أمور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الأنواع وقيل أريد بالخلق مطلق الإيجاد والإحداث مجازاً من غير ملاحظة معنى التقدير وإن لم يخل عنه في نفس الأمر فالمعنى أوجد كل شيء فقدره في ذلك الإيجاد تقديراً وأما ما قيل من أنه سمي إحداثه تعالى خلقاً لأنه تعالى لا يحدث شيئاً إلا على وجه التقدير من غير

تفاوت

تفاوت فيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الإحداث لتجريده عن معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعاً وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء إلى الأجل المسمى وأياً ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة في سلك الصلة فإن خلقه تعالى لجميع الأشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الألوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائناً ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعاً وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولداً له سبحانه أو شريكاً في ملكه ۞ واتخذوا من دونه آلهة ۞ بعدما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى للفرقان العظيم على رسوله عليه السلام ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب وإظهار بطلانها والإضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم أي اتخذوا لأنفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والأرض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الأشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة ۞ لا يخلقون شيئاً ۞ أي لا يقدرون على خلق شيء من الأشياء أصلاً ۞ وهم يخلقون ۞ كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون حيث يخلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير ۞ ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ۞ لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فإن بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه إليهم فكيف يملكون شيئاً منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لأن دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع وأقدمها وقيس على قوله تعالى ۞ ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ۞ أي لا يقدرون على التصرف في شيء منها بإماتة الأحياء وإحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الأمور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على جميع ذلك وفيه إيذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الأمور المذكورة مفتقرون إلى التصريح بذلك ۞ وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك ۞ شروع في حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معاً وإبطالها والموصول إما عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامّهم وروي عن الكلبي ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمتابعة الباقين له في ذلك وإما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإيذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار إليه أي ما هذا إلا كذب مصروف عن وجهه ۞ افتراه ۞ يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ وأعانه عليه ۞ أي على افترائه واختلاقه ۞ قوم آخرون ۞ يعنون اليهود بأن يلقوا إليه أخبار الأمم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هم عداس ويسار وأبو فكيهة الرومي وقد مر تفصيله في سورة النحل ۞ فقد جاؤوا ظلماً ۞ منصوب بجاؤوا فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أي بظلم والتنوين للتفخيم أي جاؤوا بما قالوا ظلماً هائلاً عظيماً لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إفكاً مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرازه الفائق بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على مباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة للسعادات الدينية والأمور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ۞ وزوراً ۞ أي كذباً كبيراً لا يبلغ غايته حيث قالوا في حقه عليه السلام ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة بل على أن الثاني عين الأول حقيقة وإنما الترتب بحسب التغاير الاعتباري ۞ وقالوا أساطير الأولين ۞ بعدما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه إفكاً مختلقاً بإعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الإعانة أي هي أحاديث المتقدمين وما سطروه جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة ۞ اكتتبها ۞ أي كتبها لنفسه والإسناد المجازي وقرئ على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه ۞ فهي تملى عليه ۞ أي تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه لكونه أمياً لا يقدر على

على ان تتلقفها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها ورجع الضمير المجرور اليه ثم كما سا الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه • بكرة وأصيلا • اى دائما او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم نظر الى هذه من الجرأة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون • قل • لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق • انزله الذي يعلم السر في السموات والارض • وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطوائه بما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى • انه كان غفورا رحيما • تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها • وقالوا مال هذا الرسول • شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه وتسميته اياه رسولا بطريق الاستهزاء به كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقوله تعالى • يأكل الطعام • حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل • ويمشي في الاسواق • لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه في عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد • لولا انزل اليه ملك • اي على صورته وهيئته • فيكون معه نذيرا • تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى • او يلقى اليه كنز • تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى • او تكون له جنة يأكل منها • تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم • وقال الظالمون • هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلعم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين • ان تتبعون • اي ما تتبعون • الا رجلا مسحورا • قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم • انظر كيف ضربوا لك الامثال • استعظام للاباطيل التي اجترءوا على التفوه بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع • فضلوا • اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين • فلا يستطيعون سبيلا • الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال امثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة • تبارك الذي • اي تكاثر وتزايد خير الذي • ان شاء جعل لك • في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك • من ذلك • الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى • جنات تجري من تحتها الانهار • بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار • ويجعل لك قصورا • عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على لفظه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان

عدم

عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة التشريعية بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما • بل كذبوا بالساعة • اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى • واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا • اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على ما قالوا اما لهذا الخ على معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى • اذا رأتهم • الخ صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله صلعم لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى • من مكان بعيد • اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائتي سنة • سمعوا لها تغيظا وزفيرا • اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف • واذا القوا منها مكانا • نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل صفة له • ضيقا • صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلعم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء • مقرنين • حال من مفعول القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد • دعوا هنالك • اي في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة • ثبورا • اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك واوانك • لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا • على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوا حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد • وادعوا ثبورا كثيرا • اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرر الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام

كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب
من العذاب الشديد وتقييد النهي الامر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة ● قل ● تقريعا لهم وتهكما
بهم وتحسيرا على ما فاتهم ● اذلك ● اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشانها ما ذكر
وشان اهلها ما ذكر ● خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ● اي وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز
عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط ● كانت ● تلك الجنة ● لهم ● في علم
الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه ● جزاء ● على اعمالهم بحكم الوعد الكريم ● ومصيرا
ينقلبون اليه ● لهم فيها ما يشاؤن ● اي ما يشاؤنه من فنون الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل
كل فريق منهم يقنع بما اتيح له من درجات النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم
الحرمان ولا تساوي مراتب اهل الجنان ● خالدين ● حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا او قيل من فاعل
يشاؤن ● كان ● اي ما يشاؤنه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون ● على ربك وعدا مسؤلا ● اي موعودا
حقيقا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسؤلا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او
الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز
فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تشريفه والاشعار بانه
هو الفائز بآثرها ذي اثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى ● ويوم يحشرهم ● نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل اذلك الخ
اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه
غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا ● وما يعبدون من دون الله
يريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت شبحا من بعيد تقول ما هو ولانه اريد به الوصف
لا الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها
او اريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل
● فيقول ● اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول
بالنون على طريقة الالتفات الى الغيبة ● ءانتم اضللتم عبادي هؤلاء ● بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله ● ام هم ضلوا السبيل ● اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح
واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لما ان المقصود
بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه ● قالوا ● استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا
● سبحانك ● تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده
فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد ● ما كان ينبغي لنا ● اي ما صح وما استقام لنا ● ان نتخذ من دونك
اي متجاوزين اياك ● من اولياء ● نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا او ان نتخذ وليا غيرك
فضلا ان نتخذ ولينا او ان نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل
ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء
على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء وتحمل الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون هم الجن والاصنام ● ولكن
متعتهم واباءهم ● استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب
الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها
● حتى نسوا الذكر ● اي غفلوا عن ذكرك او عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة

الغوايه

الى الغواية ● وكانوا ● اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة
● قوما بورا ● هالكين على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى ● فقد كذبوكم ● حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين
عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون
ايها الكفرة ● بما تقولون ● اي في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وانت خبير بان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من
عدم استطاعتهم صرف النصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم وايا ما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب
على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان الخ ● فما تستطيعون ● اي ما تملكون
● صرفا ● اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في امورها اي
يحتال فيها وقيل توبة ● ولا نصرا ● اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها
من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه
ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتب ما بعد الفاء
على ما قبلها كما مر بيانه ● ومن يظلم منكم ● ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من
الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد ● نذقه ● في الآخرة ● عذابا كبيرا ● لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على
ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء
الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا ● وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ● جواب عن قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة
لموصوف قد حذف واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا
من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم او الناس
● وجعلنا بعضكم ● تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل
وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى ● لبعض ● رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول ● فتنة
اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى
جعلنا بعضا مبهما من الاولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا كل
منهم بكل فرد من الامم ولا بعض مبهم من الاولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل
كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما
تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى جعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى
● اتصبرون ● فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس منوطا بالصبر بل انما نيط به حاله على ان الاقتصار
على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم
الرسل فيحصل ما ذكرنا فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم
الخارجة عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى ● وكان ربك بصيرا ● وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع
مزيد تشريف له عليه السلام بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره عليه السلام ● وقال الذين لا يرجون لقاءنا ● شروع في حكاية بعض آخر من اقاويلهم
الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع
الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته
من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى
اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا
عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب راسا اي وقال الذين

لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب بقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا الطرفين ينبئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شانها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا اقصى غاية حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولوا العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة اثر استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت الثبور لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا للقصر ونفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيها في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر بمعزل من التحقيق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم فكأن المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا واردة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم على اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتحريق وفرقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الى آخره يومئذ اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق

اي هم

اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما في تلظى وقرئ بادغامها في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وتنزل الا قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وتنزل خلالها ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وتنزل وتنزيل على صيغة التكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بتمامها عاملة في الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب باذكر فالجملة استيناف مسوق لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ في الرحمة بعباده يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه يوما الى ضيافته فابى ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن آلى ان لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله تعالى عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عليه السلام ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته طريقا ولم اكن ضالا لا طريق لي قط يا ويلتا بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالي واحضري فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثاني عن فلان وفل وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم او على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول

16

الهادي عليه السلام بوسوسته واغوائه لكن وصفه بالخذل لشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه في الآخرة وهو اوفق بحال ابليس • وقال الرسول • عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عم اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل • يا رب ان قومي • يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع • اتخذوا هذا القرآن • الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة • مهجورا • اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا • وقوله تعالى • وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى • وكفى بربك هاديا ونصيرا • وعد كريم له عم بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك على جميع من يعاديك • وقال الذين كفروا • حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم في حقه عم والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم • لولا نزل عليه القرآن • التنزيل هنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله • جملة واحدة • كالكتب الثلثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما يقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله تعالى • كذلك لنثبت به فؤادك • فانه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم معانيه وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلها بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل من قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالجملة وقوله تعالى • ورتلناه ترتيلا • عطف على الفعل المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رض بيناه بيانا فيه ترسل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في ثلث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل • ولا يأتونك بمثل • من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن • الا جئناك • في مقابلته • بالحق • اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى • واحسن تفسيرا • عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق

اى

اي اتيناك بالحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا يأتونك بمثل الا حال اتياننا اياك بالحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عم ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسولة وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الآخر وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عم من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عم عليها من مغايرة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى ثم تحقق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل وامثالها ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد آتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكي من الاقتراحات لاجل دفعها وابطالها • الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم • اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله • اولئك • بدل منه او بيان له وقوله • شر مكانا واضل سبيلا • خبر له او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للجملة ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عم وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا • ولقد آتينا موسى الكتاب • جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التورية اي انزلناها عليه بالآخرة • وجعلنا معه • الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى • اخاه • مفعول اول له وقوله تعالى • هرون • بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى • وزيرا • مفعول ثان له وقد مر تحقيق معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له • فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا • هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فاريناهم آياتنا كلها فكذبوا بها تكذيبا مستمرا • فدمرناهم • اثر ذلك التكذيب المستمر • تدميرا • عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للايذان من اول الامر ببلوغه عم غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى الطريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة • وقوم نوح • منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى • لما كذبوا الرسل • اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • اغرقناهم • وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوب الآتي على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم

وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم • وجعلناهم • اى جعلنا اغراقهم او قصتهم • للناس آية • اى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها • واعتدنا للظالمين • اى لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب • عذابا اليما • هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي • وعادا • عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد • وثمود • الكلام فيه وفيما بعده كما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى • واصحاب الرس • هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اى دسوه في بئر • وقرونا • اى اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون • بين ذلك • اى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب • كثيرا • لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شأن تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة • وكلا • منصوب بمضمر دل عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم يذكر اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اى ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين • ضربنا له الامثال • اى بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل • وكلا • اى كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض • تبرنا تتبيرا • عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة • ولقد اتوا • جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اى وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام • على القرية التي امطرت • اى اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله تعالى منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى • مطر السوء • وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله نباتا حسنا اى امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء • افلم يكونوا يرونها • توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار ما يوجبها من اتيانهم عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام اى الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او الم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى • بل كانوا لا يرجون نشورا • اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها فلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم الجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اى عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا او يتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور • واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا • اى ما يتخذونك الا هزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه السلام على اتخاذهم اياه عليه السلام هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر

العبارة

العبارة كانه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى • اهذا الذي بعث الله رسولا • محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اى يستهزؤن بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة لكونهم في غاية الانكار للاستهزاء والتهكم ولولاه لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا • ان كاد • ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف اى انه كاد • ليضلنا عن آلهتنا • اى ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي • لولا ان صبرنا عليها • ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها [illegible] • وسوف يعلمون • [illegible] • حين يرون العذاب • الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم • من اضل سبيلا • [illegible] • ارأيت من اتخذ الهه هواه • [illegible] • افأنت تكون عليه وكيلا • [illegible] • ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون • [illegible] • ان هم الا كالانعام • [illegible] • بل هم اضل سبيلا • [illegible] جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال • الم تر الى ربك • بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى ورحمته تعالى اى الم تنظر الى بديع صنعه تعالى • كيف مد الظل • اى كيف انشأ ظل اى ظل كان من جبل او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك

مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه ياباه سباق النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود ففيه بعد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظرهم غير مقصور على ما يطالعونه من الآثار والصنائع بل مطمح انظارهم معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى • ولو شاء لجعله ساكنا • جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان • ثم جعلنا الشمس عليه دليلا • عطف على مد داخل في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى • ثم قبضناه • عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان القبض والمد مرتبين ومترتبين على قطب صالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى • الينا • للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل • قبضا يسيرا • اي على مهل قليلا حسب ارتفاع الشمس على نهج مطرد مستتبع لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تبقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع • وهو الذي جعل لكم الليل لباسا • بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما بعده من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا يخفى اي هو الذي جعل الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس • والنوم سباتا • اي جعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الاحساس والتعبير عنه بالسبات لما بينه وبين الموت من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها • وجعل النهار نشورا • اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف او جعل نفس النهار نشورا على طريقة المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر • وهو الذي ارسل الرياح • وقرئ بالتوحيد على ارادة الجنس • نشرا • تخفيف نشر جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون على انه مصدر وصف به مبالغة وقرئ بشرا • بين يدي رحمته •

استعارة

استعارة بديعة اي قدام المطر لانه النقدمات الى نزول المطر في قوله تعالى • وانزلنا من السماء ماء طهورا • بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح من جهة الوقوع وبليغا في الطهارة وقيل انه يكون طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو صيغة مبالغة في الطهارة كما في قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فالطهور في العربية اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة • لنحيي به • اي بما انزلنا من الماء الطهور • بلدة ميتا • بانبات النبات والتذكير لان البلدة بمعنى البلد والمكان • ونسقيه • اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض والمنافع والآبار • مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا • اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كاناعم في اناعيم • ولقد صرفناه • اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية • بينهم • اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين • ليذكروا • ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض او جعله تارة وابلا واخرى طلا وديمة وفيه رحمة والاول هو الاظهر • فابى اكثر الناس • ممن سلف وخلف • الا كفورا • اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان الكل بخلقه تعالى والانواء امارات بجعله تعالى • ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا • نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل • فلا تطع الكافرين • اي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهى لرسول الله عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك بتاليف قلوبهم اشد الاجتهاد • وجاهدهم به • اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة • جهادا كبيرا • فان دعوة العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له عليه السلام وجاهدهم بكونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فان كميته بحسب نفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية • وهو الذي مرج البحرين • اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها • هذا عذب فرات • قامع للعطش لغاية عذوبته • وهذا ملح اجاج • بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد • وجعل بينهما برزخا • حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها • وحجرا محجورا • وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا

وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ
ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاحق والتشابه في الكيفية • وهو الذي
خلق من الماء بشرا • هو الماء الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات
بسهولة او هو النطفة • فجعله نسبا وصهرا • اي قسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى
وجعل منه الزوجين الذكر والانثى • وكان ربك قديرا • مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا [illegible] وجعله قسمين ذكرا
وانثى • ويعبدون من دون الله • الذي شأنه ما ذكر • ما لا ينفعهم ولا يضرهم • اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام
او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر • وكان الكافر على ربه • الذي ذكرت آثار ربوبيته • ظهيرا • يظاهر الشيطان
بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون
كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم • وما ارسلناك الا مبشرا • للمؤمنين • ونذيرا • للكافرين • قل لهم • ما اسألكم عليه
اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال • من اجر • من جهتكم • الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا • اي الا فعل من يريد ان يتقرب
اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان واستثنى منه قلعا
كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل • وتوكل على الحي الذي لا يموت • في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه
دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم • وسبح بحمده • ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه
بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه • وكفى به بذنوب عباده • ما ظهر منها وما بطن • خبيرا • اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى
عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا • الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش • قد سلف تفسيره ومحل
الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصفه بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل
لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الرائق والنسق اللائق بتدبير متين وترتيب رصين
في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من
يفوض الامر اليه • الرحمن • مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب
التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب
وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق
من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ
والرحمن خبره وقيل بدل من المستكن في استوى • فاسأل به • اي بتفصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بانفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال
حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسئول امرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان
نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بطريق
التهييج ليس بسديد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به • خبيرا • عظيم الشأن محيطا بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه
يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا
اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا
وقرئ فسل • واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن • قالوه لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به
غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا • اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك لنا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه
وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض • وزادهم • اي الامر بسجود الرحمن • نفورا • عن الايمان • تبارك الذي
جعل في السماء بروجا • هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج
لظهوره • وجعل فيها سراجا • هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار • وقمرا منيرا • مضيئا بالليل
وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولما ان الليالي بالقمر تكون قمراء اضيف اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول

حسان

حسان ثم بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب • وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة • اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل
والنهار وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس • لمن اراد ان يذكر • اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع
صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم بالعباد • او اراد شكورا • اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا
وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر • وعباد الرحمن • كلام مستأنف مسوق
لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف
وهو مبتدأ وخبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقيل
عباد الرحمن اي عباده المقبولون • الذين يمشون على الارض هونا • اي بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه
اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون مشيا هينين لين الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى
واذا خاطبهم الجاهلون • اي السفهاء كما في قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا • قالوا سلاما
بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر
وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابي العالية
وقوله تعالى • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين وقيل
اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان
بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل • والذين يقولون • اي في اعقاب صلواتهم وفي عامة اوقاتهم
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما • اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم
مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا
وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون • انها ساءت مستقرا ومقاما • تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر
تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاول وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص
بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها قيل ويجوز ان يكون
ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد خال عما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل
التعليلين متداخلين او مترادفين • والذين اذا انفقوا لم يسرفوا • ولم يقتروا • ولم يضيقوا تضييق الشحيح
وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والتقتير منع الواجب وقرئ [illegible]
مع فتح الياء • وكان بين ذلك • اي ما ذكر من الطرفين • قواما • وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما
سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك
لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى انه يكون كالاخبار بشيء عن نفسه
• والذين لا يدعون مع الله الها آخر • شروع في بيان اجتنابهم المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاشراك
[illegible] مع ظهور [illegible] لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص
وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر
• ولا يقتلون النفس التي حرم الله • اي حرمها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم
• الا بالحق • اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلونها قتلا ما الا قتلا
ملتبسا بالحق او الا ملتبسين بالحق • ولا يزنون • [illegible]
[illegible] الكفرة حيث كانوا [illegible]
مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا • ومن يفعل ذلك • اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين • يلق
في الآخرة [illegible] • اثاما • [illegible]

اى شدائد يقال يوم ذو اثام لليوم العصيب • يضاعف له العذاب يوم القيمة • بدل من يلق اثاما لاتحادهما فى المعنى كقوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وقرئ بالرفع على الاستيناف او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب • ويخلد فيه • فى ذلك العذاب المضاعف • مهانا • ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسمانى والروحانى وقرئ يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصى الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى • الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا • وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة • فاولئك • اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى الافعال الثلثة باعتبار لفظه اى اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح • يبدل الله سياتهم حسنات • بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعتهم او يبدل ملكة المعصية ودواعيها فى النفس بملكة الطاعة بان يزيل الاولى وياتى بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا • وكان الله غفورا رحيما • اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من المحو والاثبات • ومن تاب • اى عن المعاصى بتركها بالكلية والندم عليها • وعمل صالحا • يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعات • فانه • بما فعل • يتوب الى الله • اى يرجع اليه تعالى • متابا • اى متابا عظيم الشان مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذى يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله تعالى او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص • والذين لا يشهدون الزور • لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه • واذا مروا • على طريق الاتفاق • باللغو • اى ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه • مروا كراما • معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به • والذين اذا ذكروا بايات ربهم • المشتملة على المواعظ والاحكام • لم يخروا عليها صما وعميانا • اى اكبوا عليها سامعين باذان واعية مجتلين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصى المدلول عليها باللغو • والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين • بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده اهله فى طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له فى مناهج الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب فى قلتها نظرا الى غيرها • واجعلنا للمتقين اماما • اى اجعلنا بحيث يقتدون بنا فى اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم فى عصر واحد فما ظنك باجتماعهم فى مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره فى استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلنى للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقى اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول فى المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر فى حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شىء من ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذاتى كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة فى المزدحم • اولئك • اشارة الى المتصفين بما فصل فى حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى • يجزون الغرفة • والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم فى الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم فى الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال اى يثابون اعلى منازل الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى من اسماء الجنة

بما صبروا • بصبرهم على المشاق من مشاق الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات • ويلقون فيها • من جهة الملائكة تحية وسلاما • اى يحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحيوة والسلامة عن الافات او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل افة وقيل يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقى • خالدين فيها • لا يموتون ولا يخرجون • حسنت مستقرا ومقاما • الكلام فيه كالذى مر فى مقابله • قل • امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عندهم من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم اصلا اى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر • ما يعبؤ بكم ربى لولا دعاؤكم • اى اى عبء يعبؤ بكم واى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اى وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربى لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى • فقد كذبتم • بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اى فقد كذبتم بما اخبرتكم به وخالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدة الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الاخر هو الاتى والجنسى المصحح للاشتراك فى الفوز ليس الا اختلافهما فى الاعمال • فسوف يكون لزاما • اى يكون جزاء التكذيب واثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره والتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله تعالى هو القتل يوم بدر لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب صدق رسول الله وحبيبه

سورة الشعراء آياتها مائتان وسبع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم • بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها فى الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف [illegible] او النصب باضمار فعل يليق بالمقام نحو اذكر او اقرأ • تلك آيات الكتاب المبين • اشارة الى السورة [illegible] ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدا فهو مبتدا ثان [illegible] والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه [illegible] • لعلك باخع نفسك • اى قاتل نفسك [illegible] • الا يكونوا مؤمنين • [illegible] • ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية • [illegible] • فظلت اعناقهم لها خاضعين • [illegible] • وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين • [illegible]

• معرضين • بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم او
بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم و
تهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع
واقبح اي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كأنها نفس
من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء
واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه
على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه • فقد كذبوا • اي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم
تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى
• فسيأتيهم • لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا • انباء ما كانوا
به يستهزءون • عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما
وقع في قوله تعالى وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا
به يستهزءون والانباء ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم
بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا
على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزءون به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها
• اولم يروا • الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أفعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات
والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا • الى الارض • اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه من
الايمان وقوله تعالى • كم انبتنا فيها من كل زوج كريم • استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان
وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف كثير والكريم
من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص نباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه
بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى
ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة
وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون • ان في ذلك • اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من
تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل • لآية • اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها
وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر • وما كان اكثرهم • اي اكثر قومه عم مؤمنين
قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون اختيارهم الذي عليه يدور امر التكليف الى جانب
الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
في الكفر والضلالة [illegible] • وان ربك لهو العزيز • [illegible]
الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء • الرحيم • المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم [illegible]
[illegible]
• واذ نادى ربك موسى • كلام مستأنف مسوق [illegible]
[illegible]

لانه

اي اذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه
من التكذيب وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باخوانهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن
لا لقصور في حال موسى بل بحال اولئك فقط لتشاهد اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك
كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا • ان ائت • بمعنى اي ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية
حذف عنها الجار • القوم الظالمين • اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء
وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى وايراد ما جرى في قصة واحدة من المقالات
بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله قال انظرني • قوم فرعون • بدل من الاول
او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان
بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم • الا يتقون • استئناف جيء به اثر ارساله عم اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم و
افراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم
بذلك وهم وان كانوا غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم
مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون
نحو الا يا اسجدوا • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عم فقيل قال متضرعا الى
الله عز وجل • رب اني اخاف ان يكذبون • من اول الامر • ويضيق صدري ولا ينطلق لساني • معطوفان على اخاف
• فارسل • اي جبريل عم • الى هرون • ليكون معي واتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عم استدعاء ذلك على الامور الثلاثة
خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عم من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق
لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا
من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء وانما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب
عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه • ولهم علي ذنب • اي تبعة ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه
والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى القصة المبسوطة في غير موضع • فاخاف • اي ان
اتيتهم وحدي • ان يقتلون • بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل
وقوعها وقوله تعالى • قال كلا فاذهبا بآياتنا • حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم
من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته
وفي قوله تعالى بآياتنا رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى • انا معكم مستمعون • تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان
كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى حيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية فقيل اجرى ما يجري الجماعة
ايا ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون لما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع
ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة او استعير الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم
بالحروف والاصوات وهو خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى • فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب
وافراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصفت به وان في قوله تعالى • ان ارسل معنا بني اسرائيل
مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى الشام • قال • اي فرعون
لموسى عم بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا
يزعم انه رسول الله فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى عم فقال عند ذلك • الم نربك فينا •
في حجرنا ومنازلنا • وليدا • اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة • ولبثت فينا من عمرك سنين • قيل لبث

فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز
القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم • وفعلت فعلتك التي فعلت • يعني قتل القبطي وبعد ما عدد
عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا
من القتل • وانت من الكافرين • اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه السلام
او جهل امره لانه حيث كان يعايشهم بالتقية والآفاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حال من احدى الضمائر ويجوز
ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن تكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم
المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه • قال • مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه
من الكفر • فعلتها اذا وانا من الضالين • اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما نعت اوزاد اي من الفاعلين
فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما
فتذكر احداهما الاخرى • ففررت منكم • الى ربي • لما خفتكم • ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب
• فوهب لي ربي حكما • اي حكمة ونبوة • وجعلني من المرسلين • ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدده عليه
من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال • وتلك نعمة تمنها علي
• ان عبدت بني اسرائيل • اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح ابنائهم
فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل
ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء
مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف
والفرار منه ومن ملائه • قال فرعون • لما سمع منه عم تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق
والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عم مبتدأ بالاستفسار عن المرسل فقال • وما رب العالمين • حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام
اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله ونطق به وعيده عند تمام اجوبته عم • قال • موسى عليه السلام مجيبا له
• رب السموات والارض وما بينهما • بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين
على ما تحت مملكته • ان كنتم موقنين • اي ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشياء
فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله • قال • اي فرعون عند سماع جوابه عم خوفا من تأثيره في قلوب قومه واذعانهم له
• لمن حوله • من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما وكانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة • الا تستمعون
مرائيا لهم ان ما سمعوه من جوابه عم مع كونه مما لا يليق ان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون بقوله ما تسمعونه وتعجبوا
حيث يدعي خلاف امر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه • قال • عم تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابق • ربكم
• ورب آبائكم الاولين • وحطا له عن ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية • قال • اي فرعون لما واجهه موسى عم بما ذكر غاظه ذلك
وخاف من تأثر قومه منه فاراهم ان ما قاله عم مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد • ان
• رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون • ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء واضافه الى المخاطبين ترفعا
من ان يكون مرسلا الى نفسه • قال • عم • رب المشرق والمغرب وما بينهما • قاله عم تكميلا لجوابه الاول وتنبيها على
جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين
وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة واخرى
منورة الى الله تعالى ارشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين
بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم
لا كذوات السموات والارض التي ربما توهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف • ان كنتم تعقلون • اي ان
كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل

في جملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون • قال • لما سمع اللعين منه عليه السلام
تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة ضرب صفحا
عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب • لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين • لم يقتنع منه عم بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه
وغلوه فيما ادعاه من دعوى الالوهية وفيه ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته
عليه السلام الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده
النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله واللام في المسجونين للعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة
عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك • قال اولو جئتك بشيء مبين • اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح
لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها
بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف
وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من
الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال
ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال
فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة فتعلق الحكم بما بعد لو منه ليظهر تحققه
معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت
فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين المذكورة
على ان الواو للحال وتقصيد المجيء بما ذكر بكلمة لو دون ان لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك
حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به • قال فأت به ان كنت من الصادقين • اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين
موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه • فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين • اي ظاهر
ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه
• ونزع يده • من جيبه • فاذا هي بيضاء للناظرين • قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون
يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق • قال للملأ حوله • اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع
موقع الحال • ان هذا لساحر عليم • فائق في فن السحر • يريد ان يخرجكم • بما صنع • من ارضكم بسحره فماذا تأمرون • بهره سلطان المعجزة
وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان
مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عم • قالوا ارجه
• واخاه • اخر امرهما وقيل احبسهما • وابعث في المدائن حاشرين • اي شرطا يحشرون السحرة • يأتوك • اي الحاشرون
• بكل سحار عليم • فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر • فجمع السحرة لميقات يوم معلوم • هو ما عينه موسى عم بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر
الناس ضحى • وقيل للناس هل انتم مجتمعون • قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه • لعلنا نتبع السحرة
• ان كانوا هم الغالبين • اي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عم وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم ان لا يتبعوا
موسى عم لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا • اي اجرا
عظيما • ان كنا نحن الغالبين • لا موسى عم • قال نعم • لكم ذلك • اذا لمن المقربين • عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل
علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان • قال لهم موسى • اي بعد ما قال السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
• القوا ما انتم ملقون • ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل

فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا • اي وقد قالوا عند الالقاء • بعزة فرعون انا لنحن الغالبون • قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم
واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر • فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف • اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين
ما يأفكون • اي ما يقلبونه عن وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى والتعبير عنها بالافك
مبالغة • فالقي السحرة ساجدين • اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد وغير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حد
السحر هو التمويه والتزوير وتخييل شئ لا حقيقة له • قالوا آمنا برب العالمين • بدل اشتمال من القي او حال باضمار قد وقوله تعالى • رب موسى وهرون
بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما
من المعجزة القاهرة • قال • اي فرعون للسحرة • آمنتم له قبل ان آذن لكم • اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
لا ان الاذن منه ممكن او متوقع • انه لكبيركم الذي علمكم السحر • فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شئ فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على
كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين • فلسوف تعلمون • اي وبال ما فعلتم وقوله • لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين • بيان لما اوعدهم به • قالوا • اي السحرة • لا ضير • لا ضير فيه علينا وقوله تعالى • انا الى ربنا منقلبون
تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما
تتوعدنا به من القتل لانه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى • انا نطمع ان يغفر لنا
ربنا خطايانا ان كنا • اي لان كنا • اول المؤمنين • اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل
لمستأجر اخرجته ان كنت عملت فوفني حقي • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي • وذلك بعد بضع سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى
الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين الآية وقرئ اسر بكسر
النون ووصل الالف من سرى وقرئ سر • انكم متبعون • تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بهم حتى لا يدركوكم
قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم • فارسل فرعون • حين اخبر بمسيرهم • في المدائن حاشرين • جامعين للعساكر
ليتبعوهم • ان هؤلاء • يريد بني اسرائيل • لشرذمة قليلون • استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل
في اثرهم الف الف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث • وانهم لنا لغائظون • اي فاعلون ما يغيظنا • وانا لجميع حاذرون
يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم
في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه
وقرئ حذرون فالاول للدلالة على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء
وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم • فاخرجناهم • بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه
• من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم • كانت لهم حالة ذلك • كذلك • اما مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب
اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك • واورثناها بني اسرائيل • اي ملكناها
اياهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها • فاتبعوهم • اي فلحقوهم
وقرئ فاتبعوهم • مشرقين • داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها • فلما تراءى الجمعان • تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما
الآخر وقرئ تراءت الفئتان • قال اصحاب موسى انا لمدركون • جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق
الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدّركون بتشديد الدال من ادّرك الشئ اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم • قال كلا
ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم • ان معي ربي • بالنصرة والهداية • سيهدين • البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان
يوشع عم قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عم ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عم بعصاه البحر فكان ما كان
وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عم فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي
اومر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى • فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر • القلزم او النيل • فانفلق • الفاء فصيحة

اي فضرب

اي فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك • فكان كل فرق كالطود العظيم • كالجبل المنيف الثابت في مقره
فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها • وازلفنا • اي قربنا • ثم الآخرين • اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم
وانجينا موسى ومن معه اجمعين • بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر • ثم اغرقنا الآخرين • باطباقه عليهم • ان في
ذلك • اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عم وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال
وما فعل بهم من العذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتفظيعه كتنكير الآية في قوله تعالى • لآية • اي آية
واية آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي صلى الله عم بشأن موسى عم وحال انفسهم بحال اولئك
المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او
ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عم اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق
موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عم • وما كان اكثرهم • اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عم • مؤمنين
لا بان يقيسوا شأنه عم بشأن موسى عم وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين ولا بان يتدبروا في حكايته عم لقصتهم من غير ان يسمعها من احد
مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأي سيبويه
فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة
لتقرير ما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية وايثار الجملة الاسمية للدلالة على
استمرارهم على عدم الايمان واصرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما قيل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار
اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على تحققه
وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية • وان ربك لهو العزيز • الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين • الرحيم
المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا
هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل
من ان الضمير في اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وخربيل ومريم
ابنة ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عم وبنوا اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عم انما هو لبيان حال طائفة
معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما ينبئ عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الآيات العظام
ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع
دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا
مع عدم مشاركتهم لهم في شئ مما حكى عنهم من الجنايات اصلا فما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر • واتل عليهم • عطف على المضمر المقدر
عاملا لاذ نادى الخ اي واتل على المشركين • نبأ ابراهيم • اي خبره العظيم الشأن حسبما اوحي اليك ليقفوا على ما ذكر من عدم ايمانهم
بما يأتيهم من الآيات باحدى الطريقين • اذ قال • منصوب اما على الظرفية لنبأ اي نبأه وقت قوله لهم • ما تعبدون • على ان المتلو
ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عم عن ذلك ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية • قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين • لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى
ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة
من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام
لافادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم • قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم • هل يسمعونكم • اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك
سمعت زيدا يقول كذا وكذا فحذف لدلالة قوله تعالى • اذ تدعون • عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم
شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها

كأنه قيل لهم استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وأجيبوا هل سمعوا أو أسمعوا قط • أو ينفعونكم • بسبب عبادتكم لها • أو يضرون
أي يضرونكم بترككم لعبادتها إذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من جلب نفع أو دفع ضر • قالوا بل وجدنا آباءنا
كذلك يفعلون • اعترفوا بأنها بمعزل عما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد أي ما علمنا
أو ما رأينا منهم ما ذكر من الأمور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون أي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم • قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون
أي أنظرتم فأبصرتم أو تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدونه • أنتم وآباؤكم الأقدمون • حق الإبصار أو حق العلم وقوله تعالى • فإنهم عدو لي • بيان
لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر
الرجل من جهة عدوه أو لأن المغري بعبادتهم والحامل عليها الشيطان الذي هو أعدى عدو الإنسان لكنه عليه السلام صور الأمر في نفسه تعريضاً بهم
فإنه أنفع في النصيحة من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه
قوله تعالى وهم لكم عدو شبهاً بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل • إلا رب العالمين • استثناء منقطع أي لكن رب
العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل
متصل وهو قول الزجاج على أن الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى • الذي خلقني • صفة لرب العالمين و
جعله مبتدأ وما بعده خبراً غير حقيق بجزالة التنزيل وإنما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحاً
بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلاً لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية و
دفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى • فهو يهدين • أي هو يهديني وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة
بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد
هداية متدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره إما طبعاً وإما اختياراً مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية
الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم • والذي هو يطعمني ويسقين • عطف على الصفة
الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة
من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بأن يجرى عليه تعالى بحيالها ولا يجعل من روادف غيرها • وإذا مرضت
فهو يشفين • عطف على يطعمني ويسقين ونظمهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً ونسبة
المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما وأما الإماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالإحياء بدءاً وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعاً بها وبما بعدها من البعث
نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى • والذي يميتني ثم يحيين • على أن الموت لكونه ذريعة إلى نيل الحياة الأبدية بمعزل من أن يكون
غير مطبوع عنده عليه السلام • والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين • ذكره عليه السلام هضماً للنفس وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر
وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيهاً لأبيه وقومه على أن يتأملوا في أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال
في درجة لا يقادر قدرها فإن حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال
المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث إني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي أختي مما لا سبيل إليه لأنها مع
كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة إلى الاستغفار إنما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها
بعد مهاجرته عليه السلام إلى الشام وأما الأوليان فلأنهما وقعتا مكتنفتين بكسر الأصنام ومن البين أن جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي
الأمر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها إنما تغفر في الدنيا لأن أثرها يومئذ يتبين ولأن في ذلك تهويلاً له وإشارة إلى وقوع الجزاء
فيه إن لم تغفر • رب هب لي حكماً • بعد ما ذكره عليه السلام لهم فنون الألطاف الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حمله ذلك
على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق
• وألحقني بالصالحين • ووفقني من العلوم والأعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين
عن كبائر الذنوب وصغائرها أو اجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وإنه في الآخرة لمن الصالحين • واجعل لي لسان
صدق في الآخرين • أي جاهاً وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك ما من أمة من الأمم إلا وهي محبة له

ومثنية

ومثنية عليه أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه السلام
أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام • واجعلني من ورثة جنة النعيم • في الآخرة • وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم • واغفر لأبي • بالهداية والتوفيق
للإيمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى • إنه كان من الضالين • أي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما
لا مزيد عليه • ولا تخزني • بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً أو لكل ذلك
مبني على هضم النفس منه عليه السلام أو بتعذيب لدي أو ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للإيمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية
بمعنى الحياء • يوم يبعثون • أي الناس كافة والإضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما
يخل بتهويل اليوم • يوم لا ينفع مال ولا بنون • بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيداً للتهويل وتمهيداً لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل
أي لا ينفع مال وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات ولا بنون وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة أحداً • إلا من أتى الله بقلب
سليم • عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه السلام لأبيه طلباً للهداية
إلى الإيمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافراً مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لأنه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير
المضاف أي إلا مال من أو بنو من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم
ضرب وجيع أي إلا حال من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن سلامة القلب كأنه قيل إلا سلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف
المحذوف ما دل عليه المال والبنون من الغنى المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله الآية لأن غنى المرء في دينه
بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه • وأزلفت الجنة للمتقين • عطف على لا ينفع وصيغة الماضي
فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار
انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون إليها • وبرزت الجحيم للغاوين • الضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان
والتقوى أي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأهوال الهائلة ويوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفاً
وقيل لهم أينما كنتم • في الدنيا • تعبدون من دون الله • أي أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل
ينصرونكم • بدفع العذاب عنكم • أو ينتصرون • بدفع العذاب عن أنفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل • فكبكبوا فيها • أي ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة
بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها • هم • أي الآلهة • والغاوون • الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز إلى أنهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غماً إلى غمهم
• وجنود إبليس • أي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين
والأول هو الوجه • أجمعون • تأكيد للجنود وما عطف عليه وقوله تعالى • قالوا • إلى آخره استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية
حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا أي العبدة • وهم فيها يختصمون • أي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم فيما كانوا فيه
معيرين لأنفسهم والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام
بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق • تالله إن كنا لفي ضلال مبين • إن مخففة من الثقيلة وقد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام
فارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للإشباع في إظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم
ظاهر الرأي مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بالله تعالى المتضمن لكمال التوبيخ • إذ نسويكم برب العالمين • ظرف لكونهم في
ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أي ضللنا وقيل للضلال المذكور وإن كان فيه ضعف صناعي من حيث إن المصدر الموصوف لا يعمل
بعد الوصف [illegible]
أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته [illegible] • وما أضلنا إلا المجرمون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

السبيل او عن التصدي لحجيته الاولون الذين اقتدوا بهم وآباءهم كان فيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون
وعن ابن جريج ابليس وابن آدم الاول ... فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام
ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن
عدم نفعهما لما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب المفسدين كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم آثارهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته
او لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها له بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة للتمني لما بين معنييهما من التلاقي
في معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو ان لنا كرة
لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وبابه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة
بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير
تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم
عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه الامر يوم القيامة من اعتراف الغاوين بخطائهم الفاحش وندمهم
وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلف لهم من جنات النعيم وبرزت الجحيم
وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية اي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل
مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها مخافة ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك
بحكم الاشتراك فيما يوجبه او ان في ذكر نبئه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان تسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما تتلوه عليهم وحي صادق
نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين تتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه
من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤوا
على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه السلام فكيف يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد حكي بقية الكلام
في آخر قصة موسى عليه السلام وان ربك لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض
منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار
اجماع الكل على التوحيد واصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب
ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين
الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من مبدأ دعوته الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث
تعبدون غيره اني لكم رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة
لله تعالى وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر اصلا ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين
والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه السلام عن الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها
على امانته والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون الياء قالوا
انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر
وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكالب جمع اكلب جمع كلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه لا عبرة
باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصر
انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان
النعيم هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر
وبصيرة اي ما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة
اعمالهم والتفتيش عن كيفياتها البارزة والكامنة الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اي بشيء من الاشياء او لو
كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم

وتعليق

وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين
وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم بالبرهان الواضح
وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين
بالحجارة قالوه في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم
هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه وقوله فافتح بيني وبينهم فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه
حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه
حسب دعائه في الفلك المشحون اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر قوم نوح ابعد من السداد وابعد كذبت
عاد المرسلين انث عادا باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام في ان المراد بتكذيبهم وما وقع
فيه من الزمان ما ذكر في صدر قصة نوح ام اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة
فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة
باختلاف الازمنة والاعصار وانهم متنزهون عن المطامع الدنيئة والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون
اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون
اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم
جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا هذه الافعال واطيعون
فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من انواع النعماء واصناف الآلاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام
وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني
اخاف عليكم ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها
مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته اصلا
ان هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين
الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق
الاولين بفتح الخاء اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب
وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه من الاعمال فكذبوه اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسبب ريح صرصر ان في ذلك لآية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون الله تعالى اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا آمنين انكار ونفي لان يتركوا
فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم
تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ
القنو او متدل متكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا
فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله
واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الآمر الى امره مجازا
الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن
مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر اي الرئة اي من الانس فيكون قوله

تعالى ما انت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين اى فى دعواك قال هذه ناقة اى بعد ما اخرجها الله تعالى
من الصخرة بدعائه كما مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اى نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى والقوت وقرئ
بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم
بعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقرها برضاهم ولذلك اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين
خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينته لم يتابعه ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اى العذاب الموعود
ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل فى نفى الايمان عن اكثرهم فى هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن اكثرهم
او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير بان قريشا لم يكن اكثرهم مؤمنين بعد وعدم ايمان اكثرهم كذبت
قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب
العالمين اتأتون الذكران من العالمين اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون من اولاد آدم مع
كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثانى الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم
لاجل استمتاعكم وكلمة من فى قوله تعالى من ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث وهو الظاهر او للتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا
بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون عن الحد فى جميع المعاصى وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد
الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اى عن نهينا وتقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التى من جملتها هذا
التعرض لنا لتكونن من المخرجين اى من المنفيين من قريتنا وكأنهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال انى لعملكم
من القالين اى من المبغضين غاية البغض كأنه يقلى الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال انى لعملكم قال لدلالته على انه من جملة القالين
فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله اراد اظهار الكراهة فى مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى
الله تعالى قائلا رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اى اهل بيته ومن اتبعه فى الدين باخراجهم
من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج
فى الغابرين اى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر فى الطريق فاهلكها كما مر فى سورة
وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا
اى مطرا غير معهود وقيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص
بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة
التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب
الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك
مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتبت هنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما
اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اى اتموه ولا تكونوا من المخسرين اى حقوق الناس بالتطفيف
وزنوا اى الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ
بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها
ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الله الذى خلقكم والجبلة الاولين اى وذوى الجبلة الاولين يعنى
من تقدمهم من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخال الواو بين
الجملتين للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اى فيما تدعيه من النبوة فاسقط
علينا كسفا من السماء اى قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة والمراد بالسماء السحاب
او المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين فى دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب
والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربى اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصى وبما تستحقون من العذاب فينزله عليكم فى وقته المقدر له
لا محالة فكذبوه اى فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا ان ارادوا بالسماء السحاب

فظاهر وان ارادوا الظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ عذابا
غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا
الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى ان شعيبا عم بعث الى امتين
اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اى فى
الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
هذا آخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا
لمضمون ما فى مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الآية فان كل واحدة من هذه
القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وكان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوا على التفصيل قصة بعد قصة لا بان
يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة منها من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان ولا بان يتأملوا فى شأن الآيات الكريمة الناطقة
بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم بانه عم لم يسمع شيئا منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا
يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة قصة موسى عم وانه اى ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القرآن الذى هى من
جملته لتنزيل رب العالمين اى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى
ورأفته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى انزله الروح الامين اى جبريل عم فانه امين وحيه تعالى وموصله الى
انبيائه عم وقرئ بتشديد الزاء ونصب الروح والامين اى جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اى روحك ان اريد به
العضو فتخصيصه به لان المعانى الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة
لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه
عم فى سلك اولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربى مبين واضح المعنى ظاهر المدلول
لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد
انزاله عم لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان غاية الانزال كونه عم من جملة المنذرين باللغة العربية
فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى فى باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تأثيرا فى قلوب
المشركين ما انذره ابرهيم عليه السلام لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عم وانه لفى زبر الاولين اى وان ذكره او معناه لفى الكتب
المتقدمة فان الحكاية التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه
من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله عم وليس بواضح اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه فى زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره
للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بنى اسرائيل
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه بنعوته المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتاء وجعلت
آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل فى تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان
يكون لهم آية هى جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء
ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة
وقرئ الاعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقرأه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات
ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم فى المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين
بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم فى المكابرة
كذلك سلكناه اى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اى ادخلنا القرآن فى قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته
وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة
بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا يتأثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان

بل يستمرون على ما هم عليه ● حتى يروا العذاب الأليم الملجئ إلى الإيمان حين لا ينفعهم الإيمان ● فيأتيهم بغتة ● أي فجأة في الدنيا والآخرة
وهم لا يشعرون ● بإتيانه ● فيقولوا هل نحن منظرون ● تحسرا على ما فات من الإيمان وتمنيا للإمهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه
مثل ذلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الإيضاح والتلخيص له أو في موقع الحال أي سلكناه
فيها غير مؤمن به والأول هو الأنسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد أدلة الإيمان وتآخذ مبادي الهداية والإرشاد وانقطاع أعذارهم
بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك
والتكذيب في قلوب المجرمين ● أفبعذابنا يستعجلون ● بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما
وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الإنظار فالفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول
العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وإنما قدم الجار
والمجرور للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل ● أفرأيت ● لما كانت الرؤية من أقوى
أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم
هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي الجمهور
أي فأخبرني ● إن متعناهم سنين ● متطاولة بطول الأعمار وطيب المعايش ● ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ● من العذاب ● ما أغنى عنهم ● أي شيء
أو أي إغناء أغنى عنهم ● ما كانوا يمتعون ● أي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها
موصولة حذف عائدها وأياما كان فما استفهامية للإنكار والنفي وقيل ما نافية أي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والأول هو
الأولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الإغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بأن تمتعهم ماذا أفادهم
وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يخبر بشيء من ذلك أصلا وقرئ يمتعون من الإمتاع ● وما أهلكنا من قرية ● من القرى المهلكة ● إلا لها منذرون
قد أنذروا أهلها إلزاما للحجة ● ذكرى ● أي تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنها
مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أي إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى والرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى
لإمعانهم في التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمعمول النفي الواقع في حيز النفي على معنى أن الكل منذرين
أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر ● وما كنا ظالمين ● فنهلك غير الظالمين وقبل الإنذار والتعبير عن ذلك بنفي الظالمية
مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه
من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد ● وما تنزلت به الشياطين ● رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم
من أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين ● وما ينبغي لهم ● أي ما يصح وما يستقيم لهم ذلك
● وما يستطيعون ● ذلك أصلا ● إنهم عن السمع ● لكلام الملائكة ● لمعزولون ● لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفات الذات والاستعداد
لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة
إلا لقبول ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور فمن أين لهم أن يتلقوا من حول القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها
إلا من الملائكة عليهم السلام ● فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ● خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عنه عليه السلام تهييجا
وحثا على ازدياد الإخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه
● وأنذر ● العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي ● عشيرتك الأقربين ● الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت
صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وروي أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة
بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا ● واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين ● أي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فإنه إذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين
أو لغيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان ● فإن عصوك ● ولم يتبعوك ● فقل إني بريء مما
تعملون ● أي مما تعملونه أو من أعمالكم ● وتوكل على العزيز الرحيم ● الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم

ومن غيرهم وقرئ فتوكل على أنه بدل من جواب الشرط ● الذي يراك حين تقوم ● أي إلى التهجد ● وتقلبك في الساجدين ● وترددك
في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة
طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود
إذا أممتهم وإنما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التي بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبئ عن قهر أعدائه ونصر أوليائه من وصفي العزيز
الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه ● إنه هو السميع ● بما تقوله ● العليم ● بما تنويه وتعمله ● هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ●
أي تتنزل بحذف إحدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن
ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه
كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى ● تنزل على كل أفاك أثيم ● قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمتنبئة
وتخصيص لهم بحيث لا يتخطاهم إلى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة من أن يحوم حولها شائبة شيء من تلك الأوصاف
اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام ● يلقون ● أي الأفاكون ● السمع ● أي إلى الشياطين فيتلقون منهم أوهاما وأمارات لنقصان علمهم فيضمون
إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع وذلك قوله تعالى ● وأكثرهم كاذبون ● أي فيما قالوه من الأقاويل وقد ورد
في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة أو يلقون السمع أي المسموع من الشياطين إلى الناس وأكثرهم كاذبون
يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني وأما في
أكثره فهم كاذبون وما قال وأكثر أقوالهم كاذبة لما أن اعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقين على الإطلاق وليس
معنى الأفاك من لا ينطق إلا بالإفك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الإفك فلا ينافيه أن يصدق نادرا في بعض الأحايين وقيل الضمير
للشياطين أي يلقون السمع أي المسموع من الملأ الأعلى قبل أن رجموا من بعض المغيبات إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون فيما يوحون إليهم
إذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو أفهامهم ولا سبيل إلى حمل إلقاء السمع على تسمعهم وإنصاتهم
إلى الملأ الأعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما أن يلقون كما مر حينئذ إما حال من ضمير تنزل عند مقارنته التنزل لإلقاء أو استئناف مبين للغرض
من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في أن إلقاء السمع إلى الملأ الأعلى بمعزل من احتمال أن يقارن التنزل أو يكون غرضا منه لتقدمه عليه
قطعا وإنما المحتمل لهما الإلقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالا تنزل الشياطين على الأفاكين ملقين إليهم ما سمعوه من الملأ الأعلى
وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون إليهم ما سمعوه وحمله على الاستئناف الإخباري كما فعله بعضهم
غير سديد لأن ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق بجزالة التنزيل وعلى تقدير كون يلقون للأفاكين فهو صفة لكل أفاك لأنه في معنى
الجمع سواء أريد بإلقاء السمع الإصغاء إلى الشياطين أو إلقاء المسموع إلى الناس ويجوز أن يكون استئنافا إخبارا بحالهم على كلا التقديرين لما أن
كلا من تلقيهم من الشياطين وإلقائهم إلى الناس يكون بعد التنزل وأن يكون استئنافا مبنيا على السؤال على التقدير الأول فقط كأنه قيل ما يفعلون
عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون إليهم أسماعهم ليحفظوا ما يوحون إليهم وقوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الأول استئناف فقط
وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون أي يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى الناس والحال أنهم في أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر ● والشعراء يتبعهم الغاوون
استئناف مسوق لإبطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله عليه السلام
بعد إبطال ما قالوا أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة لأحواله عليه السلام والمعنى أن الشعراء يتبعهم أي
يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في
الأفعال والأقوال والأحوال لا غيرهم من أهل الرشد المهتدين إلى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى ● ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ●
استشهاد على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور
بحيث لا يختص برؤية راء دون راء أي ألم تر أن الشعراء في كل واد من أودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال
وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في مهامه الغواية
والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار والتردد بين طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء ● وأنهم يقولون ما لا يفعلون ● من الأفاعيل غير مبالين بما يستتبعه

من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة
واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرة على المنهاج القويم
مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة
وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه عليه السلام عن ان يكون من الشعراء
ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في ان تعليل عدم كونه عليه السلام منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه
العالي وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف
وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ
يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة
والزهد في الدنيا والركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق
الانتصار ممن يهجوهم والمراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى والذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنهم ان رسول الله صلعم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو
اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك • وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون • تهديد شديد ووعيد اكيد لما
سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله ابو بكر لعمر رضي الله تعالى عنهما
حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه
من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم
وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليهما السلام

سورة النمل ثلث وتسعون آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

طس • بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر
الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء
على ان ما بعده خبره ضعيف لما ذكر هناك • تلك • اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى آياتها لعدم ذكرها صريحا وان
اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف
ومحله الرفع على الابتداء وخبره • آيات القرآن • والجملة مستأنفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل او عن
الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك السورة آيات القرآن المعروف بعلو الشأن اي بعض منه مترجم مستقل باسم
خاص • وكتاب • اي كتاب عظيم الشأن • مبين • مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب
او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بما جمع فيه من وصفي
القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المعربة عن اشتماله
على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر
هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات
اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون
لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات كتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • في حيز النصب
على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او النصب
على انهما بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى • الذين

يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية
مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى • وهم بالآخرة هم يوقنون • جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون
الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب او هي من تتمة الصلة والواو
حالية او عاطفة لها على الصلة الاولى وتغيير نظمها للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات
حسبما ينطق به القرآن • زينا لهم اعمالهم • القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات
او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم
• فهم يعمهون • يتحيرون ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضرر او
في الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم
يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور • اولئك • اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي
اولئك الموصوفون بالكفر والعمه • الذين لهم سوء العذاب • اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر • وهم في الآخرة هم الاخسرون •
اي اشد الناس خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب • وانك لتلقى القرآن • كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم
تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين • من لدن حكيم عليم •
اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه السلام في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق
فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة
على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية
وقوله تعالى • اذ قال موسى لاهله • منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام وامر بتلاوة بعض القرآن الذي يلقاه من لدنه عز وجل
تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده وقد آنس من جانب الطور
نارا • اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر • اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد
والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية • او آتيكم بشهاب قبس • بتنوينهما على ان قبسا
بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود
الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة
طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده
حرمانين • لعلكم تصطلون • رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة • فلما جاءها نودي • من جانب الطور • ان بورك •
معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة
وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لما انه دعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام • من في النار ومن
حولها • اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن
حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها
مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير
الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني ينتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات
على يده عليه السلام • وسبحان الله رب العالمين • تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون ومن احكام تربيته تعالى للعالمين • يا موسى انه انا الله • استئناف مسوق لبيان
آثار البركة المذكورة والضمير للشان وانا الله جملة مفسرة له او راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى • العزيز الحكيم •
صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها
امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين • والق • عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان

بورك وان الق عصاك حيثما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله فلما رأينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فلما ابصرها تتحرك بسرعة واضطراب وقوله تعالى كأنها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غيري ثقة بي مطلقا لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستأنف مسوق لتقرير ما في قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فانه من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عليه السلام من لدنه تعالى كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا عزيزا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو دون الفاء اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما او يؤتى ويأباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم عن العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم عليم ونعما قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اي

النبوة

النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحداء يقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا ولا تجبرا بل تمهيدا لما اراده منهم من حسن الطاعة والانقياد له في اوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضي الله عنه كل ما يهم من امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا يخفى على احد او ان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رتب على كلام ذلك دعوة الناس الى الغزو فان اخبارهم بايتاء كل شيء من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك ينبئ عنه قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير فهم يوزعون اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك لكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود حتى اذا اتوا على وادي النمل حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا الآية وهي هاهنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ ووادي النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل او بالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق او لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ يخافهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها وصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل ومرادها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجري مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث

قيل • يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم • مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم
كالرجل وتسكين الميم بتخفيفه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما ذكر فسمع سليمان
عليه السلام كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى • لا يحطمنكم سليمان وجنوده • نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر
في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له
ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى
• وهم لا يشعرون • حال من فاعل يحطمنكم مقيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا ارادت بذلك الايذان
بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استيناف اي فهم سليمان والقوم متعجبون
بذلك • فتبسم ضاحكا من قولها • تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب
التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعد منها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى من ادراك همسها وفهم مرادها
روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن • وقال رب اوزعني
ان اشكر نعمتك • اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح ياء اوزعني
• التي انعمت علي وعلى والدي • ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر • وان اعمل صالحا ترضاه • اتماما للشكر
واستدامة للنعمة • وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين • في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين • وتفقد الطير • اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد
فيما بينها • فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين • كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عن ذلك
فاخذ يقول اهو غائب • لاعذبنه عذابا شديدا • قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين
الفه • او لاذبحنه • ليعتبر به ابناء جنسه • او ليأتيني بسلطان مبين • بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم
الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولهما مفتوحة مشددة او مكسورة على ان عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان
يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى
صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناقنه
وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان
حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك
بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى • فمكث غير بعيد •
اي زمانا غير بعيد وقرئ بضم الكاف فذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف
الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله
وقال بحق الله الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى
قال او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ برأسه فمده اليه
فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله • فقال احطت بما لم تحط به • اي علما ومعرفة
وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا اختصار في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من جنس
العلوم ودقائق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون
انباؤها النفس بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه السلام جناية عن جناية فيحتاج الى الاعتذار
عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام بخلافه عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء
له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له
في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف
ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه
عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله

وكان الهدهد يرى الماء من تحت الارض

وجئتك

وجئتك من سبا بنبإ يقين • حيث فتر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء
به بالنبإ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه ثم انه اصدره عليه السلام مع ما حكي عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى
ينبئ بالحكمة الآلهية بتنبيهه عليه السلام على تركه وسبا منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها
وبين صنعاء مسيرة ثلث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان
عليه السلام على بناءهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه ثبتة وان استحالة تقلوا فعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان
المسافة بين محطه عليه السلام وبين مارب وان كانت قصيرة ولكن مدة ما بين نزوله عليه السلام هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة ثم اختصاص الهدهد
بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة يستاثر بها علام الغيوب في قوله تعالى • اني وجدت امرأة تملكهم • استيناف لبيان
ما جاء به من النبإ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك
من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت
لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كانها طلبته وضالته على ان
وضمير تملكهم لسبا على انه اسم الحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها • واوتيت من كل شيء • اي من الاشياء التي يحتاج اليها
الملوك • ولها عرش عظيم • قيل كان ثلثين ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت
قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده
من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوصفه
بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها
حيث قال • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله • اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى • وزين لهم
الشيطان اعمالهم • التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي • فصدهم • بسبب ذلك • عن السبيل • اي سبيل الحق
والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقديم طريق كفرهم وضلالهم من ضرورة تنحية طريق الحق الى العوج • فهم • بسبب ذلك
لا يهتدون • اليه • وقوله تعالى • الا يسجدوا لله • مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا له
تعالى او زين لهم اعمالهم لان لا يسجدوا او بدل على حاله من اعمالهم وما بينهما اعتراض اي زين لهم ان لا يسجدوا وقيل هو في موضع المفعول
ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا له تعالى وقرئ الا يا اسجدوا
على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله تعالى الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون
استينافا من جهة الله عز وجل او من سليمان عليه السلام ويوقف على لا يهتدون ويكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان
فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب • الذي يخرج الخبء في السموات
والارض • اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين
سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة
على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله • ويعلم ما تخفون وما تعلنون • على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا
كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم او للتنبيه
على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون في صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب
واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى
الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف
وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون • الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم • الذي هو اول الاجرام واعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد من قوله الذي
يخرج الخبء الى ههنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو

صفة العرش

عليه والطعام لغتيانه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام إلى غزوها وتسخير ولايتها • قال
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال • سننظر • أي فيما أخبرت
من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي سنتعرف بالتجربة البتة • أصدقت أم كنت من الكاذبين • كان مقتضى الظاهر أم كذبت
وإيثار ما عليه النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه
الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشأن
لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك • وقوله تعالى • اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم • استئناف مبين لكيفية النظر
وعدة وعد قاله عليه السلام بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء
الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى لها عذر أصلا • ثم تول عنهم • أي تنح
إلى مكان تتوارى فيه • فانظر • أي تأمل وتعرف • ماذا يرجعون • أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول وجمع الضمائر لما أن
مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام • قالت • أي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وإنما طوي
ذكره إيذانا بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة وإشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي أنه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك
وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت
رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف
ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم
ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها • يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم • وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو
لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما أو لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير معتاد • إنه من سليمان • استئناف وقع جوابا عن سؤال
مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت إنه من سليمان • وإنه • أي مضمونه أو المكتوب فيه • بسم الله الرحمن الرحيم • وفيه إشارة
إلى سبب وصفها إياه بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على
بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة • ألا تعلوا علي • أن مفسرة وقيل مصدرية أي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة
الملوك وقيل صلة للفعل ولا ناهية ومحلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر مبتدأ مضمر يليق بالمقام أي مضمونه ألا تعلوا أو النصب بإسقاط
الخافض أي بأن لا تعلوا علي وقرئ ألا تغلوا بالغين المعجمة أي لا تتجاوزوا حدكم • وأتوني مسلمين • أي مؤمنين وقيل منقادين والأول
هو الأليق بشأن النبي عليه السلام على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتما روي أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام
على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد
فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة • قالت • كررت حكاية قولها للإيذان
بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها • يا أيها الملأ أفتوني في أمري • أي أجيبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت
عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للأمر ورفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات
الملمة وقولها • ما كنت قاطعة أمرا • أي من الأمور المتعلقة بالمملكة • حتى تشهدون • أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف
لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في
جوابها فقيل قالوا • نحن أولوا قوة • في الأجساد والآلات والعدد • وأولوا بأس شديد • أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب
• والأمر إليك • أي هو موكول إليك • فانظري ماذا تأمرين • ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك وإن رأيت
ونحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وإليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل إلى
الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة من شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى • قالت إن الملوك
• إذا دخلوا قرية • من القرى على منهاج المقاتلة والحراب • أفسدوها • بتخريب عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال • وجعلوا أعزة
• أهلها أذلة • بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال • وكذلك يفعلون • تأكيد لما وصفت
من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بأن ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى

ختم كتابه وطبعه بالمسك

ولوجئنا

ولو جئنا بمثله مددا إثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي • وإني مرسلة إليهم بهدية • تقرير لرأيها بعدما زيفت رأيهم وأتت
بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أي إني مرسلة
إليهم رسلا بهدية عظيمة • فناظرة بم يرجع المرسلون • حتى أعمل بما يقتضيه الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري
وحليهن الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية
على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا
لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول
الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها على يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد
الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ
والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم
ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم إن فيه كذا
وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة
فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب
به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى • فلما جاء سليمان • أي الرسول • قال • أي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر
على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرئ فلما جاؤوا والأول أولى لما فيه من تشديد الإنكار والتوبيخ وتعميمهما لبلقيس وقومها
ويؤيده الإفراد في قوله تعالى ارجع إليهم • أتمدونن بمال • وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ
لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى • فما آتاني الله • أي من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه • خير مما آتاكم
أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للإنكار ولعله عليه السلام إنما قال لهم هذه المقالة
إلى آخرها بعدما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه السلام خاطبهم بها أول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء
وقرئ أتمدونني بالإظهار وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء • بل أنتم بهديتكم تفرحون • إضراب عما ذكر من إنكار
الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق
والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه على أن إمداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعده مع أنه
لا قدر له عنده عليه السلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به أدخل وقيل المضاف إليه المهدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون
حبا لزيادة المال لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا • ارجع • أفرد الضمير بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع
بالرسول وعموم الإمداد ونحوه للكل أي ارجع أيها الرسول • إليهم • أي إلى بلقيس وقومها • فلنأتينهم • أي فوالله لنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها • أي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم • ولنخرجنهم • عطف على جواب القسم
منها • من سبأ • أذلة • أي حال كونهم أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى
• وهم صاغرون • أي أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجلاء وعدم وقوع جواب
القسم لأنه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فليأتوا مسلمين وإلا فلنأتينهم الآية
• قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها • قاله عليه السلام لما دنت بلقيس إليه كما يروى أنه لما رجعت رسلها إليها بما حكي من قول سليمان
عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر
ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف وقد روي أنها
أمرت فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله
أوحي إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده مع إطلاعها

هدية بلقيس

على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الإتيان به بقوله تعالى قبل أن يأتوني مسلمين
لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات
في حال كفرها وقيل لأنها إذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها قال عفريت أي مارد خبيث من الجن بيان له إذ يقال
للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا أنا آتيك به أي بعرشها قبل أن تقوم من مقامك أي مجلسك
للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وآتيك إما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الأنسب لمقام ادعاء الإتيان به لا محالة وأوفق لما عطف عليه
من الجملة الاسمية أي آت به في تلك المدة البتة وإني عليه أي على الإتيان به لقوي لا يثقل علي حمله أمين لا أختزل منه شيئا
ولا أبدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما قبله للإيذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتي قدرتيهما على الإتيان به من كمال
التباين أو لإسقاط الأول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا
سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان عليه السلام نفسه وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب جنس
المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك
الطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد وتمام
بين هذا الوعد وإنجازه بمدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوي عند الحكاية ذكر الإتيان به للإيذان بأنه أمر متحقق غني عن البيان
وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فعلا كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق فكأنه قيل
بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما رآه مستقرا عنده أي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل فلما رآه [illegible] للدلالة على كمال
ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الإخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام إياه واستغنائه أيضا عن التصريح به إذ التقدير فأتاه
به فرآه فلما رآه إلخ فحذف ما حذف لما ذكر وللإيذان بكمال سرعة الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام إياه شيء ما أصلا
وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده تأكيد لهذا المعنى لإيهامه أنه لم يتوسط بينهما ابتداء الإتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من
الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال أي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى
عليهم السلام وخلص عباده هذا أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة أو التمكن من إحضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل من فضل
ربي أي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي ليبلوني أأشكر بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه
أم أكفر بأن أجد لنفسي مدخلا في البين أو أقصر في إقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد ومن شكر فإنما يشكر لنفسه
لأنه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص من وصمة الكفران ومن كفر أي لم يشكر فإن ربي
غني عن شكره كريم بترك تعجيل العقوبة والإنعام مع عدم الشكر أيضا قال أي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي
سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثاني أمر لخدمه
نكروا لها عرشها أي غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على أنه جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي إلى معرفته
أو إلى الجواب اللائق بالمقام وقيل إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها تقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته
مغلقة الأبواب موكلة عليه الحرس والحجاب ويأباه تعليق النظر المعلق بالاهتداء بالتنكير فإن ذلك مما لا دخل فيه للتنكير أم تكون
أي بالنسبة إلى علمنا من الذين لا يهتدون أي إلى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فإن كونها في نفس الأمر منهم وإن
كان أمرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه إنما يحدث عند ظهور أمرها بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها عليه السلام
أي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة أهكذا عرشك
ولم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال والاشتباه حتى يتبين حالها
وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كأنه هو فأبانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا
بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه السلام وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه السلام أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك
قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال

رزانة

ای: بالفاظ الفصیحة

رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته
من الإسلام إلى الآن أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى إنها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة
للصد أي إنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت ملكة
سليمان عليه السلام وقرئ إنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم إلى قوله
من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لإسلامها فقالوا استحسانا لشأنها أصابت في الجواب
وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت
الإسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أي وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل
على دين الإسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله تعالى والإسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى الإسلام عبادة الشمس
ونشؤها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي أن سليمان عليه السلام
أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في
صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزيد في استعظامها لأمره وتحققها لنبوته وثباتها على الدين وزعموا أن
الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يتولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجوا
من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش
واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فلما رأته وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الأمر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبرا حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها وشمرت لئلا تبتل أذيالها فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما خلا أنها شعراء وقيل هي السبب في اتخاذ النورة
أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام
وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى المصانع [illegible] وعلى الجمع
سوق وأسؤق قال إنه أي ما توهمته ماء صرح ممرد أي مملس من
قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة أيضا رب إني ظلمت نفسي بما كنت عليه إلى الآن من عبادة الشمس
وقيل بظني بسليمان حيث ظننت أنه يريد إغراقي في اللجة وهو بعيد وأسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى
لله رب العالمين من الالتفات إلى الاسم الجليل ووصفه بربوبيته للعالمين لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة
وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد أرسلنا عطف على قوله تعالى ولقد آتينا
داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير أنه عليه السلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فإن هذه القصة من جملة القرآن الكريم الذي
لقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا وأن في قوله تعالى أن اعبدوا الله مفسرة
لما في الإرسال من معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون إتباعا لها للباء فإذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق
والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال أي للفريق الكافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو
والعناد حتى بلغوا من المكابرة إلى أن قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين يا قوم لم تستعجلون بالسيئة
أي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة أي التوبة فتؤخرونها إلى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون إن وقع إيعاده
تبنا وإلا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها لعلكم ترحمون بقبولها إذ لا إمكان
للقبول عند النزول قالوا اطيرنا أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه
فإن مر سانحا تيمنوا وإن مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من
عمل العبد أي تشاءمنا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا ولم تزل فيهم الفتن وافتراق
الكلمة منذ اخترعتم دينكم قال طائركم أي سببكم الذي ينشأ منه ما ينالكم من الشر عند الله وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله
تعالى بل أنتم قوم تفتنون أي تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته إليكم الطيرة إضراب من
بيان طائركم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط أي أشخاص وبهذا

الاعتبار وقع تمييز التسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة
واسماؤهم حسبما نقل عن وهب [illegible]
[illegible]
يفسدون في الارض • [illegible]
من الصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء • قالوا • استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اي قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة في امر صالح
وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام • تقاسموا بالله • امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله
باضمار قد وقوله تعالى • لنبيتنه واهله • اي لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على الغيبة وثم
التاء على ان تقاسموا فعل ماض • ثم لنقولن لوليه • اي لولي صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله • ما شهدنا مهلك اهله • اي ما حضرنا
هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا • وانا لصادقون • من تمام القول
او حال اي نقول ما نقول والحال انا لصادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم
جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين • ومكروا مكرا • بهذه المواضعة • ومكرنا مكرا • اي اهلكناهم اهلاكا غير معهود • وهم لا يشعرون
او جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون • فانظر كيف كان عاقبة مكرهم • شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر
ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى • انا دمرناهم • اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي
وكيف حال اي فانظر كيف حصل اي على اي وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الابهام اي هي تدميرنا
اياهم • وقومهم • الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت • اجمعين • بحيث لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية
عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اي لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ
ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه
فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم
فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى
كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملأ دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة

حكاية صالح عليه السلام

ولا يرون راميا • فتلك بيوتهم • جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى • خاوية • اي خالية او ساقطة متهدمة • بما ظلموا • اي بسبب ظلمهم
المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف • ان في ذلك • اي فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم
لاية • لعبرة عظيمة • لقوم يعلمون • اي من شأنهم ان يعلموا من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم • وانجينا الذين امنوا • صالحا و
من معه من المؤمنين • وكانوا يتقون • اي الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة • ولوطا • منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في
صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اي وارسلنا لوطا وقوله تعالى • اذ قال لقومه • ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال
وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والافعال والاحوال وقيل منصوب باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين امنوا اي وانجينا لوطا
وهو بعيد • اتاتون الفاحشة • اي الفعلة المتناهية في القبح والسماجة وقوله تعالى • وانتم تبصرون • جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة
لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اي تعلمونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا
بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها • ائنكم لتأتون الرجال شهوة • تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما اتوا
من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول
بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان • من دون النساء • متجاوزين النساء اللاتي هن محال
الشهوة • بل انتم قوم تجهلون • تفعلون فعل الجاهلين بقبحها او تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اي بل انتم قوم سفهاء ماجنون
والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في حيز الخطاب • فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب
هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهي لا انه لم يصدر عنهم كلام اخر غيره • وامطرنا عليهم مطرا

غير معهود

غير معهود • فساء مطر المنذرين • [illegible] • قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قصص الانبياء عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه [illegible]
[illegible]
الآخرة ولا الآخرة وقرئ تشركون بالتاء الفوقانية بطريق الالتفات وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبني
على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على انه
حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه وام في قوله تعالى
ام من خلق السموات والارض • منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا
على وجه اظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام لنظائر الآتية والهمزة لتقريرهم
اي حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المكونات
وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من احسن تلك المخلوقات وادونها بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدأ خبره محذوف
مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق في الاستفهام الاول خلا ان تشركون هنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وكذا في المواضع الاربعة
الآتية والمعنى بل امن خلق قطري العالم الجسماني ومبدأ منافع ما بينهما • وانزل لكم • التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى
لتشديد التبكيت والالزام اي وانزل لاجلكم ومنفعتكم • من السماء ماء • اي نوعا منه هو المطر • فانبتنا به حدائق • اي بساتين
محدقة ومحاطة بالحوائط • ذات بهجة • اي ذات حسن ورونق يبتهج به النظار • ما كان لكم • اي ما صح وما امكن لكم • ان تنبتوا شجرها
فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خبرام ما تشركون وتقديم صلتي الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات
الى نون العظمة لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم
والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييده بقوله
ما كان لكم الخ سواء كانت صفة لها او حالا وتوحيد وصفها الاول اعني ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قوله
[illegible] وكذا الحال في ضمير شجرها • ءاله مع الله • اي االه اخر كائن مع الله الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر
عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركونه به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة
البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد
يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية
وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله اخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم
لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل بالتمهيد لما بعده كانهم في العبادة ما يعترفون بعدم
مشاركته تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل االه اخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له تعالى في العبادة وقيل المعنى
اغيره يقرن به ويجعل شريكا له في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في
الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من اله والا وفق بتحقيق المقام لافادته نفي وجود اله اخر معه تعالى
رأسا لا نفي معيته في الخلق وغيره فقط وقرئ ءالها بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ االها باضمار فعل يناسب

المقام مثل اتدعون واتشركون • بل هم قوم يعدلون • اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم
اى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول
عن الحق الواضح الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة
ام من جعل الارض قرارا • قيل هو بدل من ام من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة
منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل فى الالزام بجهة من الجهات اى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان
والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم • وجعل خلالها • اوساطها • انهارا • جارية ينتفعون بها
وجعل لها رواسى • اى جبالا ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع فى حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا
يحصى • وجعل بين البحرين • اى العذب والمالح او خليجى فارس والروم • حاجزا • برزخا مانعا من الممازجة وقد مر فى سورة الفرقان
والجعل فى المواقع الثلثة الاخيرة ابداعى وما بعده منصوبة على الظرف لما مر مرارا من التشويق • أاله مع الله • فى الوجود او فى ابداع هذه البدائع
على ما مر • بل اكثرهم لا يعلمون • اى شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره • ام من يجيب
المضطر اذا دعاه • وهو الذى احوجته شدة من الشدائد والجأته الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى
هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو المجهود وعن السدى رحمه الله من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس
لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر • ويكشف السوء • وهو الذى يعترى الانسان مما يسوءه • ويجعلكم خلفاء الارض • اى خلفاء فيها
بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط • أاله مع الله • الذى يفيض على كافة الانام
هذه النعم الجسام • قليلا ما تذكرون • اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التى اريد بها العدم او ما يجرى
مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى وفى تذييل الكلام بنفى التذكر منهم ايذان بان مضمونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبى وانه من الوضوح بحيث
لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام • ام من يهديكم فى ظلمات البر
والبحر • اى فى ظلمات الليالى فيهما على ان الاضافة للملابسة او فى مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها • ومن يرسل الرياح
بشرا بين يدى رحمته • وهى المطر ولعل اكثر ما تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها
وتموجها المهواء ولا ريب فى ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا
أاله مع الله • نفى لان يكون معه اله آخر وقوله تعالى • تعالى الله عما يشركون • تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار
للاشعار بعلة الحكم اى تعالى وتنزه بذاته المتفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات
مقهورا تحت قدرته عما يشركون اى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا اطلاقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا
له تعالى او عن اشراكهم • ام من يبدأ الخلق ثم يعيده • اى بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث • ومن يرزقكم من السماء والارض
اى باسباب سماوية وارضية قدر ترتيبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى عليها بنى امر التكوين خير ام ما تشركونه فى العبادة من جماد لا يقدر
قدرته على شىء ما اصلا • أاله • آخر موجود • مع الله • حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقوله تعالى • قل هاتوا برهانكم • امر له
عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اى هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على انه تعالى يقدر على شىء مما ذكر من الافاعيل
كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها فى الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا
وجه له وفى اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهانا وانى لهم ذلك • ان كنتم صادقين • فى تلك الدعوى
قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله • لما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة
عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة
التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما يعلمهم من يعلم
الغيب او متصل على ان المراد بمن فى السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولاولى
العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة • وما يشعرون ايان يبعثون • اى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لابد لهم منه ومن اهم
الامور عندهم وايان مركبة من اى وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بذكر

وقرئ تتذكرون

بسبب من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعضهم
بل ادارك علمهم فى الآخرة • لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ فى تأكيده وتقريره بان
اضرب عنه وبين انهم فى جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسبابه وموجباته على ان معنى
ادارك علمهم فى الآخرة تدارك وتتابع علمهم فى شأن الآخرة التى ذكر من البعث حالا من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشىء مما سيكون
فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل
العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم
علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم فى ذلك حيث قيل • بل هم فى شك منها • اى فى شك مريب من نفس الآخرة وتحققها
كمن تحير فى امر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التى ستقع فيها ثم اضرب وانتقل عن بيان ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع
من الشك حيث قيل • بل هم منها عمون • بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك علمهم
بمعنى انتهى وفنى وقد فسره الحسن البصرى باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناهما الظاهر اى تكامل واستحكم او تم اسباب
علمهم بان القيمة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من معرفته فضل تمكن وهم جاهلون فى ذلك وقوله تعالى
بل هم فى شك منها اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون اضراب من وصفهم
بالشك الى وصفهم بما هو اشد منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم
على جهلهم ح ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضراب ان
على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابى فابدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك
وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل ادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام
وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك فهذه ثنتى عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او
مضمن من بل وبلى ادرك هو انكار ونفى وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على وجه التهكم الذى هو ابلغ وجوه النفى
والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى النفى ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم
وقال الذين كفروا • بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز صلته وللاشعار
بعلة حكمهم الباطل فى قولهم • أئذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون • اى أنخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون وساغ لان يكون
هو العامل فيه او الاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لمنع فكيف بالمنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط
فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا
عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير الهمزة فى ائنا للمبالغة والتشديد فى الانكار وتحلية الجملة بان واللام
لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى قوله تعالى افلا تعقلون نظائره على رأى
الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا لمخرجون على الخبر
لقد وعدنا هذا • اى الاخراج • نحن وآباؤنا من قبل • اى من قبل وعد محمد وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر
وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى • ان هذا الا اساطير
الاولين • تقرير اثر تقرير • قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين • بسبب تكذيبهم للرسل فيما دعوهم اليه من
الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذى تنكرونه فان فى مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولى الابصار وفى التعبير عن المكذبين بالمجرمين
لطف بالمؤمنين فى ترك الجرائم • ولا تحزن عليهم • لاصرارهم على الكفر والتكذيب • ولا تكن فى ضيق • فى حرج صدر • مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو ايضا مصدر ويجوز ان يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اى لا تكن
فى امر ضيق • ويقولون متى هذا الوعد • اى العذاب العاجل الموعود • ان كنتم صادقين • فى اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين
فى الاخبار بذلك • قل عسى ان يكون ردف لكم • اى تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهى لغة فيه • بعض الذى تستعجلون • وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل

وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك
يجري وعد الله تعالى ووعيده واثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم لكونه ادل على تحقق الوعد ❊ وان ربك لذو فضل على الناس
اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على ما يركبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ❊ ولكن
اكثرهم لا يشكرون ❊ لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء ❊ وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم
اي تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته ❊ وما يعلنون ❊ من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب
وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى او لا يعلمون
ان الله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ❊ وما من غائبة في السماء والارض ❊ اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في
الرواية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية ❊ الا في كتاب مبين ❊ اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل
هو القضاء والعدل بطريق الاستعارة ❊ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون ❊ من جملته ما اختلفوا في شأن
المسيح وتحزبوا فيه احزابا ورموا من الطعن والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد في اشياء حتى بلغ المناقشة الى حيث
لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف ❊ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ❊ على الاطلاق فيدخل فيهم
من آمن من بني اسرائيل دخولا اوليا ❊ ان ربك يقضي بينهم ❊ اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه
❊ وهو العزيز ❊ فلا يرد حكمه وقضاؤه ❊ العليم ❊ بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى ❊ فتوكل على الله ❊
لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هو شأنه فانه موجب على كل احد
ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى ❊ انك على الحق المبين ❊ تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه ﷺ على الحق البين او الفاصل
بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه ﷺ كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى ❊ انك لا تسمع
الموتى ❊ تعليل آخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه
من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته ﷺ على احد الوجهين اعني كونه ﷺ على الحق ومن جهته تعالى
على الوجه الآخر اعني اعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم
كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا
بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى
فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها والا فبعد تشبيه انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ❊ ولا تسمع الصم
الدعاء ❊ اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى ❊ اذا ولوا مدبرين ❊ لتكميل التشبيه وتأكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء
الى الحق معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه
بعيدا منه وقرئ لا يسمع الصم الدعاء ❊ وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ❊ هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى فانك لا تهدي
من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية
للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ❊ ان تسمع ❊ اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا ❊ الا من يؤمن بآياتنا ❊ اي الا من من شأنهم
الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الخ لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات
التنزيلية ❊ فهم مسلمون ❊ تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله
❊ واذا وقع القول عليهم ❊ بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من
الآيات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك بالوقوع للايذان بشدة وقعها وتأثيرها
واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق القول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى
اتى امر الله اي اذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه ❊ اخرجنا لهم دابة من الارض ❊ وهي الجساسة وفي تعبيرها
عنها باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث

ان طولها

ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان
وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب
كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وروي عن علي
رضي الله عنه انه ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا تخرج الا رأسها ورأسها
يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رحمه الله لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة
ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم
المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا
فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج
من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المؤمن
في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتنتشر حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة
حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب جياد
مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك
قوله تعالى ❊ تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ❊ اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها او
بجميع آياته التي من جملتها تلك الآية وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان
الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل
وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل خيل الملك والبلاد بلاده وقيل هناك مضاف محذوف
اي بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد
[illegible] وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول واجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف
مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها او تكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا
والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركو مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون
وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده
❊ ويوم نحشر من كل امة فوجا ❊ بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي ﷺ
والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبياء عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن
تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى ❊ ممن يكذب بآياتنا ❊ بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها ❊ فهم يوزعون ❊
اي يحبس اولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم
الى النار ❊ حتى اذا جاءوا ❊ الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب ❊ قال ❊ اي الله تعالى عز وجل موبخا لهم على التكذيب
والالتفات لتربية المهابة ❊ اكذبتم بآياتي ❊ الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ❊ ولم تحيطوا بها علما ❊ جملة حالية مفيدة لزيادة
شناعة التكذيب وغاية قبحه مؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي الى العلم بكنهها وانها حقيقة
بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالآيات فيما سلف في الموضعين هي الآيات القرآنية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق
التي لم تحيطوا بها علما مع وجوب ان تتأملوا وتتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم من التكذيب وعدم
التدبر فيها ❊ اماذا كنتم تعملون ❊ اي ام اي شيء كنتم تعملون بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك

كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والتعاصي مع أنهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى
ووقع القول عليهم اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بآيات الله
فهم لا ينطقون لانقطاع عذرهم بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم. ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي ألم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه
من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار. والنهار مبصرا اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل
الابصار الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تأثير ظلام
الليل في السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار في الابصار. ان في ذلك اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار
ببعد درجته في الفضل. لآيات اي عظيمة كثيرة. لقوم يؤمنون. واما على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا
وان من تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة يحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا علمه
عز وعلا وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت
بالانتباه الذي هو مثل الحياة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بأنه تعالى قد جعل هذا أنموذجا له
ودليلا يستدل به على تحققه وان الآيات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى
ويوم ينفخ في الصور اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه واما منصوب بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره
الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات
والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام
ينظرون والذي يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في
الارض ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضروري
الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند
ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء
حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في قصة البقرة. الا من شاء الله
اي ان ... وكل اي كل واحد من المبعوثين عند النفخة. أتوه حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة
والحساب. وقرئ أتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ أتوه اي حاضروه. داخرين اي صاغرين وقرئ
دخرين وقوله تعالى. وترى الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا. تحسبها جامدة اي ثابتة في اماكنها اما بدل منه
او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى. وهي تمر مر السحاب حال من ضمير الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها رأي العين
ساكنة والحال انها تمر في الجو مر السحاب الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها
وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في
تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل
الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت
عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي
نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في
تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على
تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت

لغاية

لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الخ فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من
الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله
وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة
واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة
الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما سيق من
الآيات سباقا وسياقا من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون. صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع ذلك صنعا على انه عبارة
عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق
اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية او يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى
المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما
يعرب عنه قوله تعالى. الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى. انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر
صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والقبح
وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك ان وعد الله
حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى. من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب
اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه
وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة. وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات
من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات
وهو في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة
خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت. يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور. آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا
يلحقهم ضرر اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في
ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه
كما في قوله تعالى أفأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع
الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه. ومن جاء بالسيئة قيل هي
الشرك. فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك. انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة الذي حرمها امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها
لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى والاستغراق في مراقبته
غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم
انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة
هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم
مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف
ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها
وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا
فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى. وله كل شيء اي خلقا وملكا
وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم
الربوبية لجميع الموجودات. وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من الثابتين على ملة الاسلام

حكاية الصور

والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله • وان اتلو القرآن • اي اواظب على
تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها
على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى يعني قوله تعالى • فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه • حينئذ فمن
اهتدى بالايمان والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة
القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي • ومن ضل • بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر • فقل • في حقه
• انما انا من المنذرين • وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلالة شيء وانما هو عليه فقط • وقل الحمد لله • على ما افاض
علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى
بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى • سيريكم آياته • من جملة الكلام المأمور به اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة
التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى • فتعرفونها • اي فتعرفون انها آيات الله
تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى • وما ربك بغافل عما تعملون
كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص
الخطاب اولا به عم وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا
منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فيعذبهم البتة فلا يحسبوا ان تأخير عذابهم
لغفلته تعالى عن اعمالهم عن النبي عم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح وابرهيم وشعيب عليهم
الصلوة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله صدق رسول الله وصدق حبيب الله فيما قال

سورة القصص ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

• طسم تلك آيات الكتاب المبين • قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه • نتلو عليك • اي نقرأ
بواسطة جبريل عم ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل • من نبأ موسى وفرعون • مفعول نتلو اي بعض نبئهما • بالحق • متعلق
بمحذوف وهو حال من فاعل نتلو او من مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة بالحق
• لقوم يؤمنون • متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به • ان فرعون علا في الارض
استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود
المعهودة في الظلم والعدوان • وجعل اهلها شيعا • اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في
طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويتخذ فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله
ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم • يستضعف طائفة منهم • وهم بنو اسرائيل والجملة
اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى • يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم • بدل منها وكان ذلك لما ان
كاهنا قال له يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه
• انه كان من المفسدين • اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء
عليهم السلام • ونريد ان نمن • اي نتفضل • على الذين استضعفوا في الارض • على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة
المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف
بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد
له لجواز ان تتعلق الارادة بتعلق الاستقبال على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن
له ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها • ونجعلهم ائمة • يقتدى بهم في امور الدين
بعد ان كانوا اتباعا مسخرين لآخرين • ونجعلهم الوارثين • لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم
كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل

مابعده

مابعده مع كونه من روادفه وتوابعه قوله تعالى • ونمكن لهم في الارض • اي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤن
واصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه • ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم • اي من اولئك المستضعفين
ما كانوا يحذرون • ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية
• واوحينا الى ام موسى • بالهام او رؤيا • ان ارضعيه • ما امكنك اخفاؤه • فاذا خفت عليه • بان يحس به الجيران
عند بكائه وينموا عليه • فالقيه في اليم • في البحر وهو النيل • ولا تخافي • عليه ضيعة بالغرق ولا شدة • ولا تحزني انا رادوه
اليك • من قريب بحيث تأمنين عليه • وجاعلوه من المرسلين • والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية
وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات
من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لام موسى عم فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض
هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت
لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع
لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى
النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في
تابوت بردي مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى • فالتقطه آل فرعون • فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها
من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت
حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ
بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من
قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ
فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد
الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه
السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال
فرعون ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت
نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هو بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه [illegible] فالقى الله تعالى
محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت [illegible] فقالت الغواة من قوم
فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه [illegible]
• ليكون لهم عدوا وحزنا • [illegible]
[illegible] • ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين • [illegible]
[illegible]
[illegible] • وقالت امرأة فرعون •
[illegible]

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أي
خلاء لا عقول فيها ويعضده أنه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعده سبحانه
أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه إن كادت لتبدي به أي إنها كادت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة
أو الفرح لتبنيه لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين أي المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني
فرعون وتعطفه وقرئ موسى إجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همزة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف
لدلالة ما قبله عليه وقالت لأخته مريم قصيه اتبعي أثره فبصرت به أي أبصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون
وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته والتعبير عنها بأخته دون أن يقال ابنتها لتصريح
بمقدار المحبة الموجبة للامتثال بالأمر وحرمنا عليه المراضع أي منعناه أن يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع
أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه أعني الثدي من قبل أي من قبل قصها أثره فقالت عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء
فرعون بأمره وطلبهم من يرضعه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم أي لأجلكم
وهم له ناصحون لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعه منها قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت
إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه إليها فلما وجد ريحها
استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فقرره في
يدها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه إلى أمه كي تقر عينها بوصول ولدها إليها ولا تحزن
بفراقه ولتعلم أن وعد الله حق أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه ولكن
أكثرهم لا يعلمون أن الأمر كذلك فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه
في يد فرعون ولما بلغ أشده أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ وروي أنه لم يبعث
نبي إلا على رأس الأربعين واستوى أي اعتدل قده أو عقله آتيناه حكما أي نبوة وعلما بالدين أو علم الحكماء والعلماء
وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لأنه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل
ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه نجزي المحسنين على إحسانهم ودخل المدينة أي مصر آتيا من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين
شمس من نواحيها على حين غفلة من أهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته أي ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل وهذا من عدوه أي من مخالفيه دينا وهم
القبط والإشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته أي سأله أن يغيثه بالإعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه
على الذي من عدوه فوكزه موسى أي فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه أي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله وأصله أنهى حياته
من قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر قال هذا من عمل الشيطان لأنه لم يكن مأمورا بقتل الكفار أو لأنه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط
منهم ولو كان من محقرات الصغائر إنه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والإضلال قال توسيطه بين كلاميه عليه السلام لإبانة ما بينهما
من المخالفة من حيث إنه ما جاء بعد وعاد بحالته الأولى رب إني ظلمت نفسي أي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له لذلك
إنه هو الغفور الرحيم أي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما أنعمت علي إما قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك
علي بالمغفرة لأتوبن فلن أكون بعد هذا أبدا ظهيرا للمجرمين وإما استعطاف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معينا لمن يؤدي
معاونته إلى الجرم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى وهذا يؤيد الأول وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة
أعين أولياءك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك فأصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة أو الأخبار فإذا الذي
استنصره بالأمس يستصرخه أي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى إنك لغوي مبين أي بين الغواية لتسببك لقتل
رجل وتقاتل آخر فلما أن أراد موسى أن يبطش بالذي هو عدو لهما أي لموسى والإسرائيلي إذ لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا
أعداء بني إسرائيل على الإطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال أي الإسرائيلي ظانا أنه يبطش به لما سمع منه تسميته إياه غويا يا موسى

فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها

أتريد

يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس قالوا لما سمع القبطي قول الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق
إلى فرعون فأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي إن تريد أي ما تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض
وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى وما تريد أن تكون من المصلحين
بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من أقصى المدينة أي كائن من آخرها أو جاء من آخرها يسعى أي يسرع صفة لرجل أو حال منه
على أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فإن تخصيصه يلحقه بالمعارف وقيل هو مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل
شمعان قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك أي يتشاورون بسببك فإن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر
فاخرج أي من المدينة إني لك من الناصحين اللام للبيان لما أن معمول الصلة لا يتقدم عليها فخرج منها أي من المدينة
خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء
مدين أي نحو مدين وهو قرية شعيب ثم سميت باسم مدين بن إبراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر
مسيرة ثمانية أيام قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له
ثلاث طرق فأخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الأخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل
جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق إلى مدين ولما ورد ماء مدين أي وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه
أي فوق شفيرها أمة جماعة كثيرة من الناس يسقون أي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع أسفل منهم امرأتين
تذودان أي تمنعان أغنامهما عن التقدم إلى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة في التقدم قال أي موسى
لهما رأفة على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم تباشران السقي كهؤلاء
يسقون قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء أي عادتنا أن لا نسقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا
من مخالطة الرجال لا أنا لا نسقي اليوم إلى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والإصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها
أو هي التي دعت موسى عليه السلام إلى ما صنع في حقهما من المعروف فإنه عليه السلام إنما رحمهما لكونهما على الذياد والعفة ولكونهم على السقي غير مبالين
بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم إبلا مثلا وقرئ لا نسقي من الإسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال
وأما الرعاة فجمع قياسي كصيام وقيام وقوله تعالى وأبونا شيخ كبير إبلاء منهما للعذر إليه عليه السلام في توليهما السقي بأنفسهما كأنهما
قالتا إننا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر
فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا وروي أن الرعاء
كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة
والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فإن الظاهر أنه عليه السلام غب ما شاهد حالهما سارع إلى السقي لهما وقد
روي أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروي أنه عليه السلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم
وقالوا استق بها وكان لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما ثم تولى إلى الظل
إلى ظل سمرة كانت هناك فقال رب إني لما أنزلت إلي أي أي شيء أنزلت إلي من خير قل أو كثر وحمله الأكثرون على الطعام بمعونة المقام
فقير أي محتاج وتضمنه معنى السؤال والطلب جيء باللام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت إلي من خير عظيم هو خير الدارين صرت
فقيرا في الدنيا لأنه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام إظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته إحداهما قيل هي كبراهما واسمها
صفوراء أو صفيراء وقيل صغراهما واسمها صفيرا أي جاءته عقيب رجوعهما إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما
قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء
متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي أي جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناه أنها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير
استحياء للتفخيم وقيل جاءته متخفرة أي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
مجيئها إياه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه السلام فقيل قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا أي جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة إلى أبيها
وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي أنه عليه السلام أجابها فانطلقا وهي أمامه فألزقت

كيفية السقي

قصة شعيب عليه السلام

الريح ثوبها بالجسد ما توصفه فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه القصص ما
عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى انما
اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب ويستظهر برؤيته لا لياخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا ترى الى ما روي ان شعيبا لما قدم
اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع دينا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا مع كل من
ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام
ومثله حقيق بان يضيفه كريم لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم الصلوة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر
والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله انما فعله ليكون ذريعة الى
الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عم يا ابت استاجره
اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل
خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عم قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما
شاهدت منه عم من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي
هاتين على ان تأجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجره كذا اذا اثبته اياه وقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول
على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول
الثاني محذوفا والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة والعمل فمن عندك
اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك هذا من شعيب عرض لرايه على موسى عم واستدعاء منه للعقد لا انشاء و
تحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق
فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في طاقته ويوزع رأيك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء
بالعهد ومراده عم بالاستثناء التبرك وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي
الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا اي لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك
وقوله تعالى ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتك باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير
لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان
في اكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثماني او ايما الاجلين قضيت
فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في الاول
مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره
والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عم تمام ما جرى
بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض
لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عم ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي

قصة عصا

وكانت عنده عصي الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام
فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل عم بعد موت آدم عليه السلام
فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها
غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها
الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عم وعن الحسن رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي عن الشجرة التي منها نودي
شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلاء وان كان بها اكثر
الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله
فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عم دامية فلما ابصرها والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب

مر الغنم

من الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عم بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له اني وهبت لك من نتاج
غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت واحدة الا وضعت
ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي فعقد العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل
وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عم قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود
الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست
نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في راسه نار او لا قال كثير باتت
حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله
من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون فلما اتاها اي النار التي آنسها
نودي من شاطئ الوادي الايمن اي اتاه النداء من شاطئه الايمن بالنسبة الى موسى عم في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي
من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا
لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى
فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها
فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كأنها جان اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا اي منهزما من الخوف
ولم يعقب اي ولم يرجع يا موسى اي قيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون
اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين
تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر هو ان
يكون ذلك في وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال
الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب اي من اجل الرهب اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا
او ضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون
فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره
الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم
برهن وسيجيء في قوله تعالى من ربك متعلق بمحذوف هو صفة لبرهانان اي كائنان منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان ومنتهيان اليهم
انهم كانوا قوما فاسقين جائرين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين
قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا اي معينا وهو في
الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتوضيحها وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقني بالجزم على
انه جواب الامر قال سنشد عضدك باخيك اي سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها
بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اي تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا
متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع اخر اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون اي تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم جوابه
لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون في قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف
لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات اي واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عم منه تعالى والمراد بها العصا واليد
اذ هما اللتان اظهرهما موسى عم اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره في سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي سحر مختلق لم يفعل
قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اي السحر او ادعاء النبوة
في آبائنا الاولين اي واقعا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه وقرئ قال بغير واو
لانه جواب مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار

اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب
واما العقاب فمن نتايج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية • انه لا يفلح الظالمون • اى لا يفوزون بمطلوب
ولا ينجون عن محذور • وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى • قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة وكان من امرهم
ما كان • فاوقد لى يا هامان على الطين • اى اصنع آجرا • فاجعل لى • منه • صرحا • اى قصرا مرتفعا • لعلى اطلع الى اله موسى • كانه توهم انه
لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال • وانى لاظنه من الكاذبين • او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب
فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
والارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا
كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى
هامان باسمه بيا فى وسط الكلام • واستكبر هو وجنوده فى الارض • اى ارض مصر • بغير الحق • بغير استحقاق • وظنوا انهم الينا لا يرجعون
بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام • فاخذناه وجنوده • عقيب ما بلغوا
من الكفر والعتو اقصى الغايات • فنبذناهم فى اليم • قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى
كأنه تعالى اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وبيّنا للناس ليعتبروا بها • وجعلناهم • اى صيرناهم فى عهدهم • ائمة يدعون
الناس • الى النار • الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل ذلك
وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالانسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم
فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك • ويوم القيمة لا ينصرون • بدفع العذاب
عنهم بوجه من الوجوه • واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة • طردا وابعادا عن الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم السلام
والمؤمنون خلفا عن سلف • ويوم القيمة هم من المقبوحين • من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون
وسواد الوجه قال ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق
بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين • ولقد آتينا موسى
الكتاب • اى التوراة • من بعد ما اهلكنا القرون الاولى • هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها
بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدية الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم
المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة
للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التورية على حين حاجة اليها • بصائر للناس • اى انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين
الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر نور العين الذى به
تبصر • وهدى • اى هداية الى الشرائع والاحكام التى هى سبيل الله تعالى • ورحمة • حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب
الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ وقيل على العلة اى آتيناه
الكتاب للبصائر والهدى والرحمة • لعلهم يتذكرون • ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله
تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى • وما كنت بجانب الغربى • شروع فى بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع فى زمان
شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله تعالى ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال
لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اى وما كنت بجانب الجبل الغربى او المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصول واقامة
الصفة مقامه او الجانب الغربى على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع • اذ قضينا الى موسى الامر • اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته
بالوحى وايتاء التورية • وما كنت من الشاهدين • اى من جملة الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من

امر موسى

اول من اتخذ الآجر فرعون

امر موسى فى ميقاته وكتبه التورية له فى الالواح فتخبره للناس • ولكنا انشأنا قرونا • اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان
موسى قرونا كثيرة • فتطاول عليهم العمر • وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال
التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى • وما كنت ثاويا فى اهل مدين • نفى لاحتمال
كون معرفته عليه السلام للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما فى اهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى • تتلو عليهم • اى تقرأ على
اهل مدين بطريق التعلم منهم • آياتنا • الناطقة بالقصة اما حال من المستكن فى ثاويا او خبر ثان لكنت • ولكنا كنا مرسلين • اياك
وموحين اليك تلك الآيات ونظائرها • وما كنت بجانب الطور اذ نادينا • اى وقت ندائنا موسى انى انا الله رب العالمين واستنبائنا
اياه وارسالنا له الى فرعون • ولكن رحمة من ربك • اى ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس
وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلية الرحمة وتشريفه عليه السلام بالاضافة وقد
اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى فى الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على انه المقصود
واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى • لتنذر قوما • متعلق بالفعل المعلل بالرحمة وهو ما ذكرنا من ارساله عليه السلام
بالقرآن حتما لما انه المعلل بالانذار لا تعليما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى • ما اتاهم من نذير من قبلك •
صفة لقوما اى لم يأتهم نذير لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على ان دعوة موسى
وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل • لعلهم يتذكرون • اى يتعظون بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين قضاء الامر والثواء فى اهل
مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه السلام للقصة بطريق الوحى الالهى ولو ذكر اولا نفى ثوائه عليه السلام فى اهل مدين
ثم نفى حضوره عليه السلام عند النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر
كما مر فى قصة البقرة • ولولا ان تصيبهم مصيبة • اى عقوبة • بما قدمت ايديهم • اى بما اقترفوا من الكفر والمعاصى • فيقولوا • عطف على
تصيبهم داخل فى حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر فى حيزها للايذان بانه السبب
الملجئ لهم الى قولهم • ربنا لولا ارسلت الينا رسولا • اى هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات • فنتبع آياتك • الظاهرة
على يديه وهو جواب لولا الثانية • ونكون من المؤمنين • بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند
اصابة عقوبة جناياتهم التى قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية • فلما جاءهم
اى اهل مكة • الحق من عندنا • وهو القرآن المنزل عليه الصلوة والسلام • قالوا • تعنتا واقتراحا • لولا اوتى • يعنونه عليه السلام
مثل ما اوتى موسى • من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كما توهم وقوله تعالى • اولم يكفروا بما اوتى
موسى من قبل • رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا من قبل هذا القول بما اوتى موسى
من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى • قالوا • استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى
سحران • خبر لمبتدأ محذوف اى هما يعنون ما اوتى نبينا محمد وما اوتى موسى عليهما السلام سحران • تظاهرا • اى تعاونا بتصديق كل منهما
الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود فى عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا انا نجده فى التورية بنعته وصفته فلما رجع
الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى • وقالوا انا بكل • اى بكل واحد من الكتابين • كافرون • تصريح بكفرهم
بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم فى الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا
صلى الله عليهما وسلم وهذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى الى قوله تعالى • قل فأتوا بكتاب
من عند الله هو اهدى منهما • مما اوتياه من التورية والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى • اتبعه • جواب للامر
اى ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين من المستحيلات
فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام • ان كنتم صادقين • اى فى انهما سحران مختلقان وفى ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم
بهم • فان لم يستجيبوا لك • اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة
ايذانا بانه عليه السلام على كمال امن من امره كأن امره عليه السلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريدون وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء
بنفسه والى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه • فاعلم انما يتبعون اهواءهم

الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به • ومن اضل ممن اتبع هواه • استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع
هواه • بغير هدى من الله • اي هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى
بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهداية الله تعالى بينة الاستحالة • ان الله لا يهدي القوم
الظالمين • الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين • ولقد وصلنا لهم القول
وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا و
مواعظ ونصائح • لعلهم يتذكرون • فيؤمنون بما فيه • الذين آتيناهم الكتاب من قبله • اي من قبل ايتاء القرآن • هم به يؤمنون • هم مؤمنو اهل
الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام • واذا يتلى • اي القرآن • عليهم قالوا آمنا به انه
الحق من ربنا • اي الحق الذي كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى • انا كنا من قبله • اي من قبل نزوله • مسلمين
بيان لكون ايمانهم وقوله تعالى به امر متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وانهم على دين الاسلام من قبل نزول القرآن • اولئك
الموصوفون بما ذكر من النعوت • يؤتون اجرهم مرتين • مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن • بما صبروا • بصبرهم وثباتهم على الايمانين
او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين • ويدرؤن بالحسنة السيئة • اي يدفعون بالطاعة
المعصية لقوله اتبع الحسنة السيئة تمحها • ومما رزقناهم ينفقون • في سبيل الخير • واذا سمعوا اللغو • من اللاغين • اعرضوا عنه
عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما • وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم • بطريق المتاركة والتوديع • لا
نبتغي الجاهلين • لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم • انك لا تهدي • هداية موصلة الى البغية لا محالة • من احببت • من الناس
ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود • ولكن الله يهدي من يشاء • ان يهديه
فيدخله في الاسلام • وهو اعلم بالمهتدين • بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله عليه السلام
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت
ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني
سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف • وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا • نزلت في الحارث بن عثمان
بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب انما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا
من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى • اولم نمكن لهم حرما آمنا • اي الم نعصمهم ونجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب
حوله وهم آمنون • يجبى اليه • وقرئ تجبى اي يجمع ويحمل اليه • ثمرات كل شيء • من كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من
تضررهم بانقطاع الميرة • رزقا من لدنا • فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة الاصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد
• ولكن اكثرهم لا يعلمون • اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون
فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا بأس الله تعالى بقوله • وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها • اي وكثير
من اهل قرية كانت حالهم كحالهم في الامن وخفض العيش والدعة حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم • فتلك مساكنهم
خاوية بما ظلموا • لم تسكن من بعدهم • اي من بعد تدميرهم • الا قليلا • اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم
او لم يبق من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم • وكنا نحن الوارثين • منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات ايديهم
وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى
كفرت • وما كان ربك مهلك القرى • بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية
على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها • حتى يبعث في امها
اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل • رسولا يتلو عليهم آياتنا • الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب
والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وايثار الالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال
الروعة وقوله تعالى • وما كنا مهلكي القرى • عطف على ما كان ربك وقوله تعالى • الا واهلها ظالمون • استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي و

كنا

لما احتضر ابو طالب
جاء رسول الله عليه السلام

اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعد ما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا
والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه
في سورة بني اسرائيل • وما اوتيتم من شيء • من امور الدنيا • فمتاع الحياة الدنيا وزينتها • اي فهو شيء شأنه ان يتمتع ويتزين
به اياما قلائل • وما عند الله • وهو الثواب • خير • في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم
وابقى لانه ابدي • افلا تعقلون • الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرئ
بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم • افمن وعدناه وعدا حسنا • اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد
بحسن الموعود • فهو لاقيه • اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت
بالفاء المنبئة عن معنى السببية • كمن متعناه متاع الحياة الدنيا • الذي يشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء
الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى
اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى • ثم هو يوم القيامة من المحضرين • عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة
مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيامة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان او في الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها
للمنفصل بالمتصل • ويوم يناديهم • منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر • فيقول
تفسير للنداء • اين شركائي الذين كنتم تزعمون • اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان ثقة بدلالة الكلام عليهما • قال
استئناف مبني على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال • الذين حق عليهم القول • وهم شركاؤهم من الشياطين
او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه
وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا
لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة
انما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه
اعتذارا وهؤلاء انما قالوا ما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره • ربنا هؤلاء الذين اغوينا • اي هم
الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره
ورده وقوله تعالى • اغويناهم كما غوينا • هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل
لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر • تبرأنا اليك
منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى • ما كانوا ايانا يعبدون • اي ما كانوا
يعبدوننا وانما كانوا يعبدون هواهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا • وقيل ادعوا شركاءكم • اي تهكما بهم
او تبكيتا لهم • فدعوهم • لفرط الحيرة • فلم يستجيبوا لهم • ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة • ورأوا العذاب • قد غشيهم
لو انهم كانوا يهتدون • لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين • ويوم
يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين • عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك • فعميت عليهم
الانباء يومئذ • صارت كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ان ما يحضر الذهن انما يفيض عليه ويصل اليه
من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا
به الرسل او جميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يتعتعون في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب
مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما ظنك بأولئك الضلال من الامم • فهم لا يتساءلون • لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او
العلم بان الكل سواء في الجهل • فاما من تاب • من الشرك • وآمن وعمل صالحا • اي جمع بين الايمان والعمل الصالح • فعسى ان
يكون من المفلحين • اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى
فليتوقع الافلاح • وربك يخلق ما يشاء • ان يخلقه • ويختار • ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا • ما كان لهم

الخيرة • اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه
فلا عن العطف و ابتداء لما روي انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل
باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح • سبحان الله • اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره
اختياره • وتعالى عما يشركون • عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به • وربك يعلم ما تكن صدورهم • كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحقده • وما يعلنون • كالطعن فيه • وهو الله • المستحق للعبادة • لا اله الا هو • لا احد يستحقها الا هو • له الحمد في الاولى والآخرة
لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله
الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده • وله الحكم • اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره • واليه ترجعون • بالبعث
لا الى غيره • قل أرأيتم • اخبروني • ان جعل الله عليكم الليل سرمدا • دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص
من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة • الى يوم القيامة • باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر • من اله غير الله
صفة لاله • يأتيكم بضياء • صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء
ونظائرها على انه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله لان الغرض التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء بهمزتين
افلا تسمعون • هذا الكلام سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه • قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة
باسكانها في وسط السماء او بتحريكها على مدار فوق الافق • من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه • استراحة من متاعب الاشتغال ولعله لم يصف الضياء
عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع • افلا تبصرون • هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر • ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه • اي في الليل • ولتبتغوا من فضله • في النهار بانواع المكاسب • ولعلكم تشكرون • ولكي تشكروا نعمة الله تعالى
فعل ذلك او لتعرفوا نعمة الله تعالى وتشكروه عليها • ويوم يناديهم • منصوب باذكر • فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون • تقريع بعد تقريع للاشعار بانه
لا شيء اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه • وقوله تعالى ونزعنا • عطف على يناديهم وصيغة الماضي
للدلالة على التحقيق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اي اخرجنا • من كل امة • نبيا
شهيدا • نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد • فقلنا • لكل من تلك الامم • هاتوا برهانكم • على صحة
ما كنتم تدينون به • فعلموا • يومئذ • ان الحق لله • في الالهية لا يشاركه فيها احد • وضل عنهم • اي غاب عنهم غيبة الضائع • ما كانوا يفترون
في الدنيا من الباطل • ان قارون كان من قوم موسى • كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى ع بن عمران بن
قاهث وقيل كان موسى ع ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا
كانت النبوة لموسى ع والمذبح والقربان لهارون فمالي وروي انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهارون وجد
قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر فقال موسى ع هذا صنع الله تعالى قال لا اصدقك حتى تأتي باية فامر
رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل اليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا
بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى • فبغى عليهم • فطلب الفضل عليهم وان يكونوا
تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكرنا منه في حق موسى وهارون عليهما السلام • وآتيناه من
الكنوز • اي الاموال المدخرة • ما ان مفاتحه • اي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح
بالفتح • لتنوء بالعصبة اولي القوة • خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة
واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه • اذ قال له قومه • منصوب بتنوء • لا تفرح • لا تبطر والفرح
بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح
ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وجل فقال • ان الله لا يحب الفرحين • بزخارف الدنيا
• وابتغ فيما آتاك الله • من الغنى • الدار الآخرة • بصرفه فيما يوجبها لك • ولا تنس

نصيبك من الدنيا • وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك • واحسن • الى عباد الله تعالى • كما احسن الله اليك
فيما انعم به عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن الله عليك بالانعام • ولا تبغ الفساد في الارض • نهي عما كان عليه من الظلم والبغي
ان الله لا يحب المفسدين • لسوء افعالهم • قال • مجيبا لناصحيه • انما اوتيته على علم عندي • كأنه يريد به الرد على
قولهم كما احسن الله اليك لاشعاره بانه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت
به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر
المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك هذا عندي اي في ظني ورأيي • اولم يعلم ان الله
قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا • توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك
قراءة في التوراة وتلقيا من موسى ع وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى باضرابه من اهل
القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به
نفسه مصارع الهالكين • ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون • سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك
من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة
المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة • فخرج على قومه • عطف على قال وما بينهما اعتراض • في زينته • اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال
من فاعله اي فخرج عليهم كائنا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه وقيل
عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفر
وهو اول يوم روي فيه المعصفر • قال الذين يريدون الحياة الدنيا • من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة
واليسار • يا ليت لنا مثل ما اوتي • قارون • انه لذو حظ عظيم • تعليل لتمنيهم وتأكيد له • وقال الذين اوتوا العلم • اي باحوال
الدنيا والآخرة كما ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية
حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي • ويلكم • دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى • ثواب الله
في الآخرة خير مما تتمنونه • لمن آمن وعمل صالحا • فلا يليق بكم ان تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى • ولا يلقاها • اي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء
او الثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او الايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة • الا الصابرون • اي على الطاعات وعن الشهوات
فخسفنا به وبداره الارض • روي انه كان يؤذي موسى ع كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه على الف على واحد
فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى ع بين بني اسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان
يوم عيد قام موسى ع خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت
قال ان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام ان تصدق فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك
بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل
ان الله تعالى بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال
يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام
بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى ع
ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله • فما كان له من فئة • جماعة مشفقة • ينصرونه من دون الله • بدفع
العذاب عنه • وما كان من المنتصرين • اي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع • واصبح الذين تمنوا
مكانه • منزلته • بالامس • منذ زمان قريب • يقولون • ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر • اي يفعل
كل واحد من البسط والقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب
وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما
يستعمل عند التنبيه على الخطأ والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وتندموا على ذلك • لولا ان من الله علينا • بعدم اعطائه ايانا
ما تمنيناه واعطانا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا • لخسف بنا • كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو

يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت

القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا • ويكأنه لا يفلح الكافرون • لنعمة الله تعالى او المكذبون
برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة • تلك الدار الآخرة • اشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها • نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض • اي غلبة وتسلطا • ولا فسادا • اي ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفي
تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله افضل من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها
• والعاقبة • الحميدة • للمتقين • اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال • من جاء بالحسنة فله بمقابلتها
خير منها • ذاتا ووصفا وقدرا • ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات • وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين
حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم • الا ما كانوا يعملون • اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في
المماثلة • ان الذي فرض عليك القرآن • اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل • لرادك الى معاد • اي معاد واي معاد تمتد اليه اعناق
الهمم ويرنو اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية
وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بنصر ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده
ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه • قل ربي اعلم من جاء بالهدى • وما يستحقه من الثواب
والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم • ومن هو في ضلال مبين • وما يستحقه من العذاب والاذلال يعني
بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعيد السابق وكذا قوله تعالى • وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب • اي سيردك الى معادك كما القى اليك
الكتاب وما كنت ترجوه • الا رحمة من ربك • ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قيل وما القي اليك
الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم • فلا تكونن ظهيرا للكافرين • بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم • ولا يصدنك • اي الكافرون
• عن آيات الله • اي عن قراءتها والعمل بها • بعد اذ انزلت اليك • وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم
• وادع الناس • الى ربك • الى عبادته وتوحيده • ولا تكونن من المشركين • بمساعدتهم في الامور • ولا تدع مع الله الها آخر
هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عليه السلام لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن
صدوره عنه اصلا • لا اله الا هو • وحده • كل شيء هالك الا وجهه • الا ذاته فان ما عداه كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك
والعدم • له الحكم • اي القضاء النافذ في الخلق • واليه ترجعون • عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص
كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• الم • الكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا • احسب الناس
الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء وانتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه اما
بالفعل كما في عامة المواقع واما بتبع التصرف فيها كما في الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالحة
لان ينسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس • ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون • في قوة ان يقال احسبوا
انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور
واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس
والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص
لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في
عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته
وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة
• ولقد فتنا الذين من قبلهم • متصل بقوله تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية
فيما بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا

كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه • فليعلمن الله الذين صدقوا • اي في قولهم آمنا • وليعلمن الكاذبين •
في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل
لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين
صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب • ولذلك قيل
المعنى ليميزن وليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا • اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب
لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى
التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا
نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده
ساء ما يحكمون • اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك • من كان يرجو لقاء الله • اي يتوقع
ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه
وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد
قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضده لما سخطه
فان اجل الله • الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر
في الاستعمال اي فان الوقت الذي عينه تعالى • لآت • لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على التقضي والتصرم
دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف اي فليختر من الاعمال ما
يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى • وهو السميع
لاقوال العباد • العليم • باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد • ومن جاهد • في طاعة الله عز وجل • فانما يجاهد لنفسه •
لعود منفعتها اليها • ان الله لغني عن العالمين • فلا حاجة له الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته • والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم • الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات • ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون • اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط • ووصينا الانسان بوالديه حسنا • اي بايتاء والديه وايلائهما
فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان
في المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير
قول مفسر للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
واحسانا • وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم • اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته
لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه • فلا تطعهما • في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار
القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق
الاولوية • الي مرجعكم • اي مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق • فانبئكم بما كنتم تعملون • بان اجازي كلا
منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص حين اسلم حيث حلفت امه حمنة بنت ابي سفيان بن امية ان لا
تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل
نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه
اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا

حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب واستشار عمر رضى الله تعالى عنه فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى
بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه اما اذا عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما
ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد
مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين • اى فى زمرة
الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عم وادخلنى برحمتك
فى عبادك الصالحين وقال فى حق ابراهيم عم وانه فى الآخرة لمن الصالحين او فى مدخل الصالحين وهى الجنة • ومن الناس من يقول آمنا بالله
فاذا اوذى فى الله • اى فى شأنه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان • جعل فتنة الناس • اى ما يصيبه من اذيتهم • كعذاب الله • اى فى الشدة
والهول فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى اصلا • ولئن جاء نصر من ربك • اى فتح وغنيمة • ليقولن • بضم اللام نظرا
الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح • انا كنا معكم • اى مشايعين لكم فى الدين فاشركونا فى المغنم وهم
ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى • اوليس الله باعلم بما فى
صدور العالمين • اى باعلم منهم بما فى صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء
كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى • وليعلمن الله الذين آمنوا • اى بالاخلاص • وليعلمن المنافقين
سواء كان كونهم باذية الكفرة اولا اى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق • وقال الذين كفروا للذين آمنوا • بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر
بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان
جناية من اضلوه واللام للتبليغ اى قالوا مخاطبين لهم • اتبعوا سبيلنا • اى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع
الذى هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه او اتبعونا فى طريقتنا • ولنحمل خطاياكم • اى ان كان ذلك خطيئة
يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار
عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى • وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ • وقرئ من خطيئاتهم اى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم
التى التزموا ان يحملوا كلها على ان من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال • انهم لكاذبون • حيث اخبروا
فى ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله
كما مر فى قوله تعالى انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • وليحملن اثقالهم • بيان لما يستتبعه قولهم ذلك فى الآخرة من المضرة لانفسهم بعد
بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اى وبالله
ليحملن اثقال انفسهم كاملة • واثقالا اخر • مع اثقالهم • لما تسببوا له بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من غير ان ينتقص من اثقال من
اضلوه شئ ما اصلا • وليسألن يوم القيمة • سؤال تقريع وتبكيت • عما كانوا يفترون • يختلقونه فى الدنيا من الاكاذيب والاباطيل
التى من جملتها كذبهم هذا • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما • شروع فى بيان افتتان الانبياء عليهم السلام
باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر
فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان
عمر نوح عم الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على
كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأى الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف
المميزين لما فى التكرير من نوع بشاعة • فاخذهم الطوفان • اى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشئ
على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء • وهم ظالمون • اى والحال انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا
بما سمعوا من نوح عم من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة المتمادية • فانجيناه • اى نوحا عم • واصحاب
السفينة • اى ومن ركب فيها معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور
ونصفهم اناث • وجعلناها • اى السفينة او الحادثة والقصة • آية للعالمين • يتعظون بها • وابراهيم • نصب بالعطف على نوحا

بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعماية وخمسين عاما

وقيل

وقيل اضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم • اذ قال لقومه • على الاول ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله
وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى للارشاد للخلق الى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتمال
من ابراهيم • اعبدوا الله • اى وحده • واتقوه • ان تشركوا به شيئا • ذلكم • اى ما ذكر من العبادة والتقوى • خير لكم
اى مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لا خير فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل • ان كنتم تعلمون • اى الخير والشر وتميزون
احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف فى الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى
انما تعبدون من دون الله اوثانا • بيان لبطلان دينهم وشريته فى نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اى انما تعبدون
من دونه تعالى اوثانا هى فى نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك • وتخلقون افكا • اى وتكذبون كذبا حيث
تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلّقون بالتشديد للتكثير فى الخلق
بمعنى الكذب والافتراء وتخلّقون بحذف احدى التاءين من تخلّق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب
او نعت بمعنى خلقا ذا افك • ان الذين تعبدون من دون الله • بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا • لا يملكون
لكم رزقا • اى لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق • فابتغوا عند الله الرزق • كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين
واعبدوه • وحده • واشكروا له • على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد •
اليه ترجعون • لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا • وان تكذبوا • اى تكذبونى فيما اخبرتكم
به من انكم اليه ترجعون بالبعث • فقد كذب امم من قبلكم • تعليل للجواب اى فلا تضرونى بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا
من قبلى من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب
فكذا تكذيبكم • وما على الرسول الا البلاغ المبين • اى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة وقد خرجت
عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك اصلا • اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق • كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف
على مقدر اى الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة
اى قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى • ثم يعيده • عطف على اولم يروا
لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة
بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه
من غير ريب • ان ذلك • اى ما ذكر من الاعادة • على الله يسير • اذ لا يفتقر فعله الى شئ اصلا • قل سيروا فى الارض
امر لابراهيم عم ان يقول لهم ذلك اى سيروا فيها • فانظروا كيف بدأ الخلق • اى كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة
واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين فى اقطارها • ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على
انهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية
والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل
الانشاءة او بحذف العامل اى ينشئ فينشؤن النشأة الآخرة كما فى قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض
داخلة معها فى حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة
الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله عز وجل • ان الله على كل شئ قدير • تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى
على جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد فى قدرته عليها ولا فى وقوعها بعد ما اخبر به • يعذب • اى بعد النشأة
الآخرة • من يشاء • ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما • ويرحم من يشاء • ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها
وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب • واليه تقلبون • عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب
والرحمة • وما انتم بمعجزين • له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم • فى الارض ولا فى السماء • اى بالتوارى فى الارض او الهبوط فى

في مهاديها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء • وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير • يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم • والذين كفروا بآيات الله
اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به
دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام • ولقائه • الذي ينطق به تلك الآيات • اولئك • الموصوفون بما ذكر
من الكفر بآياته تعالى ولقائه • يئسوا من رحمتي • اي ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا
لانكارهم البعث والجزاء • واولئك لهم عذاب اليم • وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة
على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم
بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام • فما كان جواب قومه • بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه • وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن
حجج ابرهيم عم الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة
والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يخفى • فانجاه الله من النار • الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان
جعلها عليه بردا وسلاما حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عم فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم
ينتفع يومئذ بالنار اصلا • ان في ذلك • اي في انجائه منها • لآيات • بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير
وانشاء روض في مكانها • لقوم يؤمنون • واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون • وقال
اي ابرهيم عليه السلام مخاطبا لهم • انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا • اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا
لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او
بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة
منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة
اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد
تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة وقد اخرتم الكلام حيث فعلتم ما
فعلتم لاجل مودتكم لها انصارا لها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانصروا آلهتكم • ثم يوم القيمة • ينقلب الامر ويتبدل التواد تباغضا
والتلاطف تلاعنا حيث • يكفر بعضكم • وهم العبدة • ببعض • وهم الاوثان • ويلعن بعضكم بعضا • اي يلعن كل فريق منكم
ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر • ومأواكم النار • اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا • وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي وما لاحد منكم من ناصر اصلا • فآمن له لوط
اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي ان
يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه عليهما السلام
وقال اني مهاجر • اي من قومي • الى ربي • الى حيث امرني به • انه هو العزيز • الغالب على امره فيمنعني من اعدائي • الحكيم • الذي
لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى
حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم • ووهبنا له اسحق ويعقوب • ولدا ونافلة حين ايس من الولادة من عجوز
عاقر • وجعلنا في ذريته النبوة • فكثر منهم الانبياء • والكتاب • اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة • وآتيناه اجره
بمقابلة هجرته الينا • في الدنيا • باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر
وانه في الآخرة لمن الصالحين • اي الكاملين في الصلاح • ولوطا • منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابرهيم والكلام في قوله
تعالى • اذ قال لقومه • كالذي مر في قصة ابرهيم عليه السلام • انكم لتأتون الفاحشة • اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم
• ما سبقكم بها من احد من العالمين • استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع

وتنفر منه النفوس • ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل • وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا ما
يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ الاموال
وتأتون في ناديكم • اي تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم • المنكر • كالجماع والضراط وحل الازار وغير ذلك مما لا خير فيه من الافعال
المنكرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار و
السباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل • فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين • اي فما كان جوابا من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر
عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عم وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي
صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه السلام وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف
قال رب انصرني • اي بانزال العذاب الموعود • على القوم المفسدين • بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار
عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم • ولما جاءت رسلنا
ابرهيم بالبشرى • اي بالبشارة بالولد والنافلة • قالوا • اي لابرهيم في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة
الحجر • انا مهلكوا اهل هذه القرية • اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال • ان اهلها كانوا
ظالمين • تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي • قال ان فيها لوطا • فكيف
تهلكونها • قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله • ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عم فيها بل عمن لم يتعرض له ابرهيم عليه السلام
من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله
الا امرأته كانت من الغابرين • اي الباقين في العذاب او القرية • ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم • اعتراه المساءة بسببهم
بعد مفارقتهم لابرهيم
مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال • وضاق بهم ذرعا • اي ضاق بشأنهم وتدبير
امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال
ما لا يناله قصير الذراع • وقالوا • لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي
حتى آل به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد • لا تخف • من قومك علينا • ولا تحزن • اي على شيء
وقيل باهلاكنا اياهم • انا منجوك واهلك • مما يصيبهم من العذاب • الا امرأتك كانت من الغابرين • وقرئ لننجينه ومنجوك
من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل • انا منزلون على اهل
هذه القرية رجزا من السماء • استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق
المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد • بما كانوا يفسقون • بسبب فسقهم المستمر
ولقد تركنا منها • اي من القرية • آية بينة • هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت
باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض • لقوم يعقلون • يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما
بتركنا او ببينة • والى مدين اخاهم شعيبا • متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا • فقال
يا قوم اعبدوا الله • وحده • وارجوا اليوم الآخر • اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال
ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف • ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكذبوه فاخذتهم الرجفة • اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عم فانها الموجبة
للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاورها من الارض • فاصبحوا في دارهم • اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس
جاثمين • باركين على الركب ميتين • وعادا وثمود • منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ وثمودا
بتأويل الحي • وقد تبين لكم من مساكنهم • اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام
وايابا منه • وزين لهم الشيطان اعمالهم • من فنون الكفر والمعاصي • فصدهم عن السبيل • السوي الموصل الى الحق • وكانوا

مستبصرين متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام ولكنهم لجّوا حتى هلكوا • وقارون وفرعون وهامان • معطوف على عادا وقيل تقديم قارون لشرف نسبه • ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين • مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك • فكلا • تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين اخذنا بذنبه • اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول وقوله تعالى • فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا • تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط • ومنهم من اخذته الصيحة • كمدين وثمود • ومنهم من خسفنا به الارض • كقارون • ومنهم من اغرقنا • كقوم نوح وفرعون وقومه • وما كان الله ليظلمهم • بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي • مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء • فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا • كمثل العنكبوت اتخذت بيتا • فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجمع • وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت • حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي • لو كانوا يعلمون • اي شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم • ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء • على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله وما استفهامية منصوبة بتدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الآخرين وعيد لهم • وهو العزيز الحكيم • تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم • وتلك الامثال • اي هذا المثل وامثاله • نضربها للناس • تقريبا لما بعد من افهامهم • وما يعقلها • على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد • الا العالمون • الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه • خلق الله السموات والارض بالحق • اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله تعالى • ان في ذلك لآية للمؤمنين • دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك • اتل ما اوحي اليك من الكتاب • تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق • واقم الصلوة • اي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى • ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر • كأنه قيل وصلّ بهم ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروي عن انس رضي الله عنه ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله • ولذكر الله اكبر • اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبّر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته • والله يعلم ما تصنعون • منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة • ولا تجادلوا اهل الكتاب • من اليهود والنصارى • الا بالتي هي احسن • اي بالخصلة التي هي احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على

وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف • الا الذين ظلموا منهم • بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم • وقولوا آمنا بالذي انزل الينا • من القرآن • وانزل اليكم • اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم • والهنا والهكم واحد • لا شريك له في الالوهية • ونحن له مسلمون • مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله • وكذلك • تجريد للخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب • انزلنا اليك الكتاب • اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى • فالذين آتيناهم الكتاب • من الطائفتين • يؤمنون به • اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور • ومن هؤلاء • اي من العرب او اهل مكة على الاول او ممن في عصره عليه السلام على الثاني • من يؤمن به • اي بالقرآن • وما يجحد بآياتنا • عبّر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها • الا الكافرون • المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه • وما كنت تتلو من قبله • اي ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا • من كتاب ولا تخطه • ولا تقدر على ان تخطه • بيمينك • حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه • اذا لارتاب المبطلون • اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك • بل هو • اي القرآن • آيات بينات • واضحات ثابتة راسخة • في صدور الذين اوتوا العلم • من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه • وما يجحد بآياتنا • مع كونها كما ذكر • الا الظالمون • المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد • وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه • مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية • قل انما الآيات عند الله • ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا • وانما انا نذير مبين • ليس من شاني الا الانذار بما اوتيت من الآيات • اولم يكفهم • كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم • آية • مغنية عن سائر الآيات • انا انزلنا عليك الكتاب • الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها • يتلى عليهم • في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك • ان في ذلك • الكتاب العظيم الشان الباقي على مر الدهور • لرحمة • اي نعمة عظيمة • وذكرى • اي تذكرة • لقوم يؤمنون • اي لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت • قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا • بما صدر عني وعنكم • يعلم ما في السموات والارض • اي من الامور التي من جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا • والذين آمنوا بالباطل • وهو ما يعبد من دون الله تعالى • وكفروا بالله • مع تعاضد موجبات الايمان • اولئك هم الخاسرون • المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين • ويستعجلونك بالعذاب • على طريقة

الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك • ولولا اجل مسمى • قد قدر
لعذابهم وبينه في اللوح • لجاءهم العذاب • المعين لهم حسبما استعجلوا به وقيل المراد بالاجل يوم القيمة لما روى انه تعالى وعد رسوله
صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم
باجالهم وفيه بعد ظاهر لما انهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به • وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة
السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل اى وبالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل • بغتة • اى فجأة
• وهم لا يشعرون • اى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى سؤالهم فان ذلك
اتيان برأيهم وشعورهم لا انه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتا وهم نائمون
او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل • يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين • استيناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الآخرة اى يستعجلونك
بالعذاب والحال ان محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اى سيحيط بهم وانما
جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها او تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول
جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف
عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا • يوم يغشاهم العذاب • ظرف لمضمر قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى
اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة • ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم
اى من جميع جهاتهم • ويقول • اى الله عز وجل او بعض الملائكة بامره • ذوقوا ما كنتم تعملون
اى جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب • يا عبادى الذين آمنوا • خطاب تشريف
لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم • ان ارضى
واسعة فاياى فاعبدون • اى اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك
وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط
محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول
مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص • كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون • جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة
في الامتثال بالامر اى كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته
فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم • لننزلنهم • من الجنة غرفا
اى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او
بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم • تجرى من تحتها الانهار • صفة لغرفا • خالدين فيها
اى في الغرف او في الجنة • نعم اجر العاملين • اى الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم
• الذين صبروا • اما صفة للعاملين او نصب على المدح اى صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق
• وعلى ربهم يتوكلون • اى ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى • وكأين من دابة لا تحمل رزقها • روى ان
النبى صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اى
وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها • الله يرزقها واياكم • ثم انها مع ضعفها وتوكلها
واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر
بالمهاجرة • وهو السميع • المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا • العليم • المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم • ولئن سألتهم • اى اهل مكة
• من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله • اذ لا سبيل لهم الى الانكار ولا الى التردد فيه • فانى يؤفكون
انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اى فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر

من الخلق

من الخلق والتسخير • الله يبسط الرزق لمن يشاء • ان يبسط له • من عباده ويقدر له • اى يقدر لمن يشاء ان يقدر له
منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب • ان الله بكل شىء عليم • فيعلم من يليق
ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اى وقت يوافق الحكمة والمصلحة
فيفعل كلا منهما في وقته • ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله • معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شىء ما اصلا • قل الحمد لله • على ان
جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالة
ولا يخفى بعده • بل اكثرهم لا يعقلون • اى شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس
مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك • وما هذه الحيوة الدنيا • اشارة تحقير وازدراء للدنيا
وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
الا لهو ولعب • اى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه • وان الدار
الآخرة لهى الحيوان • اى لهى دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هى في ذاتها حيوة للمبالغة
والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب
اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضى للمبالغة • لو كانوا يعلمون • اى لما آثروا عليها الدنيا التى
اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال • فاذا ركبوا في الفلك • متصل
بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشىء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة
هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا شدة • دعوا الله مخلصين له الدين • اى كائنين
على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو • فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون • اى فاجأوا المعاودة الى الشرك • ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا • فى نعمة الانجاء اى يحاجون الاشراك
ليكونوا كافرين بما آتيناهم النعمة حقها ان يشكروه • فسوف يعلمون • اى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب
اولم يروا • اى الم ينظروا ولم يشاهدوا • انا جعلنا • اى بلدهم • حرما آمنا • مصونا عن النهب والتعدى سالما
اهله من كل سوء • ويتخطف الناس من حولهم • اى والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب حوله في تغاور
وتناهب • افبالباطل يؤمنون • اى بعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق • وبنعمة الله
يكفرون • وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا
• ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • بان زعم ان له شريكا اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم
من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا • او كذب بالحق لما جاءه • اى بالرسول او بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بان
بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اثر ذى اثير • اليس في جهنم مثوى للكافرين • تقرير
لثوائهم فيها كقول من قال الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله
تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اى الم
يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة • والذين جاهدوا فينا • اى في حقنا ولوجهنا خالصا
اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة • لنهدينهم سبلنا • سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم
هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم • وان الله لمع المحسنين • بالنصرة والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم ستون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم * الكلام فيه كالذي مر في أمثاله من الفواتح الكريمة * غلبت الروم في أدنى الأرض * أي أدنى أرض العرب
منهم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه
قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأردن وفلسطين وقرئ
في أداني الأرض * وهم * أي الروم * من بعد غلبهم * أي من بعد مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام وهي لغة كالجلب
والجلب * سيغلبون * أي سيغلبون فارس * في بضع سنين * روي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات
وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى
أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله أعينكم
فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه
فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين
الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر للفريقين يوم بدر فأخذ أبو بكر
الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآية من البينات
الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه إلا العليم الخبير وقرئ غلبت
على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون
في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فإضافة الغلب حينئذ إلى الفاعل * لله الأمر من قبل ومن بعد * أي في أول
الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الأيام نداولها بين الناس
وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا * ويومئذ
أي يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم * يفرح المؤمنون بنصر الله * وتغليبه من له كتاب على من لا
كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل بنصر الله إظهار صدق المؤمنين
فيما أخبروا المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل بنصر الله تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تفانوا
وقل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة وعن أبي سعيد الخدري رض أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين
وفرحهم بذلك ما لا يخفى والأول هو الأنسب كقوله تعالى * ينصر من يشاء * أي من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه
عليه فإنه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد * وهو العزيز * المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء
أن ينصر عليه كائنا من كان * الرحيم * المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية
أما على القراءة المشهورة فظاهر لأن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الأخروية وأما على القراءة الأخيرة فلأن المسلمين وإن كانوا
مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار * وعد الله *
مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعدا * لا يخلف الله وعده * أي وعد كان مما يتعلق بالدنيا
والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه وإظهار الاسم في موضع الإضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والاستئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز
أن يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعدا غير مخلف * ولكن أكثر الناس لا يعلمون * أي ما سبق من
شؤونه تعالى * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا * وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم
الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فإنها ليست مما علموه منها
بل من أفعالهم المرتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم أي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا * وهم
عن الآخرة * التي هي الغاية القصوى والمطلب الأسنى * هم غافلون * لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا
ما يؤدي إلى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وإيرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم

ودوامها وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة
المحققة المقتضية للجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون أحوالها
التي هي من مبادي العلم بأمور الآخرة وإشعارا بأن العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان * أولم يتفكروا * إنكار واستقباح
لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى * في أنفسهم *
ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى * ما خلق الله السموات والأرض
وما بينهما إلا * متعلق إما بالعلم الذي يؤدي إليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق
السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا أي أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو اقتصروا على النظر عليه ولم يحدثوا التفكر في قلوبهم
فيعلموا أنه تعالى ما خلقها وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الأشياء * إلا * ملتبسة * بالحق * أو يقولوا
هذا القول معترفين بمضمونه إثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق أن يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض
الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته
واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التي من جملتها إحياؤهم بعد الفناء بالحياة الأبدية ومجازاتهم بحسب تباين طبقات علومهم
واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والأمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق
السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام
بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى وأسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في أوائل سورة هود عم وقوله تعالى * وأجل
مسمى * عطف على الحق أي وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهي إليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة
هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى في أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب المخلوقات إليهم وهم أعلم
بشؤونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير
دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى
يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت وأنت خبير
بأن أمر معاد الإنسان ومجازاته بما عمل من الإساءة والإحسان هو المقصود بالذات والمحتاج إلى الإثبات فجعله ذريعة إلى إثبات
معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء عكس للأمر فتدبر وقوله تعالى * وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون * تذييل مقرر لما قبله
ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والإعراض عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السموات
والأرض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث * أولم يسيروا * توبيخ لهم بعدم
اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقعدوا
في أماكنهم ولم يسيروا * في الأرض * وقوله تعالى * فينظروا * عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد
ساروا في أقطار الأرض وشاهدوا * كيف كان عاقبة الذين من قبلهم * من الأمم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى * كانوا أشد
منهم قوة * الخ بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعني أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة
* وأثاروا الأرض * أي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك * وعمروها *
أي عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والحرث والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها * أكثر مما عمروها * أي عمارة
أكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين
بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتقلب في أكناف
الأرض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون إلى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس * وجاءتهم رسلهم بالبينات *
بالمعجزات أو الآيات الواضحات * فما كان الله ليظلمهم * أي فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله تعالى ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من
قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال
نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه سبحانه وقد مر في سورة الأنفال في قوله لا أضيع عمل عامل منكم ورسمه

ال عمران • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • بان اجترءوا على اقتراف ما يوجب من المعاصي العظيمة • ثم كان عاقبة الذين اساءوا
اى عملوا السيئات ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم • السوأى • اى العقوبة التى هى اسوأ العقوبات
وافظعها التى هى العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها
نفس السوأى وهى مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل فى الجزالة وقوله تعالى • ان كذبوا بايات الله •
علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوى والاخروى اى لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة
على ايديهم وقوله تعالى • وكانوا بها يستهزءون • عطف على كذبوا داخل معه فى حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة
على استمراره وتجدده هذا هو الاليق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل • الله يبدأ الخلق • اى ينشئهم • ثم يعيده • بعد الموت
بالبعث • ثم اليه ترجعون • الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة فى الترهيب وقرئ بالياء • ويوم تقوم الساعة • التى هى
وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه • يبلس المجرمون • اى يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من
ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اخجله واسكته • ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء • يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا
يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها فى مقابلة الجمع اى لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا • وكانوا بشركائهم كافرين • اى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه
حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس فى الاخبار به فائدة
يعتد بها • ويوم تقوم الساعة • اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى • يومئذ يتفرقون • تهويل له اثر تهويل وفيه رمز
الى ان التفرق يقع فى بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد
بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقى المؤمنين والكافرين كما فى قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وذلك بعد
تمام الحساب وقوله تعالى • فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون • تفصيل لاحوال الفريقين والروضة
كل ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه
وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة
ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة
وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل
بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت ابا الدرداء رضى الله عنه
بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش
فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا • واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا • التى من
جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل • ولقاء الآخرة • صرح بذلك مع اندراجه فى تكذيب الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى • فاولئك •
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآيات الله تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم
وانتظامهم فى سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر اى اولئك الموصوفون
بما فصل من القبائح • فى العذاب محضرون • على الدوام لا يغيبون عنه ابدا • فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى
السموات والارض وعشيا وحين تظهرون • اثر ما بين حال فريقى المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات
وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجى من الثانى ويفضى الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده تعالى
على نعمه العظام وتقديم الاول على الثانى لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله
اى نزهوه عما ذكر سبحانه اى تسبيحه اللائق به فى هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات
والارض فى معنى الامر به على ابلغ وجه وآكده وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى
ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه
وان كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به
الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

وغير ذلك

وغير ذلك مما [illegible] وتخصيصهما بما ذكر من الاوقات [illegible] واحكام رحمته
[illegible] وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون [illegible]
[illegible]
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون
صلوة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية لانه كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان فى اى وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس
بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة [illegible] ليلة المعراج وعنه صلى الله عليه وسلم من سره
ان يكال بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى يومه ومن قالها حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا
تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه • يخرج الحى من الميت • كالانسان من النطفة والطير من البيضة • ويخرج الميت من الحى •
النطفة والبيضة من الحيوان • ويحيى الارض • بالنبات • بعد موتها • يبسها • وكذلك • ومثل ذلك الاخراج •
تخرجون • من قبوركم وقرئ تخرجون [illegible] وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده • ومن آياته •
الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحى من الميت
واخراج الميت من الحى ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها • ان خلقكم • اى فى ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من ان
خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا • من تراب • لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه فى ذاتكم
وصفاتكم • ثم اذا انتم بشر تنتشرون • اى فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون فى الارض وهذا مجمل ما فصل فى قوله تعالى
يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية • ومن آياته • الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده
من الجزاء • ان خلق لكم • اى لاجلكم • من انفسكم ازواجا • فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن
لخلقهن من انفسكم او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى • لتسكنوا اليها • اى لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها
فان المجانسة من دواعى التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر • وجعل بينكم • اى بين الازواج اما على تغليب
الرجال على النساء فى الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اى جعل بينكم وبينهن كما مر فى قوله تعالى لا نفرق
بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اى بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى • مودة ورحمة • فان المراد بهما ما كان
منهما بعصمة الزواج قطعا اى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة
مصححة للتعاطف من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا • ان فى ذلك • اى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء
المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته • لآيات • عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر
قدرها • لقوم يتفكرون • فى تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه
على ان ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هى مشتملة على آيات شتى • ومن آياته • الدالة على ما ذكر من امر البعث
وما يتلوه من الجزاء • خلق السموات والارض • اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة
لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما ينبئ عنه
قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض وقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا • واختلاف السنتكم • اى لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او
اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه • والوانكم • ببياض الجلد وسواده

وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع
توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه
وانما نظم هذا في سلك الآيات الافاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقية بالانتظام في سلك
ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم • ان في ذلك •
اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان • لآيات • عظيمة في انفسها كثيرة في عددها
• للعالمين • اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوحها
وعدم خفائها على احد من الخلق كافة • ومن آياته منامكم بالليل والنهار • لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية
• وابتغاؤكم من فضله • فيهما فان كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول
والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين
القرينين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد • ان
في ذلك لآيات لقوم يسمعون • اي شأنهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا
البيان ويستدلون بذلك على شئونه تعالى • ومن آياته يريكم البرق • الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى اي ان احضر او منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او على حاله صفة
لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة
اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او سحاب يريكم البرق • خوفا • من الصاعقة او للمسافر • وطمعا • في الغيث
او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف
نحو ارادة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها
• وينزل من السماء ماء • وقرئ بالتخفيف • فيحيي به الارض • بالنبات • بعد موتها • يبسها • ان في ذلك لآيات
• لقوم يعقلون • فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها
• ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره • اي بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى
عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض بل
اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى
خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله
السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود
اخرت عنها وجعلت متصلة به في الذكر ايضا فقيل • ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون • فانه كلام مسوق
للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كانه قيل
ومن آياته قيام السموات والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله لقيامهما ثم اذا دعاكم اي بعد انقضاء
الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ
يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها • وله • خاصة • من في السموات والارض • من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا
ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه • كل له قانتون • اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شئونه
• وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده • بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى • وهو اهون عليه •
بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما
انها مأولة بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل
بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين

الحصول

الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد باهونية الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده
وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في
ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار • وله المثل الاعلى • اي الوصف الاعلى العجيب الشان من
القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقوله لا اله الا الله
اراد به الوصف بالوحدانية • في السموات والارض • متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على
السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى • وهو العزيز •
القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته • الحكيم • الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة • ضرب لكم مثلا • يتبين به
بطلان الشرك • من انفسكم • اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان
الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى • هل لكم • الى آخره تصوير للمثل اي هل لكم • مما ملكت ايمانكم • من العبيد والاماء • من
شركاء فيما رزقناكم • من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة
لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى • فانتم فيه سواء • تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين في التصرف
فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لا انه عام للفريقين بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم
والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فانتم وهم فيه سواء شرع يتصرفون فيه
كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم • تخافونهم • خبر آخر لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون
رأيهم • كخيفتكم انفسكم • اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية
اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية
التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه • كذلك • اي مثل ذلك التفصيل الواضح
• نفصل الآيات • اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد
المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان • لقوم يعقلون • اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور
وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها • بل اتبع الذين ظلموا • اعراض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم
[illegible]
[illegible] • اهواءهم • [illegible]
[illegible]
[illegible] • بغير علم • [illegible]
[illegible] • فمن يهدي من اضل الله • [illegible]
[illegible] • وما لهم من ناصرين • [illegible]
[illegible]
[illegible] • فاقم وجهك للدين • [illegible]
[illegible] • حنيفا • [illegible]
[illegible] • فطرة الله • [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • لا تبديل لخلق الله • [illegible]

تعالى او لوجوب الامتثال اى لا تحتمل الاستقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان
وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة
لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة
فى كل احد فلا بد من لزومها وترتب مقتضاها عليها وعدم الاخلال بها بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان • ذلك • اشارة
الى الدين المامور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور او
باعتبار الخبر • الدين القيم • المستوى الذى لا عوج فيه • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ذلك فيصدون عنه صدودا • منيبين اليه
حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله او فى اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اى راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة
بعد اخرى وقوله تعالى • واتقوه • من جملة ما امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى • واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين
المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا • من الذين فرقوا دينهم • بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف
اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرى فارقوا اى تركوا
دينهم الذى امروا به • وكانوا شيعا • اى فرقا تشايع كل منها امامها الذى اضلها • كل حزب بما لديهم • من الدين المعوج
المؤسس على الرأى الزائغ والزعم الباطل • فرحون • مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من
تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده • واذا
مس الناس ضر • اى شدة • دعوا ربهم منيبين اليه • راجعين اليه من دعاء غيره • ثم اذا اذاقهم منه رحمة • خلاصا من تلك الشدة
• اذا فريق منهم بربهم • الذى كانوا دعوه منيبين اليه • يشركون • اى فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم
ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على الطريق القصد او متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة • ليكفروا بما آتيناهم •
اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى كقوله تعالى • فتمتعوا • غير انه التفت فيه للمبالغة وقرى وليتمتعوا • فسوف تعلمون •
عاقبة تمتعكم وقرى بالياء على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة فى قوله تعالى • ام انزلنا عليهم • للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم
لغيرهم بطريق المباثة • سلطانا • اى حجة واضحة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان • فهو يتكلم • تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق • بما كانوا به يشركون • باشراكهم به تعالى او بالامر الذى بسببه يشركون • واذا اذقنا الناس رحمة • اى نعمة
من صحة وسعة • فرحوا بها • بطرا واشرا لا حمدا وشكرا • وان تصبهم سيئة • شدة • بما قدمت ايديهم • بشؤم معاصيهم
• اذا هم يقنطون • فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرى بكسر النون • اولم يروا • اى الم ينظروا ولم يشاهدوا • ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر • فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين • ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون • فيستدلون بها على
كمال القدرة والحكمة • فآت ذا القربى حقه • من الصلة والصدقة وسائر المبرات • والمسكين وابن السبيل • ما يستحقانه والخطاب للنبى
او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء • ذلك خير للذين يريدون وجه الله • ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة
التقرب اليه لا جهة اخرى • واولئك هم المفلحون • حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم • وما آتيتم من ربا • زيادة خالية عن العوض
عند المعاملة وقرى اتيتم بالقصر اى غشيتموه او جئتموه من اعطاء ربا • ليربوا فى اموال الناس • ليزيد ويزكو فى اموالهم • فلا يربوا
عند الله • اى لا يبارك فيه وقرى لتربوا اى لتزيدوا او لتصيروا ذوى ربا • وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله • اى تبتغون
به وجهه تعالى خالصا • فاولئك هم المضعفون • اى ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار
او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرى بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى • الله الذى خلقكم ثم رزقكم
• ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء • اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء
له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزيهه عن الاشراك بقوله تعالى
• سبحانه وتعالى عما يشركون • وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرى تشركون
بصيغة الخطاب • ظهر الفساد فى البر والبحر • كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار

سبب الحرق والغرق

او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى والبحور • بما كسبت ايدى الناس • بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها
وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل اخاه هابيل وفى البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا • ليذيقهم بعض الذى عملوا • اى
بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرى لنذيقهم بالنون • لعلهم يرجعون • عما كانوا عليه • قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل • لتشاهدوا آثارهم • كان اكثرهم مشركين • استئناف للدلالة على ان ما اصابهم
لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم • فاقم وجهك للدين القيم • اى البليغ الاستقامة
• من قبل ان يأتى يوم لا مرد له • اى لا يقدر احد على رده • من الله • متعلق بيأتى او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله
لتعلق ارادته القديمة بمجيئه • يومئذ يصدعون • اصله يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير • من كفر
فعليه كفره • اى وبال كفره وهو النار المؤبدة • ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون • اى يسوون منزلا فى الجنة وتقديم
الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص • ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله • متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون
اى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك وكنى
معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى • انه لا يحب
الكافرين • فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة • ومن آياته ان يرسل الرياح • اى
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وقرى الريح على ارادة الجنس • مبشرات • بالمطر • وليذيقكم من رحمته • وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع
لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا ارسلها لا لامر آخر لا تعلق له بمنافعكم
• ولتجرى الفلك • بسوقها • بامره • ولتبتغوا من فضله • بتجارة البحر • ولعلكم تشكرون • ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من
النعم الجليلة • ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم • كما ارسلناك الى قومك • فجاؤهم بالبينات • اى جاء كل رسول قومه
بالحجج من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء فى قوله تعالى • فانتقمنا من الذين اجرموا • مفصحة اى فكذبوهم فانتقمنا منهم
وانما وضع موضع المضمر الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفى قوله تعالى • وكان حقا علينا نصر المؤمنين •
مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم واشعار بان الانتقام لاجلهم وقد يوقف
على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين بيان احوال الرياح واحكامها لانذار
الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون عقيب النعم المعدودة المنوطة بارسالها
كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام • الله الذى يرسل الرياح • استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق
من احوال الرياح • فتثير سحابا فيبسطه • متصلا تارة • فى السماء • فى سمتها • كيف يشاء • سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب
دون جانب الى غير ذلك • ويجعله كسفا • تارة اخرى اى قطعا وقرى بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر
وصف به • فترى الودق • المطر • يخرج من خلاله • فى التارتين • فاذا اصاب به من يشاء من عباده • اى بلادهم
واراضيهم • اذا هم يستبشرون • فاجؤا الاستبشار بمجئ الخصب • وان كانوا • ان مخففة من ان وضمير الشأن الذى هو
اسمها محذوف اى وان الشأن كانوا • من قبل ان ينزل عليهم • اى المطر • من قبله • تكرير للتأكيد والايذان بطول
عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر والسحاب والارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح
واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل للتنبيه على سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة
الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية • لمبلسين • خبر كانوا
واللام فارقة اى آيسين • فانظر الى آثار رحمة الله • المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة
على سرعة ترتبها عليه وقرى اثر بالتوحيد وقرى • كيف يحيى • بالتاء على الاسناد الى ضمير الرحمة • الارض بعد موتها • فى محل النصب
بنزع الخافض اى فانظر الى احياء الله البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه

انواع الرياح

على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك
العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية
كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او تحقيق للبتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله
اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اي الاثر المدلول
عليه بالآثار او النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا
كان مصفرا لم يمطر واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا
لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اي والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لظلوا
من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب
عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجأوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة
اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم
بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تعليل لما ذكر
لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احدهما لكفاهم
ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه
فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار
او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول
الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف
مبتدأ وخبر اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل
من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق الروح بابدانكم ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن
وقرئ بفتح الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر
والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو
العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم
الساعة اي القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك
وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام
وقيل العلم اي اربعون سنة او اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون
مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة والانس
لقد لبثتم في كتاب الله في علمه وقضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث
ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعونه
يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية
بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويبكتونهم بالانكار بوقوعها حيث قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم
لا تعلمون انه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد
جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل
ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان
فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة
كأنها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما يفعل بهم من رد

اعتذارهم

اعتذارهم ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم
وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها
فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة
ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك
لا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي
من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا
يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين وايا ما كان فظاهر النظم الكريم وان كان
نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية
كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة لقمان مكية وهي اربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى
او اصله الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم
فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من
الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف للمحسنين اي العاملين
للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة قول الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلث
بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه
مبتدأ خبره او جملة اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم
قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه
او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس
او وبعض من الناس الذي يشتري او فريق يشتري على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة
لا كونهم ذوات اولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من
من المهمات كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من
التبيينية ان اريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم
وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان
يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه
الهادي اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليثبت ويستمر على ضلاله او ليزداد فيه بغير علم اي بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث
استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام او القرآن
اي ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار
معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي
اولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم الحق باشتراء الباطل عليه وترغيب
الناس فيه واذا تتلى عليه اي على المشتري افراد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما

بينهما باعتبار معناها • آياتنا • التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين • ولى • اعرض عنها غير معتد بها • مستكبرا مبالغا في التكبر • كان لم يسمعها • حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على قول من قال • كان لم تجزع على ابن طريف • كان في اذنيه وقرا • حال من ضمير لم يسمعها اي مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استينافين وقرئ في اذنيه بسكون الذال • فبشره بعذاب اليم • اي فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات • بيان لحال المؤمنين بآيات الله تعالى اثر بيان حال الكافرين بها اي ان الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها • لهم • بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم • جنات النعيم • اي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل لهم هو الخبر لان وجنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى • خالدين فيها • حال من الضمير في لهم او من جنات النعيم لاشتماله على ضميرهما والعامل ما تعلق به اللام • وعد الله حقا • مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم • وهو العزيز • الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده او تحقيق وعيده • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة • خلق السموات بغير عمد • الخ استيناف سيق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به اي يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اي بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى • ترونها • استيناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك او صفة لعمد اي خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة • والقى في الارض رواسي • بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اي القى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد • ان تميد بكم • كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضي تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص • وبث فيها من كل دابة • من كل نوع من انواعها • وانزلنا من السماء ماء • هو المطر • فانبتنا فيها • بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم • من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما • هذا • اي ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور المعدودة • خلق الله • اي مخلوقه • فاروني ماذا خلق الذين من دونه • مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق او مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني متعلق به وقوله تعالى • بل الظالمون في ضلال مبين • اضراب عن تبكيتهم بما ذكر الى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد • ولقد آتينا لقمان الحكمة • كلام مستانف سيق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر ابن اخت ايوب او ابن خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان داود قال له يوما كيف اصبحت قال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا • ان اشكر لله • اي اشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى • ومن يشكر • الى آخره استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالامر اي ومن يشكر له تعالى • فانما يشكر لنفسه • لان منفعته هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها • ومن كفر فان الله غني • عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر • حميد • حقيق بالحمد وان لم يحمده احد او محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر له قطعا • واذ

قال

واذ قال لقمان لابنه • انعم وقيل اشكم وقيل ماثان • وهو يعظه يابني • تصغير اشفاق وقرئ يابني باسكان الياء وبكسرها • لا تشرك بالله • قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما • ان الشرك لظلم عظيم • تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك • ووصينا الانسان بوالديه • الى آخر الآيتين كلام مستانف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك • وقوله تعالى • حملته امه وهنا على وهن • اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى • وهنا • حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا • وفصاله في عامين • اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمه الله ثلاثون شهرا • ان اشكر لي ولوالديك • تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه السلام لمن قال من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك • الي المصير • تعليل لوجوب الامتثال اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر • وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به • اي باستحقاقه للاشراك • علم • فلا تطعهما • في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا • اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة • واتبع سبيل من اناب الي • بالتوحيد والاخلاص في الطاعة • ثم الي مرجعكم • اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي • فانبئكم • عند رجوعكم • بما كنتم تعملون • بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر • يا بني • شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده • انها • اي الخصلة من الاساءة والاحسان • ان تك مثقال حبة من خردل • اي ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة والسيئة • فتكن في صخرة او في السموات او في الارض • اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي والسفلي • يأت بها الله • اي يحضرها ويحاسب عليها • ان الله لطيف • يصل علمه الى كل خفي • خبير • بكنهه وبعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال استمالة له • يا بني اقم الصلوة • تكميلا لنفسك • وامر بالمعروف وانه عن المنكر • تكميلا لغيرك • واصبر على ما اصابك • من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به • ان ذلك • اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل • من عزم الامور • اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد فرضيتها مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لايجاب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته • ولا تصعر خدك للناس • اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يعتري البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه • ولا تمش في الارض مرحا • اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر • ان الله لا يحب كل مختال فخور • تعليل للنهي او موجبه الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل • واقصد في مشيك • بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه السلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية • واغضض من صوتك • اي انقص منه واقصر • ان انكر الاصوات • اي اوحشها • لصوت الحمير • تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس وقوله تعالى • الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض • رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حيث ما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة

قوله تعالى • على وهن • صفة للمصدر اي كائنا على وهن
اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها

للانسان مستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله
كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر فلا يدل على ان معنى لكم لاجلكم
فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر
فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى • واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة • محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة
وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر
صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة • ومن الناس من يجادل في الله • في توحيده وصفاته • بغير علم • مستفاد من دليل
• ولا هدى • من جهة الرسول • ولا كتاب منير • انزله الله سبحانه بل بالجحود والتقليد • واذا قيل لهم • اي لمن يجادل
والجمع باعتبار المعنى • اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا • يريدون به عبادة الاصنام • اولو كان الشيطان
يدعوهم • اي آباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم
كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك • الى عذاب السعير • فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة
في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه
• ومن يسلم وجهه الى الله • بان فوض اليه جميع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد
• وهو محسن • اي في اعماله آتيا بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في آخر سورة النحل • فقد استمسك بالعروة الوثقى
اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق
عرى الحبل المتدلي منه • والى الله • لا الى احد غيره • عاقبة الامور • فيجازيه احسن الجزاء • ومن كفر فلا يحزنك كفره • فانه لا يضرك
في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض • الينا مرجعهم • لا الى غيرنا
• فننبئهم بما عملوا • في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول
باعتبار لفظها • ان الله عليم بذات الصدور • تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب • نمتعهم قليلا • تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول
وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل • ثم نضطرهم الى عذاب غليظ • ثقيل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او نضمه الى الاغلال
الضغط والتضييق • ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به
• قل الحمد لله • على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا • بل اكثرهم لا يعلمون • شيئا من الاشياء فلذلك
لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم • لله ما في السموات والارض • فلا يستحق العبادة فيهما غيره
• ان الله هو الغني • عن العالمين • الحميد • المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال
• ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام • اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الآحاد • والبحر يمده
اي من بعد نفاده • سبعة ابحر • اي والحال ان البحر المحيط بسعته مده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام و
بذلك المداد كلمات الله • ما نفدت كلمات الله • ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هي المجاورة
للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في
الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير • ان الله عزيز • لا يعجزه شيء • حكيم • لا يخرج عن علمه وحكمته
امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما • ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة • اي الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله
شان عن شان لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون • ان الله سميع • يسمع كل مسموع • بصير • يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك
الخلق والبعث • الم تر • قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الانسب بما
سبق وما لحق اي الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية • ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • اي يدخل
كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا • وسخر الشمس والقمر • عطف على يولج والاختلاف

بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد
والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل • كل يجري • اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية
المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا • الى اجل مسمى • قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله
فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير
اختصاصه به عليه السلام يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل عبارة
عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين
في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد
القسي التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات
الى سمت الراس وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي فوق الارض
تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الراس
وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى • وان الله بما تعملون خبير • عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على
تقديري خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل
محيطا بجلائل اعماله ودقائقها • ذلك • اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها
في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بان الله هو الحق • اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها
ناطقة بحقية التوحيد • وان ما يدعون من دونه الباطل • اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها
شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى
مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليست
بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا • وان الله هو العلي الكبير • اي ولاجل بيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط
عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي ما ذكر من سعة
العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري تعالى بها بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت
الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام
لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو بتعكيس الامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها
لا ان بطلانها يقتضيها • الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله • باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر
على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك
بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون • ليريكم من آياته • اي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته
وقوله تعالى • ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور • تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل
من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن
• واذا غشيهم • اي علاهم واحاط بهم • موج كالظلل • كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة
وقلال • دعوا الله مخلصين له الدين • لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد
• فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد • اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة • وما يجحد
• باياتنا الا كل ختار • غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه • كفور • مبالغ في
الكفران لنعم الله تعالى • يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده • اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ
اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه • ولا مولود • عطف على والد وهو مبتدأ خبره • هو جاز عن والده
• شيئا • وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة
• ان وعد الله • بالثواب والعقاب • حق • لا يمكن اخلافه اصلا • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

اي الشيطان في الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة • ان الله عنده علم الساعة • علم وقت قيامها
لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر
وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية • وينزل الغيث
اي في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال • ويعلم ما في الارحام • من ذكر او انثى او تام
او ناقص • وما تدري نفس • من النفوس • ماذا تكسب غدا • من خير او شر وربما يعزم على شيء ويفعل خلافه • وما
تدري نفس باي ارض تموت • كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل
ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل
ثم قال الملك لسليمان عم كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم
الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلته وبذل في التوقي وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف
بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن • ان الله عليم • مبالغ
في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر • خبير • يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلعم من قرا
سورة لقمان كان لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر صدق حبيب الله

سورة • بسم الله الرحمن الرحيم

الم • اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت
سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى • تنزيل الكتاب • على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر
اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى به تنزيل الكتاب
وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار
بها وقوله تعالى • لا ريب فيه • خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى • من رب العالمين
متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه
حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين
ويؤيده قوله تعالى • ام يقولون افتراه • فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود
الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه
واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقيته ما انكروه حيث قيل • بل هو الحق من ربك • باضافة اسم الرب الى ضميره عم
بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عم ثم ابد ذلك ببيان غايته حيث قيل • لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لعلهم يهتدون • فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر
وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث
اليهم من قبل نذير لذلك او من زمانك والترجي معتبر من جهته عم اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم واعلم ان ما ذكر
من التاييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين
خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا حكم
اخر فتدبر • الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش • مر بيانه فيما سلف • ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع • اي ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه اي ما لكم سواه ولي ولا شفيع
بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
افلا تتذكرون • اي الا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر
معا وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع • يدبر الامر من السماء الى الارض • قيل يدبر امر الدنيا باسباب

سماوية من الملائكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى الارض • ثم يعرج اليه • اي يثبت في علمه موجودا بالفعل • في يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون • اي برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث
وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه في زمان
هو كالف سنة مما تعدون فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك
ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج الامر كله عند قيامها وقيل يدبر المامور به
من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال
الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء • ذلك
اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة
فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع هو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان • عالم الغيب والشهادة
فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة • العزيز • الغالب على امره • الرحيم • على عباده وهما خبران اخران وفيه ايماء
الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالاحسان • الذي احسن كل شيء خلقه • خبر اخر او نصب على المدح اي حسن كل
مخلوق خلقه لانه ما من مخلوق الا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما
قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اي يحسن معرفته ويعرفه
معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه اي حسن خلق كل شيء وقيل
بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى
اي اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى
المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شيء مما يحتاجون اليه قال
ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء فيؤول الى معنى قوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى • وبدا خلق الانسان
من بين جميع المخلوقات • من طين • على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برا ادم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية
على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها
المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى • ثم جعل نسله • اي ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه
• من سلالة من ماء مهين • هو المني الممتهن • ثم سواه • اي عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي
• ونفخ فيه من روحه • اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا له مناسبة الى
الحضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى
بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي • وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • الجعل ابداعي واللام
متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول
يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اي جعل لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر
قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له
فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الايات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم
على حقيتهما وقوله تعالى • قليلا ما تشكرون • بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى
النفي كما ينبئ عنه ما بعده اي تشكرون شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ
الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية
وراءه • وقالوا • كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم
موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة • ائذا ضللنا في الارض • اي صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث
لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل

من الضلة وهي الارض اي صرنا من جنس التربة قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل في اذا ما
عليه قوله تعالى ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نجدد وقلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتاكيده وقرئ انا على الخبر
وايا ما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على ان فانها موخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها
عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه
وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم
ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اي يقبض ارواحكم بحيث لا يترك
فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اي بقبض ارواحكم
واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ائذا ضللنا في الارض
الآية او جنس المجرمين وهم من جملتهم ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا
اي يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة
وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى
انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع
كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه
وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوه من الرجعة واني لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له
مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبح
اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا ان مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك
تصديق رسلك انت خبير بان تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما اخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بانهم صادقون حتى يسمعوه
وقيل وسمعنا قول الرسل اي سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك روية في ذلك الوقت او يقدر ما
ينبئ عنه صلة اذ والمضي فيها وفي لو باعتبار ان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا لا يقادر قدره
والخطاب لكل احد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها
براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتاتى منه الروية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا
ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص روية راء دون راء
بل كل من يتاتى منه الروية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما ينبئ عنه الجواب
المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل
قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ ونقول لو شئنا اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان
والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اي سبقت كلمتي حيث قلت
لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى
بقوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب تلك القول لم نشأ اعطاء الهدى
العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها
فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي
من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر
من التعلق الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة
العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطها علمه تعالى ازلا بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت
هي من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فمن توهم
ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره

فقد

فقد اشتبه عليه الشئون وتاه الفارق في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا
او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو بسبب
الوعيد ايضا بسبب موجب من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم
التفكر فيه والاستعداد له بالكلية انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد
بما كنتم تعملون تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له
اسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في
استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية
التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن بآياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار
بعدم ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا
كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا
اثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم
وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده
تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة
الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون اي والحال
انهم خاضعون لله تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع
اي الفرش ومواضع المنام والجملة مستانفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر
الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلوة المغرب الى العشاء
وهي صلوة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال عطاء هم الذين
لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلوة الليل وهو قول الحسن ومجاهد
ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله عليه السلام افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة
صلوة الليل وعن النبي عليه السلام في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد
ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله تعالى في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا
الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا
من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات
فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت
نعوتهم الجليلة من قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرئ ما نخفي لهم وما اخفيت لهم على
صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة
وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء واخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه
في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا
اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت
احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي
عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا وصفت الجنة بالمأوى

لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات واياما كان فلا يبعد ان يكون فيه
رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا • نزلا • اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام
والشراب وانتصابه على الحالية • بما كانوا يعملون • في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم • واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن الطاعة • فمأواهم • اي ملجأهم ومنزلهم • النار • مكان جنات المأوى للمؤمنين • كلما ارادوا
ان يخرجوا منها اعيدوا فيها • استيناف لبيان كيفية كون النار مأواهم روي انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى
طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا و
كلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض • وقيل لهم • تشديدا عليهم وزيادة
في غيظهم • ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به • اي بعذاب النار • تكذبون • على الاستمرار في الدنيا • ولنذيقنهم من
العذاب الادنى • اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر • دون العذاب الاكبر
الذي هو عذاب الاخرة • لعلهم • لعل الذين يشاهدونه وهم في الحيوة • يرجعون • يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن
عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الايات • ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها • بيان اجمالي
لحال من قابل ايات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض
عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت
ثم يزورها • اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا • انا من
المجرمين • اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته • ولقد آتينا موسى الكتاب • اي التورية عبر عنها باسم الجنس
لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام • فلا تكن في مرية من لقائه
من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل
ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى
عليه السلام وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة • وجعلناه • اي الكتاب
الذي آتيناه موسى • هدى لبني اسرائيل • قيل لم يتعبدوا بما في التورية ولد اسمعيل • وجعلنا منهم ائمة يهدون • بقيتهم بما في
تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرايعه • بامرنا • اياهم بذلك او بتوفيقنا
له • لما صبروا • هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي
ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاسات الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن
الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم • وكانوا باياتنا • التي في تضاعيف الكتاب • يوقنون • لامعانهم فيها النظر والمعنى
كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية • ان ربك هو يفصل
اي يقضي • بينهم • قيل بين الانبياء وامهم وقيل بين المؤمنين والمشركين • يوم القيمة • فيميز بين المحق والمبطل
• فيما كانوا فيه يختلفون • من امور الدين • اولم يهد لهم • الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه المقام
وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول
محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى • كم اهلكنا • اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة
اهلاكنا • من قبلهم من القرون • مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل
على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الخ استيناف مبينا لكيفية هدايته تعالى • يمشون في مساكنهم
اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير
• ان في ذلك • اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او مساكنهم • لايات • عظيمة في انفسها كثيرة في عددها
• افلا يسمعون • هذه الايات سماع تدبر واتعاظ • اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز • اي التي جرز نباتها اي
قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن • فنخرج به • من تلك الارض • زرعا تأكل منه • اي من ذلك الزرع

متشفون • فكيف بمن اظلم منهم من كل ظالم
وانتقمنا منهم جرما من كل مجرم

انعامهم • كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ يأكل بالياء • وانفسهم • كالحبوب التي يقتاتونها
والثمار • افلا يبصرون • اي الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله • ويقولون • كان المسلمون
يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء
متى هذا الفتح • اي النصر او الفصل بالحكومة • ان كنتم صادقين • في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم • قل • تبكيتا لهم
وتحقيقا للحق • يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون • يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم
ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رحمهما الله تعالى يوم الفتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه
على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم
نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكاني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر
واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف وقد نفع الايمان الطلقاء يوم
الفتح وناسا آمنوا يوم بدر • فاعرض عنهم • ولا تبال بتكذيبهم • وانتظر • النصرة عليهم وهلاكهم • انهم منتظرون • قيل
الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظروه فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي
في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة ينتظرونه عن النبي
عليه السلام من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل الكتاب
في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة ايام صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة الاحزاب ثلث وسبعون آية مدنية — بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله • في ندائه عليه السلام بعنوان النبوة تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المأمور الثبات عليه
والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه • ولا تطع الكافرين • اي المجاهرين بالكفر • والمنافقين • المضمرين له
اي فيما يعودون بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي
قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت بينه عليه السلام وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا
بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك
• ان الله كان عليما حكيما • مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا
عما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما • واتبع • اي في كل ما تأتي
وتذر من امور الدين • ما يوحى اليك من ربك • من الايات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن طاعة الكفرة
والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر • ان الله كان بما تعملون خبيرا • قيل الخطاب للرسول عليه السلام
والجمع للتعظيم وقيل له عليه السلام وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واياما كان
فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملون من الامتثال وتركه
فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك
الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها وردها
فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما • وتوكل على الله • اي فوض جميع امورك اليه • وكفى بالله وكيلا • حافظا موكولا اليه
كل الامور • ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه • شروع في القاء الوحي الذي امر باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى • وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم • وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما وكون
الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل

هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين اي ما جمع الله قلبين في رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية ولا امومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب بل بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية والاحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعي ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره يقرب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بلفظ ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء • ذلكم • اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من سياق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني • قولكم بافواهكم • فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل عن استتباع احكام البنوة كما زعمتم • والله يقول الحق • المطابق للواقع • وهو يهدي السبيل • اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا بقوله عز وجل • ادعوهم لآبائهم • اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى • هو اقسط عند الله • تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه • فان لم تعلموا آباءهم • فتنسبوهم اليهم • فاخوانكم • فهم اخوانكم • في الدين ومواليكم • واولياؤكم فيه اي فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية • وليس عليكم جناح • اي اثم • فيما اخطأتم به • اي فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان • ولكن ما تعمدت قلوبكم • اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح • وكان الله غفورا رحيما • لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر بنسبه من غيره • النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم • اي في كل امر من امور الدين والدنيا كما تشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها وروي انه عم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة • وازواجه امهاتهم • اي منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لسنا امهات النساء • واولوا الارحام • اي ذوو القرابات • بعضهم اولى ببعض • في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين • في كتاب الله • في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى • من المؤمنين والمهاجرين • بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة • الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا • استثناء من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع • كان ذلك في الكتاب مسطورا • اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في التورية • واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم • اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم • ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم • تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم في النبيين للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل • واخذنا منهم ميثاقا غليظا • اي عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا

نجينا

نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى • ليسأل الصادقين عن صدقهم • متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى • واعد للكافرين عذابا اليما • عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله ليسأل الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية • يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم • ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم • اذ جاءتكم جنود • ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رض في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله ما احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي فتنازلا وتجاولا فضربه علي رض ضربة فيها حتفه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتلهما ايضا علي رض وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى • فارسلنا عليهم ريحا • عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسيأتي بقيتها في آخر القصة • وجنودا لم تروها • وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال • وكان الله بما تعملون • من حفر الخندق وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي • بصيرا • ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله • اذ جاؤكم • بدل من اذ جاءتكم • من فوقكم • من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصين وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير • ومن اسفل منكم • اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وكان • واذ زاغت الابصار • عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير اي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع • وبلغت القلوب الحناجر • لان الرئة تنتفخ من شدة الروع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ

الاحباء حقيقة وتحقيقه في قوله تعالى ● وتظنون بالله الظنونا ● لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى ينجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكي عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي ● هنالك ● ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل والمكان الدحض ● ابتلي المؤمنون ● اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل ● وزلزلوا زلزالا شديدا ● من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء ● واذ يقول المنافقون ● عطف على اذ زاغت صيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته ● والذين في قلوبهم مرض ● اي ضعف اعتقاد ● ما وعدنا الله ورسوله ● من اعلاء الدين والظفر ● الا غرورا ● اي وعد غرور وقيل قولا باطلا القائل معتب بن قشير واضرابه. قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور ● واذ قالت طائفة منهم ● هم اوس بن قيظي واتباعه وقيل عبد الله بن ابي واشياعه ● يا اهل يثرب ● هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي عم ان تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة او طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلى الله عليه وسلم وندائهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها ● لا مقام لكم ● لا موضع اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اي لا قيام او لا موضع قيام لكم ● فارجعوا ● اي الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم في دين محمد عم فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله ● ويستأذن فريق منهم النبي ● معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عم في الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى ● يقولون ● بدل من يستأذن او حال من فاعله او استئناف مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان ● ان بيوتنا عورة ● اي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة في الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة وقد جوز ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اي اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار كما ينفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق ● وما هي بعورة ● والحال انها ليست كذلك ● ان يريدون ● ما يريدون بالاستئذان ● الا فرارا ● من القتال ● ولو دخلت عليهم ● اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو اسند الى الجار والمجرور ● من اقطارها ● اي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد من اهل الدعارة والفساد ● ثم سئلوا ● من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة ● الفتنة ● اي الردة والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الايمان والطاعة ● لآتوها ● لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر اي لفعلوها وجاؤها ● وما تلبثوا بها ● بالفتنة اي ما لبثوها وما اخروها ● الا يسيرا ● ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا واما تخصيص الدخول بتلك العساكر المحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشيء يسير وان دعوا الى الباطل سارعوا اليه آثر ذي اثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم فمن فرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة اخرى مع ان العساكر هم الموصوفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون في الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من الترتيب ● ولقد كانوا عاهدوا الله

من قبل

من قبل لا يولون الادبار ● قال بنو حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا ان لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن ● وكان عهد الله مسئولا ● مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه ● قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل ● فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم ● واذا لا تمتعون الا قليلا ● اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ● قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ● اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع ● ولا يجدون لهم من دون الله وليا ● ينفعهم ● ولا نصيرا ● يدفع عنهم الضرر ● قد يعلم الله المعوقين منكم ● اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون ● والقائلين لاخوانهم ● من منافقي المدينة ● هلم الينا ● وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر او قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال اي قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ● ولا يأتون البأس ● اي الحرب والقتال ● الا قليلا ● اي اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا ● اشحة عليكم ● اي بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم ● فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم ● في احداقهم ● كالذي يغشى عليه من الموت ● صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعله او لمصدر تدور او حال من اعينهم اي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او ينظرون كائنين كالذي الخ او تدور اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه ● فاذا ذهب الخوف ● وحيزت الغنائم ● سلقوكم ● ضربوكم ● بألسنة حداد ● وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد او اللسان وقرئ صلقوكم ● اشحة على الخير ● نصب على الحالية او الذم ويؤيده القراءة بالرفع ● اولئك ● الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ● لم يؤمنوا ● بالاخلاص ● فاحبط الله اعمالهم ● اي اظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية اصلا ● وكان ذلك الاحباط ● على الله يسيرا ● هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شيء عليه تعالى يسير لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية ● يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ● اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة ● وان يأت الاحزاب ● كرة ثانية ● يودوا لو انهم بادون في الاعراب ● تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى ● يسألون ● كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ما سمعت ما ذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد يجرد عن معنى كون ما اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره ● عن انبائكم ● عما جرى عليكم ● ولو كانوا فيكم ● هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ● ما قاتلوا الا قليلا ● رياء وخوفا من التعيير ● لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ● خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها ● لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ● اي ثواب الله ولقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه ● وذكر الله ● اي وقرن الرجاء بذكر الله ● كثيرا ● اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله عليه السلام ● ولما رأى المؤمنون الاحزاب ● بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاط الظنون بعد حكاية

ما صدر عنهم اي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم ﴿قالوا هذا﴾ مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم
لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة
الى الخطب او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ فان ذلك العنوان
اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من
قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عليه السلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة
لكم عليهم وقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة ﴿وصدق الله
ورسوله﴾ اي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم
﴿وما زادهم﴾ اي ما رأوه ﴿الا ايمانا﴾ بالله تعالى وبمواعيده ﴿وتسليما﴾ لاوامره ومقاديره ﴿من المؤمنين﴾
اي المؤمنين بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ من الثبات مع الرسول
عليه السلام والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب
بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق
ومحل ما عاهدوا النصب اما بنزع الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال للكوماء تخرجين الاعداء ان لم تخرجي وقالوا السيف يك حيث وفوا به فقد
صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب
النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على
على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة
ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان
النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة للغاية بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت
شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتي ﴿ومنهم﴾ اي وبعضهم او وبعض منهم ﴿من ينتظر﴾ اي قضاء نحبه لكونه موقتا
كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها
وهو الثبات مع رسول الله صلعم والقتال الى حين نزول الآية ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت شهيدا
هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل الالتزام اسبابه التي هي افعال اختيارية للناذر منزلة التزامه
نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة التزام اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو الانسب بمقام المدح واياما كان ففي وصفهم بالانتظار
عن الرغبة والمنتظر شهادة صحة تحمل اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية ﴿وما بدلوا﴾ عطف على صدقوا
وفاعله فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه ﴿تبديلا﴾ اي تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه
مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم
التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة
بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت
يده فقال عم اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عم في رواية جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض
فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى
طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم﴾ متعلق بمضمر مستانف بطريق الفذلكة لبيان ما هو
داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كانه
قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ﴿ويعذب المنافقين﴾

بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية ﴿ان شاء﴾ تعذيبهم ﴿او يتوب عليهم﴾ ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل
المنطوق واثباته المعرض كان المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل
لصدقوا وقيل لما فهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب كانه
قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق ﴿ان الله كان غفورا رحيما﴾ اي لمن تاب وهو اعتراض
فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا
بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور
المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على ارسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت
بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق
من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى ﴿بغيظهم﴾
حال من الموصول اي ملتبسين به وكذا قوله تعالى ﴿لم ينالوا خيرا﴾ بتداخل او تعاقب اي غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى
او استئناف ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بما ذكر من ارسال الريح والجنود ﴿وكان الله قويا﴾ على احداث كل ما يريد
﴿عزيزا﴾ غالبا على كل شيء ﴿وانزل الذين ظاهروهم﴾ اي عاونوا الاحزاب المردودة ﴿من اهل الكتاب﴾
وهم بنو قريظة ﴿من صياصيهم﴾ من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى
﴿فريقا تقتلون وتأسرون فريقا﴾ من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك
والملائكة ما وضعوا السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة
فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ
فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي عم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم
ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة وقرئ تأسرون بضم السين كما قرئ الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول
في الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا
يقتلون لمراعاة الفواصل ﴿واورثكم ارضهم وديارهم﴾ اي حصونهم ﴿واموالهم﴾ نقودهم واثاثهم ومواشيهم روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم فقال عمر رضي
الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله ﴿وارضا لم تطؤها﴾
اي واورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر ﴿وكان الله
على كل شيء قديرا﴾ فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها ﴿يا ايها النبي
قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا﴾ اي السعة والتنعم فيها ﴿وزينتها﴾ وزخارفها ﴿فتعالين﴾ اي اقبلن
بارادتكن واختياركن لاحد الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني ﴿امتعكن﴾ بالجزم جوابا للامر
وكذا ﴿واسرحكن﴾ اي اعطكن المتعة واطلقكن ﴿سراحا جميلا﴾ طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي
انهن سألنه عليه السلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة
ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض
الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما
كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب
آخرون الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلفوا في حكم التخيير فقال

عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة
عندنا رجعية وعند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان رح وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها
يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت
زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع
الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله عم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم
فيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة وفيما عداها
مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا
ينقص من خمسة دراهم • ان كنتن تردن الله ورسوله • اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه السلام
عنده تعالى • والدار الآخرة • اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا • فان الله اعد للمحسنات منكن • بمقابلة
احسانهن • اجرا عظيما • لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد
للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل
• يا نساء النبي • تلوين للخطاب وتوجيه له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه السلام
لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام • من يات منكن بفاحشة • بكبيرة • مبينة • ظاهر قبحها من بين بمعنى تبين
وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عم ونشوزهن وطلبهن منه
عليه ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية • يضاعف لها العذاب ضعفين • اي ضعفي عذاب
غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر
ضعفي حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول او يضاعف ونضعف
العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب • وكان ذلك على الله يسيرا • لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عم
بل يدعوه اليه لمراعاة حقه • ومن يقنت منكن • وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة • لله ورسوله وتعمل صالحا
• نؤتها اجرها مرتين • مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله عم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل
بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى • واعتدنا لها • في الجنة زيادة على اجرها المضاعف • رزقا كريما
مرضيا • يا نساء النبي لستن كاحد من النساء • اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث
الواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف • ان اتقيتن • مخالفة حكم الله تعالى
ورضاء رسوله عم او ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن • فلا تخضعن بالقول • عند مخاطبة الناس اي
لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات • فيطمع الذي في قلبه مرض • اي فجور وريبة وقرئ بالجزم
عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن
بالقول فلا يطمع مريض القلب • وقلن قولا معروفا • بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا
مع كونه خشنا • وقرن في بيوتكن • امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على
ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر واصله
اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن
• ولا تبرجن • اي لا تتبخترن في مشيكن • تبرج الجاهلية الاولى • اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي
ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم عم كانت المرأة تلبس درعا من
اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين
عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عم لابي الدرداء
ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر • واقمن الصلوة وآتين الزكوة • امرها

لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي الطاعات البدنية والمالية • واطعن الله ورسوله • اي في كل ما تأتين وما تذرن
فيما امرتن ونهيتن عنه • انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس • اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح • اهل البيت
واراد بهم من حواهم بيت النبوة • ويطهركم • من اوضار الاوزار والمعاصي • تطهيرا • بليغا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلعم من اهل بيته
قاضية ببطلان راي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضي الله عنها وعلي وابنيه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
واما ما تمسكوا به من ان الرسول صلى الله عم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه
ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل
على كونهم من اهل البيت لا على ان ما عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها مقابلة للنص
• واذكرن ما يتلى في بيوتكن • اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن • من آيات الله والحكمة
من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع
وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان
والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب
لكونها مهبط الوحي لعمومها جميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول
وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما وتعلما • ان الله
كان لطيفا خبيرا • يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي ويعلم من يصلح للنبوة ومن
يستاهل ان يكون من اهل بيته • ان المسلمين والمسلمات • اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث
• والمؤمنين والمؤمنات • المصدقين بما يجب ان يصدق به من الفريقين • والقانتين والقانتات • المداومين
على الطاعات القائمين بها • والصادقين والصادقات • في القول والعمل • والصابرين والصابرات • على الطاعات وعن المعاصي
• والخاشعين والخاشعات • المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم • والمتصدقين والمتصدقات • بما وجب
في مالهم • والصائمين والصائمات • الصوم المفروض • والحافظين فروجهم والحافظات • عن الحرام • والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات • بقلوبهم والسنتهم • اعد الله لهم • بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة • مغفرة •
لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة • واجرا عظيما • على ما صدر عنهم من الطاعات
والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل
السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف
الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون
ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت
الجميلة • وما كان لمؤمن ولا مؤمنة • اي ما صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين • اذا قضى الله ورسوله
امرا • اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره او للاشعار بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه
نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عم لزيد بن حارثة فابت هي
واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي عم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها
وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده • ان يكون لهم الخيرة من امرهم • اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤا
بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما
في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء • ومن يعص الله ورسوله فقد

من الامور ويعمل فيه برأيه • فقد ضل • طريق الحق • ضلالا مبينا • اي بين الانحراف عن سنن الصواب • واذ تقول
اي واذكر وقت قولك • للذي انعم الله عليه • بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته • وانعمت عليه • بالعتق وهو زيد
الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلام
من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد • امسك عليك زوجك
اي زينب وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان الله مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك فوقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي عليه السلام وقال اريد ان افارق
صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال امسك عليك زوجك
• واتق الله • في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها • وتخفي في نفسك ما الله مبديه • وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها
• وتخشى الناس • تعييرهم اياك به • والله احق ان تخشاه • ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده
بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رأيه • فلما قضى زيد
منها وطرا • بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك
• زوجناكها • وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول
لسائر نساء النبي عليه السلام ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء
عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه • لكيلا يكون على المؤمنين حرج • ضيق ومشقة • في ازواج ادعيائهم • اي في حق تزوجهن
• اذا قضوا منهن وطرا • فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل
• وكان امر الله • اي ما يريد تكوينه من الامور او مأموره الحاصل بكن • مفعولا • مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
• ما كان على النبي من حرج • اي ما صح وما استقام في الحكمة ان يكون له ضيق • فيما فرض الله له • اي قسم له وقدر من قولهم
فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم • سنة الله • اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد
لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة • في الذين خلوا • مضوا • من قبل • من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب
النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله
• وكان امر الله قدرا مقدورا • اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمبالغة
في تقرير نفي الحرج وتحقيقه • الذين يبلغون رسالات الله • صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله
• ويخشونه • في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم
• ولا يخشون احدا الا الله • في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض لما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد
التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه • وكفى بالله حسيبا • كافيا للمخاوف • فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى • ما كان محمد ابا احد من رجالكم • اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه
ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام ابا للطاهر والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا
الحلم ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم • ولكن رسول الله • اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق
ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينه وبينهم فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء
حكم سوى التقريب والاختصاص • وخاتم النبيين • اي كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده
قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين كما روي انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول
عيسى بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد عليه السلام
مصليا الى قبلته كانه بعض امته • وكان الله بكل شيء عليما • ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بيناها لكم وكنتم منها في شك وريب
• يا ايها الذين امنوا اذكروا الله • بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس • ذكرا كثيرا • يعم الاوقات والاحوال
• وسبحوه • ونزهوه عما لا يليق به • بكرة واصيلا • اي اول النهار وآخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس بقصر التسبيح عليهما

دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها
لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلوة • هو الذي يصلي
عليكم • استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلوته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين
مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى • وملئكته • عطف على المستكن في يصلي لمكان
الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة اولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد في
المعنيين فرد حقيقي له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم مجازي عام يكون كلا المعنيين فان كلا من الرحمة والاستغفار
فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب
في ان استغفار الملئكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم وانعطاف ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فان اعتباره يزيغ الى
الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر • ليخرجكم من الظلمات الى النور • متعلق بيصلي اي يعتني بامور كم هو وملائكته ليخرجكم من
من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى • وكان بالمؤمنين رحيما • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين
انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان
بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى • تحيتهم يوم يلقونه سلام • بيان للاحكام
الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الحق اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى المفعول
يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة
لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة
وقوله تعالى • واعد لهم اجرا كريما • بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل
ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب
والتشويق الى الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موعود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة
الفواصل • يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا • على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر
عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة
• ومبشرا ونذيرا • تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار • وداعيا الى الله • اي الى الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب
الايمان به من صفاته وافعاله • باذنه • اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال
وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق
في قلادة غير معهودة • وسراجا منيرا • يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية
• وبشر المؤمنين • عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم • بان لهم
من الله فضلا كبيرا • وهو الاحسان اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان
• ولا تطع الكافرين والمنافقين • نهي عن مداراتهم في امر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كني
عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج و
الالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل • ودع اذاهم • اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار • وتوكل
على الله • اي في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم • وكفى بالله وكيلا • موكولا
اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصف عليه
عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة
المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حققه
وقوبل الداعي الى الله تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير
بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور

في معنيين متغايرين فان سائغ له بان يعني ان يراد بها معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين منه م

الرشاد وحقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه • يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن • اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء • فما لكم عليهن من عدة • بايام يتربصن فيها بانفسهن • تعتدونها • تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله واسناده الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب • فمتعوهن • اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة • وسرحوهن • اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة • سراحا جميلا • من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن • يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن • اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل والمتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى • وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك • فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى • وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك • ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء • وامرأة مؤمنة • بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا • ان وهبت نفسها للنبي • اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى • ان اراد النبي ان يستنكحها • اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عنده ع م احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به ع م حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى • خالصة لك • اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى • من دون المؤمنين • على الاول ان الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدودة على الوجه المعهود وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذاك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى • قد علمنا ما فرضنا عليهم • اي على المؤمنين • في ازواجهم • اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه ع م تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم • وما ملكت ايمانهم • وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص • لكيلا يكون عليك حرج • اي ضيق واللام متعلق بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له ع م لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره • وكان الله غفورا • لما يعسر التحرز عنه • رحيما • ولذلك وسع الامر في مواضع

الحرج

الحرج • ترجي من تشاء منهن • اي تؤخرها وتترك مضاجعتها او تطلق من تشاء منهن • وتؤوي اليك من تشاء • وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد • ومن ابتغيت • اي طلبت • ممن عزلت • طلقت بالرجعة • فلا جناح عليك • في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك • ذلك • اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك • ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن • اي اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمئن نفوسهن به وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد لهن • والله يعلم ما في قلوبكم • من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها • وكان الله عليما • مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه • حليما • لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال • لا يحل لك النساء • بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء • من بعد • اي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعدهن لا يحل التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران • ولا ان تبدل • اي تتبدل بحذف احدى التاءين • بهن • اي بهؤلاء التسع • من ازواج • بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على اختيارهن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية • ولو اعجبك حسنهن • اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب ع م اي ممن اعجبه ع م حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء وقال انس رضي الله عنه مات ع م على التحريم • الا ما ملكت يمينك • استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع • وكان الله على كل شيء رقيبا • حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه • يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي • شروع في بيان ما يجب رعايته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته ع م من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى • الا ان يؤذن لكم • استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك ان يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى • الى طعام • متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما اشعر به قوله تعالى • غير ناظرين اناه • غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك • ولكن اذا دعيتم فادخلوا • استثناء

من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه • فاذا طعمتم فانتشروا • فتفرقوا
ولا تلبثوا والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي عم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد
ان يدخل بيوته عليه السلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم • ولا مستأنسين لحديث • اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث
اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستأنسين آه • ان ذلكم • اي الاستئناس
الذي كنتم تفعلونه من قبل • كان يؤذي النبي • لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال
بما يعنيه • فيستحيي منكم • اي من اخراجكم لقوله تعالى • والله لا يستحيي من الحق • فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا
بهم انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة
وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها • واذا سألتموهن • الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته
متاعا • اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره • فاسألوهن • اي المتاع • من وراء حجاب • اي ستر روي ان عمر رضي
الله تعالى عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان يطعم ومعه بعض
اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت • ذلكم • اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم
الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب • اطهر لقلوبكم وقلوبهن • اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية
• وما كان لكم • اي ما صح وما استقام لكم • ان تؤذوا رسول الله • اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتأذى به • ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا • اي من بعد وفاته او فراقه • ان ذلكم • اشارة الى ما ذكر من ايذائه عم ونكاح ازواجه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد • كان عند الله عظيما • اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره
وفيه تعظيم من الله تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد حيث قال • ان تبدوا شيئا
مما لا خير فيه كنكاحهن على السنتكم • او تخفوه • في صدوركم • فان الله كان بكل شيء عليما • فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية
والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد • لا جناح عليهن في آبائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن • استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي
انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال
لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء
الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة
لانهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما
• ولا نسائهن • اي نساء المؤمنات • ولا ما ملكت ايمانهن • من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة
النور • واتقين الله • في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه • ان الله كان على كل شيء شهيدا • لا تخفى عليه
خافية ولا تتفاوت في علمه الاحوال • ان الله وملائكته • وقرئ بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف
الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين • يصلون على النبي • قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلوة الله
عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم له فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني
المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة
ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار • يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه • اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى به • وسلموا تسليما
قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد امره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه
مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي وقوله عم من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه عم قال وكل الله تعالى بي
ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك

الملكين

الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته جوابا لذينك
الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عم السلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك
في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
ويستدعيه معرفة علو شأنه صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد فليس بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابرهيم
النخعي رحمه الله ان الصحابة رض كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رحمه الله
فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام فتجوز تبعا ويكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر
الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا • ان الذين يؤذون الله ورسوله • اريد بالايذاء اما
فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى
والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل
قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عم هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم
يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه عليه السلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل
لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وان ايذاءه عم ايذاء له سبحانه • لعنهم الله • طردهم وابعدهم من رحمته
• في الدنيا والآخرة • بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها • واعد لهم • مع ذلك • عذابا مهينا •
يصيبهم في الآخرة خاصة • والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات • يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل وتقييده
بقوله تعالى • بغير ما اكتسبوا • اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون
الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه • فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا • اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا
يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن
بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في
الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين • يا ايها النبي • بعد ما بين سوء حال المؤذين
زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع
الايذاء فقيل • قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن • الجلباب ثوب اوسع من الخمار
دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله الى صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يستتر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن
اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي تغطي احدى عينيها
وجبهتها والشق الآخر الا العين • ذلك • اي ما ذكر من التغطي • ادنى • اقرب • ان يعرفن • ويميزن عن الاماء
والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وايذائهم • فلا يؤذين • من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن • وكان الله غفورا •
لما سلف منهن من التفريط • رحيما • بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات • لئن لم ينته المنافقون • عما هم
عليه من النفاق واحكامه الموجبة للايذاء • والذين في قلوبهم مرض • عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه •
والمرجفون في المدينة • من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة
المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة
• لنغرينك بهم • لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك • ثم لا يجاورونك •
عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه السلام اعظم ما يصيبهم • فيها • اي في المدينة
• الا قليلا • زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه • ملعونين • نصب على الشتم او الحال على ان
الاستثناء وارد عليه ايضا على رأي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى
• اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا • لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها • سنة الله في الذين خلوا من قبل • في الامم

اي سن الله ذلك سنة

سنة وهي ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا في توهينهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ● ولن تجد لسنة الله تبديلا
اصلا لابتنائها على سنن الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع ● يسألك الناس عن الساعة ● اي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه
عم عن ذلك استعجالا على طريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها في التورية وسائر الكتب ● قل انما علمها عند الله
اي لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى ● وما يدريك ● خطاب مستقل لعموم غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها
مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجئ عن قريب اي اي شيء يعلمك بوقت قيامها اي لا يعلمك به شيء اصلا ● لعل الساعة تكون قريبا
اي شيئا قريبا او تكون الساعة في وقت قريب فانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون التذكير باعتبار ان الساعة في معنى اليوم او الوقت وفيه
تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار في موضع الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة كما اشير اليه ● ان الله لعن الكافرين
على الاطلاق اي طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة ● واعد لهم ● مع ذلك ● سعيرا ● نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في
الآخرة ● خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ● يحفظهم ● ولا نصيرا ● يخلصهم منها ● يوم تقلب وجوههم في النار ● ظرف لعدم الوجدان
وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر اي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى الى جهة او من حال الى حال
او يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم
وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان تكون عبارة
عن كل الجسد فقوله ● يقولون ● استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين
على ما فاتهم ● يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا ● فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير وجوههم او من نفسها وهو العامل في يوم
● وقالوا ● عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضي للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار
ارادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين القوهم في تلك الورطة وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ● ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا ● يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار
والا فهم في مقام التحقير والاهانة ● فاضلونا السبيلا ● بما زينوا لنا الباطل والالف للاطلاق كما في واطعنا الرسولا ● ربنا آتهم
ضعفين من العذاب ● اي مثلي العذاب الذي آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا ● والعنهم لعنا كبيرا ● اي شديدا عظيما وقرئ
كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار واستدعاء الاجابة ● يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قالة الناس ● فبرأه الله مما قالوا ● اي فاظهر براءته عم مما قالوا في حقه اي مضمونه
ومؤداه الذي هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عم بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته
عن ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل
هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل
اتهموه بعيب في بدنه من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند غسله
والقصة مشهورة ● وكان عند الله وجيها ● ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها ● يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
اي في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عم ● وقولوا ● في كل شأن من الشؤون
● قولا سديدا ● قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه
من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد ● يصلح لكم اعمالكم ● يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
● ويغفر لكم ذنوبكم ● ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ● ومن يطع الله ورسوله ● في الاوامر والنواهي التي من جملتها هذه
التكليفات ● فقد فاز ● في الدارين ● فوزا عظيما ● لا يكاد قدره ولا يبلغ غايته ● انا عرضنا الامانة على السموات
● والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ● لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم
ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة امرها بطريق التمثيل مع الايذان
بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى
المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها

وعبر

وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها
وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها
بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك
الامانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت بها تلك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور
وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق رعاية لزيادة تحقيق المعنى المقصود
بالتمثيل وتوضيحه ● وحملها الانسان ● اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق
اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن
اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى ● انه كان ظلوما جهولا ● اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان باول الامر بعدم وفائه بما عهده
وتحمله اي انه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق
دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل ● ليعذب الله المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ● اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها
بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده
ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء
من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى ● ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات ● اي كانت عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة
الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة
والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موضع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء
بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شأنها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن
الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى
بحقوق ن
ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم
الشأن وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق وتوبة
على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل
من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد
فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين واما
الانسان حيث لم يأت بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني
فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا
عقابا ولما خلق آدم عم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة
العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد
لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب مما حقق
فيما مر والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف ● وكان الله غفورا رحيما ● مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب
عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال النبي عم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

● الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض ● اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما في آية
الكرسي بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل

لجميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده
به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت
ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه
فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر من القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى وله الحمد
في الآخرة بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر
من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه
في الدنيا عن ذكر كون الحمد فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة وقوله تعالى الذي
احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا
من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه
التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا و
دبرها حسبما تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه
من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها
وما يخرج منها كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ ننزل
ينزل بالتشديد وبنون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم للحامدين
على ما ذكر من نعمته الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم
جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر
وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون
الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد
لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم
على تاويل الساعة باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الخ امداد للتاكيد وتشديد اثر تشديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم
فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شان المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد
على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما
اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء هو
المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر
اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب
وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي مثقال ذرة مقدار اصغر نملة
في السموات ولا في الارض اي كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اي من مثقال ذرة ولا اكبر اي منه ورفعهما على
الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على
نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه الا ان يجعل الضمير
في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه
بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة لهم
بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه و
والذين سعوا في آياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين
اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز

للبيان

للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من
جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شايعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما
رضي الله تعالى عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القرآن هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى والمفعول
الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الخ
مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزي اي وليعلم اولوا العلم
عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن
من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم
لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق
وهاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل على اضمار
مبتدا اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطعن والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم
اي يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق اي اذا متم وفرقت اجسادكم كل تفريق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم
ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اي تستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون
خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان
لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد كقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه
ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قاله ام به جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد
على ان بين الصدق والكذب واسطة هي ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام
بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا في حقه عم
كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي
اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم
ويغيظهم في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة
ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة
وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عم وانه من العظائم
الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى
ان نشا الخ لبيان ما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا
تعلق المشيئة به اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه
ولا محيص ان نشا جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا
اي قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون
مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى
ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتامل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا
بسكون السين ان في ذلك اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما

تلى من الوحي الناطق بما ذكر • لآية • وحجة • لكل عبد منيب • شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيها او في الوحي المذكور رجع عن تعاطي القبائح وينيب اليه تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى • ولقد آتينا داود منا فضلا • اي آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن وتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد تمكن عندها فضل تمكن • يا جبال أوبي معه • من التأويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ أوبي من الأوب اي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا • والطير • بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب • وألنا له الحديد • اي جعلناه لينا كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناه اياها لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية • أن اعمل • امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى • سابغات • اي دروعا واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء • وقدر في السرد • اي نسج الدروع اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا وردّ بان دروعه لم تكن مسمرة كما ينبئ عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى • واعملوا صالحا • عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه السلام ولاهله • اني بما تعملون بصير • تعليل للامر او لوجوب الامتثال به • ولسليمان الريح • اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح • غدوها شهر ورواحها شهر • اي جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى • واسلنا له عين القطر • اي النحاس المذاب اسال له من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمي عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى • ومن الجن من يعمل بين يديه • اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة • باذن ربه • بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى • ومن يزغ منهم عن امرنا • اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه • نذقه من عذاب السعير • اي عذاب النار في الآخرة وروي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني • يعملون له ما يشاء • تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى • من محاريب • الخ بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يحارب عليها وقيل هي المساجد • وتماثيل • وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في

يراها الناس فيعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما • وجفان • جمع جفنة وهي الصحفة • كالجواب • كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل • وقدور راسيات • ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها • اعملوا آل داود شكرا • حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا • وقليل من عبادي الشكور • اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي • فلما قضينا عليه الموت • اي على سليمان عليه السلام • ما دلهم • اي الجن او آله • على موته الا دابة الارض • اي الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة ارضا فأرضت أرضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فأكلت أكلا • تأكل منسأته • اي عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها ينسأ بها اي يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنسأته على مفعالة كميضأة في ميضاءة ومن سأته اي من طرف عصاه من سية القوس وفيه لغتان كما في قحة وقرئ اكلت منسأته • فلما خر تبينت الجن • من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم • ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين • اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعا بهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه • لقد كان لسبأ • شروع في الاخبار ببعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخرج لها بين بين • في مسكنهم • وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال • آية • دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي بالاحسان والاساءة معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام • جنتان • بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين • عن يمين وشمال • جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين في تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله • كلوا من رزق ربكم واشكروا له • حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك • بلدة طيبة ورب غفور • استئناف مبين لما يوجب الشكر

المأمور به اى بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد هواء واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من مؤذيات الهوام شئ فاعرضوا عن الشكر بعد اتيانه الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمته وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اى سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او قيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذى يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه فى سقيهم وقيل العرم الجرذ الذى نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادى وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى والنبى صلى الله عليهما وسلم وبدلناهم بجنتيهم اى اذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما جنتين ذواتى اكل خمط اى ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هى ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذى شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل واثل وشئ من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس فى البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هنا هو الثانى حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته فى الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثانى النصب على انه مفعول ثان له اى ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازى الا الكفور اى وما نجازى هذا الجزاء الا المبالغ فى الكفران او الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة فى مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية فى مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما فى التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة باعمالهم او باجزيتها اى وجعلنا مع اتيانهم فى مساكنهم من فنون النعم بينهم اى بين بلادهم وبين القرى الشامية التى باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهى ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اى جعلناها فى نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال ابناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل فى اخرى والرائح منها يبيت فى اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها فى الحضر والسفر سيروا فيها على ارادة القول اى وقلنا لهم سيروا فى تلك القرى ليالى واياما اى فى اى وقت شئتم من الليالى والايام آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالى وايام كثيرة او سيروا فيها ليالى اعماركم وايامها لا تلقون فيها الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعّد وربنا بعد بين اسفارنا وبعد بين اسفارنا على

واسناد

واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه وظلموا انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها فجعلناهم احاديث اى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اى فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفى عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى اى فرقناهم تفريقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الامثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبى عن ابى صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبأ وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذى يقال له مزيقياء بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابى زيد الانصارى ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن تلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحى فولى امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فروة بن مسيك الغطيفى سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال انه هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدى سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم نسبوها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اى صدق فى ظنه او صدق يظن ظنه ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم فى الشهوات او ببنى آدم حين شاهد آدم وقد اصغى الى وسوسته قال ان ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اى اهل سبأ او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اى تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو فى شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم تعلقه مبالغة وربك على كل شئ حفيظ اى محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اى

اى للمشركين اظهاراً لبطلان ما هم عليه وتبكيتاً لهم ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفاً
لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل لجعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير
كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم
اشعارا بتعين الجواب لانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض
اى في امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب
القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم اى لآلهتهم فيهما من شرك اى شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا
وما له اى لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اى لا توجد رأسا كما في قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها وقوله
الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة
ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة
الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين
لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة
من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له اى لاجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم
من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم
فعلى هذا ثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها اولى وقرئ أُذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزّع
عن قلوبهم اى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع
عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها
من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم
فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد لأي
والتي وظهرت لهم تباشير الاجابة قالوا اى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا
قال ربكم اى في شأن الاذن قالوا اى الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه
عز وجل بالشفاعة الحق اى قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اى
قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه
اى المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فَزَع مخففا بمعنى فُزّع وقرئ فَزّع على البناء
للفاعل وهو الله وحده وقرئ فُرّغ بالراء المهملة والغين المعجمة اى نفي الوجل عنها وافني من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء
وهو من الاسناد المجازي لان الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن مخففا
الراء واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ
وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم
على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم
من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل
له عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اى وان احد
الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ
الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد

وقرئ

وقرئ وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء
ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون عما
اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند فيه الاجرام وان اريد به
الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم
القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة
والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني
الذين الحقتم اى الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم
واطلاعهم على بطلان رأيهم اى اروني بها لانظر باى صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد
تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف
بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية والضمير اما لله عز وعلا
او للشان كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا ارسالة عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم
ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهو حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس
لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال
ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود
بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم
ميعاد يوم اى وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعادٌ يومٌ منونين على البدل ويوماً باضمار اعني للتعظيم
لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث
جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة
فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه اى من الكتب
القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته
في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند
ربهم اى في موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول اى يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين
استضعفوا بدل من يرجع الخ اى يقول الاتباع للذين استكبروا في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا انتم
اى لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن
الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون بانفسهم بسبب
كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضرابا عن اضرابهم وابطالا له بل مكر الليل والنهار
اى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي
وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين اى بل صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه
او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكرّ الليل والنهار بالرفع والنصب اى تكرون الاغواء كرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع
على الفاعلية اى بل صدنا كركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب
على المصدرية اى بل تكرون الاغواء كر الليل والنهار اى كرا دائما وقوله تعالى اذ تأمروننا ظرف للمكر اى بل مكركم الدائم
وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واي نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية
الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما رأوا العذاب اى اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا

من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم
• وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا • اي في اعناقهم والاظهار في موقع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب
اغلالهم • هل يجزون الا ما كانوا يعملون • اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملونه او الا بما كانوا يعملونه على نزع الجار
• وما ارسلنا في قرية • من القرى • من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما
مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر
بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير
الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عليه السلام وكادوا به نحو ما كادوا به وهم وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة
عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهم اياها
وعلى ذلك الرأي الركيك بنوا احكامهم • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين • اما بناء على انتفاء العذاب
الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها • قل • ردا عليهم وحسما
لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين • ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء • ان يبسطه له • ويقدر
على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق
على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من
ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها
وقرئ ويقدر بالتشديد • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر
هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع الدرجات • وما اموالكم
• ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى • كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة
في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاءه وغير عقلاءه
سواء في حكم التأنيث او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي • الا من آمن وعمل صالحا • استثناء من مفعول
تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده الخير وربّاهم
على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من آه • فاولئك • اشارة
الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم
وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح • لهم جزاء الضعف • اي ثابت لهم ذلك
على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك
وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان يضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف على ان لهم
الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء • بما عملوا
من الصالحات • وهم في الغرفات • اي غرفات الجنة • آمنون • من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة
على ارادة الجنس • والذين يسعون في آياتنا • بالرد والطعن فيها • معاجزين • مسابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا
• اولئك في العذاب محضرون • لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا • قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده • اي يوسعه
عليه تارة • ويقدر له • اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى • وما انفقتم
• من شيء فهو يخلفه • عوضا اما عاجلا واما آجلا • وهو خير الرازقين • فان غيره واسطة في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته
• ويوم يحشرهم جميعا • اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او
مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر • ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون • توبيخا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى
أانت قلت للناس اتخذوني الآه واقناطا لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم

والصالحون

والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر
شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل
فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك • سبحانك انت ولينا من دونهم • والعدول الى صيغة الماضي
للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا
عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم • بل كانوا يعبدون الجن • اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله
سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون
بعبادتها • اكثرهم بهم مؤمنون • الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن • فاليوم لا يملك
• بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا • من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك
على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب
ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض
المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة
لعبدتهم في الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز وحمل عدم النفع
على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته
على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل • ونقول للذين ظلموا • عطف على نقول للملائكة
لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلعم لما سيقال للعبدة
يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين
• ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون • يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى • واذا تتلى
• عليهم آياتنا بينات • بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم آياتنا الناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الشرك • قالوا ما هذا • يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم • الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم
فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية
منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد • وقالوا ما هذا • يعنون القرآن الكريم • الا افك • اي كلام
مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع • مفترى • باسناده الى الله تعالى • وقال الذين كفروا للحق • اي لامر النبوة او الاسلام
او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز • لما جاءهم • من غير تدبر ولا تأمل
فيه • ان هذا الا سحر مبين • ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفر وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول
فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه • وما آتيناهم من كتب يدرسونها
فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله
فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس • وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب
الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى • وكذب الذين من قبلهم • من الامم المتقدمة والقرون
الخالية كما كذبوا • وما بلغوا معشار ما آتيناهم • اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال
او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى • فكذبوا رسلي • عطف على كذب الذين آه بطريق التفسير
كقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا آه • فكيف كان نكير • اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك
• قل انما اعظكم بواحدة • اي ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى • ان تقوموا لله • على انه
بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى
معرضا عن المماراة والتقليد • مثنى وفرادى • اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام

وتخليط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمينان . ثم تتفكروا . في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا
حقيقته وحقيته وقوله تعالى . ما بصاحبكم من جنة . استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم
الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من عند الله
مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عم ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا و
اجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على
ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون . ان هو
الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد . هو عذاب الآخرة فانه عم مبعوث في نسم الساعة . قل ما سألتكم من اجر . اي
اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة . فهو لكم . والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل
ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم . ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد . مطلع
يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء . قل ان ربي يقذف بالحق . اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده
او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق . علام الغيوب
صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدر
باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب . قل جاء الحق . اي الاسلام والتوحيد . وما يبدئ الباطل وما يعيد
اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه
قول عبيد افقر من اهله عبيد فليس يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد او لا يبدي خيرا لاهله ولا
يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها . قل ان ضللت . عن الطريق الحق . فانما اضل على نفسي . فان وبال ضلالي عليها لانه
بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى . وان اهتديت فبما يوحي الي ربي
لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء . انه سميع قريب . يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله وان بالغ
في اخفائهما . ولو ترى اذ فزعوا . عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رض ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا
البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا هائلا . فلا فوت . فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن . واخذوا
من مكان قريب . من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة
معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ بالعطف على محله اي فلا فوت هناك
وهناك اخذ . وقالوا آمنا به . اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم . وانى لهم التناوش . التناول
السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا . من مكان بعيد . فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في
الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب
الواو لضمتها وهو من نأشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت
ومنه قول من قال تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور . وقد كفروا به . اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب
الشديد الذي انذرهم اياه . من قبل . من قبل ذلك في اوان التكليف . ويقذفون بالغيب . ويرجمون بالظن ويتكلمون
بما لم يظهر لهم في حق الرسول صلعم من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه . من مكان بعيد . من جهة بعيدة من حاله
عليه السلام حيث ينسبونه الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الناس
الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون
على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم
بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا . وحيل بينهم وبين ما يشتهون . من نفع الايمان والنجاة من النار
وقرئ باشمام الضم للحاء . كما فعل باشياعهم من قبل . اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة . انهم كانوا في شك مريب

اي في موقع في الريبة او ذي ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك
كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة فاطر خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض . مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا
كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل
في المشتق . جاعل الملائكة . الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى . رسلا . منصوب به على الوجه الثاني
من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي
لا يعمل عندهم الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لان باضافته الى الاول تعذر
اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ
الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته
بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايصال آثار صنعه يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون
الجعل تصييريا واما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين . اولي اجنحة . صفة لرسلا واولوا
اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض في الخلفة وقوله تعالى . مثنى وثلث وربع .
صفات لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها
والمعنى ان من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحة كل منهم ثلثة وخلقا آخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا من
الملائكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان
على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عم ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه
سأله عليهما السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة
فاتاه جبريل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه السلام ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه
فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح
منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع
وهو العصفور الصغير . يزيد في الخلق ما يشاء . استئناف مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملائكة في عدد الاجنحة ومؤذن
بان ذلك من احكام مشيته تعالى لا لامر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب
مشيته ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض المعاني بالذكر
من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى
ان الله على كل شيء قدير . تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء مما يوجب قدرته
تعالى على ان يزيد كل ما يشاؤه ايجابا بينا . ما يفتح الله للناس من رحمة . عبر عن ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس
الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعمها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام اي اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اية
رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به . فلا ممسك لها . اي لا احد يقدر على
امساكها . وما يمسك . اي اي شيء يمسك . فلا مرسل له . اي لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان
مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه . من بعده .
اي من بعد امساكه . وهو العزيز . الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك . الحكيم . الذي
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب
الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان

ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال • يا ايها الناس اذكروا
نعمة الله عليكم • اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف
بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون
في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال
• هل من خالق غير الله • اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير
نعت له باعتبار محله كما انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى • يرزقكم من السماء
والارض • اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب داخل في حيز النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه
صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض
لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على
اي هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناه نفي رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع انه المراد حتما الا يرى الى
قوله تعالى • لا اله الا هو • فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة بحيث
كان هذا ناطقا بنفي الوجود يتعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى • فانى تؤفكون • لترتيب انكار عدولهم
عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد
الى الشرك وقوله تعالى • وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد خطاب الناس مسارعة الى تسليته عليه السلام بعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على
ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليه الحجة والزمتهم الحجة فتأس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل
قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل
اولو شان خطير وذوو عدد كثير • والى الله ترجع الامور • لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي من
جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد
ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل • يا ايها الناس • رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد
العظة والتذكير • ان وعد الله • المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من البعث والجزاء • حق • ثابت لا محالة من غير خلف
• فلا تغرنكم الحيوة الدنيا • بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما ينفعكم يوم حلول الميعاد والمراد
نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي • ولا يغرنكم بالله • بعفوه وكرمه تعالى
• الغرور • اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب
جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه
ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد • ان الشيطان لكم عدو •
عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به • فاتخذوه عدوا • بمخالفتكم له في عقائدكم وافعالكم وكونكم على حذر منه
في مجامع احوالكم وقوله تعالى • انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير • تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه
في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى [illegible] الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا
عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون • الذين كفروا لهم
[illegible] • عذاب شديد • [illegible]
• والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم • بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح [illegible] • مغفرة • عظيمة • واجر
كبير • لا غاية لهما [illegible] • افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • [illegible]
[illegible]
[illegible]

ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى • فان الله يضل • الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل
• من يشاء • ان يضله لاستحالته واستحبابه الضلال وصرف اختياره الى السدى فيرده الى اسفل سافلين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه
عليه السلام عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد
كون حالهم ذلك تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى • فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • والشكية واما تمهيد لصرفه عليه السلام
عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عندهم اي
ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف
ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ عليه اي انه من شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين
وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه السلام
على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتحسر والتأسف وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو
بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأنها كلها صارت حسرات وقوله تعالى • ان الله
• عليم بما يصنعون • اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
في ابي جهل ومشركي مكة • والله الذي ارسل الرياح • مبتدأ وخبر وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى • فتثير سحابا • لحكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية
ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة • فسقناه الى بلد ميت • وقرئ بالتخفيف • فاحيينا به الارض
اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب • بعد موتها •
اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما
من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى • كذلك النشور • في كمال الاختصاص
بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة
التأتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت
منه اجساد الخلق • من كان يريد العزة • هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله
آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها • فلله العزة جميعا • اي له تعالى
وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة فليطلبها منه لا من غيره فاستغني عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب
لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى • اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه • بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح
وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو
يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي يطلب به العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد وهو يجزي
صاحبه ويعطي طلبته بالذات والمستكن في يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق
الايمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء للمفعول والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك
وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه
ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل
اليه يصعد الكلم الطيب الخ • والذين يمكرون السيئات • بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب
والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج • لهم • بسبب مكراتهم • عذاب شديد

لا لقادر قدره ولا لوبه عنده لما يمكرون • ومكر اولئك • وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر
والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك مع ما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اي
مكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به عليه السلام • هو يبور • اي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد
ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلث التي اكتفوا في حقه عم
بواحدة منهن • والله خلقكم من تراب • دليل آخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عم خلقا اجماليا
كما مر تحقيقه مرارا • ثم من نطفة • اي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا • ثم جعلكم ازواجا • اي اصنافا او ذكرانا واناثا وعن قتادة
جعل بعضكم زوجا لبعض • وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه • الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته • وما يعمر من معمر • اي من احد
وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد • ولا ينقص من عمره • اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه
الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار
اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله
الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا
سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون
الميم • الا في كتاب • عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان • ان ذلك • اي ما ذكر
من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام • على الله يسير • لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث • وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج • مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي
يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف • قوله تعالى • ومن كل
اي من كل واحد منهما • تاكلون لحما طريا وتستخرجون • اي من الملح خاصة • حلية تلبسونها • اما استطراد في صفة البحرين وما
فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو
المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته كماله اللائق دون الآخر
او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط
من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان • وترى الفلك فيه • اي في كل منهما • وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما
لحق لان الخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط • مواخر • شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة
• لتبتغوا من فضله • من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما دل عليه الافعال المذكورة اي فعل ذلك
لتبتغوا من فضله • ولعلكم تشكرون • اي وتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى • يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل • بزيادة احدهما ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر • وسخر الشمس والقمر
عطف على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد و
والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى • كل يجري • اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة
حسب تعدد ايام السنة جريانا مستمرا • لاجل مسمى • قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله تعالى وقيل
جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكيهما والاجل المسمى عند منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر
تفصيله في سورة لقمان • ذلكم • اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ و
ما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة • الله ربكم له الملك • وفيه من الدلالة على ان
ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ في مقابلة قوله تعالى
• والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • للدلالة على تفرده تعالى بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية

و

والقطمير لفافة النواة وهو مثل في الحقارة والقلة • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم • استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية
حال ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع • ولو سمعوا • على الفرض والتقدير • ما استجابوا لكم • لعجزهم عن الافعال بالمرة لا انهم
متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا • ويوم القيمة يكفرون بشرككم • اي يجحدون باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون • ولا ينبئك مثل خبير • اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق
سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية • يا ايها الناس
انتم الفقراء الى الله • في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم
وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا
• والله هو الغني الحميد • اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد • ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد
ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه • وما ذلك • اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين
• على الله بعزيز • بمتعذر او متعسر • ولا تزر وازرة • اي لا تحمل نفس آثمة • وزر اخرى • اثم نفس اخرى بل كل منهما
وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقالا غير اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم مع
اثقال ضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها من اوزار غيرهم شيء • وان تدع مثقلة • اي نفس اثقلتها الاوزار • الى حملها
لتحمل بعض اوزارها • لا يحمل منه شيء • لم تجب لحمل شيء منه • ولو كان • اي المدعو المفهوم من الدعوة • ذا قربى • ذا قرابة
من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي له اجبارا • انما تنذر • استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر
اي انما تنذر بهذه الانذارات • الذين يخشون ربهم بالغيب • اي يخشونه غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او
يخشون عذابه وهو غائب عنهم • واقاموا الصلوة • اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما ينفع
انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد والعناد • ومن تزكى • اي تطهر من اوضار الاوزار والمعاصي
بالتاثر من هذه الانذارات • فانما يتزكى لنفسه • لاقتصار نفعه عليها كما ان من تدنس بها لا يتدنس الا عليها وقرئ ومن ازكى
فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادي التزكي • والى الله المصير • لا الى احد غيره استقلالا او اشتراكا
فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء • وما يستوي الاعمى والبصير • اي الكافر والمؤمن • ولا الظلمات ولا النور • اي ولا الباطل
ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق • ولا الظل ولا الحرور • اي ولا الثواب ولا العقاب
وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب
نهارا والحرور ما يهب ليلا • وما يستوي الاحياء ولا الاموات • تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر
الفعل واوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة • ان الله يسمع من يشاء
ان يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته • وما انت بمسمع من في القبور • ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات
واشباع في اقناطه عليه السلام من ايمانهم • ان انت الا نذير • ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك
ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم • انا ارسلناك بالحق • اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يتعلق
بقوله • بشيرا ونذيرا • اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق • وان من امة • اي ما من امة من الامم الدارجة في الازمنة
الماضية • الا خلا • اي مضى • فيها نذير • من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة
لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام • وان يكذبوك • اي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم
• فقد كذب الذين من قبلهم • من الامم العاتية • جاءتهم رسلهم بالبينات • اي بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم
• وبالزبر • كصحف ابراهيم • وبالكتاب المنير • كالتورية والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بها
واحد والعطف لتغاير العنوانين • ثم اخذت الذين كفروا • وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار
بعلة الاخذ • فكيف كان نكير • اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها • الم تر • استئناف مسوق لتقرير ما قبله
من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والروية قلبية

اي الم تعلم ● ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ● بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع
البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ● ثمرات مختلفا الوانها ● اي اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة
او هيئاتها واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ● ومن الجبال جدد ● اي ذو جدد
اي خطط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديد بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو
الطريق الواضح ● بيض وحمر مختلف الوانها ● بالشدة والضعف ● وغرابيب سود ● عطف على بيض او على جدد كانه قيل
ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر
والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند
وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والاظهار ● ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه ● اي
ومنهم بعض مختلف الوانه او وبعض مختلف الوانه على ما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما
لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف الجبال والناس والدواب والانعام
فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث
ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال الجبال والناس
وغيرها فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى ● كذلك ● مصدر تشبيهي لقوله تعالى
مختلف اي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك اي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب
بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى ● انما يخشى الله من عباده العلماء ● تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم اما في الاوصاف
المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان اي انما
يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه
فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة
على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية
ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا
● ان الله عزيز غفور ● تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ● ان الذين
يتلون كتاب الله ● اي يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن
وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار
مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سياتي من توفية الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا
ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها
قبل انتساخها والاشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص
التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان باقي مشروعاتها ليس لانه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن وانما
فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر ● واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ● كيفما اتفق
من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ● يرجون تجارة ● تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى
● لن تبور ● اي لن تكسد ولن تهلك بالخسران اصلا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة
بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى
● ليوفيهم اجورهم ● متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ● ويزيدهم
من فضله ● على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اي فعلوا ذلك ليوفيهم او
وقيل يرجون على ان اللام للعاقبة ● انه غفور شكور ● تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اي غفور لفرطاتهم شكور

لطاعاتهم

لطاعاتهم اي مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو انفقوا ● والذي اوحينا اليك من الكتاب
وهو القرآن ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء ● هو الحق مصدقا لما بين يديه ● اي احقه مصدقا لما تقدمه
من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ● ان الله بعباده لخبير بصير
محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب
وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية ● ثم اورثنا الكتاب ● اي قضينا بتوريثه منك او نورثه وعبر عنه
بالماضي لتحققه وقيل اورثناه من الامم السالفة اي اخرناه عنهم واعطيناه ● الذين اصطفينا من عبادنا ● وهم علماء
الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا ليكونوا شهداء
على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليهم السلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية ● فمنهم ظالم لنفسه ● بالتقصير في العمل به وهو المرجا لامر الله تعالى ● ومنهم مقتصد
يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيئ ● ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ● قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين
والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة
منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط
الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك
يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقد روي ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا
سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ● ذلك ● اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف ● هو الفضل الكبير ● من الله عز وعلا لا ينال الا بتوفيقه تعالى ● جنات عدن
اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا خبره ● يدخلونها ● وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد
بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومالهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول
الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب
بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول ● يحلون فيها من اساور ● من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اي يحلون
بعض اساور ● من ذهب ● كانه افضل من سائر افرادها ● ولؤلؤا ● بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب
اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ● ولباسهم فيها حرير ● وتغيير الاسلوب فقد مر سره في سورة
الحج ● وقالوا ● اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ● الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ● وهو ما اهمهم من خوف
سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس
وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ● ان ربنا لغفور ● اي للمذنبين ● شكور ● للمطيعين ● الذي
احلنا دار المقامة ● اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا ● من فضله ● من انعامه وتفضله من غير ان اوجبه شيء من قبلنا
● لا يمسنا فيها نصب ● تعب ● ولا يمسنا فيها لغوب ● كلال والفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب
ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول وتقدير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما ● والذين كفروا
لهم نار جهنم لا يقضى عليهم ● لا يحكم عليهم بموت ثان ● فيموتوا ● ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على
يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ● ولا يخفف عنهم من عذابها ● بل كلما خبت زيد اسعارها ● كذلك ● اي مثل
ذلك الجزاء الفظيع ● نجزي كل كفور ● مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول
واسناده الى كل وقرئ نجازي ● وهم يصطرخون فيها ● يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة

لم المستغيث صوته ﴿ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل﴾ باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر
على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى
﴿اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة
وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنهم وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه السلام اعذر الله الى امرئ اخر
اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى ﴿وجاءكم النذير﴾ عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك ووضعنا عنك الخ لانه في معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل
الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى ﴿فذوقوا﴾ لترتيب الامر بالذوق
على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى ﴿فما للظالمين من نصير﴾ للتعليل ﴿ان الله عالم غيب السموات والارض﴾ بالاضافة و
قرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم ﴿انه عليم بذات الصدور﴾ قيل انه تعليل
لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض﴾ يقال للمستخلف خليفة
وخليف فالاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاءه في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح
لكم منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة ﴿فمن كفر﴾ منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها ﴿فعليه كفره﴾ اي وبال كفره لا يتعداه
الى غيره وقوله تعالى ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا﴾ ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا﴾ بيان لوبال الكفر وغائلته
وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير
والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة ﴿قل ارأيتم شركاءكم﴾
﴿الذين تدعون من دون الله﴾ اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم
شركاء لانفسهم فيما ملكوه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه ﴿اروني ماذا خلقوا من الارض﴾ بدل اشتمال من ارأيتم كانه قيل اخبروني
عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ﴿ام لهم شرك في السموات﴾ اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا
بذلك شركة في الالوهية ذاتية ﴿ام آتيناهم كتابا﴾ ينطق بانا اتخذناهم شركاء ﴿فهم على بينة منه﴾ اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب
بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايذان بان
الشرك امر خطير لابد في اثباته من تعاضد الدلائل ﴿بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا﴾ لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب
عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم
﴿ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا﴾ استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة زوالهما او
يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ﴿ولئن زالتا ان امسكهما﴾ اي ما امسكهما ﴿من احد من بعده﴾ اي من بعد امساكه تعالى
او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء ﴿انه كان حليما غفورا﴾ غير
معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جنايتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا ﴿واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم﴾ بلغ قريشا قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول
لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
﴿فلما جاءهم نذير﴾ واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام ﴿ما زادهم﴾ اي النذير او مجيئه ﴿الا نفورا﴾ تباعدا عن الحق
﴿استكبارا في الارض﴾ بدل من نفورا او مفعول له ﴿ومكر السيء﴾ اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا السيء
ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ مكرا سيئا ﴿ولا يحيق المكر السيء﴾
﴿الا باهله﴾ ﴿فهل ينظرون﴾ اي ما ينتظرون ﴿الا سنة الاولين﴾ اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم ﴿فلن تجد لسنة الله
تبديلا﴾ بان يضع موضع العذاب غير العذاب ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء

او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا ه

لتعليل

لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما
بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما ﴿اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ استشهاد على ما قبله من جريان سنته
تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو
للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم ﴿وكانوا اشد منهم قوة﴾ واطول
اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ اي
ليسبقه ويفوته ﴿في السموات ولا في الارض﴾ اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى ﴿انه كان
عليما قديرا﴾ اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾
جميعا ﴿بما كسبوا﴾ من السيئات كما فعل باولئك ﴿ما ترك على ظهرها﴾ اي على ظهر الارض ﴿من دابة﴾ من نسمة تدب عليها من
بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضده الاول قوله تعالى ﴿ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى﴾ وهو يوم القيامة ﴿فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت صدق رسول الله فيما قال

سورة يس وهي ثلث وثمانون آية مكية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس﴾ اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرأ ياسين والنصب
باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل
هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف
ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء
السور من كتابه وقيل هو محرك بالفتح كما في حيث واين وحسبما يشهد به قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك لالتقاء
الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه يا انسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله يا انيسين
فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله ﴿والقرآن﴾ بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير
كونه مجرورا باضمار باء القسم ﴿الحكيم﴾ اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان
يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان
﴿انك لمن المرسلين﴾ جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عليه السلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما امر
الله بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد
برسالته عليه السلام من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق مضمون الجملة
القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى ﴿على صراط مستقيم﴾ خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور
على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف
اثر بيان انه عليه السلام من جملة المرسلين بالشرائع ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر
على انه بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل
واظهار الفخامة الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث
على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر
مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة
القسمية ﴿لتنذر﴾ متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي نزله لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه
لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر ﴿قوما ما انذر آباؤهم﴾ اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فيكون صفة

انذارا بآبائهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر مه

مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذر به اباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر
انذارا كائنا مثل انذار ابائهم • فهم غافلون • على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم تنذر اباؤهم فهم جميعا
غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عليه السلام او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما
على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر اباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى • لقد حق القول على اكثرهم
جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار
وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
كيف لا والمراد به ما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته
قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت
القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى • فهم لا يؤمنون • متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول
وقوله تعالى • انا جعلنا في اعناقهم اغلالا • تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم • فهي الى الاذقان
اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له • فهم مقمحون • رافعون رؤوسهم
غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته • وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك
لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون
شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ
سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني
مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو عليه السلام يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما
رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب
فاعمى الله تعالى بصره • وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم • بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك
اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى • لا يؤمنون • استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او حال مؤكدة
له او بدل منه • ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل • انما تنذر • اي انذارا مستتبعا للاثر • من
اتبع الذكر • اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان • وخشي الرحمن بالغيب • اي خاف عقابه
وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم • فبشره بمغفرة • عظيمة • واجر كريم • لا يقادر قدره والفاء لترتيب
البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية • انا نحن نحيي الموتى • بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا
اي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به • ونكتب ما قدموا • اي ما اسلفوا من
الاعمال الصالحة وغيرها • وآثارهم • التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات
والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك
من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وهي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ
ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم • وكل شيء • من الاشياء كائنا ما كان • احصيناه في امام مبين • اصل عظيم الشأن
مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع • واضرب لهم مثلا اصحاب القرية • ضرب المثل
يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة
وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال
فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان

لاضرب

لاضرب واصحاب القرية مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله
اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية • اذ جاءها المرسلون • بدل اشتمال من اصحاب القرية
وهم رسل عيسى عليه السلام الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله • اذ ارسلنا اليهم اثنين • بناء على انه كان بامره تعالى لتكميل التمثيل
وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما • فكذبوهما • اي فاتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة • فعززنا • اي قوينا
يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به
• بثالث • هو شمعون • فقالوا • اي جميعا • انا اليكم مرسلون • مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب
للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو
حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه قال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين
فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك فقال حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية
الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت آلهتك حتى تصنع مثل هذا فيكون لك ولها الشرف قال ليس
عنك سر ان آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر
الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم
فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده
سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب
ولو آمن الملك وقومه من حواشيه كلهم لكان الظاهر ان يظاهر الرسل ويساعدهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم
فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار
• قالوا • اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة • ما انتم الا بشر مثلنا • من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم
بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا • وما انزل الرحمن من شيء • مما تدعونه من الوحي والرسالة • ان انتم
الا تكذبون • في دعوى رسالته • قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون • استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما
من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار • وما علينا • اي من جهة ربنا • الا البلاغ
• المبين • اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك
من جهة ربنا او ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا
بذلك • قالوا • لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل • انا تطيرنا بكم • تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون
بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة
لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم
القطر فقالوه • لئن لم تنتهوا • اي عن مقالتكم هذه • لنرجمنكم • بالحجارة • وليمسنكم منا عذاب اليم • لا يقادر قدره
• قالوا طائركم • اي سبب شؤمكم • معكم • لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه اي تطيرتم وتوعدتم لان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وائن ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو
ابلغ • بل انتم قوم مسرفون • اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم ومصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك بل انتم
قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك

وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى • هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه السلام أحد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام أظهر دينه • قال • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال • يا قوم اتبعوا المرسلين • تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما أن خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول النصيحة وقوله • اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون • تكرير للتأكيد وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء إلى خير الدنيا والدين • وما لي لا أعبد الذي فطرني • تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله • وإليه ترجعون • مبالغة في التهديد ثم عاد إلى المساق الأول فقال • أأتخذ من دونه آلهة • إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق وقوله تعالى • إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا • أي لا تنفعني شيئا من النفع • ولا ينقذون • من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وقرئ إن يردني بفتح الياء على معنى إن يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر • إني إذا • أي إذا اتخذت من دونه آلهة • لفي ضلال مبين • فإن إشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير إلا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد ممن له تمييز في الجملة • إني آمنت بربكم • خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك إنما أكده لإظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وإضافة الرب إلى ضميرهم روما لزيادة التقرير وإظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم الذي أرسلكم أو الذي تدعوننا إلى الإيمان به • فاسمعون • أي اسمعوا إيماني واشهدوا لي به عند الله عز وجل وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك إظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الأصنام أربابا وقيل للناس جميعا • قيل ادخل الجنة • قيل له ذلك لما قتلوه إكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله إلى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى • قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين • فإنه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة جريا على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه إلا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الأصل والباء متعلقة بغفر أي بأي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على أذيتهم • وما أنزلنا على قومه من بعده • من بعد قتله أو رفعه • من جند من السماء • لإهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولإهلاكهم وإيماء إلى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم • وما كنا منزلين • وما صح في حكمتنا أن ننزل لإهلاك قومه جندا من السماء لما أنا قدرنا لكل شيء سببا حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الأمم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالإغراق وجعلنا إنزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند أي ما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة وغيرها • إن كانت • أي ما كانت الأخذة أو العقوبة • إلا صيحة واحدة • صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ إلا صيحة بالرفع على أن كان تامة وقرئ إلا زقية واحدة من زقا الطائر إذا صاح • فإذا هم خامدون • ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا إلى أن الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع • يا حسرة على العباد • تعالي فهذه من الأحوال التي حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى • ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون • فإن المستهزئين بالناصحين الذين نيط بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسر عليهم

المتحسرون أو قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسرا عليهم من جهته تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لأن المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول ويا حسره على العباد بإجراء الوصل مجرى الوقف • ألم يروا • أي ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في قوله تعالى • كم أهلكنا قبلهم من القرون • لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تر أن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه • أنهم إليهم لا يرجعون • بدل من كم أهلكنا على المعنى أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا وغيرهم كونهم غير راجعين إليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال • وإن كل لما جميع لدينا محضرون • بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا وإن نافية وتنوين كل عوض من المضاف إليه ولما بمعنى إلا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على أن إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى إن كلهم مجموعون الخ • وآية لهم الأرض الميتة • بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله آية خبر مقدم للاهتمام وتنكيرها للتفخيم ولهم إما متعلقة بها لأنها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والأرض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى • أحييناها • استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والأرض الميتة مبتدأ موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الأرض مبتدأ وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لآية هو الأرض وأحييناها صفتها لأن المراد بها الجنس المبهم والأول هو الأولى لأن مصب الفائدة هو كون الأرض آية لهم لا كون الآية هي الأرض • وأخرجنا منها حبا • جنس الحب • فمنه يأكلون • تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به • وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب • أي من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التمور لتطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع • وفجرنا فيها • وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى • من العيون • أي بعضا من العيون فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأي الأخفش • ليأكلوا من ثمره • متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادي الأثمار أي وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ورتبنا مبادي أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات إلى الغيبة والإضافة لأن الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه أو جمع ثمار وبضمة وسكون • وما عملته أيديهم • عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الأول قراءة عملت بلا هاء فإن حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها • أفلا يشكرون • إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيرون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها • سبحان الذي خلق الأزواج كلها • استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من إخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا أو قولا أي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي أسبح سبحان أي أنزهه عما لا يليق به عقدا أو عملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء وفيه مبالغة من جهة إسناد التنزه إلى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج الأصناف والأنواع • مما تنبت الأرض • بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها • ومن أنفسهم • أي خلق

الازواج من انفسهم اى الذكر والانثى ومما لا يعلمون اى والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شىء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه آية اى نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه فاذا هم مظلمون اى داخلون فى الظلام مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه يوجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها اى لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائقة التى تتحار فى فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اى قدرنا له منازل او قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها اى يصح ويتسهل لها ان تدرك القمر فى سرعة السير فان ذلك يخل بتكوين النبات وتعيش الحيوان او فى الآثار والمنافع او فى المكان بان تنزل فى منزله او فى سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار اى يغلبه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره وكل اى وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذى هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بهما فى فلك يسبحون يسيرون بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم او نساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاستجماع الاحتمالات وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم بالسفن اشق واستمساكهم فيها ابدع فى الفلك المشحون اى المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفى اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص اعقابهم بالذكر دونهم لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب الذى عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله مما يماثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى والهامه بل لزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذرياتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشأ نغرقهم مع ما لهم الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله عز وجل واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفى تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اى ان نشأ نغرقهم فى اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل ح كلام جىء به فى خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الابل

والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ لهم اى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون اى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اى لا يغاثون ولا ينقذون لشىء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اى لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم اسلم لكى ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها اى اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقائع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون اما حال من واو اتقوا او غاية له اى راجين ان ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله عز وجل وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤا عليه فى حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما ذكر من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التى من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحى وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التى من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على انها حال من مفعول تأتى او فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما تأتيهم من آية من آيات ربهم فى حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تأتيهم آية منها فى حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اى اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم فى ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اى اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما آتاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى انطعم من لو يشاء الله اطعمه حسبما تعظون به اى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التى زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام توهما ان الله تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا فرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك ان انتم الا فى ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله تعالى ويجوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم الآيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تعالى اى ما ينتظرون

الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تاخذهم مفاجاة وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم
لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فتأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا يزعموا انها
لا تأتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز
الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما
كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق
وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امرهم على الاطلاق
ينسلون يسرعون بطريق الاجبار كقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور
يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه
وقرئ من هبنا وقيل اصله هب بنا بحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون
انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي
وابي بن كعب وقتادة رضي ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة
ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون
ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة
او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون
الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث
وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا
وما وعد الخ خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت اي ما كانت النفخة التي
حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عم في الصور فاذا هم جميع اي مجموع لدينا محضرون من
غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس
برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر
والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته
او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون
العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ
زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة
عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما
لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد
به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة
الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص
في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة
اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لان وفاكهون خبر آخر
لها اي انهم مستقرون في شغل واي شغل في شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية
قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة وقوعها وتحققها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل
بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس

وفاكهين

وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون
استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل
والفكاهة على ان هم مبتدا وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبره والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو
والجاران كما يتعلقان به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر
لمبتدا محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدا مؤخر وقرئ متكئين بالياء نصبا على الحال من المستكن في الظرفين
او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال او هو متعلق بمضمر هو
حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع
اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة
الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من
الانس ومجالس القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله
تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه
ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة
بالذكر وايا ما كان فهو مبتدا ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كونها
عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب
البهجة وموجبات السرور وايا ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كاشترى واشتوى بمعنى
اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت
بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال
بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون
او خبر لمبتدا محذوف وقوله تعالى قولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام
او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة
في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر
ما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما
يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على
الاختصاص وقيل هو مبتدا محذوف الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا
مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر
ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام
في المعنيين وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف
فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل لمشاكل يصحح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك
ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على
مضمر ينساق اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك
عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار
يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المضمر فليمتازوا فبمعزل من السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال
حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي
نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانتظام الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه
المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما ترابانه وانسلخ كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاعتبارها

اي على تقدير كون ما عبارة عن مدعو عظيم الشان

على تقدير كونها [illegible]

على تقدير كونها باقية على عمومها

يتعلق به اخراج النظم الكريم عن الحكاية بالمرة ● الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان ● من جملة ما يقال لهم بطريق
التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بامر فيه
خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى
وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير
والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام
وهي لغة بني تميم ● انه لكم عدو مبين ● اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان
اعبدوني ● عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنهما الجار
اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد و
ليتصل به قوله تعالى ● هذا صراط مستقيم ● فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى
هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى ● ولقد اضل منكم جبلا كثيرا
جواب قسم محذوف والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسر وسكون
وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي
وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من
العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى ● افلم تكونوا تعقلون ● للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب
وقوله تعالى ● هذه جهنم التي كنتم توعدون ● استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على
شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن
جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى ● اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ● امر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذق انك انت
اي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى ● اليوم نختم على افواههم ● اي نمنعها
عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء
الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم ● وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا
يكسبون ● يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على
افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها
على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم
على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم ● ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ● والطمس تعفية شق العين حتى تعود
ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو نشاء ان نطمس على اعينهم
لطمسناها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير ● فاستبقوا الصراط ● اي فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على ان انتصابه بنزع الخافض او بتضمين
الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية ● فانى يبصرون ● الطريق وجهة السلوك ● ولو نشاء لمسخناهم ● بتغيير صورهم وابطال
قواهم ● على مكانتهم ● اي مكانهم الا ان المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون

ان

قوله استيناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان [illegible] الشيطان [illegible] بزيادة التوبيخ والتقريع [illegible]

ان يرجوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى ● فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ● اي ولا رجوعا فوضع
موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم
وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ
بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في
الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع من ذلك ليس الا عدم تعلق المشيئة الالهية به كانه قيل لو نشاء
عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأ ذلك جريا على سنن الرحمة
والحكمة الداعيتين الى امهالهم ● ومن نعمره ● اي نطل عمره ● ننكسه في الخلق ● اي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه
اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف
الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس ● افلا يعقلون ● اي
ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى
بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله ● وما علمناه الشعر ● رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عم من انه شاعر وما
يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع
على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون
بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون
قاتلهم الله انى يؤفكون ● وما ينبغي له ● اي ما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم
يتأت له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عليه السلام انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد
اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير له للقرآن وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا ● ان هو ● اي ما القرآن ● الا ذكر ● اي
عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين ● وقرآن مبين ● اي كتاب سماوي بين كونه
كذلك او فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما
قالوا ● لينذر ● اي القرآن او الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا
للمفعول من الانذار ● من كان حيا ● اي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية
بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ● ويحق القول ● اي يجب كلمة العذاب ● على الكافرين ● المصرين على الكفر وفي
ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة ● اولم يروا ●
الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا
متاخما للمعاينة ● انا خلقنا لهم ● اي لاجلهم وانتفاعهم ● مما عملت ايدينا ● اي مما تولينا احداثه بالذات وذكر الايدي
واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتبار به ● انعاما ● مفعول خلقنا
وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في
النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا
اليه ورغبة فيه ولان في تأخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى ● فهم لها مالكون ● الآيات اي فملكناها اياهم
وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اي فهم مالكون
لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون
من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا
والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى ● وذللناها لهم ● تأسيسا لنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث

لا يستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى • فمنها ركوبهم • الى آخره فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم • ومنها يأكلون • اي بعض منها يأكلون لحمه • ولهم فيها • اي في الانعام بكلا قسميها • منافع • اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران • ومشارب • من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل في سورة النحل • افلا يشكرون • اي ايشاهدون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها • واتخذوا من دون الله • اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة • آلهة • من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة • لعلهم ينصرون • رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى • لا يستطيعون نصرهم • الى آخره استئناف مسوق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا يقدر آلهتهم على نصرهم • وهم • اي المشركون • لهم • اي لآلهتهم • جند محضرون • اي يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم والذب عنهم [illegible] فان الفاء في قوله تعالى • فلا يحزنك قولهم • لترتيب النهي على ما قبله [illegible]

[illegible] انا نعلم ما يسرون وما يعلنون [illegible]

• اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة • كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث [illegible]

[illegible] • فاذا هو خصيم مبين • [illegible]

يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما رم قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو من تتمات شواهد صحة البعث فقوله تعالى • وضرب لنا مثلا • معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجيب واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اي اورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى • ونسي خلقه • اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد وبدونه وقوله تعالى • قال • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال • من يحيي العظام • منكرا اشد النكير مؤكدا له بقوله • وهي رميم • اي بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا مضروبا وبجزم العقول ببطلان انكاره ووقوع منكره لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبر المؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت للعظم حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحيوته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس • قل • تبكيتا لهم بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشادا الى طريقة الاستشهاد بها • يحييها الذي انشأها اول مرة • فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها • وهو بكل خلق عليم • مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت من قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب ومعطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت وقوله تعالى • الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا • بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم نارا على ان الجعل ابداعي والجار متعلق به قدم على مفعوله الصريح مع تأخره عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى • فاذا انتم منه توقدون • اي فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى • اوليس الذي خلق السموات والارض • الى آخره استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي اليس الذي انشأها اول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما • بقادر على ان يخلق مثلهم • في الصغر والحقارة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى • بلى •

جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى • وهو الخلاق العليم • عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما • انما امره • اي شأنه • اذا اراد شيئا • من الاشياء • ان يقول له كن • اي ان يعلق به قدرته • فيكون • فيحدث من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء • تنزيه له عز وعلا عما وصفوه به وتعجيب مما قالوا في شأنه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك اتم اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء • واليه ترجعون • لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله تعالى له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• والصافات صفا • اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين الوجهين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهواء • فالزاجرات زجرا • اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما قوله تعالى • فالتاليات ذكرا • فمفعول التاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح

[illegible]

التسمية وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق اعني قوله تعالى • رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق • فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما • انا زينا السماء الدنيا • اي القربى منكم • بزينة • عجيبة بديعة • الكواكب • بالجر بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب وهو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلألئة في سطح السماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة ان ثبت ذلك • وحفظا • منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا • من كل شيطان مارد • اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى • لا يسمعون الى الملأ الاعلى • كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف • ويقذفون • يرمون • من كل جانب • من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها • دحورا • علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا طاردا على انه صفة لمصدر محذوف وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع • ولهم عذاب واصب • اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير • الا من خطف الخطفة • استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف • فاتبعه شهاب • اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء • ثاقب • مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعودون مع علمهم بحالهم طمعا في السلامة وقيل المراد كراكب السفينة • فاستفتهم • فاستخبر مشركي مكة • اهم اشد خلقا • اي اقوى خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا • ام من خلقنا • من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه وتعقيبه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى • انا خلقناهم من طين لازب • فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم اياه والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لازم ولاتب • بل عجبت • اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث • ويسخرون • من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على

انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه
افعاله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت • واذا ذكروا • اي ودابهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ
لا يذكرون • اي لا يتعظون او اذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم • واذا راوا
آية • اي معجزة تدل على صدق القائل به • يستسخرون • يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض
ان يسخر منها • وقالوا ان هذا • اي ما يرونه من الآية الباهرة • الا سحر مبين • ظاهر سحريته • أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله
أإنا لمبعوثون • اي نبعث لا نفسه لان دونه خطوبا لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث
بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد
الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي
الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية فقط • أو
آباؤنا الاولون • رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي واباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان و
اسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا لما كان تقدم
زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او اباؤنا • قل • تبكيتا لهم • نعم • والخطاب في قوله تعالى
وانتم داخرون • لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انتم صاغرون اذلاء
وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة فيه • فانما هي زجرة واحدة • هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر
او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي او لا تستصعبوه فانما هي والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح
عليها وهي النفخة الثانية • فاذا هم • قائمون من مراقدهم احياء • ينظرون • يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم
وقالوا • اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر • يا ويلنا • اي يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى
هذا يوم الدين • تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون
في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى • هذا يوم الفصل
الذي كنتم به تكذبون • كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق
بين فريقي الهدى والضلال وقوله تعالى • احشروا الذين ظلموا • خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم
الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم • وازواجهم • اي اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكوكب مع
عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم • وما كانوا يعبدون من دون الله
من الاصنام وغيرها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وقيل عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول
عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص • فاهدوهم الى صراط الجحيم • اي عرفوهم طريقها و
وجهوهم اليها وفيه تهكم بهم • وقفوهم • احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا بذلك
وعلل بقوله تعالى • انهم مسؤولون • ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا
لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل • ما لكم لا تناصرون • اي لا
ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة
انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام • بل هم اليوم
مستسلمون • منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم
منقهر • واقبل • حينئذ • بعضهم على بعض • هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء • يتساءلون • يسأل بعضهم بعضا سؤال
توبيخ بطريق الخصومة والجدال • قالوا • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف يتساءلون فقيل قالوا

اي الاتباع للرؤساء او الكفرة للقرناء • انكم كنتم تأتوننا • في الدنيا • عن اليمين • عن اقوى الوجوه واشدها او عن الدين
او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك
سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقسر فتقسروننا على الغي وهو الانسب للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم
على الحق • قالوا • استئناف كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء • بل لم تكونوا مؤمنين • اي لم نمنعكم من الايمان بل لم
تؤمنوا باختياركم واعرضتم مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه • وما كان لنا عليكم من سلطان • من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم
بل كنتم قوما طاغين • مختارين للطغيان مصرين عليه • فحق علينا • اي لزمنا وثبت علينا • قول ربنا • وهو قوله تعالى
لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين • انا لذائقون • اي العذاب الذي ورد به الوعيد • فاغويناكم • فدعوناكم الى الغي
دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد • انا كنا غاوين • فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة
من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية • فانهم • اي الاتباع والمتبوعين • يومئذ في العذاب مشتركون • حسبما كانوا مشتركين في
الغواية • انا كذلك • اي مثل ذلك الفعل البديع الذي تقتضيه الحكمة التشريعية • نفعل بالمجرمين • المتناهين في الاجرام وهم
المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى • انهم كانوا اذا قيل لهم • بطريق الدعوة والتلقين • لا اله الا الله يستكبرون •
عن القبول • ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون • بل جاء بالحق وصدق المرسلين • رد عليهم وتكذيب لهم ببيان
ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة
انكم لذائقوا العذاب الاليم • بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار • والالتفات لاظهار كمال الغضب
عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل • وما تجزون
الا ما كنتم تعملون • اي الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه • الا عباد الله المخلصين • استثناء
منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم
اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا
مضاعفة مما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين لانه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقوا
العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى • اولئك • اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون
بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا باهرا منتظمين بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى • لهم • خبره وقوله تعالى
رزق • مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار او مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما
افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى • معلوم • اي معلوم الخصائص
من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
وقوله تعالى • فواكه • اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة
كلها فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل
وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها • وهم مكرمون • عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك
اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شان ارزاق الدنيا وقرئ
مكرمون بالتشديد • في جنات النعيم • اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون او خبر
ثان لاولئك وقوله تعالى • على سرر • يحتمل الحالية والخبرية وكذا قوله تعالى • متقابلين • حال من المستكن فيه او في مكرمون وقوله تعالى
يطاف عليهم • اما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين او في احد الجارين
وقد جوز كونه صفة لمكرمون • بكأس • باناء فيه خمر او بخمر فان الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس شربت
على لذة واخرى تداويت منها بها • من معين • متعلق بمضمر هو صفة لكأس اي كائنة من شراب معين او من نهر معين وهو الجاري
على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار

كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين صفتان ايضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كأنها نفس اللذة
واما لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدى من خشية الحدثان يريد به النوم لا فيها غول
اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف
ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا اخرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه
معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم ولا هم يسكرون
وقرئ ينزفون بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف بضم الزاي فيهما وعندهم
قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين
كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان
الابدان فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت
من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة
الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاوراتهم اني كان لي في الدنيا قرين
مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث أإنك لمن المصدقين اي بالبعث
وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون اي لمبعوثون ومجزيون
من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله
فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خيرا منه فقال أإنك لمن المصدقين بيوم الدين
او المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد انكار الجزاء المبني
على انكار البعث قال اي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم مطلعون اي الى اهل النار
لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار
لأريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى اهل النار فاطلع اي عليهم فرآه
اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف
على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا
او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم كما هو
دين الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعوني فوضع المتصل موضع
المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا لقرينه
تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان وضمير الشأن الذي
هو اسمها محذوف واللام فارقة اي تالله ان الشأن كدت لتردينى ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين
اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت واضرابك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام
مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه نظم الكلام اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت
في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة
اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح ونودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار
خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا
نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اي الامر العظيم الذي نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من قول الله عز وجل
تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اي لنيل هذا
المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلام رب العزة

أذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز اي اذلك الرزق المعلوم الذي
حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية
والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة
كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا
فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها
اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
وقرئ نابتة في اصل الجحيم طلعها اي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا
اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه
الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة
يسمى ثمره رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها اي من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها
البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها على الشجرة التي ملأوا
منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة
لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب والاول مصدر سمي به ثم
ان مرجعهم اي مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم
قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم
ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملأوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم
انهم الفوا اباءهم ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا
لآبائهم شيء يتمسك به اصلا اي وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم على
آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق او لا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد
كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم اي قبل قومك قريش
اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي انبياء اولي عدد
كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل
من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب
اما للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى
منهم المخلصين بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين اي الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار
وقرئ المخلصين بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض
المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة بعض الذين اخلصهم الله تعالى بالايمان والعمل الصالح كما اشار اليه
الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غني عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا
في قوله تعالى فلنعم المجيبون اي وبالله لقد دعانا نوح حين ايس من ايمان قومه بعدما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم
يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع
دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم اي من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين
بحيث هلك من عداهم وقد هلك كفرة قومه بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روي انه مات كل من كان معه
في السفينة غير ابنائه وازواجهم وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام
وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث

ابو البركة ويأجوج ومأجوج ● وتركنا عليه في الآخرين ● من الامم ● سلام على نوح ● اي هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اي فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى ● في العالمين ● متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى ● انا كذلك نجزي المحسنين ● تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية من اجابة دعائه وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما اشير اليه من الكرامات السنية التي وقعت جزاء له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اي مثل ذلك الجزاء الكامل نجزي الكاملين في الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى ● انه من عبادنا المؤمنين ● تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى ● ثم اغرقنا الآخرين ● اي المغايرين لنوح واهله كفار قومه اجمعين ● وان من شيعته ● اي ممن شايعه في اصول الدين ● لابراهيم ● وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق كلي او اكثري وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة ● اذ جاء ربه ● منصوب باذكر او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة ● بقلب سليم ● اي من آفات القلوب او من العلائق خالصا لله ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كأنه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل ● اذ قال لابيه وقومه ● بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم ● ماذا تعبدون ● اي اي شيء تعبدونه ● أئفكا آلهة دون الله تريدون ● اي اتريدون آلهة من دون الله افكا فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على انها افك في نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين ● فما ظنكم برب العالمين ● اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به مخلوقاته او اي شيء ظنكم به حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم من الاشراك به ● فنظر نظرة في النجوم ● قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال ● اني سقيم ● وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتابها او في احكامها فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله تعالى ● فتولوا عنه مدبرين ● اي هاربين مخافة العدوى ● فراغ الى آلهتهم ● اي ذهب اليها في خفية واصله الميل بحيلة ● فقال ● للاصنام استهزاء ● الا تأكلون ● اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه ● ما لكم لا تنطقون ● اي بجوابي ● فراغ عليهم ● فمال عليهم مستخفيا وقوله تعالى ● ضربا باليمين ● مصدر مؤكد لراغ عليهم لانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة على ان اليمين مستعار لها وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم ● فاقبلوا اليه ● اي الى ابراهيم بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة وسألوا عن الفاعل فظنوا انه هو فعله فقيل فأتوا به ● يزفون ● اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام

قال ● اي بعدما اتوا به عليه السلام وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ● اتعبدون ما تنحتون ● ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى ● والله خلقكم وما تعملون ● حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جوهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والقدر والاسباب وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المعمول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلقه تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك ● قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ● اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء ● فارادوا به كيدا ● فانه لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم ● فجعلناهم الاسفلين ● الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما ● وقال اني ذاهب الى ربي ● اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى ● سيهدين ● اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او للفرط توكلا او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع ● رب هب لي من الصالحين ● اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى ● فبشرناه بغلام حليم ● فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات ثلث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم يعادل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد اعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى ● فلما بلغ معه السعي ● فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح لاستحالة التخلف وتأخر البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده اي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة ● قال ● اي ابراهيم عليه السلام ● يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ● اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء فيهما ● فانظر ماذا ترى ● من الرأي انما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون

وبكت المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء وبفتحهما مبنيا للمفعول • قال يا ابت افعل
ما تؤمر • اي ما تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصال
الى الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة
على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال • ستجدني ان شاء الله من الصابرين • على الذبح او على قضاء الله تعالى
• فلما اسلما • اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها
من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان منه ومعناهما اخلص نفسه
لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رح في اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه
• وتله للجبين • صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث
رقة تحول بينه وبين امر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم
• وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا • بالعزم على الاتيان بالمامور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين
بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم
وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع
البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك
• انا كذلك نجزي المحسنين • تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المامور به فانه عليه السلام
كان مامورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل • ان هذا لهو البلاء المبين • الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من
غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها • وفديناه بذبح • بما يذبح بدله فيتم به الفعل • عظيم • اي عظيم الجثة
سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل عم وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي
انه هرب من ابرهيم عم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة
عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عم الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله
الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابرهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد
• وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم • قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح • كذلك نجزي المحسنين • ذلك اشارة الى
ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا • انه من
عبادنا المؤمنين • الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان • وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين
اي مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود
ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه
بوجود اسحق اي بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين
خلودهم وقت الدخول واسحق عم لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود
من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق
• وباركنا عليه • على ابرهيم في اولاده • وعلى اسحق • بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب
عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا • ومن ذريتهما محسن • في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة
• وظالم لنفسه • بالكفر والمعاصي • مبين • ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا تاثير له في الهداية والضلال وان الظلم في
اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب • ولقد مننا على موسى وهرون • اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية
والدنيوية • ونجيناهما وقومهما • وهم بنو اسرائيل • من الكرب العظيم • هو تغلب فرعون وتسلطهم عليهم بالوان
العسف والعذاب كما في قوله تعالى واذ نجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة

ونصرناهم

• ونصرناهم • اي اياهما وقومهما على عدوهم • فكانوا • بسبب ذلك • هم الغالبين • عليهم غلبة لا غاية
وراءها بعد ان كان قومهما في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت
بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر
الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة
من هذه المراتب الثلث نعمة جليلة على حيالها • وآتيناهما • بعد ذلك • الكتاب المستبين • اي البليغ في البيان
والتفصيل وهو التورية • وهديناهما • بذلك • الصراط المستقيم • الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل
الشرائع وتفاريع الاحكام • وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون • اي ابقينا فيما بين الامم الآخرين
هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل • انا كذلك • اي مثل ذلك الجزاء الكامل • نجزي المحسنين • الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه
• انهما من عبادنا المؤمنين • سبق بيانه • وان الياس لمن المرسلين • هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخي موسى
عليهما السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ايليس وقرئ الياس بحذف الهمزة
• اذ قال لقومه الا تتقون • اي عذاب الله تعالى • اتدعون بعلا • اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم
كان لاهل بك من الشام وهو البلد الموسوم اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه
فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة و
السدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول • وتذرون احسن
الخالقين • اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى • الله ربكم
ورب آبائكم الاولين • بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته
تعالى لآبائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا • فكذبوه فانهم • بسبب تكذيبهم
ذلك • لمحضرون • اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا
• الا عباد الله المخلصين • استثناء من ضمير محضرون • وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين • هو لغة في
الياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام
وقرئ باضافة آل الى ياسين لانهما في المصحف منفصلان فيكون ياسين ابا الياس • انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين • مر تفسيره • وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه • اي اذكر وقت تنجيتنا اياه • واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين • اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين • ثم دمرنا الآخرين • فان في ذلك شواهد على جلية
امره وكونه من جملة المرسلين • وانكم • يا اهل مكة • لتمرون عليهم • على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون
آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام • مصبحين • داخلين في الصباح • وبالليل • اي ومساء او نهارا وليلا
ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء • افلا تعقلون • اتشاهدون ذلك
فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم • وان يونس لمن المرسلين • وقرئ بكسر النون
• اذ ابق • اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه • الى الفلك المشحون
اي المملوء • فساهم • اي فقارع اهله • فكان من المدحضين • فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر وروي
انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت
القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء • فالتقمه الحوت • فابتلعه من اللقمة • وهو مليم • داخل في الملامة او آت
بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب • فلولا انه كان من المسبحين • اي الذاكرين الله
كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام
كان كثير الصلوة في الرخاء • للبث في بطنه الى يوم يبعثون • حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن
اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء • فنبذناه بالعراء • بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر

أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء
فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة
وقيل ثلثة وقيل لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه روي أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى الى الحوت اني
جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما ● وهو سقيم ● مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد ● وأنبتنا عليه ● أي
فوقه مظلة عليه ● شجرة من يقطين ● وهو كل ما ينبسط على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن
بالمكان اذا أقام به والأكثرون على أنها الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إنك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس عم وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل
يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها ● وأرسلناه الى مائة ألف ● هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل
نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل الى أمة جمة وكأن توسيط تذكر وقت هربه
عم الى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عم وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم
وتعليقهم لإيمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من
ترتيب الإيمان عليه بالفاء بل بعد ما شاهدوا التي وقيل هو إرسال آخر إليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر ● أو يزيدون ● أي في مرأى الناظر
فإنه إذا نظر اليهم قال إنهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو ● فآمنوا ● أي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب
إيمانا خالصا ● فمتعناهم ● أي بالحيوة الدنيا ● الى حين ● قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم
سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولي العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة
● فاستفتهم ● أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث
بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى
منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين وأنه تعالى أرسل اليهم منذرين على وجه الإجمال
ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالإخلاص وأخرى بالإيمان ثم
أمره صلى الله عليه وسلم هاهنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من
الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب
الأمر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عم عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الباطل
ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثا ثم أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد
إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك أي فاستخبرهم ● ألربك البنات
التي هي أوضع الجنسين ● ولهم البنون ● الذين هم أرفعهما فإن ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى
● أم خلقنا الملائكة إناثا ● إضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما أشير اليه أي بل أخلقنا الملائكة الذين
هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام ورذائل الطبائع ● إناثا ● والأنوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى ● وهم
● شاهدون ● استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فإن
أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمشاهدة إذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم
شاهدا عند خلقهم والجملة إما حال من فاعل خلقنا أي بل أخلقناهم إناثا والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أي بل أهم
شاهدون وقوله تعالى ● ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله ● استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل
مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعا ● وإنهم لكاذبون
في قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فإن الولد
فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ● أصطفى البنات على البنين ● إنكار لاصطفائه وتقرير لكذبهم فيما قالوا
ببيان استلزامه لأمر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف

حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ
تعسف بعيد ● ما لكم كيف تحكمون ● بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول ● أفلا تذكرون ● بحذف إحدى التاءين
من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أي ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فإنه مركوز
في عقل كل ذكي وغبي ● أم لكم سلطان مبين ● إضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود
أصلا أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسي أو عقلي وحيث
انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي ● فأتوا بكتابكم ● الناطق بصحة دعواكم ● إن كنتم صادقين ● فيها وفي هذه الآيات من الإنباء عن السخط
العظيم والإنكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيك عقولهم وأفهامهم مع استهزائهم وتعجيب
جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى ● وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ● التفات الى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب
وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن
من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وإنما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا
منهم وتقصيرا بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله
وإنما أعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ● ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ● أي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها
بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة
في التكذيب ببيان أن الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم
معذبون لأجله حكما مؤكدا وقيل إن قوما من الزنادقة يقولون إن الله تعالى وإبليس أخوان فالله هو الخير الكريم وإبليس هو الشرير اللئيم
وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الإمام الرازي وهذا القول عندي أقرب الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين
بيزدان وأهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم فقالوا
سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الأقاويل
يجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى
أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول فإن قوله ● سبحان الله عما يصفون ● حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى
عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى ● إلا عباد الله المخلصين ● شهادة منهم
براءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء
منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله
الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى ● فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين ● تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين
عما ذكر ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم والالتفات الى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين
الذين أغووهم وفيه إيذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا
على متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته أي أفسدها عليه والمعنى فإنكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى
بإفساد عباده وإضلالهم ● إلا من هو صال الجحيم ● منهم أي داخلها لعلمه تعالى بأنه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار
لا محالة وأما المخلصون منهم فإنهم بمعزل من إفسادكم وإضلالكم فهم لا جرم برآء من أن يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى
بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى ● وما منا إلا له
مقام معلوم ● تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى
عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقماءتهم أي وما منا أحد إلا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى أمر الله
في تدبير العالم مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم
صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي ويسبح وروي أنه قال عليه السلام
أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى وقال السدي

وف

الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة • وانا لنحن الصافون • في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة • وانا لنحن المسبحون • المنزهون
لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحليته كلامهم بفنون التاكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي تقتضيه جزالة
التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتامل والله الموفق • وان كانوا ليقولون • ان هي المخففة من الثقيلة وضمير
الشان محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشان كانت قريش تقول • لو ان عندنا ذكرا من الاولين • اي كتابا من كتب الاولين من التوراة
والانجيل • لكنا عباد الله المخلصين • اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى
من احدى الامم والفاء في قوله تعالى • فكفروا به • فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر
سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به • فسوف يعلمون • اي عاقبة كفرهم وغائلته • ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين • استيناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصر
وهو قوله تعالى • انهم لهم المنصورون وان جندنا • وهم اتباع المرسلين • لهم الغالبون • على اعدائهم في الدنيا والآخرة
ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء
والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت
وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا • فتول عنهم • فاعرض عنهم واصبر • حتى حين • الى مدة يسيرة
وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح • وابصرهم • على سوء حال وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد
بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه • فسوف يبصرون • ما يتفرح من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد
• افبعذابنا يستعجلون • روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل • فاذا نزل بساحتهم • اي فاذا نزل العذاب
الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب • فساء صباح
المنذرين • فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت
منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم
ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
• وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون • تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد مع ما في اطلاق
الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل
بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به
مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما
في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اولا والى العزة
ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك
عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى • وسلام على المرسلين • تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشانهم
وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى • والحمد لله رب العالمين • اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته
الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات
السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان
ما وعده عليه السلام من النصرة والغلبة قد تحقق والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم
وبينه عز وجل في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه وتحميده لختم السورة الكريمة بالحمد مع
ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله تعالى عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة
فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

وشهد له

من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين صدق رسول الله وصدق حبيب الله فيما قال عليه السلام

سورة ص وهي ثمان وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص • بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موقع الجر
وان يكون في محل نصبا باضمار اذكر او اقرا لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد
صرفها من قرا صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى
الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان
جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة فخبر المبتدا
محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرا او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى • والقرآن ذي الذكر • للقسم وان جعل مقسما به
فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل
الكريم وبالنسمة المباركة واياما كان ففي التكرير مزيد تاكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء
عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي
والامر والاقسام به من كون المتحدى معجزا او كون المامور به واجبا وكون المقسم به حقيقا بالاعظام اي اقسم بالقرآن او بصاد به
انه لمعجز او لواجب العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم
فان التسمية تنويه بشان المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر او هذه السورة عظيمة الشان والقرآن الخ
على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى
• بل الذين كفروا في عزة وشقاق • اضرابا عن ذلك كانه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه
بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر من كفر لخلل
وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه • كم اهلكنا من قبلهم
من قرن • وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى
قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية • فنادوا • عند نزول باسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى
• ولات حين مناص • حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة
من ناصه اي فاته لا من ناص بمعنى تاخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي
الاحيان ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين
مناص منصوب على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف
اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدا محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان
شبه باذ في قوله نهيتك عن طلابك ام عمرو بعاقبة وانت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله
اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد
ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون بالتاء كالافعال وما نقل
من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام فلا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس • وعجبوا ان جاءهم منذر منهم
حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في الرياسة الدنيوية
والمال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه
• وقال الكافرون • وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق

بهذا ساحر • فيما يظهره من الخوارق • كذاب • فيما يسنده الى الله من الارسال والانزال • اجعل الالهة الها واحدا
بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد • ان هذا لشيء عجاب • بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا عليه اباءهم الذين اجمعوا على
الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما ياتون وما يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف
ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لالهتهم
علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الاثار بلا موثر وقرئ عجاب بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام
روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا
وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك
يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك
والهك فقال صلى الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم امعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا
نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك • وانطلق الملا منهم • اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب
بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا
مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة على الوجه المذكور • ان امشوا • اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا
واصبروا على الهتكم • اي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا
يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل اي
اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا • ان هذا لشيء يراد • تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال
به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد ونفي الهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عليه السلام امضاؤه
وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة او امتنان
فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رايه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من عبادة الهتكم بالكلية فاصبروا عليها
وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له
ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب
ليوخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده
كل احد فتامل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل • ما سمعنا بهذا • الذي يقوله • في الملة الاخرة •
اي الملة النصرانية التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان
كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في هذا اقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور • ان هذا
اي ما هذا • الا اختلاق • اي كذب اختلقه • اانزل عليه الذكر من بيننا • ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال
هذه المقالات الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي • بل هم في شك من ذكري
اي من القران او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتون به فهم
مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق • بل لما يذوقوا عذاب • اي بل لم يذوقوا بعد عذابي
واذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب
وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القران ولذلك شكوا فيه • ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب • بل اعندهم خزائن
رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى ارائهم فيتخيروا للنبوة بعض
صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب
الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره
عليه السلام من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى • ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما • ترشيح لما سبق اي بل الهم

ملك

ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية التي يستاثر بها رب العزة والكبرياء
وقوله تعالى • فليرتقوا في الاسباب • جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي
يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية
وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل ابوابها • جند ما هنالك
مهزوم من الاحزاب • اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث
بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه
انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى • كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد • الى اخره
استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم
من العقاب وذو الاوتاد وصفه بذلك لثبات ملكه واصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ
السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ضمير فيها راجع الى المنازل فيما قبله من قبله ماذا
اؤمل بعد ال محرق تركوا منازلهم وبعد اياد في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل
كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه • وثمود وقوم
لوط واصحاب الايكة • اصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى • اولئك الاحزاب • اما بدل من الطوائف
المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه وفيه فضل تاكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله
تعالى • ان كل الا كذب الرسل • استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من احاد اولئك
الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب احد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب
الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع واياما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام في خبر المبتدا اي ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم
الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة
على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله تانيبا وتبيانا لكيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية
ثانيا فنون من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وابلغه ولذلك رتب عليه قوله تعالى • فحق عقاب • اي ثبت ووقع
على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها [illegible]
[illegible]

وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من ان النفخة الاولى يحتمل الا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا
عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم • ما لها من فواق
اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان • وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا
ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها
قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين
الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون ذلك
بكمال الرغبة والابتهال • اصبر على ما يقولون • من امثال هذه المقالات الباطلة • واذكر لهم عبدنا داود • اي قصته
تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم
والكرامات لما اتى بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى
بكاء الوالدة وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل قبيل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي
او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من معاتبة • ذا الايد • اي
ذا القدرة يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به • انه اواب • رجاع الى مرضاة الله تعالى وهو تعليل
لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل • انا سخرنا
الجبال معه • استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما مر في
سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام
بل بطريق التبعية له والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو قوله تعالى في سورة الانبياء
• يسبحن • اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او يخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو
حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استئناف مبين لكيفية التسخير • بالعشي والاشراق
اي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
ولما تشرق وعن ام هانئ رض انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى
الا بهذه الاية • والطير • عطف على الجبال • محشورة • حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن
ابن عباس رض كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء
والخبرية • كل له اواب • استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل
تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع فعله رجوعا بعد رجوع واما
لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دأبه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اي كل من داود والجبال
والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح • وشددنا ملكه • قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت
حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فتاخر فاعيد
الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب
احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب • وآتيناه الحكمة • النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل
الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة • وفصل الخطاب • اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي
ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب القصد الذي ليس فيه ايجاز مخل
ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر • وهل اتاك نبأ الخصم • استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع
ما في حيزه للايذان بانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد

والجمع

والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان • اذ تسوروا المحراب • اي تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع
ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع
في عهده عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتاك لان اتيانه
الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى • اذ دخلوا على داود • بدل مما قبله او ظرف لتسوروا • ففزع منهم
روي انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته
فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما لانهم نزلوا عليه من فوق
على خلاف العادة والحرس حوله في يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء
يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير • قالوا • استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه عليه السلام فقيل قالوا ازالة لفزعه • لا تخف
خصمان • اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما • بغى بعضنا على بعض • هو على الفرض وقصد
التعريض لا كذب • فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط • اي لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط ولا تشطط ولا
تشاطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق • واهدنا الى سواء الصراط • الى وسط طريق الحق
بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل • ان هذا اخي • استئناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين
او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل صاحبه • له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة • هي الانثى من الضأن
وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة
بسكون الياء • فقال اكفلنيها • اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اي نصيبي
وعزني في الخطاب • اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال
خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني
بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست • قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام
قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول
آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم • وان كثيرا من الخلطاء • اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم • ليبغي بعضهم على بعض • وقرئ
بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة • غير مراع لحق الصحبة والشركة
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات • منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان • وقليل ما هم • اي وهم قليل وما مزيدة
للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض • وظن داود انما فتناه • الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة
الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام
انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه السلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر
كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما
ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا
باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما
يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه
ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع
فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل
ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل
فيما اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته

بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه
على ان اوريا بصدد الخصام • فاستغفر ربه • اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب • وخر راكعا • اي ساجدا على تسمية السجود
ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار • واناب • اي رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة
ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام
وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة حيث كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا
اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته
وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها
مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها
داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له
صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا
وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان
من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله تعالى على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة
اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما
مكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث
بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى عليهم هذا وقد قيل
ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم
فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب • فغفرنا له ذلك • اي ما استغفر
عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت
منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كان يهلك واشتغل بذلك عن
الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه • وان
له عندنا لزلفى • لقربة وكرامة بعد المغفرة • وحسن مآب • حسن مرجع في الجنة • يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له
او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين
بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم يتغير قط • فاحكم بين الناس بالحق • بحكم الله تعالى فان الخلافة
بكلا معنييه مقتضية له حتما • ولا تتبع الهوى • اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا • فيضلك عن سبيل الله •
بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى واتباعه سببا لضلالك
عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى • ان الذين يضلون عن سبيل الله • تعليل لما قبله ببيان غائلته و
اظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه • لهم عذاب شديد • جملة من خبر
ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار • بما نسوا • بسبب نسيانهم
وقوله تعالى • يوم الحساب • اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد
الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده
او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكونوا
منسوا سبيل الله فيكون التعليل المصرح به عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر • وما خلقنا السماء والارض

قصة داود

وما بينهما باطلا • كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات
على هذا النظام البديع الذي يحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين
والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات
العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد
بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وازحنا عللها
بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها • ذلك • اشارة الى ما نفي
من خلق ما ذكر باطلا • ظن الذين كفروا • اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول
منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا • فويل للذين كفروا • مبتدأ وخبر والفاء لافادة
ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول موضع ضميرهم لاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم
من باب كفرهم ومن في قوله تعالى • من النار • تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار
لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم • ام نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض • ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن تقرير امر البعث
والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها
على ابلغ وجه واكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء
لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع
الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى • ام نجعل المتقين كالفجار • اضراب وانتقال عن اثبات
ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين
اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين
ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا
نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت • كتاب • خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن والسورة وقوله تعالى
• انزلناه اليك • صفته وقوله تعالى • مبارك • خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير
الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى • ليدبروا آياته •
متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها
من التأويلات الصحيحة والمعاني اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى
التاءين • وليتذكر اولوا الالباب • اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم
من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه • ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد • وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم العبد هو كما ينبئ عنه تعليل المدح بقوله تعالى
• انه اواب • اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له وقوله تعالى • اذ عرض عليه •
ظرف لاواب وقيل منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه • بالعشي • هو من الظهر الى آخر النهار
• الصافنات • من الصفون وهو القيام على ثلاث وطرف حافر الرابعة
• الجياد • جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد والمراد وصفها بالصفون والجودة
جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية
في غزوة دمشق ونصيبين وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها
منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعد ما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس

[illegible]

وغفل عن العصر او عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس
من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهو الريح تجري بامره • فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي •
قاله عم عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب
باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتاكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى
بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير مفعول له كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعت
موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عم ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل
الى يوم القيمة وقرئ اني • حتى توارت بالحجاب • متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض
اي انبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيها لغروبها في مغربها بتواري المخباة بحجابها واضمارها
من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه • ردوها علي • من تمام مقالة سليمان عم
ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان فقيل قال
ردوها فامل الفاء في قوله تعالى • فطفق مسحا • فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة
الامتثال بالامر اي فردوها فاخذ يمسح السيف مسحا • بالسوق والاعناق • اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب
عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها واعجابا بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ
بالسؤق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد من الجمع لامن الالباس • ولقد فتنا سليمان والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب • اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تاتي كل واحدة
بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء
الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله تعالى فرسانا اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما
شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب
بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها
صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة
ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة
او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع
عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته
فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين
فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها
وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل
بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عم عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا ح وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره • قال •
بدل من اناب وتفسير له • رب اغفر لي • اي ما صدر عني من الزلة • وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي • لا يتسهل له
ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام لما نشا في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة
لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على
ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على
حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون
ذلك ادخل في الاجابة وقرئ لي بفتح الياء • انك انت الوهاب • تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالاخيرة فقط فان المغفرة
ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا • فسخرنا له الريح • اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عم الى ما كان عليه قبل الفتنة

وقرئ

وقرئ الرياح • تجري بامره • بيان لتسخيرها له • رخاء • اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه
كالمامور المنقاد • حيث اصاب • اي حيث قصد واراد وحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا الجواب •
والشياطين • عطف على الريح • كل بناء وغواص • بدل من الشياطين • واخرين مقرنين في الاصفاد • عطف على
كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك
والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها وتقدر
على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به
العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرق بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد وقوله تعالى
هذا • الى اخره اما حكاية لما خوطب سليمان عم مبينة لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا واما مقول لقول
مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في نظيره في قصة داود عليه السلام اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك
العظيم والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك • عطاؤنا • الخاص بك • فامنن او امسك • فاعط من شئت وامنع
من شئت • بغير حساب • حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من
العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد • وان له عندنا لزلفى • في الاخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا
وحسن ماب • هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه
ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق
فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين
ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان
من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم • واذكر عبدنا ايوب •
عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عم بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب
عم هو ابن عيص بن اسحق عم • اذ نادى ربه • بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان • اني • باني • مسني الشيطان •
بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها • بنصب • اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل • وعذاب •
اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي
ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الى اخره والاسناد الى الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب
بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا
بالذنب ومراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان
يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجا الى الله تعالى في ان يكفيه
ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عم بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين
فاكتفي ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى • اركض برجلك •
اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا
قوله تعالى • هذا مغتسل بارد وشراب • فانه ايضا اما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر
معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرا ظاهرك
وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب وما ذكر اظهر النظم الكريم وقوله تعالى • ووهبنا له اهله •
معطوف على مقدر مترتب على مقدر اخر يقتضيه القول المقدر انفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما فصل في
سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن ص او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل • ومثلهم معهم •
عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل • رحمة منا • اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا • وذكرى لاولي الالباب

ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجؤوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا
معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا
بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عم ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان
برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رض قبضة من الشجر وقال
فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها
لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب
انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب
الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على
الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عم قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه نعم العبد
اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا
وقرئ عبدنا اما على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيان عطف على عبدنا واما على
ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة
والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين
انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي
الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم خالصين
لنا بخلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر
للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون وما يذرون
جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول
قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى
الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكرها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء عم وقيل
ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين
عليهم في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل فصل
عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني
اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله
ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن
عم يسع او بشر بن ايوب اختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح
كان يصلي كل يوم مائة صلوة وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من
الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على
انباء الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في
بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون
في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن
عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل
منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل
والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين اي الابواب منها او الالف

والام

واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي
جنات عدن هي مفتحة متكئين فيها حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن
لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه
من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء
ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا
اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان
للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها
حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من
جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره
حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدإ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من
غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب
ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين وآخر من
شكله اي ومذوق آخر او عذاب آخر من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخرى اي ومذوقات
اخر او انواع عذاب اخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق ازواج
اي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم
معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا اتبعوهم في الكفر والضلالة و
الاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء
على الفوج او صفة للفوج او حال منه اي مقولا او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتيتم رحبا او لا رحبتهم الدار مرحبا انهم صالوا
النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء في حق
اتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم
مع بعض في حق الاتباع قالوا اي الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم بل انتم لا مرحبا
بكم الى آخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار
الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى آخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم
او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم
قدمتم العذاب والصلي لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا
عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا
اي الاتباع ايضا وتوسيط بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى
ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا
مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف
الحيات والافاعي وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين
كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من
الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم ام زاغت عنهم الابصار متصل باتخذناهم على ان ام متصلة
والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد

من النعليين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عندك عمرو
على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى
لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله تعالى ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا
وهم فيها وقد جوز ان يكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ان ذلك اي الذي حكي من احوالهم
لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم اهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا
مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة
له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تعالى انذركم عذابه وما من اله في الوجود الا الله
الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والارض وما بينهما من
المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره الغفار المبالغ في المغفرة يغفر
لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر
والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير
لا بد من الاعتناء به امرا وائتمارا هو اي ما انبأتكم به من اني منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر
من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به اواخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد وقتادة نبأ عظيم وارد من جهته تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم
ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى
لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى الخ استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه
على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عنده
تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون
متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ
الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للموسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل
عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة
قوله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه
الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة
تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبارا
ما هو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير
الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا
لانما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه ومن موجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار
والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى الي الا للانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط
في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يلائمه
سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد
وقرئ انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم
من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة
البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف واردة باعتبار حال

لكونه

لكونه اول على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية دون حال المأمور والا لقيل ربي لانه
داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه
ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند
وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية
من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته
بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف
جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا
كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به
ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح
فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم
عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان
سجودهم هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه
عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه
ما في سورة الكهف وما في سورة طه البقرة وما في سورة الاعراف وما في سورة بني اسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه
من الآيات الكريمة فقد حققه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل لما انه
كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا
يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء
فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر
وكان من الكافرين اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله تعالى قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام
المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اي
أتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين
وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه
واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله تعالى
خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة
والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه
من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر
الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر
الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته
لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفيته ووسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي كنت فيها وانسلخ
فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود وقبح بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى
فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب
وان عليك لعنتي اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة
اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة الى يوم الدين
اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمرا الى ذلك اليوم

لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه يتلقى يومئذ من الوان العذاب ما ينسى عنده اللعنة
وتصير كالزائل الا ترى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا • قال رب فانظرني
اي امهلني واخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذ جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني • الى يوم يبعثون • اي آدم
وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث
• قال فانك من المنظرين • ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم
في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان
طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين
اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين • الى يوم الوقت المعلوم • الذي قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة
الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال
فان ترحم فانت لذاك اهل • فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي
لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها منه او قد تركت التوضيح في سورة الاعراف كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار
تعويلا على ما ذكر هنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي
من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة وذروة الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ درجة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج
الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه • قال فبعزتك • الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على
الانظار ولا ينافيه قوله فبما اغويتني وقوله تعالى رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام
سلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اي فاقسم بعزتك • لاغوينهم
اجمعين • اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم • الا عبادك منهم المخلصين • وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية
وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تعالى • قال • اي الله عز وجل • فالحق والحق اقول • برفع
الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر اي لا اقول الا الحق والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق
وقوله تعالى لاملأن آه جواب القسم محذوف اي والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين
لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله
لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية
لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم ونصب الثاني على المفعولية
• لاملأن جهنم منك • من جنسك من الشياطين • وممن تبعك • في الغواية والضلال • منهم • من ذرية آدم • اجمعين • تأكيد للكاف
وما عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله
ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم هنا اتباع الشيطان اتضح ان مدار عدم المشيئة في قوله
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا لتحقيق القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبر • قل ما اسألكم عليه
اي على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي • من اجر • دنيوي • وما انا من المتكلفين • اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة
والتقول على القرآن • ان هو • اي ما هو • الا ذكر • من الله عز وجل • للعالمين • للثقلين كافة • ولتعلمن نبأه •
اي ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق • بعد حين • بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام
وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عليه السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله تعالى
من كل ذنب صغير او كبير والله تعالى اعلم

لاملان جهنم

سورة الزمر خمس وسبعون آية مكية • بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتاب • خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر
والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى • من الله العزيز الحكيم • صلة
للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذي هو مفعول معنى عاملها المضاف وهو خبر لتنزيل الكتاب
والوجه الاول اوفى بمقتضى المقام الذي هو بيان ان السورة او القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى
لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم والتعرض لوصفي العزة والحكمة للايذان
بظهور اثريهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على اساس
الحكم الباهرة وقوله تعالى • انا انزلنا اليك الكتاب بالحق • شروع في بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل
وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء
اما متعلقة بالانزال اي بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب
اي انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى
• فاعبد الله مخلصا له الدين • لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه السلام بالحق اي فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب
الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص
المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى • الا لله الدين الخالص • استئناف مقرر لما قبله
من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اي الا هو الذي يجب ان يخص
باخلاص الطاعة لانه المتفرد بصفات الالوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى • والذين اتخذوا من دونه اولياء
الخ تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول
عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء من الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام
وقوله تعالى • ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم
والاستثناء مفرغ من اعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى اي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها
بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الاشياء الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا • ان الله يحكم بينهم • اي بينهم وبين خصمائهم الذين
هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله على احد الوجهين اي بين احد من رسله وبين غيره
وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا • فيما هم
فيه يختلفون • من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين
الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه سياق النظم الكريم واما تجويز ان يكون الموصول عبارة عن المعبودين
على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم
يلعنونهم فبمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان
اختلافا يحوج الى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي الى يوم القيامة
وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية
لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء • ان الله لا يهدي • اي لا يوفق للاهتداء الى الحق الذي هو طريق النجاة عن
المكروه والفوز بالمطلوب • من هو كاذب كفار • اي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب
فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى
• لو اراد الله ان يتخذ ولدا • الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك

علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا
لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا
وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ
والمتخذ وان المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع
الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اي لو
اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه
انتفاءه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه متحقق عند
عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى
وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به
على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد او اسبحه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة
لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا اقتضاء بينا وكذا وصف القهارية لما ان
اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور
ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده
تعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على
النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات
اي يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا
متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى كل يجري
لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز
الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة
وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة
بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداءة
بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف
والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم
جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما
وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى
كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها
لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر
ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى
وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث
تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا
وانثى هي الابل والبقر والضان والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لنفعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى المنزل لا محالة وقوله تعالى
يخلقكم في بطون امهاتكم استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع
للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا

مدرجا

مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة
في ظلمات ثلث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم
اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع اي ذلكم العظيم الشان
الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص
العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى
لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شئونه تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها
وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر
من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم
غير متاثر من انتفائهما ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره
تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قال
لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر
الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم
عند ذلك بما كنتم تعملون اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم
بذات الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر من مرض
وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف
للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى
من التخويل وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله
يخول اي يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه من قبل اي من
قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى
ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى
عما ارضعت وجعل لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد
وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان الجاعل هنا قاصد بجعله المذكور حقيقة
الاضلال وان لم يعرف لجهله انه اضلال وضلال واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل
تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله تمتع بكفرك قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار
اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول
ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل الى آخره من تمام الكلام
المامور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد وتهكما به ءانت احسن حالا
ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر
فقط كدابك حال كونه ساجدا وقائما اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في
معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استيناف وقع
جوابا عما نشا من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة
ربه فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وام اما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف
الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو قانت الخ افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة

التخييف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت
المذكور والذين لا يعلمون ما ذكر أو شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الأولين في أعلى
معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أي كما
لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله تعالى إنما يتذكر أولوا الألباب كلام مستقل غير داخل في
الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم
كما في قول من قال عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار أي إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة
عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ إنما يذكر بالإدغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكر بأولي الألباب إيذانا بأنهم هم كما سيصرح به أي قل لهم قولي هذا بعينه
وفيه تشريف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فإن نقل عين أمر الله تعالى أدخل في إيجاب الامتثال به وإيراد الإيمان
وقوله تعالى للذين أحسنوا تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به وإيراد الإحسان في حيز الصلة دون التقوى للإيذان بأنه من باب
الإحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما في قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله
لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا أي عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص وهو الذي
عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الإحسان بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك حسنة أي حسنة عظيمة
لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وأرض الله
واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الأنبياء والأخيار
فإنه لا عذر له في التفريط أصلا وقوله تعالى إنما يوفى الصابرون ترغيب في التقوى المأمور به وإيثار الصابرين على المتقين
للإيذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الإحسان لما أشير إليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة
والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها أي إنما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما
اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الأهل ومفارقة الأوطان أجرهم بمقابلة ما كابدوا من الصبر
بغير حساب أي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث أنه تنصب
الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى
أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين
أي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله تعالى الذي
هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون وأمرت لأن
أكون أول المسلمين أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة لأن إحراز قصب السبق في الدين بالإخلاص فيه
والعطف لمغايرة الثاني الأول بتقييده بالعلة والإشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضي الأمر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق
في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقوم فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم فالمعنى وأمرت أن أكون
أول من أسلم من أهل زماني أو قومي أو أول من دعا غيره إلى ما دعا إليه نفسه قل إني أخاف إن عصيت ربي بترك الإخلاص
والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة وصفه بالعظمة لعظم ما فيه من الدواهي والأهوال قل الله
أعبد لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل شوب أمر عليه السلام أولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله
والإخلاص فيها ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالإخبار بامتثاله بالأمر على أبلغ وجه وآكده إظهارا لتصلبه
في الدين وحسما لأطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة
على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب قل إن الخاسرين أي الكاملين في الخسران
الذي هو عبارة عن إضاعة ما يهمه وإتلاف ما لا بد منه الذين خسروا أنفسهم وأهليهم باختيارهم الكفر لهما أي أضاعوهما وأتلفوهما
يوم القيامة حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي وأوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لأنهم

من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا إياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب
ما لو آب لانتفع به وذلك غير متصور في الشق الأخير وقيل خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل في الجنة وقد خسروا الأهلين الذين كانوا
يتمتعون بهم لو آمنوا وأيا ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان أنهم الذين كانوا
مندرجون فيه اندراجا أوليا وما في قوله تعالى ألا ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والإشارة
بذلك إلى بعد منزلة المشار إليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وأنه لا
خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الإبهام على أن لهم خبر لظلل ومن
فوقهم متعلق بمحذوف هو حال من ظلل والظرف أي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم أيضا ظلل
بعضها فوق بعض هي ظلل للآخرين بل لهم أيضا عند ترديهم في دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله به عباده ويحذرهم إياه ليجتنبوا ما يوقعهم فيه
يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي
والذين اجتنبوا الطاغوت أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت من الطغيان بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت
والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان أن يعبدوها بدل اشتمال منه فإن عبادة غير الله تعالى عبادة
للشيطان إذ هو الآمر بها والمزين لها وأنابوا إلى الله وأقبلوا إليه معرضين عما سواه إقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على
ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
هم المذكورون بالاجتناب والإنابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالإضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين
الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل أولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر
من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول أي أولئك
المنعوتون بتلك المحاسن الجميلة الذين هداهم الله للدين الحق وأولئك هم أولوا الألباب أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة
الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها أفمن حق عليه
كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة
الطاغوت ومتبعوا خطواته كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فإن المراد بها قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أن الهمزة
للإنكار والفاء للعطف على جملة مستتبعة لما تعذره بعد الهمزة لتعلق الإنكار والنفي بمضمونها أي أأنت مالك
أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير
من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى
الإيمان سعي في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى أفأنت إلخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة و
تنزيل من يستحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير اجتهاده في دعائه إلى الإيمان بصورة الإنقاذ
من النار كأنه قيل أولا أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد الإنكار فقيل أفأنت تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذي يقدر
على الإنقاذ لا غير وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى
لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات
الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة
ما لهم من دركات سافلة في الجحيم أي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية على الأرض في الرصانة والإحكام
تجري من تحتها أي من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية الأنهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد
لقوله تعالى لهم غرف فإنه وعد وأي وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء
استئناف وارد لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا

من الاغترار بزبرجها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا الآية او للاستشهاد وعلى تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف
بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الارض فهو
من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع • فسلكه • فادخله ونظمه • ينابيع في الارض • اي عيونا ومجاري كالعروق
في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع • ثم يخرج به
• زرعا مختلفا الوانه • اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة • ثم يهيج • اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته • فتراه مصفرا • من بعد خضرته ونضرته وقرئ
مصفارا • ثم يجعله حطاما • فتاتا متكسرة كان لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج
• ان في ذلك • اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه • لذكرى
لتذكيرا عظيما • لاولي الالباب • لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة
الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على
انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها
على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر
من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون التذكير وتنبيها
شؤنه تعالى او شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى • افمن شرح الله صدره للاسلام • الخ استئناف جار مجرى التعليل
لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح الذي
يتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روي انه عليه السلام قال اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه السلام الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت قبل نزوله والكلام
في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح
الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر
• على نور • عظيم • من ربه • وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى
الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك الآيات
بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها • فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله • اي من اجل ذكره الذي حقه ان ينشرح له الصدور وتطمئن
به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا وقرئ عن ذكر الله
اي عن قبوله • اولئك • البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب • في ضلال • بعيد عن الحق • مبين • ظاهر كونه
ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضه وابي جهل وذويه • الله نزل
• احسن الحديث • هو القرآن الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلعم ملوا ملة فقالوا له عليه السلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود رضه وابن
عباس رضه قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدا وبناء نزل عليه من تفخيم احسن
الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى
• كتابا • بدل من احسن الحديث وحال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا او لا فان مساغ مجيء الحال من النكرة المضافة اتفاقي و
حال مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى • متشابها • او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام
والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز
• مثاني • صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده
ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر
كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها
كما يقال رايته رجلا حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه • تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم • قيل صفة لكتابا او حال

منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار
التقبض يقال اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال
اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان
حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها
جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى • ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله •
اي ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى • ذلك • اي الكتاب الذي شرح
احواله • هدى الله يهدي به من يشاء • ان يهديه لصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه
من عند الله تعالى • ومن يضلل • اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعيده
ووعده اصلا او ومن يخذل • فما له من هاد • يخلصه عن ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى
يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد ومن مؤثر فيه
بشيء قط • افمن يتقي بوجهه • الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف
الخبر كالذي مر في نظيريه والتقدير اكل الناس سواء فمن شانه انه يتقي نفسه بوجهه الذي هو اشرف اعضائه • سوء العذاب • اي العذاب
السيء الشديد • يوم القيامة • لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج
الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل • وقيل للظالمين • عطف على يتقي اي ويقال لهم من جهة الخزنة وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر
في قوله تعالى • ذوقوا ما كنتم تكسبون • اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي • كذب الذين من قبلهم •
استئناف مسوق لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم من
الامم السالفة • فاتاهم العذاب • المقدر لكل امة منهم • من حيث لا يشعرون • من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم
اتيان الشر منها • فاذاقهم الله الخزي • الذل والصغار • في الحيوة الدنيا • كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلاء ونحو ذلك
من فنون النكال • ولعذاب الآخرة • المعد لهم • اكبر • لشدته وسرمديته • لو كانوا يعلمون • اي لو كان من شانهم ان يعلموا
شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به • ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل • يحتاج اليه الناظر في امور دينه • لعلهم يتذكرون •
كي يتذكروا به ويتعظوا • قرآنا عربيا • حال مؤكدة من هذا على ان مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له
• غير ذي عوج • لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك • لعلهم يتقون • علة
اخرى مترتبة على الاولى • ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون • اي اذكر مثلا من الامثال القرآنية بعد بيان ان الحكمة في ضربها هو التذكر
والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلا مفعول
ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر عن الثاني للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس صلة لشركاء كما قيل
بل هو خبر له وبيان للتمثيل الاول كذلك مما لا حاجة اليه والجملة في حيز النصب على انه صفة لرجلا والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به
على الاعتماد على الموصوف والمعنى جعل الله تعالى مثل المشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعائه كلا من معبوديه عبدا له انه عبد يتشارك
فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه • ورجلا • اي وجعل للموحد مثلا رجلا • سلما • اي خالصا
لرجل • فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا اي خلص نعت
به مبالغة او حذف منه ذو وقرئ سالما وسالم اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجري عليه من الضر والنفع • هل
يستويان مثلا • انكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على ابلغ وجه وآكده وايذان بان ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد
ان يتفوه باستوائهما او يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة ان احدهما في اعلى عليين والآخر في اسفل سافلين وهو السر في ابهام الفاعل
والمفعول المنصوب مثلا على التمييز اي هل يستوي حالاهما وصفتاهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى
اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل

آه وشق حمل آه وقوله تعالى • الحمد لله • تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى
وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع
جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى • بل اكثرهم لا يعلمون • اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه
المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى
• انك ميت وانهم ميتون • تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم
موته اي انكم جميعا بصدد الموت • ثم انكم يوم القيمة عند ربكم • عند مالك اموركم • تختصمون • فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم
ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة
والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى • فمن اظلم ممن كذب على الله •
فانه آه مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والايمان لا غير اي اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف
اليه الشريك والولد • وكذب بالصدق • اي بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي عليه السلام • اذ جاءه • اي في
اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل • اليس في جهنم مثوى للكافرين • اي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب
بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا
• والذي جاء بالصدق وصدق به • الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاؤا بالصدق
وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج او الفريق • اولئك • الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق
• هم المتقون • المنعوتون بالتقوى التي هي اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل عليه
من غير تغيير وقيل وصار صادقا به اي بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه السلام وقرئ وصدق به على البناء للمفعول
• لهم ما يشاؤن عند ربهم • بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اي لهم كل ما يشاؤنه من جلب
المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيمة
انما يقع قبل دخول الجنة • ذلك • الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤنه • جزاء المحسنين • اي الذين احسنوا اعمالهم وقد مر
تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى • ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا • آه متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة
ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها حتما بل باعتبار فحواه
فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فانه مصدر مؤكد
لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من
زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم • ويجزيهم اجرهم باحسن الذي
كانوا يعملون • اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ
والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار
تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان على ان
الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان
جلت وفي الثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان
امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير غيره لكن مما لا يمكن
ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان
باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة • اليس الله بكاف عبده • انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه وآكده كأن الكفاية
من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم
او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي

قالت
عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لقريش انا نخاف ان يخبلك آلهتنا وليصيبك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله
• ويخوفونك بالذين من دونه • اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال • ومن يضلل الله •
حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا • فما له من هاد • يهديه الى خير ما • ومن يهد الله فما له
من مضل • يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى • اليس الله
بعزيز • غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع • ذي انتقام • ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة • ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • لوضوح الدليل وسنوح السبيل
• قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره • اي بعد ما تحققتم ان خالق
العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر • او ارادني برحمة •
اي او ارادني بنفع • هل هن ممسكات رحمته • فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره
ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض
النصيحة • قل حسبي الله • اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك • عليه يتوكل
المتوكلون • لا على غيره لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم • على حالكم التي انتم عليها من العداوة
التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم • اني عامل •
اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حالته لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييدا ولذلك توعدهم
بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله
تعالى واخزاهم يوم بدر • ويحل عليه عذاب مقيم • اي دائم هو عذاب النار • انا انزلنا عليك الكتاب للناس • لاجلهم فانه
مناط مصالحهم في المعاش والمعاد • بالحق • حال من فاعل انزلنا او من مفعوله • فمن اهتدى • بان عمل بما فيه • فلنفسه •
اي انما نفع به نفسه • ومن ضل • بان لم يعمل بموجبه • فانما يضل عليها • لما ان وبال ضلاله مقصور عليها • وما انت
عليهم بوكيل • لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ • الله يتوفى الانفس حين موتها والتي
لم تمت في منامها • اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا
فقط كما عند النوم • فيمسك التي قضى عليها الموت • ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت
• ويرسل الاخرى • اي النائمة الى بدنها عند التيقظ • الى اجل مسمى • هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال
الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكر • ان في ذلك • اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الآخر
• لآيات • عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته • لقوم يتفكرون • في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة
بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم
وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها • ام اتخذوا • اي بل اتخذ قريش • من دون الله • من دون اذنه تعالى
• شفعاء • تشفع لهم عنده تعالى • قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون • الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ
عليه اي قل اتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي لانكار
الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحال الا ان المقدر
حينئذ غير ما قدر اولا وعلى اي تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون لو كانوا يملكون
شيئا ولو كانوا لا يملكون آه وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا • قل • بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر
تحقيقا للحق • لله الشفاعة جميعا • اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له

وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى له ملك السموات والارض تقرير له وتأكيد اي له ملكها وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في
من اموره بدون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله
وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم
حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه
ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك ومما سلكت عند ارادة التكثير و
التعظيم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتي
بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب
الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى وعلى تتقطع وهو كناية فيها مبالغة
وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين
اي المستهزئين بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق
لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين
في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحيرا او تعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان
تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة
الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتانيث ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يليق بشانه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة لما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة
الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي مقام
للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي اي من جهنم
وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب او ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة
لمقارنة تنجيتهم لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء
ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب
والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم آه تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى بنفي ان يمسهم اي
بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما ينبئ ايراده في حيز الصلة واما على
اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء
من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد
السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال
والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل
جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه السلام تفسيرها لا اله الا الله
والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه
والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما شاء
بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس والتنزيلية التي
من جملتها ما بينك لا الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض
فتدبر قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة

على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمرونني
اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايها الزاجري
احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف
الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن
ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط
يحتمل ان يكون من خصائصهم لان اشراكهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولو
لا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه
وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شركاء ووصفوه بما لا يليق بشؤونه
الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته
وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة
التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى
القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت
بالمبهم وتأكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات
معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او
عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خروا امواتا
او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى
نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان
الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت
الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم
ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضيف الى الاسم
الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال و
اكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابله الصحائف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين
وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به
الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا آه تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها
في اثر بعض مرتبة بحسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو
عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا و
توبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا
وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى
قد اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا
خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا اي فبئس
مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها

انما حقت علیهم بناء علی تکبرهم وکفرهم وقد مر تخفیفه فی سورة الم السجدة • وسیق الذین اتقوا ربهم الی الجنة • مساق اعزاز وتشریف
للاسراع بهم الی دار الکرامة وقیل سیق مراکبهم اذ لا یذهب بهم الا راکبین • زمرا • متفاوتین حسب تفاوت مراتبهم فی الفضل وعلو الطبقة
حتی اذا جاؤها وفتحت ابوابها • وقری بالتشدید وجواب اذا محذوف للایذان بان لهم حینئذ من فنون الکرامة ما لا یحدق به نطاق
العبارات کانه قیل حتی اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها • وقال لهم خزنتها سلام علیکم • من جمیع المکاره والآلام • طبتم • طهرتم
من دنس المعاصی او طبتم نفسا بما اتیح لکم من النعیم • فادخلوها خالدین • کان ما کان مما یقصر عنه البیان • وقالوا الحمد لله الذی صدقنا
وعده • بالبعث والثواب • واورثنا الارض • یریدون المکان الذی استقروا فیه علی الاستعارة وایراثها تملیکها مخلفة
علیهم من اعمالهم او تمکینهم من التصرف فیها تمکین الوارث فیما یرثه • نتبوأ من الجنة حیث نشاء • ای یتبوأ کل واحد منا فی ای مکان اراد
من جنته الواسعة علی ان فیها مقامات معنویة لا یتمانع واردوها • فنعم اجر العاملین • الجنة • وتری الملائکة حافین • محدقین
من حول العرش • ای حوله ومن مزیدة او لابتداء الحفوف • یسبحون بحمد ربهم • ای ینزهونه تعالی عما لا یلیق ملتبسین بحمده والجملة
حال ثانیة او مقیدة للاولی والمعنی ذاکرین له تعالی بوصفی جلاله واکرامه تلذذا به وفیه اشعار بان اقصی درجات العلیین واعلی لذائذهم هو
الاستغراق فی شئونه عز وجل • وقضی بینهم بالحق • ای بین الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بین الملائکة باقامتهم فی منازلهم
علی حسب تفاضلهم • وقیل الحمد لله رب العالمین • ای علی ما قضی بیننا بالحق وانزل کلا منا منزلته التی هی حقه والقائلون هم المؤمنون
ممن قضی بینهم والملائکة وطی ذکرهم لتعینهم وتعظیمهم عن النبی صلی الله علیه وسلم من قرأ سورة الزمر لم یقطع الله تعالی رجاءه یوم القیمة
واعطاه ثواب الخائفین وعن عائشة رضی الله تعالی عنها انه علیه السلام کان یقرأ کل لیلة بنی اسرائیل والزمر

سورة غافر خمس وثمانون آیة مکیة • بسم الله الرحمن الرحیم

حم • بتفخیم الالف وتسکین المیم وقری بامالة الالف وباخراجها بین بین وبفتح المیم لالتقاء الساکنین او نصبها باضمار اقرأ
ونحوه ومنع الصرف للتعریف والتانیث او للتعریف وکونها علی زنة قابیل وهابیل الکلام فی قوله تعالی • تنزیل الکتاب • کالذی سلف فی
الم السجدة وقوله تعالی • من الله العزیز العلیم • کما فی مطلع سورة الزمر فی الوجوه کلها ووجه التعرض لنعتی العزة والعلم ما ذکر هناک • غافر
الذنب وقابل التوب شدید العقاب ذی الطول • اما صفات اخر لتحقیق ما فیها من الترغیب والترهیب والحث علی ما هو المقصود والاضافة
فیها حقیقیة علی انه لم یرد بها زمان مخصوص وارید بشدید العقاب مشدده او الشدید عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال
وجعله وحده بدلا کما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسیط الواو بین الاولین لافادة الجمع بین محو الذنوب وقبول التوبة او تغایر الوصفین اذ ربما
یتوهم الاتحاد او تغایر موقع الفعلین لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنوب وذلک لمن لم یتب فان التائب من الذنب کمن لا ذنب له والتوب
مصدر کالتوبة وقیل هو جمعها والطول الفضل بترک العقاب المستحق وفی توحید صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دلیل سبقها ورجحانها
لا اله الا هو • فیجب الاقبال الکلی علی طاعته فی اوامره ونواهیه • الیه المصیر • فیجازی المطیع والعاصی
کالامین المطیع والعاصی • ما یجادل فی آیات الله • ای بالطعن فیها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق کقوله وجادلوا بالباطل
لیدحضوا به الحق • الا الذین کفروا • فاما الجدال فیها
لحل مشکلها وکشف معضلها واستنباط حقائقها وقطع تشبث اهل الزیغ بها وابطال شبه اهل الزیغ
والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلک قال علیه السلام ان جدالا فی القرآن کفر بالتنکیر
فلا یغررک تقلبهم فی البلاد • لترتب النهی ووجوب الانتهاء علی تسجیل علیهم بالکفر الذی لا شیء اعظم منه
ولا اجلب لخسران الدنیا والآخرة فان تحقق ذلک لا یجادل فی حظوظ الدنیا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قریب کما اخذ
من قبلهم من الامم کما قال تعالی • کذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم • ای الذین تحزبوا علی الرسل وناصبوهم بعد
قوم نوح کعاد وثمود واضرابهم • وهمت کل امة • من هذه الامم • برسولهم • وقری برسولها • لیأخذوه
لیتمکنوا من اصابته بما ارادوا من تعذیب وقتل من الاخذ بمعنی الاسر • وجادلوا بالباطل • الذی لا اصل له ولا حقیقة له اصلا
لیدحضوا به الحق • الذی لا محید عنه • فاخذتهم • بسبب ذلک اخذ عزیز مقتدر • فکیف کان عقاب

الذی

الذی عاقبتم به فان آثاره ماربهم عرضة للناظرین ولآخذتن سوآلا ایضا لاتحادهم فی الطریقة واشتراکهم فی الجریرة کما ینبئ عنه قوله
وکذلک حقت کلمة ربک • ای کما وجب وثبت حکمه تعالی وقضاؤه بالتعذیب علی اولئک الامم المکذبة المتحزبة علی رسلهم المجادلة
بالباطل لادحاض الحق وجب ایضا • علی الذین کفروا • ای کفروا بک وتحزبوا علیک وهموا بما لم ینالوا کما ینبئ عنه اضافة اسم الرب
الی ضمیره علیه السلام فان ذلک للاشعار بان وجوب کلمة العذاب علیهم من احکام تربیته التی من جملتها نصرته علیه السلام وتعذیب عدوه
وذلک انما یتحقق بکون الموصول عبارة عن کفار قومه لا عن الامم المهلکة وقوله تعالی • انهم اصحاب النار • فی حیز النصب بحذف لام التعلیل
ای لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها التی هی عذاب النار وملازموها ابدا لکونهم کفارا معاندین متحزبین علی الرسول کداب
من قبلهم من الامم المهلکة فهم لسائر فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استیجابا وقیل هو فی محل الرفع علی انه بدل من کلمة ربک
والمعنی مثل ذلک الوجوب وجب علی الکفرة المهلکة کونهم من اصحاب النار ای کما وجب اهلاکهم فی الدنیا بعذاب الاستیصال کذلک وجب
تعذیبهم بعذاب النار فی الآخرة ومحل الکاف علی التقدیرین النصب علی انه نعت لمصدر محذوف • الذین یحملون العرش ومن حوله
وهم اعلی طبقات الملائکة علیهم السلام واولهم وجودا وحملهم ایاه وحفیفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبیرهم له وکنایة عن قربهم من ذی
العرش جل جلاله ومکانتهم عنده ومحل الموصول الرفع علی الابتداء خبره • یسبحون بحمد ربهم • والجملة مسوقة لتسلیة رسول الله
ببیان ان اشراف الملائکة علیهم السلام مثابرون علی ولایة من معه من المؤمنین ونصرتهم واستدعاء ما یسعدهم فی الدارین ای ینزهونه
تعالی عن کل ما لا یلیق بشأنه الجلیل ملتبسین بحمده علی نعمائه التی لا تتناهی • ویؤمنون به • ایمانا حقیقیا بحالهم والتصریح به مع
الغنی عن ذکره رأسا لاظهار فضیلة الایمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنین حسبما ینطق به قوله تعالی • ویستغفرون
للذین آمنوا • فان المشارکة فی الایمان اقوی المناسبات واتمها وادعی الدواعی الی النصح والشفقة وفی نظم استغفارهم لهم فی سلک
وظائفهم المفروضة علیهم من تسبیحهم وتحمیدهم وایمانهم ایذان بکمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالی فی موقع القبول روی ان حملة
العرش ارجلهم فی الارض السفلی ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا یرفعون طرفهم وعن النبی علیه السلام لا تتفکروا فی عظم ربکم ولکن تفکروا
فیما خلق الله من الملائکة فان خلقا من الملائکة یقال له اسرافیل زاویة من زوایا العرش علی کاهله وقدماه فی الارض السفلی وقد مرق رأسه
من سبع سموات وانه لیتضاءل من عظمة الله تعالی حتی یصیر کانه الوصع وفی الحدیث ان الله امر جمیع الملائکة ان یغدوا ویروحوا بالسلام
علی حملة العرش تفضیلا لهم علی سائرهم وقیل خلق الله تعالی العرش من جوهرة خضراء وبین القائمتین من قوائمه خفقان الطیر المسرع ثمانین
الف عام وقیل حول العرش سبعون الف صف من الملائکة یطوفون به مهللین مکبرین ومن ورائهم سبعون الف صف قیام قد وضعوا
ایدیهم علی عواتقهم رافعین اصواتهم بالتهلیل والتکبیر ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ایمانهم علی الشمائل ما منهم احد الا وهو یسبح
بما لا یسبح به الآخر • ربنا • او حال • وسعت کل شیء رحمة وعلما • ای وسعت رحمتک وعلمک فازیل عن اصله للاغراق فی وصفه
تعالی بالرحمة والعلم والمبالغة فی عمومهما وتقدیم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا والفاء فی قوله تعالی • فاغفر للذین تابوا
لترتیب الدعاء علی ما قبلها من سعة الرحمة والعلم • واتبعوا سبیلک • ای للذین علمت منهم التوبة واتباع سبیل الحق • وقهم
عذاب الجحیم • واحفظهم عنه وهو تصریح بعد اشعار للتأکید • ربنا وادخلهم • عطف علی وقهم وتوسیط النداء بینهما للمبالغة
فی الجؤار • جنات عدن التی وعدتهم • ای وعدتهم ایاها وقری جنة عدن • ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذریاتهم
ای صلاحا مصححا للدخول الجنة فی الجملة وان کان دون صلاح اصولهم وهو عطف علی الضمیر الاول ای وادخلها معهم هؤلاء لیتم
سرورهم ویتضاعف ابتهاجهم او علی الثانی لکن لا بناء علی الوعد العام للکل کما قیل اذ لا یبقی حینئذ للعطف وجه بل بناء علی الوعد
الخاص بهم بقوله تعالی الحقنا بهم ذریتهم بان یکونوا اعلی درجة من ذریتهم قال سعید بن جبیر یدخل المؤمن الجنة فیقول این ابی این ولدی
این زوجی فیقال انهم لم یعملوا مثل عملک فیقول انی کنت اعمل لی ولهم فیقال ادخلوهم الجنة وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا یستدعی
حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعلیه مبنی قول من قال فائدة الاستغفار زیادة الکرامة والثواب والاول هو الاولی
لان الدعاء بالادخال فیه صریح وفی الثانی ضمنی وقری صلح بالضم وذریتهم بالافراد • انک انت العزیز • ای الغالب الذی لا
یمتنع علیه مقدور • الحکیم • ای الذی لا یفعل الا ما تقتضیه الحکمة الباهرة من الامور التی من جملتها انجاز الوعد فالجملة تعلیل
لما قبلها • وقهم السیئات • ای العقوبات لان جزاء السیئة سیئة او جزاء السیئات علی حذف المضاف وهو تعمیم بعد تخصیص او مخصوص

بالاتباع او المعاصي في الدنيا لمعنى قوله تعالى ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم
طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او اليها والى الوقاية وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع ان الذين كفروا شروع
في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد
مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اي ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان
فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم
انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف للمقت الاول وان توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر
مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين
الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه
بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدري الفعلين المذكورين
اي اماتتين واحيائين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد والفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة
والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كأنه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم تدع فلم يبق الا مسحت آه قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا
وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية
ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما في القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا
فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا
ينكرونه في الدنيا كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة
من الرجع الى الدنيا كما قصر جوابه حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوا بقولهم فهل الى خروج من سبيل
من نوع استبعاد واستعجال يائس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب في ان الذي كانوا ينكرونه ويتزعمون
عليه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف
يجديهم نفعا واما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها وكذا حال الموتة في القبر فان مقصدهم
هو الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كيفما كان
وقوله تعالى ذلكم آه جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه من العذاب مطلقا
لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشان اذا دعي الله في الدنيا اي عبد وحده اي منفردا كفرتم
اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة
المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق
ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب
لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته
الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل
بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال لكم من السماء رزقا اي سبب رزق هو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات
الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة و
استمرارها وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب

الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك
فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب
فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم
رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعُل بالضم كما هو المشهور وتفسيره
بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش
ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص
العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف
العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة
عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر آخر
لما ذكر مبني عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب
منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا
ومبتدئا من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن
للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه
لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام
او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه
يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعا او اصالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق
بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم
او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله
منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر
ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة
او مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال آه اي ينادي مناد
لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي ان يجمع الله الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد
في ارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هو حكاية
لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافعال بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت آه اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق او حكاية لما سيقوله
تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب
او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب
زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله
اليوم تجزى آه فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار
وانذرهم يوم الآزفة اي القيمة سميت بها لازوفها اي قربها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة
وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي
اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان

الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدرا كظمهم
او مشارفين الكظم • ما للظالمين من حميم • اي قريب مشفق • ولا شفيع يطاع • اي ولا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا
على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم
وتعليل الحكم به • يعلم خائنة الاعين • النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر
كالعافية • وما تخفي الصدور • من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء
والله يقضي بالحق • لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي شيئا الا وهو حق وعدل • والذين يدعون • يعبدونهم • من دونه
لا يقضون بشيء • تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل تعالى
ان الله هو السميع البصير • تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون
من دونه • اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم • اي مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم
كعاد وثمود واضرابهم • كانوا هم اشد منهم قوة • قدرة وتمكنا من التصرف وانما جيء بضمير الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين
لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف • وآثارا في الارض • مثل القلاع الحصينة والمدائن
المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا • فاخذهم الله بذنوبهم • اخذا وبيلا • وما كان لهم من الله من واق
اي من واق يقيهم عذاب الله • ذلك • اي ذكر من الاخذ • بانهم • بسبب انهم • كانت تأتيهم رسلهم بالبينات • اي بالمعجزات
او بالاحكام الظاهرة • فكفروا فاخذهم الله انه قوي • متمكن مما يريد غاية التمكن • شديد العقاب • لا يؤبه عند عقابه بعقاب
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا • وهي معجزاته • وسلطان مبين • اي وحجة قاهرة وهي ما علي الآيات والعطف لتغاير الوصفين
او لافراد بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام
الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب • اي فيما اظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين يعني
فلما جاءهم بالحق من عندنا • وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة • قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم
كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث
موسى عليه السلام واحس بانه قد وقع ما توقعه اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذي حكم
المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده • وما كيد الكافرين الا في ضلال • اي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينفذ عليهم
القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلته او للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد واتصاله
له بالمرة • وقال فرعون ذروني اقتل موسى • كان ملاؤه اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه اقل من ذلك واضعف
وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة
بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله
ان يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه
من الفزع الهائل وقوله تعالى • وليدع ربه • تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه • اني اخاف • ان لم اقتله
ان يبدل دينكم • اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه • وان يظهر في
الارض الفساد • ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وقرئ يظهر من
الاظهار ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون • وقال موسى • اي لقومه حين سمع
بما تقوله اللعين من حديث قتله • اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب • صدر عليه السلام كلامه بان
تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه واضافه اليه
واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره
بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام

وقال رجل مؤمن من آل فرعون • قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا • يكتم ايمانه
اي من فرعون وملائه • اتقتلون رجلا • اتقصدون قتله • ان يقول • لان يقول او كراهة ان يقول • ربي الله • اي وحده
من غير روية وتأمل في امره • وقد جاءكم بالبينات • والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها • من ربكم
اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال • وان يك كاذبا
فعليه كذبه • لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله • وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم • اي ان لم يصبكم كله فلا
اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه
كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها • مردود لانه اراد بالبعض نفسه • ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
احتجاج آخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك
خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف
كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة • يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين • غالبين عالين على بني اسرائيل • في الارض
اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت • فمن ينصرنا من بأس الله • من اخذه وعذابه • ان جاءنا • اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا
لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم
فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه
ليتأثروا بنصحه • قال فرعون • بعد ما سمع نصحه • ما اريكم • اي ما اشير عليكم • الا ما ارى • واستصوبه من قتله
وما اهديكم • بهذا الرأي • الا سبيل الرشاد • اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب
حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد
كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه
الى الفعل • وقال الذي آمن • مخاطبا لقومه • يا قوم اني اخاف عليكم • في تكذيبه والتعرض له بالسوء • مثل يوم الاحزاب
مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم • مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود • اي مثل جزاء
ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل • والذين من بعدهم • كقوم لوط • وما الله يريد ظلما للعباد • فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا
يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية • ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد • خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادي فيه بعضهم
بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند
بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا
ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب • يوم تولون مدبرين • بدل من يوم التناد اي منصرفين
عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا • ما لكم من الله من عاصم • يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون
ومن يضلل الله فما له من هاد • يهديه الى طريق النجاة • ولقد جاءكم يوسف • هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان
فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق • من قبل • من قبل موسى
بالبينات • بالمعجزات الواضحة • فما زلتم في شك مما جاءكم به • من الدين • حتى اذا هلك • بالموت • قلتم لن
يبعث الله من بعده رسولا • ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك
في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث • كذلك • مثل ذلك الاضلال الفظيع • يضل الله من هو
مسرف • في عصيانه • مرتاب • في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد • الذين يجادلون
في آيات الله • بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين
بغير سلطان • متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة • اتاهم • صفة سلطان • كبر مقتا عند الله

وعند الذين آمنوا ● فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من
يجادلون ● كذلك ● اي مثل ذلك الطبع ● يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ● فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف
والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما ● وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا ● اي بناء مكشوفا
عاليا من صرح الشيء اذا ظهر ● لعلي ابلغ الاسباب ● اي الطرق ● اسباب السموات ● بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم
لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها ● فاطلع الى اله موسى ● بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد
ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على
ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا
بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه ● واني لاظنه كاذبا
فيما يدعيه من الرسالة ● وكذلك ● اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط ● زين لفرعون سوء عمله ● فانهمك فيه
انهماكا لا يرعوي عنه بحال ● وصد عن السبيل ● اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط
الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى ● وما كيد فرعون
الا في تباب ● اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد
على انه عطف على سوء عمله وقرئ وصدوا اي هو وقومه ● وقال الذي آمن ● اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى ● يا قوم اتبعون
فيما دللتكم عليه ● اهدكم سبيل الرشاد ● اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض ان ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال
يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع ● اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها
رأس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال ● وان الآخرة هي دار القرار ● لخلودها ودوام
ما فيها ● من عمل ● في الدنيا ● سيئة فلا يجزى ● في الآخرة ● الا مثلها ● عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم
بمثلها ● ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك ● الذين عملوا ذلك ● يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير
حساب ● اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة
بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك ● ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ● كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وهذا التعجب الذي يتوجه به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار
ودعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا
وقوله تعالى ● تدعونني لاكفر بالله ● بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام ● واشرك به ما ليس لي به
بشركته تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته ● علم ● والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها
وانا ادعوكم الى العزيز الغفار ● الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من
المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ● لا جرم ● لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى
انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ● اي حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة
او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك
الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية
الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد
وان مردنا الى الله ● اي بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى ● وان المسرفين ● اي في الضلال
والطغيان كالاشراك وسفك الدماء ● هم اصحاب النار ● اي ملازموها ● فستذكرون ● وقرئ فستذكرون اي فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ● ما اقول لكم ● من النصائح ● وافوض امري الى الله ● قاله لما انهم كانوا توعدوه ● ان الله
بصير بالعباد ● فيحرس من يلوذ به من المكاره ● فوقاه الله سيئات ما مكروا ● شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق انواع العذاب
بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى ● وحاق بآل فرعون ● اي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة

انه

انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا
رعبا فقتلهم ● سوء العذاب ● الغرق والقتل والنار ● النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ● جملة مستأنفة مسوقة لبيان
كيفية سوء العذاب او النار خبر لمبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان او بدل من سوء
العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحال ان يكون لحاق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا
بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت
منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى
على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رض ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ● ويوم تقوم الساعة ●
يقال للملائكة ● ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ● اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها
الوان بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب ● واذ يتحاجون في النار ●
اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها ● فيقول الضعفاء ● منهم ● للذين استكبروا ● وهم رؤساؤهم ● انا
كنا لكم تبعا ● اتباعا كخدم في جمع خادم او ذا تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة
فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ● بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر دل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا
او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا او بالنصب على المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك نصيبا ● قال الذين استكبروا انا كل فيها ● اي نحن وانتم فكيف نغني
عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يجوز جعله
حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول
جديدا لك ثوب ● ان الله قد حكم بين العباد ● وقضى قضاء لا مرد له ولا معقب لحكمه ● وقال الذين في النار ●
من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم ● لخزنة جهنم ● اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم
موضع الضمير للتهويل او التقطيع او لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة والطغاة او لكون الملائكة
الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ● ادعوا ربكم يخفف عنا يوما ● اي مقدار يوم او في
يوم ما من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا ● من العذاب ● واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير
من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان ممتد لان ذلك عندهم مما ليس في
حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم ● قالوا ● اي الخزنة ● اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ● اي الم تنبهوا على
هذا ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم
يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء و
تعطيل اسباب الاجابة ● قالوا بلى ● اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله
من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى ● قالوا فادعوا ● فصيحة كما في قول من قال فقد جئنا خراسانا اي اذا كان
الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه
عرية عن بيان ان يستحيه من قبلهم كما يفصح عنه الفاء وتجاوبهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا
بامرهم بالدعاء واطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم ● وما دعاء الكافرين الا في ضلال ●
اي ضياع وبطلان في قوله تعالى ● انا لننصر رسلنا والذين آمنوا ● الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب
الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو ان شأننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم ● في الحيوة الدنيا ●
بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة
الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ● ويوم يقوم الاشهاد ● اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار

بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة
ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا بني
اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب
لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك من اذية المشركين ان وعد الله حق اي وعده الذي
ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك وجميع مواعيده
التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما فرط
منك من ترك الاولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي
والابكار اي دم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر
وصلوة الفجر ان الذين يجادلون في آيات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد
المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل
مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ان في صدورهم الا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم
او الارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق او الارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا لان فيها موقع جدال ما او ان
لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا للمجادلة في الجملة وقوله تعالى ما هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر و
ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود
يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك
فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك
وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي
الاعمى والبصير اي الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون
حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود
نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود
او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس
او الكفار ان الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر
الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني اي اعبدوني
استجب لكم اي اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين
اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء
فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس مستريحا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر
سره مرارا والنهار مبصرا اي يبصر فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم
المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة
منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة

فانى

فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا
بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى اي باية كانت
لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق
بالزمان وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فاحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير اي
صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من النعوت الله ربكم خبران لذلكم فتبارك
الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله
جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود
يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة
من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها
الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات
او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مقررات للآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وامرت
ان اسلم لرب العالمين بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب في ضمن خلق آدم منه حسبما تحقق
مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد
لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل
ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه
على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا
متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي
تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء والاماتة
فاذا قضى امرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته
تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى
للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون
تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد
على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الآية بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو
الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف
يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي
بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب او الرفع على الذم
وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحي
والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته اذ الاغلال في اعناقهم ظرف
ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ خبره محذوف
لدلالة خبر الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في
الظرف وقيل استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى
الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون

من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سُجر بالحب اي مُلئ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع العذاب وينقلون
من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل
شيئا اي تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن
كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم
يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون
بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والمرح والالتفات للمبالغة في التوبيخ
ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين
اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان
وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت
النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا
يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما
بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب والخطعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا
المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام
مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس
وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها
عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان
المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه
وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم
المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ولمصلحتكم كقوله تعالى
لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها
اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث
لا يجوز تعلقه بالآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار
باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في
صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج
وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفاين البر وقيل هي الازواج
الثمانية فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منها يجوز تعلقه بكل منهما ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين
منها بحيث لا يجوز به كل منهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها تعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال
قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث
لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل وهو ناصب لأي واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي
هو الشائع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي
اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة
دونه تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استيناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم
من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى
نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم

فلما

فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو
ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء
الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا
الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا
آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند رؤية
لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون
بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض
المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء
ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه
لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة
للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي
سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم بأسنا
على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي
ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة فصلت اربع وخمسون آية مكية — بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدأ خبره تنزيل
وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق
مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر وتنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وعلى الوجه
الاول بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى
الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت
تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاسباب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على
المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر
لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليس بصفة
او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب
او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون
سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان
والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اي صمم واصل التركيب
وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب
مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول عليه السلام
فاعمل اي على دينك وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اي على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر
فان قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون
بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولهم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم مامور

ما امرتم به من ... اجزنا جميعا بالتوحيد بحجاب حاجز بيني وبينكم فان الخطاب في آذانكم محكي بنسق نظم الكلام لانه خطاب منه وهو للمشافهة كما في
وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في
العمل وقد دلت عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى اني لست ملكا وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي
وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتامل والفاء في قوله تعالى • فاستقيموا اليه • لترتيب ما بعدها على ما قبلها
من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال • واستغفروه • مما كنتم عليه من سوء العقيدة
والعمل ثم هددهم على ذلك بقوله تعالى • وويل للمشركين • ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى • الذين لا يؤتون
الزكوة • لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل
• وهم بالآخرة هم كافرون • وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائهم متجدد
والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان معناه لا يؤتون الزكوة بقوله لا يقولون لا اله الا الله وهي زكوة الانفس والمعنى
لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى وقد افلح من زكاها وقال الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة
وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون • اي لا يمن به عليهم
من المن واصله الثقل او لا ينقطع من منت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما
كانوا يعملون • قل ائنكم لتكفرون • انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتاكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة
لا لانكار التاكيد واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وفرعه فيحتاج الى التاكيد وان لم يكن فيهم ... بالموصول حيث
قيل • بالذي خلق الارض في يومين • لتفخيم شانه تعالى واستعظام كفرهم به اي بالعظيم الشان الذي قدر وجود الارض
ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون ولا تحتم ... وجودها و
تسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب حركاتها • وتجعلون له اندادا • عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد
باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اي وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن ان يكون له ند واحد • ذلك •
اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد
الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدا خبره ما بعده اي ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر
• رب العالمين • اي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون شريكا له ... كفرتم به وقوله تعالى
• وجعل فيها رواسي • عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بالجملتين الخارجتين عن
حيز الصلة مدفوع بان الاولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التاكيد
فالفصل بهما كلا فصل على ان فيه فائدة التنبيه على ان ما ذكر من المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له
ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اي خلقها وجعل آه وقيل هو كلام مستانف واياما كان فالمراد تقدير
الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى • من فوقها • متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون
منافعها معرضة لاهلها وتظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار • وبارك فيها • اي قدر بان يكثر خيرها بان يخلق
انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم • وقدر فيها اقواتها • اي حكم بالفعل بان يوجد فيما سياتي
لاهلها من الانواع المختلفة اقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة • في اربعة ايام
متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اي قدر حصولها في يومين وانما قيل في اربعة ايام ... بالفذلكة
• سواء • مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لايام اي استوت سواء اي استواء كما ينبئ عنه قراءة الجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها
او في فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء • للسائلين • متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها
او بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى • ثم استوى الى السماء • شروع
في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بالمخاطبين
وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اي ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره

• وهي دخان • اي امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان مرتفع من الماء كما سياتي وتحقيق
الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى • فقال لها وللارض • اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير
ما فيها كانه قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها • ائتيا • اي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما
وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير امرهما من غير ان يكون هناك امر ومامور كما في قوله تعالى
كن وقوله تعالى • طوعا او كرها • تمثيل لتحتم تاثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما
مصدران واقعان موقع الحال اي طائعتين او كارهتين وقوله تعالى • قالتا اتينا طائعين • اي منقادين تمثيل لكمال تاثيرهما بالذات
عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره
موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى • فقضاهن سبع سموات •
تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على تكوينهما اي خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة
والضمير اما للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول تمييز على الثاني • في يومين • في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان
خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل • واوحى في كل سماء امرها •
عطف على قضاهن اي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قال قتادة والسدي فالوحي عبارة
عن التكوين كالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه
ومطلق عن القيد المذكور واياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء
وانما الترتيب بين التقدير والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة
البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها
على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في
الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء
ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة
وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي
عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءهما
واحداثهما بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ايتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه
من الشكل والوصف ايتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وايتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة
آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتاتى ما ذكر بل
خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين
على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب
في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يجعل الارض
في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع
سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل
في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا
في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك
على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الآية
على ما نحا اليه على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق

خلق الارض على خلق السماء بهذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة
في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية والعالم بحقيقة الحال
هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه ● وزينا السماء الدنيا بمصابيح ● من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة
عليها كانها فيها والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى ● وحفظا ● مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي
وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ● ذلك ● الذي ذكر
بتفاصيله ● تقدير العزيز العليم ● المبالغ في القدرة والعلم ● فان اعرضوا ● متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ اي فان اعرضوا عن التدبر
فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان ● فقل ● لهم ● انذرتكم ● اي انذركم وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به ● صاعقة ● اي عذابا هائلا شديد الوقع كانه صاعقة ● مثل صاعقة عاد وثمود ●
وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب
فعلته ففعل ● اذ جاءتهم الرسل ● حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله
صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته ● من بين ايديهم ومن خلفهم ● متعلق بجاءتهم اي من جميع
جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم
من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة
مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم
اي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤوهم وخاطبوهم بقوله تعالى ● ان لا تعبدوا الا الله ● اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية اولى
لا تعبدوا على انها مفسرة ● قالوا لو شاء الله ● اي ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفي
رسالة البشر وقد مر فيما سلف ● لانزل ملائكة ● اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل ● فانا بما
ارسلتم به ● اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم ● كافرون ● لما انتم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في
ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم آتانا ببيان من امره فقال عتبة بن
ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت
خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك
عشر نسوة تختار من اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما
فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى
اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت
فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته
بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب ● فاما عاد فاستكبروا في الارض ● شروع
في حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما عم الكل من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا
فيها واستولوا على اهلها ● بغير الحق ● اي بغير استحقاق التعظيم والولاية ● وقالوا ● مدلين بشدتهم وقوتهم ● من اشد منا
قوة ● حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده ● اولم
يروا ● اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ● ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة ●
اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وانما
اورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم ● وكانوا باياتنا ● المنزلة
على الرسل ● يجحدون ● اي يكفرون بها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم
الشنعاء ● فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ● اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة
تصوت في هبوبها من الصرير ● في ايام نحسات ● جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على

انه

او نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء ● لنذيقهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ● وقرئ لنذيقهم على اسناد الاذاقة الى الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة
على انه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه ● ولعذاب الآخرة اخزى ● وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة
● وهم لا ينصرون ● بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه ● واما ثمود فهديناهم ● فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال
الرسل وانزال الآيات التشريعية وازاحة عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل
يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء ● فاستحبوا العمى على الهدى ● اي اختاروا الضلالة على الهدى ● فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون ● داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه ● بما كانوا يكسبون ●
من اختيار الضلالة ● ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ● من تلك الصاعقة ● ويوم يحشر اعداء الله ● شروع في بيان عقوباتهم الآجلة
اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين
والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ نحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة وضم
الشين وكسرها ● الى النار ● اي الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه
بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف
ايذانا بقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما دل عليه قوله تعالى ● فهم يوزعون ● اي يحبس اولهم على آخرهم
ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار وقوله تعالى ● حتى اذا ما جاؤوها ● اي جميعا غاية ليحشر او ليوزعون اي
حتى اذا حضروها وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور ● شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ● في الدنيا من فنون الكفر
والمعاصي بان ينطقها الله تعالى ويظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص
السؤال بها في قوله تعالى ● وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ● فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما يشهد به السمع
والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد الجوارح اي يسألونها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا فعنكن كنا نناضل وفي رواية
بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى ● قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ●
لوقوعهما في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم
بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس يلائمه ذلك لما فيه من ايهام الاضطرار
في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل شيء ● وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ●
فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة
بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على
التغليب الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى ● وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ● حكاية لما
سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان
تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ● ولكن ظننتم ان الله
لا يعلم كثيرا مما تعملون ● من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى
حينئذ لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان
وقرشي او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الانسب ان يراد
بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال الشنيع ايضا من الكفرة
فتدبر ● وذلكم ● اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى
● ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم ● خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا ● فاصبحتم ● بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم
● من الخاسرين ● اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين ● فان يصبروا فالنار مثوى لهم ● اي محل ثواء

واقامة ابدية لهم بحيث لا براح منها والالتفات الى الغيبة للايذان ان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للتعجب
بابعادهم عن حضرة الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار • وان يستعتبوا • اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا
مما هم فيه • فما هم من المعتبين • المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ ان يستعتبوا
فما هم فاعلون لفوات المكنة • وقيضنا لهم • اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا • قرناء • جمع قرين اي اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة • فزينوا لهم ما بين
ايديهم • من امور الدنيا واتباع الشهوات • وما خلفهم • من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط
وحق عليهم القول • اي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين كما قررناه • في امم
حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد
وثمود لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل • قد خلت • صفة لامم اي مضت • من قبلهم من الجن والانس • على الكفر
والعصيان كدأب هؤلاء • انهم كانوا خاسرين • تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين • وقال الذين كفروا
من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض • لا تسمعوا لهذا القرآن • اي لا تنصتوا له • والغوا فيه • وعارضوه
بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال
لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى • لعلكم تغلبون • اي تغلبونه على قراءته • فلنذيقن الذين كفروا • اي فوالله
لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا اوليا • عذابا شديدا • لا يقادر قدره • ولنجزينهم
اسوأ الذي كانوا يعملون • اي جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة
الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي
كانوا يعملون في الآخرة • ذلك • مبتدأ وقوله تعالى • جزاء اعداء الله • خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى
وقوله تعالى • النار • عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء
وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى • لهم فيها دار الخلد • جملة مستقلة مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي خبره
اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة عشرون
منا حديدا وقيل هي على معناها والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون • جزاء بما كانوا
باياتنا يجحدون • منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون باياتنا
الحق او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو • وقال الذين كفروا • وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب • ربنا ارنا اللذين
اضلانا من الجن والانس • يعنون فريقي شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين
وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرئ
باختلاس كسرة الراء • نجعلهما تحت اقدامنا • اي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل • ليكونا
من الاسفلين • اي ذلا ومهانة او مكانا • ان الذين قالوا ربنا الله • شروع في بيان حسن احوال المؤمنين في الدنيا
والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته • ثم استقاموا • اي ثبتوا
على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين
رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها • تتنزل عليهم الملائكة • من جهته
تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان
الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل
البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه • الا تخافوا • ما تقدمون

عليه

عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه • ولا تحزنوا • على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع او حصول ضار وقيل
المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة
والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف • وابشروا • اي سروا
بالجنة التي كنتم توعدون • من الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى • نحن اولياؤكم في
الحيوة الدنيا • الخ من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة
عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة • وفي الآخرة • نمدكم
بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام • ولكم فيها • اي في الآخرة • ما تشتهي
انفسكم • من فنون الطيبات • ولكم فيها ما تدعون • ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي تدعون لانفسكم وهو اعم
من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للاشباع في
البشارة وللايذان باستقلال كل منهما • نزلا من غفور رحيم • حال مما تدعون مفيدة لكون ما تتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم
الاجور كالنزل للضيف • ومن احسن قولا ممن دعا الى الله • اي الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله
دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من جمع ما فيها من
الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر • وعمل صالحا • فيما بينه وبين ربه • وقال انني من المسلمين • ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا
للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة • ولا تستوي الحسنة ولا السيئة
جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد والرب عز وجل ترغيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام
ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي وقوله تعالى • ادفع بالتي هي احسن • الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة حيث
اعترضتك من بعض اعاديك بالتي هي احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب
عن سؤال من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى • فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم
بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق • وما يلقاها • اي ما يلقى هذه الخصلة
والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان • الا الذين صبروا • اي شأنهم الصبر • وما يلقاها الا ذو حظ عظيم • من الخير
وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار
وليا مصافيا • واما ينزغنك من الشيطان نزغ • النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث
على ما لا ينبغي وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت
به من الدفع بالتي هي احسن • فاستعذ بالله • من شره ولا تطعه • انه هو السميع • باستعاذتك • العليم • بنيتك وصلاحك
وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه • ومن آياته • الدالة على شؤونه العظيمة • الليل
والنهار والشمس والقمر • كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره • لا تسجدوا للشمس ولا للقمر • لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة
لاوامره مثلكم • واسجدوا لله الذي خلقهن • الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث ولانها عبارة
عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في
سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في آياته تعالى • ان كنتم اياه تعبدون • فان السجود اقصى مراتب العبادة
فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى • فان استكبروا
عن الامتثال • فالذين عند ربك • من الملائكة • يسبحون له بالليل والنهار • اي دائما • وهم لا يسأمون • لا يفترون
ولا يملون وقرئ لا يسئمون بكسر الياء • ومن آياته انك ترى الارض خاشعة • يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل
فاذا انزلنا عليها الماء • اي المطر • اهتزت وربت • اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت
له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي ارتفعت • ان الذي احياها • بما ذكر

بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من الاشيا التي من جملتها الاحيا قدير مبالغ في القدرة
ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة
لا يخفون علينا فيجازيهم بالحادهم وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير امن ياتي آمنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء
اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان امنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير
فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون آه وخبر ان هو الخبر
السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز
اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدا محذوف
او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا ياتيه آه اعتراض
عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الى آخر
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك
الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو
عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو
جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اي بينت بلسان
نفقهه وقوله تعالى ءاعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كالاحمري والمعنى
الكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام
وبين المخاطب لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي كلام منسوب الى امة العجم وقرئ اعجمي على الاخبار بان القرآن اعجمي والمخاطب
او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان
ان آيات الله تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء لما في
الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدا خبره في آذانهم وقر على ان التقدير هو اي القرآن في آذانهم وقر على ان وقر
خبر للضمير المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر او هو وفق لقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم وقر على
الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين
عطف الموصول على الموصول الاول هو للذين آمنوا هدى وشفاء والآخرين وقرئ في آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه
بما في حيز صلته وما عطف عليه وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر وما فيه من كمال المناسبة لقوله
من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشهدونها
ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم لمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد
آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستانف مسوق لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك
على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتينا موسى التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب
وهكذا حال قومك في شان ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة
بتاخير عذابهم والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
لقضي بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب اي موقع في الريبة
وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمل
او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه
وتعالى وقد مر تمام التحقيق في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال

الله يعلم

الله يعلم او لا يعلمها الا الله تعالى وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة
وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان
تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء
مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط
ويوم يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب
باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي اخبرناك
ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا هو موحد لك او ما منا من احد
يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ
مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه
من نفوسهم فكانهم اعلموه او لان معناه الانشاء والاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون
من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق
عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء
بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة
عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته هذا وصف للجنس بوصف
غالب افراده لما ان اليأس من رحمة الله تعالى لا يتاتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة
اي تقوم فيما سياتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك
لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم
حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم
من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن
الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز
ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارايتم اي اخبروني
ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد
اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه
من عند الله في الآفاق هو ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له
ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم
هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم يوم
بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل
في الآفاق اي في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات
ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء
العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت
قبل ذلك ان الله تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم
انه الحق اي القرآن او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استيناف وارد لتوبيخهم على ترددهم

في شأن القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه المقام
اى الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا يكاد يزاد الا مع كفى وقوله تعالى • انه على كل شيء شهيد • بدل منه اى الم
يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل
معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل
عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو
لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد
محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من ترديد
فيما ذكر من تحقق الموعود يرده قوله تعالى • الا انهم في مرية من لقاء ربهم • اى في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء
فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهى لغة فيها • الا انه بكل شيء محيط • عالم بجميع الاشياء بجملها
وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف

سورة الشورى ثلث وخمسون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

• حم عسق • اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدّا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق
فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى • كذلك يوحى اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم • كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل
المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف
في حيز النصب على انه مفعول ليوحى على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اى مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحى اليك في سائر السور
والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش
والمعاد ومثل ايحائها اوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحى و
وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل
لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى
مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى • له ما في السموات وما في
الارض وهو العلي العظيم • خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته • تكاد السموات • وقرئ بالياء • يتفطرن
يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن
بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر • من فوقهن • اى يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات وادلها
على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض
حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين • والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده • ويستغفرون لمن في الارض • بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة
• الا ان الله هو الغفور الرحيم • اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان
لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز
الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة • والذين اتخذوا من دونه اولياء • شركاء وانداداً • الله

حفيظ عليهم • رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها • وما انت عليهم بوكيل • بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما
وظيفتك الانذار • وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا • ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية
وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على
قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا
عربيا حال من المفعول اى اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين • لتنذر ام القرى • اى اهلها وهى مكة • ومن حولها
من العرب • وتنذر يوم الجمع • اى يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح و
الاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول
مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله ضمير القرآن • لا ريب فيه • اعتراض مقرر لما قبله • فريق
في الجنة وفريق في السعير • اى بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يتفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير
للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين اى مشارفين للتفرق او متفرقين في دارى
الثواب والعقاب • ولو شاء الله لجعلهم • اى في الدنيا • امة واحدة • قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى • ولكن يدخل من يشاء في رحمته • انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في
عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن
ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل
• والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير • للايذان بان الادخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته
تعالى كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان
ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير
ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تقدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها
فكان المناسب حينئذ تقديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه ان يراد الاتحاد
في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين هم في فترة ادريس
او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر
من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اى شانه ذلك فيرسل الى
الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله تعالى للايمان والطاعة ويدخلهم في
رحمته ولا يتاثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون في الآخرة الى السعير
من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب • ام اتخذوا من دونه اولياء • جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان
يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه
على ابلغ وجه واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان ذلك
فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اى بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى
• فالله هو الولي • جواب شرط محذوف كانه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه اولياء ان ارادوا وليا في الحقيقة
فالله هو الولي لا ولي سواه • وهو يحيي الموتى • اى ومن شانه ذلك • وهو على كل شيء قدير • فهو الحقيق بان يتخذ
وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء • وما اختلفتم فيه من شيء • حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
للمؤمنين اى ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم • فحكمه • راجع • الى الله • وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين
• ذلكم • الحاكم العظيم الشان • الله ربي • مالكي • عليه توكلت • في مجامع اموري خاصة لا الى غيره • واليه انيب
ارجع في كل ما يعن لي من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة

تجدد مواده او ثم قرئ في الاول صيغة الماضي وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا
فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه
الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه
فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه السلام • فاطر السموات والارض
خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره • جعل لكم • وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى
الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف • من انفسكم • من جنسكم • ازواجا • وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
قد مر سره غير مرة • ومن الانعام • اى وجعل للانعام من جنسها • ازواجا • او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا
• يذرؤكم • يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر • فيه • اى فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا
يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير • ليس كمثله شيء • اى ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من
مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة
في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة • وهو السميع البصير • المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر • له مقاليد
السموات والارض • اى خزائنها • يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم
البالغة • انه بكل شيء عليم • مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها
من قوله تعالى • شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى • ايذان بان ما
شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب
لامته صلى الله عليه وسلم اى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من ارباب الشرائع واولي العزم من مشاهير الانبياء عليهم السلام وامرهم
به امرا مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في
شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والا فما من نبي الا وهو مأمور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يختلف
باختلاف الامم وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد
بايحائه اليه عليه السلام اما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك الآية واما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها
قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك
عند نسبته اليه عليه السلام بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما
في الايحاء من التصريح برسالته عليه السلام القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر في تقديمه على
ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه السلام • ان اقيموا الدين • اى دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله وبيوم
الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما
النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو
اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبي عليه السلام مستلزم لكون الخطاب في قوله
تعالى • ولا تتفرقوا فيه • للانبياء المذكورين عليهم السلام وتوجيه النهي الى اممهم تمحل ظاهر مع ان الاظهر انه متوجه الى امته عليه السلام
وانهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا اى لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم
باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى • كبر على المشركين • شروع في بيان احوال بعض
من شرع لهم ما شرع من الدين القويم اى عظم وشق عليهم • ما تدعوهم اليه • من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث
قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى • الله يجتبي اليه من يشاء • استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه
اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء ان يجتلبه اليه وهو من صرف اختياره الى ما دعي اليه كما
ينبئ عنه قوله تعالى • ويهدي اليه من ينيب • اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى • وما تفرقوا • شروع

في

في بيان احوال اهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى
لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا في الدين الذي دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم
• الا من بعد ما جاءهم العلم • بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في
كتابهم او العلم بمبعثه عليه السلام وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا في حال من الاحوال او في
وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم او الا وقت مجيء العلم • بغيا بينهم • وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم في ذلك
شبهة • ولولا كلمة سبقت من ربك • وهي العدة بتأخير العقوبة • الى اجل مسمى • هو يوم القيامة • لقضي بينهم
لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى • وان الذين اورثوا الكتاب • الخ بيان لكيفية
كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا الكتاب القرآن من
بعد ما اورث اهل الكتاب كتابهم • لفي شك منه • من القرآن • مريب • موقع في القلق او الريبة ولذلك لا يؤمنون
به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب اهل الكتابين هذا واما ما قيل من ان الآية في تفرق الامم الانبياء عليهم السلام
وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء ثم قرره قوله تعالى
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من ان الناس كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله
تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين
وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال
على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع
عليه اولئك الاعلام عليهم السلام تأكيدا لوجوب اقامته وتشديدا للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق
اممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام • فلذلك • اى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب او فلاجل انه شرع
لهم الدين القويم القديم الحقيق بان يتنافس فيه المتنافسون • فادع • الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل
بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار
وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بان ربك اوحى لها اى فالى ذلك الدين فادع •
واستقم • عليه وعلى الدعوة اليه • كما امرت • واوحي اليك • ولا تتبع اهواءهم • الباطلة • وقل آمنت بما
انزل الله من كتاب • اى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان
لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب اهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في خاتمة سورة البقرة
• وامرت لاعدل بينكم • في تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوي بيني وبينكم
ولا آمركم بما لا اعمله ولا اخالفكم الى ما انهاكم عنه ولا افرق بين اكابركم واصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف
اى امرت بذلك لاعدل او زائدة اى امرت ان اعدل والباء محذوفة • الله ربنا وربكم • اى خالقنا جميعا ومتولي
امورنا • لنا اعمالنا • لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان او عقابا • ولكم اعمالكم • لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر
بسيئاتكم • لا حجة بيننا وبينكم • اى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة
• الله يجمع بيننا • يوم القيامة • واليه المصير • فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة لا متاركة
في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ باية القتال • والذين يحاجون في الله • اى في دينه • من بعد ما استجيب له • من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه او من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه السلام واظهر دينه
او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنعوته عليه السلام واستفتحوا به قبل بعثه عليه السلام بل لا تجد لهم حجة وانما عبر عن اباطيلهم
بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل • وعليهم غضب • عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره • ولهم عذاب شديد • وذلك ان اليهود
والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق • حجتهم داحضة عند ربهم •

زائلة باطلة بل لا حجة لهم اصلا وانما عبر عنها بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل • وعليهم غضب • عظيم لمكابرتهم الحق
بعد ظهوره • ولهم عذاب شديد • لا يقادر قدره • الله الذي انزل الكتاب • اي جنس الكتاب • بالحق •
ملتبسا به في احكامه واخباره او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام • والميزان • والشرع الذي يوازن به الحقوق ويسوي بين
الناس او نفس العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن • وما يدريك • اي اي شيء يجعلك عالما • لعل الساعة • التي
يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق • قريب • اي قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث
والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى
جزاؤها • يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها • استعجال انكار واستهزاء كانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو
الذي نحن عليه ام الذي عليه محمد واصحابه • والذين آمنوا مشفقون منها • خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب • ويعلمون
انها الحق • اي الكائن لا محالة • الا ان الذين يمارون في الساعة • يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها
بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة • لفي ضلال بعيد • عن الحق فان البعث اشبه الغائبات
بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد • الله لطيف بعباده • اي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم
من فنون الطافه ما لا يكاد تناله ايدي الافكار والظنون • يرزق من يشاء • ان يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من
البر على ما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة • وهو القوي • الباهر القدرة الغالب على كل شيء • العزيز • المنيع الذي
لا يغلب • من كان يريد حرث الآخرة • الحرث في الاصل القاء البذر في الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الاعمال
ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اي من كان يريد باعماله ثواب الآخرة
• نزد له في حرثه • نضاعف ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها • ومن كان يريد • باعماله • حرث الدنيا • وهو
متاعها وطيباتها • نؤته منها • اي شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه • وما له في الآخرة من نصيب • اذ كانت همته مقصورة
على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء • ام لهم شركاء • اي بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع • شرعوا لهم
بالتسويل • من الدين ما لم يأذن به الله • كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم
الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة
لهم • ولولا كلمة الفصل • اي القضاء السابق بتأخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيامة • لقضي بينهم • اي بين
الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم • وان الظالمين لهم عذاب اليم • وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي لولا
كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة • ترى الظالمين
يوم القيامة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء • مشفقين • خائفين • مما كسبوا
من السيئات • وهو واقع بهم • اي وباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض
• والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات • مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها • لهم ما يشاؤن عند ربهم
اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤن
• ذلك • اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه • هو الفضل الكبير • الذي
لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته • ذلك • الفضل الكبير هو • الذي يبشر الله عباده • اي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد
الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده • الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقرئ يبشر من ابشر • قل لا اسألكم عليه • روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما
يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة • اجرا • نفعا • الا المودة في القربى • اي الا ان
تودوني لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفي القربى
حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل
يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة

علي

وهذا السر في قوله تعالى ترى المجرمين ... بكسر ... وتقديره ...

على من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم
القيامة وقيل القربى التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى •
ومن يقترف حسنة • اي يكتسب اي حسنة كانت فتتناول مودة ذي القربى تناولا اوليا وعن السدي انها المراد وقيل
نزلت في الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم • نزد له فيها • اي في الحسنة • حسنا • بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله
وقرئ حسنى • ان الله غفور • لمن اذنب • شكور • لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة • ام يقولون •
بل ايقولون • افترى • محمد • على الله كذبا • بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخي كانه قيل ايتمالكون
ان ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى • فان يشأ الله
يختم على قلبك • استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى
كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته
منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك
معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا تبين انه من عند الله عز وجل
هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه
استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن
ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم
على قلبك يربط عليه بالصبر • ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته • استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ
عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اي ومن
عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا
لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي
هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم • انه عليم بذات الصدور • فيجري عليها احكامها اللائقة بها من
المحو والاثبات • وهو الذي يقبل التوبة عن عباده • التوبة هو الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا
وروي عن جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر
فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال
يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم
واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته
• ويعفو عن السيئات • صغيرها وكبيرها لمن يشاء • ويعلم ما يفعلون • كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز
حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء • ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات •
اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب
لما يترتب عليها ومنه عليه السلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه قيل له
ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام • ويزيدهم من فضله • على ما سألوا
واستحقوا بموجب الوعد • والكافرون لهم عذاب شديد • بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد • ولو بسط
الله الرزق لعباده لبغوا في الارض • لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه
الجبلة البشرية واصل البغي تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية • ولكن ينزل بقدر • اي بتقدير • ما يشاء
اي ينزله ما تقتضيه مشيته • انه بعباده خبير بصير • محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من
اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم
لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا

وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من انزل من بعد ما
قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اي بركات
الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده
بالاحسان ونشر الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع
فانها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم
المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج
من الملح وقد يجوز ان يكون للملئكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب فان يخلق الله في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي
على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء
والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى
قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة
اي مصيبة كانت فيما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء
بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب
اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب
وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجواري
كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح
فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن
اللواتي يجرين تارة ويركدن اخرى على حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى
لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه
صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق
عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج
آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم
كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف
فيكون المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل
فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتتنافسون فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله
من ثواب الآخرة خير لخلوص نفعه وابقى لدوامه حيث لا يزول ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على
غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف
الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم
اي الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب او الرفع
وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنه
كبير الاثم الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا
له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا
وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات والذين
اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد
وصفهم بسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه
فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم

فانه مختص بسبب الدبيب

ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض

ملكته

ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان
البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق
السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى
فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود
انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمعتدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي ظلم وقد قرئ به فاولئك
اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين
يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا
وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى
وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه
فحذف لظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في الموارد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه
وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى مرد اي رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا
وتراهم يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين
من الذل متذللين متضائلين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف
كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم
بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال
وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى
وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن
يضلل الله فما له من سبيل يؤدي سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان
يأتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله يوم لا يمكن رده ما لكم
من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم
جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له
الى الرسول صلى الله عليه وسلم اي فان لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك
الا البلاغ وقد فعلت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان
الجنس لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى
النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها
من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق
الوجود كثير الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة
وقوعها وانها بمعزل عن الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم
لله ملك السموات والارض فمن قضيته ان يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيفما يشاء ومن جملته ما قسم النعمة والبلية
حسبما يريده يخلق ما يشاء مما تعلمه وما لا تعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم
من غير ان يكون في ذلك دخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قالوا معنى
يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد
في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل

ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان سياق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق بمشيئته تعالى لا ما يتعلق بمشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرّف الذكور او لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابرهيم ذكورا وللنبي صلوات الله عليه ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين ۞ انه عليم قدير ۞ مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة ۞ وما كان لبشر ۞ اي وما صح لفرد من افراد البشر ۞ ان يكلمه الله ۞ بوجه من الوجوه ۞ الا وحيا ۞ اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحي الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى ۞ او من وراء حجاب ۞ فانه تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى ۞ او يرسل رسولا ۞ اي ملكا ۞ فيوحي ۞ ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري ۞ باذنه ۞ اي بامره تعالى وتيسيره ۞ ما يشاء ۞ ان يوحيه اليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح ان يكلم الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رض من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية ۞ انه علي ۞ متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة ۞ حكيم ۞ يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا ۞ وكذلك ۞ اي ومثل ذلك الايحاء البديع ۞ اوحينا اليك روحا من امرنا ۞ هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حيوة ابدية وقيل هو جبريل ع م ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحي ۞ ما كنت تدري ۞ قبل الوحي ۞ ما الكتاب ۞ اي اي شيء هو ۞ ولا الايمان ۞ اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ۞ ولكن جعلناه ۞ اي الروح الذي اوحيناه اليك ۞ نورا نهدي به من نشاء ۞ هدايته ۞ من عبادنا ۞ وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى ۞ وانك لتهدي ۞ تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي بذلك النور من نشاء هدايته ۞ الى صراط مستقيم ۞ هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله وقرئ لتدعو ۞ صراط الله ۞ بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه تعالى بقوله ۞ الذي له ما في السموات وما في الارض ۞ لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب ۞ الا الى الله تصير الامور ۞ اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره ففيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلعم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف ثمان وثمانون آية مكية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

۞ حم ۞ الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل في ذلك محل بجزالة النظم الكريم ۞ والكتاب ۞ بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية ۞ المبين ۞ اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم والمبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة ۞ انا جعلناه قرآنا عربيا ۞ جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى

لعلكم

۞ لعلكم تعقلون ۞ فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية ۞ وانه في ام الكتاب ۞ اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر ۞ لدينا ۞ اي عندنا ۞ لعلي ۞ رفيع القدر بين الكتب شريف ۞ حكيم ۞ ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على علوه من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء اخر اولى منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شانه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل ۞ افنضرب عنكم الذكر ۞ اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا ۞ ان كنتم قوما مسرفين ۞ اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى ۞ وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون ۞ تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه وقوله تعالى ۞ فاهلكنا اشد منهم بطشا ۞ اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية ۞ ومضى مثل الاولين ۞ اي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ۞ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ۞ اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤوا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى ۞ الذي جعل لكم الارض مهدا ۞ استيناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها ۞ وجعل لكم فيها سبلا ۞ تسلكونها في اسفاركم ۞ لعلكم تهتدون ۞ اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي ۞ والذي نزل من السماء ماء بقدر ۞ بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ۞ فانشرنا به ۞ اي احيينا بذلك الماء ۞ بلدة ميتا ۞ خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميّتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره ۞ كذلك ۞ اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض ۞ تخرجون ۞ اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس ۞ والذي خلق الازواج كلها ۞ اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنه الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك ۞ وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ۞ اي ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها ۞ لتستووا على ظهوره ۞ اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ۞ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ۞ اي تذكروها

تعلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان
الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلثا وهلل ثلثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله
وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم
عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب
ان يتامل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة
ولا يخطر بباله في شيء مما ياتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا له من عباده جزءا
متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم اه اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه
بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه
ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان
بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم
وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على المذهبين
المشهور والالتفات الى الخطاب لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا
انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على
التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف
البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى
انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها
اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار اسود في
الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود
جملة وقعت خبرا له او من ينشأ في الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا اي او جعلوا من شأنه ان يربى
في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى امره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة
لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني اي او اتخذ
من هو بهذه الصفة الذميمة صفته وهو اي ما ذكر من التصور في الخصام اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في
العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار
المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشا من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره علاه واعلاه وعالاه وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على
الله عز وجل انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع أشهدوا
خلقهم اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم
وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم ويسألون
عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة وقرئ
يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة
ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى
ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم لكونها
مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا
او السخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئته

الا ارتضاء

الا ارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون
يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفي ان يكون لهم
بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن
او من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة
الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد وقوله
تعالى على آثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد
وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استئناف مبين
لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم
وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي
قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اي اتقتدون بآبائكم ولو جئتكم باهدى بدين اهدى
مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف
وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا
بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اي قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به اه وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما
في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه السلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه
كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى
فانتقمنا منهم اي بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك
واذ قال ابراهيم اي واذكر لهم وقت قوله لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله
انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف
آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء وبراء بضم الباء ككريم
وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع
او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة
تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على الهداية او سيهدين الى وراء الذي هداني اليه الى الآن والاظهر
ان السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها
عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا
يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه
رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية
في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول عليه السلام
من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم
اي هؤلاء الحق اي القرآن ورسول اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او
مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية اه
مبالغة في تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه سببا
لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد
ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون
فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين

اي من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان • عظيم • اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة
المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه
العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا
لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق الا بمن له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية
لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية
المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى • اهم يقسمون رحمة ربك • انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب
من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة • نحن قسمنا بينهم معيشتهم • اي اسباب معيشتهم • في الحيوة الدنيا • قسمة تقتضيها مشيئتنا
المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية • ورفعنا بعضهم فوق بعض • في الرزق وسائر مبادي
المعاش • درجات • متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم
ومحكوم • ليتخذ بعضهم بعضا سخريا • ليصرف بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا
ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة
امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق
ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بامرها • ورحمة ربك • اي النبوة وما يتبعها من سعادة
الدارين • خير مما يجمعون • من حطام الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى • ولولا ان يكون الناس امة واحدة • استيناف مبين
لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا
راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى • لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة • اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار
لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا
اكتفاء بجمع البيوت وسقوفا كانه لغة في سقف وسقوفا • ومعارج • اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ
معاريج جمع معراج • عليها يظهرون • اي يعلون السطوح والعلالي • ولبيوتهم • اي وجعلنا لبيوتهم • ابوابا وسررا
من فضة • عليها • اي على السرر • يتكئون • ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير • وزخرفا • اي زينة عطفا على سقفا
او ذهبا عطفا على محل من فضة • وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا • اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة
الا شيء يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف لما على ان ان هي المخففة واللام هي
الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن
• والآخرة • بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان • عند ربك للمتقين • اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان
العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا • ومن يعش • اي يتعام • عن ذكر الرحمن • وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان
بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج
وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها
الفانية والشهوات • نقيض له شيطانا فهو له قرين • لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض • وانهم • اي الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو
• ليصدونهم • اي قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها • عن السبيل
المستبين الذي يدعو اليه القرآن • ويحسبون • اي العاشون • انهم • اي الشياطين • مهتدون • اي الى السبيل
المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك
لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق
الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى • حتى اذا

جاءنا • فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر وانما
افراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر
العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة • قال
مخاطبا له • يا ليت بيني وبينك • في الدنيا • بعد المشرقين • اي بعد المشرق والمغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب
المشرق وثني واضيف البعد اليهما • فبئس القرين • اي انت وقوله تعالى • ولن ينفعكم • الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ
من جهة الله تعالى عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم • اليوم • اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم • اذ ظلمتم • اي لاجل
ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم
ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى
• انكم في العذاب مشتركون • تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه
في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم
حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة
في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل
• افانت تسمع الصم او تهدي العمي • وهو انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا
في الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقرونا بالصمم • ومن كان في ضلال مبين • عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين
ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى
انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء • فاما نذهبن بك • اي فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم
ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين • فانا منهم منتقمون • لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة للتاكيد بمنزلة لام القسم
في انها لا تفارق النون المؤكدة • او نرينك الذي وعدناهم • اي او اردنا ان نريك العذاب الذي وعدناهم
• فانا عليهم مقتدرون • بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا وقد اراه عليه السلام ذلك يوم بدر • فاستمسك
بالذي اوحي اليك • من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله
عز وعلا • انك على صراط مستقيم • تعليل للاستمساك او للامر به • وانه لذكر • لشرف عظيم • لك ولقومك وسوف
تسألون • يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه • واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا • اي واسأل اممهم وعلماء دينهم
كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما تقوله
اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم السلام • اجعلنا
من دون الرحمن آلهة يعبدون • اي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع
الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى • ولقد ارسلنا موسى بآياتنا • ملتبسا بها
• الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين • اريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه • فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون •
اي فاجؤوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول ما رأوها ولم يتاملوا فيها • وما نريهم من آية • من الآيات • الا هي اكبر
من اختها • اي الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات
والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار
على غيرها • واخذناهم بالعذاب • كالسنين والطوفان والجراد وغيرها • لعلهم يرجعون • لكي يرجعوا عما هم عليه
من الكفر • وقالوا يا ايه الساحر • نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون

للعالم الماهر ساحرا لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ● ادع لنا ربك ● ليكشف عنا العذاب ● بما عهد عندك
بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة
● اننا لمهتدون ● اي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ● فلما كشفنا
عنهم العذاب ● بدعوته ● اذا هم ينكثون ● فاجؤا نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ● ونادى فرعون ● بنفسه
او بمناديه ● في قومه ● في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا ● قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس ● تجري من تحتي ● اي من تحت قصري او امري وقيل
من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها او
للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ ● افلا تبصرون ● ذلك يريد به استعظام ملكه ● ام انا خير ● مع هذه المملكة
والبسطة ● من هذا الذي هو مهين ● اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ● ولا يكاد يبين ● اي الكلام قاله افتراء عليه
وتنقيصا له في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما
منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال اثر ما عدد من اسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حالي ام هي
واما متصلة فالمعنى افلا تبصرون فلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب
تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فضله سبب على علمهم بخيريته
فلولا القي عليه اسورة من ذهب ● اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه
وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء
اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى ● او جاء معه الملائكة مقترنين ● مقرونين
يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن ● فاستخف قومه ● فاستفزهم وطلب منهم الخفة في
مطاوعته او فاستخف احلامهم ● فاطاعوه ● فيما امرهم به ● انهم كانوا قوما فاسقين ● فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي
● فلما آسفونا ● اي اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا اشتد غضبه ● انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين ● في اليم
● فجعلناهم سلفا ● قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل ما حل بهم من العذاب وهو مصدر نعت به او جمع سالف
كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال ضمة
اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ● ومثلا للآخرين ● اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم
فرعون ● ولما ضرب ابن مريم مثلا ● اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى
يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا
وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى ● اذا قومك منه ● اي من ذلك المثل ● يصدون ● اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا
وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل ايضا من الصدود
وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى المجاجة ● وقالوا أآلهتنا خير ام هو ● حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه
تمهيدا لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا
فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح ورفع الاصوات لم يكن بما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الآية فان ذلك مع ابهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه السلام عنه من شائبة الافحام من اول الامر خلاف الواقع كيف لا
وقد روي ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من اول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي بقوله عليه السلام ما اجهلك
بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين جاء بالغاية عن الخصوص والعموم علما بما ذكر من
كلمة بغير العقلاء ولان اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة في عبادته في الجملة فعممه للكل لكن لا بطريق عبارة النص
بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك في المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه السلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك

ان

ان الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبودين كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر
تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد
كما ينطق به قوله تعالى ● ما ضربوه لك الا جدلا ● اي ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند
ظهوره ببيانك ● بل هم قوم خصمون ● اي لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو
تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه الا جدلا ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا
ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضحكون
والضمير في ام هو لمحمد عليه السلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكر عليهم
من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قلنا بدعا من القول وما فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح
ابن الله وعبدوه فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ● ان هو الا عبد انعمنا
عليه ● اي بالنبوة ● وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ● اي امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف
مسوق لتنزيهه عليه السلام عن ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع
بيان انه قياس باطل باطل او بابطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض
الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى
يتبجح عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اخف واخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لرد توهمهم وتحكمهم
في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان عيسى في الحقيقة وفيما اوحي الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر
فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته او كيف يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى ● ولو نشاء ● الخ لتحقيق ان مثل عيسى عليه السلام
ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية
اي قدرتنا بحيث لو نشاء ● لجعلنا ● اي لخلقنا بطريق التوالد ● منكم ● وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ● ملائكة
كما خلقناهم بطريق الابداع ● في الارض ● مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء ● يخلفون ● اي يخلفونكم مثل اولادكم
فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شأنهم بهذه المثابة
بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم المعبودية او انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ● وانه ● وان عيسى
● لعلم للساعة ● اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب واحيائه الموتى دليل على صحة
البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسمية ما يذكر به
ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل
الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير
ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام بالساعة ● فلا تمترن
بها ● فلا تشكن في وقوعها ● واتبعون ● اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى
● هذا ● اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه له ● صراط مستقيم ● موصل الى الحق ● ولا يصدنكم الشيطان
عن اتباعي ● انه لكم عدو مبين ● بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ● ولما جاء عيسى بالبينات ● اي بالمعجزات
او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات ● قال ● لبني اسرائيل ● قد جئتكم بالحكمة ● اي الانجيل او الشريعة ● ولابين لكم ● عطف على
مقدر ينبئ عنه المجيء بالحكمة كانه قيل قد جئتكم لاعلمكم اياها ولابين لكم ● بعض الذي تختلفون فيه ● وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما
يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم ● فاتقوا الله ● في مخالفتي ● واطيعون
فيما ابلغه عنه تعالى ● ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ● بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع

هذا • اي التوحيد والتعبد بالشرائع • صراط مستقيم • لا يضل سالكه وهو اما من تمام كلامه عليه السلام او استيناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى
فاختلف الاحزاب • الفرق المتحزبة • من بينهم • اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى • فويل للذين ظلموا • من المختلفين
من عذاب يوم اليم • هو يوم القيامة • هل ينظرون • اي ما ينتظر الناس • الا الساعة ان تأتيهم • اي الا اتيان الساعة
بغتة • اي فجاءة لكن لا عند كونهم مترقبين لها غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى • وهم لا يشعرون
الاخلاء • المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في الامور الدنيوية • يومئذ • يوم اذ تأتيهم الساعة • بعضهم لبعض عدو
لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب • الا المتقين • فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى نافعة
حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني منقطع • يا عباد لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون • حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم • الذين
آمنوا بآياتنا • صفة للمنادى او نصب على المدح • وكانوا مسلمين • اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا
وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤوسهم على الرجاء ثم يتبعها
الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم • ادخلوا الجنة انتم وازواجكم • نساؤكم المؤمنات • تحبرون
تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل • يطاف عليهم • بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به • بصحاف من ذهب واكواب • كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة
ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له • وفيها • اي في الجنة • ما تشتهيه الانفس • من فنون الملاذ وقرئ
ما تشتهي • وتلذ الاعين • اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه • وانتم فيها خالدون • اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم
له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف • وتلك الجنة • مبتدأ وخبر • التي اورثتموها • وقرئ ورثتموها
بما كنتم تعملون • في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول
مع صلته خبر وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها كما في الاولين • لكم فيها فاكهة
كثيرة • بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط • منها تأكلون • اي بعضها تأكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار
على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت
مثلاها مكانها • ان المجرمين • اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات • في عذاب
جهنم خالدون • خبر ان او خالدون هو الخبر وفي عذاب متعلق به • لا يفتر عنهم • اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا
سكنت قليلا والتركيب للضعف • وهم فيه • اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار • مبلسون • آيسون من النجاة و
وما ظلمناهم • بذلك • ولكن كانوا هم الظالمين • لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد • ونادوا • خازن النار
يا مالك • وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه • ليقض علينا ربك
اي ليميتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت
لفرط الشدة • قال انكم ماكثون • اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بالموت ولا بغيره وعن ابن عباس رضي الله عنه انه لا يجيبهم الا بعد الف
سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة • لقد جئناكم بالحق • في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع
من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى • ولكن اكثركم للحق • اي حق كان • كارهون
لا تقبلونه وتنفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه • ام ابرموا امرا • كلام مبتدأ
ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية
هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع
واستقباحه اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم • فانا مبرمون • كيدنا حقيقة لا هم او فانا
مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم و
يتشاورون في اموره عليه الصلوة والسلام • ام يحسبون • اي بل ايحسبون • انا لا نسمع سرهم • وهو ما حدثوا به انفسهم

او

او غيرهم في مكان خال • ونجواهم • اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي • بلى • نحن نسمعهما ونطلع عليهما • ورسلنا
الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا • لديهم • عندهم • يكتبون • اي يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال
والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبونه • قل
اي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة ليست لبغضك وعداوتك لهم
او لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله سبحانه • ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
اي له وذلك لانه عليه السلام اعلم الناس بشؤونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه
من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد
ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن
ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الآنفين اي المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد
انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ وُلد • سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون • اي يصفونه به من ان يكون له ولد وفي اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات
حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش • فذرهم
حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي • يخوضوا • في اباطيلهم • ويلعبوا • في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال
ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر • حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون
ما فعلوا وما يفعل بهم • وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله • الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل
من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كانه قيل وهو الذي يستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في
سورة الانعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف
عليه لا يسوغ لكون الجار حينئذ خبرا مقدما واله مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة عن العائد نعم يجوز ان يكون صلة للموصول واله خبر المبتدأ
محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية وتخصيص
لاستحقاق الالهية به تعالى وقوله تعالى • وهو الحكيم العليم • كالدليل على ما قبله • وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما
اما على الدوام كالهواء او في بعض الاوقات كالطير • وعنده علم الساعة • اي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة • واليه
ترجعون • للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء • ولا يملك الذين يدعون • اي يدعونهم
وقرئ بالتاء مخففا ومشددا • من دونه الشفاعة • كما يزعمون • الا من شهد بالحق • الذي هو التوحيد • وهم يعلمون • بما
يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول
عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام • ولئن سألتهم من خلقهم • اي سألت العابدين والمعبودين
ليقولن الله • لتعذر الانكار لغاية بطلانه • فانى يؤفكون • فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون
الكل مخلوقا له تعالى • وقيله • بالجر اما على انه عطف على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم قوله تعالى • يا رب • او على ان الواو
للقسم والقيل والقال كلها مصادر او على ان الواو للقسم وقوله تعالى • ان هؤلاء قوم لا يؤمنون • جوابه وفي الاقسام به من رفع
شانه وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب والعطف على سرهم او على محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير
فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة • فاصفح عنهم • فاعرض عن دعوتهم واقنط عن
ايمانهم • وقل سلام • اي امري تسلم منكم ومتاركة • فسوف يعلمون • حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى
لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف
كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب صدق الله

سورة الدخان مكية وهي سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين • الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة • انا انزلناه • اي الكتاب المبين الذي هو القرآن
في ليلة مباركة • هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القرآن
مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة
واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله عليه السلام وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة • انا كنا منذرين • استيناف
مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى انا انزلناه اه
اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف • فيها يفرق كل امر حكيم • استيناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة
الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر
ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة و
قيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى
جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت
عليهم السلام وقرئ يفرّق بالتشديد وقرئ يفرُق على البناء للفاعل اي يفرق الله تعالى كل امر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة • امرا
من عندنا • نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان
فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل امر لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا
ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لما ان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي آمرين او مأمورا • انا
كنا مرسلين • بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى • رحمة من ربك • غاية للارسال
متأخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على ان المراد مبدؤها اي انا انزلنا القرآن لان من عادتنا
ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان
بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه السلام لتشريفه وتعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله رحمة
مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا وان
في ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة
بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى • انه هو السميع العليم • تحقيق لربوبيته تعالى وانها لا تحق الا لمن هذه نعوته • رب السموات
والارض وما بينهما • بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر آخر او استيناف على اضمار مبتدأ • ان كنتم موقنين
اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم او ان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سئلتم من خلقها
فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك • لا اله الا هو • جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله
رب السموات اه وما بينهما اعتراض • يحيي ويميت • مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى • ربكم ورب آبائكم الاولين • باضمار مبتدأ
او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل ليميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب السموات وقرئا بالجر بدلا
من رب السموات على قراءة الجر • بل هم في شك • مما ذكر من شئونه تعالى غير موقنين في اقرارهم • يلعبون • لا يقولون ما يقولون
عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى • فارتقب • لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك
مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم • يوم تأتي السماء بدخان مبين • اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان
اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان
قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع الكلام
ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى • يغشى الناس • اي يحيط بهم • هذا عذاب اليم • اي قائلين ذلك فمشى اليه
ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى • ربنا اكشف

كذا في الكشاف

عنا العذاب انا مؤمنون • وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج
وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة
الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى عليه السلام
ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين
المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه
ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله تعالى • انى لهم الذكرى • الى آخره رد لكلامهم
واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون
او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم • وقد جاءهم رسول مبين • اي و
الحال انهم شاهدوا امرا داعيا الى التذكر وموجبا للاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم
مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال • ثم تولوا عنه • عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا
منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي • وقالوا • في حقه • معلم مجنون • اي قالوا
تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان
يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغا واذا شبع طغى وقوله تعالى • انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون • جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ
والتهديد وما بينهما اعتراض اي انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى
ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع
كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من
الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون • يوم نبطش البطشة الكبرى • اي يوم القيمة
وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى • انا منتقمون • لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اي يومئذ
ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم يأتي اه وقرئ نبطش اي نحمل الملئكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى
وهو التناول بعنف وصولة او نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة • ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون • اي امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للمبالغة او لكثرة القوم • وجاءهم رسول كريم • على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة
قومه وكرامهم • ان ادوا الي عباد الله • اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد الله حقه
من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشأن
ادوا الي اه وقوله تعالى • اني لكم رسول امين • تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه
وصدقني بالمعجزات القاهرة • وان لا تعلوا على الله • اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله
اني آتيكم • اي من جهته تعالى • بسلطان مبين • تعليل للنهي اي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل
او المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى • واني عذت بربي وربكم • اي التجأت
وتوكلت عليه • ان ترجمون • من ان ترجموني اي تؤذوني ضربا او شتما او تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله
توعدوه بالقتل وقرئ بادغام الذال في التاء • وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون • اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي
فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب
الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام • فدعا ربه • بعدما تموا على تكذيبه • ان هؤلاء • اي بان
هؤلاء • قوم مجرمون • وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول

قيل كان دعاؤه اللهم عجّل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين • فاسر بعبادي ليلا
باضمار القول اما بعد الفاء اي فقال اسر بعبادي واما قبلها كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبّر
الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى • انكم متبعون • اي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم • واترك
البحر رهوا • مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط
انهم جند مغرقون • وقرئ انهم بالفتح اي لانهم • كم تركوا • اي كثيرا تركوا بمصر • من جنات وعيون وزروع
ومقام كريم • محافل مزينة ومنازل حسنة • ونعمة • اي تنعم • كانوا فيها فاكهين • متنعمين وقرئ فكهين • كذلك
الكاف في محل النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل دل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها • واورثناها قوما آخرين
وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبر اي الامر كذلك فيكون واورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاولين
على الفعل المقدر • فما بكت عليهم السماء والارض • مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم
المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط
رزقه وآثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء والارض • وما كانوا • لما جاء وقت هلاكهم • منظرين • ممهلين الى
وقت آخر او الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا • ولقد نجينا بني اسرائيل • بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا • من العذاب المهين
من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم • من فرعون • بدل من العذاب اما على جعله
نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون
على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى • انه كان عاليا من المسرفين • ثانيا من الافصاح
عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي
كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا في الاسراف • ولقد اخترناهم • اي بني اسرائيل • على علم • اي عالمين بانهم
احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر منهم الفرطات • على العالمين • جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي
زمانهم • وآتيناهم من الآيات • كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها
في غيرهم • ما فيه بلاء مبين • نعمة جلية او اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون • ان هؤلاء • يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة
فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم • ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى
اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى
ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حياة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي
تعقب حياة القبر كما تزعمون • وما نحن بمنشرين • بمبعوثين • فأتوا بآبائنا • خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه السلام
والمؤمنين • ان كنتم صادقين • فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا
الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات • اهم خير • رد لقولهم وتهديد لهم اي اهم
خير في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك • ام قوم تبع • هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحيّر الحيرة وبنى
سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا
اي بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس انه كان نبيا
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم الاقيال لانهم يتقيلون • والذين من قبلهم • عطف على قوم تبع والمراد
بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي بأس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى
اهلكناهم • استئناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى • انهم كانوا مجرمين • تعليل له اهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا
بسبب اجرامهم مع ما كانوا فيه من غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة
اولى • وما خلقنا السماوات وما بينهما • اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن • لاعبين • لاهين من غير ان يكون في خلقهما
غرض صحيح وغاية حميدة • ما خلقناهما • وما بينهما • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما

ملتبسا

610

ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء
ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء • ان يوم الفصل • اي فصل الحق عن الباطل وتمييز
المحق من المبطل او فصل الرجل عن اقاربه واحبائه • ميقاتهم • وقت موعدهم • اجمعين • وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه
اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل • يوم لا يغني • بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم
او ظرف لما دل عليه الفصل لا له • مولى • من قرابة او غيرها • عن مولى • اي مولى كان • شيئا • اي شيئا من الاغناء
ولا هم ينصرون • الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام • الا من رحم الله • بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه
ومحله الرفع على البدل من الواو او النصب على الاستثناء • انه هو العزيز • الذي لا ينصر منه من اراد تعذيبه • الرحيم • لمن اراد
ان يرحمه • ان شجرة الزقوم • وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات • طعام الاثيم • اي الكثير الآثام والمراد
به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه • كالمهل • وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت • يغلي
في البطون • وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة • كغلي الحميم • غليانا كغليه • خذوه • على ارادة القول
والمقول له الزبانية • فاعتلوه • اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه
الى سواء الجحيم • اي وسطه • ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم • كان اصله يصب من فوق رؤوسهم
الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع • ذق انك انت العزيز الكريم • اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه روي
ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
وقرئ بالفتح اي لانك • ان هذا • اي العذاب • ما كنتم به تمترون • تشكون وتمارون فيه والجمع
باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم • ان المتقين • اي عن الكفر والمعاصي • في مقام • في موضع قيام والمراد المكان
على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة • امين • يأمن صاحبه
الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأن المكان المخيف يخون صاحبه
بما يلقى فيه من المكاره • في جنات وعيون • بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق • خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ
منه معرب • متقابلين • في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض • كذلك • اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم • وزوجناهم
بحور عين • على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة
العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها • يدعون فيها بكل فاكهة • اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه
لا يتخصص شيء بمكان ولا زمان • آمنين • من كل ما يسوؤهم • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى • بل يستمرون على
الحياة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ • ووقاهم عذاب الجحيم • وقرئ ووقاهم على المبالغة في الوقاية • فضلا من ربك
اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل • ذلك هو الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص
عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى • فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون • فذلكة للسورة الكريمة اي فانما انزلنا
الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك فيتذكروا به ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك • فارتقب • فانتظر ما يحل بهم
انهم مرتقبون • ما يحل بك وعن النبي صلعم من قرأ سورة حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له صدق حبيب الله

سورة الجاثية مكية وهي سبع وثلاثون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

حم • الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم
والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها فقد عرفت وجهه وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى

تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس
ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب
اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على حاله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع غرابته
عن افادة فائدة يعتد بها مخل على محل قوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل
الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستانف مسوق
للتنبيه على الايات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الايات اما نفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر عنه البيان
واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار
مختلفة الى تمام الخلق وما يبث من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه اي وفيما ينشره ويفرقه من دابة ايات بالرفع
على انه مبتدأ وخبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل ايات عطف على ما قبلها من ايات باعتبار المحل
عند من يجوزه وقرئ آية بالتوحيد وقرئ ايات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث
من دابة ايات لقوم يوقنون اي من شانهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار
المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولا وقصرا وما انزل الله من السماء
من رزق اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة
فاحيى به الارض بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات بعد موتها وعرائها عن آثار الحيوة وانتفاء قوة التنمية
عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتاخيره عن انزال المطر
مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال
المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار آيات
لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص
وقيل على انها اسم ان والجار والمجرور المقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر
في اختلاف والنصب في ايات وتنكير ايات في المواقع الثلثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الايات في الدقة والجلاء
تلك آيات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف
بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فباي حديث من الاحاديث بعد الله
وآياته اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به
قوله تعالى الله الذي نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء
ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى لافاك وقيل استيناف وقيل حال من الضمير
في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا
يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما
تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها
الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد
الاستكبار بعد سماع الايات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها
كان لم يسمعها اي كانه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشان والجملة حال من ضمير يصر اي يصر شبيها بغير السامع فبشره بعذاب
اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما
هو فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة
اتخذها اي الايات كلها هزوا اي هزؤ بها كلها لا بما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الآية اولئك
اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان

الافراد

الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف
العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون
اليها او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام
ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء
ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر
واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم
فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال من الهداية كانه
نفسها والذين كفروا اي بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بايات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به و
تفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز و
تنوين عذاب في المواقع الثلثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه
ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله
بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات والارض او تاكيد له
منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر
لمحذوف اي هي جميعا منه تعالى وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدأ محذوف اي ذلك منة
ان في ذلك فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله
تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول لدلالة يغفروا
عليه فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي
يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله
لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه غفاري
فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك
احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر فقال ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ
ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد
بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما اي قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من
الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم
هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق
الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما
يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان يراد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم
وليجزى قوما اي ليجزي الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يكاد يسري عمل
الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل
الكتاب اي التورية والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان
الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ
كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما
وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الامر دلائل ظاهرة في امر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
هو العلم بمبعث النبي عليه السلام وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في

[illegible]

في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي
عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين ثم
جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وفي غيرك
من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش
كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان
الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت
قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس
فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم
يوقنون من شأنهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين
اثر بيان تباين حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان
لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من
مساوي الاحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة
وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيى الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على
ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم
ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيى وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات
واولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيى وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان
يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم
ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة
وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف
وقيل حال واياما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة
في الانكار والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه وآكد
ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استئناف مقرر لما سبق
من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيى والممات وانتصار المظلوم
من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيى فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل
او معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة محذوفة مثل ليدل
بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة
عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة
الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة
الهوى فكأنه يعبده اي انظرت فرأيته فان ذلك مما يقضي منه العجب وقرئ آلهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى
احسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله التي
فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة
عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب
تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون اي الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا
بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحيوة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها

نموت

نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك
او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ
نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون
ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر
والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك
اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد الحيوة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل
ان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم
الفاسد في انفسهم واذا تتلى عليهم آياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على
ما نطقت به او مبينات له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا
ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته
حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى
ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا
كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه
في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها
حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى
لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم
في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف
الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة
يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب
مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو كل امة تدعى الى كتابها اي صحيفة
اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك
وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامره تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه فهو
بمنزلة الامر معنا ابتداء او كتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال
وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل
نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك
الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن
آياتي تتلى عليكم اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم يكن يأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة
بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله
اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق اي واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر
ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان
واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل
الا ظنا وقيل تحقيقه في قوله تعالى ان نتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا وقيل
ما نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اي لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه
ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اي ظهر لهم حينئذ سيئات ما عملوا على ما هي عليه من الصورة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة

المنكرة الباطلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء السيئة سيئة • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • من الجزاء والعقاب
وقيل اليوم ننساكم • نترككم في العذاب ترك المنسي • كما نسيتم • في الدنيا • لقاء يومكم هذا • اي كما تركتم عدته ولم
تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه • ومأواكم النار وما لكم من ناصرين • اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم
ذلكم • العذاب • بانكم • بسبب انكم • اتخذتم آيات الله هزوا • اي مهزوا بها ولم ترفعوا لها راسا • وغرتكم الحيوة
الدنيا • فحسبتم ان لا حياة سواها • فاليوم لا يخرجون منها • اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة
للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار • ولا هم يستعتبون • اي لا يطلب منهم
ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه • فلله الحمد • خاصة • رب السموات ورب الارض رب العالمين • فلا يستحق الحمد
احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو
وله الكبرياء في السموات والارض • لظهور آثارها واحكامها فيها واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء • وهو
العزيز • الذي لا يغلب • الحكيم • في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب صدق رسول الله وصدق حبيب الله فيما قال

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة • ما خلقنا السموات والارض
وما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما • وما بينهما • من المخلوقات • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم المفاعيل
اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناها في حال
من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله • وابتناء افعاله على حكم
بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى • واجل مسمى • عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور الكل
وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد
ويأباه قوله تعالى • والذين كفروا عما انذروا معرضون • فان ما انذروه يوم القيامة وما فيه من الطامة والاهوال العامة
لا آخر اعمارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير
مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له • قل • توبيخا لهم وتبكيتا • ارأيتم • اخبروني وقرئ ارأيتكم • ما تدعون
ما تعبدون • من دون الله • من الاصنام • اروني • تاكيد لأرأيتم • ماذا خلقوا من الارض • بيان للابهام في
ماذا • ام لهم شرك • اي شركة مع الله تعالى • في السموات • في خلقها او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة
استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان
من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى • ائتوني بكتاب • الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز
عن الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن • من قبل هذا • الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على
صحة دينكم • او اثارة من علم • او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة • ان كنتم صادقين
في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة
العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم
لا يحيط به غيركم واثرة بالحركات الثلث مع سكون الثاء فالمكسورة بمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث
اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به • ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له
انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما
عرفته مرارا اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة
والاستجابة • الى يوم القيمة • غاية لنفي الاستجابة • وهم عن دعائهم • الضمير الاول لمفعول يدعو والثاني لفاعله وجمع

فيها

فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها • غافلون • لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها
مجرى العقلاء • واذا حشر الناس • عند قيام القيامة كانوا لهم اعداء • وكانوا بعبادتهم كافرين • اي مكذبين بلسان
الحال او المقال على ما يروى انه تعالى يحيي الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن
والانس وغيرهم ويبتني بارجاع ويتحتم اسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل
ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات • واضحات او مبينات
قال الذين كفروا للحق • اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها
ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا بكمال الكفر والضلالة • لما جاءهم • اي في اول ما جاءهم
من غير تدبر وتامل • هذا سحر مبين • اي ظاهر كونه سحرا • ام يقولون افتراه • اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم
السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل ايقولون افترى القرآن
قل ان افتريته • على الفرض • فلا تملكون لي من الله شيئا • اذ لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف
اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها • هو اعلم بما تفيضون فيه • اي تندفعون
فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى • كفى به شهيدا بيني وبينكم • حيث
يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى • وهو الغفور الرحيم •
وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم • قل ما كنت بدعا من الرسل
البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم اي متنوق او جمع مقدر بمضاف
اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه عم آيات عجيبة ويسالونه عن المغيبات عنادا
ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم
بكل ما تسالون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عم ما كانوا ياتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما
اوحي اليهم • وما ادري ما يفعل بي ولا بكم • اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من
قضاياه وعن الحسن رحمه الله ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة
بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من
سبب النزول ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان
العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي
صلى الله عليه السلام قالوا له وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أاترك بمكة
ام اومر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة والاستفهامية اقضى
لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى • ان
اتبع الا ما يوحى الي • اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه السلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي
كما يتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم
يوح اليه عم من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى • وما انا
الا نذير • انذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى الي • مبين • بين الانذار بالمعجزات • قل ارأيتم ان كان
اي ما يوحى الي من القرآن • من عند الله • لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى • وكفرتم به • حال باضمار قد من
الضمير في الخبر وسطت بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما في قوله تعالى ارأيتم ان كان من
عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال
المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما من عند الله ام لا وكذا الحال في قوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل • وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في ان ما شهد في انها شهادة

و وصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية

وايمان بما من عند الله واستكبارهم او لا والمعنى اخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني
اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التورية • على مثله • اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التورية
المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل
المثل صلة والفاء في قوله تعالى • فآمن • للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله
بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه النبي المنتظر
فقال له اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه
فقال عليه السلام اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد
فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا
وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر وقال
سعد بن ابي وقاص رض ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل
وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عم وشهادته ما في التورية من نعت النبي عم وبه قال الشعبي وقال مسروق والله ما نزلت
في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية
• واستكبرتم • عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني
اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الظالمين • فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال
قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم • وقال الذين كفروا • حكاية لبعض آخر من اقاويلهم الباطلة
في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة • للذين آمنوا • اي لاجلهم • لو كان • اي ما جاء به عليه السلام من القرآن
والدين • خيرا ما سبقونا اليه • فان معالي الامور لا تنالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه
زعما منهم ان الرياسة الدينية مما تنال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها
منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وان من
فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة
ومزينة واسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد من الالتجاء
الى دعاء ان الآية نزلت بالمدينة • واذ لم يهتدوا به • ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا
بالقرآن قالوا ما قالوا • فسيقولون • غير مكتفين بنفي خيريته • هذا افك قديم • كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف
ظهر عنادهم وليس بذاك • ومن قبله • اي ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى • كتاب موسى • قيل والجملة حالية او
مستأنفة وايا ما كان فهي رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا • اماما ورحمة •
حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه • وهذا •
الذي يقولون في حقه ما يقولون • كتاب • عظيم الشأن • مصدق • اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين
يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك • لسانا عربيا • حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي • لينذر الذين ظلموا • متعلق بمصدق
وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول عم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب • وبشرى للمحسنين • في حيز النصب عطفا على محل لينذر
وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق • ان الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا

ثم استقاموا • اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تراخي
رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد • فلا خوف عليهم • من لحوق مكروه • ولا هم يحزنون • من فوات محبوب والفاء
لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا • اولئك •
الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين • اصحاب الجنة خالدين فيها • حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى • جزاء •
منصوب اما بعامل مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم • بما كانوا
يعملون • من الحسنات العلمية والعملية • ووصينا الانسان • بان يحسن • بوالديه احسانا • وقرئ حسنا
اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما
فعلا حسنا او وصيناه ايصاء حسنا • حملته امه كرها ووضعته كرها • اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح
وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر • وحمله وفصاله • اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ
وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي
مستكمل مدة العمر مود اذا انتهى امده • ثلاثون شهرا • يمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل
على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي للحمل
ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما • حتى اذا بلغ اشده •
اي اكتهل واستحكم قوته وعقله • وبلغ اربعين سنة • قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده
• قال رب اوزعني • اي الهمني اصله اولعني من اوزعته بكذا • ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي • اي نعمة
الدين او ما يعمها وغيرها • وان اعمل صالحا ترضاه • التنكير للتفخيم والتكثير • واصلح لي في ذريتي • اي اجعل الصلاح ساريا
في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله عنه فاعتق تسعة من المؤمنين
منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا وقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل
فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين • اني تبت اليك • عما لا ترضاه او عما يشغلني عن ذكرك • واني من المسلمين • الذين
اخلصوا لك انفسهم • اولئك • اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة • الذين نتقبل عنهم احسن ما
عملوا • من الطاعات فان المباح حسن لا يثاب عليه • ونتجاوز عن سيئاتهم • وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله
عز وجل وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور • في اصحاب الجنة • اي كائنين في
عدادهم منتظمين في سلكهم • وعد الصدق • مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
• الذي كانوا يوعدون • على السنة الرسل • والذي قال لوالديه • عند دعوتهما له الى الايمان • اف لكما •
هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجمع كما سبق قيل هو في الكافر العاق
لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن بن
ابي بكر رض قبل اسلامه يرده ما سيأتي من قوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم
وقد كذبت الصديقة رضي الله عنها من قال ذلك • اتعدانني ان اخرج • ابعث من القبر بعد الموت وقرئ من الخروج • وقد
خلت القرون من قبلي • ولم يبعث منهم احد • وهما يستغيثان الله • يسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان • ويلك •
اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك • آمن ان وعد
الله حق • اي البعث اضافاه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي

آمن بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله إلا أساطير الأولين اباطيلهم التي
سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة أولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول
وهو قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس
وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة إنهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى رؤوس أموالهم
باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب
من اجزية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب وليوفيهم أعمالهم أي اجزية
اعمالهم وقرئ بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية او
استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم
فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف
أي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة أذهبتم طيباتكم أي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم
بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي أي أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون أي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم في الدنيا
تستكبرون في الأرض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون أي تخرجون من طاعة الله عز وجل أي بسبب
استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر أخا عاد أي هودا عليه السلام
إذ أنذر قومه بدل اشتمال منه أي وقت انذاره إياهم بالأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من
احقوقف الشيء إذا اعوج وكان عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين
عمان ومهرة وقد خلت النذر أي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه أي من قبله ومن خلفه أي من بعده
والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين انذر قومه وبين قوله ألا تعبدوا إلا الله مسارعة
إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد
انذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومه مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه انذرهم وقال لهم لا تعبدوا
إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره
فمع ما فيه من التكلف بمعزل من الاعلام لا بد في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الماضي قالوا أجئتنا لتأفكنا أي لتصرفنا
عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم إن كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال
إنما العلم أي بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا
مدخل لي في إتيانه وحلوله وإنما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها
بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الإبلاغ ولكني أراكم قوما
تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى
فلما رأوه فصيحة والضمير إما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا إما تمييز أو حال وإما راجع إلى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا
أي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في أفق السماء مستقبل أوديتهم أي متوجه أوديتهم والإضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا
هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا صفتين للنكرة بل هو أي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل بل هو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل
هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما أو خبر مبتدأ محذوف فيها عذاب أليم صفة ريح وكذا قوله تعالى
تدمر أي تهلك كل شيء من نفوسهم وأموالهم بأمر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فالعائد
إلى الموصوف محذوف أو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقتضيا منوطا بأمر بارئه وكون
الهلاك لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر الأمر والرب والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء
في قوله تعالى فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم فصيحة أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء و

مساكنهم

مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم كذلك
أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الأعراف وقد روي أن الريح كانت تحمل
الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار
وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم
وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح
عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع و
عن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن
بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم أي قررنا عادا أو اقدرناهم وما في قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه
موصولة أو موصوفة وإن نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى
وكم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع إن ههنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي إلى قلب ألفها
هاء في مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيما خلقت له و
يعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما أغنى عنهم سمعهم
حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا أبصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف
العالم ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء أي شيئا من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله
إذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث أن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك
أكرمته إذ أكرمني في قوة قولك أكرمته لإكرامه لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه وكذا الحال في حيث
وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت
من الصادقين ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات
كررناها لهم لعلهم يرجعون كي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله
قربانا آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال
والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فإن البدل
وإن كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا
أي متقربا به مما لا صحة له قطعا لأنه تعالى متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية
وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور وذلك أي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم إفكهم أي أثر
إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ أفكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ أفكهم على صيغة الماضي
فذلك إشارة إلى الاتخاذ أي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم
من الإفعال أي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا إلى ضميرهم أي قولهم الإفك أي ذو الإفك كما يقال قول
كاذب وما كانوا يفترون عطف على إفكهم أي وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه من الإفك وإذ
صرفنا إليك نفرا من الجن أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو المصحح
لجمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أي
واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفرا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه أي القرآن عند تلاوته أو الرسول
عند تلاوته على الالتفات والأول هو الأظهر قالوا أي قال بعضهم لبعض أنصتوا أي اسكتوا لنسمعه
فلما قضي أتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول وهذا يؤيد عود ضمير حضروه إليه عليه السلام

ولوا الى قومهم منذرين • مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا
بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا
تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك
عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله عليه السلام على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا
مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امر الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليهم نفرا منهم جمعهم له فقال
اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رض قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة
في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله
وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله عم هل رأيت شيئا قلت
نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك
قالوا • اي عند رجوعهم الى قومهم • يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى • قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عم • مصدقا لما بين يديه • اراد به التورية • يهدي الى الحق
من العقائد الصحيحة • والى صراط مستقيم • موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة • يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به • اراد به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم
لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم • يغفر لكم من ذنوبكم • اي بعض
ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان • ويجركم من عذاب اليم • معد للكفرة واختلف في ان
لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى • ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض • ايجاب
للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين للمبالغة
في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى
بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى • وليس له من دونه اولياء • بيان لاستحالة نجاته بواسطة
الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان
الجمع في قوله تعالى • اولئك • بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله • في ضلال مبين • اي ظاهر
ضلاله بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه • اولم يروا • الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر
يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان • ان الله الذي خلق السموات
والارض • ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينحيه • ولم يعي بخلقهن • اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم
يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى • بقادر • في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها
في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر • على ان يحيي الموتى • ولذلك
اجيب عنه بقوله تعالى • بلى انه على كل شيء قدير • تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود • ويوم يعرض الذين
كفروا على النار • ظرف عامله قول مضمر مقوله • اليس هذا بالحق • على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من
غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي الى العذاب
وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين • قالوا بلى وربنا • اكدوا جوابهم بالقسم
كانهم يطمعون في الخلاص منها بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا واني لهم ذلك • قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون • بها في الدنيا
ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى • فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل • جواب شرط محذوف اي اذا كان
عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن
للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة
الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عم وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه

حتى

حتى يغشى عليه وابرهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن
وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع
لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين • ولا تستعجل لهم • اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم • كانهم يوم
يرون ما يوعدون • من العذاب • لم يلبثوا • في الدنيا • الا ساعة • يسيرة • من نهار • لما يشاهدون
من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى • بلاغ • خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول
ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا • فهل يهلك الا القوم الفاسقون • اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن
الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلكت وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام مكية وقيل مدنية وهي ثمان وثلثون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله • اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس
عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم
بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد
اضل اعمالهم • اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن
كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقري الاضياف وفك الاسارى
وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
الصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى
فاذا لقيتم • والذين آمنوا وعملوا الصالحات • قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب
وقيل عام للكل • وآمنوا بما نزل على محمد • خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على
سمو مكانه من بين ما يجب الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله • وهو الحق من ربهم • بطريق حصر الحقية
فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واياما كان فقوله تعالى من ربهم
حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف • كفر عنهم سيئاتهم • اي سترها بالايمان
والعمل الصالح • واصلح بالهم • اي حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق • ذلك • اشارة الى ما مر من اضلال
اعمال الكفرة وتكفير سيئات المؤمنين واصلاح بالهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا
الحق من ربهم • اي ذلك كائن بسبب اتباع الاولين الباطل اتباع الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان
سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيته لكونه اصلا مستتبعا له قطعا وبسبب اتباع الآخرين الحق الذي
لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير
والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيته لهما لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع [illegible]
والتصريح في [illegible] ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح
بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها [illegible]
ان الكفر والصد [illegible] ويجوز ان يراد بالباطل
نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة [illegible]
والاصلاح [illegible] بالموقعين • كذلك • اي مثل ذلك الضرب البديع • يضرب الله • اي
يبين • للناس امثالهم • اي احوال الفريقين واوصافهم الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل
وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى • فاذا لقيتم الذين كفروا • لترتيب ما في حيزها

من الامر على عاقبتها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين
ما يليق به من الاحكام اى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة • فضرب الرقاب • اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف
الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير عن القتل بضرب الرقاب تصوير له باشنع صورة وتهويل
لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه • حتى اذا اثخنتموهم • اى اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشئ الثخين وهو الغليظ او
اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض • فشدوا الوثاق • فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك • فاما منا بعد واما فداء • اى فاما تمنون بعد ذلك منا او تفدون فداء والمعنى التخيير
بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رح وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم
اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدا كعصا • حتى تضع
الحرب اوزارها • اوزار الحرب آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها
اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعى رح ولاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون
مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عم واما عند ابى حنيفة رح فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن
والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهى غاية للضرب والشد والمعنى انهم
يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اى حتى يترك المشركون شركهم
ومعاصيهم بان يسلموا • ذلك • اى الامر ذلك او افعلوا ذلك • ولو يشاء الله لانتصر منهم • لانتقم منهم ببعض اسباب
الهلكة والاستئصال • ولكن • لم يشأ ذلك • ليبلو بعضكم ببعض • فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم
فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر • والذين
قتلوا فى سبيل الله • اى استشهدوا وقرئ قاتلوا اى جاهدوا وقتلوا وقتلوا • فلن يضل اعمالهم • اى
فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت فى يوم احد • سيهديهم
فى الدنيا الى ارشد الامور وفى الآخرة الى الثواب وسيثبت هدايتهم • ويصلح بالهم • ويدخلهم الجنة عرفها لهم • فى الدنيا بذكر اوصافها
بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل
بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شئ اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها
من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة او حال باضمار قد او بدونه • يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله
اى دينه ورسوله • ينصركم • على اعدائكم ويفتح لكم • ويثبت اقدامكم • فى مواطن الحرب ومواقفها او على محجة الاسلام
• والذين كفروا فتعسا لهم • التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه
بفعله الواجب حذفه سماعا اى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى • واضل اعمالهم • عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية
للموصول • ذلك • اى ما ذكر من التعس واضلال الاعمال • بانهم • بسبب انهم • كرهوا ما انزل الله • من القرآن
لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء • فاحبط • لاجل ذلك • اعمالهم
التى لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها • افلم يسيروا فى الارض • اى اقعدوا فى اماكنهم فلم يسيروا فيها • فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى • دمر الله عليهم • استئناف
مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره
اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به • وللكافرين • اى ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم • امثالها • امثال عواقبهم
او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال لاولئك واضعافا بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم
المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدى من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم
والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر
عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة امثالها • ذلك • اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء • بان الله مولى

الذين

الذين آمنوا • اى ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولى الذين آه • وان الكافرين لا مولى لهم • فيدفع عنهم ما حل بهم من
العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك • ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار • بيان لحكم ولاية الله تعالى لهم وثمرتها الاخروية • والذين
كفروا يتمتعون • اى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها • ويأكلون كما تأكل الانعام • غافلين عن عواقبهم • والنار
مثوى لهم • اى منزل وثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف • وكأين • كلمة مركبة من الكاف
واى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى • من قرية • تمييز لها وقوله تعالى • هى اشد قوة من قريتك •
صفة لقرية كما ان قوله تعالى • التى اخرجتك • صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجرى احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى
هو قوله تعالى • اهلكناهم • اى وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف
القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عم للايذان باولويتها
به لقوة جنايتها وعلى طريقة قول النابغة كليب لعمرى كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرج بالدم وقوله تعالى • فلا ناصر لهم •
بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما
بالذات وهو حكاية حال ماضية • افمن كان على بينة من ربه • تقرير لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون الاولين
فى اعلى عليين والآخرين فى اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبى صلى الله عليه وسلم او عنه وعن
المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عم وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا
على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية • كمن زين له سوء عمله
من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه اقبح القبائح • واتبعوا • بسبب ذلك التزيين • اهواءهم • الزائغة وانهمكوا فى
فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما
ان افراد الاولين باعتبار لفظها • مثل الجنة التى وعد المتقون • استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين
وبيان كيفية انهارها التى اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى
الذى هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشان وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره
النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى • فيها انهار • آه مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول
هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم فى قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ
خبره فيها انهار آه • من ماء غير آسن • اى غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن • وانهار من لبن لم يتغير طعمه •
بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا • وانهار من خمر لذة للشاربين • لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة
سكر وخمار وانما هى تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة
انهار وبالنصب على العلة اى لاجل لذة الشاربين • وانهار من عسل مصفى • لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى
هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بانواع ما يستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية
بما يوجب غزارتها ودوامها • ولهم فيها • مع ما ذكر من فنون الانهار • من كل الثمرات • اى صنف من كل
الثمرات • ومغفرة • اى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى • من ربهم • متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائنة من ربهم وقوله تعالى • كمن هو خالد فى النار •
خبر لمبتدأ محذوف تقديره امن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار
مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان فى الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار او امثل
اهل الجنة كمثل من هو خالد فى النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة
وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار • وسقوا ماء حميما

مكان تلك الاشربة . فقطع امعاءهم . من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وامتازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم . ومنهم من يستمع اليك . هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار اللفظ كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار المعنى كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم . حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم . من الصحابة رض . ماذا قال آنفا . اي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ انفا . اولئك . الموصوفون بما ذكر . الذين طبع الله على قلوبهم . لعدم توجهها نحو الخير اصلا . واتبعوا اهواءهم . الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه . والذين اهتدوا . الى طريق الحق . زادهم . اي الله تعالى . هدى . بالتوفيق والالهام . وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون . فهل ينظرون الا الساعة . اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة . اي تباغتهم بغتة وهي المفاجاة بدل اشتمال من الساعة والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما ينظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى . فقد جاء اشراطها . تعليل لمفاجاتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مترقب ينتظرونه سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجاة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى . فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم . حكم بخطائهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم . فاعلم انه لا اله الا الله . اي اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه . واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عليه السلام الى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل . وللمؤمنين والمؤمنات . اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار . والله يعلم متقلبكم . في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة . ومثواكم . في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها . ويقول الذين آمنوا . حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة . اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد . فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت سورة وقرئ وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال . رأيت الذين في قلوبهم مرض . اي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم . ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت . اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت . فاولى لهم . اي فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع . طاعة وقول معروف . كلام مستأنف اي امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف اي امرنا ذلك . فاذا عزم الامر . اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل

الظرف

الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى . فلو صدقوا الله . على طريقة قولك اذا حضر الطعام فلو جئتني لاطعمتك اي فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه . لكان اي الصدق . خيرا لهم . وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان واطاعت قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى . فهل عسيتم . الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي هل يتوقع منكم . ان توليتم . امور الناس وتأمرتم عليهم . ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم . تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون شانكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في خبر الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ توليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع و الحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا . اولئك . اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر مساويهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره . الذين لعنهم الله . اي ابعدهم من رحمته . فاصمهم . عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم . واعمى ابصارهم . لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق . افلا يتدبرون القرآن . اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات . ام على قلوب اقفالها . فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر . ان الذين ارتدوا على ادبارهم . اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام . من بعد ما تبين لهم الهدى . بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى . الشيطان سول لهم . جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب بمعنى سول له امراح اوقعه في امنيته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي كيد الشيطان . واملى لهم ومد لهم في الاماني والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او الاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم . ذلك . اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل اذ ليس شيء منهما مسببا عن القول الآتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى . بانهم . اي بسبب انهم . قالوا . يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين او المشركين على رأي القائل بل من حين بعثته عليه السلام . للذين كرهوا ما نزل الله . اي لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى . سنطيعكم في بعض الامر . عبارة قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم

اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى ● والله يعلم اسرارهم ● اي اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للاخبار في الدنيا والتعذيب في الاخرة والفاء في قوله تعالى ● فكيف اذا توفتهم الملائكة ● لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع قد حذف احدى تائيه ● يضربون وجوههم وادبارهم ● حال من فاعل توفاهم او من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا بضرب الملائكة وجهه ودبره ● ذلك ● اي التوفي الهائل ● بانهم ● اي بسبب انهم ● اتبعوا ما اسخط الله ● من الكفر والمعاصي ● وكرهوا رضوانه ● اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود ● فاحبط ● لاجل ذلك ● اعمالهم ● التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ● ام حسب الذين في قلوبهم مرض ● هم المنافقون الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار النعي عليهم بقوله تعالى ● ان لن يخرج الله اضغانهم ● ان مخففة وان واسمها ضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ● ولو نشاء ● اراءتهم ● لاريناكهم ● لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة ● فلعرفتهم بسيماهم ● بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما ما في قوله تعالى ● ولتعرفنهم في لحن القول ● فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه وامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب ● والله يعلم اعمالكم ● فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ● ولنبلونكم ● بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة ● حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ● على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ● ونبلوا اخباركم ● ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ● ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول ● وعادوه ● من بعد ما تبين لهم الهدى ● بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر ● لن يضروا الله ● بكفرهم وصدهم ● شيئا ● من الاشياء او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته ● وسيحبط اعمالهم ● اي مكائدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم ● يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم ● بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ● ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ● حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب ● فلا تهنوا ● اي لا تضعفوا ● وتدعوا الى السلم ● اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قولهم يتراءون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى ● وانتم الاعلون ● جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى ● والله معكم ● فان كونهم الاغلبين وكونه عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب

عما يوهم

عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى ● ولن يتركم اعمالكم ● اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وتقدم في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم ● انما الحياة الدنيا لعب ولهو ● لا ثبات لها ولا اعتداد بها ● وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ● اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ● ولا يسألكم اموالكم ● بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ● ان يسألكموها ● اي اموالكم ● فيحفكم ● اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اي استأصله ● تبخلوا ● فلا تعطوا ● ويخرج اضغانكم ● اي احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان ● ها انتم هؤلاء ● اي انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى ● تدعون لتنفقوا في سبيل الله ● استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اي ها انتم الذين تدعون وفيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما ● فمنكم من يبخل ● اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة ● ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ● فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي ● والله الغني ● دونكم وما عداه ● وانتم الفقراء ● فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى ● وان تتولوا ● عطف على ان تؤمنوا اي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى ● يستبدل قوما غيركم ● يخلق مكانكم قوما آخرين ● ثم لا يكونوا امثالكم ● في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة والحمد لله رب العالمين

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك ● فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحراب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عليه السلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين القوم بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه عليه السلام حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش بالماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه السلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف

ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح
بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة وايا ما كان فحذف المفعول
للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح ۞ فتحا مبينا ۞ بينا ظاهر الامر
مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى ۞ ليغفر لك الله ۞ غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عم في اعلاء كلمة
الله بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في
سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ۞ ما تقدم من ذنبك وما تأخر ۞
اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ۞ ويتم نعمته عليك ۞ باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة
وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية ۞ ويهديك صراطا مستقيما ۞ في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل
الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل
۞ وينصرك الله ۞ اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى
۞ نصرا عزيزا ۞ اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه
۞ هو الذي انزل السكينة ۞ بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة اي انزلها ۞ في قلوب المؤمنين ۞
بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ۞ ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ۞ اي يقينا منضما الى يقينهم
او انزل فيها السكون الى ما جاء به عليه السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس
ان اول ما اتاهم به النبي عليه السلام التوحيد ثم الصلوة والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار
والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ۞ ولله جنود السموات والارض ۞ يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع فيما بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ۞ وكان الله عليما ۞ مبالغا في العلم بجميع الامور
۞ حكيما ۞ في تقديره وتدبيره وقوله تعالى ۞ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ۞
متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة
الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ۞ ويكفر عنهم سيئاتهم ۞ اي يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب
في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى ۞ وكان ذلك ۞ اي ما ذكر من الادخال والتكفير ۞ عند الله فوزا عظيما ۞
لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا
اي كائنا عند الله اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ۞ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ۞ عطف
على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب ۞ الظانين بالله ظن السوء ۞ اي ظن الامر
السوء وهو ان لن ينصر رسوله والمؤمنين ۞ عليهم دائرة السوء ۞ اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
والسوء بالفتح والضم لغتان من ساء كالكره والكره غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم
فجار مجرى الشر ۞ وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم ۞ عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو
في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع
بعضها البعض ۞ وساءت مصيرا ۞ اي جهنم ۞ ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما ۞ اعادة لما سبق
فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد هنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة ۞ انا
ارسلناك شاهدا ۞ اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ۞ ومبشرا ۞ على الطاعة ۞ ونذيرا ۞
على المعصية ۞ لتؤمنوا بالله ورسوله ۞ الخطاب للنبي عم ولامته ۞ وتعزروه ۞ وتقووه بتقوية دينه ورسوله ۞ بكرة واصيلا ۞
غدوة وعشيا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم
التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرئ بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ۞ ان الذين
يبايعونك ۞ اي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى ۞ انما يبايعون الله ۞ خبر ان يعني ان مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل

لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى ۞ يد الله فوق ايديهم ۞ حال او استئناف مؤكد له على طريقة
التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ
انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه ۞ فمن نكث فانما ينكث على نفسه ۞ اي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ
بكسر الكاف ۞ ومن اوفى بما عاهد عليه الله ۞ بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ
بكسرها اي من وفى بعهده ۞ فسيؤتيه اجرا عظيما ۞ هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة ۞ سيقول
لك المخلفون من الاعراب ۞ هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش
ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب فتثاقلوا عن الخروج
وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عم بانهم سيعتلون ويقولون
۞ شغلتنا اموالنا واهلونا ۞ ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير
۞ فاستغفر لنا ۞ الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار ۞ يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم ۞ بدل من سيقول او استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار ۞ قل ۞ ردا لهم عند اعتذارهم اليك
باباطيلهم ۞ فمن يملك لكم من الله شيئا ۞ اي فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع ۞ ان اراد بكم
ضرا ۞ اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم
۞ او اراد بكم نفعا ۞ اي ومن يقدر على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة
الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على
تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى ۞ بل كان الله بما تعملون خبيرا ۞ فانه اضراب عما قالوا وبيان
لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم
وما هو من مباديه وقوله تعالى ۞ بل ظننتم ۞ الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ۞ ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا ۞ بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم
لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة ۞ وزين ذلك في قلوبكم ۞ وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ وزين على البناء للفاعل وهو الله تعالى او
الشيطان ۞ وظننتم ظن السوء ۞ المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء
او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره
ما ذكر من الاستئصال ۞ وكنتم قوما بورا ۞ اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين
في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ۞ ومن لم يؤمن بالله ورسوله ۞ كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم
ومبين لكيفيته اي ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين ۞ فانا اعتدنا للكافرين سعيرا ۞ اي لهم وانما وضع موضع
الضمير الكافرون ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل
۞ ولله ملك السموات والارض ۞ وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء ۞ يغفر لمن يشاء ۞ ان يغفر له
۞ ويعذب من يشاء ۞ ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه
السلام لهم ۞ وكان الله غفورا رحيما ۞ مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به
وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا ۞ سيقول المخلفون ۞ اي المذكورون
۞ اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ۞ ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها
حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة ۞ ذرونا نتبعكم ۞ الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها

يريدون ان يبدلوا كلام الله • بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية فانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة
من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره
الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معي
في معنى النهي للمبالغة • كذلكم قال الله من قبل • اي عند الانصراف من الحديبية • فسيقولون • للمؤمنين عند سماع هذا النهي • بل تحسدوننا
اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى • بل كانوا لا يفقهون • اي لا
يفهمون • الا قليلا • اي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ولقولهم الباطل رد ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من
الخبط وسوء الفهم في امور الدين • قل للمخلفين من الاعراب • كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم • ستدعون الى
قوم اولي باس شديد • هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركين لقوله
تقاتلونهم او يسلمون • اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما ينصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم
فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وقيل دليل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف
وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فتخصص وان نفي الاتباع كما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى
يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية • فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا • هو الغنيمة في الدنيا
والجنة في الآخرة • وان تتولوا • عن الدعوة • كما توليتم من قبل • في الحديبية • يعذبكم عذابا اليما • لتضاعف جرمكم
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج • اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف
يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة • ومن يطع الله
ورسوله • فيما ذكر من الاوامر والنواهي • يدخله جنات تجري من تحتها الانهار • وقرئ ندخله بنون العظمة • ومن يتول
اي عن الطاعة • يعذبه • وقرئ بالنون • عذابا اليما • لا يقادر قدره • لقد رضي الله عن المؤمنين • هم الذين ذكر
شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى • اذ يبايعونك تحت الشجرة • منصوب برضي وصيغة المضارع
لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية
الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يأت لحرب وانما جاء زائرا
لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله
صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه
تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا فقال
لهم رسول الله انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة
وقوله تعالى • فعلم ما في قلوبهم • عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه
بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى • فانزل السكينة عليهم • عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمأنينة
والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح • واثابهم فتحا قريبا • هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ
واتاهم • ومغانم كثيرة ياخذونها • اي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان • وكان
الله عزيزا • غالبا • حكيما • مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه • وعدكم الله مغانم كثيرة • هي ما يفيئه على المؤمنين
الى يوم القيامة • تاخذونها • في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها • فعجل لكم هذه • اي غنائم خيبر • وكف ايدي الناس
عنكم • اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل
ايدي اهل مكة بالصلح • ولتكون آية للمؤمنين • امارة يعرفون بها صدق الرسول في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر
من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما
تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه او كف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون آه فالواو على الاول اعتراضية
وعلى الثاني عاطفة • ويهديكم • بتلك الآية • صراطا مستقيما • هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون

واخرى

واخرى • عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى • لم تقدروا عليها • وهي مغانم هوازن في غزوة حنين
ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى • قد احاط الله بها • صفة اخرى
لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى
واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بفعل يفسره قد احاط الله بها اي وقضى الله
اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها
ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها • وكان الله على كل شيء قديرا • لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون
شيء • ولو قاتلكم الذين كفروا • اي اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر • لولوا الادبار • منهزمين • ثم لا
يجدون وليا • يحرسهم • ولا نصيرا • ينصرهم • سنة الله التي قد خلت من قبل • اي سن الله غلبة انبيائه سنة
قديمة فيمن مضى من الامم • ولن تجد لسنة الله تبديلا • اي تغييرا • وهو الذي كف ايديهم • ايدي كفار مكة • عنكم
وايديكم عنهم ببطن مكة • اي في داخلها • من بعد ان اظفركم عليهم • وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد
ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا • وكان الله بما تعملون • من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام
وقرئ بالياء • بصيرا • فيجازيكم بذلك او يجازيهم • هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي • بالنصب
عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف اي نحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى
معكوفا • حال من الهدي اي محبوسا وقوله تعالى • ان يبلغ محله • بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اي محبوسا
من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان
خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم • لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى
ان تطؤوهم • اي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم • فتصيبكم منهم • اي من جهتهم
معرة • اي مشقة ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير
في البحث عنهم • بغير علم • متعلق بان تطؤوهم اي تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف
لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم
عنهم وقوله تعالى • ليدخل الله في رحمته • متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف
[illegible]

جرى على خلاف ما ذكره

لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله
عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا
فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا
ما صالح رسول الله عليه السلام اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله صلى الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة
عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء
بالعهد والثبات واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق
لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل
شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه
قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر
ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه
عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف
اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة
بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن آه وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة
بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله عم
او لما قاله عم لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا
بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين
او محلقين او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي
المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق
علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين آه فتحا قريبا
وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله
ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا
قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله
ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان
ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعده من
الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى
بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله
رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ ورسول الله
خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد
ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على
المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر قوله تعالى
تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استئناف
وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا
او استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا الى آخره

سيماهم

سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ
خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التأثير الذي يؤثره
كثرة السجود وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه السلام لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته
على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا
لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت
كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات
وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال
عليه السلام من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر
من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
مثلهم اي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة
وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة
تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه آه تمثيل مستأنف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة
وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بنقل
وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من
الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد اي شد ازره وقواه فاستغلظ
فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب
الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى لاصحابه صلى الله عليه وسلم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا
واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما
من قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين
في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ
سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتح مكة والحمد لله رب العالمين

سورة الحجرات مدنية وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط
اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به لا تقدموا
اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع
اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته
النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم
بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ
لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا
لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة
محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الاقرع بن حابس
او القعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه
ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا

أصواتكم فوق صوت النبي • شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه السلام بعد النهي عن التجاوز في نفس القول
والفعل وإعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الإيقاظ والتنبيه والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء
بشأنه أي لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد يبلغه عليه السلام بصوته وقرئ لا ترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة • ولا تجهروا له بالقول
إذا كلمتموه • كجهر بعضكم لبعض • أي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض من صوته عليه السلام وتعهدوا في
مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى
لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه
والله لا أكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلمه عليه السلام كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه
وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند
رسول الله عليه السلام وقوله تعالى • أن تحبط أعمالكم • إما علة للنهي أي لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما في قوله تعالى
يبين الله لكم أن تضلوا أو للمنهي أي لا تجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان بصدد الأداء إلى الحبوط فكأنه فعل لأجله على
طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك
كفر بل ما يتوهم أن يؤدي إليه مما يجري بينهم في أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا أن رفع الصوت
فوق صوته عليه السلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منها في حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو نحو ذلك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله
لقد أنزلت إليك هذه الآية وإني رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملي قد حبط فقال له عليه السلام لست هناك إنك تعيش بخير
وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن أنها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه السلام
فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص • وأنتم لا تشعرون • حال من فاعل تحبط أي والحال أنكم لا
تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى • إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله • إلى آخره ترغيب
في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به أي يخفضونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهي • أولئك • إشارة إلى
الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ
خبره • الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى • أي جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن
الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى
فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه
أذهب عنها الشهوات • لهم • في الآخرة • مغفرة • عظيمة لذنوبهم • وأجر عظيم • لا يقادر قدره والجملة إما خبر
آخر لأن كالجملة المصدرة باسم الإشارة أو استئناف لبيان جزائهم إحمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم •
إن الذين ينادونك من وراء الحجرات • أي من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة
نشأت من جهة الوراء وأن المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك
وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال
لحظيرة الإبل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها
إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه السلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه السلام فناداه بعض
من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الأبعاض إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي
كان عليه السلام فيها ولكنها جمعت إجلالا له عليه السلام وقيل إن الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس
وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج إلينا وإنما أسند
النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم • أكثرهم لا يعقلون • إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا

على هذه المرتبة من سوء الأدب • ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم • أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وإن
دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني أنك قائم وحتى
تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه عليه السلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها
ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه
إليهم • لكان • أي الصبر المذكور • خيرا لهم • من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء
والثواب والإسعاف بالمسؤول إذ روي أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف • والله
غفور رحيم • بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا • يا أيها الذين آمنوا
إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا • أي فتعرفوا وتفحصوا روي أنه عليه السلام بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان لأمه مصدقا
إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم إحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين
فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا
أي توقفوا إلى أن يتبين لكم الحال • أن تصيبوا • حذارا أن تصيبوا • قوما بجهالة • ملتبسين بجهالة بحالهم
فتصبحوا • بعد ظهور براءتهم عما أسند إليهم • على ما فعلتم • في حقهم • نادمين • مغتمين غما لازما متمنين
أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام • واعلموا أن فيكم رسول الله • أن بما في حيزها ساد مسد مفعولي
اعلموا باعتبار ما قيده من قوله تعالى • لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم • فإنه حال من أحد الضميرين في فيكم والمعنى أن فيكم
رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة آه وهي أنكم تريدون أن يتبع عليه السلام رأيكم في كثير من الحوادث
ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه إيذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببني المصطلق
تصديقا لقول الوليد وأنه عليه السلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل إنها للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته
عليه السلام لهم لأن عنتهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور إذ فيه اختلال أمر الإيالة وانقلاب الرئيس مرؤوسا
لا من الطاعة في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل إنها للدلالة على امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه السلام
لهم في ذلك فإن المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن
الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة إلى ما يتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار
في نفس الفعل على الإبهام ثم يعتبر تعلقه بما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة إلى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد
وذلك إذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فإن أريد باستمرار الطاعة
استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي ينبئ عنه قوله تعالى في كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت
هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها
في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير
من الأمر في وقت من الأوقات وقع العنت قطعا وإن أريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان
فالحق هو الثاني فإن مناط امتناع العنت ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو
الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت
تلك الطاعة في وقت من الأوقات وقع العنت حتما واعلم أن الأحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول لأنه أوفق
للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثاني
على أن اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام إنما يصار إليه إذا تعذر الجريان على موجب القياس
أو لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم إذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد
فائدة وأما إذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى • ولكن الله حبب

اليكم الايمان اي تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم
اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه
معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم
في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى
اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض او
نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من
التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى
فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اي تعدت احديهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا
التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله اي حكمه او الى امره فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذرا من قتالكم
فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل
لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكده ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله
يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال
وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فيء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من
بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل
واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة
للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر
لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج
وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح
لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم اي منكم من قوم آخرين ايضا منكم
وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص
بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع في الجمع واما
تعميمه للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم
او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء من المؤمنات من نساء
منهن عسى ان يكن اي المسخور منهن خيرا منهن اي من الساخرات فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور
والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر السخرية غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على
احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين
ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاولى فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب
بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان
وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص عرفا به بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم به فان الاسم هنا
بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الآية
نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام
هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عليه السلام او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح

ومن

ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب
يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا على جانب منه وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن حتى
يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم
تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم
الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا اي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس
بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس
وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين
تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه
فقد بهته وعن ابن عباس رض الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر
عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات
من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة
بما هو من غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل المأكول اخا للآكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غني
عن الاخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرّهتموه اي جبلتم على كراهته
واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول
التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت
ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام
فقال ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي
ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى من آدم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب
وقد جوز ان يكون تأكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل
الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ
والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير آبائه
لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا
بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف
التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة على حذف لام التعليل
كانه قيل لا تتفاخروا بالانساب فقيل ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص
هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال
يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رض كرم الدنيا
الغنى وكرم الآخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب
آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلعم
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا

قل • لم تؤمنوا • إذ الإيمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم على
ما ذكرتم كما ينبئ عنه آخر السورة • ولكن قولوا أسلمنا • فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة
مشعر به وإيثار ما عليه النظم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ
بالإيمان وللتفادي عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولاً محضاً • ولما يدخل الإيمان في قلوبكم • حال
من ضمير قولوا أي ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد
وإن تطيعوا الله ورسوله • بالإخلاص وترك النفاق • لا يلتكم من أعمالكم • لا ينقصكم • شيئاً • من أجورها
من لات يليت ليتاً إذا نقص وقرئ لا يألتكم من الألت وهي لغة غطفان وأسد • شيئاً من النقص • إن الله غفور • لما فرط
من المطيعين • رحيم • بالتفضل عليهم • إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا • لم يشكوا من ارتاب
مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب
في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل فيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا • وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
في سبيل الله • في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معاً كالحج والجهاد
أولئك • الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة • هم الصادقون • أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم
روي أنه لما نزلت الآية جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى • قل أتعلمون الله بدينكم • أي أتخبرونه
بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم • والله يعلم ما في السموات وما في الأرض • حال من مفعول تعلمون مؤكد
لتشنيعهم وقوله تعالى • والله بكل شيء عليم • تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر
عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم • يمنون عليك أن أسلموا • أي يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة
التي لا يطلب موليها ثواباً ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن • قل
لا تمنوا علي إسلامكم • أي لا تعدوا إسلامكم منة علي أو لا تمنوا علي بإسلامكم فنصب بنزع الخافض • بل الله يمن عليكم أن هداكم
للإيمان • على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إن هداكم وإذ هداكم • إن كنتم صادقين • في ادعاء الإيمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سموا ما صدر عنهم إيماناً و
منوا به فنفى كونه إيماناً وسمي إسلاماً قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة
عليهم بالهداية إليه لا لهم • إن الله يعلم غيب السموات والأرض • أي ما غاب فيهما • والله بصير بما تعملون • في سركم وعلانيتكم
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق خمس وأربعون آية مكية • بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد • أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى • بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم • أي لأن جاءهم
منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم إضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر
به الناس حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلاً من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب
مع كونهما أوفق شيء بقضية العقول وأقربه إلى التلقي بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه
ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أي لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب
عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم • فقال الكافرون
هذا شيء عجيب • تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه السلام
منذراً بالقرآن وإضمارهم أولاً للإشعار بتعينهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من
البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمر لما سبق

اتصافهم

اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما للإيذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته
تعالى على ما هو أشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق في كونه كفراً • أإذا متنا وكنا تراباً •
تقرير للتعجب وتأكيد للإنكار والعامل في إذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أي أحين نموت ونصير
تراباً نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة
الإنكار • ذلك • إشارة إلى محل النزاع • رجع بعيد • أي عن الأوهام أو عن العادة أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع
الذي هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث • قد علمنا ما تنقص الأرض منهم • رد لاستبعادهم
وإزاحة له فإن من عم علمه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف
يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وقيل ما تنقص الأرض منهم من يموت
فيدفن في الأرض منهم • وعندنا كتاب حفيظ • حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل
علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده
بل كذبوا بالحق • إضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة
بالمعجزات الباهرة • لما جاءهم • من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أي وقت مجيئه إياهم وقيل
الحق القرآن أو الإخبار بالبعث • فهم في أمر مريج • أي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في إصبعه حيث يقولون
تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن • أفلم ينظروا • أي أغفلوا أو عموا فلم ينظروا • إلى السماء فوقهم
بحيث يشاهدونها كل وقت • كيف بنيناها • أي رفعناها بغير عمد • وزيناها • بما فيها من الكواكب المرتبة
على نظام بديع • وما لها من فروج • من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل
والأرض مددناها • أي بسطناها • وألقينا فيها رواسي • جبالاً ثوابت من رسا الشيء أي ثبت والتعبير عنها
بهذا الوصف للإيذان بأن إلقاءها لإرساء الأرض بها • وأنبتنا فيها من كل زوج • من كل صنف • بهيج
حسن • تبصرة وذكرى • علتان للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبتا بالفعل الأخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف
أي فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً • لكل عبد منيب • أي راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائعه وقوله تعالى • ونزلنا
من السماء ماء مباركاً • أي كثير المنافع شروع في بيان كيفية إنبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا
وما بينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده • فأنبتنا به • أي بذلك الماء • جنات • كثيرة
أي أشجاراً ذوات ثمار • وحب الحصيد • أي حب الزرع الذي شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص إنبات حبه
بالذكر لأنه المقصود بالذات • والنخل • عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر
الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل • باسقات
أي طوالاً أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرئ باصقات لأجل القاف
لها طلع نضيد • أي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات
بطريق الترادف أو من ضمير باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى • رزقاً
للعباد • أي لنرزقهم • علة لقوله تعالى فأنبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل إنباته الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن
الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق و
قيل رزقاً مصدر من معنى أنبتنا لأن الإنبات رزق • وأحيينا به • بذلك الماء • بلدة ميتاً • أرضاً جدبة
لا نماء فيها أصلاً بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة
هامدة وتذكير ميتاً لأن البلدة بمعنى البلد والمكان • كذلك الخروج • جملة قدم فيها الخبر للقصد إلى القصر وذلك
إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبتها أي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم
بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج

تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس و تقريبه
الى افهام الناس وقوله تعالى • كذبت قبلهم قوم نوح • الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل
عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها • واصحاب الرس • قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل غيرهم وقد مر في
سورة الفرقان على التفصيل • وثمود وعاد وفرعون • اى هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده • واخوان لوط •
قيل كانوا من اصهاره عليه السلام • واصحاب الايكة • هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين • وقوم تبع • سبق شرح
حالهم في سورة الدخان • كل كذب الرسل • اى فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه
قاطبة اى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ
الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد
منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم
بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع • فحق وعيد • اى فوجب وحل عليهم
وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد له • افعيينا بالخلق الاول • استئناف مقرر
لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عيّ بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه
عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد والمباشرة كأنه قيل اقصدنا الخلق الاول
فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة • بل هم في لبس من خلق جديد • عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل
هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه
والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته • ولقد خلقنا الانسان •
ونعلم ما توسوس به نفسه • اى ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي و
الضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية • ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد • اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات
تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح ترده • اذ يتلقى
المتلقيان • منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من
الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى
عليهما وانما ذلك لما في كتبهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة
الله تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه السلام ان مقعد ملكيك على
ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي
الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به • عن اليمين وعن الشمال
قعيد • اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة
الثاني عليه كما في قول من قال • رماني بامر كنت منه ووالدي • بريئا ومن اجل الطوي رماني • وقيل يطلق الفعيل على الواحد
والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير • ما يلفظ من قول • ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على
البناء للمفعول • الا لديه رقيب • ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب
الشمال ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه
لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى • عتيد • اى معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه
رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى
انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب

السيئات

السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر • وجاءت سكرة الموت بالحق • بعد ما ذكر
استبعادهم للبعث والجزاء وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك
بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة
الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول
بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة
كالتي في قوله تعالى تنبت بالدهن اى ملتبسة بالحق اى بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى
انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى
مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت • ذلك • اى الموت • ما كنت
منه تحيد • اى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا • ونفخ في الصور •
هي النفخة الثانية • ذلك • اى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف • يوم الوعيد • اى يوم انجاز الوعيد الواقع
في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من
نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا لتهويله ولذلك
بدئ ببيان حال الكفرة • وجاءت كل نفس • من النفوس البرة والفاجرة • معها سائق وشهيد • وان اختلفت
كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اى معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك
جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه
او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس
او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله تعالى • لقد كنت في غفلة من هذا • محكي باضمار قول هو
اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل
يقال لقد كنت في غفلة وخطاب الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ
كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث
يا نفس انك باللذات مسرور • فكشفنا عنك غطاءك • الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك
في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها • فبصرك اليوم حديد • نافذ لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف
في المواضع الثلاثة • وقال قرينه • اى الشيطان المقيض له مشيرا اليه • هذا ما لدي عتيد • اى هذا ما عندي وفي
ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب
عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر
لمبتدأ محذوف • القيا في جهنم كل كفار • خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال • فان تزجراني يا ابن عفان انزجر • وان تدعاني احم
عرضا ممنعا • او على ان الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون
الخفيفة • عنيد • معاند للحق • مناع للخير • كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان
الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه • معتد • ظالم متخط للحق • مريب • شاك في الله وفي دينه
• الذي جعل مع الله الها آخر • مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره • فالقياه في العذاب الشديد • او
بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه • قال قرينه • اى الشيطان
المقيض له وانما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى

مماته
فاذكر قول بنيتك اليوم تذكير

ربنا ما أطغيته فإنه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو أطغاني فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فأعنته عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال تعالى لا تختصموا لدي أي في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت إليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت إليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته إليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق لهم بل إنما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير إليه آنفا أي وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول والمزيد إما مصدر كالمحيد والمجيد أو مفعول كالمبيع ويوم إما منصوب باذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك إشارة إليه من غير حاجة إلى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أي يكون من الأحوال والأهوال ما يقصر عنه المقال وأزلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس إلى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تأكيد للإزلاف أي مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أي شيئا غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو إشارة إلى الثواب وقيل إلى مصدر أزلفت وقرئ يوعدون والجملة إما اعتراض بين البدل والمبدل منه وإما مقدر بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أي مقولا لهم أو مقولا في حقها هذا ما توعدون لكل أواب أي رجاع إلى الله تعالى بدل من المتقين بإعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولا يجوز أن يكون في حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف إلا بالذي أو مبتدأ خبره ادخلوها بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي أو من مفعوله أو صفة لمصدره أي خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب عنه أو هو غائب عن الأعين لا يراه أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للإشعار بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم

عن

عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ووصف القلب بالإنابة لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى ادخلوها بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ذلك إشارة إلى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر من الأمور يوم الخلود إذ لا انتهاء له أبدا لهم ما يشاءون من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بيشاءون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم أي قبل قومك من قرن هم أشد منهم بطشا أي قوة كعاد وأضرابها فنقبوا في البلاد أي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في أقطارها وجالوا في أكناف الأرض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف هل من محيص أي هل لهم من مخلص من أمر الله والجملة إما على قول هو حال من واو نقبوا أي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لنفي أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل مكة أي ساروا في مسايرهم وأسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أي أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف إبلهم إن في ذلك أي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب أي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغي فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير أو ألقى السمع أي إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدي إليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فإن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد أي حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للإيذان بأن من عري قلبه عنها كمن لا قلب له أصلا ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من أصناف المخلوقات في ستة أيام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر من لغوب من إعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون أي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبنية على الإنكار والاستبعاد فإن من فعل ذلك بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك أي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في أخباره التي من جملتها الإخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما أنعم به عليك من إصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وأدبار السجود وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاآن والتهجد وما يصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع أي لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المنادي أي إسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه إلى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك في الإعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي الخ وهي النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج أي يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور إنا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير أن يشاركنا في ذلك أحد وإلينا المصير للجزاء في الآخرة لا إلى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم

يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق
سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى
نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط
تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه
اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا اي السحب
الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية
في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا
يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التي يقسم الله تعالى بها ارزاق
العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجري
في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام
باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فهي لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى
الجو حتى تنعقد سحابا فتجري به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب
للقسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة
لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا
والدين الجزاء ووقوعه حصوله والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد
ابن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي
هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشي
طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك
والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول مختلف اي متخالف متناقض وهو
قولهم في حقه عليه السلام تارة شاعر واخرى ساحر وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب
تاييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل
النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السماء في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك
يؤفك عنه من افك اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل
يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول
وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء
عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون
ما لا صحة له وهم اصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اي قتل الله الذين هم
في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي متى
وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار
يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو
يومهم والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى
هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء

ويجوز

ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا
يقادر قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى
بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك
نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان الاجمالي ما اشار اليه عليه السلام ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على ان قليلا
ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة للمصدر وما مزيدة في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة
بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل
والليل الذي هو وقت الراحة والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون
من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اي هم مع قلة هجوعهم
وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كأنهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم
الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر
يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا
فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط
الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون
متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها
دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر
البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون
اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء
السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها
مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما على الاول
فالضمير لما ذكر من امر الآيات والرزق مثل ما انكم تنطقون اي كما انه لا شك لكم
في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحال من المستكن في لحق او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه
لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وان على ما في حيزها
زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على
انه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور
والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر عليهم السلام وتسميتهم ضيفا
لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك المكرمين اي عند الله تعالى
او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او للمكرمين
ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما قال سلام اي عليكم سلام
عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام احسن من تحيتهم وقرئ مرفوعين وقرئ
سلما وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم
من الناس او لان اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه السلام انما قاله عند نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لانه
خاطبهم به او سألهم ان يعرفوه انفسهم
فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من آداب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه
ويعذره فجاء بعجل سمين فقربه اليهم

وابتدأ انما يكون بسرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجيء بعجل حنيذ فجاء به فقربه اليهم
بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد • قال الا تأكلون • انكارا لعدم تعرضهم للاكل • فاوجس منهم • اضمر في نفسه • خيفة
لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملئكة جاؤا للعذاب • قالوا لا تخف • قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه
فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم • وبشروه • وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم • بغلام • هو اسحق
عليم • عند بلوغه واستوائه • فاقبلت امرأته • سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم
في صرة • في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني
فصكت وجهها • اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله
المتعجب • وقالت عجوز عقيم • اي انا عجوز عاقر فكيف الد • قالوا كذلك • مثل ذلك القول الكريم • قال ربك
وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء انفسنا • انه هو الحكيم العليم • فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة
روي ان جبريل عليه السلام قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم يكن هذا المقاول معهم سارة
فقط بل مع ابرهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة
اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود • قال • اي ابرهيم عليه السلام لما علم انهم ملئكة ارسلوا لامر • فما خطبكم • اي شانكم
الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة • ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • يعنون قوم لوط
لنرسل عليهم • اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة • حجارة من طين • اي
طين متحجر هو السجيل • مسومة • مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله في سورة
هود • عند ربك للمسرفين • المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى • فاخرجنا • الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط
بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملئكة وبين ابرهيم عليهم السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة
بذكرها في مواضع اخر كأنه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ • من كان فيها • اي في قرى قوم لوط
واضمارها بغير ذكر لشهرتها • من المؤمنين • ممن آمن بلوط • فما وجدنا فيها غير بيت • اي غير اهل بيت • من
المسلمين • قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر • وتركنا فيها • اي في القرية
آية • علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن • للذين
يخافون العذاب الاليم • اي من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب
القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية • وفي موسى • عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله
وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا • اذ ارسلناه • قيل هو منصوب بآية
وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا • الى فرعون بسلطان مبين • هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة
فتولى بركنه • اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره
فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بركنه بضم الكاف • وقال ساحر • اي هو ساحر • او مجنون • كأنه نسب
ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما • فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم • وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى • وهو مليم
اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه • وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم
وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي النكباء او الدبور
او الجنوب • ما تذر من شيء اتت عليه • اي جرت عليه • الا جعلته كالرميم • هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم
او نبات او غير ذلك • وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين • وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام قيل
قال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب • فعتوا عن امر ربهم
اي فاستكبروا عن الامتثال به • فاخذتهم الصاعقة • قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار

حماسه
حتى غدت رحالة تجنبها

وجوههم

وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق • وهم ينظرون • اليها ويعاينونها • فما استطاعوا من قيام
كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين • وما كانوا منتصرين • بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم • وقوم نوح • اي واهلكنا
قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذنا
من قبل • اي من قبل هؤلاء المهلكين • انهم كانوا قوما فاسقين • خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي
والسماء بنيناها بايد • اي بقوة • وانا لموسعون • لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق
او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق • والارض فرشناها • مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها
فنعم الماهدون • اي نحن • ومن كل شيء • اي من الاجناس • خلقنا زوجين • اي نوعين ذكرا وانثى
وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك • لعلكم تذكرون • اي فعلنا
ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى
ففروا الى الله • مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه
الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه
بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل
قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى • اني لكم منه نذير مبين • تعليل للامر بالفرار اليه تعالى او لوجوب الامتثال به
فان كونه عليه السلام منذرا منه تعالى موجب عليه السلام ان يأمرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تعالى منذر
بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بان يأمرهم
بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المرهوب وفوزهم
بالمطلوب وقوله تعالى • ولا تجعلوا مع الله الها آخر • نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله
اني لكم منه • اي من الجعل المنهي عنه • نذير مبين • فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الفرار
يقال فر منه اي هرب واقره غيره كأنه قيل فروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر
بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه • كذلك • اي الامر مثل
ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى • ما اتى الذين من قبلهم • الى آخره تفسير له اي ما اتاهم
من رسول • من رسل الله • الا قالوا • في حقه • ساحر او مجنون • ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع
عمل ما بعد ما النافية فيما قبلها • اتواصوا به • انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر
ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى • بل هم قوم
طاغون • اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من
الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية
من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم • فتول عنهم • فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا
الا الاباء • فما انت بملوم • على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود • وذكر • اي افعل
التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر • فان الذكرى تنفع المؤمنين • اي
الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين • وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون • استثناء مفرغ من اعم العلل مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى
تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم
لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على
ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا

وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله
لافتقاره الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية ينتهي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله
بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه
اهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة
عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتأخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع
كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى
الا ليأمروا بعبادتي كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره
البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر
هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ● ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ● بيان لكون
شأنه تعالى مع عباده متعاليا عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم
اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له
من عبادتي ● ان الله هو الرزاق ● الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق
● ذو القوة المتين ● بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر مضمر وقرئ بالجر على انه وصف للقوة
على تأويل الاقتدار او الأيد ● فان للذين ظلموا ● اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ● ذنوبا ● اي نصيبا وافرا من العذاب ● مثل ذنوب اصحابهم ●
اي مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء ● فلا يستعجلون ●
اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله
تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ● فويل للذين كفروا ● وضع الموصول
موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا
عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى ● من يومهم الذي يوعدون ● للتعليل اي
يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة والاول هو الاوفق لما قبله من حيث
انهما من العذاب الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

● والطور ● الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وعلا ● وكتاب
مسطور ● مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عليه السلام
وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما تكتبه الحفظة ● في رق منشور ● الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما
يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس ● والبيت المعمور ● اي الكعبة وعمارتها
بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة ● والسقف المرفوع ●
اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور ● والبحر المسجور ● اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار
سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا تسجر بها نار جهنم ● ان عذاب ربك لواقع ● اي
لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ● ما له من دافع ● اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع
على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرته تعالى وكمال علمه

وحكمته

وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى
● يوم تمور السماء مورا ● ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء
والذهاب وقيل هو تحرك في تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها ●
● وتسير الجبال سيرا ● اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود
المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما ● فويل يومئذ للمكذبين ● اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر
فويل يوم اذ يقع ذلك لهم ● الذين هم في خوض ● اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب ● يلعبون ● يلهون ● يوم
يدعون الى نار جهنم دعا ● اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا
الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل
قوله تعالى ● هذه النار التي كنتم بها تكذبون ● اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى
● افسحر هذا ● توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن هذا سحر افهذا ايضا سحر وتقديم الخبر
لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ● ام انتم لا تبصرون ● اي ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت ابصاركم كما
سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ● اصلوها فاصبروا او لا تصبروا ●
اي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه ● سواء عليكم ● اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب
ولا بتخفيفه وقوله تعالى ● انما تجزون ما كنتم تعملون ● تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه
سواء في عدم النفع ● ان المتقين في جنات ونعيم ● اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة
بالمتقين على انه للتنويع ● فاكهين ● ناعمين متلذذين ● بما آتاهم ربهم ● وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو
متعلق بالخبر او خبر آخر ● ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ● عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد
اما من المستكن في الخبر او في الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم لتشريف
والتعليل ● كلوا واشربوا ● اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا ● هنيئا ● او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه
● بما كنتم تعملون ● بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه ● متكئين
على سرر مصفوفة ● مصطفة ● وزوجناهم بحور عين ● وقرئ بحور عين على اضافة الموصوف الى صفته على التأويل
المشهور والباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن ● والذين آمنوا ●
كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان والموصول مبتدأ
خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى ● واتبعتهم ذريتهم ● عطف على آمنوا وقوله تعالى ● بايمان ● متعلق بالاتباع
اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة
لا الحاقا ● ألحقنا بهم ذريتهم ● في الدرجة
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فبسبب شيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم بهم • كل امرئ بما كسب رهين • وقيل هو فعيل بمعنى المفعول و
كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته
ان لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها • وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون • وزدناهم على ما كان
من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء • يتنازعون فيها • اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال
رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع • كأسا • اي خمرا تسمية لها باسم محلها • لا لغو فيها • اي في شربها حيث لا
يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام • ولا تأثيم • ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف
كما هو ديدن المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم
بالفتح • ويطوف عليهم • اي بالكأس • غلمان لهم • اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم
• كأنهم لؤلؤ مكنون • مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل لقتادة
هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة
البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك
• واقبل بعضهم على بعض يتساءلون • اي يسأل كل بعض منهم بعضا آخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤولا لا
انه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا • قالوا • اي المسؤولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة • انا كنا قبل • اي في الدنيا
في اهلنا مشفقين • ارقاء القلب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة • فمن الله علينا •
بالرحمة والتوفيق للحق • ووقانا عذاب السموم • عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقّانا بالتشديد
• انا كنا من قبل ندعوه • اي نعبده او نسأله الوقاية • انه هو البر • المحسن • الرحيم • الكثير الرحمة الذي اذا عُبد
اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه • فذكر • فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من الآيات
والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل • فما انت بنعمة ربك • بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة
العقل • بكاهن ولا مجنون • كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون • ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
وهو ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منّه اذا قطعه لان الموت
قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر • قل تربصوا فاني معكم من المتربصين • اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي
وفيه عدة كريمة باهلاكهم • ام تأمرهم احلامهم • اي عقولهم • بهذا • اي بهذا التناقض في المقال فان الكاهن
يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف
هؤلاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه • ام هم قوم طاغون • مجاوزون الحدود في المكابرة
والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون
وقرئ بل هم • ام يقولون تقوله • اي اختلقه من تلقاء نفسه • بل لا يؤمنون • فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه
الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة
الامم من العرب والعجم • فليأتوا بحديث مثله • مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى
• ان كانوا صادقين • فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام
في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ
الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك • ام خلقوا من غير شيء
اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا من اجل لا شيء من عبادة وجزاء
• ام هم الخالقون • لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه • ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون
اي اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما اعرضوا عن عبادته
• ام عندهم خزائن ربك • اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا ويمسكوها عمن شاؤوا او اعندهم

خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره • ام هم المسيطرون • اي الغالبون على الامور يدبرونها
كيفما شاؤوا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء
• ام لهم سلم • منصوب الى السماء • يستمعون فيه • صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى
يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة • فليأت مستمعهم
بسلطان مبين • بحجة واضحة تصدق استماعه • ام له البنات ولكم البنون • تسفيه لهم وتركيك لعقولهم
وايذان بان من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية
والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ • ام تسألهم اجرا • رجوع الى خطابه عليه السلام
واعراض عنهم اي بل اتسألهم اجرا على تبليغ الرسالة • فهم • لاجل ذلك • من مغرم • من التزام غرامة فادحة
• مثقلون • محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك • ام عندهم الغيب • اي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب
• فهم يكتبون • ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات • ام يريدون كيدا • هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
في دار الندوة • فالذين كفروا • هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر
وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا • هم المكيدون • اي هم الذين يحيق بهم كيدهم او يعود
عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته • ام لهم
• اله غير الله • يعينهم ويحرسهم من عذابه • سبحان الله عما يشركون • اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه
• وان يروا كسفا • قطعة • من السماء ساقطا • لتعذيبهم • يقولوا • من فرط طغيانهم وعنادهم
• سحاب مركوم • اي هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب • فذرهم حتى يلاقوا •
وقرئ حتى يلقوا • يومهم الذي فيه يصعقون • على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ
يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها
الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى • يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا • اي شيئا من الاغناء بدل من يومهم
ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في امره
صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل
وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم • ولا هم ينصرون • من جهة الغير في
دفع العذاب عنهم • وان للذين ظلموا • اي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل اي وان لهؤلاء الظلمة
• عذابا • آخر • دون ذلك • دون ما لاقوه من القتل اي قبله وهو القحط الذي اصابهم سبع سنين او وراءه كما في
قوله تريك القذى من دونها وهي دونها وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا
• ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا
يعلمون شيئا اصلا • واصبر لحكم ربك • بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان
ومعاناة الهموم • فانك باعيننا • اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير
والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ • وسبح • اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا • بحمد ربك • على نعمائه الفائتة للحصر
• حين تقوم • من اي مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال
ابن عباس رضي الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك
وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى • ومن الليل فسبحه • افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة
فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل • وادبار النجوم • اي وقت ادبارها من آخر الليل
اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ أدبار النجوم

بالنجم اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه
وان ينعمه في جنته

سورة النجم مكية احدى وستون آية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم اذا هوى • المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب لها او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القران فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم شانه ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السابلة الى سواء السبيل • ما ضل صاحبكم • اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة • وما غوى • اي وما اعتقد باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث فلانه تنويه بشان القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على ان مناط اهتدائه عليه السلام ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد عليه السلام وما غوى والخطاب لقريش وايراده عليه السلام بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه السلام مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عليه السلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على الوجه الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام • وما ينطق عن الهوى • اي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا استمرار النطق عنه كما مر مرارا • ان هو • اي ما الذي ينطق به من القرآن • الا وحي • من الله تعالى وقوله تعالى • يوحى • صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي • علمه شديد القوى • اي ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف • ذو مرة • اي حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه • فاستوى • عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى اوحى بيان لكيفية التعليم اي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليهما السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله عليه السلام فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير النبي صلى الله عليه وسلم فانه رآه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى • وهو بالافق الاعلى • اي افق الشمس حال من فاعل استوى • ثم دنا • اي اراد الدنو من النبي عليهما السلام • فتدلى • اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والادلاء والدلو الى التمر المعلق • فكان • اي فكان مقدار ما بينهما • قاب قوسين • اي مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما في قولك هو مني معقد الازار • او ادنى • اي على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس • فاوحى • اي جبريل • الى عبده • عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها • ما اوحى • اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك • ما كذب الفؤاد • اي فؤاد محمد عليه السلام • ما رأى • اي ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام

اي

اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته • افتمارونه على ما يرى • اي أتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او ابعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده • ولقد رآه نزلة اخرى • اي وبالله لقد رأى جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصب النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر • عند سدرة المنتهى • هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى • عندها جنة المأوى • اي الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى • اذ يغشى السدرة ما يغشى • ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين اي يأتيه والاول هو اللائق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر • ما زاغ البصر • اي ما مال بصر رسول الله عليه السلام عما رآه • وما طغى • وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة المدهشة بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها • لقد رأى من آيات ربه الكبرى • اي والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة • افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى • هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة لان دماء النسائك تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من

عادتهم لها يقولون ان الملئكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا • افرأيتم • آه والهمزة
للانكار والتوبيخ لانها داخلة على ما ذكر من شئونه تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الكلام
عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى
وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها
وذلتها شركاء لله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآية
السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها وقيل اظننتم انها تنفع لكم في الآخرة وقيل افرأيتم الى هذه الاصنام
ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى • الكم الذكر وله الانثى • شهادة بينة فانه
توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور
وجب ان يكون مناط الاول ايضا تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه فظاهر انه ليس في شيء من التقديرات المذكورة من
تلك النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبروني
ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه
من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض
للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه • تلك • اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية • اذن قسمة ضيزى • اي جائرة
حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت
الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على انه مصدر وصف به كدعوى او على
انه صفة كسكرى وعطشى • ان هي • الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي تدعونها • الا اسماء • محضة ليس
تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى • سميتموها • صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى
جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان نسبت
الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي تسمونها الهة اسماء مجردة
ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية
وقيل هي الاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز
والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها
مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي
انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها • انتم واباؤكم • بمقتضى اهوائكم الباطلة
• ما انزل الله بها من سلطان • برهان تتعلقون به • ان يتبعون • التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى
الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها • الا الظن • الا توهم ان ما هم عليه حق
توهما باطلا • وما تهوى الانفس • اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء • ولقد جاءهم من ربهم الهدى • قيل هي حال من
فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان
قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام وانزال الكتاب اقبح • ام للانسان ما تمنى • ام منقطعة وما فيها من بل
للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار
والنفي اي ليس للانسان كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الالهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت
الوجود • فلله الآخرة والاولى • تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا
به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور وقوله تعالى • وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا • اقناط لهم
عما علقوا به اطماعهم من شفاعة الملئكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها
الرفع على الابتداء والجملة بعدها الخبر وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى اي وكثير من الملئكة لا تغني شفاعتهم

عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات • الا من بعد ان يأذن الله • لهم في الشفاعة • لمن يشاء • ان يشفعوا له
• ويرضى • ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل
وعن الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملئكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام • ان الذين لا يؤمنون
بالآخرة • وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي • ليسمون الملئكة • المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق
اي يسمون كل واحد منهم • تسمية الانثى • فان قولهم الملئكة بنات الله قول منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي
تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا
يؤمن بها رأسا وقوله تعالى • وما لهم به من علم • حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها
اي بالملئكة او بالتسمية • ان يتبعون • في ذلك • الا الظن • الفاسد • وان الظن • اي جنس الظن كما يلوح به
الاظهار في موضع الاضمار • لا يغني من الحق شيئا • من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم
والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها • فاعرض عن من تولى عن ذكرنا • اي عنهم
ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا
المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع
لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها • ولم يرد الا الحيوة الدنيا • راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي
عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة الى
خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل • ذلك • اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي وقصر الارادة على الحيوة الدنيا • مبلغهم
من العلم • لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة والارشاد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة
على الحيوة الدنيا وقوله تعالى وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك
المنتظم للظن الفاسد وقوله تعالى • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى • تعليل للامر بالاعراض وتكرير
قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى
من من شأنه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب
نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بامرهم باقتصار العلم باحوال
الفريقين عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي
صريحا • ولله ما في السموات وما في الارض • اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى
• ليجزي • آه متعلق بما دل عليه اعلم آه وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم
الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي • الذين اساؤا بما عملوا • اي بعقاب
ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا • ويجزي الذين احسنوا • اي اهتدوا • بالحسنى
اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل
خلق ما فيهما ليجزي آه وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى
بعمله وبمن اهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على
تباين الجزاءين • الذين يجتنبون كبائر الاثم • بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب
واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ
كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك • والفواحش • وما فحش من الكبائر خصوصا • الا اللمم • اي الا ما قل وصغر فانه مغفور
ممن يجتنب الكبائر قيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل
عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع • ان ربك واسع المغفرة • حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل
للاستثناء وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء

من المؤمنين بما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى • هو اعلم بكم • اي باحوالكم يعلمها • اذ انشأكم • في ضمن انشاء ابيكم
آدم عليه السلام • من الارض • انشاء اجماليا حسبما تحققته مرارا • واذ انتم اجنة • ووقت كونكم اجنة • في بطون
امهاتكم • على اطوار مختلفة مرتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله
فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى • فلا تزكوا انفسكم • لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة
باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة
عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته • هو اعلم بمن اتقى • المعاصي
جميعا وهو استئناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا
وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده
ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر • افرأيت الذي تولى • اي عن اتباع
الحق والثبات عليه • واعطى قليلا • اي شيئا قليلا او اعطاء قليلا • واكدى • اي قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر
اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه السلام فعيره بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض
المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل في ابي
جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه السلام في بعض الامور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك
قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى • اعنده علم الغيب فهو يرى • اي اعنده علم
بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة • ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى • اي وفر واتم
ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه
جبريل عليهما السلام وهو يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشي كل يوم فرسخا
يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التورية اشهر عندهم واكثر • الا تزر
وازرة وزر اخرى • اي انه لا تحمل نفس شأنها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي
هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما في صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما في
صحفهما فقيل هو الا تزر آه والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه السلام
من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى
• وان ليس للانسان الا ما سعى • بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه
من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء ... واستغفار الملئكة ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك
مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو
الايمان والصلاح ولم يكن لشيء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كاختها
معطوفة عليها وكذا قوله تعالى • وان سعيه سوف يرى • اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة في صحيفته وميزانه من
اريته الشيء • ثم يجزاه • اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال
الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى • الجزاء الاوفى • او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى واسروا
النجوى الذين ظلموا • وان الى ربك المنتهى • اي انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا
وقرئ بالكسر على الابتداء • وانه هو اضحك وابكى • اي هو خلق قوتي الضحك والبكاء • وانه هو امات واحيى
لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى
على العادة • وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى • تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد

من منى بمعنى قدر • وان عليه النشأة الاخرى • اي الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا
مصدر نشأ • وانه هو اغنى واقنى • واعطى القنية وهي ما تتأثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية • وانه هو رب الشعرى • اي رب معبودهم وهي العبور وهي اشد ضياء
من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكان قريش تقول لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم في دينهم • وانه اهلك عادا الاولى • هي قوم هود عليه السلام
وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد الولى بحذف الهمزة ونقل
ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف • وثمود
عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين • فما ابقى • اي احدا من الفريقين • وقوم
نوح • عطف عليه ايضا • من قبل • اي من قبل اهلاك عاد وثمود • انهم كانوا هم اظلم واطغى •
من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه
حتى لا يكون به حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة • والمؤتفكة • هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها
اي انقلبت بهم • اهوى • اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء
• فغشيها ما غشى • من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه • فبأي آلاء ربك تتمارى
تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد وصيغة التفاعل وان
وضعت لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن
المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط وربما تجرد عنه ايضا فيراد مجرد تعدد الفعل باعتبار تعدد متعلقه كما فيما نحن فيه
فان المراد تعدده بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث
انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين • هذا نذير من النذر الاولى • هذا اشارة
الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن
متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة
التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل
وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله تعالى • ازفت الازفة • اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة
اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة • ليس لها من دون الله كاشفة • اي ليس لها
نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير الا الله تعالى فانه
المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان
كاشفة مصدر كالعافية • افمن هذا الحديث • اي القرآن • تعجبون • انكارا • وتضحكون • استهزاء
مع كونها ابعد شيء من ذلك • ولا تبكون • حزنا على ما فرطتم في شأنه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة
• وانتم سامدون • اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان
نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا
تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي
والانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى • فاسجدوا لله واعبدوا
لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال
الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة صدق رسول الله عليه السلام

سورة القمر خمس وخمسون آية   بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد او الاستحكام اي وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر او قوي مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التي زينها الشيطان لهم او كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عليه السلام مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او اسم زمان اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اي في القرآن وقوله من الانباء اي انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي وبالله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل مما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل ع م ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا الى شيء نكر اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم

تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغن النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال يا رب الآية وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره ع م بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير لما ذكر في المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح ع م لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن آه جملة قسمية وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا ع م ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاري لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او استمر عليهم الى ان اهلكهم او شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى

اللفظ كما ان تعقيبهما في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى • فكيف كان عذابي ونذر • تهويل لهما وتعجيب
من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة
يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر • الكلام فيه كالذي مر فيما سبق
كذبت ثمود بالنذر • اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم
تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع • فقالوا ابشرا منا • اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده
• واحدا • اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه
على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدمت عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء
وقوله تعالى • نتبعه • خبره والاول اوجه للاستفهام • انا اذن • اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن
امة جمة • لفي ضلال • عن الصواب • وسعر • اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان
لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول
• أألقي الذكر • اي الكتاب والوحي • عليه من بيننا • وفينا من هو احق منه بذلك • بل هو كذاب اشر • اي
ليس الامر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى • سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده والمراد بالغد وقت نزول
العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ
ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر
اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل المراد بالغد يوم القيمة ويأباه قوله تعالى • انا مرسلوا الناقة
الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا • فتنة لهم • اي امتحانا
• فارتقبهم • اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون • واصطبر • على اذيتهم • ونبئهم ان الماء قسمة بينهم • مقسوم
لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء • كل شرب محتضر • يحضره صاحبه في نوبته • فنادوا صاحبهم • هو قدار بن
سالف احيمر ثمود • فتعاطى فعقر • فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى
الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف • فكيف كان عذابي ونذر • الكلام فيه كالذي
مر في صدر قصة عاد • انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة • هي صيحة جبريل عليه السلام • فكانوا • اي فصاروا
• كهشيم المحتظر • اي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة
لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
• كذبت قوم لوط بالنذر • انا ارسلنا عليهم حاصبا • اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء • الا آل لوط نجيناهم
• بسحر • في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر • نعمة من عندنا • اي انعاما منا وهو علة
لنجينا • كذلك • اي مثل ذلك الجزاء العجيب • نجزي من شكر • نعمتنا بالايمان والطاعة • ولقد انذرهم
لوط • بطشتنا • اي اخذتنا الشديدة بالعذاب • فتماروا • فكذبوا • بالنذر • متشاكين • ولقد راودوه
• عن ضيفه • قصدوا الفجور بهم • فطمسنا اعينهم • فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره
عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط • فذوقوا عذابي ونذر
اي فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب • ولقد صبحهم بكرة
وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص • عذاب مستقر • لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه
بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به • فذوقوا عذابي ونذر • حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب
• ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر • مر ما فيه من الكلام • ولقد جاء آل فرعون النذر • صدرت قصتهم بالتوكيد
القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ

والاكتفاء

والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى • كذبوا بآياتنا كلها
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كانه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع
• فاخذناهم اخذ عزيز • لا يغالب • مقتدر • لا يعجزه شيء • أكفاركم • يا معشر العرب • خير • قوة وشدة
وعدة وعدة او مكانة • من اولئكم • الكفار المعدودين والمعنى ان اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم منكم
فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى • ام لكم
براءة في الزبر • اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل الكم براءة وامن من تبعات ما تعملون
من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله • ام يقولون نحن جميع منتصر
اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم
عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولوا حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام
او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى • سيهزم الجمع
رد وابطال لذلك والسين للتاكيد اي يهزم جمعهم البتة • ويولون الدبر • اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد
لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وعلا
• بل الساعة موعدهم • اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه • والساعة
ادهى وامر • اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار
الساعة في موقع اضمارها لتربية تهويلها • ان المجرمين • من الاولين والآخرين • في ضلال وسعر • اي في
هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى • يوم يسحبون • الخ منصوب
اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون • في النار على وجوههم • واما بقول
مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم • ذوقوا مس سقر • اي قاسوا حرها والمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف
من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون • انا كل شيء من الاشياء
• خلقناه بقدر • اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح
قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره • وما امرنا الا واحدة
الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة • كلمح بالبصر • في اليسر
والسرعة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر • ولقد اهلكنا اشياعكم • اي اشباهكم في الكفر من الامم
وقيل اتباعكم • فهل من مدكر • يتعظ بذلك • وكل شيء فعلوه • من الكفر والمعاصي • مكتوب على التفصيل
• في الزبر • اي في ديوان الحفظة • وكل صغير وكبير • من الاعمال • مستطر • مسطور في اللوح المحفوظ
بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب
والترغيب بين عاقبتهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل • ان المتقين • اي من الكفر والمعاصي • في جنات
عظيمة الشأن • ونهر • اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد
واسد • في مقعد صدق • في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق • عند مليك مقتدر • اي مقربين عند
مليك لا يقادر قدره ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها ان القرآن قد يسر
لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما فاض على كافة الانام من فنون
نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل
الرحمن علم القرآن • لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على
سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشاؤه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق الهمم الا وهو
منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته
وجلالة قدره ثم قيل • خلق الانسان علمه البيان • تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه
على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه
بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن
العاطف لورودهما على منهاج التعديد • الشمس والقمر بحسبان • اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث
ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب • والنجم • اي النبات الذي ينجم
اي يطلع من الارض ولا ساق له • والشجر • الذي له ساق • يسجدان • اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم
ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث
التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد
لامر الله عز وجل • والسماء رفعها • اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره
ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء • ووضع الميزان • اي شرع
العدل وامر به بان وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل
قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى وانزلنا معهم الكتاب والميزان
وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا
على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم • ان لا تطغوا في
الميزان • اي لئلا تطغوا فيه على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان او اي
لا تطغوا على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على
ارادة القول • واقيموا الوزن بالقسط • قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة
باليد والقسط بالقلب • ولا تخسروا الميزان • اي لا تنقصوه امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتاكيدا للامر باستعماله والحث عليه
وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في
الميزان فحذف الجار واوصل الفعل • والارض وضعها • اي خفضها مدحوة على الماء • للانام • اي للخلق قيل الانام
كل ذي روح وقيل كل ما على الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى • فيها فاكهة • الخ استئناف مسوق لتقرير ما افادته
الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ
ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به • والنخل ذات الاكمام • هي اوعية
الثمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه • والحب
هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير • ذو العصف • هو ورق الزرع وقيل هو التبن • والريحان • قيل هو الرزق
اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف

هو

هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان اي خلق الحب والريحان او اخص ويجوز
ان يراد ذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم
ثم خفف او فيعلان قلبت واوه ياء للتخفيف وللفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي • فباي آلاء
ربكما تكذبان • الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب
الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها اما بانكار
كونه من الله تعالى نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه
نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم
به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة
على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان الامر كما فصل فباي فرد من
افراد الآلاء مالكيكما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق • خلق الانسان من
صلصال كالفخار • تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بموجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين
اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي
بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين • وخلق الجان • اي الجن او ابا الجن • من مارج • من لهب
صاف • من نار • بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب • فباي آلاء ربكما تكذبان • مما افاض عليكما
في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم • رب المشرقين ورب المغربين • بالرفع على خبرية مبتدا محذوف اي الذي فعل
ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات
قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرئ بالجر على انه بدل من ربكما • فباي آلاء ربكما تكذبان • مما
في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك
مرج البحرين • اي ارسلهما من مرجت الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب • يلتقيان
اي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما
خليجان يتشعبان منه • بينهما برزخ • اي حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض • لا يبغيان • اي لا يبغي احدهما
على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما • فباي آلاء ربكما تكذبان • وليس منها
شيء يقبل التكذيب • يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان • اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ
كبار الدر والمرجان صغاره وفي نسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع انهما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان
الا من ملتقى الملح والعذب ولانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان
من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا
للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة • فباي آلاء ربكما تكذبان • وله الجوار • اي السفن جمع جارية وقرئ
برفع الراء بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان • المنشآت • المرفوعات الشرع
او المصنوعات وقرئ بكسر الشين اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن • في البحر كالاعلام • كالجبال
الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل • فباي آلاء ربكما تكذبان • من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية
تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه • كل من عليها • اي على الارض
من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين • فان • هالك لا محالة • ويبقى وجه ربك • اي ذاته
عز وجل • ذو الجلال والاكرام • اي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه عليه السلام انه مر

برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقرئ ذي الجلال والاكرام على انه صفة ربك
واياما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه
وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحيوة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء
واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء
وسائر احوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود
وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم
في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابرهيم
كل يوم اي كل وقت من الاوقات هو في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال
ينشئ اشخاصا ويفني آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه
ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا
فبأي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك
يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه
بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني
عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد
اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف
فبأي آلاء ربكما تكذبان التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة للتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب. تكذبان
باقوالكما او اعمالكما يا معشر الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون
بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم اي ان قدرتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي
فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي بقوة
وقهر وانتم من ذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا
الملائكة احاطت به فبأي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة
يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع
من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار
متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب يصب
على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقيل نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس
جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فبأي آلاء
ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف واي لطف ونعمة واي نعمة فاذا انشقت
السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة
اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم
كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن
به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال
فبأي آلاء ربكما تكذبان مع عظم شأنها فيومئذ اي يوم اذ تنشق السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه
انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا
على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه

رتبة

رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي ولا جني فبأي آلاء ربكما تكذبان
مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم
فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرف بسواد الوجوه
وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل
يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات
المقصود بالاخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم
في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ على ان الجملة
اما استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم
او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض من المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اي بين
النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار
اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا
ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء
الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة
واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها
من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شأن من النعم الدينية والدنيوية الانفسية
والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها وان ما
عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء
حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه
الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف
عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة
للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات
واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب
كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن
اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان
ليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء
صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم
والاخرى السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان
لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل
فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات
لما مر آنفا فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على
المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل
ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد
والمضطجع قال ابن عباس رضي الله عنه تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ وجنى

بكمن الجحيم • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • فيهن • اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش • قاصرات الطرف • نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم • لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • كأنهن الياقوت والمرجان • اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • هل جزاء الاحسان الا الاحسان • استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • ومن دونهما جنتان • مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • مدهامتان • صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه • فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان • اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش • فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان • عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل رمانا او رطبا لم يحنث • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • فيهن خيرات • صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما قبل وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل • حسان • اي حسان الخلق والخلق • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • حور • بدل من خيرات • مقصورات في الخيام • قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة ومقصورة اي مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان • كالذي مر من نظيره في جميع الوجوه • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • متكئين • نصب على الاختصاص • على رفرف خضر • الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه • وعبقري حسان • العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل عجيب والمراد الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري ككراسي نسبة الى عباقر في اسم البلد • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وقوله تعالى • تبارك اسم ربك • تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما • ذي الجلال والاكرام • وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه صفة للاسم عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه

سورة الواقعة سبع وتسعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة • اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى • ليس لوقعتها كاذبة • اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعافية اي ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى • خافضة رافعة • خبر مبتدأ محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى • اذا رجت الارض رجا • اي زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت • وبست الجبال بسا • اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت • فكانت • اي فصارت بسبب ذلك • هباء • غبارا • منبثا • منتشرا • وكنتم • اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط • ازواجا • اي اصنافا • ثلاثة • فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى • فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة • تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال واختلفوا في الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى • والسابقون السابقون • هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات فاياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شانهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته او والسابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى • اولئك • اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل • المقربون • اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم

واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي تقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على رأي سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في ما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى • في جنات النعيم • متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى • ثلة من الاولين • خبر مبتدأ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام • وقليل من الآخرين • اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر • على سرر موضونة • حال اخرى من المقربين او من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت والمتواصلة من الوضن وهو النسج • متكئين عليها متقابلين • حالان من الضمير المستكن فيما يتعلق به على سرر اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب • يطوف عليهم • حال اخرى او استئناف اي يدور حولهم للخدمة • ولدان مخلدون • اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه وعن الحسن رح وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة • باكواب • بآنية لا عرى لها ولا خراطيم • واباريق • اي آنية ذات عرى وخراطيم • وكأس من معين • اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكأس لانها لا تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة • لا يصدعون عنها • اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا • ولا ينزفون • اي لا يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه • وفاكهة مما يتخيرون • اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله • ولحم طير مما يشتهون • اي يتمنون وقرئ ولحوم طير • وحور عين • بالرفع على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون حورا • كامثال اللؤلؤ المكنون • صفة لحور او حال • جزاء بما كانوا يعملون • مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء • لا يسمعون فيها لغوا • اي باطلا • ولا تأثيما • اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر • الا قيلا • اي قولا • سلاما سلاما • بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا الآخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى • واصحاب اليمين • شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاخرة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى • ما اصحاب اليمين • جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب اليمين

صدرت لا ينزع الا رب ابوابها

من علو الشأن اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود المتثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب • وطلح منضود • قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع منضود وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس رضي الله عنهما نحوه • وظل ممدود • ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس • وماء مسكوب • يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب وهو تصبب سائل يجري على الارض في غير اخدود كانه تمثيل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين • وفاكهة كثيرة • بحسب الانواع والاجناس • لا مقطوعة • في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا • ولا ممنوعة • عن متناولها بوجه من الوجوه لا تحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على هناك فاكهة كقوله تعالى وحور عين • وفرش مرفوعة • اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى • انا انشأناهن انشاء • وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي هي المضاجع عليهن والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى • فجعلناهن ابكارا • وقوله تعالى • عربا • جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء • اترابا • مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن وقوله تعالى • لاصحاب اليمين • متعلق بانشأنا او جعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر لمبتدأ محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى • ثلة من الاولين وثلة من الآخرين • وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف خصت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الآخرين اي من هذه الامة في آخر الزمان وعن سعيد ابن جبير وابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي • واصحاب الشمال • شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى • ما اصحاب الشمال • عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى • في سموم وحميم • والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة • وظل من يحموم • من دخان اسود بهيم • لا بارد • كسائر الظلال • ولا كريم • فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى • انهم كانوا قبل ذلك مترفين • تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • اي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب • وكانوا يقولون • لغاية عتوهم وعنادهم • ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما • اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى • ائنا لمبعوثون • لا نفسه لان ما بعد ان واللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر

النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب
لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل
بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر و
تماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى • اوآباؤنا الاولون • لتأكيد النكير والواو للعطف على
المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا
• قل • ردا لانكارهم وتحقيقا للحق • ان الاولين والآخرين • من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي
تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي
• لمجموعون • بعد البعث وقرئ لمجمعون • الى ميقات يوم معلوم • الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم
والاضافة بمعنى من كخاتم فضة • ثم انكم ايها الضالون المكذبون • بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم • لآكلون
بعد البعث والجمع ودخول جهنم • من شجر من زقوم • من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون
الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم • فمالئون منها البطون
اي بطونكم من شدة الجوع • فشاربون عليه • عقيب ذلك بلا ريث • من الحميم • اي الماء الحار في الغاية وتأنيث
ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فتذكيره حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله تعالى
• فشاربون شرب الهيم • كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون
مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال
على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض
والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه
بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب
الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب • هذا الذي ذكر من الوان العذاب
• نزلهم يوم الدين • اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم
القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته
تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى • نحن خلقناكم فلولا تصدقون
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق
فان ما يخالفه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان
من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا • افرأيتم ما تمنون • اي تقذفونه في الارحام
من النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها • أأنتم تخلقونه • اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا
• ام نحن الخالقون • له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان
الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة • نحن قدرنا بينكم الموت
اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف
• وما نحن بمسبوقين • اي انا لقادرون • على ان نبدل امثالكم • لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم
اشباهكم من الخلق • وننشئكم فيما لا تعلمون • من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رح اي نجعلكم
قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل
المعنى وما سبقنا احد فهرب من الموت او يغير وقته وعلى ان نبدل اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى
بمعنى اللام وما بينهما اعتراض • ولقد علمتم النشأة الاولى • هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة او فطرة آدم
عليه من التراب • فلولا تذكرون • فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانه اقل صنعا

عطف على ان الاولين [illegible]

لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر
عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور
• افرأيتم ما تحرثون • اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه • أأنتم تزرعونه • تنبتونه وتردونه نباتا يرف
• ام نحن الزارعون • اي المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا • لو نشاء لجعلناه حطاما • هشيما متكسرا
متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله • فظلتم • بسبب ذلك • تفكهون • تتعجبون من سوء حاله
اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتتحدثون
فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل في الحديث وقرئ تفكنون اي تتندمون وقرئ فظلتم بالكسر
فظللتم على الاصل • انا لمغرمون • اي لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك
وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين
او تقولون انا لمغرمون • بل نحن محرومون • حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون
• افرأيتم الماء الذي تشربون • عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اتم المقاصد
المنوطة به • أأنتم انزلتموه من المزن • اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب • ام نحن
المنزلون • له بقدرتنا • لو نشاء جعلناه اجاجا • ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام هاهنا مع اثباتها في
الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان
مسوقتان لبيان ان نعمته تعالى بالزرع والماء مع ما تخلل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر
فقوله تعالى • فلولا تشكرون • تحضيض على شكر الكل • افرأيتم النار التي تورون • اي تقدحونها وتستخرجونها
من الزناد • أأنتم انشأتم شجرتها • التي منها الزناد وهي المرخ والعفار • ام نحن المنشئون • لها بقدرتنا والتعبير
عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر
الاشجار التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله
ثم انشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى • نحن جعلناها تذكرة • استئناف مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم
حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من نار جهنم لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر البعث
[illegible] • ومتاعا • ومنفعة • للمقوين • للذين ينزلون القواء وهي القفر
وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد
بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم اختصاص ما ذكر بهم [illegible]
[illegible] • فسبح باسم ربك العظيم •
والفاء لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة للتسبيح [illegible]
الجاحدون [illegible] الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او للتعجب من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلائها وظهور آثارها
او للشكر على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم
صفة للاسم او للرب • فلا اقسم • اي فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم
[illegible]
اقسم [illegible] • بمواقع النجوم • اي بمساقطها
وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره ولان ذلك وقت
قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم [illegible]
الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى

وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله
وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى انه لقرآن كريم اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في
صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك
اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين من
الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون — لا يطلع على اللوح الا المطهرون
عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا
من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من
يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره و
المطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار وغيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به
حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن
الكريم انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون
رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم لنعمة القرآن
انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه
الى الانواء والاول هو الاوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبكيت
على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن
حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اي فهلا اذا بلغت النفس
اي الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون
الى ما هو فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه
من آثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها وان لا تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون
لتفاصيل احواله بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى
فلولا ان كنتم غير مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم
فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي النفس الى مقرها وهو العامل
في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين
كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين في اعتقادكم
فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين
الخ شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اي فاما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج
الثلاثة عبر عنهم بجليل اوصافهم فروح اي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لانه سبب لحيوة المرحوم
وبالحيوة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اي ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين
عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله
تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية انشاء
سلام بعضهم على بعض والا لقيل عليك والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين
الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها الضالون
المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن من حميم
يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان
عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة لهو

صح

لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك
العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى
عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مكية تسع وعشرون آية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه
من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات والارض يعم ما
فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة و
المؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم
الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه
كما في قوله تعالى وتسبحوه واللام اما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا
لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شأنه
التسبيح الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اي التصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى
يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء
من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ في القدرة هو الاول السابق على
سائر الموجودات لما انه مبدؤها ومبدعها والآخر الباقي بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن
مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة
والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى
للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم
لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض ثم استوى على العرش بيان لبعض
احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في
سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا وقوله تعالى
والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم
التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى
والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من
رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا
وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى
بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق و
ترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف
هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء عمن قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم

ويستنقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به • فالذين آمنوا منكم وانفقوا • حسبما امروا به • لهم • بسبب ذلك • اجر
كبير • وفيه من المبالغة ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف
بالكبير وقوله عز وجل • وما لكم لا تؤمنون بالله • استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك
عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على
توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني
فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك كلمة ما
قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا
فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب
ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر
ونفي سببه فانتفى نفسه ايضا وقوله تعالى • والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم • حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم
على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه
وينبهكم عليه وقوله تعالى • وقد اخذ ميثاقكم • حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك
بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم • ان كنتم مؤمنين • لموجب ما فان هذا
موجب لا موجب وراءه • هو الذي ينزل على عبده • حسبما يعن لكم من المصالح • آيات بينات • واضحات • ليخرجكم
اي الله تعالى او العبد بها • من الظلمات الى النور • من ظلمات الكفر الى نور الايمان • وان الله بكم لرؤف رحيم •
حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى • وما لكم الا تنفقوا في
سبيل الله • توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا
عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في
ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى • ولله
ميراث السموات والارض • حال من فاعل لا تنفقوا او مفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح
منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال
بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه
في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله تعالى والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى • لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري
الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو عن
الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة • اولئك
اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون
بذينك النعتين الجميلين • اعظم درجة • وارفع منزلة • من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا • لانهم انما فعلوا ما
فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال
وكلا • اي كل واحد من الفريقين • وعد الله الحسنى • اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ
وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله • والله بما تعملون خبير • بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل

نزلت

نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف
به على الهلاك وقوله تعالى • من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا • ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله
بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن
يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات • فيضاعفه له • بالنصب على جواب الاستفهام
باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا • وله اجر كريم • اي وذلك الاجر
المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا
كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض على تقدير مبتدأ اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع وبالنصب • يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات • ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم
وقوله تعالى • يسعى نورهم • حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى • بين ايديهم وبايمانهم • وقيل هو
هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن
ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا
من نوره على ابهام رجله يطفأ تارة ويلمع اخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا
الى الجنة • بشراكم اليوم جنات • مقدر بقول هو حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به جنات
اي بشراكم دخول جنات • تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك • اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات
المخلدة • هو الفوز العظيم • الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى • للذين آمنوا انظرونا • اي انظروا الينا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق
الى الجنة على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون
بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا
لهم • نقتبس من نوركم • اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس • قيل • طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين
او من جهة الملائكة • ارجعوا وراءكم • اي الى الموقف • فالتمسوا نورا • فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا
فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نورا آخر وقد
علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم • فضرب
بينهم • بين الفريقين • بسور • اي حائط والباء زائدة • له باب باطنه • اي باطن السور او الباب
وهو الجانب الذي يلي الجنة • فيه الرحمة وظاهره • وهو الطرف الذي يلي النار • من قبله • من جهته • العذاب
وقرئ فضرب على البناء للفاعل • ينادونهم • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب
السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم • الم نكن • في الدنيا • معكم • يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر
قالوا بلى • كنتم معنا بحسب الظاهر • ولكنكم فتنتم انفسكم • محنتموها بالنفاق واهلكتموها • وتربصتم
بالمؤمنين الدوائر • وارتبتم • في امر الدين • وغرتكم الاماني • الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس
امر الاسلام • حتى جاء امر الله • اي الموت • وغركم بالله • الكريم • الغرور • اي غركم الشيطان بان الله
عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم • فاليوم لا يؤخذ منكم فدية • فداء وقرئ تؤخذ بالتاء • ولا من
الذين كفروا • اي ظاهرا او باطنا • مأواكم النار • لا تبرحون منها ابدا • هي مولاكم • اي اولى بكم وحقيقته
مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او مكانكم عن قريب من الولي
وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها • وبئس المصير • اي النار
الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله • استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم
فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا

الرزق والنعمة وفترُوا عمّا كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول القرآن اي الم يجئ وقت
ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عمّا نهوا عنه من غير توان ولا فتور من انى الامر
اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ ألمّا يأن وفيه دلالة على ان المنفي متوقع وما نزل من الحق
اي القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل
من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى
الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في
سبيل الله تعالى وقرئ نزّل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وانزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل
عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان
وبّخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم
فطال عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامدّ بتشديد الدال اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي
كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون
عن حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية
بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بيّنّا لكم الآيات
التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين
ان المصّدّقين والمصّدّقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق
اي الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصّدّقين من معنى الفعل فانه
في حكم الذين اصّدّقوا او صدقوا على القراءتين وعقّب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي هو المصّدّقات واجيب
بان المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن واقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصّدّقات
ليس بعطف على المصّدّقين بل على العموم تغليبا وخص المصّدّقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا
الصالحات لهم كذا لكن لا على ان مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن
الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدّقن فاني اريتكنّ
اكثر اهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق
من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده
من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله
وقرئ يضعّف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم مرّ ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة
وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة اولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره الصديقون
والشهداء والجملة خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول
اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق
واستشهدوا في سبيل الله تعالى او هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون
بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات
ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع
به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم
المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك

حيث

حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين
الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه
الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقيل والشهداء
مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة
القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعد ما بيّن حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي
اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها
مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته
اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعد ما رأيته ناضرا مونقا
وقرئ مصفارّا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم
يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الوصف
وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بيّن حقارة امر
الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا من العكوف عليها اشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في
تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه
من نتائج الانهماك فيما فصّل من احوال الحيوة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره
وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع
الغرور ان الهتك عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا
اي سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى موجباتها
من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك
بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية اعدت للذين آمنوا بالله ورسله
فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة
فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل
العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض
كجدب وعاهة في الزروع والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى
او في اللوح من قبل ان نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب
على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي
ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما اتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار
بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم
والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب
كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل
بالنهي عن الفرح المذكور ايذان بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال
فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله
هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني

لقد ارسلنا رسلنا اي الملئكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي الحجج والمعجزات
وانزلنا معهم الكتاب اي جنس الكتاب ليشمل الكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل وروي
ان جبريل عم نزل بالميزان فدفعه الى نوح عم وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدو
وانزلنا الحديد وقيل نزل آدم عم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة و
المطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك
ان اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه
ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله
من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه قيل ليستعملوه وليعلم الله
علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر و
الواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى
بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غائبا منهم او غائبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض
تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة لاعلاء كلمته واظهار دينه الى
نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريده
ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا آه وتكرير القسم لاظهار مزيد
الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم
الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال و
المرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة
للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا
وقفينا بعيسى بن مريم اي ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عم والضمير لنوح وابرهيم ومن ارسلا اليهم
او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه
اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة
اي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب
اما بفعل مضمر يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي
وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة
في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب
كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان
الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عم فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا
في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم
جملة مستانفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان
الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى
فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه
متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء
الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يراعوها حق رعايتها ويحافظوا عليها فما رعاها
كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا
بمجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يختص بهم من الاجر وكثير

وجوز ان يكون ابتدعوها صفة رهبانية مضمر يفسره الظاهر صح

وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل البعض على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ و
المخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به لا يساعده
المقام يا ايها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله اي بمحمد صلى الله عليه وسلم
وفي الاطلاق ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم
بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ
ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويغفر لكم ما سلف منكم
من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب متعلق بمضمون
الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل
الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى
ان لا يقدرون على شيء من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب
على انها مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم
ياتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه
من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من
مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين ب
انهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ بسكون الياء
وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا هذا وقيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي
عليه السلام واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عليه السلام والمؤمنون على شيء من فضل الله الذي هو عبارة
عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وان الفضل
بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة اثنتان وعشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام
في شانه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتحاولك اي تسائلك وتشتكي الى الله عطف على
تجادلك اي تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية
ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك
فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية
ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار كلها فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكلما قال عم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عليه السلام والمجادلة كانا
يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عم قال لها عند استفتائها ما عندي في امرك شيء
وانها كانت ترفع راسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة
دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعني بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع
للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ

عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل • ان الله سميع بصير
تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات
التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية
وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى • الذين يظاهرون منكم من نسائهم • شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه
المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله الا ما الحق
والحق به الفقهاء وتشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم
خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويظاهرون ويتظاهرون وقوله تعالى • ما هن امهاتهم • خبر
للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم • ان امهاتهم
اي ما هن • الا اللائي ولدنهم • فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم
فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة • وانهم ليقولون • بقولهم ذلك • منكرا من القول
على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به
تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما • وزورا • اي محرفا عن الحق • وان الله لعفو غفور
اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى • والذين يظاهرون من نسائهم
ثم يعودون لما قالوا • تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما
اوليا اي والذين يقولون تلك القولة المنكرة ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير
كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح • فتحرير رقبة • اي فعليهم او فالواجب
اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على
تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه
كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة
• من قبل ان يتماسا • اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة
وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه
ان يستأنف عند ابي حنيفة رحمه الله • ذلكم • اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره • توعظون به • اي تزجرون به
عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس
تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة
ما يوجبه • والله بما تعملون • من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جنايات الظهار • خبير • اي عالم
بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها • فمن لم يجد • اي الرقبة
• فصيام شهرين • فعليه صيام شهرين • متتابعين من قبل ان يتماسا • ليلا او نهارا عمدا او خطأ
• فمن لم يستطع • اي الصيام لسبب من الاسباب • فاطعام ستين مسكينا • لكل مسكين نصف صاع
من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام • ذلك • اشارة
الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء
او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك وقع او فعلنا ذلك • لتؤمنوا بالله ورسوله • وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم
وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم • وتلك • اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة • حدود الله
التي لا يجوز تعديها • وللكافرين • اي الذين لا يعملون بها • عذاب اليم • عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة
قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين • ان الذين يحادون الله ورسوله • اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا

من المتعادين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود
المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه • كبتوا • اي اخزوا وقيل
خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على
طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب • كما كبت الذين من قبلهم • من كفار الامم الماضية المعادين
للرسل عليهم السلام • وقد انزلنا آيات بينات • حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات
فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به • وللكافرين
بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا • عذاب مهين • يذهب بعزهم وكبرهم
• يوم يبعثهم الله • منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له
• جميعا • اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة • فينبئهم بما عملوا • من
القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا
بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى • احصاه الله • استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة
او عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يفته
منه شيء فقوله تعالى • ونسوه • حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم
بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ
وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير • والله على كل شيء شهيد • لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى • الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض • استشهاد على شمول شهادته
تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا
متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى
• ما يكون من نجوى ثلاثة • الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة و
قرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم على
ان النجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في
انفسهم مبالغة • الا هو • اي الله عز وجل • رابعهم • اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في
الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال • ولا خمسة • ولا نجوى خمسة • الا هو سادسهم • وتخصيص
العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات
المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل • ولا ادنى من ذلك • اي مما ذكر كالواحد والاثنين • ولا اكثر
كالستة وما فوقها • الا هو معهم • يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى
بان جعل لا لنفي الجنس • اينما كانوا • من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى
يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا • ثم ينبئهم • وقرئ ينبئهم بالتخفيف • بما عملوا يوم القيمة • تفضيحا
لهم واظهارا لما يوجب عذابهم • ان الله بكل شيء عليم • لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء • الم تر
الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه • نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و
يتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه السلام
والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى
• ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول • عطف عليه وداخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول عليه السلام وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم
واستعظام معصيتهم وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول • واذا جاؤك حيوك

بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون
في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا
يصلونها يدخلونها فبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم
فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف احدى
التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله ع م واتقوا
الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون
انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله
ليحزن الذين امنوا خبر اخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان
او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضرره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى
في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا
يتضامون تنافسا في القرب منه ع م وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة
كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس
بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون
التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او
لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين
يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والايواء الى غرف الجنان في الاخرة والذين اوتوا العلم
منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثري العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة
لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي
الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل
بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى
مناجاته عليه السلام فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم
الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الاخرة ومحب
الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه
نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله اية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه السلام
تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا
عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر
بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم منبئ عن الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة
بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم
التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك
وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال
ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة اي فاذ فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة و
ايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله في سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله

والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء
ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي ألم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم يعني
اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة
او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجب
وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون
مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته
للواقع وما لا يعلمه روي انه عليه السلام كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الان قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف
ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت أعد الله لهم بسبب ذلك
عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل
وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه
لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه
بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن
المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان
يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم
بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر
لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى
شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك
الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها
ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم
مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء
من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية
الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب
وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم
من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي ملكهم فانساهم ذكر الله
بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اي جنوده
واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم
النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المتضايفين معا في موقع الاضمار باحد
الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استيناف سوق لتعليل
ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما
والاشعار بعلة الحكم اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله من
الاولين والاخرين لان ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة
من حاده كذلك كتب الله استيناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى ذلك
مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف او بما يجري مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلي بفتح الياء ان الله

لقوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده ● لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ● الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى ● يوادون من حاد الله ورسوله ● مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من
مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله
والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل واحد
● ولو كانوا ● اي من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها ● آباءهم ● اي آباء
الموادين ● او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ● فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في لو قد مر على
التفصيل مرارا ● اولئك ● اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى
البعد لرفعة درجتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره ● كتب في قلوبهم الايمان ● اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم
الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه ● وايدهم ● اي قواهم
● بروح منه ● اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب
به فمن تجريدية وقوله تعالى ● ويدخلهم ● الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اي ويدخلهم في الآخرة
● جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ● ابد الآبدين وقوله تعالى ● رضي الله عنهم ● استئناف جار مجرى التعليل
لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ● ورضوا عنه ● بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله
تعالى ● اولئك حزب الله ● تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وعلا وقوله تعالى ● الا ان حزب الله هم المفلحون
بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر في مثلها عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة صدق حبيب الله تعالى

سورة الحشر مدنية اربع وعشرون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

● سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم ● مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول
هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني
النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم
احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام
فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة
فاستمهلوه عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم
فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه السلام احدى وعشرين ليلة
فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات
على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب
فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء قدير
وقوله تعالى ● هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم ● بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته
اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه
تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو مشهور
كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ وفيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى ● لاول الحشر

اى

اي في اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام
او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام
● ما ظننتم ● ايها المسلمون ● ان يخرجوا ● من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم وقوة منعتهم ●
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ● اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من باس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر
واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالي
معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية ● فاتاهم الله ●
اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم ● من حيث لم يحتسبوا ● ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة وقيل الضمير في اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي
فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي فآتاهم الله العذاب او النصر ● وقذف في قلوبهم الرعب ● اي اثبت فيها الخوف
الذي يرعبها اي يملؤها ● يخربون بيوتهم بايديهم ● ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة افواه الازقة و
لئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين وليتقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل ● وايدي المؤمنين ●
حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب
فيه فكأنهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب
التعطيل او ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم ● فاعتبروا يا اولي الابصار ● فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور
الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي او انتقلوا من حال
الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس
كما فصل في موقعه ● ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء ● اي الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع ● لعذبهم
في الدنيا ● بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ● ولهم في الآخرة عذاب النار ● استئناف غير متعلق بجواب
لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ● ذلك ● اي ما حاق
بهم وما سيحيق ● بانهم ● بسبب انهم ● شاقوا الله ورسوله ● وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ● ومن
يشاق الله ● وقرئ يشاقق الله كما في الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة له عليه السلام وليوافق
قوله تعالى ● فان الله شديد العقاب ● وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له
او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه
وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى
ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عقاب شديد ● ما قطعتم
من لينة ● اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع
على الوان وقيل من اللين وتجمع على ليان وهي النخلة الكريمة ● او تركتموها ● الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في قوله
تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ● قائمة على اصولها ● كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على
اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه جمع كرهن ● فباذن الله ● فذاك اي قطعها وتركها بامره تعالى ● وليخزي
الفاسقين ● اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن في قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف
احبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم
ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان ليستبقوا
العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى ● وما افاء الله على رسوله
شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم
من التخريب والقطع اي ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع

فى ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون
للمطيعين ● منهم ● اى من بنى النضير ● فما اوجفتم عليه ● اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير
● من خيل ولا ركاب ● هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا
ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك
لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم
مسايفة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ● ولكن الله يسلط رسله على من يشاء
اى سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى عليه السلام على هؤلاء تسليطا غير
معتاد من غير ان تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم فى اموالهم ● والله على كل شىء قدير
فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها ● وقوله تعالى ● ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
بيان لمصارف الفىء بعد بيان افاءته عليه عليه السلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق ولاعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير
ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا ● فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين
● وابن السبيل ● اختلف فى قسمة الفىء فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد
وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول
والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والان على الخلاف المذكور ● كيلا يكون ● اى الفىء الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به ● دولة ● بضم الدال
وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك
بكسرها او بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة اى لئلا يكون جدا ● بين الاغنياء منكم ● يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية
بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم
ما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفىء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول
فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او لئلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة
اى كيلا يقع دولة على ما فصل من المعانى ● وما اتاكم الرسول ● اى ما اعطاكموه من الفىء او من الامر ● فخذوه ● فانه حلال لكم
او فتمسكوا به فانه واجب عليكم ● وما نهاكم عنه ● من اخذه او من تعاطيه ● فانتهوا ● عنه ● واتقوا الله ● فى مخالفته عليه السلام
● ان الله شديد العقاب ● فيعاقب من يخالف امره ونهيه ● للفقراء المهاجرين ● بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول
صلى الله عليه وسلم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفىء بنى النضير فتعسف
ظاهر ● الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ● حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها
● يبتغون فضلا من الله ورضوانا ● اى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ورضاه فى الآخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم
للفىء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده ● وينصرون الله ورسوله ● عطف على
يبتغون فهى حال مقدرة اى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة
نصرة واى نصرة ● اولئك ● الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة ● هم الصادقون ● الراسخون فى الصدق حيث ظهر
ذلك بما فعلوا ظهورا بينا ● والذين تبوؤا الدار والايمان ● كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها
محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفىء بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة و
تمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من
قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول
وعوض عنه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه ● من قبلهم ● اى من قبل هجرة المهاجرين على الثانى
الاول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الاخيرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعنى الاول عبارة

عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين
لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم فى ذلك ● يحبون من هاجر اليهم ●
خبر للموصول اى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان ● ولا يجدون فى صدورهم ● اى فى نفوسهم ● حاجة
اى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ
● مما اوتوا ● اى مما اوتى المهاجرون من الفىء وغيره ● ويؤثرون ● اى يقدمون المهاجرين ● على
انفسهم ● فى كل شىء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها
واحدا منهم ● ولو كان بهم خصاصة ● اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال
وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر
محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من
اموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة
فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى
ان قوله تعالى والذين تبوؤا مستأنف غير معطوف على الفقراء المهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك فان ذلك انما
يستدعى شركة الانصار للمهاجرين فى الصدق دون الفىء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا
لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا ● ومن يوق شح نفسه ● الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس
لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها
من حب المال وبغض الانفاق ● فاولئك ● اشارة الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا
● هم المفلحون ● الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ
يوق بالتشديد ● والذين جاؤا من بعدهم ● هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون الذين
بعد الفريقين الى يوم القيمة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان فالموصول مبتدأ خبره
● يقولون ● الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق
بالايمان كما ان ما عطف عليه من الجملتين السابقتين لمدح الانصار ● ربنا اغفر لنا ولاخواننا ● اى
فى الدين الذى هو اعز واشرف عندهم من النسب ● الذين سبقونا بالايمان ● وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم
● ولا تجعل فى قلوبنا غلا ● وقرئ غمرا وهما الحقد ● للذين آمنوا ● على الاطلاق ● ربنا انك رؤف رحيم ●
اى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا ● الم تر الى الذين نافقوا ● حكاية لما جرى بين الكفرة و
المنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على
اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى ● يقولون ●
الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى
● لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب ● للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم فى الكفر او صداقتهم وموالاتهم
واللام فى قوله تعالى ● لئن اخرجتم ● موطئة للقسم وقوله تعالى ● لنخرجن معكم ● جواب القسم
اى والله لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم البتة ونذهبن فى صحبتكم اينما ذهبتم ● ولا نطيع فيكم ● اى فى شأنكم ● احدا
يمنعنا من الخروج معكم ● ابدا ● وان طال الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال
مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل بالنصر عليه كما ينطق به قوله تعالى
● وان قوتلتم لننصرنكم ● اى لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلانهم انما تكون عند تمكن صدوره عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا اعداهم طاعتهم فيها ضرورة انهم لو كانوا عند ذلك لا استعداد لهم
واظهار كفرهم ولا يتصور ذلك عليه السلام عند ذلك قتالهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فلا يستدعيه

المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين • والله
يشهد انهم لكاذبون • في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى • لئن اخرجوا لا يخرجون معهم • الخ تكذيب
لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال • ولئن قوتلوا لا ينصرونهم • وكان الامر كذلك
فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن • ولئن
نصروهم • على الفرض والتقدير • ليولن الادبار • فرارا • ثم لا ينصرون • اي المنافقون بعد ذلك اي يهلكهم الله
ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين • لانتم اشد رهبة • اي اشد
مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول • في صدورهم من الله • اي رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة
الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى • ذلك • اي ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله • بانهم
بسبب انهم • قوم لا يفقهون • اي شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته • لا يقاتلونكم • اي اليهود والمنافقون
بمعنى لا يقدرون على قتالكم • جميعا • اي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن • الا في قرى محصنة • بالدروب
والخنادق • او من وراء جدر • دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جُدْر بالتخفيف وقرئ جدار
وبامالة فتحة الدال وجَدْر وجُدُر وهما الجدار • باسهم بينهم شديد • استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس
لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله عز وجل في
قلوبهم من الرعب • تحسبهم جميعا • مجتمعين متفقين • وقلوبهم شتى • متفرقة لا الفة بينها • ذلك بانهم • اي ما ذكر من تشتت
قلوبهم بسبب انهم • قوم لا يعقلون • اي لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا
عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون
ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجز عن السداد وقوله تعالى • كمثل الذين من قبلهم • خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اي
مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير • قريبا • في زمان
قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ • ذاقوا وبال امرهم • اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا • ولهم • في الآخرة
• عذاب اليم • لا يقادر قدره والمعنى ان حالهم كحال اولئك في الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم
الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى • كمثل الشيطان • فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم
لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم اخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر
المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في
حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان • اذ قال
للانسان اكفر • اي اغراه على الكفر اغراء الامر المأمور على ما امر به • فلما كفر قال اني بريء منك • وقرئ انا بريء
منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله • اني اخاف الله رب العالمين
وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ
اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله الآية • فكان عاقبتهما • بالنصب على انه خبر كان واسمها • انهما في النار
وقرئ بالعكس والاول اوضح • خالدين فيها • وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو • وذلك جزاء الظالمين
اي الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة • يا ايها الذين امنوا اتقوا الله • اي في كل ما تأتون
وما تذرون • ولتنظر نفس ما قدمت لغد • اي اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة عبر عنه بذلك لدنوه او لان
الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتفخيم والتهويل كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس
النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك • واتقوا الله • تكرير للتاكيد او الاول
في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى • ان الله خبير بما
تعملون • اي من المعاصي • ولا تكونوا كالذين نسوا الله • اي نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا

مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها • فانساهم • بسبب ذلك • انفسهم • اي جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا
ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم • اولئك هم الفاسقون • الكاملون
في الفسوق • لا يستوي اصحاب النار • الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار • واصحاب الجنة • الذين
اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي
ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير
ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل
تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة في الآية الكريمة على ان المسلم لا يقتل
بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين
بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى • اصحاب الجنة هم الفائزون • فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء
بين الفريقين اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه • لو انزلنا هذا القرآن • العظيم الشان المنطوي
على فنون القوارع • على جبل • من الجبال • لرايته • مع كونه علما في القسوة وعدم التاثر مما يصادمه • خاشعا
متصدعا من خشية الله • اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة
تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى • وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون • اريد به توبيخ الانسان على
قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه • هو الله الذي لا اله الا هو • كرر لابراز الاعتناء بامر
التوحيد • الملك القدوس • البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرئ بالفتح وهي لغة فيه • السلام • ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة • المؤمن • واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف
الجار • المهيمن • الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء • العزيز • الغالب • الجبار
الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها • المتكبر • الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ
الكبرياء والعظمة • سبحان الله عما يشركون • تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التي
لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما اصلا • هو الخالق • المقدر للاشياء على مقتضى حكمته • البارئ
الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة • المصور • الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد • له الاسماء الحسنى • لدلالتها على المعاني الحسنة • يسبح له ما في السموات والارض • ينطق بتنزهه عن
جميع النقائص تنزها ظاهرا • وهو العزيز الحكيم • الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال في القدرة
والعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة ثلث عشرة آية • بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء • نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله
صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة
بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها
فادركوها ثمة فجحدت فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا
فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره • تلقون
اليهم بالمودة • اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون

اليهم اخبار النبي عليه السلام بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاوليا ادابرز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون الفعل او استئناف • وقد كفروا بما جاءكم من الحق • حال من فاعل تلقون وقيل حال من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر • يخرجون الرسول واياكم • اي من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى • ان تؤمنوا بالله ربكم • تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والالتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية • ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي • متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى • تسرون اليهم بالمودة • استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة • وانا اعلم • اي والحال اني اعلم منكم • بما اخفيتم وما اعلنتم • ومطلع رسولي على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون • ومن يفعله منكم • اي الاتخاذ • فقد ضل سواء السبيل • فقد اخطا طريق الحق والصواب • ان يثقفوكم • اي ان يظفروا بكم • يكونوا لكم اعداء • اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها • ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء • بما يسوؤكم من القتل والاسر والشتم • وودوا لو تكفرون • وتمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوكم ايضا • لن تنفعكم ارحامكم • قراباتكم • ولا اولادكم • الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم • يوم القيامة • بجلب نفع او دفع ضر • يفصل بينكم • استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول ويفصل ونفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون • والله بما تعملون بصير • فيجازيكم به • قد كانت لكم اسوة حسنة • اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى • في ابرهيم والذين معه • اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف • اذ قالوا • ظرف لخبر كان • لقومهم انا برآء منكم • جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة • ومما تعبدون من دون الله • من الاصنام • كفرنا بكم • اي بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبآلهتكم • وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا • اي هذا دابنا معكم لا نتركه • حتى تؤمنوا بالله وحده • وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة • الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك • استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سياتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لان بناءه على النهي لاستغفاره عليه السلام لو افاده عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره ثم لبعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله الا موعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي

لورودها على طريق التوكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى • وما املك لك من الله من شيء • من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك وليس من طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى • ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير • الخ من تمام ما نقل عن ابرهيم ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى • ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا • بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه • واغفر لنا • ما فرط منا من الذنوب • ربنا انك انت العزيز • الغالب الذي لا يذل من التجا اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه • الحكيم • الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروه مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم • لقد كان لكم فيهم • اي في ابرهيم ومن معه • اسوة حسنة • تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى • لمن كان يرجو الله واليوم الآخر • بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخائل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله • ومن يتول فان الله هو الغني الحميد • فانه مما يوعد بامثاله الكفرة • عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم • اي من اقاربكم المشركين • مودة • بان يوافقوكم في الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة ابائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم • والله قدير • اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة • والله غفور رحيم • فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم • لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم • اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى • ان تبروهم • بدل من الموصول • وتقسطوا اليهم • اي تفضوا اليهم بالقسط اي العدل • ان الله يحب المقسطين • اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه • انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين • واخرجوكم من دياركم • وهم عتاة اهل مكة • وظاهروا على اخراجكم • وهم سائر اهلها • ان تولوهم • بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تتولوهم • ومن يتولهم • فاولئك هم الظالمون • لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب • يا ايها الذين آمنوا • بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين • اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات • من بين الكفار • فامتحنوهن • فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لالسنتهن في الايمان روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله • الله اعلم بايمانهن • لانه المطلع على ما في قلوبهن وحقيقة احوالهن • فان علمتموهن • بعد الامتحان • مؤمنات • علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بالحلف والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل او الاستشهاد بالامارات والمخائل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به • فلا ترجعوهن الى الكفار • اي الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى • لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن • فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني

والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد • وآتوهم ما انفقوا • اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية
على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر
المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان
الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضه
• ولا جناح عليكم ان تنكحوهن • فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار • اذا آتيتموهن اجورهن •
شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر • ولا تمسكوا بعصم الكوافر • جمع عصمة وهي ما يعتصم
به من عقد وسبب اي لا يكن بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضه من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن
بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق
الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسّكوا بالتشديد ولا تمسّكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا • واسألوا
ما انفقتم • من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار • وليسألوا ما انفقوا • من مهور ازواجهم المهاجرات • ذلكم
حكم الله • وقوله تعالى • يحكم بينكم • كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة
• والله عليم حكيم • يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الآية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن
المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى • وان فاتكم • اي سبقكم
وانفلت منكم • شيء من ازواجكم • اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع
في التعميم او شيء من مهور ازواجكم • الى الكفار • فعاقبتم • اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين
من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب
وغيره • فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا • من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه
ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فأعقبتم وفعقّبتم بالتشديد وفعقبتم
بالتخفيف بفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة
بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول • واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون •
فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى • يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك • اي مبايعات لك اي قاصدات
للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء • على ان لا يشركن بالله شيئا •
اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك • ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن • اريد به وأد البنات
وقرئ ولا يقتّلن بالتشديد • ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن • كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها
هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها
• ولا يعصينك في معروف • اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلعم
لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما
بينهن مع اختصاص بعضها بهن • فبايعهن • اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة من الصلوة و
الزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة
فيها من غير دعوة لهن اليها • واستغفر لهن الله • زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه السلام
بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن • ان الله غفور رحيم • اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين
بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عليه السلام لهن يومئذ فروي انه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر
اسفل منه فجعل عليه السلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح
من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروي انه عليه السلام بايعهن وبين يديه وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر
ما قالت عائشة والله ما اخذ رسول الله على النساء قط الا بما امره الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة

فقط وكان يقول اذا اخذ عليهن فقد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن
بقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن
فقد بايعتكن • يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم • يعم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها
نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم • قد يئسوا من الآخرة • لكفرهم بها او
لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات • كما يئس الكفار من اصحاب القبور •
اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها
الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار
في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية اربع عشر آية — بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم • الكلام فيه كالذي مر في نظيره • يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون • روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا
وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان ما نزل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
بين الاختلال ويروى انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة
الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه التزام ان ترتيب الآيات الكريمة ليس على
ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا
ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم
يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل
وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة
وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون
نفعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على
تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل
لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود • كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون • بيان لغاية
قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقصد فيه
التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز دلالة على ان قولهم ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب
فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى • ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا • بيان لما هو مرضي عنده
بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل او ادعاه
المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتّلون وصفا مصدر
وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى
• كأنهم بنيان مرصوص • حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص
بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى • واذ قال موسى لقومه • كلام مستأنف مقرر
لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي
واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان
حيث قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله

فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه عم كل الاذية • يا قوم لم تؤذونني
اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى • وقد تعلمون اني رسول الله اليكم • جملة حالية مؤكدة لانكار الاذاية
ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي
من المعجزات القاهرة التي من جملتها اهلاك عدوكم وانجاؤكم منه اني رسول الله اليكم لارشادكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية
علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي • فلما زاغوا • اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء به موسى عم
واستمروا عليه • ازاغ الله قلوبهم • اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين • اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم
الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة
للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين
وهم داخلون في حكمهم دخولا اوليا واياما كان فوصفهم بالفسق نظرا الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله
فلا تأس على القوم الفاسقين وهذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب
الاذية من انهم كانوا يؤذونه عم بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه و
عبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى
واذ قال عيسى ابن مريم • اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها • يا بني اسرائيل
ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله • اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية • فان تصديقه
عم اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى • ومبشرا برسول يأتي من بعدي • معطوف على مصدقا داع الى تصديقه
عليه السلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التورية والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول
والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم حال كوني مصدقا لما تقدمني من التورية ومبشرا بمن يأتي
من بعدي من رسول • اسمه احمد • اي محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان ديني التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم
وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء • فلما جاءهم بالبينات • اي بالمعجزات الظاهرة • قالوا هذا سحر مبين • مشيرين
الى ما جاء به او اليه عم وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر • ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو
يدعى الى الاسلام • اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع
الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض
ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه • والله لا يهدي
القوم الظالمين • اي لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه • يريدون ليطفئوا نور الله • اي يريدون ان
يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة
تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله • بافواههم • بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في
الشمس بفيه ليطفئه • والله متم نوره • اي مبلغه الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بالاضافة
ولو كره الكافرون • اي ارغاما لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مرارا • هو الذي ارسل رسوله بالهدى
بالقرآن او بالمعجزة • ودين الحق • والملة الحنيفية • ليظهره على الدين كله • ليعليه على جميع الاديان المخالفة
له ولقد انجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
ولو كره المشركون • ذلك وقرئ هو الذي ارسل نبيه • يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب اليم • وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم • استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الى آخره
وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله

ورسوله

ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر • ذلكم • اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد
وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة • خير لكم • على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم • ان كنتم تعلمون • اي ان كنتم من
اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم
الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون • يغفر لكم ذنوبكم • جواب للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله
جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة • ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ذلك • اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة
الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه • واخرى • ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة • تحبونها
وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ
خبره • نصر من الله • وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف • وفتح قريب • اي
عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا
ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا • وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا
ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا • يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله
وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله • كما قال عيسى
ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله • اي من جندي متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى • قال
الحواريون نحن انصار الله • والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص و
الثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال
لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن
به وكانوا اثني عشر رجلا • فآمنت طائفة من بني اسرائيل • اي بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين • وكفرت
طائفة • اخرى • فايدنا الذين آمنوا على عدوهم • اي قوينا محقهم على مبطلهم او بالسيف وذلك بعد
رفع عيسى عم • فاصبحوا ظاهرين • غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا
له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة احدى عشرة آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض • الملك القدوس العزيز الحكيم • وقرئ
الصفات الاربع بالرفع على المدح • هو الذي بعث في الاميين • اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون
قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار • رسولا منهم • اي من جملتهم
اميا مثلهم • يتلو عليهم آياته • مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم • ويزكيهم • صفة اخرى لرسولا اي
يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال • ويعلمهم الكتاب والحكمة • صفة
اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية
وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كل من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة
البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة
على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من الشرائع • وان كانوا

من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما يتوهم
من تعلمه عليه السلام من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة وآخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم اي
اي يعلمهم ويعلم الآخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما
يلحقوا بهم صفة لآخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا
اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذي امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله
واحسانه يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مثل
الذين حملوا التورية اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من
جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفارا اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها
ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني
بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف و
الفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا على ان
مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهو اولى على ان الموصول صفة القوم و
المخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله
لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موقع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه
ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول
لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة
ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من
ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون
منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما دل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي
الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة
والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون
من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما ينبئ
عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام
لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا
بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ
بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون
من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم
الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي
جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار
قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه
ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم
فسموه الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه
لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم

خرج

خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى
ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى
ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او
ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا
من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رض انه لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة
المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا
الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة
بتجارة من زيت الشام والنبي عليه السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام
الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم
الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة
برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك
بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف
الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير
من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين
فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وهي [illegible] آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان
واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى
والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وتسطير بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيطه التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه وايماء الى ان الامر لما
عسى ان يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة
عن اعتقاد كما اشير اليه ومواطأة قلب ولا اظهار لهم في مواقع الاخبار اتخذوا ايمانهم
الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها
جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل
فان ذلك متأخر عن المعاملة المحكية بوقوع الحاجة واتخاذ الجنة لابد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما
يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلام
ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم
بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه من الايمان انهم ساء ما كانوا يعملون
من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعي
عليهم انهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي

اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من دخل فى الاسلام ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا
بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل
وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم
لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم
وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه السلام ومن
معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يُسمع على البناء للمفعول
كأنهم خشب مسندة فى حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول
الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خُشْب على انه جمع
خشبة كبُدْن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها اى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم
وقرئ خَشَب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم
وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اى هم الكاملون فى
العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة
مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء فى قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر
بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم وتعليم للمؤمنين ان يدعوا
عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا
قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اى عطفوها استكبارا
ورأيتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم
استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه
وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام للتبيين لا لقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا
عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر ان الله لا يهدى
القوم الفاسقين الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد اياهم بأعيانهم
والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق او الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى
هم الذين يقولون اى للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف
جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان
ينفضوا ازوادهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدى
الى انفضاض الفقراء من حوله عليه السلام ببيان ان خزائن الارزاق بيده تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء
ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضى الله عنه
نازع سنانا الجهنى حليف ابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها
جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابى فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضائهم
به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله
والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون
روى ان عبد الله بن ابى لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان مخلصا
وقال لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله

وللمؤمنين

وللمؤمنين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع
بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه
النهى اليها للمبالغة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك اى التلهى بالدنيا عن الدين
فاولئك هم الخاسرون اى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما
رزقناكم اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل
ان يأتى احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من
الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما أخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتنى اى امهلتنى الى
اجل قريب اى امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمنى وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين
بالجزم عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان اخرتنى اصدق واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه
وقرئ واكون بالرفع اى وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اى ولن يمهلها اذا جاء
اجلها اى آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون
فمجاز لكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق صدق حبيب الله وصدق رسول الله

سورة التغابن وهى ثمانى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه
تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم
وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شئ قدير
لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذى خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية
ومع ذلك فمنكم كافر اى فبعضكم او فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن
مختار للايمان كاسب له حسبما تستدعيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة
الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم
الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ
والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان
خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية
وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم فى احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات
البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته واليه
المصير فى النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر
فيما خلقن له يعلم ما فى السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما
تسرون وما تعلنون اى ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذى
يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلى
مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة
على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من آثار الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء

ألم يأتكم ● أيها الكفرة ● نبأ الذين كفروا من قبل ● كقوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر ● فذاقوا وبال
أمرهم ● عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر
هائل وجناية عظيمة أي ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ● ولهم ● في الآخرة
عذاب أليم ● لا يقادر قدره ● ذلك ● أي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة
بأنه ● بسبب أن الشأن ● كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ● أي المعجزات الظاهرة ● فقالوا ● عطف على كانت
أبشر يهدوننا ● أي قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر
متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد أجمل في الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد
بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ● فكفروا ● أي بالرسل
وتولوا ● عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم ● واستغنى الله ● أي أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث
أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك ● والله غني ● عن العالمين فضلا عن إيمانهم وطاعتهم
حميد ● يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وإن لم يحمده حامد ● زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما في حيزه والمراد بالموصول كفار مكة أي زعموا
أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا ● قل ● ردا عليهم وإبطالا لزعمهم بإثبات ما نفوه ● بلى ● أي تبعثون وقوله
وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ● أي لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد
ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث والجزاء ● وذلك على الله يسير ● لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى
فآمنوا ● فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أي إذا كان الأمر كذلك فآمنوا ● بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم ● والنور الذي أنزلنا ● وهو القرآن فإنه بإعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما أن النور كذلك
والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال ● والله بما تعملون ● من الامتثال بالأمر وعدمه
خبير ● فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الأمر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات إلى الاسم
الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة ● يوم يجمعكم ● ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله
مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ● ليوم الجمع ● ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون
أي لأجل ما فيه من الحساب والجزاء ● ذلك يوم التغابن ● أي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الأشقياء
لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من
عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن
في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في أمور الدنيا ● ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ● أي عملا صالحا ● يكفر ● أي
الله عز وجل وقرئ بنون العظمة ● عنه سيئاته ● يوم القيمة ● ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا
وقرئ ندخله بالنون ● ذلك ● أي ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات ● الفوز العظيم ● الذي لا فوز وراءه
لانطوائه على النجاة من أعظم المهلكات والظفر بأجل الطلبات ● والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير ● أي النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ● ما أصاب من
مصيبة ● من المصائب الدنيوية ● إلا بإذن الله ● أي بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة
على إذنه تعالى ● ومن يؤمن بالله يهد قلبه ● عند إصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم
يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أي يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على
البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمز أي يسكن ● والله بكل شيء
من الأشياء التي من جملتها القلوب وأحوالها ● عليم ● فيعلم إيمان المؤمن ويهدي قلبه إلى ما ذكر ● وأطيعوا الله
وأطيعوا الرسول ● كرر الأمر للتأكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله

وبيان تحقق آخر متفرع عليه منوط به
ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين
ذلك ● أي ما ذكر من البعث والجزاء

فان

فإن توليتم ● أي عن إطاعة الرسول وقوله تعالى ● فإنما على رسولنا البلاغ المبين ● تعليل للجواب المحذوف أي فلا بأس
عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافا إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه
عليه السلام والإشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه ● الله لا إله
إلا هو ● جملة من مبتدأ وخبر أي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي إضمار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف
للنحاة معروف ● وعلى الله ● أي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا ● فليتوكل المؤمنون
وإظهار الجلالة في موقع الإضمار للإشعار بعلة التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية
وقطع التعلق عما سواه بالمرة ● يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ● يشغلونكم عن طاعة الله
أو يخاصمونكم في أمور الدين أو الدنيا ● فاحذروهم ● الضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى
فإنهم عدو لي أو للأزواج والأولاد جميعا فالمأمور به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثاني إما الحذر عن البعض لأن
منهم من ليس بعدو وإما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو ● وإن تعفوا ● عن ذنوبهم القابلة للعفو
بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ● وتصفحوا ● بترك التثريب والتعيير
وتغفروا ● بإخفائها وتمهيد عذرها ● فإن الله غفور رحيم ● يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل
إن ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا
فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم
العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار
الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة ● إنما أموالكم وأولادكم
فتنة ● بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم من حيث لا تحتسبون ● والله عنده أجر عظيم ● لمن آثر محبة الله تعالى
وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي في تدبير مصالحهم ● فاتقوا الله ما استطعتم ● أي ابذلوا في تقواه جهدكم
وطاقتكم ● واسمعوا ● مواعظه ● وأطيعوا ● أوامره ● وأنفقوا ● مما رزقكم في الوجوه التي أمركم بالإنفاق
فيها خالصا لوجهه ● خيرا لأنفسكم ● أي ائتوا خيرا لأنفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيد للحث على امتثال
هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيرا لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أي إنفاقا خيرا أو خبرا
لكان مقدرا جوابا للأوامر أي يكن خيرا لأنفسكم ● ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ● الفائزون بكل
مرام ● إن تقرضوا الله ● بصرف أموالكم إلى المصارف التي عينها ● قرضا حسنا ● مقرونا بالإخلاص وطيب النفس
يضاعفه لكم ● بالواحد عشرة إلى سبعمائة وأكثر وقرئ يضعفه لكم ● ويغفر لكم ● ببركة الإنفاق ما فرط منكم
من بعض الذنوب ● والله شكور ● يعطي الجزيل بمقابلة النزر القليل ● حليم ● لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم
عالم الغيب والشهادة ● لا يخفى عليه خافية ● العزيز الحكيم ● المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة صدق رسول الله وصدق حبيب الله فيما قال

سورة الطلاق اثنتا عشرة آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ● تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لأمته أيضا لتشريفه عليه السلام وإظهار
جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام إياهم وتغليبه عليهم لا لأن نداءه كنداءهم
فإن ذلك الاعتبار لو كان في حيز الرعاية لكان الخطاب هو الأحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى إذا أردتم تطليقهن
وعزمتم عليه كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة ● فطلقوهن لعدتهن ● أي مستقبلات لها كقولك أتيته لليلة بقيت
من شهر كذا فإن المرأة إذا طلقت في طهر يعقبه القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن
يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة ● وأحصوا

العدة • واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء كوامل • واتقوا الله ربكم • في تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفي
وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء • لا تخرجوهن من بيوتهن • من مساكنهن عند الفراق الى
ان ينقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن
ولا يخرجن • ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا
اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما • الا ان يأتين بفاحشة مبينة • استثناء من الاول قيل هي الزنا
فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن
عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة • وتلك • اشارة الى ما ذكر من الاحكام
وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها • حدود الله • التي
عينها لعباده • ومن يتعد حدود الله • اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار في حيز الاضمار
لتهويل امر التعدي والاشعار بعلية الحكم في قوله تعالى • لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا • فانه استئناف مسوق

فقد ظلم نفسه • اي اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه وقوله تعالى

لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه فلا بد ان يكون
الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص
التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه اقوى وقوله لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات
لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي عليه السلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري
ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته
فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح • فاذا بلغن اجلهن
شارفن آخر عدتهن • فامسكوهن • فراجعوهن • بمعروف • بحسن معاشرة وانفاق لائق • او فارقوهن
بمعروف • بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة • واشهدوا ذوي عدل منكم
عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب
في الرجعة • واقيموا الشهادة لله • ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى • ذلكم • اشارة الى الحث
على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية • يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر • اذ هو المنتفع به والمقصود
تذكيره وقوله تعالى • ومن يتق الله • الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء
عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله
فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها عن مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور • يجعل له مخرجا
مما عسى يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب • ويرزقه من حيث
لا يحتسب • اي من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله
ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة
فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات
الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها
وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة
فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة
من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت • ومن يتوكل على الله فهو حسبه • اي كافيه في جميع اموره • ان الله
بالغ امره • بالاضافة اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب
وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ امره وقرئ
بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى • قد جعل الله لكل شيء قدرا • اي تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان

لوجوب

لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره تعالى
لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى • واللائي يئسن من المحيض من نسائكم • لكبرهن وقد قدروه بستين سنة
وبخمس وخمسين • ان ارتبتم • اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن • فعدتهن ثلثة اشهر واللائي لم يحضن
بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه • واولات الاحمال اجلهن • اي
منتهى عدتهن • ان يضعن حملهن • سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما صح
من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان
سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد
حللت فتزوجي • ومن يتق الله • في شأن احكامه ومراعاة حقوقها • يجعل له من امره يسرا • اي يسهل عليه امره
ويوفقه للخير • ذلك • اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد
منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما ان المراد ليس تعيين المخاطبين • امر الله انزله اليكم
بين حاضر والمنفصل للتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن الخ
ومن يتق الله • بالمحافظة على احكامه • يكفر عنه سيئاته • فان الحسنات يذهبن السيئات • ويعظم له اجرا • بالمضاعفة
وقوله تعالى • اسكنوهن من حيث سكنتم • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل
كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى
من وجدكم • اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له • ولا تضاروهن
اي في السكنى • لتضيقوا عليهن • وتلجئوهن الى الخروج • وان كن • اي المطلقات • اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن • فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن ازواجهن فلا نفقة لها • فان ارضعن لكم
بعد ذلك • فآتوهن اجورهن • على الارضاع • وأتمروا بينكم بمعروف • اي تشاوروا وحقيقته ليأمر
بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة • وان تعاسرتم • اي
تضايقتم • فسترضع له اخرى • اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة • لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله • وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه
وسعه • لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها • جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر
وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل • سيجعل الله بعد عسر يسرا • اي عاجلا او آجلا
وكأين من قرية • اي كثير من اهل قرية • عتت • اي اعرضت • عن امر ربها ورسله • بالعتو والتمرد
والعناد • فحاسبناها حسابا شديدا • بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير • وعذبناها عذابا
نكرا • اي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما
كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة • فذاقت وبال امرها • وكان عاقبة امرها خسرا • لا خسر وراءه • اعد الله
لهم عذابا شديدا • تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل اعد الله لهم هذا العذاب • فاتقوا الله
يا اولي الالباب • ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم
عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأين • الذين آمنوا
منصوب بمضمر يعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله • قد
انزل الله اليكم ذكرا • هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه
ابدال قوله تعالى • رسولا • منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وانه لذكر
لك ولقومك كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى

خ التنقيح باز … ابو السعود رح … قال الكلام الى … قصر الانقطاع

عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير
به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان وهو القرآن ورسولا
منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى يتلو عليكم
آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات
واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على الاول ضمير الرسول
او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم الرسول او الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان
والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
في الضمائر الثلثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل
وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اي خلق من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدا وخبره
الارض ... واختلف في كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض
وارض مسافة كما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من
غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف
بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب
السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين
نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان نافع بن الازرق
سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام
باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها
قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء
وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه انها سبع ارضين متفرقة
بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في
كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ
ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمرهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر
على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك
ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق او تنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور
التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج من قدرته وعلمه شيء اصلا
وقرئ ليعلموا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم اثنا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك
حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة
وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل
جبريل عم فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عم شرب عسلا في بيت زينب

بجحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه
لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او
استيناف ببيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك هذه الزلة
رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اي شرع
لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والله مولاكم [illegible] المراد ههنا سيدكم ومتولي
اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا بما تقتضيه
الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه وهي حفصة حديثا اي حديث تحريم مارية او العسل او امر [illegible] فلما
نبات به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبات به واظهره الله عليه اي اطلع الله تعالى
النبي صلى الله عليه وسلم على افشاء حفصة عرف اي النبي عليه السلام حفصة بعضه بعض الحديث الذي فشته
قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا
بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نباها
به اي اخبر النبي عليه السلام حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انباك هذا اي افشائي للحديث قال
نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في
العتاب فقد صغت قلوبكما الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة
من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت
وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي تتعاونا عليه بما يسوءه من
الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن يعدم من يظاهره فان الله
هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق
بتوسطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبريل ظهير له
عليهما السلام يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان
بيان مظاهرتهما اشد تاثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين
كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك قيل اي بعد نصرة
الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه
فما ذا يفيد تظاهر امراتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث
ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب
ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب
الذكري من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام
ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفضلها على مظاهرة جبريل عم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
اي يعطيه عم بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب والتعميم للخطاب وليس فيه ما يدل على انه عم
لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب
وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات
لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ
سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي

وفعل الطاعات • واهليكم • بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن النفس الكل على تغليب المخاطبين اى قوا انتم واهلوكم انفسكم • نارا وقودها الناس والحجارة اى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء مثل النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير • عليها ملئكة اى تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية • غلاظ شداد • غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال الشديدة • لا يعصون الله ما امرهم • اى امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر وتلزمونه • ويفعلون ما يؤمرون • اى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى • يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم • مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال اى يقال لهم ذلك عند ادخال الملئكة اياهم النار حسبما امروا به • انما تجزون ما كنتم تعملون • فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد ما نهيتم عنها اشد النهى وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا • يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا • اى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون فى قبيح من القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن على رضى الله تعالى عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربى نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصى وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اى ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح انفسكم على انه مفعول له • عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار • ورود صيغة الاطماع للجرى على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ فى اقامة وظائف العبادة • يوم لا يخزى الله النبى • ظرف ليدخلكم • والذين آمنوا معه • عطف على النبى وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى • نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم • اى على الصراط وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى • يقولون • الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول اى يقولون اذا طفئ نور المنافقين • ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير • وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا • يا ايها النبى جاهد الكفار • بالسيف والمنافقين بالحجة • واغلظ عليهم • واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة • ومأواهم جهنم • سيرون فيها عذابا غليظا • وبئس المصير • اى جهنم او مصيرهم • ضرب الله مثلا للذين كفروا • ضرب المثل فى امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها فى الغرابة اى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى • امرأة نوح وامرأة لوط • اى حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى • كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين • بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى • فخانتاهما • بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى اى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان

والطاعة

والطاعة وقوله تعالى • فلم يغنيا • الخ بيان لما ادى اليه جنايتهما اى فلم يغن النبيان • عنهما • بحق الزواج • من الله • اى من عذابه تعالى • شيئا • اى شيئا من الاغناء • وقيل • لهما عند موتهما او يوم القيمة • ادخلا النار مع الداخلين • اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء • وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون • اى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهى فى اعلى غرف الجنة وقوله تعالى • اذ قالت • ظرف لمحذوف اشير اليه اى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت • رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة • قريبا من رحمتك او فى اعلى درجات المقربين روى انها لما قالت ذلك اريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها • ونجنى من فرعون وعمله • اى من نفسه الخبيثة وعمله السيئ • ونجنى من القوم الظالمين • من القبط التابعين له فى الظلم • ومريم ابنة عمران • عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اى وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا • التى احصنت فرجها فنفخنا فيه • وقرئ فيها اى فى مريم • من روحنا • من روح خلقناه بلا توسط اصل • وصدقت بكلمات ربها • بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه • وكتبه • بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل • وكانت من القانتين • اى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا

سورة الملك وهى ثلثون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• تبارك الذى بيده الملك • البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الانسب بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه من الصيغ كالتكبر ونحوه انما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز من القدرة التامة والاستيلاء الكامل اى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور • وهو على كل شئ • من الاشياء • قدير • مبالغ فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى • الذى خلق الموت والحيوة • شروع فى تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه تعالى خلق الموت فى صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحيوة فى صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحيوة واياما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارئ وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى • ليبلوكم ايكم احسن عملا • فان استدعاء ملاحظتهما

لاحسان العمل مما لاريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل
واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحياتكم على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا
فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم
بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف
من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر
في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في اياته المنصوبة في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على
يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب
ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره
ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد
المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل
لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلي
من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات
له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو
عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر
عن مباشرة نقائضهما ما لا يخفى • وهو العزيز • الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل • الغفور • لمن تاب منهم
• الذي خلق سبع سموات • قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق
بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة
البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدار البلوى كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى • طباقا • صفة لسبع سموات اي
مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا
وقوله تعالى • ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت • صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا
من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى • فارجع البصر هل ترى من فطور •
متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى
عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر • ثم ارجع البصر كرتين • اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت • ينقلب
اليك البصر خاسئا • اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار و
القماءة • وهو حسير • اي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى • ولقد زينا السماء الدنيا • بيان
لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها
اي وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض • بمصابيح • اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت
تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار في
فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار • وجعلناها رجوما للشياطين • وجعلنا لها فائدة اخرى هي رجم
اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون
ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به • واعتدنا لهم • في الآخرة • عذاب السعير • بعد الاحراق

في الدنيا بالشهب • وللذين كفروا بربهم • من الشياطين وغيرهم • عذاب جهنم • وقرئ بالنصب على انه عطف على
عذاب السعير وللذين على لهم • وبئس المصير • اي جهنم • اذا القوا فيها سمعوا لها • اي لجهنم وهو متعلق
بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى • شهيقا • لانه في الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا
اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق في الصدر والزفير في الحلق • وهي تفور • اي
والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى فيها زفير وشهيق
يرده قوله تعالى • تكاد تميز • اي تتميز وتتفرق • من الغيظ • اي من شدة الغضب عليهم فاستعير في اثر من آثار
الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم
والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى • كلما القي فيها فوج • استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان
حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة • سألهم خزنتها • بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا
عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة • الم يأتكم نذير • يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في
سورة الزمر ويتبرأ عنه جوابهم ايضا • قالوا • اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية • بلى قد جاءنا نذير •
جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم
وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي
واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى علينا من آياته • فكذبنا
ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى • وقلنا • في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير
• ما نزل الله • على احد • من شيء • من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم • ان انتم • اي ما انتم • في ادعاء
انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها • الا في ضلال كبير • بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب
كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه
فانه ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية
لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على الاختلاف من
الشرائع والاحكام باختلاف العصور والاعوام واين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر
حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام
اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول
ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة
للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم
سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين • وقالوا • ايضا معترفين بانهم
لم يكونوا ممن يسمع او يعقل • لو كنا نسمع • كلاما • او نعقل • شيئا • ما كنا في اصحاب السعير • اي في عدادهم
ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا
آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك • فاعترفوا بذنبهم • الذي هو كفرهم وتكذيبهم
بآيات الله ورسله • فسحقا • بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في
عمرك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله
فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي
لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى • لاصحاب السعير •
للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب • ان الذين يخشون
ربهم بالغيب • اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم • لهم

مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر
والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من
النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك واجهروا به
فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط
لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس
بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء
يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية
وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق
ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم
الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز ان يراد بذات
الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم
من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء
التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي اي الا يعلم ذلك والحال
انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال
انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لافراد العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من هو خالق
لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التأخر
عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر
من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا
في مناكبها لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب
البعير ارق اعضائه وانباها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها
لم يبق منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث
لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والائه أأمنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه
على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء اي أأمنتم من تزعمون
انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون
من رزقه لكفرانكم تلك النعمة اي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل الاشتمال من من وقيل
هو على حذف الجار اي من ان يخسف فاذا هي تمور اي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل
والاطمئنان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اي بل أأمنتم من
في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة
وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة
كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء
ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات
الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول
والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات

اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن
بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر في ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة
على صافات ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته
كل شيء بان براهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة او حال من الضمير في يقبضن
انه بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى أمن هذا الذي هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان
الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتي من قوله تعالى
ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى
نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة ببل المفيدة
للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل
الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية
وهو مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وايثار هذا لتحقير
المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم
او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في
زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من
عند الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة لقوله تعالى اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له
اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال
اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله
الا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة
للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل
غرورهم به والكلام في قوله تعالى أمن هذا الذي يرزقكم ان امسك اي الله عز وجل رزقه بامساك
المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه
المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو اي عناد
واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب
للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم
في مهاوي الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة يتوهم فيها
رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو
المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكب
خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو يعثر
في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه
ام من يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء لا عوج
فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة
على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير
وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة
قل هو الذي انشأكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من

الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها • والابصار • لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل
• والافئدة • لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة •
• قليلا ما تشكرون • اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد
القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم • قل هو الذي ذرأكم في الارض • اي خلقكم وكثركم
فيها لا غيره • واليه تحشرون • للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك • ويقولون • من
فرط عتوهم وعنادهم • متى هذا الوعد • اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون • ان كنتم صادقين •
يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عم في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب
الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته • قل انما العلم • اي العلم بوقته
• عند الله • عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي • وانما انا نذير مبين • انذركم وقوع الموعود لا محالة
واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء في قوله تعالى • فلما رأوه • فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب
الشرطية عليهما كأنه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الا ان المقدر
هناك امر واقع مرتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى • زلفة •
حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به
مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة • سيئت وجوه الذين كفروا • بان غشيتها الكآبة ورهقتها القتر
والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به • وقيل • توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم • هذا
• الذي كنتم به تدعون • اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو
من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد
• قل ارأيتم • اي اخبروني • ان اهلكني الله • اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم
وعلى المؤمنين بالهلاك • ومن معي • او رحمنا • بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين • فمن
• يجير الكافرين من عذاب اليم • اي لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر
وتعليل نفي الانجاء به • قل هو الرحمن • الذي ادعوكم الى عبادته مولي النعم كلها • آمنا به • وحده لما علمنا ان
كل ما سواه فاما نعمة او منعم عليه • وعليه توكلنا • لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر
• فستعلمون • عن قريب البتة • من هو في ضلال مبين • منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية
• قل ارأيتم • اي اخبروني • ان اصبح ماؤكم غورا • اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناوله الدلاء
وهو مصدر وصف به • فمن يأتيكم بماء معين • جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الملك فكأنما احيى ليلة القدر

سورة ن مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• ن • بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في
موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف
للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي او اسما للسورة منصوبا
في موقعه من الاعراب او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى • والقلم •
للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه والقلم ان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام
به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لما يتعلق به من المنافع ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لكتب الله
عز قائلا لكفى بها موجبا للتعظيم وقرئ بادغام النون في الواو • وما يسطرون • الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم

بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كأنه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم
على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد
بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى • ما انت بنعمة ربك بمجنون • جواب القسم والباء متعلقة
بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة
والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم
والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه
اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي • وان لك • بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك
لاعباء الرسالة • لاجرا • لثوابا عظيما لا يقادر قدره • غير ممنون • مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ
او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط • وانك لعلى خلق عظيم • لا يدرك شأوه
احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت
كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم • فستبصر
• ويبصرون • قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون
في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في نفوس
العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر • بأيكم المفتون • اي بأيكم الذي فتن
بالجنون والباء مزيدة او بأيكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او بأي الفريقين منكم المجنون
ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد
بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله •
تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل
عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا
هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره • وهو اعلم بالمهتدين •
الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما
يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى • فلا تطع المكذبين • لترتيب
النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب
للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم
باظهار خلاف ما في ضميره عم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى • ودوا لو تدهن • فانه
تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور
• فيدهنون • اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل
في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتي من بيان ان ادهانهم امر محقق لا يناسب
ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو الاظهار الملاينة فقط واما اضمار خلافها
فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على
جواب التمني المفهوم من ودوا وانما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان
الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كانه قيل ودوا ان تدهن
فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا
بذلك • ولا تطع كل حلاف • كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة

بذكره

لكونه ادخل في الزجر • مهين • حقير الرأي والتدبير • هماز • عياب طعان • مشاء بنميم • مضرب نقال
للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية • مناع للخير • اي بخيل والمناع
للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق • معتد • متجاوز في الظلم • اثيم • كثير الآثام • عتل
جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة • بعد ذلك • بعد ما عد من مثالبه • زنيم • دعي مأخوذ من الزنمة
وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح
قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا في قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل
هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة • ان كان ذا مال وبنين • متعلق بقوله تعالى لا تطع اي لا تطع
من هذه مثالبه لان كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى • اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين • استئناف
جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب باياتنا وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال
وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل في ذلك وقرئ ءان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اتطيعه
لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط للمخاطب اي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه
بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة • سنسمه على الخرطوم • بالكي على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد
جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة • انا بلوناهم
اي اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم • كما بلونا اصحاب الجنة • وهم قوم من اهل الصلوة كانت لابيهم
هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام و
يترك لهم ما اخطأه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا
صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك
قوله تعالى • اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين • ليقطعنها داخلين في الصباح • ولا يستثنون • اي لا يقولون ان شاء الله
وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا
ان يشاء الله بمعنى واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستأنفة • فطاف عليها • اي على
الجنة • طائف • بلاء طائف وقرئ طيف • من ربك • مبتدئ من جهته تعالى • وهم نائمون • غافلون عما جرى
به المقادير • فاصبحت كالصريم • كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيه شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل
اي احترقت فاسودت وقيل كالنهار اي يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمل
• فتنادوا • اي نادى بعضهم بعضا • مصبحين • داخلين في الصباح • ان اغدوا • اي اغدوا على ان ان مفسرة
او بان اغدوا على انها مصدرية اي اخرجوا غدوة • على حرثكم • بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى
الاقبال او الاستيلاء • ان كنتم صارمين • قاصدين الصرم • فانطلقوا وهم يتخافتون • اي يتشاورون فيما بينهم
بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش • ان لا يدخلنها • اي الجنة
• اليوم عليكم مسكين • ان مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهي المسكين عن
الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك ههنا • وغدوا على حرد قادرين • اي على نكد لا غير من
حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان يتنكدوا على المساكين ويحرموهم
وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا
الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها
اي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اي لم
يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اي غدوا قاصدين الى جنتهم

بسرعة

بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة • فلما رأوها قالوا • في بديهة رؤيتهم • انا لضالون
اي طريق جنتنا وما هي بها • بل نحن محرومون • قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عن قولهم الاول
اي لسنا ضالين بل محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا • قال اوسطهم • اي رأيا او سنا • الم اقل
لكم لولا تسبحون • لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك
اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم
كما ينبئ عنه قوله تعالى • قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين • وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه
تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه • فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون • اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من
اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره • قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين •
متجاوزين حدود الله • عسى ربنا ان يبدلنا • وقرئ بالتشديد اي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة • خيرا منها انا الى ربنا راغبون • راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع
عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله تعالى خيرا منها لنصنعن كما صنع
ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل ان يقتلع
تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود ان القوم
لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها حيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد
اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة أهم من اهل
الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن رحمه الله قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان
ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا
حكاه القشيري • كذلك العذاب • جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي
بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا • ولعذاب الآخرة اكبر • اعظم واشد • لو كانوا يعلمون • انه اكبر
لاحترزوا عما يؤديهم اليه • ان للمتقين • اي من الكفر والمعاصي • عند ربهم • اي في الآخرة او في جوار القدس
• جنات النعيم • جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا
وقوله تعالى • افنجعل المسلمين كالمجرمين • تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند
سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم
تكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد
الرد وتشديده • ما لكم كيف تحكمون • تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل • ام لكم كتاب
نازل من السماء • فيه تدرسون • اي تقرؤون • ان لكم فيه لما تخيرون • اي تختارونه وتشتهونه واصله ان
لكم بالفتح لانه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام
على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره اخذ خيره • ام لكم ايمان علينا • اي عهود مؤكدة بالايمان • بالغة
متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين • الى يوم القيامة • متعلق بالمقدر
في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ
ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين • ان لكم لما تحكمون • جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان
ام اقسمنا لكم • سلهم • تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب
اي سلهم مبكتا لهم • ايهم بذلك • الحكم الخارج عن العقول • زعيم • اي قائم يتصدى لتصحيحه • ام لهم شركاء •
يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم • فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين • في دعواهم اذ لا اقل

من التقليد وقد نبه في هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيء يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث
بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة • يوم يكشف عن ساق • اى يوم يشتد الامر ويصعب
الخطب وكشف الساق مثل في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب
عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اى يوم
يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء
للفاعل والمفعول والفعل للساعة او الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر
اى دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اى اذكر يوم او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق يكون من
الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف • ويدعون الى السجود • توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا
لهم على تفريطهم في ذلك • فلا يستطيعون • لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى
منهم ذلك عن ابن مسعود رضه تعقم اصلابهم اى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى
اصلابهم طبقا واحدا اى فقارة واحدة • خاشعة ابصارهم • حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على
الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور اثره فيها • ترهقهم • تلحقهم وتغشاهم • ذلة • شديدة • وقد كانوا
يدعون الى السجود • في الدنيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود
والدعوة دعوة التكليف • وهم سالمون • متمكنون منه اقوى تمكن اى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره
ثقة بظهوره • فذرني ومن يكذب بهذا الحديث • اى كله الي فاني اكفيكه اى حسبك في الايقاع به والانتقام
منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم المحكية
اى واذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب ومن يكذبك بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى
• سنستدرجهم • استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الاول اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها
كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اى سنستنزلهم الى العذاب درجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة • من حيث لا
يعلمون • انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم • واملي لهم
وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم • ان كيدي متين • لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسميته ذلك
كيدا لكونه في صورة الكيد • ام تسألهم • على الابلاغ والارشاد • اجرا • دنيويا • فهم من مغرم • اى غرامة تحملها
مثقلون • مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك • ام عندهم الغيب • اى اللوح او المغيبات • فهم يكتبون • منه ما
يحكمون ويستغنون به عن علمك • فاصبر لحكم ربك • وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم • ولا تكن كصاحب الحوت
اى يونس عم • اذ نادى • في بطن الحوت • وهو مكظوم • مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على
النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اى لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك
ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه • لولا ان تداركه نعمة من ربه • وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه
وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه
تتداركه • لنبذ بالعراء • بالارض الخالية من الاشجار • وهو مذموم • مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع
نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في قوله تعالى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون
المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى • فاجتباه ربه • عطف على مقدر اى فتداركته نعمة من ربه فاجتباه
بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة • فجعله
من الصالحين • من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد
حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف
• وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم • وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ونحو

وان س

وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون
يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون
يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن
دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية • لما سمعوا الذكر • اى وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية
منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه • ويقولون • لغاية حيرتهم في امره عم
ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع
ولتنفير الناس عنه • انه لمجنون • وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان
علو شأنه وسطوع برهانه فقيل • وما هو الا ذكر للعالمين • على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان
قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اى تذكير وبيان
لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا
مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة احد وخمسون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• الحاقة • اى الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي يحق فيها الامور الحقة من
الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل
لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم واياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه
بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها • ما الحاقة • على ان ما مبتدأ ثان والحاقة
خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اى اى شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال
فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان
مقتضى التحقيق ان تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما
يفيده كونها خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى • وما ادراك
اى واى شيء اعلمك • ما الحاقة • تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى
ان عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي
اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما
الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول
الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة
الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر • كذبت ثمود وعاد
• بالقارعة • اى بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار و
الارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها
تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه بها احد كأنه
قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من احوالها
كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل
وشرفها كذلك المبين ههنا هو الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما

ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر

ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا • فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية • اى بالواقعة المجاوزة للحد
وهى الصيحة او الرجفة • واما عاد فاهلكوا بريح صرصر • اى شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها
عاتية • شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله
سخرها عليهم • الخ استئناف جئ به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اى سلطها الله تعالى عليهم بقدرته القاهرة • سبع
ليال وثمانية ايام حسوما • اى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او
على المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب
الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها
وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر
وقيل مكفئ الظعن • فترى القوم • ان كنت حاضرا حينئذ • فيها • فى مهابها او فى تلك الليالى والايام • صرعى
موتى جمع صريع • كانهم اعجاز نخل • اى اصول نخل • خاوية • متآكلة الاجواف • فهل ترى لهم من باقية • اى
بقية او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية • وجاء فرعون ومن قبله • اى ومن تقدمه وقرئ
ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه • والمؤتفكات • اى قرى قوم لوط اى اهلها
بالخاطئة • بالخطاء او بالفعلة او الافعال ذات الخطاء التى من جملتها تكذيب البعث والقيمة • فعصوا رسول
ربهم • اى فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح • فاخذهم • اى الله عز وجل
اخذة رابية • اى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشئ اذا زاد • انا لما طغى الماء
بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عليه السلام فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها
احوال القيامة • حملناكم • اى فى اصلاب آبائكم • فى الجارية • فى سفينة نوح عم والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق
الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف
هو حال من مفعوله اى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونهم فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على
ان مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى • لنجعلها • اى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء
المؤمنين واغراق الكافرين • لكم تذكرة • عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته
وتعيها • اى تحفظها والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرئ
وتعيها بسكون العين تشبيها له بكتف • اذن واعية • اى اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره و
اشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه مع قلته يتسبب لنجاة الجم
الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف • فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة • شروع فى بيان نفس الحاقة
وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره
للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب
العالم • وحملت الارض والجبال • اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة او
الريح العاصفة • فدكتا دكة واحدة • اى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق
وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان • فيومئذ • فحينئذ • وقعت الواقعة
اى قامت القيامة • وانشقت السماء • لنزول الملائكة • فهى • اى السماء • يومئذ واهية • ضعيفة
مسترخية بعد ما كانت محكمة • والملك • اى الخلق المعروف بالملك • على ارجائها • اى جوانبها جمع رجا
بالقصر اى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون الى اكنافها وحافاتها • ويحمل عرش ربك فوقهم • فوق الملائكة

الذين

الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية • يومئذ ثمانية • من الملائكة عن النبى صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا
كان يوم القيامة ايدهم الله تعالى باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش
فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة
الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك فى خلق الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما
وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم ثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك
ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى
بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا
فشؤنه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة • يومئذ تعرضون • اى تسألون وتحاسبون
عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان فى يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان
فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا و
ان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال
اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل • لا تخفى منكم خافية • حال من مرفوع تعرضون اى تعرضون
غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل او غير خاف يومئذ
على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية • فاما من اوتى كتابه بيمينه • تفصيل لاحكام العرض
فيقول • تبجحا وابتهاجا • هاؤم اقرؤا كتابيه • هاء اسم لخذ وفيه ثلث لغات اجودهن ها يا رجل
وها يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا
لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه
وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام • انى ظننت انى
ملاق حسابيه • اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح فى الاعتقاد ما يهجس فى النفس من الخطرات التى
لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا • فهو فى عيشة راضية • ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة
بالحرف وجعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم • فى جنة
عالية • مرتفعة المكان لانها فى السماء او الدرجات او الابنية والاشجار • قطوفها • جمع قطف وهو ما يجتنى
بسرعة والقطف بالفتح مصدر • دانية • يتناولها القاعد • كلوا واشربوا • باضمار القول والجمع باعتبار المعنى
هنيئا • اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا • بما اسلفتم • بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة • فى الايام
الخالية • اى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طالما نظرت اليكم
فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا
الآية • واما من اوتى كتابه بشماله • ورأى ما فيه من قبائح الاعمال • فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه • لما شاهد من سوء العاقبة • يا ليتها • يا ليت الموتة التى متها • كانت القاضية • اى القاطعة
لامرى ولم ابعث بعدها ولم القى ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اى يا ليت هذه
الحالة كانت الموتة التى قضت على لما انه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا
اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا • ما اغنى عنى ماليه • مالى من المال والاتباع على ان ما نافية
والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من اليسار • هلك عنى سلطانيه • اى ملكى
وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا او تسلطى على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات
خذوه • حكاية لما يقوله الله عز وجل يومئذ لخزنة النار • فغلوه • اى شدوه بالاغلال • ثم الجحيم صلوه • اى

اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا اى طولها فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق
لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به وثم لتفاوت
ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك فى السلسلة فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل بطريق الاستئناف
للتحقيق ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا
يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه
على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة
ولعل تخصيص الامرين بالذكر لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا
حميم اى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين
اى من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل
اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رض انهم المشركون وقرئ الخاطيون
بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله
فلا اقسم اى فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن
التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر فى سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات
والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة
والاول منتظم للكل انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه
كريم على الله تعالى وهو النبى او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما
تؤمنون اى ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى قليلا ما
تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تتذكرون
اصلا وقيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره
الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها يتوقف على تذكر احواله صلى الله عليه وسلم ومعانى القرآن المنافية لطريقة
الكهنة ومعانى اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من
رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه
قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه
باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله
الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة فى
قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين فما منكم ايها الناس من احد عنه عن القتل
او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام وانه اى القرآن لتذكرة للمتقين
لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم
لثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين الذى لا يحوم حوله ريب ما فسبح باسم ربك العظيم اى فسبح بذكر اسمه
العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى صلعم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج وهى اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل اى دعا داع بعذاب واقع اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا
من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه
من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله
تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال
اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اى اندفع واد بعذاب واقع
وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال
الفهرى واما فى الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اى كائن للكافرين او صلة لواقع او
متعلق بسائل اى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل او من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اى
ليس له دافع من جهته تعالى ذى المعارج ذى المصاعد التى تصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهى او هى عبارة عن
السموات المترتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اى جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل
الروح جند هم خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه اى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه
اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عم انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى به فى يوم كان مقداره خمسين
الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل
والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا
وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اى يقطعون فى
يوم ما يقطعه الانسان فى خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير
كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته اما لانه كذلك فى الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة
ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك فى حق الكافر واما فى حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدرى
رض انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال عليه السلام والذى نفسى بيده انه ليخفف على
المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال
لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عم او كان عن تضجر واستبطاء
للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه
اى العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق فى يوم بواقع بعيدا اى يستبعدونه بطريق الاحالة
فلذلك يسألون به ونراه قريبا هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبر
بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اى يمكن
ولا يتعذر فى ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اى يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يوصف او بدل من فى يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى
سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد و
نحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر او ابو جهل او الفهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن
كما فى قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله
فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون
الخ متعلق بليس له دافع او بما دل هو عليه اى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات
وقيل دردى الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد
بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل
حميم حميما اى لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء

للمفعول اي لا يطلب من حميم حميمه ولا يُسأل منه حاله يُبصَّرونهم اي يُبصَّر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما
يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادل
في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يُبصِرونهم والجملة استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب
وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه
حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وسبك منها وما بعدها مصدر
يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث
يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على
البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته
اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من
الثقلين او الخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد
الانجاء يعني تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع
للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او مبهم
ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب
على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلد الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر
ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعو اي تجذب وتحضر و
قيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط
الحب وقيل تدعو اهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة
وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل عن الدين وزهى باقتنائه
حرصا وتأميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره
احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه
واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة
او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء
للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لاباءة نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق
على الخلق والايمان بالجزاء والخوف عن العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة
الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلوتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل
والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس
من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأله والمحروم الذي لا يسأله فيظن انه غني
فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا
في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استحقارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يؤذن بانه لا
ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى اي طلب لنفسه
وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك المبتغون هم العادون
المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقهما والذين

هم

هم بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في
الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلوتهم يحافظون
اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا
واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات
منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم ايذانا بان
كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات
اي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر اخر وفي جنات
متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل او بمضمر هو حال من الضمير في الخبر اي مكرمون كائنين في جنات فمال الذين
كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك
عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزي الى
غير من يعتزي اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا و
يستهزئون بكلامه عم ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا ردع لهم من ذلك الطمع الفارغ انا
خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل ما يعلمون كما في قول الاعشى
أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها
بذلك فهو بمعزل من ان يتبوأ متبوأ الكاملين فمن اين لهم ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر و
الفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم
ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل بالايمان
والطاعة ولم تتخلق بالاخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاقرب انه كلام مستأنف قد
سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون
من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم برب
المشارق والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق
آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة
اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم فخلهم وشأنهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة
الاولى كما توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول
من الاخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون اي مسرعين كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد
من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون
خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم
ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي
كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي عم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح اربع وعشرون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا الى قومه أن انذر قومك • اى بان انذرهم على ان أن مصدرية حذف منها الجار واوصل اليها
الفعل فان حذفه مع أن وأنّ مطرد وجعلت صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان مدار وصلها بصيغ الافعال
دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل
الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء
في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد
عن معنى الامر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل ارسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه
بالامر بالانذار ويجوز ان يكون أن مفسرة لما في الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول
محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ انذر بغير أن على ارادة القول
من قبل ان يأتيهم عذاب اليم • عاجل او آجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا • قال • استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية ارساله بالوجه المذكور كأنه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم • يا قوم اني لكم نذير مبين •
منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى • ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون • متعلق بنذير على الوجهين المذكورين
يغفر لكم من ذنوبكم • اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فان الاسلام يجبه • ويؤخركم الى اجل مسمى
هو الامد الاقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان
فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح في ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا
وهو المراد بقوله تعالى • ان اجل الله • ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر • اذا جاء • وانتم على ما انتم عليه من الكفر
لا يؤخر • فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق
شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز ان يراد به وقت اتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل ان يأتيهم
عذاب اليم فانه اجل موقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة
المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلا بد ان يكون المنفي عند مجيء الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور ان يكون
ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى • لو كنتم تعلمون • اى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما امرتكم به • قال
اى نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو اعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال
بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل
رب اني دعوت قومي • الى الايمان والطاعة • ليلا ونهارا • اى دائما من غير فتور ولا توان
فلم يزدهم دعائي الا فرارا • مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم
ايمانا • واني كلما دعوتهم • اى الى الايمان • لتغفر لهم • بسببه • جعلوا اصابعهم في آذانهم • اى سدوا مسامعهم
من استماع الدعوة • واستغشوا ثيابهم • اى بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا
يبصروني كراهة النظر اليه او لئلا يعرفهم فيدعوهم • واصروا • اى اكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من اصر الحمار على
العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها • واستكبروا • عن اتباعي وطاعتي • استكبارا • شديدا • ثم اني
دعوتهم جهارا • ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا • اى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه
متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد
او لتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم
او هو صفة لمصدر اى دعوتهم دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدر في موقع الحال اى مجاهرا • فقلت استغفروا
ربكم • بالتوبة عن الكفر والمعاصي • انه كان غفارا • للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على حق

فكيف

فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحو ما سلف منهم من المعاصي
ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع في قلوبهم واحب اليهم من العوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير
الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان
يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه • يرسل السماء عليكم مدرارا • اى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة
او السحاب • ويمددكم باموال وبنين • ويجعل لكم جنات • بساتين • ويجعل لكم • فيها • انهارا
جارية • ما لكم لا ترجون لله وقارا • انكار لان يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء
بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على ان الانكار متوجه الى السبب
فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا
ولو تأخر لكان صفة له اى اى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة
له • وقد خلقكم اطوارا • اى والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهي انكم تعلمون انه تعالى خلقكم تارات
عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر فان التقصير في توقير من هذه
شئونه في القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى
الامل اى ما لكم لا تأملون له تعالى توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى
اياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق
بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد
حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله تعالى اياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد والانكار مع ان في حمل الوقار
بمعنى التوقير ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون ثمة من التعسف في قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة
للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضي ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين
وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة
اى اى عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما لكم لا تخشون لله عقابا
ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم
ارج اى لم ابال وقوله تعالى • الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا • اى متطابقة بعضها فوق بعض
وجعل القمر فيهن نورا • اى منورا لوجه الارض في ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه في السماء الدنيا
لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل او لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها
سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل • وجعل الشمس سراجا • يزيل ظلمة
الليل ويبصر اهل الدنيا في ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون
الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور في الجملة • والله انبتكم من الارض نباتا • اى انشأكم منها فاستعير
الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى
اسم مصدر او لما ترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم نباتا ويجوز ان يكون الاصل انبتكم من الارض انباتا فنبتم
نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الاخرى كما مر في قوله تعالى
ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك
بخير فلا راد لفضله • ثم يعيدكم فيها • بالدفن عند موتكم • ويخرجكم • منها عند البعث والحشر • اخراجا
محققا لا ريب فيه • والله جعل لكم الارض بساطا • تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل
ومفعوليه مع ان حقه التأخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق الى المؤخر فان النفس
عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل

تمكن • لتسلكوا منها سبلا فجاجا • اي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن
متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا اي كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها • قال نوح
اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه اي قال مناجيا له تعالى • رب انهم عصوني • اي داموا على عصياني فيما
امرتهم به مع ما بالغت في ارشادهم بالعظة والتذكير • واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا • اي واستمروا
على اتباع رؤسائهم الذين ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الآخرة فصاروا
اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لما
شاهدوا فيهم كما شبهته مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد
ومكروا • عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها • مكرا كبارا
اي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه وهو ابلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه
وتحريشهم لهم على اذية نوح عليه السلام • وقالوا لا تذرن آلهتكم • اي لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا • اي ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها
فيما سبق لانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب وسواع
لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من اولاد آدم
ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم
انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق
على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية •
وقد اضلوا • اي الرؤساء • كثيرا • خلقا كثيرا او الاصنام كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس • ولا تزد
الظالمين الا ضلالا • عطف على قوله تعالى رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه اي قال
رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم
به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما في قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر
ويؤيده ما سيأتي من دعائه • مما خطيئاتهم • اي من اجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم
ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم اي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغير
خطاياهم • اغرقوا • بالطوفان لا بسبب آخر • فادخلوا نارا • المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا
في الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب واما عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم
لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار • فلم يجدوا
لهم من دون الله انصارا • اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها
غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم • وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا • عطف على نظيره السابق وقوله تعالى
مما خطيئاتهم الى آخره اعتراض وسط بين دعائه وللايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم
التي عددها نوح واشار الى استحقاقهم للهلاك لاجلها لا انها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه
وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار
ودوري كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار قد فعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان
دوارا • انك ان تذرهم • عليها كلا او بعضا • يضلوا عبادك • عن طريق الحق • ولا يلدوا الا فاجرا كفارا • اي
الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من
اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعدما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة
• رب اغفر لي ولوالدي • ابوه متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي

يريد

يريد ساما وحاما • ولمن دخل بيتي • اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي • مؤمنا • بهذا القيد خرجت
امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود
وللمؤمنين والمؤمنات • عمهم بالدعاء اثر ما خص من يتصل به نسبا ودينا • ولا تزد الظالمين الا تبارا •
اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم بارائة
هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى
وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب
آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من
قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه الصلوة والسلام

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

قل اوحي الي • وقرئ احي واصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة
كاعد وازن في وعد ووزن • انه • بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان • استمع • اي القرآن كما ذكر
في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه • نفر من الجن • النفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة
خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن
ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات
قراءته فسمعوها فاخبر الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف • فقالوا • لقومهم عند رجوعهم اليهم
انا سمعنا قرآنا • كتابا مقروءا • عجبا • بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر
وصف به للمبالغة • يهدي الى الرشد • الى الحق والصواب • فآمنا به • اي بذلك القرآن • ولن نشرك بربنا
احدا • حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد • وانه تعالى جد ربنا • بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل
المصدرة بان في اثني عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من الجد الذي هو
البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر كذا الجمل التي بعده
عطفا على المحكي بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراجها كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان
والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا فقوله تعالى • ما اتخذ
صاحبة ولا ولدا • بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته
وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا
للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه •
وانه كان يقول سفيهنا • اي ابليس او مردة الجن • على الله شططا • اي قولا ذا شطط اي بعد ومجاوزة عن القصد
ومجاوزة للحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان
والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفيههم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا
كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا في حقه تعالى كان شططا واما تعلقها بقوله تعالى • وانا ظننا ان لن
تقول الانس والجن على الله كذبا • فظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان لن يكذب على
الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله • وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف
اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول
• وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن • كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف

على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا
وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اى زاد الرجال العائذون الجن رهقا
اى تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اى الانس
كما ظننتم ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما
ظننتم ايها الكفرة فيكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب انهما كذلك على كل تقدير عطفا
على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده
من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل
قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اى طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس
يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اى حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ
ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار
الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة
للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة للسمع
فمن يستمع الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا اى شهابا راصدا له ولاجله
يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا
عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم والصحيح انه كان قبل البعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة
حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك
قولهم وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اى خيرا وفيه نسبة
الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره وانا
منا الصالحون اى الموصوفون بصلاح الحال في شأن انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح
حسبما يقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك اى قوم
دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما
توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا واما حالهم
بعد استماعه فيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا ذوي طرائق
اى مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد
كالقطعة من قطع وانا ظننا اى علمنا الآن ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله كائنين
في الارض اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان
اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اى طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القرآن الذي هو الهدى بعينه آمنا به
من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اى نقصا في الجزاء
ولا رهقا اى ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس لاحد حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف
جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق
نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اى الجائرون عن طريق الحق الذي هو
الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا توخوا رشدا
عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون اى الجائرون عن سنن الاسلام فكانوا لجهنم حطبا
توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع
والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة التي هي ملة الاسلام

لاسقيناهم

لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش
والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة
الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه
لنختبرهم كيف يشكرون وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق
استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه
يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة
وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اى واوحي الي ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه و
لان المساجد لله فلا تدعوا اى فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام
والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي
صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل
السجدات على انه جمع المصدر الميمي وانه من جملة الموحى اى واوحي الي ان الشان لما قام عبد الله اى
النبي صلى الله عليه وسلم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع
كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف
كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته و
سمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون
عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهي بمعنى اللبد
ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر اى عبد قل انما ادعو ربي ولا اشرك
به احدا في العبادة فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب والاطباق على عداوتي وقرئ
قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا املك
لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر
في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا ملجأ ومعدلا
وهذا بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عن شئون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء
من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد
من دونه منجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا
من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته اى الا بلاغا
كائنا من الله تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه
فان له نار جهنم وقرئ فان على ان التقدير فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها في النار او في جهنم
والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من
استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون
من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وهل هو او هم وقيل
[illegible] قل ان ادري اى ما ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا
فانه لما قال المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا واستهزاء به قيل قل انه كائن
لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع خبر مبتدأ محذوف اى هو عالم الغيب [illegible]
[illegible] فلا يظهر على غيبه احدا [illegible]
[illegible]

والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف
جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه • الا من ارتضى من رسول • اي الا رسولا ارتضاه
لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادي رسالته
بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون
وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من احوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة
والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين
من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي
عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية
من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء
ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى • فانه يسلك من بين يديه •
ومن خلفه رصدا • تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من
جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من
الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى • ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم • متعلق بيسلك غاية له من حيث انه
مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها
الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهار المرتضى عليه والجمع
باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه
رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط على استماع الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله
حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار
بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما
ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى امهم
كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى • واحاط بما لديهم • اي بما عند
الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه
تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى
بما ذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا • واحصى كل شيء • مما كان وما سيكون • عددا •
اي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل
هو حال اي معدودا محصورا او ايا ما كان ففائدته بيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلي اجمالي بل على
وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا على التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا
من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه
هذا واما ما قيل من قوله تعالى واحاط بما لديهم الى آخره معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كانه قيل
قد علم ذلك واحاط بما لديهم آه فبمعزل من السداد عن النبي عم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب
به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وهي تسع عشرة آية ۞ بسم الله الرحمن الرحيم

• يا ايها المزمل • اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ على الاصل
وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان

عليه من الحالة حيث كان عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر
بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عم على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليهما السلام
وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف
التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضها فاتاه وهو نائم وقد
لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما هو امر النبوة
اي حمله والزمل الحمل وازدمله اي احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عليه السلام
لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة • قم الليل • اي قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل
القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها • الا قليلا • استثناء من الليل وقوله تعالى • نصفه
بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء
المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه
عن القيام خلاف الظاهر • او انقص منه • اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى • قليلا • اي نقصا
قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف • او زد عليه • اي زد القيام على النصف المقارن له
فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس
بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء
المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن
له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار
بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان
يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل
من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا وقيل وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله تعالى اعلم
بما في كتابه الجليل • ورتل القرآن • في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف • ترتيلا •
بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا • انا سنلقي عليك • اي سنوحي
اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى • قولا ثقيلا • وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين
لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه عليه السلام مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله
لتسهيل ما كلفه عم من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل
فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس
رضي الله عنه كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا • ان ناشئة الليل • اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة
اي تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعاقبة او ان العبادة التي
تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ
• هي اشد وطئا • اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء اي اشد مواطأة
يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات
او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص • واقوم قيلا • واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب
وهدوء الاصوات • ان لك في النهار سبحا طويلا • اي تقلبا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع
ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقيل

سبحا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبح الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه • واذكر اسم ربك • ودم على ذكره
ليلا ونهارا على اى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم • وتبتل اليه • اى انقطع
بمجامع الهمم واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوايق الصادة عن مراقبة
الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل • تبتيلا • مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل • رب المشرق والمغرب
مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره • لا اله الا هو • وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم
جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى • فاتخذه وكيلا • لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية
به تعالى • واصبر على ما يقولون • مما لا خير فيه من الخرافات • واهجرهم هجرا جميلا • بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم
وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى • وذرنى والمكذبين • اى دعنى واياهم وكل امرهم الى فانى اكفيكهم
• اولى النعمة • ارباب التنعم وهم صناديد قريش • ومهلهم قليلا • زمانا قليلا • ان لدينا انكالا • جمع
نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اى ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم • وجحيما وطعاما ذا غصة • ينشب فى
الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم • وعذابا اليما • ونوعا آخر من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك
كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى • يوم ترجف الارض والجبال • اى تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار
الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا يوم ترجف • وكانت الجبال • مع صلابتها
وارتفاعها • كثيبا • رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول • مهيلا • منثورا من هيل هيلا
اذا نثر واسيل • انا ارسلنا اليكم • يا اهل مكة • رسولا شاهدا عليكم • يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم
من الكفر والعصيان • كما ارسلنا الى فرعون رسولا • هو موسى عم وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه
• فعصى فرعون الرسول • الذى ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اى انا ارسلنا
اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله
• فاخذناه اخذا وبيلا • خارج من التشبيه جئ به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل
الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اى وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة • فكيف تتقون • اى كيف
تقون انفسكم • ان كفرتم • اى بقيتم على الكفر • يوما • اى عذاب يوم • يجعل الولدان • من شدة هوله وفظاعة
ما فيه من الدواهى • شيبا • شيوخا جمع اشيب اما حقيقة وتمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء
ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك • السماء منفطر • اى
منشق وقرئ متفطر اى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها
وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب اى
ذات انفطار والباء فى قوله تعالى • به • مثلها فى فطرت العود بالقدوم • كان وعده مفعولا • الضمير لله تعالى
عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله ولليوم وهو مضاف الى مفعوله • ان هذه • اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع
المذكورة • تذكرة • موعظة • فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا • بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى
رضوانه • ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل • اى اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين
اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز • ونصفه وثلثه • بالنصب عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل • وطائفة
• من الذين معك • اى ويقوم معك طائفة من اصحابك • والله يقدر الليل والنهار • وحده لا يقدر على
تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدا وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى • علم
• ان لن تحصوه • اى علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا • فتاب عليكم
بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه • فاقرءوا ما تيسر من القرآن • فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل
عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به

ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل
من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية • علم ان سيكون منكم مرضى • استيناف مبين لحكمة اخرى داعية
الى الترخيص والتخفيف • وآخرون يضربون فى الارض • يسافرون فيها للتجارة • يبتغون من فضل الله • وهو الربح
وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم • وآخرون يقاتلون فى سبيل الله • واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى
الى الترخيص • فاقرءوا ما تيسر منه • من غير تحمل المشاق • واقيموا الصلوة • اى المفروضة • وآتوا الزكوة
الواجبة وقيل هى زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا • واقرضوا
الله قرضا حسنا • يريد به الانفاقات فى سبيل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء
• وما تقدموا لانفسكم من خير • اى خير كان مما ذكر وما لم يذكر • تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا • من
الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين معرفتين
فان افعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر • واستغفروا
الله • فى كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط • ان الله غفور رحيم • عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المزمل رفع الله تعالى عنه العسر فى الدنيا والآخرة

سورة المدثر ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• يا ايها المدثر • اى المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى
اول سورة نزلت روى عن جابر رض عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل حراء فاذا به قاعد
على عرش بين السماء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم ار شيئا فنظرت فوقى
فاذا قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى
دثرونى فنزل جبريل فقال يا ايها المدثر وعن الزهرى ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عم وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة
فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه
متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد
المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اى الذى دثر هذا
الامر العظيم وعصب به وفى حرف ابى المتدثر يا ايها المتدثر على الاصل • قم • اى من مضجعك او قم قيام
عزم وتصميم • فانذر • اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا • وربك فكبر
واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله الله اكبر
فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان
اى اى شئ حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه و
ينزهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه • وثيابك فطهر
مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلوة واولى واحب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها
بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام
من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات
يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق • والرجز
• فاهجر • اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر

والذكر • ولا تمنن تستكثر • ولا تعط مستكثراً اي رائياً لما تعطيه كثيراً او طالباً للكثير على انه نهي عن الاستغزار
وهو ان يهب شيئاً وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من
هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب
او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتباراً بحال الوقف او ابدالاً من تمنن كانه قيل لا تمنن لا تستكثر
على انه من المن الذي في قوله تعالى مناً ولا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره وبالنصب على اضمار ان
ان مع ابقاء عملها كقول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغا وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز في قراءة الرفع
بحذف ان وابطال عملها كما روي احضر الوغا بالرفع • ولربك • اي لوجهه تعالى او لامره • فاصبر
فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض • فاذا نقر في الناقور • اي نفخ في الصور
وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر
على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه
قوله تعالى • فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين • فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى
وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد باعتبار المنزلة للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله
الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف
للخبر اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلق بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن
فيه وقوله تعالى • غير يسير • تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين ولعل المراد به يوم النفخة
الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي هو الاصعاق
يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حياً عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور ثقباً بعدد
الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذي
نزعت منه فيعود الجسد حياً باذن الله عز وجل • ذرني ومن خلقت وحيداً • حال من الياء اي ذرني
وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العائد
المحذوف اي من خلقته وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان ملقباً
في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيداً
من المال والولد او وحيداً من ابيه لانه كان زنيماً كما مر او وحيداً في الشرارة • وجعلت له مالاً
ممدوداً • مبسوطاً كثيراً او ممداً بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة
وعن ابن عباس رض هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف
بستان لا ينقطع ثماره صيفاً وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال
قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة آلاف دينار وقال الثوري ايضاً الف الف دينار
• وبنين شهوداً • حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل او تجارة لكونهم مكفيين
لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضوراً في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين
وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس
وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة • ومهدت له تمهيداً • وبسطت له الرياسة والجاه
العريض حتى لقب ريحانة قريش • ثم يطمع ان ازيد • على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه
وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم
وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة الا لي • كلا • ردع وزجر له عن طمعه الفارغ
وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى • انه كان لآياتنا عنيداً • تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي

تمامه وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

فان

فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتي ما اوتي استدراجاً قيل
ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك • سارهقه صعوداً • ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او
الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة
في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلى الله عليه وسلم
الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك ابداً • انه فكر وقدر • تعليل للوعيد واستحقاقه
او بيان لعناده لآياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شان القرآن وقدر في نفسه ما يقوله • فقتل كيف قدر • تعجيب
من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما كرروه
من قولهم قتل كيف قدر تهكماً بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله
ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقاً بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني
مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش
كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزيناً وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمداً مجنون
فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون
انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما
رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحاً
وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه • ثم قتل كيف قدر • تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى
وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني • ثم نظر • اي في القرآن مرة بعد مرة • ثم عبس • قطب وجهه لما لم يجد
فيه مطعناً ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب
في وجهه • وبسر • اتباع لعبس • ثم ادبر • عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • واستكبر • عن اتباعه • فقال
ان هذا الا سحر يؤثر • اي يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم
وتلبث وقوله تعالى • ان هذا الا قول البشر • تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف • ساصليه سقر • بدل من
سارهقه صعوداً • وما ادراك ما سقر • اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لانها
المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتعظيم وسقر مبتدا او اي شيء هي في وصفها لما مر ان من ما قد يطلب بها
الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى • لا تبقي ولا تذر • بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد
الضمني الذي يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئاً يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك
لم تذره هالكاً حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة • لواحة للبشر
مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سواداً من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها
عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل • عليها تسعة عشر • اي ملكاً او صنفاً او صفاً
من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذراً من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد
وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن • وما جعلنا اصحاب النار • اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب
اهلها • الا ملائكة • ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله
عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم باساً عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى
رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم
ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم
اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالاً من جنسكم • وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا • اي ما جعلنا عددهم الا

العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل
عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق
افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه
يدور ما سيأتي من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية
في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل
صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف وصنف يتولاه
وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها
مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية • ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب • متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن
لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم • ويزداد الذين آمنوا ايمانا • اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب
وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل • ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب
والمؤمنون • تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم
المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل لا يرتابوا للتنبيه على تباين اليقينين حالا فان انتفاء الارتياب
من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم
الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم
في ذلك • وليقول الذين في قلوبهم مرض • شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة
• والكافرون • المصرون على التكذيب • ماذا اراد الله بهذا مثلا • اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب
استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار
باستقلاله في الشناعة • كذلك يضل الله من يشاء • ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف
في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء • ويهدي من يشاء • اضلالا وهداية
كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل
ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة
بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى • وما يعلم جنود ربك •
اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون • الا هو • اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها
وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كيف وكم ونسبة • وما هي • اي سقر او عدة خزنتها
او الآيات الناطقة باحوالها • الا ذكرى للبشر • الا تذكرة لهم • كلا • ردع لمن انكرها او انكار لان يكون لهم
تذكر • والقمر والليل اذ ادبر • وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل
هو من دبر الليل النهار اذا خلفه • والصبح اذا اسفر • اذا اضاء وانكشف • انها لاحدى الكبر • جواب للقسم
او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل
جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على
معنى ان البلايا الكبر او الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها • نذيرا للبشر • تمييز اي لاحدى الكبر
انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدإ محذوف
• لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر • بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لم يشأ
ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
• كل نفس بما كسبت رهينة • مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة

والا

والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء • الا اصحاب اليمين • فانهم فاكون رقابهم بما
احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين
سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم
• في جنات • لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدإ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من
ضميرهم في قوله تعالى • يتساءلون • وقيل ظرف ليتساءلون وليس المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان
يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان
وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا
معا كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على
الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون • عن المجرمين • يسألونهم
عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى • ما سلككم في سقر • مقدر بقول هو حال
من فاعل يتساءلون اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف المتكلفون • قالوا •
اي المجرمون مجيبين للسائلين • لم نك من المصلين • للصلوات الواجبة • ولم نك نطعم المسكين • على معنى استمرار
نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة
• وكنا نخوض مع الخائضين • اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه • وكنا نكذب بيوم الدين •
اي بيوم الجزاء اضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم
ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جناياتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا
بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر
عمرهم حسبما نطق به قولهم • حتى اتانا اليقين • اي الموت ومقدماته • فما تنفعهم شفاعة الشافعين • لو شفعوا
لهم جميعا والفاء في قوله تعالى • فما لهم عن التذكرة معرضين • لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على
ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا
لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع
تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى • كانهم حمر مستنفرة • حال من المستكن
في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة • فرت من قسورة • اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر
والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ
وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى • بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة • عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون
بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك
حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا
لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون • كلا • ردع لهم
عن تلك الجرأة • بل لا يخافون الآخرة • فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف • كلا •
ردع عن اعراضهم • انه • اي القرآن • تذكرة • واي تذكرة • فمن شاء • ان يذكره • ذكره • وحاز بسببه
سعادة الدارين • وما يذكرون • بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا
تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى • الا ان يشاء الله • استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال
اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهو

تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا
• هو اهل التقوى • اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع • واهل المغفرة • حقيق بان يغفر لمن
آمن به واطاعه عن النبي عم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه السلام وكذب به

سورة القيامة مكية وهي اربعون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

• لا اقسم بيوم القيامة • ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في
قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه
كأن معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام
لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم انكروا
البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام
على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف • ولا اقسم بالنفس
اللوامة • اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراعة التي في القسم الاول
وامامه او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف
لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام
وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال
تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى • ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه •
وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا
مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس
بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو
عاينت ذلك اليوم لم اصدقك ويجمع الله هذه العظام يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام • بلى • اي نجمعها حال كوننا • قادرين
على ان نسوي بنانه • اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على
ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون • بل يريد الانسان ليفجر امامه •
عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن التوبيخ
اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه • يسأل ايان يوم القيامة •
اي متى يكون استبعادا او استهزاء • فاذا برق البصر • اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ
برق وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج • وخسف القمر • اي ذهب ضوؤه
وقرئ على البناء للمفعول • وجمع الشمس والقمر • بان يطلعهما الله من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان
اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف • يقول الانسان يومئذ •
اي يوم اذ تقع هذه الامور • اين المفر • اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا
مصدرا كالمرجع • كلا • ردع عن طلب المفر وتمنيه • لا وزر • لا ملجأ مستعار من الجبل وكل ما التجأت اليه
وتخلصت به فهو وزرك • الى ربك يومئذ المستقر • اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته
موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار • ينبؤا الانسان يومئذ • اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال

بما قدم

• بما قدم • اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني • واخر • اي لم يعمل خيرا كان او شرا
فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم
من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره • بل الانسان على نفسه بصيرة • اي حجة
بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا
كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة والتاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبأ
الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى • ولو القى
معاذيره • اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤا
اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبأ باعماله ولو اعتذر الى آخره
والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان
تنفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه
فقيل • لا تحرك به • اي بالقرآن • لسانك • عند القاء الوحي • لتعجل به • اي لتأخذه على عجلة مخافة ان
تنفلت منك • ان علينا جمعه • في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه • وقرآنه • اي اثبات قراءته
في لسانك • فاذا قرأناه • اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عم واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب
التأني • فاتبع قرآنه • فكن مقفيا له ولا تراسله • ثم ان علينا بيانه • اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه
• كلا • ردع له صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى • بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة • على تعميم الخطاب للكل اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان على الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى
الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة • وجوه يومئذ ناضرة • اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين
المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب
بناضرة وناظرة في قوله تعالى • الى ربها ناظرة • خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع
النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق
الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به
ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا
على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى • ووجوه يومئذ باسرة • شديدة العبوس وهي
وجوه الكفرة • تظن • تتوقع اربابها • ان يفعل بها فاقرة • داهية عظيمة تقصم فقار الظهر • كلا • ردع
عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة
من العلاقة • اذا بلغت التراقي • اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال
• وقيل من راق • اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت
ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي • وظن انه الفراق • وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق
من الدنيا ونعيمها • والتفت الساق بالساق • والتوت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل
هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في اكفانه • الى ربك يومئذ
المساق • اي الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره • فلا صدق • ما يجب تصديقه من الرسول عليه السلام
والقرآن الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه • ولكن كذب • ما ذكر من الرسول والقرآن وفيه دلالة

على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر • وتولى • عن الطاعة • ثم ذهب الى اهله يتمطى • يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه • اولى لك فاولى • اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو فعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار • ثم اولى لك فاولى • اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى • ايحسب الانسان ان يترك سدى • اي مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى • الم يك نطفة من مني يمنى • آه استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور فانه مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق • ثم كان علقة • اي بقدرة الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة • فخلق • اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة • فسوى • فعدل وكمل نشأته • فجعل منه • من الانسان • الزوجين • اي الصنفين • الذكر والانثى • بدل من الزوجين • اليس ذلك • العظيم الشأن الذي انشأ هذا الانشاء البديع • بقادر على ان يحيي الموتى • وهو اهون من البدء في قياس العقل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ سورة القيمة شهدت انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الانسان مكية احد وثلثون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• هل اتى • استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى • على الانسان • قبل زمان قريب • حين من الدهر • اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد • لم يكن شيئا مذكورا • بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار في قوله تعالى • انا خلقنا الانسان من نطفة • لزيادة التقرير او آدم عليه السلام وهو المروي عن ابن عباس رض وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حمإ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس رض ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عم وهذا بيانا لخلق بنيه • امشاج • اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار والكباس وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى • نبتليه • حال من فاعل خلقنا اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رض نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة آه • فجعلناه سميعا بصيرا • ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى • انا هديناه السبيل • بانزال الآيات ونصب الدلائل • اما شاكرا واما كفورا • حالان من مفعول هدينا اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حاليه جميعا والتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط • انا اعتدنا للكافرين • من افراد الانسان الذي هديناه السبيل • سلاسل بها

يقادون • واغلالا • بها يقيدون • وسعيرا • بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم بينهما في الذكر كما في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب • ان الابرار • شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وشاهد واشهاد قيل هو من بر خالقه اي اطاعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر • يشربون من كأس • هي الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية • كان مزاجها • اي ما تمزج به • كافورا • اي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة لكأس وقوله تعالى • عينا • بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف اي يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى • يشرب بها عباد الله • صفة عينا اي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس • يفجرونها تفجيرا • اي يجرونها حيثما شاؤوا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى • يوفون بالنذر • استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم • ويخافون يوما كان شره • عذابه • مستطيرا • فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر • ويطعمون الطعام على حبه • اي كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله • مسكينا ويتيما واسيرا • اي اسير كان فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك • انما نطعمكم لوجه الله • على ارادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون اي قائلين ذلك بلسان او بلسان الحال ازاحة لتوهمهم المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله تعالى عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله • لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • اي شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله • انا نخاف من ربنا يوما • اي عذاب يوم • عبوسا • يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة • قمطريرا • شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اي انا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما • فوقاهم الله شر ذلك اليوم • بسبب خوفهم وتحفظهم عنه • ولقاهم نضرة وسرورا • اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب • وجزاهم بما صبروا • بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال • جنة • بستانا يأكلون منه ما شاؤوا • وحريرا • يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رض ان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبي عم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولديك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام فشفيا وما معهم شيء

فاستقرض علي رضي الله عنه عن شمعون الخيبري ثلث اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة
اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين
من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا
ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك
فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم واقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ
من شدة الجوع قال عليه السلام ما اشد ما يسوؤني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق
ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقرأه السورة
• متكئين فيها على الارائك • حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير
والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى • لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا • اما حال ثانية من الضمير او من
المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى
ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر • ودانية عليهم ظلالها • عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة
لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان وقرئ ودانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى
انه لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر • وذللت قطوفها تذليلا •
اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم
مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية عليهم ظلالها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة
على جملة اسمية • ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب • الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة • كانت
• قواريرا قوارير من فضة • اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة
صفة لاكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير • قدروها
• تقديرا • صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال
معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين
بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول
اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشيء • ويسقون فيها كأسا كان مزاجها
• زنجبيلا • اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذه
• عينا • بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه
قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص • فيها تسمى سلسبيلا • لسلاسة انحدارها في
الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها
في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة • ويطوف عليهم ولدان مخلدون •
اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء • اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا • لحسنهم وصفاء الوانهم
واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض • واذا رأيت ثمة •
ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة • رأيت نعيما وملكا كبيرا •
اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه
وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم • عاليهم
• ثياب سندس خضر • قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان

كأنه

كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف
عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من
لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس • واستبرق • بالرفع عطفا على ثياب وقرئ
برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق
جعل علما لهذا النوع من الثياب • وحلوا اساور من فضة • عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من
ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة تختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه
بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا
للخدم وذاك للمخدومين • وسقاهم ربهم شرابا طهورا • هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه
الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة
جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار • ان هذا •
على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات • كان لكم جزاء • بمقابلة اعمالكم الحسنة • وكان سعيكم
مشكورا • مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب • انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا • اي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له
لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان • فاصبر لحكم ربك • بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة • ولا تطع
منهم آثما او كفورا • اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على
انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر
بعليتهما له فلا بد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للآثام
متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو • واذكر اسم ربك بكرة
• واصيلا • وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناولهما • ومن الليل
• فاسجد له • وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة
وخلوص • وسبحه ليلا طويلا • وتهجد له قطعا من الليل طويلا • ان هؤلاء • الكفرة • يحبون العاجلة
وينهمكون في لذاتها الفانية • ويذرون وراءهم • اي امامهم لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم • يوما
• ثقيلا • لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل
لما امر به ونهي عنه • نحن خلقناهم • لا غيرنا • وشددنا اسرهم • اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب • واذا شئنا بدلنا
• امثالهم • بعد اهلاكهم • تبديلا • بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى
يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية • ان هذه تذكرة • اشارة الى السورة او الآيات
القريبة • فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا • اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها
توصله الى ثوابه اتخذه اي
وقوله تعالى • وما تشاؤن الا ان يشاء الله • تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من
ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم
اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤن بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله
• ان الله كان عليما حكيما • بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم
ما يستأهله كل واحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى • يدخل من يشاء في رحمته • بيان لاحكام
مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى
حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة • والظالمين • وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر
• اعد لهم عذابا اليما • اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته
ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

سورة هل اتى كان جزآؤه على الله تعالى جنة وحريرا صدق رسول الله وصدق حبيب الله

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية ✿ بسم الله الرحمن الرحيم

• والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا • اقسام من الله
عز وجل بطوائف من الملئكة ارسلهن باوامره فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن
اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن
بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء • عذرا • للمحقين • او نذرا • للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر
النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة
مستقل بالدلالة على استحقاق الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان
مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة
نشرن السحاب في الجو ففرقنه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل
واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم
واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمة الله تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء
واسند الالقاء اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين
ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال
ملئكة العذاب معروف للانبياء والمؤمنين او بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر
مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقريا بالتثقيل
• ان ما توعدون لواقع • جواب القسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة • فاذا النجوم
طمست • محيت او ذهب بنورها • واذا السماء فرجت • صدعت وفتحت فكانت ابوابا • واذا الجبال
نسفت • جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت
الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة • واذا الرسل اقتت • اي عين لهم الوقت
الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه
وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما • لاي يوم اجلت • مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل
اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجب
من هوله وقوله تعالى • ليوم الفصل • بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق • وما ادراك ما يوم
الفصل • ما مبتدأ وادراك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع
وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا
بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه
• ويل يومئذ للمكذبين • اي في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى
الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته • الم نهلك الاولين • كقوم
نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى اهلكه • ثم نتبعهم الآخرين • بالرفع على ثم
نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم
بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليه السلام
• كذلك • مثل ذلك الفعل الفظيع • نفعل بالمجرمين • اي سنتنا جارية على ذلك • ويل يومئذ • اي يوم

اذا

اذ اهلكناهم • للمكذبين • بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب
الدنيا • الم نخلقكم • اي الم نقدركم • من ماء مهين • اي من نطفة قذرة مهينة • فجعلناه في قرار مكين •
هو الرحم • الى قدر معلوم • الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر • فقدرنا •
اي قدرنا ذلك وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل • فنعم
القادرون • اي نحن • ويل يومئذ للمكذبين • بقدرتنا على ذلك او على الاعادة • الم نجعل الارض
كفاتا • الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع
اي الم نجعلها كفاتا تكفت • احياء • كثيرة على ظهرها • وامواتا • غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به
للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير
احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف
اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا • وجعلنا فيها رواسي • اي جبالا ثوابت • شامخات • طوالا شواهق
ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجبال شامخات واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار
بان فيها ما لم يعرف • واسقيناكم ماء فراتا • بان خلقنا فيها انهارا ومنابع • ويل يومئذ للمكذبين •
بامثال هذه النعم العظيمة • انطلقوا • اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا • الى ما كنتم به تكذبون •
في الدنيا من العذاب • انطلقوا • خصوصا • الى ظل • اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ
انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها • ذي ثلث شعب •
يتشعب لعظمه ثلث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار
كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية
الثلث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة
الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية
التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره • لا ظليل •
تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل • ولا يغني من اللهب • اي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا • انها
ترمي بشرر كالقصر • اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة
نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور
كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة • كانه جمالة • جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال
وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة • صفر • فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل
يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات
جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ من حبال السفن وقلوس
الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه • ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون • اشارة الى وقت
دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه وبني لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم
القيمة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء
ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي قص واقع يوم لا ينطقون • ولا يؤذن
لهم فيعتذرون • عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له
من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب • ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل •
بين الحق والباطل والمحق والمبطل • جمعناكم • خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم • والاولين •
من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل • فان كان لكم كيد فكيدون • فان جميع من كنتم تقلدونهم

وتعقدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم • ويل يومئذ للمكذبين
حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب • ان المتقين • من الكفر والتكذيب • في ظلال وعيون
• وفواكه مما يشتهون • اي مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم • كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون
مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال
الصالحة • انا كذلك • الجزاء العظيم • نجزي المحسنين • اي في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه • ويل يومئذ
للمكذبين • حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل • كلوا وتمتعوا قليلا
• انكم مجرمون • مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا
وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل
مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله
تعالى • ويل يومئذ للمكذبين • لزيادة التوبيخ والتقريع • واذا قيل لهم اركعوا • اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا
له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة او بالركوع لا يفعلون اذ روي
انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها مسبة علينا فقال عليه السلام
لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون • ويل
يومئذ للمكذبين • وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة • فباي حديث
بعده • اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة
وبراهين ساطعة • يؤمنون • اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وهي اربعون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• عم • اصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها او قصدا للخفة لكثرة استعمالها
وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس
المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشان • يتساءلون • اي اهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم
ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله
فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب
بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه
ترجيحا لجانب فاعليته ويحال مفعوليته على دلالة العقل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر
وقد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ
مفعول متعدد كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه
فالمعنى عن اي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل
عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فباي آلاء ربك
تتمارى وقوله تعالى • عن النبأ العظيم • بيان لشان المسؤول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان
السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه
لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي

يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن
متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق
بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه والاظهر انه مبني
على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن النبأ
استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون اعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي له شان وخطر وقد وصف بقوله تعالى
الذي هم فيه مختلفون • بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق
بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه
فمن جازم باستحالته يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك
يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر
المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره
الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والاثبات بناء
على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين
ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى • كلا سيعلمون • آه فانه صريح في ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له
اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم
الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه
النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل
عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق
والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين
لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية في شيء
منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين
المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما
ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما
يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى
ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى • ثم كلا
سيعلمون • تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد
وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات
الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال
بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى • الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا • آه استئناف مسوق
لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن
ههنا اتضح ان المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات
الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على
تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها بها
كما يثبت البيت بالاوتاد • وخلقناكم • عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا
آه او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا آه • ازواجا • اصنافا ذكرا وانثى

ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل • وجعلنا نومكم سباتا • اي موتا
لانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى
يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة
كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه • وجعلنا الليل • الذي فيه يقع النوم غالبا • لباسا • يستركم بظلامه
كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد
ادخل وهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى • وجعلنا
النهار معاشا • اي وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخ الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو
او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج • وبنينا
فوقكم سبعا شدادا • اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن
خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل
فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن • وجعلنا
سراجا وهاجا • هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير و
التسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وقوله تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة
مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في
قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد
من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في
الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم
في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في
الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالئ من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس
والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء • وانزلنا من المعصرات • هي السحائب اذا اعصرت
اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض
او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها
السحائب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجه ان
الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال • ماء ثجاجا • اي منصبا بكثرة يقال ثجه
اي اساله بكثرة وثج بنفسه اي سال ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب
دماء الهدي وقرئ ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه • لنخرج به • بذلك الماء • حبا • يقتات
كالحنطة والشعير ونحوهما • ونباتا • يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته
وشرفه لان غالبه غذاء الانسان • وجنات • الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره وتطلق على النخل والشجر
المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض
ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى • الفافا • اي ملتفة
تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف
واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل
دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة

من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع
هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل
لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية
والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه
استهزاء وقوله تعالى • ان يوم الفصل كان ميقاتا • شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به
قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفيته واحواله وما سيلقونه عنده من فنون
العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا
وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم و
التأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل من
التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى • يوم ينفخ في الصور • اي نفخة ثانية
بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان
ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات خلق الصور فاعطاه
اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في
الحيوة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر
باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
والفاء في قوله تعالى • فتأتون • فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية
سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف
عقيب ذلك من غير لبث اصلا • افواجا • اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس
بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ
رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور
ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم
منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة
على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم
فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما
المنكسون على وجوههم فاكلة الربوا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم
واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم
الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد
نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب
فاهل الكبر والفخر والخيلاء • وفتحت السماء • عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ
فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى • فكانت ابوابا • اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كثرة
غير معتادة حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون متفجرة والمراد
بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله اي امره وبأسه

فى تخلل من الغمام والملئكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ • وسيرت
الجبال • فى الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى تراها
رائى العين ساكنة فى اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذى تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت
نحوا من الانحاء لا يكاد يتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال • بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج • وقد ادمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى
وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله عز وجل الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد
النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى • فكانت سرابا • اى فصارت بعد تسييرها مثل السراب
كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اى غبارا منتشرا وهى وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى
لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عم وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية • ان جهنم كانت
مرصادا • شروع فى تفصيل احكام الفصل الذى اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان
والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه اى انها كانت
فى حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها • للطاغين • متعلق بمضمر هو اما نعت
لمرصادا اى كائنا للطاغين وقوله تعالى • مآبا • بدل منه اى مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه
لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآبا على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى
بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملئكة الذين
يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة
فى ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين • لابثين فيها •
حال مقدرة من المستكن فى للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى • احقابا • ظرف للبثهم اى دهورا متتابعة كلما مضى حقب
تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها وليس فيه ما يدل على تناهى تلك
الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى • لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما
وغساقا • جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن
من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم
• جزاء • اى جوزوا بذلك جزاء • وفاقا • ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا
على انه فعال من وفقه كذا اى لاقه • انهم كانوا لا يرجون حسابا • تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اى كانوا لا يخافون
ان يحاسبوا باعمالهم • وكذبوا باياتنا • الناطقة بذلك • كذابا • ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصى
وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف اى كذبا مفرطا وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها
والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اى وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى
كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اى كذبوا باياتنا كاذبين وقد
يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه • وكل شئ •
من الاشياء التى من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره • احصيناه • اى حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على
الابتداء • كتابا • مصدر مؤكد لاحصيناه لالتقاء الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا فى
اللوح او فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى • فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا • مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات
وفى الالتفات المنبئ عن التشديد فى التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على

بالغ

بالغ الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار • ان
للمتقين مفازا • شروع فى بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اى ان للذين يتقون الكفر وسائر
قبائح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى
• حدائق واعنابا • اى بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا • وكواعب • اى نساء
فلكت ثديهن وهن النواهد • اترابا • اى لدات • وكاسا دهاقا • اى مترعة يقال ادهق الحوض اى ملاه
• لا يسمعون فيها • اى فى الجنة وقيل فى الكاس • لغوا ولا كذابا • اى لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا
وقرئ كذابا بالتخفيف اى لا يكذبه او لا يكاذبه • جزاء من ربك • مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا
فانه فى قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عليه السلام • عطاء • اى تفضلا واحسانا
منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء • حسابا • صفة لعطاء بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او
بولغ فيه من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك
بمعنى المدرك • رب السموات والارض وما بينهما • بدل من ربك وقوله تعالى • الرحمن • صفة له وقيل صفة للاول
وايا ما كان ففى ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى • لا يملكون منه خطابا • استئناف
مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون
لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثانى نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثانى
خبره ولا يملكون خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ
ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على راى من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما
مرفوعا على المدح او يكون الثانى نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء
كما فى البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل فى قوله تعالى الذين
يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثانى على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر
وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اى لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء
انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما فى شئ ما والمراد نفى قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب
او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس فى ايديهم مما يخاطب به الله ويامر به فى امر الثواب والعقاب
خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه • يوم يقوم الروح والملائكة صفا • قيل الروح
خلق اعظم من الملئكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا اعظم
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملئكة كلهم صفا وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملئكة لهم رؤس وايد وارجل ياكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية
وهذا قول ابى صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوى وقيل هم اشراف الملئكة
وقيل هم حفظة على الملئكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال اى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد
او متعدد والملئكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا
ويوم ظرف لقوله تعالى • لا يتكلمون • وقوله تعالى • الا من اذن له الرحمن وقال صوابا • بدل من ضمير لا يتكلمون
العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملئكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى
وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر
لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ على ان يتكلموا بشئ من
جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا اى حقا فكيف يملكون خطاب

رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى
اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال
ممن سلكه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفا ليملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن له
منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اى حقا هو التوحيد
واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احدا يستحقه منه سبحانه وتعالى
• ذلك • اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته
وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح
والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال • اليوم الحق • اى الثابت المتحقق لا محالة
من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى • فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا • فصيحة تفصح عن شرط
محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به
المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور
لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة
مآبا اى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا • انا
انذرناكم • اى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهى او بها وبسائر القوارع
الواردة في القرآن • عذابا قريبا • هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان
تراه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هى عقوبة الدنيا لانه
اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى • يوم ينظر المرء ما قدمت يداه • فانه
اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اى عذابا كائنا يوم ينظر المرء اى يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان
ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اى شئ قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت
وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى • ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا • ظاهر وضع موضع الضمير
لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتنى كنت ترابا في هذا اليوم فلم
ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس
يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة

سورة النازعات مكية وهى خمس او ست واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

• والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا • اقسام من
الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد او ارواح
الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو
من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار
وبارواح المؤمنين فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف
مع اتحاد الكل لتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه
الاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة
كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اى اغراقا في النزع حيث تنزعها

من اقاصى الاجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين
ثم تفرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت
النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم
ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور
الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو
لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه
من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان يقطع الفلك حتى تنحط
في اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فتسبق بعضها
تدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب
قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم التى
تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها
او بخيلهم التى تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح
في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا وهو الذى يلوح بشأن التنزيل
هو الاول وقوله تعالى • يوم ترجف الراجفة • منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الاجرام
الساكنة اى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهى النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال
لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى • تتبعها الرادفة • اى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية
تابعة لها حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل
ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون
الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حى الا مات ولا عند وقوع الثانية
ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة استئنافا مقررا
لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب
بما دل عليه قوله تعالى • قلوب يومئذ واجفة • اى يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ
متعلق بواجفة وهى صفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى • ابصارها • اى ابصار اصحابها
• خاشعة • جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر القلوب وقد قرر ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف
للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت
مفروغا عنه وجعل الثانى خبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب
وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا
فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير
قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير
كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اى
شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلة وقال السدى زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر
وقوله تعالى • يقولون أئنا لمردودون في الحافرة • حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان
وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اى يقولون اذا قيل لهم
انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اى في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان

في حافرتها اي طريقتها التي جاءوا فيها فحفروها اي اثروا فيها بمشيهم وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية
اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المحفورة وقوله تعالى
• ائذا كنا عظاما نخرة • تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي
ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر او اسقاط حرف الانكار وناخرة من
نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير • قالوا • حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق
ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره
عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الردة في
الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع • تلك اذا كرة خاسرة • اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت فنحن
اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى • فانما هي زجرة واحدة • تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي
عبروا عنها بالكرة فان مدار ذلك كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة
بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى
• فاذا هم بالساهرة • حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا
في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت
بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة
وقيل لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الساهرة
ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض
السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة [illegible]
على شفير جهنم وقوله تعالى • هل اتاك حديث موسى • كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب
قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عليه السلام من حديثه
ترغيب له عليه السلام في استماع حديثه كأنه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من
الايجاز في الاقتصاص اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى • اذ ناداه ربه بالوادي المقدس • ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف
وقتيهما • طوى • بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة
وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى • اذهب الى فرعون • على ارادة القول
وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء
معنى القول • انه طغى • تعليل للامر او لوجوب الامتثال به • فقل • بعد ما اتيته • هل لك • رغبة وتوجه • الى
ان تزكى • بحذف احدى التائين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد • واهديك
الى ربك • وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه • فتخشى • اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وعلا انما
يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على
كل شر امره عليه السلام بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة عن
عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى • فاراه الآية الكبرى •
فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى فان ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد ما
جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من
المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف
فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه بالنظر الى الظاهر كما ان
نسبتها الى نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول

ابن عباس

ابن عباس رضه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او مجموعهما وهو قول مجاهد فانهما كالآية
الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور
التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين
الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في
سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترقب بعد • فكذب • بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا
• وعصى • الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على
انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مامورين بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها
الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط • ثم ادبر • اي تولى عن
الطاعة او انصرف عن المجلس • يسعى • اي يجتهد في معارضة الآية او اريد ثم اقبل اي انشأ يسعى فوضع موضعه
ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر مرعوبا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك
بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا ويأباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي
للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى • فحشر • اي فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل في المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى
فرعون فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع الناس • فنادى • في
المجمع بنفسه او بواسطة المنادي • فقال انا ربكم الاعلى • قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة
• فاخذه الله نكال الآخرة والاولى • النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل
من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل
نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق في الآخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله
اخذ نكال الخ وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الآخرة والاولى
واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك
لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة و
قيل المراد بالآخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون
سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب • ان في ذلك • اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به
• لعبرة • عظيمة • لمن يخشى • اي لمن من شأنه ان يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى
• ءانتم اشد خلقا • خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما
بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي
اشق واصعب في تقديركم • ام السماء • اي ام خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي
تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى او ليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى • بناها • الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من
قوله تعالى ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل
ما لا يخفى وقوله تعالى • رفع سمكها • بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو
مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام • فسواها • فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها
بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه •

واغطش ليلها ● اى جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى
واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم ● واخرج ضحاها ● اى ابرز نهارها عبر عنه بالضحى
لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه
بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما
على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اى ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت
قيام سلطانها وكمال اشراقها ● والارض بعد ذلك دحاها ● اى بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها
وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها ● اخرج منها ماءها ● بان فجر منها عيونها واجرى انهارها ● ومرعاها ● اى رعيها
وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها
وتكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما واما لانها
حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم
والجبال ● منصوب بمضمر يفسره ● ارساها ● اى اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا
تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات
ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال
بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو
لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى
يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما روي عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت
المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف
عليه من الافعال الثلثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها
وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في
الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها
فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم
الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم
في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تأويل هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر
ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو
المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير
لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة
القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض
اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تأخر دحو
الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من
الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلثة
على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء
كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام

خلق جرم الارض يوم الاحد

في السورة المذكورة وقوله تعالى ● متاعا لكم ولانعامكم ● اما مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة
ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يتمتع بما يأكله الانسان وغيره بناء
على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اى متعكم بذلك
متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى ● فاذا جاءت
الطامة الكبرى ● اى الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اى تعلوها وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية
وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار
شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما
قبلها كما ينبئ عنه لفظ المتاع ● يوم يتذكر الانسان ما سعى ● قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب
باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا
من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأي الكوفيين اى يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده
مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون
ما مصدرية ● وبرزت الجحيم ● عطف على جاءت اى اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد ● لمن يرى ● كائنا من
كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه
ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار
وقوله تعالى ● فاما من طغى ● الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل
للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من طغى الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل
ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤن ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اى فاما من عتا
وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان ● وآثر الحيوة الدنيا ● الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما
متع فيها ولم يستعد للحيوة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة ● فان الجحيم ● التي ذكر شأنها ● هي المأوى
اى هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول
اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدا وقيل نزلت الآية في النضر وابيه الحرث
المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان ● واما من خاف مقام ربه ● اى مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة
الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ● ونهى النفس عن الهوى ● عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة
الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها ● فان الجنة هي المأوى ● له لا غيرها وقيل نزلت
الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه
حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ اى فاذا جاءت الطامة الكبرى
يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله
وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين
ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له حسب اعماله
الى القسمين المذكورين ● يسألونك عن الساعة ايان مرساها ● متى ارساؤها اى اقامتها يريدون متى يقيمها الله
تعالى ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى
● فيم انت من ذكراها ● انكار ورد لسؤال المشركين عنها اى في اي شئ انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به
حتى يسألوك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شئ لان ذلك
فرع علمك به وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم
الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اى فيم

هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي رسالتك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها
ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى • الى ربك منتهاها • على هذا الوجه
اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها
ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء
علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها وقوله تعالى • انما انت منذر من يخشاها • على الوجه
الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه السلام في ذلك الشأن
فان انكار كونه عليه السلام في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره ان ليس عليه السلام ان يذكرها بوجه من الوجوه فازيح
ذلك ببيان ان المنفي عنه عليه السلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه السلام عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها
وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها
التي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الآخر هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها
ببيان ان ارساله وهو خاتم الانبياء عليهم الصلوة والسلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه السلام بعثت انا
والساعة كهاتين ان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى • كأنهم يوم
يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها • اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه
الثاني اي كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته
وامارد لما ادمجوه في سؤالهم فانهم كانوا يسألون بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث
في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا
لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول فانه على تقديري الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى كأن لم يلبثوا
الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك
في الاحوال الظاهرة من الزي والهيأة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد
بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة • •

سورة عبس مكية وهي اثنتان واربعون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ان جاءه الاعمى • روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا اي ابن ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم
غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام بالقوم فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن
عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على
اختلاف المذهبين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان
باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله تعالى • وما يدريك •
فان المشافهة اوفى في تشديد العتاب اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه • لعله يزكى •
استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارج عن علمه عليه السلام يؤذن بان
بانشائه مدريه ذلك اي لعله يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي وارده على سنن

الكبرآء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجوا التزكي مما لا يجوز فكيف اذا
كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم
التزكي والتذكر اصلا وقوله تعالى • او يذكر • عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى • فتنفعه الذكرى •
بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل
الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى
وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع • اما من استغنى • اي عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي
ينطوي عليها القرآن • فانت له تصدى • اي تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه
وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام التاء
في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه يدعوك الى التصدي له داع من الحرص والتهالك على اسلامه
• وما عليك الا يزكى • وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة
حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اي اي شيء عليك في ان لا يتزكى ومآله النفي ايضا • واما من جاءك
يسعى • اي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير • وهو يخشى • اي الله تعالى وقيل يخشى
اذية الكفار في اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك
• فانت عنه تلهى • تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى اي يلهيك شأن الصناديد وفي
تقديم ضميره عليه السلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه السلام اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى
للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما روي انه صلى الله عليه وسلم
ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني • كلا • ردع له صلى الله عليه وسلم عما عوتب عليه من التصدي
لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بامره متهالكا على اسلامه
معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى • انها تذكرة • اي موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل
بموجبها كلمة البتة لما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره
المنوط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعها الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا تقضي منه
العجب فتأمل وكن على الحق المبين • فمن شاء ذكره • تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي
استغنى عنه من تصدى عليه السلام له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها
لما نطق به قوله تعالى • فمن شاء ذكره • اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الاهتمام
بامره فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة والثاني للتذكرة
والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سيأتي من الصفات
الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره
المنوط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعها الى العتاب المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا تقضي
منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى • في صحف • متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض
جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان • مكرمة • عند الله عز
وجل • مرفوعة • اي في السماء السابعة او مرفوعة المقدار والذكر • مطهرة • منزهة عن مساس ايدي الشياطين
• بايدي سفرة • اي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل
بايدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء
عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام
لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار وعلى اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا هذه اللفظة

مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها
إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي إن المراد بها في قوله تعالى لا يمسه إلا المطهرون
هؤلاء السفرة الكرام البررة ● كرام ● عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم ● بررة ●
أتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه ● قتل الإنسان ●
دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى ● ما أكفره ● تعجب من إفراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد
به إما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وإما الجنس باعتبار
انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الإنباء عن سخط عظيم ما لا
غاية وراءه وقوله تعالى ● من أي شيء خلقه ● شروع في بيان إفراطه في الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته
إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك وفي الاستفهام عن خلقه ثم بيانه
بقوله تعالى ● من نطفة خلقه ● تحقير أي من أي شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه ● فقدره ● فهيأه لما يصلح له
ويليق به من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا إلى أن تم خلقه وقوله ● ثم السبيل يسره ● منصوب بمضمر يفسره
الظاهر أي ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما
وتعريف السبيل باللام دون الإضافة للإشعار بعمومه ● ثم أماته فأقبره ● أي جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله
مطروحا على وجه الأرض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه
وعد الإماتة من النعم لأنها وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم ● ثم إذا شاء أنشره ● أي إذا شاء إنشاره
أنشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الإنشار بمشيئته تعالى إيذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع
لها وقرئ نشره ● كلا ● ردع للإنسان عما هو عليه وقوله تعالى ● لما يقض ما أمره ● بيان لسبب الردع أي لم يقض بعد من
لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا
نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الإنسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب
للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم إما
على أن المحكوم عليه هو المستغني أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعد القضاء بعض أفراده وقد أسند
إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار للإشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم وإما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض
جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد
أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أي حقا لم يعمل بما أمره به وقوله تعالى ● فلينظر الإنسان إلى طعامه ●
شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر إلى طعامه الذي عليه يدور أمر معاشه
كيف دبرناه وقوله تعالى ● أنا صببنا الماء صبا ● أي الغيث بدل اشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام
فهو مشتمل عليه وقرئ إنا على الاستئناف وقرئ أنى بالإمالة أي كيف صببنا الخ أي صببناه صبا عجيبا ● ثم شققنا
الأرض ● أي بالنبات ● شقا ● بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل ثم على التراخي
بالكراب يجعل إسناده إلى نحو القطعة من قبيل إسناد الفعل إلى سببه يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى ● فأنبتنا فيها
حبا ● فإن الشق بالمعنى المذكور لا ترتيب بينه وبين الأمطار أصلا ولا بينه وبين إنبات الحب بلا مهلة وإنما الترتيب
بين الأمطار وبين الشق بالنبات على التراخي المعهود وبين الشق المذكور وبين إنبات الحب بلا مهلة فإن المراد بالنبات
ما نبت من الأرض إلى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فإن انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى تلك المرتبة
على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه

تأكد

تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى ● وعنبا ● عطف على حبا
وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو إنبات العنب عن شق الأرض
● وقضبا ● أي رطبة سميت بمصدر قضبه أي قطعه مبالغة كأنها لكثرة قطعها وتكررها نفس القطع ● و
زيتونا ونخلا ● الكلام فيهما وفي أمثالهما كما في العنب ● وحدائق غلبا ● أي عظاما وصف به الحدائق
لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ● وفاكهة وأبا ● أي مرعى من أبه
إذا أمه أي قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء
وعن الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي
به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا
لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه ● متاعا
لكم ولأنعامكم ● إما مفعول له أي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها
علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان وإما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد أي متعكم بذلك متاعا أو
لفعل مترتب عليه أي متعكم بذلك فتمتعتم متاعا أي تمتعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فإن ما ذكر من الأفعال الثلاثة
في معنى التمتيع ● فإذا جاءت الصاخة ● شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة
هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق أي يصيخون لها من صخ لحديثه إذا أصاخ له واستمع وصفت بها النفخة
الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الآذان أي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه
بالحجر أي صكه وقوله تعالى ● يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ● إما منصوب بأعني تفسيرا للصاخة أو
بدل منها مبني على الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من إذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر
آه أي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون
عنه شيئا أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى ● لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ● فإنه استئناف
وارد لبيان سبب الفرار أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به وأما الفرار حذرا من
مطالبتهم أو بغضا لهم كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه
ويفر إبراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما روي
أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة
أي يهمه من عناه الأمر إذا أهمه أي أوقعه في الهم ومنه من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه إذا قصده كما
قيل وقوله تعالى ● وجوه يومئذ مسفرة ● بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر
وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أي مضيئة
متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثرت صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ● ضاحكة مستبشرة ●
بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ● ووجوه يومئذ عليها غبرة ● أي غبار وكدورة ● ترهقها ●
أي تعلوها وتغشاها ● قترة ● أي سواد وظلمة ● أولئك ● إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى
البعد للإيذان ببعد درجتهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته ● هم الكفرة الفجرة ● أي الجامعون
بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل إلى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه

ضاحك مستبشر

سورة التكوير تسع وعشرون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت • اي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك رفعها وازالتها
من مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء او لف ضوئها المنبسط في
الافاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت
عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس
رضي الله عنه تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور
وعند البعض على الابتداء • واذا النجوم انكدرت • اي انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن
ابن عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض
بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل
انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم • واذا الجبال سيرت • اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية • واذا
العشار • جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون
عند اهلها واعزها عليهم • عطلت • تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب
تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف • واذا الوحوش
حشرت • اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا
قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد
واذا البحار سجرت • اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب
ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن رح يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت
بالتخفيف • واذا النفوس زوجت • اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس
المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين • واذا الموؤدة • اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة
الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف وشعر حتى اذا بلغت ست
سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت
حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته • سئلت • باي ذنب قتلت •
توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في
قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سألت اي خاصمت او سألت الله او قاتلها وانما قيل قتلت
لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت
ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رض انه سئل عن اطفال المشركين
فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية • واذا الصحف نشرت • اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند
الحساب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس
يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها
عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية
وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال • واذا السماء
كشطت • قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت
واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور • واذا الجحيم سعرت • اي اوقدت ايقادا شديدا
قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم وقرئ سعرت بالتخفيف • واذا الجنة ازلفت • اي قربت من
المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين

وهي من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص
وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية وهو قوله تعالى • علمت نفس ما احضرت • جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد
ممتد يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى
انها تعلم ما تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه
لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب
وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها
على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في
الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار
وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم
نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا
يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن
عباس رض انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان
فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
الاية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في
الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن
نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هناك لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها
وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من
الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز
الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذي اشير
الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط
فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله
وقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير
فرسانه واظهار براءته وانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه
فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما اترك وفي الثالث
كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر
من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل
ليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وانما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتامل ويجوز
ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة ان
تكون هي تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت
وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان
العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع • فلا
اقسم بالخنس • اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي بهرام
وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى • الجوار الكنس • لانها تجري مع الشمس والقمر و
ترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل
كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس

بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها • والليل اذا عسعس • اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد
وذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب
عنها ليلها وعسعسا • وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله • والصبح اذا تنفس •
لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك
نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح • انه • اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة • لقول رسول
كريم • هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل • ذي قوة • شديد كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد
القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف • عند ذي العرش مكين •
ذي مكانة رفيعة عند الله عز وعلا عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان • مطاع • فيما بين ملئكة المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه • ثم امين • على الوحي وثمة ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما
لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف • وما صاحبكم • هو رسول الله صلى الله عليه وسلم • بمجنون •
كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام
عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف
اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة
بينهما • ولقد رآه • اي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلوة والسلام • بالافق المبين • بمطلع
الشمس الاعلى • وما هو • اي رسول الله صلى الله عليه وسلم • على الغيب • على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من
الغيوب • بضنين • اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة
وهي التهمة • وما هو بقول شيطان رجيم • اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر • فاين
تذهبون • استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه
وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما يقال لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب
• ان هو • ما هو • الا ذكر للعالمين • موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى • لمن شاء منكم • بدل من
العالمين باعادة الجار وقوله تعالى • ان يستقيم • مفعول شاء اي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة
الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير • وما تشاؤن • اي الاستقامة مشية مستتبعة لها
في وقت من الاوقات • الا ان يشاء الله • اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشية المستتبعة للاستقامة
فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشية الله لها • رب العالمين • مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته •

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت • اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا
وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كالذي في ارتفاع الشمس • واذا الكواكب
انتثرت • اي تساقطت متفرقة • واذا البحار فجرت • فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج
وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية
وهو معنى التسجير عند الحسن رح وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت
بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان • واذا القبور بعثرت •
اي قلب ترابها واخرج موتاها وقيل بعثر لفظ مركب من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى
• علمت نفس ما قدمت واخرت • جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من

ان المراد

ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما
كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر في تفصيله في نظيره ومعنى قدمت واخرت ما اسلف من عمل خير او شر
واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة
وهو قول قتادة وقيل ما قدم من اموال نفسه وما اخر لورثته وقيل ما قدم من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله وآخره
ومعنى علمها بهما علمها التفصيلي حسبما ذكر فيما مر • يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم • اي اي شيء خدعك
وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك
كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له
افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل
هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك
الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى • الذي خلقك فسواك فعدلك • صفة ثانية
مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدأ اقدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية
معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك
بالتشديد اي صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه • في اي صورة ما شاء ركبك • اي ركبك
في اي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها واختارها لك
من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك
كلا • ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى
وقوله تعالى • بل تكذبون بالدين • اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق
الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا
او بدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم
لا تستقيمون على توجيه نعمي عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما يقولون من انه
لا بعث ولا نشور ثم قيل انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى • وان عليكم لحافظين •
حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا
لحافظين لاعمالكم • كراما • لدينا • كاتبين • لها • يعلمون ما تفعلون • من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه
نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور
حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى • ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم • استئناف مسوق
لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى
• يصلونها • اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل
يقاسون حرها • يوم الدين • يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون • وما هم عنها بغائبين • طرفة عين فان
المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لا نفي
الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك
بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وقوله
• وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين • تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل
لامره بعد تهويل ببيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اطم
من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس
كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول والفخامة

هنا هو ما لا يوم الدين اى اى شئ عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فى الجواب كاتب وطبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى • يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله • بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله تعالى وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون ولعل ذلك فانه عار عن افادة ما لم يفده ما قبله كما ان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد

سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• ويل للمطففين • قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقيل واياما كان فهو مبتدأ وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه السلام وبها رجل يعرف بابى جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين وما منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل اى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما ارادوا باى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فيأباه قضاؤه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شئ بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضى ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ المتبادر منه عند الاطلاق فى معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اى يستوفون على الناس خاصة واما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى ان الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع فى الفعل لا فيما

وقع

وقع عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى • واذا كالوهم او وزنوهم • للناس اى اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه • يخسرون • اى ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا اى جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن فى صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال فى صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون فى الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم فى الاخذ والاعطاء لا فى خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى • الا يظن اولئك انهم مبعوثون • استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الاشارة الى الشئ متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد اى الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون • ليوم عظيم • لا يقادر قدره عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك كالوهم لا يكاد يتجاسر على امثال ما تيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى • يوم يقوم الناس لرب العالمين • اى لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعنى وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفى هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وفى امثاله ما لا يخفى • كلا • ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى • ان كتاب الفجار لفى سجين • الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته والمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون اى ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى • وما ادراك ما سجين • تهويل لامره اى هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى • كتاب مرقوم • مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى • ويل يومئذ للمكذبين • متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى • الذين يكذبون بيوم الدين • اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل او مرفوع او منصوب على الذم • وما يكذب به الا كل معتد • اى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء • اثيم • اى منهمك فى الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها • اذا تتلى عليه آياتنا • الناطقة بذلك • قال • من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه • اساطير الاولين • اى هى حكايات الاولين قال الكلبى المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أإذا على الاستفهام الانكارى • كلا • ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه

وقوله تعالى ● بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ● بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في اياتنا ما
يصح ان يقال في شانها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصي
حتى صارت كالصدإ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل
في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا
ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء ● كلا ● ردع وزجر عن الكسب الراين ● انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون ● فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
وعن ابن عباس ومقاتل وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ● ثم انهم لصالوا الجحيم ● اي
داخلوا النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ● ثم يقال ● لهم توبيخا وتقريعا
من جهة الزبانية ● هذا الذي كنتم به تكذبون ● فذوقوا عذابه ● كلا ● ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر اثر زجر
وقوله تعالى ● ان كتاب الابرار لفي عليين ● استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا
ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه
كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع علي على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات
في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما او تعظيما والكلام في قوله تعالى ● وما ادراك ما
عليون ● كتاب مرقوم ● كما مر في نظيره وقوله تعالى ● يشهده المقربون ● صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون
بما فيه يوم القيمة ● ان الابرار لفي نعيم ● شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار
● على الارائك ● اي على الاسرة في الحجال ولا يكاد يطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ● ينظرون ●
اي الى ما شاؤا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون
في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك ● تعرف في وجوههم نضرة النعيم ● اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب
لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من اثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء
● يسقون من رحيق ● شراب خالص لا غش فيه ● مختوم ختامه مسك ● اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك مكان
الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم
به ويقطع ● وفي ذلك ● اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما
بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه في الجنة اي في ذلك خاصة دون غيره ● فليتنافس المتنافسون ● اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل
التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس لعزتها قال الواحدي نفست الشيء انفسه نفاسة والتنافس تفاعل
منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به وقال البغوي اصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس
ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي يضن ● ومزاجه من تسنيم ● عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما
اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية
والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق روي انها تجري في الهواء
متسنمة فتنصب في اوانيهم ● عينا ● نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه
بقوله تعالى ● يشرب بها المقربون ● فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة والباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى
● ان الذين اجرموا ● الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة ● كانوا
في الدنيا ● من الذين امنوا يضحكون ● اي يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين
وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين امنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم
لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل ● واذا مروا ● اي فقراء المؤمنين ● بهم ● بالمشركين ويتغ

انديتهم

في انديتهم وهو الاظهر وان جاز العكس ايضا ● يتغامزون ● اي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم
● واذا انقلبوا ● من مجالسهم ● الى اهلهم انقلبوا فكهين ● ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم
وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل
هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين ● واذا راوهم ●
اينما كانوا ● قالوا ان هؤلاء لضالون ● اي نسبوا المسلمين ممن راوهم ومن غيرهم بطريق التاكيد
● وما ارسلوا عليهم ● على المسلمين ● حافظين ● حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم
ما ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم و
ضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان يكون
ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك
ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن الا بالعبارة كما في قولك
حلف لافعلن ● فاليوم الذين امنوا ● اي المعهودون من الفقراء ● من الكفار ● اي من المعهودين
وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين ● يضحكون ● حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان
والصغار بعد العز والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة
اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى ● على الارائك ينظرون ●
حال من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما فيهم من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة
فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم وقوله
تعالى ● هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ● فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم
في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام وعنه عليه السلام
من قرا سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيمة من الرحيق المختوم ●

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية ● بسم الله الرحمن الرحيم

● اذا السماء انشقت ● اي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق
من المجرة ● واذنت لربها ● واستمعت اي انقادت واذعنت لتاثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته
بانشقاقها انقياد المامور المطواع اذا ورد عليه امر الامر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها
للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء
والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف ● وحقت ●
اي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو
محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين
سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتاتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور
فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه ● واذا الارض مدت ● اي بسطت بازالة
جبالها واكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة
وبسطة من مده بمعنى امده اي زاده ● والقت ما فيها ● اي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز
كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها ● وتخلت ● وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه
كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها ● واذنت لربها ● في الالقاء والتخلي ● وحقت ● اي وهي
حقيقة بذلك اي شانها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة

الى السماء والارض فوقعا في الوقت الممتد الذي هو مدلولها فقد سره فيما مر • يا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا • اي جاهد وجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فان
الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه • فملاقيه • اي فملاق له عقيب
ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى • فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا •
آه قيل جواب اذا كما في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى
يا ايها الانسان آه اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايجاز الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على ما مر
في سورة التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان آه باضمار القول تقديره لاقى الانسان
كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان آه باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا
لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رض هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه • وينقلب الى اهله مسرورا •
اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان
• واما من اوتي كتابه وراء ظهره • اي يؤتاه بشماله من وراء ظهره وقيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء
ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره • فسوف يدعو ثبورا • اي يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه
ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك واني له ذلك • ويصلى سعيرا • اي يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى
وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصله جهنم • انه كان في اهله • فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا •
مسرورا • مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب
ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى • انه ظن •
• ان لن يحور • تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة
مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف • بلى • ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى • ان
ربه كان به بصيرا • تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء
بصيرا بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في ابي سلمة
بن عبد الاشد واخيه الاسود • فلا اقسم بالشفق • هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب او البياض
الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب • والليل وما وسق • وما جمع وضم
يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها
• والقمر اذا اتسق • اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة • لتركبن طبقا عن طبق • اي لتلاقن حالا بعد حال
كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب
المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده
من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله
لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق
النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين او مجاوزا
او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى • فما لهم لا يؤمنون • لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على
ما قبلها من احوال يوم القيامة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فاي شيء
لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى • واذا قرئ عليهم القرآن
لا يسجدون • جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم
واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من
المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رح على وجوب السجدة وعن ابن عباس رض

ليس

ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها
وعن انس رض صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة • بل الذين كفروا
يكذبون • بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند
عند تلاوته • والله اعلم بما يوعون • بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء
او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا • فبشرهم بعذاب اليم •
لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما • الا الذين امنوا وعملوا الصالحات • استثناء منقطع ان
جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى • لهم اجر غير ممنون • اي
غير مقطوع اي ممنون عليهم استئناف مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب
العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• والسماء ذات البروج • هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت
او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور
• واليوم الموعود • اي يوم القيامة • وشاهد ومشهود • اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من
العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى
الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا آه وقيل امة محمد وسائر
الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي
وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى
يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام • قتل اصحاب الاخدود • قيل هو جواب القسم
على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال
وقيل تقديره لقد قتل واياما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم
اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم
على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على
ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد
قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى
في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره
الملك فسأل من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى
قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد و
تصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات
فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران
فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل
قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه

كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج
فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا
منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النيران
وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم
فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد
وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا • النار • بدل اشتمال من الاخدود
• ذات الوقود • وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم
وقوله تعالى • اذ هم عليها قعود • ظرف لقتل اى لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات
الاخدود وكما في قوله وبات على النار الندى والمحلق • وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • اى يشهد بعضهم لبعض
عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا
هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود
حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي
وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق • وما نقموا منهم • اى ما انكروا منهم وما عابوا • الا ان يؤمنوا
• بالله العزيز الحميد • استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم
تلام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى
• الذي له ملك السموات والارض • للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى • والله على كل شئ شهيد • وعد لهم
ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما • ان الذين
• فتنوا المؤمنين والمؤمنات • اى محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين
المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا
• ثم لم يتوبوا • اى عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى • فلهم
• عذاب جهنم • جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان وان خالف فيه الاخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم • ولهم عذاب
الحريق • وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات • على الاطلاق من المفتونين
وغيرهم • لهم • بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح • جنات تجري من تحتها الانهار • ان اريد بالجنات الاشجار
فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها
كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا • ذلك • اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بان
مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة
لا للذات فقط كما هو شأن الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده
قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك المذكور العظيم الشأن • الفوز
• الكبير • الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول
هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله • ان بطش ربك لشديد • استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب

والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد • انه هو يبدئ ويعيد •
اى هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شئ منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة
في الدنيا ويعيده في الآخرة • وهو الغفور • لمن تاب وآمن • الودود • المحب لمن اطاع • ذو العرش •
خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اى ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذى العرش على انه صفة ربك • المجيد •
العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده
علوه وعظمته • فعال لما يريد • بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف
وقوله تعالى • هل اتاك حديث الجنود • استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه
فعالا لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود • فرعون وثمود •
بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من
العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم
مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى • بل الذين كفروا في تكذيب • اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم في
الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون
في تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك
في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح
امره وظهور حاله بالبينات الباهرة • والله من ورائهم محيط • تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط
المحيط وقوله تعالى • بل هو قرآن مجيد • رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب
شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد •
في لوح محفوظ • اى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح
وهو الهواء اى ما فوق السماء السابعة التي فيها اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله
تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات •

سورة الطارق سبع عشرة آية مكية • بسم الله الرحمن الرحيم

• والسماء والطارق • الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل
الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر
بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج
سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم
الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى • وما ادراك ما الطارق • تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان
رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره والثانية
خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره اى واى شئ اعلمك ما الطارق وقوله تعالى • النجم الثاقب •
خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كأنه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية
كأنه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب
معهود فقيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا
اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل
وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف
عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى
• ان كل نفس لما عليها حافظ • جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد

مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله
وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما
الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان المخففة من الثقيلة
واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ والفاء في قوله تعالى
• فلينظر الانسان مم خلق • للتنبيه على انه لما بين ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل
مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة
فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه
وقوله تعالى • خلق من ماء دافق • استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق
وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى • يخرج من بين الصلب
والترائب • اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء
حتى تستعد لان تتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء
معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب
كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه
لغة رابعة هي صالب • انه • الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر
• على رجعه • اي اعادته بعد موته • لقادر • لبين القدرة • يوم تبلى السرائر • اي تتعرف وتتصفح ما اسر
في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه
• فما له • اي للانسان • من قوة • في نفسه يمتنع بها • ولا ناصر • ينصره • والسماء ذات الرجع
اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا
بذلك التفؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا • والارض ذات الصدع • هو ما
يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء
والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من
شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواقع
من التنزيل لا في تشققها بالعيون • انه • اي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدا حال الانسان
ومعاده • لقول فصل • اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل • وما هو بالهزل • ليس في شيء
منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه فمن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة • انهم • اي اهل مكة
• يكيدون • في ابطال امره واطفاء نوره • كيدا • حسبما تفي به قدرتهم • واكيد كيدا • اي اقابلهم بكيد
متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون • فمهل الكافرين • اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم
بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم
وترك التصدي لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى • امهلهم • بدل من مهل وقوله تعالى • رويدا • اما مصدر مؤكد
لعامله او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قال ابن عباس رضي الله عنه او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة
هو في الاصل تصغير رود بالضم وانشد كانها ثمل تمشي على رود اي على تمهل وقيل تصغير ارواد مصدر ارود
بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا اي متمهلين وفي
ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عليه السلام من قرا سورة الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

• سورة الاعلى تسع عشرة آية • بسم الله الرحمن الرحيم •

سورة الاعلى تسع عشرة آية • بسم الله الرحمن الرحيم

• سبح اسم ربك الاعلى • اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه
يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ
سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل
سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك
سجدت • الذي خلق فسوى • صفة اخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل
بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى
• والذي قدر • اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول ومعطوف عليه وكذا الحال فيما بعده اي قدر اجناس
الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها • فهدى • اي فوجه كل واحد منها
الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت
احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد
الهمها الله تعالى ان مسح عينيها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية
بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها
بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما تخرج فضلات ما ياكله من فمه
حيث قيض الله له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخل الطائر فياكل ما فيه وقد خلق
له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هدايته سبحانه وتعالى للانسان
من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم
الخبير • والذي اخرج المرعى • اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف • فجعله • بعد ذلك • غثاء
• احوى • اي هشيما اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء
بعد ذلك وقوله تعالى • سنقرئك فلا تنسى • بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر
بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين
وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما سيوحى اليه
بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الآن وفيما بعد على
لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري
ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث
الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا • الا ما
شاء الله • استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان ينساه ابدا بان
نسخ تلاوته [illegible]
الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية في قراءته في الصلاة
فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها [illegible]
[illegible]
[illegible] تعليل لما قبله [illegible]
بما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء انساءه ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منها من مصالح دينكم • ونيسرك لليسرى • عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما
اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله

ويسر لامري للايذان بقوة تمكنه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحى والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى • فذكر ان نفعت الذكرى • اى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا فامر عليه السلام بان يخص التذكير بموارد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول هو الانسب لقوله تعالى • سيذكر من يخشى • اى سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم وقيل بمعنى ما اى فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر كما قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي • ويتجنبها • اى الذكرى • الاشقى • من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة • الذى يصلى النار الكبرى • اى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم • ثم لا يموت فيها • حتى يستريح • ولا يحيى • حيوة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من الصلى • قد افلح • اى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه • من تزكى • اى تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره • وذكر اسم ربه • بقلبه ولسانه • فصلى • اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اى كبره يوم العيد فصلى اى صلوته • بل تؤثرون الحيوة الدنيا • اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الاية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر ومما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادى والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى • والاخرة خير وابقى • حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره • ان هذا • اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا • لفي الصحف الاولى • اى ثابت فيها معناه • صحف ابرهيم وموسى • بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روى ان جميع ما انزل الله عز وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على ادم عليه السلام عشر صحف وعلى

شيث

على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد

سورة الغاشية ست وعشرون اية — بسم الله الرحمن الرحيم

• هل اتاك حديث الغاشية • قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قال قطرب اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الاية وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيرد من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى • وجوه يومئذ خاشعة • الى قوله تعالى مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن اتاه عليه السلام حديثها فاخبره عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا باس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى • عاملة ناصبة • خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة وقوله تعالى • تصلى • اى تدخل • نارا حامية • اى متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها • تسقى من عين انية • اى متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم ان • ليس لهم طعام الا من ضريع • بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين لاخرين • لا يسمن ولا يغنى من جوع • اى ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل او استغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اى لا يغني من جوع ما وتاخير نفي الاغناء منه لمراعاة

الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن
الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفى وقوله تعالى • وجوه يومئذ ناعمة • شروع فى رواية حديث
اهل الجنة وتقديم حكاية اهل النار لانه ادخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية
سوء حال اهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام فى اعراب الجملة كالذى مر فى نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايذانا
بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم او متنعمة • لسعيها
راضية • اى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته • فى جنة عالية • مرتفعة المحل او علية المقدار
لا تسمع • اى انت او الوجوه • فيها لاغية • لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار
وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية • فيها عين جارية • اى عيون كثيرة تجرى مياهها
كقوله تعالى علمت نفس • فيها سرر مرفوعة • رفيعة السمك او المقدار • واكواب • جمع كوب هو اناء لا عروة له
موضوعة • اى بين ايديهم • ونمارق • وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم • مصفوفة • بعضها الى بعض
وزرابى • اى بسط فاخرة جمع زربية • مبثوثة • اى مبسوطة • افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
استشهاد مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه
بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها
كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على انها بدل اشتمال من الابل اى اينكرون ما
ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب اعينهم يستعملونها
كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها
وعجيب هيئاتها اللائقة بتاتى ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى
الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل
ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك فى الحركة والسكون و
البروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما شاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير • والى السماء • التى
يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار • كيف رفعت • رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك
• والى الجبال • التى ينزلون فى اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها • كيف نصبت • نصبا رصينا فهى راسخة
لا تميل ولا تميد • والى الارض • التى يضربون فيها ويتقلبون عليها • كيف سطحت • سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية
وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل
للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية
البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة و
فى قوله تعالى • فذكر • لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اى فاقتصر على التذكير ولا تلح
عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى • انما انت مذكر • تعليل للامر وقوله تعالى • لست
عليهم بمصيطر • تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار
وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر
وقوله تعالى • الا من تولى وكفر • استثناء منقطع اى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر • فيعذبه الله
العذاب الاكبر • الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر اى الا من انقطع طمعك من ايمانه
وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على التنبيه وقوله تعالى • ان الينا
ايابهم • تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اى ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا
ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه

فيعال

فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب كقتال من قتل ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو
ياء فادغمت الياء الاولى فى الثانية • ثم ان علينا حسابهم • فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان
فان الترتيب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفى تصدير
الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب فى الشدة من الانباء
عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبى صلعم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر ثلثون آية مكية ◦ بسم الله الرحمن الرحيم

• والفجر • اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته • و
ليال عشر • هى عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم
وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام • والشفع والوتر • اى والاشياء كلها شفعها ووترها
او شفع هذه الليالى ووترها وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقاويل
والله تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل
وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء • والليل اذا يسر • اى يمضى كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا
عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام اى
صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر
بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق • هل فى ذلك قسم • الخ
تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول
وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم
وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان
فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف والفضل اى هل فيما ذكر من الاشياء
قسم اى مقسم به • لذى حجر • يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك
وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر
مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى
كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا
كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى • الم تر كيف فعل
ربك بعاد • الخ فانه استشهاد بعلمه عليه السلام بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه
عليه السلام فى الطغيان والعناد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه الآية وقوله تعالى الم تر
انهم فى كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء ايضا
لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم
هود وهم سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة قال
عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الاولى الا ما فى سورة الاحقاف وقوله تعالى • ارم • عطف
بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم
اسم بلدتهم او ارضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث
وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم • ذات العماد • صفة لارم اى ذات القدود والطوال على
تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا

بدو يمن اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ أرّم ذات العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة و روي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان اه متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك فانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء

مسور

فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدّر بالتشديد وقرئ اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التائين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا اه استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وايا ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد

كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة
اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان يكون ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفي الفعل يعتقد
انه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته الى اي طرف كان من افعاله
الاختيارية لحصل اتيان، وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة • فيومئذ • اي يوم اذ يكون ما ذكر
من الاحوال والاقوال • لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد • الهاء لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تعالى
ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء
للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن خلف اي لا يعذب مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل
والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى وقوله تعالى • يا ايتها النفس المطمئنة • حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية
احوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها ترقى في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات
فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها من غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى
الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن
ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام او على لسان
الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت • ارجعي الى ربك • اي الى موعده
او الى امره • راضية • بما اوتيت من النعيم المقيم • مرضية • عند الله عز وجل • فادخلي في عبادي •
في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي • وادخلي جنتي • معهم او انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بانوارهم
فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي اجساد عبادي التي فارقت
عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي
وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضه والظاهر العموم عن النبي عم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له
ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد عشرون آية — بسم الله الرحمن الرحيم

• لا اقسم بهذا البلد • اقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا في مقاساة
الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى • وانت حل بهذا البلد • اما لتشريفه صلى الله
عليه وسلم بجعل حلوله عليه السلام به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر
بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه السلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوا
في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عم بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى
انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عم مكة وفتحها عليه وما
فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عم فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة
ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهو حرام
الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا
يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا و
قبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر • ووالد • عطف على هذا البلد والمراد به ابرهيم وبقوله تعالى
• وما ولد • اسمعيل والنبي صلوات الله تعالى عليهم حسبما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه حرم ابرهيم ومنشأ اسمعيل

ومسقط

ومسقط رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم لتنكير والد وايرادهم بعنوان
الولاد لترشيح مضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي الولادة والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو انسب
لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد
وولده • لقد خلقنا الانسان في كبد • اي تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح
الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى
استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى • ايحسب • لبعضهم الذي كان عليه السلام يكابد
منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته
وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل
قدماه اي ايظن هذا القوي المارد المستضعف للمؤمنين • ان لن يقدر عليه احد • ان مخففة من ان
واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف اي ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد • يقول اهلكت •
• مالا لبدا • يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر •
• ايحسب ان لم يره احد • حين كان ينفق وانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه • الم نجعل له
• عينين • يبصر بهما • ولسانا • يترجم به عن ضمائره • وشفتين • يستر بهما فاه ويستعين بهما
على النطق والاكل والشرب وغيرها • وهديناه النجدين • اي طريقي الخير والشر او الثديين واصل
النجد المكان المرتفع • فلا اقتحم العقبة • اي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة
التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى • وما ادراك ما العقبة • اي اي شيء اعلمك ما اقتحام
العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة • فك رقبة • اي هو اعتاق رقبة • او اطعام
• في يوم ذي مسغبة • اي مجاعة • يتيما ذا مقربة • اي قرابة • او مسكينا ذا متربة • اي افتقار وحيث
كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة
ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا
افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم • ثم كان من الذين آمنوا • عطف على المنفي بلا وثم للدلالة
على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به • وتواصوا بالصبر • عطف على آمنوا اي اوصى
بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله • وتواصوا بالمرحمة • بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته تعالى من الخيرات
• اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه
للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل اي اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة • اصحاب
الميمنة • اي اليمين او اليمن • والذين كفروا بآياتنا • بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب
وحجة او بالقرآن • هم اصحاب المشأمة • اي الشمال او الشؤم • عليهم نار مؤصدة • مطبقة من
آصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس خمس عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

• والشمس وضحاها • اي ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى
فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف • والقمر اذا تلاها • بان طلع بعد
غروبها وقيل اذا تلا طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور • والنهار اذا جلاها •

أي جلى الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض
وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها • والليل إذا يغشاها • أي الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض وحيث
كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في نحو
أقسم بالله حق أن يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا • والسماء
وما بناها • أي ومن بناها وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن
الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى • والأرض وما طحاها • أي بسطها
من كل جانب كدحاها • ونفس وما سواها • أي أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم
على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب • فألهمها فجورها وتقواها •
أي أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت
وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل • قد أفلح من زكاها • أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من
أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى • وقد
خاب من دساها • لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أي خسر
من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها
فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وأما الجواب فحذف تعويلا على دلالة قوله تعالى • كذبت ثمود بطغواها •
عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام
وهو على الأول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية
أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أي كذبت بما أوعدت به
من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى
• إذ انبعث أشقاها • منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن
تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعل التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به • فقال لهم • أي لثمود
• رسول الله • أي صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة إيذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم
في الطغيان وهو السر في إضافة الناقة إليه تعالى في قوله تعالى • ناقة الله • أي ذروا ناقة الله • وسقياها •
ولا تذودوها عنها في نوبتها • فكذبوه • أي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقد جوز
أن يكون ضمير لهم للأشقين ولا يلائمه ذكر سقياها • فعقروها • أي الأشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل
بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب
تقول هذان أفضل الناس • فدمدم عليهم ربهم • فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة
إذا ألبسها الشحم • بذنبهم • بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنذار بعاقبة الذنب ليعتبر
به كل مذنب • فسواها • أي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها في الهلاك
• ولا يخاف عقباها • أي عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الإبقاء وذلك
أنه تعالى لا يفعل فعلا إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله وإن كان من شأنه الخوف والواو للحال أو
للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة و
الشمس فكأنما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر •

سورة الليل إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• والليل إذا يغشى • أي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل إذا يغشاها أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه

والنهار

• والنهار إذا تجلى • ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس • وما خلق الذكر والأنثى •
أي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والأنثى
وقرئ والذي خلق الذكر والأنثى وقيل ما مصدرية • إن سعيكم لشتى • جواب القسم وشتى جمع شتيت أي
إن مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى • فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى • إلخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة
وتبيين لأحكامها أي فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان
أو بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة • فسنيسره
لليسرى • فسنهيئه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب إذا
أسرجها وألجمها • وأما من بخل • أي بماله فلم يبذله في سبيل الخير • واستغنى • أي زهد فيما عنده تعالى
كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة • وكذب بالحسنى • أي بما ذكر من المعاني المتلازمة
• فسنيسره للعسرى • أي للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير
القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى
للإيذان بأن كلا منهما أصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول
بإعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى • وما يغني عنه ماله • أي ولا يغني أو أي شيء
يغني عنه ماله الذي يبخل به • إذا تردى • أي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك أو تردى في الحفرة إذا قبر
أو تردى في قعر جهنم • إن علينا للهدى • استئناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم
البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من طريق الضلال وما يؤدي إليه و
قد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هي
الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها قطعا • وإن لنا للآخرة والأولى • أي التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء
فنفعل فيهما ما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل إن لنا كل ما في الدنيا
والآخرة فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا • فأنذرتكم نارا تلظى • بحذف إحدى التائين من تتلظى أي تتلهب وقرئ
على الأصل • لا يصلاها • صليا لازما • إلا الأشقى • إلا الكافر فإن الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد
صرح به قوله تعالى • الذي كذب وتولى • أي كذب بالحق وأعرض عن الطاعة • وسيجنبها • سيبعد عنها
• الأتقى • المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها أو صليها الأبدي وأما من دونه
ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق
• الذي يؤتي ماله • يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى • يتزكى • إما بدل من يؤتي داخل في
حكم الصلة لا محل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتي أي يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به
رياء ولا سمعة • وما لأحد عنده من نعمة تجزى • استئناف مقرر لكون إيتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى
أي ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى • إلا ابتغاء
وجه ربه الأعلى • استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فإنه الرفع إما على الفاعلية
أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا له لأن المعنى لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة و
الآيات نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك
قالوا بالأشقى أبو جهل وأمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين عذبوا
بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لأبي بكر رضي الله عنه إن
بلالا يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف
فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله

ولسوف يرضى • جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الرضى وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والليل اذا يغشى اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة الضحى احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى • هو وقت ارتفاع الشمس صدر النهار وقالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا • والليل • اي جنس الليل • اذا سجى • اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى عم وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى • ما ودعك ربك • جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف اي ما تركك • وما قلى • اي وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه السلام بالكرامة الحالية والمترقبة كما تشعر به ايراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشر عليه السلام بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل • وللآخرة خير لك من الاولى • لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عليه السلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عندما اعد له السلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره عليه السلام اي لنهاية امرك خير من بدايته لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى • ولسوف يعطيك ربك فترضى • عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه السلام وفي ايام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا الله عز وجل وقد انبا ابن عباس عن شمة منها حيث قال له عم في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتاكيد مضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التاكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقولك والله لسأعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التاكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة خير لك وقوله تعالى • الم يجدك يتيما فآوى • تعديد لما افاض عليه عليه السلام من اوائل امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود ليطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة

اشهر

اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله تعالى عليه فاحسن تربيته وذلك ايواؤه وقرئ فاوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى • ووجدك ضالا • عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى فطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل عن الطريق فجاء جبريل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة • فهدى • فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم • ووجدك عائلا • اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما • فاغنى • فاغناك بمال خديجة او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك • فاما اليتيم فلا تقهر • فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه • واما السائل فلا تنهر • فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسال عن الدين • واما بنعمة ربك فحدث • بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله تعالى اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه السلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى بعدد كل سائل ويتيم •

سورة الم نشرح لك مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك • لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتاييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له عليه السلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عليه السلام ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عليه السلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت

او وازال ضلالك عن جدك وعمك

ورودہ فصل تمكن وقوله تعالى • ووضعنا عنك وزرك • عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا
صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر انفا من القصد الى
تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي
حططنا عنك عبأك الثقيل • الذي انقض ظهرك • اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع
من الرحل المتداعي من ثقل الحمل مثل به حاله عليه السلام مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته
بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع
وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك • ورفعنا لك
ذكرك • بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة
وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمى رسول الله ونبي الله والكلام في العطف
وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى • فان مع العسر يسرا • تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام
وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا
وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر • ان مع العسر يسرا • تكرير للتاكيد او عدة مستانفة
بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة
عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول
سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول • فاذا فرغت • اي من
التبليغ وقيل من الغزو • فانصب • فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك
من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك
• والى ربك • وحده • فارغب • بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي رغب
الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين مكية وهي ثمان آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

• والتين والزيتون • هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص
جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين
ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروي انه اهدي للنبي عليه السلام طبق من تين
فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع
البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون
فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته
هي الشجرة المباركة المشهود بها في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي
وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين
والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين
والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد
التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا
وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام
والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول وقال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت

وبه

وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي • وطور سينين • هو الجبل الذي
ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز
الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية • وهذا البلد الامين • اي الآمن من
امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه
الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والبيان • لقد خلقنا الانسان
اي جنس الانسان • في احسن تقويم • اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه تعالى
مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات
التي انموذجات من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة
الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن
ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيف شاءت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه
الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات
القائم روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة
للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك فهذه الطريقة
ممن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع
على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملئكة
الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج
منه وقوله تعالى • ثم رددناه اسفل سافلين • اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من
كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل
رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان
فاسفل سافلين اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا
اسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات • على الاول
استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى • فلهم اجر غير
ممنون • غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام
بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين
عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى • فما يكذبك بعد بالدين • للرسول عليه السلام اي فاي شيء
يكذبك دلالة اي نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة
الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان
من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على
البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان
• اليس الله باحكم الحاكمين • اي اليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء
وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد
للكفار وانه يحكم عليهم بما هم يستحقونه من العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين
وعنه عليه السلام من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية — بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ • اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى • باسم ربك • متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ متلبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله • الذي خلق • لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى • خلق الانسان • على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين خلق سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى • من علق • اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى • اقرأ • اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى • وربك الاكرم • الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم • الذي علم بالقلم • اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها وقوله تعالى • علم الانسان ما لم يعلم • بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى • كلا • ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى • ان الانسان ليطغى • اي يجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى • ان رآه استغنى • مفعول له اي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى • ان الى ربك الرجعى • تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى • أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى • تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة

بحيث

بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منها العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي وتأكيد التعجيب والرؤية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى • أرأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى • وما في قوله تعالى • أرأيت ان كذب وتولى • فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لأرأيت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما نهى عنه من عبادة الله تعالى او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن • ألم يعلم بان الله يرى • اي يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فمجرد فرض مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلوة • كلا • ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى • لئن لم ينته • موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر • لنسفعا بالناصية • لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور • ناصية كاذبة خاطئة • بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطئ • فليدع ناديه • اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم انهك فاغلظ له رسول الله فقال أتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت • سندع الزبانية • ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كامسي واصلها زباني فقيل زبانية بتعويض التاء

عن الباء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر اثر زجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد وواظب على سجودك وصلواتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك في الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهي خمس آيات ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞

انا انزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها الاعلام كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادراكها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي من ان ينزل في قرآن فالاقرب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي صلى الله عليه وسلم اعمار الامم كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم اي بامره من كل امر اي من اجل كل امر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

۞ سورة البينة مدنية وهي ثمان آيات ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تأتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين الآية وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول اي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة من الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه ويتفقوا على الحق

وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره بيان لاخلالهم بالوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن
الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك عما
انا فيه حتى يغنيني الله فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست في الفسق الا بعد اليسار
وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم
للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن
ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا فتامل • ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين •
في نار جهنم • بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب
حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان
بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر
والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية
كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الاعراف • خالدين فيها • حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين
في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان • اولئك •
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اي
اولئك البعداء المذكورون • هم شر البرية • شر الخليقة اي اعمالا وهو الموافق للسياق في حق المؤمنين فيكون في حيز
التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل • ان الذين •
آمنوا وعملوا الصالحات • بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب
بالترغيب • اولئك • المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة • هم خير البرية •
وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد • جزاؤهم • بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعات • عند ربهم جنات •
عدن تجري من تحتها الانهار • ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها
ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود • خالدين •
فيها ابدا • منعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكونه بمقابلة
ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وجعلها نعيما وتاكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى
رضي الله عنهم • استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم • ورضوا عنه • حيث
بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ذلك • اي ما ذكر من الجزاء والرضوان • لمن خشي ربه • فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله
عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية
والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض • اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا • زلزالها • اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى
المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او
زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة
خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز
وجل • واخرجت الارض اثقالها • اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض

في موقع الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها • وقال
وقال الانسان • اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة • ما لها • زلزلت
هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال
في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق
الاستعظام والكافر بطريق التعجب • يومئذ • بدل من اذا وقوله تعالى • تحدث اخبارها • عامل فيهما ويجوز ان
يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة
على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء
• بان ربك اوحى لها • اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز
ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها
واوحى لها بمعنى اوحى اليها • يومئذ • اي يوم اذ يقع ما ذكر • يصدر الناس • من قبورهم الى موقف
الحساب • اشتاتا • متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى
فتاتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار
• ليروا اعمالهم • اي اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى • فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى
في شعاع الشمس من الهباء واياما كان فمعنى رؤيته ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الاولى مخصصة بالسعداء
والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان
حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة
نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن
الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما
الكافر فترد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت الارض
اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهي احدى عشرة آية • بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات • اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى • ضبحا • مصدر
منصوب بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي يضبحن ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات
فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات • فالموريات
قدحا • الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فاورى وقدح فاصلد اي التي تورى النار من حوافرها و
انتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلثة • فالمغيرات • اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو
للنهب او للقتل او الاسر اليها وهي حال اهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم • صبحا • اي في وقت الصبح
المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون
• فاثرن به • عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن
به اي فهيجن بذلك الوقت • نقعا • اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه
بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شان التنزيل وقيل النقع الصياح
والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار • فوسطن به

اي توسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع • جمعاً • من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى • ان الانسان لربه لكنود • اي لكفور من كند النعمة كنوداً اي كفرها والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهراً فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعياً على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران • وانه على ذلك • اي وان الانسان على كنوده • لشهيد • يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه • وانه لحب الخير • اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيراً • لشديد • اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل اي انه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك لعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى • افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور • الى آخره تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعثر من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل • وحصل • اي جمع محصلاً او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنياً للفاعل وحصل مخففاً • ما في الصدور • من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلاً عن الاعمال الجلية • ان ربهم • اي المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذاناً بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك • بهم • بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها • يومئذ • يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور • لخبير • اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلعم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً

سورة القارعة مكية وهي احدى عشرة آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

• القارعة • القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى • ما القارعة • على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما لا القارعة اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل وقوله تعالى • وما ادراك ما القارعة • تأكيد لهولها

وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ الاول اي واي شيء اعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله تعالى • يوم يكون الناس كالفراش المبثوث • على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين اي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى • فاما من ثقلت موازينه • الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان اي فمن ترجحت مقادير حسناته • فهو في عيشة راضية • اي ذات رضى او مرضية • واما من خفت موازينه • بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته • فامه • اي فمأواه • هاوية • هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار يهوي فيها سبعين خريفاً وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوساً والاول هو الموافق لقوله تعالى • وما ادراك ما هيه • نار حامية • فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات • بسم الله الرحمن الرحيم

• الهاكم التكاثر • اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيداً واعز عزيزاً واعظم نفراً فكثرهم

بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى الهاكم التكاثر بالاحياء
حتى زرتم المقابر • اي حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور
تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن
الموت وقرئ أألهاكم على الاستفهام التقريري • كلا • ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا
فان عاقبة ذلك وخيمة • سوف تعلمون • سوء مغبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته • ثم كلا سوف تعلمون • تكرير للتأكيد
وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور • كلا لو تعلمون علم اليقين • اي لو
تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى
لترون الجحيم • جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما • ثم لترونها
تكرير للتأكيد او الاولى اذا راتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة
عين اليقين • اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين • ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش
الا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله
تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر مكية وهي ثلث آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر • اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى
او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة • ان الانسان
لفي خسر • اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم • الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات • فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات
الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى • وتواصوا بالحق • الى اخره
بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير
كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل • وتواصوا بالصبر • اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس
بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله تعالى به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه
تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة
العبودية التي هي الرضى بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي
ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا • عن رسول الله صلعم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

ويل • مبتدأ خبره • لكل همزة لمزة • وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر
واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة قد ضري بها ونحوهما
اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت
في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف
بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم • الذي جمع مالا • بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع
بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى • وعدده • وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر

وقرئ

وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد
وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام • يحسب ان ماله اخلده •
اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني
البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح
والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروي
ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة مستانفة او حال من فاعل جمع • كلا • ردع له
عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى • لينبذن • جواب قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اي
والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة • في الحطمة • اي في النار التي شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى
فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى • وما ادراك ما الحطمة • لتهويل امرها ببيان انها ليست
من الامور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى • نار الله • خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها اي هي
نار الله • الموقدة • بامر الله عز سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها ما لا مزيد عليه
• التي تطلع على الافئدة • اي تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما في الجسد
واشده تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة • انها عليهم
مؤصدة • اي مطبقة من اوصدت الباب واصدته اي اطبقته • في عمد ممددة • اما حال من الضمير المجرور
في عليهم اي كائنين في عمد ممددة اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدأ مضمر اي هم
في عمد او صفة لمؤصدة قاله ابو البقاء اي كائنة في عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا
في استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمد بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم

سورة الفيل مكية وهي خمس آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل • الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه السلام
بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة
والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان
يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى
وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك من الارهاصات لما روي ان القصة وقعت في السنة
التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي
بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك
وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له
اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس
خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم
برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن والى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا
مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل ويخرج
من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه فهربوا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة فتساقطت انامله واوصاله
وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه
القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه في
شانها فلما رآه ابرهة عظم في عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي

يطعم الناس في السهول والوحوش في رأس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي نجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ما يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رأيت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى • الم يجعل كيدهم في تضليل • اه بيان اجمالي لما فعل الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير • وارسل عليهم طيرا ابابيل • اي خزائق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها • ترميهم بحجارة • صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار المعنى • من سجيل • من طين متحجر معرب سنك كل وقيل • فجعلهم كعصف ماكول • كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير باول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

• لايلاف قريش • متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهي دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى • ايلافهم رحلة الشتاء والصيف • بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرد مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن اللبس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابداله هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ لياليف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها • فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم • بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه • من جوع • شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام • وآمنهم من خوف • عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الذي مكية وهي سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

• ارأيت الذي يكذب بالدين • استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى • فذلك الذي يدع اليتيم • جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب

بالجزاء

بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ودعّ شيئا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه • ولا يحض • اهله وغيرهم من الموسرين • على طعام المسكين • واذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى • فويل • الخ لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل • للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون • غافلون غير مبالين بها • الذين هم يراؤن • اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها • ويمنعون الماعون • اي الزكوة او ما يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك وما الترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان ان لهم قبائح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهي ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم

• انا اعطيناك • وقرئ انطيناك • الكوثر • اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعدنيه ربي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسوا الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى • فصل لربك وانحر • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمامور به اي استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص • ان شانئك • اي مبغضك كائنا من كان • هو الابتر • الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية وهي ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

• قل يا ايها الكافرون • هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش

قالوا يا رسول الله هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره
فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم
فقرأها عليهم فايسوا • لا اعبد ما تعبدون • اى فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع فى معنى الاستقبال
كما ان ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال والمعنى لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم • ولا انتم
عابدون ما اعبد • اى ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهى • ولا انا عابد ما عبدتم • اى ما كنت
قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام • ولا انتم عابدون
ما اعبد • اى وما عبدتم فى وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفى العبادة حالا كما ان الاوليين
لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه
السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله وايثار ما فى ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما اعبد من المعبود
العظيم الشأن الذى لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اى لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الاوليان
بمعنى الذى والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى
ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى • لكم دينكم • تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون ما
اعبد والمعنى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى • ولى دين • تقرير لقوله تعالى ولا انتم
عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذى هو الشرك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لى ايضا كما تطمعون فيه
فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه الى
الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لآلهتكم او استلامى اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك
وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين كلتا العبادتين كان القصر المستفاد
من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم اى ولى دينى لا دينكم كما هو
فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى انى نبى مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى
فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك فتأمل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهى ثلث آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

• اذا جاء نصر الله • اى اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك • والفتح • اى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى وعلق
الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق
به امره عليه السلام بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه السلام وانهما على جناح
الوصول اليه عن قريب يروى انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى ايام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ
باعتبار ان بعض ما فى حيزها اعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع
النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وطوائف العرب واقام بها
خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء
فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله عز وجل امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمى اهل مكة الطلقاء
ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن • ورأيت الناس • اى العرب او غيرهم • يدخلون فى دين الله
اى ملة الاسلام التى لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى
• افواجا • حال من فاعل يدخلون اى يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل
العرب كانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه الصلوة والسلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها

على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم
فكانوا يدخلون فى دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول •
فسبح بحمد ربك • فقل سبحان الله حامدا له اى فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه
المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه السلام امر بان يداوم على ذلك
استعظاما للنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء
عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثمانى ركعات او فنزهه
عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام •
واستغفره • هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك
من ترك الاولى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان عليه السلام يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
واتوب اليك وعنه عليه السلام انى لاستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى انه لما قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على
اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها
لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام
لقد اوتى هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه
فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا واولادنا وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها
فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك اول اهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود ان هذه السورة
تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته • انه كان توابا • منذ خلق المكلفين اى مبالغا فى قبول
توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبى صلعم من قرأ سورة النصر اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وهى خمس آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

• تبت • اى هلكت • يدا ابى لهب • هو عبد العزى بن عبد المطلب واشار التباب على الهلاك واسناده
الى يديه لما روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع اقاربه
فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به • وتب • اى وهلك كله
وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله
من قال جزانى جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول
اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما
دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثانى اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره
بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل على بن ابو طالب وقرئ ابى لهب بسكون الهاء
• ما اغنى عنه ماله وما كسب • اى لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اى شئ اغنى عنه على انها
استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة و
الاتباع او ماله الموروث من ابيه والذى كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى صلى الله عليه وسلم
او عمله الذى ظن انه منه على شئ كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخى حقا فانا افتدى منه نفسى بمالى
وولدى فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد فى طريق الشام بين العير
المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة
بعد وقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلثا حتى

أنثى ثم استأجروا لبعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الأمر كما أخبر به القرآن • سيصلى • بفتح الياء
وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أي سيدخل لا محالة بعد
هذا العذاب العاجل في الآخرة • نارا ذات لهب • أي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس
هذا تكليفا بما لا يمكن فإنه لا يؤمن أبدا حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبدا فيكون
مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فإن صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب منه أن
دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالا لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر
• وامرأته • عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان
وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام
يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد
بينهم النائرة • حمالة الحطب • بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية
إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت
تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ
وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ بالرفع على أنه حميلة بالتصغير للتحقير • في جيدها حبل من مسد •
جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال
من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف
المقل وقيل من أي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها والمعنى في عنقها حبل
مما مسد من الحبال وإنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها و
تصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف
قال مرة الهمداني كانت أم جميل تأتي كل يوم بإبالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة
حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة

سورة الإخلاص مكية وهي أربع آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

• قل هو الله أحد • الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيذان بأنه من الشهرة
والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي أصله القصد
المطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الرابط لأنها عين الشأن الذي
عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة خطرها مع ما فيه من زيادة
تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره
ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفي
ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود
الرؤوس غيركم فإنها أصلية وقال مكي أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه
الألف فحذفت إحداهما تخفيفا وقال ثعلب إن أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال
واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أي الذي
سألتم عنه هو الله إذ روي أن قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ
والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو وقرئ

هو الواحد

هو الواحد وقوله تعالى • الله الصمد • مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أي هو السيد المصمود إليه
في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك
فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولا ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة
نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته
المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وإرشادا
إلى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقيل • لم يلد • تنصيصا على إبطال زعم
المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أي لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانسه شيء ليمكن أن يكون
له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة
والفناء عليه سبحانه • ولم يولد • أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقا أو لاحقا والتصريح به مع كونهم
معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية
الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه
• ولم يكن له كفوا أحد • أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن
حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا
من أحد وليس بذاك أما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف
والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على
أشتات المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها ورد في الحديث النبوي أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده منحصرة
في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد أي ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى
ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت
يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مدنية وهي خمس آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

• قل أعوذ برب الفلق • الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول [illegible]
والفلوق عنه بمعنى مفعول وقيل هو [illegible] فلقه الله كالأرض عن النبات والجبال عن العيون
والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما [illegible] وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة
والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض
نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل
عن هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا [illegible]
• من شر ما خلق • أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا
كما ترى شامل لجميع الشرور [illegible] الاستعاذة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] • ومن شر غاسق [illegible]
[illegible]
[illegible] الغسق [illegible]

وغسوق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل
اجزائه وتقييده بقوله تعالى ● اذا وقب ● اى دخل ظلامه فى كل شىء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر ولذلك
قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها
انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل
التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك
لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها
سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه ● ومن شر النفاثات
فى العقد ● اى ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق
وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن
وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما انه كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم
وكان عنده اسنان من مشطه ص فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودى وبناته وهن
النافثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس فمرض النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن
سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله تعالى وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة
البئر وهى الصخرة التى توضع فى اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة
بالابر فجاؤا بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة
حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث
فقال عليه السلام اما انا فقد عافانى الله عز وجل واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبى صلى الله عليه وسلم
غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال
بالحيل مستعار من تليين العقد بنفث الريق ليسهل حلها ● ومن شر حاسد اذا حسد ● اى اذا اظهر ما فى نفسه من الحسد
وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد
لا غير عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى

سورة الناس مكية وهى ست آيات — بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ ● وقرئ فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ● برب الناس ● اى مالك امورهم ومربيهم
بافاضة ما يليق بهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ● ملك الناس ● عطف بيان جىء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق
تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى
● اله الناس ● فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولى لترتيب مبادى
حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف
فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته و
الوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية
والمملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعى مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد
الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى
وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فمن جعل
مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ
منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير الناس لما فى اظهار المضاف اليه من مزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة ● من شر الوسواس ●
هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمى بفعله مبالغة كانه

نفس الوسوسة ● الخناس ● الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه ● الذى يوسوس
فى صدور الناس ● اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع او النصب على الذم
● من الجنة والناس ● بيان للذى يوسوس على انه ضربان جنى وانسى كما فى قوله تعالى شياطين الانس والجن او
متعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على
الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها
فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله سبحانه الا
من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله عز وجل من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

قال العبد الذليل ● متضرعا الى ربه الجليل ● اللهم يا ولى العصمة والارشاد ● وهادى الغواة الى سنن الرشاد
● بارئ البرية مالك الرقاب ● عليك توكلى واليك متاب ● انت المغيث لكل جائر ملهوف ● والمجير من كل هائل مخوف
● الوذ بحماك المأمون ● من غوائل ريب المنون ● والتجئ الى حرزك الحريز ● وآوى الى ركنك العزيز ● واسألك من
خزائن برك المخزون ● فى مكامن سرك المكنون ● خير ما جرى به قلم التكوين ● من امور الدنيا والدين ● واعوذ بك
من فنون الفتن والشرور ● لا سيما الاطمئنان بدار الغرور ● والاغترار بنعيمها وزهرتها ● والافتتان بزخارفها وزينتها
● فاعذنى بجنابك ● واعننى بعنايتك ● وافض على من شوارق الانوار الربانية ● وبوارق الآثار السبحانية
● ما يخلصنى من العوائق الظلمانية ● ويجردنى عن العلائق الجسمانية ● ويهذب نفسى الآبية من دنس الطبائع والاخلاق
● وينور قلبى القاسى بلوامع الاشراق ● ليستعد للعثور على سرائر الانس ● ويتهيأ للحضور فى حظائر القدس
● وثبتنى على مناهج الحق والهدى ● وارشدنى الى مسالك البر والتقى ● واجعل اغراضى
ابتغاء رضاك ● واشرف ايامى يوم القاك ● يوم يقوم الناس لرب العالمين
فريقا فريقا ● واحشرنى مع الذين انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا ●
تمت بعون الملك ●
المتعال ●

الحمد لله الذى هدانا لتمام هذا الصنع البديع الجزيل ● وختام التفسير المنيع الجليل ● باحد وسبعين كراسا
فى قطعة واحدة من اصل القطع الاربع التى بخط مؤلفه المرحوم المبرور ● الواصل الى رحمة ربه الغفور ● فى زمن
مخدومه المجيد خير الخلف ● زبدة درة الصدف ● صاحب الخلق العظيم ● اعزه الله الملك الكريم ● اشرف الاعالى الفضلا
استاذنا وسيد الانام ● مولانا مصطفى چلبى افندى ● قاضيا ● ببروسة المحروسة ● عن طريان [illegible] ● فى ليلة الجمعة المباركة
فى العشر الاول من شهر جمادى الآخرة لسبع وتسعين وتسعمائة ● من الهجرة البهية النبوية ● بيد عبده الذليل الفقير
الى عفو ربه الجليل القدير ● حسام الدين بن محمد السلانيكى عفا الله عنه وعن والديه ● وتجاوز عما لديهما ولديه
محاسبا كان يستر الله حسابه ● وجعل ممن بيمينه كتابه ● بالدعاء فى المحروسة المزبورة ● صير الله مساعيه مشكورة
● يا ناظرا فيه سل بالله مرحمة ● على المصنف واستغفر لصاحبه
● واطلب لنفسك من خير تريد بها ● من بعد ذلك غفرانا لكاتبه